

شرح

# مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ

لَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ مُوسَى

الْقَلْبِيِّ الشُّرَيْشِيِّ

المتوفى سنة ٦١٩ هـ

وَضَعَ حَوَاشِيَهُ

إِبْرَاهِيمُ شَمْسُ الدِّينِ

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٩٩٨هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦١١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohitory st., Melkart bldg., 1st Floore.  
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98  
P.C.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar al-Kotob al-Ilmiyah - Publishing House  
P.o.box : 11-9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2264-9

EAN

9782745122643

No

02265



9 782745 122643

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقامة الثامنة عشرة

### وتعرف بالسنجارية

حكى الحارث بن همام قال: قفلت ذات مرة من الشام، أنحو مدينة السلام، في ركب من بني نُمَيْر، ورفقة أولي خير ومير، ومعنا أبو زيد السُرُوجي: غُفْلَةُ العجلان، وسَلْوَةُ الشكّان، وأعجوبة الزمان، والمشار إليه بالبنان في البيان.

فصادف نزولنا سنجار، أن أولم بها أحدُ التَّجَارِ، فدعا إلى مأذنته الجفلى، من أهل الحَضَارَةِ والأفلا، حتى سرت دَعْوَتُهُ إلى القافلة، وجمَعَ فيها بين الفريضة والثافلة.

\*\*\*

قفلت: رجعت من السفر.

\*\*\*

### [الشام]

الشام، ويقال له: شام وشأم، ويذكر ويؤنث، وينسب إليه شامي وشآم، على فَعَال. ويحكى عن سيبويه شامي، وإثبات الألف في النسب يدلُّ على إثباتها في أصل البناء.

وقيل: أُلِفَ يمان وشآم عَوَضَ من ياء النسب، قال طرفة: [الطويل]

\* شامية تروي الوجوه بليل \*

وقال في الدَّوَّة المنسوب إليه على ثلاثة أوجه: شامي وهو القياس، وشآم بياء مخففة كالمنقوص، وشامي وهو شاذ لأنه يصير بمنزلة المنسوب إلى المنسوب، وكذلك جَوَزَت الثلاثة في المنسوب إلى اليمن.

وعلى الشاذ منها قول العرجي: [السريع]

إني أتيت لي يمانية إحدى بني الحارث من مذحج<sup>(١)</sup>

(١) البيت للعرجي في ديوانه ص ١٩، والأغاني ١٠٨/١.

ولم يجز الحريري تأنيث الشام وقال: لفظه مذكر.

وقال ابن الأنباري - وذكر الشام والحجاز وغيرهما: فَمَنْ أَثْنُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَإِنَّمَا يَذْهَبُ بِهِ إِلَى مَعْنَى الْمَدِينَةِ.

وقالوا: الشَّامُ صفوة بلاد الله.

وقال رسول الله ﷺ لحذيفة ومعاذ: «عليكم بالشَّامَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»<sup>(١)</sup>.

وسَمِّيتَ شاماً لأنها عن شامة الكعبة.

ابن الأنباري: يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشُّومي وهي اليُسرى.

وقال قوم: أصله في الكعبة، لأنَّ بابها يستقبل المَطْلَع، فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينه في شَقِّ الجنوب، والشَّامُ عن يده الشُّومي في شَقِّ الشمال.

أبو القاسم الزجاجي: قال: جماعة من أهل اللغة: يجوز ألاَّ يهمز، فيقال: شام جمع شامة، سُمِّيتَ بذلك لكثرة قُرَاهَا، وتداني بعضها من بعض، شَبَّهَتْ بالشامات.

وقال الشرقي سميت بسام بن نوح، لأنه أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا، فغَيَّرَ اللفظ العجمي فجعل السين شيئاً.

وقسِّمَتِ الشَّامُ خمسة أقسام: الشام الأولى، وأوَّلُ حُدُودِهَا من طريق مصر أمج، ثم غزة ثم الرملة، ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان، وفلسطين هي الشَّامُ الأولى، ولها بيت المقدس.

الشَّامُ الثانية الأردن، ومدينته العظمى طَبْرِية، وهي بشاطئ البحر، واليرموك بين فلسطين والأردن.

والشَّامُ الثالثة الغُوطَة، ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس الشام.

الرابعة: أرض حمص الشَّام.

الخامسة: قَتْسَرين، ومدينته العظمى حلب، وهي من قَتْسَرين على أربعة فراسخ. وساحلها أنطاكية، مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والأنهار.

\*\*\*

قوله: «أنحو» أي أقصد. الركب: اسم لمن يركب الإبل، كذا قال الخليل.

وقال يعقوب: الرِّكْب: جمع راكب، وهم أصحاب الإبل خاصّة، ولا يكون الركب إلا أصحاب الإبل، وراكب الفرس فارس، وراكب البغل بغال، وراكب الحمار حَمَار،

(١) أخرجه بنحوه أحمد في المسند ٣٤/٥.



وراكب الفيل قِيَال، والجمع خِيَالَة وبَغَالَة وحمارة وقِيَالَة، وتبعه ابن قتيبة في هذا، وخطأهما جميعاً ابن السِّد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس: [السريع]

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقت الأرض واليوم قر<sup>(١)</sup>

فقوله: «ركبوا الخيل»، يدلّ على أنه يقال لمن ركب الفرس: راكب.

وما ذكره يعقوب هو الصحيح، لأنّ العرب إذا أفردت لفظ راكب أن ركب لم يقع في كلامها إلاّ على أصحاب الإبل مطلقاً، فإذا أرادت أن توفقه على أصحاب الخيل قيّدته بذكر الخيل، فقالوا: ركبت الفرس، وراكب الفرس، فيذكرون الفرس، وعلى هذا أتى: [السريع]

\* إذا ركبوا الخيل واستلأموا \*

فخفيت هذه التفرقة على ابن السِّد، على حظه الوافر من اللغة.

وقال الحريري في الدرة: الراكب هو راكب البعير خاصّة، وجمعه رُكبان، فأما الركب والأركوب، فقد جوز الخليل أن يطلق اسمهما على راكبي كلّ دابة إلاّ أنّ الأركوب أكثر من الرّكب عدة وأكثر جماعة.

\*\*\*

### [بنو نمير]

وبنو نمير قبيلة من بني صعصعة، إحدى جمرات العرب، وأشرف بيوت قيس عيلان، وجمرات العرب ثلاثة، سماوا بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم، والتجمير في كلامهم التجميع؛ وهم بنو نمير، وبنو الحارث بن كعب، وبنو ضبة بن أذ، فطفئت جمرتان وهم بنو ضبة لمحالفتها الرّباب، وبنو الحارث لمحالفتها مذجع، وبقيت نمير لم تحالف، فهي على كثرتها ومنعتها، قال شاعرهم: [الوافر]

نُميرُ جَمرة العرب أَسّي لم تزل في الحرب تلتهب التهاب<sup>(٢)</sup>

وكان الرجل منهم إذا قيل له: من أنت؟ قال: نميريّ كما ترى، إدلالاً بنسبته، وافتخاراً بمنعته، حتى قال جرير في الراعي: [الوافر]

فَعُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً<sup>(٣)</sup>

(١) البيت في ديوانه امرئ القيس ص ١٥٤.

(٢) البيت للراعي النميري في ديوانه ص ١٨، وتاج العروس (جمر).

(٣) البيت لجرير في ديوانه ص ٨٢١، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٦، وخزانة الأدب ١/ ٧٢، ٧٤، ٩/ ٥٤٢، والدرر ٦/ ٣٢٢، وشعر المفصل ٩/ ١٢٨، ولسان العرب (حدد)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٤١١، وخزانة الأدب ٧/ ٥٣١، ٩/ ٣٠٦، وشرح الأشموني ٣/ ٨٩٧، وشرح شافية ابن الحاجب ص ٢٤٤، والكتاب ٣/ ٥٣٣، والمقتضب ١/ ١٨٥.

فصار إذا قيل له يَمَن أنت؟ قال: عامري.

ومرّت امرأة بهم، فأحدّوا النظر إليها، فقال أحدهم: والله إنها لرِسحاء، فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين؛ لا قول الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ولا قول جرير: [الوافر]

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فلا كَغِباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَاباً<sup>(١)</sup>

قوله: «أولي خير»، أي ذوي غنى. مير: صلة وصدقة. عقلة العجلان: حابس المستعجل.

سلوة الشكران: مذهب حزن الحزين، يقول: إذا رآه مَنْ هو في شغل معجل حبسه، أو حزين أزال حزنه.

البنان: الأصابع، قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دينا إلا من عصمه الله».

\*\*\*

### [سنجار]

سنجار: بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخاً، وقرقيسيا على الفرات، وهي كورة من كور ديار ربيعة، وفي سنجار فوهة نهر الخابور، فيمرّ حتى يصبّ في الفرات، وهي على أميال من نصيبين، وعن يمين طريق الموصل.

\*\*\*

قوله: «أولم»، أي صنع وليمة، والوليمة: طعام العرس. والمأدبة: طعام يدعى إليه الناس.

والجفلى: الناس أجمع.

والخضارة: ضدّ البداوة، يفتح أولها ويكسر. الفلا: القفر، وأراد دعا أهل الحاضرة والبادية. سرث: وصلت.

القافلة: الرفقة الراجعة من سفرها، قال الأزهري: سُميت قافلة تفاعلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأت.

وظنّ ابن قتيبة أن عوامّ الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة؛ إلا منصرفة إلى وطنها وهذا غلط، وما زالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاعلاً، بأن يُسرّ الله لها القفول وهو شائع عند فصاحتهم إلى اليوم.

وأراد بالفريضة، أعيان التجار الذين حضورهم كالقروض، وبالنافلة: المُكاريين

(١) تقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

والاتباع، أو يريد بالفريضة مَنْ لا بدَّ له أن يدعوه للحضور، مثل القرابة والوجوه والأصحاب، والنافلة لفيف الناس، وأراد أنه حمل لعرضه مَنْ يحب ومن لا يحب، والهاء من «فيها» ضمير الدعوة، ويروى «فيهما» بالميم.

### [الحاضرة والبادية]

وأما ذكر الحاضرة والبادية، فقد أتينا في ذلك بفصل أدبيّ مستحسن، ولسنا نحتاج إلى إقامة دليل شاهد على فضل الحاضرة، لأنها محلّ الجمعيات والجماعات، وإليها تجلب الخيرات، وبها تستمدّ البركات، ومنهم العلماء والفضلاء والملوك، إلى ما يطول تعداده، ومَنْ أراد الله به خيراً نقله من البادية إلى الحاضرة، وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبُدُوءِ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهذا فيه فضل للحاضرة لا يُدفع إذ قرن الخروج من السجن بالمجيء من البدو، وعده من إحسان الله سبحانه وتعالى.

وقف أعرابي على دُغبل وهو ينشد: [المقارب]

إذا القوس أوترها أيْدُ رمى فأصاب الكلا والذُرَى<sup>(١)</sup>

فقال له: ما عنيت؟ فقال دُغبل: القوس قوس قُزح، أمطرت الأرض بها، فأعشبت فراعاها المال، فسمت كلاه وأسمنه، فقال الأعرابي: لله دركم يا حاضرة! إنكم لتسيرون معنا فتساوون، ولتتكبّون عنا فتفوتون.

وفي ضدّ هذا المعنى قال شبيب بن شبة: كثر قطع الطريق بين مكّة والبصرة، فبعثني المنصور أقوم في المناهل، وأتكلّم بدمّ البادية، وأوتبخهم بما يردعهم، فلم أرد ماء إلا تكلمت عليه بما يحضرني، فلا أجد مَنْ ينطق، حتى قمت على ما لبني تميم، فلما انقضى كلامي، قام رجل منهم قال: الحمد لله أفضل ما حمدته، وحمده الحامدون قَبْلَكَ أو بعدك، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأتمّها وأخصّها وأعمّها. ثم إنني قد سمعت ما قلت في مدح الحاضرة وأهلها، وذمّ البادية وأهلها، ومهما كان فينا أهل البادية من سوء، فليس فينا نَقَب الدُّور، ولا شهادة الزور، ولا نبش القبور ولا نَيْك الذكور.

قال: فأفحمني والله حتى تمثيت أني لم أخرج لذلك الوجه.

وقال القطامي: [الوافر]

فمن تكن الحضارة أعجبتة فأني رجال بادية تَرَأْنَا<sup>(٢)</sup>

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (أيد).

(٢) البيت للقطامي في ديوانه ص ٧٦، ولسان العرب (حضر)، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ص ١١١، ومغني اللبيب ٥٠٧/٢، ولسان العرب (بدا).

قال ابن رشيقي: ومن أملح ما سمعه الناس في تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى، وقرب مأخذ، مأخوذ من قول أبي الطيب: [البسيط]

مَنِ الْجَاذُرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمُرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيْبِ<sup>(١)</sup>

ثم قال: [البسيط]

ما أوجهُ الحَضَرِ المستحسِناتِ به كَأُوجِهِ البدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيْبِ  
حُسْنُ الحِضْرَةِ مجْلُوبٌ بتطْرِيقِ وفي البداوة حُسْنٌ غيرُ مجْلُوبِ  
أفندي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مَضَعُ الكلامِ وَلَا صَنَعُ الحَوَاجِبِ  
ولا بَرَزْنَ مِنَ الحَمَامِ مائِلَةً أوراكنهُنَّ صَقِيلاَتُ العِراقِيبِ  
ومن هوي كل من ليست مخضبة تركت لون مشيبي غير مخضوب  
فلو لم تفضل البادية إلا بهذا، لكان فيه مقنع.

\*\*\*

فَلَمَّا أَجَبْنَا مُنَادِيَهُ، وَحَلَلْنَا نَادِيَهُ، أَخْضَرَ مَنْ أَطْعَمَ الْيَدِ وَالْيَدَيْنِ، مَا حَلَا فِي  
النَّمِّ وَخَلِي فِي الْعَيْنِ. ثُمَّ قَدَّمَ جَاماً، كَأَمَّا جُمِدَ مِنَ الْهَوَاءِ، أَوْ جَمَعَ مِنَ الْهَبَاءِ، أَوْ  
صَيَّغَ مِنْ نُورِ الْقَضَاءِ، أَوْ قُشِرَ مِنَ الدَّرَّةِ النَّيَّضَاءِ، وَقَدْ أودِعَ لَفَائِفَ التَّجِيمِ، وَضَمَّخَ  
بِالطَّيْبِ الْعَمِيمِ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ شِزْبٌ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَسَفَرَ عَنْ مَرَأَى وَسِيمٍ، وَأَرَجَ نَسِيمٍ.  
فَلَمَّا اضْطَرَمَّتْ بِمَحْضَرِهِ الشَّهَوَاتُ، وَقَرِمَتْ إِلَى مَخْبَرِهِ اللَّهَوَاتُ، وَشَارَفَ أَنْ  
تُشْنُ عَلَى سِرِّهِ الْعَاذَاتُ، وَيُنَادَى عِنْدَ نَهْيِهِ: يَا لِلثَّارَاتِ! نَشَرَ أَبُو زَيْدٍ كَالْمَجْنُونِ،  
وَتَبَاعَدَ عَنْهُ تَبَاعُدَ الضَّبِّ مِنَ الثَّوْنِ، فَرَاوَدَاهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ، وَأَلَّا يَكُونَ كَقُدَّارٍ فِي ثُمُودِ.

\*\*\*

قوله: «ناديه» أي مجلسه. وطعام اليد: الشريد ونحوه. وطعام اليدين: الدجاج  
الصباح والشواء ونحو ذلك، وكانت وليمة في الأنصار، فحضرها حسان بن ثابت، وقد  
كُفَّ بصره، ومعه ابنه عبد الرحمن، فلما وضع الطعام، جيء بالشريد، قال حسان لابنه:  
يا بني، أ طعام يد أم طعام يدين؟ قال: بل طعام يد. فأكل، ثم جيء بالشواء، فقال مثل  
ذلك، فقال: بل طعام يدين فأمسك.

حلاً: طاب، خلي: حسن، وحلا في الفم، من الحلاوة، وخلي في العين من  
الجلي المتزيت به.

(١) الأبيات في ديوان المتنبي ١/١٢٩.

وفي الذرة: العرب تقول: حلا في فمي، وخَلِي في عيني، وليس الثاني من نوع الأول، وهو من الحَلْي الملبوس، فكأنَّ المعنى: حَسُن في عيني كحسن الحَلْي الملبوس، وهو من ذوات الباء، والأوّل من ذوات الواو، إلا أن المصدر فيهما جميعاً الحلاوة، والاسم حُلُولاً حال؛ لأنَّ الحالي ضدَّ العاطل، وهو الذي عليه الحَلْي.

والجام: إناء من زجاج. جَمَد: عَقَد وصنع جامداً.

والهباء: غبار الشمس، وهو ما تراه يدخل عليك مع الشمس من شِقِّ باب أو كوة حائط. صَبِغ: صُنِع. نور الفضاء، يعني الشمس، والفضاء؛ الأرض الواسعة، وفي الفضاء يتسع ضوء الشمس فيبيضُّ نورها.

أودع: ضمن ضمن وجعل فيه. لفائف النعيم: ما لَفَّ من الحلوى وطوي بعضه على بعض.

الفتجديهيّ: لفائف النعيم اللّوزينج والقطائف.

ضَمَخ: لَطَخ. العميم: الكثير. شَرِب: ماء. وتسليم: أرفع شرابات أهل الجنة. سَفَر: كشف.

مرأى وسيم: منظر حسن. أرج نسيم: طيب الرائحة، والنسيم: الريح اللينة الهبوب؛ يريد: لَمَّا أحضر الجام، ساقوا معه ماء عذباً لغسل اليد، ثم كُشِف لهم عن الجام، فرأوا منظرًا من الحلواء الملونة، ورائحة عطرة من الأفاويه.

وقال في مثل ذلك عبد السلام بن الحسين المأموني: [البيسط]

خَبِصَةً فِي الْجَامِ قَدْ قَدَمْتُ      مَدْفُونَةً فِي اللَّوْزِ وَالسَّكَّرِ  
يَأْكُل مَنْ يَأْكُلُهَا خَمْسَةً      بِكَفِّهِ فِيهَا وَلَمْ يَشْعُرْ

قوله: «اضطربت» أي اشتعلت. قرمت، أي اشتت.

اللهوات: جمع لهاء وهي أقصى الفم. شارف: قارب وأشرف عليه تُشَنُّ: تفرّق. سريه: جماعته، ويريد به ما فيه من الحلواء، والشرب: بالكسر: جماعة النساء، وبالفتح: الإبل في المرعى. الغارات، يريد الأيدي التي تُغَيِّر على الطعام. نهيه: انتهابه بالأيدي وأكل ما فيه. يا للثارات: كلمة ينادي بها العرب إذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم. والثار: الطلب بالدم، وثَارَ بالقتيل: قتل قاتله.

وقال حسان بن ثابت: [البيسط]

لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكََا فِي دِيَارِكُمْ      اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِثْمَانَا<sup>(١)</sup>

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢١٦، ولسان العرب (ثور)، (وشك). وبلا نسبة في خزانة الأدب ٢١٠/٧، ووصف المباني ص ٤١، والمنصف ٦٨/١.

فالثارات هنا جمع ثار، وهو المطلوب بالدم، قال: [الوافر]

وكيف تجلّد الأقسام عنه ولم يقتل به الثار المنيم<sup>(١)</sup>

قال أبو علي: الثار: المقتول، سُمي بالمصدر، كرجل عدل، لذلك جُمع بالثاء، وتفسير أبي علي عكس ما تقدم، وإذا كان منقولاً من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وثارات عثمان محتملة للتفسيرين، فتقديره على قول أبي علي: يا مطلوبات عثمان، وعلى القول الآخر: يا طالبات عثمان هذا أو انكم بالجدّ، وتفسير: يا للثارات في المقامة يستقيم على المعنيين، فعلى الأولى معناه: يا مطلوبات الجياع، قد تمكنا منك، وعلى الثاني معناه: يا طالبين الأكل؛ قد تمكّنت من المأكول.

وقوله: «نشز»، أي وثب. وتقدّم في الضبّ أنّه لا يرد الماء، وأن مسكنه الصحراء.

والنون: الحوت، وهو لا يفارق الماء، وهما لا يجتمعان، وقد تقدم للصابي:

[البسيط]

\* الضبّ والنون لا يرجى التقاؤهما \*.

وقال الآخر: [الطويل]

فلو أنهم جاؤوا بشيء مقارب لقلت هو الشكّل الموافق للشكّل  
ولكنهم جاؤوا بحيتان لجة قواميس، والمكنى فينا أبانا الجسّل  
فضرب بتياعدهما المثل.

راودناه: أردناه على الفعل، تقول: راودته على كذا، إذا أردته على فعله. يعود: يرجع. ثمود: أمة صالح عليه الصلاة والسلام.

وقدار: هو عافر الناقة، يضرب به المثل في الشؤم، فيقال: أشأم من قدار، ومن أخيمر عاد.

\*\*\*

### [قصة ثمود]

وتقريب قصته، أن ثمود كانت تبني في طول أعمارها، فاتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين، وبيوتهم إلى وقتنا هذا باقية منحوتة في الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم، ورمهم وآثارهم فيها بادية، فلما بُعث فيهم صالح، قال له زعيمهم: إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقةً سوداء عشراء، ذات عوف، فأتى الصخرة فتمخّضت

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (جلد)، وتاج العروس (جلد).

كالحامل، وانشقت عن الناقة. ثم تلاها سقُبها<sup>(١)</sup>، فأمن كثير منهم، وكان شِرْبُها<sup>(٢)</sup> يوماً وشِرْبُهم يوماً، فإذا كان يوم شِرْبِها حليوها، فملؤوا من لبنها كل إناء ووعاء، فلما امتنعت إبلهم من الماء يوم شِرْبِها استقلوها، وكان فيهم امرأتان: عذينة وصدقة، فبذلنا أنفسهما لِقُدَّارٍ على أن يعقر الناقة، وهو قُدَّار بن قديرة، وهي أمه وسالف أبوه، وكان قُدَّار أزرَقُ اسمر قصيراً، وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج، معاون له على ما كان به من الفساد في الأرض، وكانا في تسعة من أهل الفساد، فضرب قُدَّار عرقوبَها بسيفه، وضرب مصدع العرقوب الآخر، واستهما لحمها، فخرجت ثمود تعتذر إلى صالح، وتزعم أنها لا ذنب لها. فقال: انظروا، هل تدركون فصيلها، فعسى أن يرفع عنكم العذاب! فالتمسوه، فصعد إلى جبل يقال له: القارة، وطال الجبل به في السماء، حتى ما تناله الطير، وبكى. ثم استقبلهم، ورغا ثلاثاً، فقال صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب، وآية ذلك أن تصبح وجوهكم في الأول مصفرة، وفي الثاني محمرة، وفي الثالث مسودة. فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله، فمنع منهم فلماً رأوا صدقه في اليوم الثالث تحنطوا وتكفّنوا وبكوا وضجّوا، وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم العذاب. فصبحتهم في اليوم الرابع صيحة من السماء، قطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جائمين، فعقروها يوم الأربعاء، وأصيبوا يوم الأحد، وإنما أصيبوا والمذنب بعضهم، لأنهم رضوا فعله، والنية أبلغ من العمل - وبلادهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي ومزّ النبي ﷺ بقربتهم، ونهى الناس عن دخولها، وأراهم مرتقى القُصيل.

ولما رأى صالح أنها دار سخط، ارتحل بمن معه إلى مكة، فلم يزلوا بها حتى ماتوا، فقبورهم في غربي البيت، بين دار الندوة والججر.

وقال حباب بن عمرو: [البيط]

كانت ثمود ذوي عزٍّ ومكرمةٍ      ما إن يضام لهم في الثاس من جارٍ  
فأهلكوا ناقةً كانت لربهم      قد أنذروها فكانوا غَيْرَ أبرارٍ

\*\*\*

فقال: والذي يُنْشِرُ الأموات من الرّجَام، لا عُدْتُ دُونَ رَفْعِ الجَام، فلمْ نَجِدْ بُدَاً مِنْ تَأْلِفِهِ، وَإِبْرَازِ حَلْفِهِ، فَأَسْلَنَاهُ وَالْعَقُولُ مَعَهُ سَائِلَةً، وَالْذُمُوعُ سَائِلَةً، فَلَمَّا قَاءَ إِلَى مَجْثَمِهِ، وَخَلَصَ مِنْ مَأْتَمِهِ، سَأَلْنَاهُ لِمَ قَامَ، وَلَايَ مَعْنَى اسْتَرْفَعَ الْجَام؟ فقال: إِنَّ الرّجَاجَ نَمَامٌ، وَإِنِّي أَلَيْتُ مِنْذُ أَعَوَامٍ، أَلَا يَضْمَنِي وَتَمُوماً مَقَامٌ.

فقلنا: وما سَبَبُ يَمِينِكَ الصَّرَى، وَالْيَيْتِكَ الْحَرَى؟

\*\*\*

قوله: «يُنشَر»، أي يُحيي الموتى ويقىمهم، فيُنشَرُونَ في الأرض. والرجاء: القبور، واحداها رَجَم. تألفه: ضَمَّة وترك خلفه. إبرار خليفه: مراعاة قسَمِه. أشلناه: رفعناه. شائلة: مرتفعة.

فاء: رجع. مَنجُثمه: موضعه، وأصله للطائر.

الصَّرَى: العزيمة، ويقال: أصررت على الشيء، عزمت عليه، وهو مَنِي صَرَى وصِرَى وأصَرَى أي عزيمة وجَد.

وضَلت ناقة أبي السَّمال، فقال: والله لئن لم يردها الله عليّ لا أصلي أبداً، فذهب في ابتغائها، فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة، فقال: علم الله أنها كانت مني صَرَى فردّها عليّ.

وقال حبيب: [الكامل]

لما رآهم بآبك دون المُنَى هَجَرَ العَوَاية بعد طُول وصالٍ<sup>(١)</sup>  
تخذ الفِرار أخاً وأيقن أنه صَرَى عزم من أبي السَّمال  
يقول: لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه، فهجر الضلالة،  
وانهزم، إذ أيقن أن طالبه مُصِرٌّ على طلبه.  
الحَرَى: الوكيدة الشديدة، والكبد الحَرَى: اليابسة العاطشة.  
وناظر الحريريُّ بهذه المقامة مقامَ المضيرّة في البديعية، ومن هنا إلى أولها مَبْنِيٌّ على تلك.



### [المقامة المضيرّة للبديع الهمداني]

قال البديع: حدّثنا عيسى بن هشام قال:

كنت بالبَصْرة ومعني أبو الفتح الإسكندري، رجل الفصاحة، يدعوها فتجيّه،  
والبلاغة، يأمرها فتطيعه. وحضرنا معه دعوة بعض التجار، فقدّم مضيرة<sup>(٢)</sup> تُثْنِي على  
الحضارة<sup>(٣)</sup>، وتترجّج<sup>(٤)</sup> في الغضارة<sup>(٥)</sup>، وتؤذّن بالسلامة، وتشهد لمعاوية رحمة

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص ٢٦١.

(٢) المضيرة: نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن الحامض، وربما أضيف إليه الحليب، ثم يوضع عليه التوابل والأبزار.

(٣) أي أن أهل الحضر أقدر على صنعها من البدو.

(٤) تترجّج: أي تموج وتحرك.

(٥) الغضارة: القصعة.



الله بالإمامة، في قصعة يكلّ عنها الطرف، ويموج فيها الطرف.

فلما أخذت من الإخوان<sup>(١)</sup> مكانها، ومن القلوب أوطانها، قام أبو الفتح يلعنُها وصاحبها، ويمقتها وآكلها، ويثلبها وطابخها، وطنننها يمزح، فإذا الأمر بالصد، وإذا المزاح عين الجد، وتنحى عن الخوان، وترك مساعدة الإخوان، فرعتها فارتفعت معها القلوب، وسافرت خلفها العيون، وتخلبت لها الأفواه، [وتلمظت لها الشفاه] واتقدت لها الأكباد، [ومضى في إثرها الفؤاد]، لكننا سألناه عن أمرها، وساعدناه على هجرها.

ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها، كما يذكر الآن السروجي ومقامة المضيرة طويلة مضحكة.

\*\*\*

فقال: إِنَّهُ كَانَ لِي جَارٌ لِسَانُهُ يَتَقَرَّبُ، وَقَلْبُهُ عَقْرَبُ، وَلَفْظُهُ شَهْدٌ يَنْقَعُ، وَخَبْنُوهُ سَمٌ مُنْقَعُ، فَمِلْتُ لِمَجَاوَرِيهِ، إِلَى مُحَاوَرِيهِ، وَاعْتَرَزْتُ بِمَكَاشَرِيهِ، فِي مُعَاشَرِيهِ، وَاسْتَهْوَيْتَنِي خُضْرَةُ دِمْنِيهِ، لِمُنَادَمِيهِ، وَأَعْرَضْتَنِي خُدْعَةُ سِمْتِيهِ، بِمَنَاسَمْتِهِ فَمَازَجْتُهُ وَعِنْدِي أَنَّهُ جَارٌ مُكَاسِرٌ، فَبَانَ أَنَّهُ عَقَابٌ كَاسِرٌ، وَأَتَسُّهُ عَلَى أَنَّهُ حُبُّ مُوَاسِرٍ، فَظَهَرَ أَنَّهُ حُبَابٌ مُوَاسِرٍ، وَمَا لَحْتُهُ وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَ نَقْدِيهِ، مِمَّنْ يُفْرَحُ بِفَقْدِيهِ، وَعَاقَرْتُهُ وَلَمْ أَذِرْ أَنَّهُ بَعْدَ قَرَوِهِ، مِمَّنْ يُطْرَبُ لِمَفْرِهِ.

\*\*\*

قوله: «جار لسانه يتقرب»، معناه يتودد إليه بلسانه، ويكتم العداوة في قلبه، وهذا ما يذكر بعده.

### [مما قيل في الجار]

أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «من أشرط الساعة سوء الجوار تعوذوا بالله من ثلاث، هن العواقر: إمام السوء، إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، ومن جار السوء إن رأى حسناً ستره، وإن رأى قبيحاً أذاعه، ومن امرأة السوء، التي إن غبت عنها خانتك، وإن دخلت عليها لستك».

قال بعض الفضلاء: الجار السوء يفشي السر، ويهتك السر.

وقيل لأهل البحرين: إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله، فحافظوا على ثلاث خصال: صديق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، فإن أذى الجار يمحو الحسنات، كما تمحو الشمس الجليد عن الصفاة.

\*\*\*

(١) الإخوان: هو الذي يوضع عليه الطعام.

قوله: «ينقع»، أي يزوى العطش. ومُنْقَع، أي أديم حبسه، وأنقع سَمَ الحية: ثبت ودام. خَبْؤُه: باطنه، وما خبأه من الشر.

محاورته: محادثته. بمكاشرته: مضاحكته: معاشرته: مصاحبته.

استهوتني: ذهب بي. خُضرة دِمته: حُسن ظاهره، وتقدمت خضراء الدمن.

أغرنتني: حرّضتني وألصقتني به. سِمَته: علامته. مُناسمته: مصاحبته، وقرب نسمتي من نسمة، أي شخصي من شخصه.

مازجته: خالطته. مكاسر: قريب الدار، وكسر البيت: جانبه والعُقَاب الكاسر: التي تضم جناحيها، وتهوي على فريستها، فضمّ الجناح هو كُشره.

وآسنه: أبصرته. جبّ: حبيب، وكان زيد بن حارثة يسمّى جبّ رسول الله ﷺ، أي حبيبه.

وَضَح: تبين. حُباب: حية. موالس: مخادع خائن في صحبته.

مالحته: واكلته، أي أكلت معه الملح، وأصل الممالحة الرّضاع كأنه حين نادمه راضعه الكأس، وملحت المرأة الصبيّ: أرضعته.

نَقْدُه: تجربته. عاقدته: عاهدته، وعقدت يدي على يده.

فرّه: اختباره وكشف سرّه، يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته، ويسرّ عداوته.

### [مما قيل في المودة والإخاء]

وقال الشاعر؛ وهو المغيرة بن جبناء: [الطويل]

أخوك الذي لا ينقضّ النأي عهدَه ولا عند صَرْفِ الدهر يزورُ جانبَه<sup>(١)</sup>

وليس الذي يلقاك بالبشرِ والرّضا وإن غبت عنه لسعتك عقاربُه

قال: وأنشد آخر: [الطويل]

عليّ لإخواني رقيبٌ من الصّفا تبعد الليالي وهو ليس يبيدُ<sup>(٢)</sup>

وإني لأستحيي أخي أن أبرّه قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

وقال ابن المعتز: [السريع]

لم يبقَ مِنّا فاتني كسبُه إلّا قَتَى يَسْلَمُ لي قلبُه

ينأى فلا يذهبُه نأيه عَنّي ولا يفسده قريه

يكون حسبي من جميع الورى في كلّ حال وأنا حسبُه

(١) البيتان في أمالي القالي ٢٣٠/٢.

(٢) البيتان بلا نسبة في اللّالي ص ٢٧٢.

وقال بشار وزاد معنى: [الطويل]

تودّ عدوّي ثم تزعم أنني صديقك، إن الرأي منك لِعَازِبٌ<sup>(١)</sup>  
وليس أخي مَنْ وَذَّبني رأى عينه ولكن أخي مَنْ وَذني وهو غائب

\*\*\*

وَكَانَتْ عِنْدِي جَارِيَّةٌ، لَا يُوجَدُ لَهَا فِي الْجَمَالِ مُجَارِيَّةٌ، إِنْ سَفَرْتَ خَجَلَ  
النَّيْرَانِ، وَصَلِيَتْ الْقُلُوبُ بِالنَّيْرَانِ، وَإِنْ بَسَمْتَ أَزْرَتْ بِالْجُمَانِ، وَبِيعَ الْمَرْجَانُ  
بِالْمَجَانِ، وَإِنْ رَنَتْ هَيْجَتِ الْبَلَابِلِ، وَحَقَّقَتْ سِخَرِ بَابِلَ، وَإِنْ تَطَقَّتْ عَقَلْتُ لُبِ  
العَاقِلِ؛ وَاسْتَنْزَلَتْ الْعُضْمُ مِنَ الْمَعَاقِلِ، وَإِنْ قَرَأْتَ شَفَتِ الْمَفْوُودِ، وَأَخْيَبَتْ  
الْمَوْوَدِ، وَخَلَّتْهَا أُوَيْتٌ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، وَإِنْ غَنَّتْ ظَلٌّ مَعْبُدٌ لَهَا عَبْدًا، وَقِيلَ  
سَحَقًا لِإِسْحَاقَ وَبُعْدًا، وَإِنْ زَمَرْتَ أَضْحَى زُنَامَ عِنْدَهَا زَيْمًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ لِجِيلِهِ  
زَعِيمًا، وَبِالْإِطْرَابِ رَعِيمًا، وَإِنْ رَقَصْتَ أَمَالَتِ الْعَمَائِمَ عَنِ الرُّؤُوسِ، وَأَنْسَبْتَ  
رَقْصَ الْحَبَبِ فِي الْكُؤُوسِ، فَكُنْتُ أَزْدُرِي مَعَهَا حُمْرَ النَّعَمِ، وَأُخَلِّي بِتَمْلِيهَا جَيْدَ  
النَّعَمِ، وَأُخْجِبُ مَرَاةَا عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأُذَوِّدُ ذَكَرَهَا عَنِ شَرَائِعِ السَّمَرِ، وَأَنَا  
مَعَ ذَلِكَ أَلِيحٌ، مَنْ أَنْ تَسْرِي بِرَيَاها رِيحٌ، أَوْ يَكْهَنُ بِهَا سَطِيحٌ، أَوْ يَنْمُ عَلَيْهَا بَرْقٌ  
مُلِيحٌ.

\*\*\*

قوله: «مجارية»، مبارية معارضة، وفلان يباري الريح جوداً، كأنه يعارضها بفعله،  
فإذا هبت في زمن الشتاء والجهد، فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته  
فأصلحها.

سفرت: كَشَفَتْ وجهها. خَجَلَ: استحيا. النَّيْرَانِ: الشمس والقمر.

صَلِيَتْ: أحرقت، يقول: إذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع  
حسنها، واخترقت القلوب بنيران حبها.

\*\*\*

### [مما قيل في وصف النساء]

ونسوق هنا جملة من الشعر المستحسن في أوصاف النسوان: قال الشاعر: [البسيط]

(١) البيتان لبشار في أمالي القالي ٨٣/١، وليسا في ديوانه.

سبحان سبحان ربِّي خالقي الصُّورِ  
حتى رأيت لها أختاً من التبشِيرِ  
حسنُ الدلال وطرَف فاتر النظرِ

وتكفيك فقدَ البدر إنْ قُفِدَ البَدْرُ  
ووالله ما مِنْ ريقها حسبك الخمرُ  
جميلاً، وهل في مثلها يُحسن الصبرُ!  
لكان للمس الدَّر في جلدها أثرُ

خَوَذَ تَكْمُلُ في أعطافها الفِتْنُ<sup>(١)</sup>  
إلى المِرْآةِ نهاها وجهها الحسنُ  
أغرَّت بِي الشُّوقِ حتى شَفَنِي الشُّجْنُ

ومشمٌ من حَيْثُمَا شُمٌ فَاخَا  
ني فكانت رَوْحاً رَوْحاً وَوَاخَا

قَارَزَجَ أسفلها واهتزَّ أعلاها  
بالشمس طلعتها والجِسْكُ رَيَّاها  
عنها ولو سألتَه النَّفسُ أَعْطَاها  
من حسنِها الحسنُ سِرْباً لإفْرَدَاها

يُعَاتِبَ حلُوَ اللفظ حُلُوَ الشَّمائلِ  
كوُوساً وَغُغْتَنَا بصوت الخلاخلِ

إلى معاطف كالأغصان من كُثْبِ  
إِنَّ الغدائر كا لخلخال في صَبَبِ

لما تَبَدَّت من الأستار قلتُ لها  
ما كنت أحسب شمساً غيرَ واحدة  
كأنها هي إلا إنْ يفضِّلُها  
وقال أعرابي: [الطويل]

إذا حُجِبَتْ لم يكفِكَ البدرُ فقُدها  
وحسبك من خمر تقوتك ريقها  
وما الصُّبر عنها إنْ صبرتْ وَجَذته  
ولو أن جلد الدَّر لأمسَ جلدها  
وقال العباس بن الأحنف: [البسيط]

تاهت علينا بأنْ تَمُتْ محاسنها  
هَمَمْتُ بِإتياننا حتى إذا نظرتُ  
ما كان هذا جزائي من محاسِنِها  
وقال بشار: [الخفيف]

درةً حيثُما أديرَت أضاءتُ  
وجناتُ قال الإله لها كو  
وله أيضاً: [البسيط]

كأنها يوم زَاخَتْ في محاسنها  
خَوراء جاءت من الفردوس مقبلةً  
راحت ولم تعطِهُ بُرءاً لِمِلَّتِه  
من اللواتي اكتستُ برداً فشَقَّ لها  
وقال السَّلامي: [الطويل]

وفيهن سكرى اللَّحْظ سَكْرَى من الصُّبا  
أدارت علينا من سَلافي خدودها  
وقال أيضاً [البسيط]

لَبَيْكَ لَبَيْكَ داعي الَّلَّهو من كُثْبِ  
إِنَّ السَّوَالف كالسَّوسان في صُعْدِ

من حجبها وأدارت أغينَ العربِ  
فيه طرازان من ماءٍ ومن لهبِ  
يكاد بَنَقَطُرُ من مائيةِ الشَّنبِ  
من الرُّضا وعواليهم من الغُصْبِ

صِرفاً كأن سناها ضوء مقباس  
فكيف تُهدى خُدودُ النَّاسِ للنَّاسِ  
دمي، وطابخها في الكأس أنفاسي  
فأسقنيها على العينين والرَّأسِ  
وباتت الشمس فيها بعض جلاسي  
وبالخدود عن الشَّفاح والآسِ

والبين صعبٌ على الأحباب موقعةُ  
قواه عن حمل ما تحويه أضلعةُ  
مَنْ شَتَّ شمل الهوى بالوصل يجمعهُ  
غريق بحر يَرَى الشَّاطِي ويمنعهُ

حتى اقتنصنا ظَبَاءَ البدو في الخضرِ  
من البَرَّاقع لولا كُلْفَةُ القَمَرِ  
هواي نار وأنفاسي من الشرِّ  
فالتفتَ منتظماً منه بمنتهرِ  
بالصبح رَقَعته منهن بالشَّعرِ  
في الطَّول منه وحسن الليل في القَصْرِ  
ما كان يزداد طيباً ساعة السَّحَرِ

تقيّد ألياب الوردى وتُقودها.  
أمنطقها: أم، ثغرها أم عقودها!  
وللمسك رِيّاها، وللرِّيم جيدها

إلى خدود بنات الروم قد برزت  
من كلِّ سافرة عن مشرقِ خجلا  
واستضحكت عن لآلٍ أو حصي بَرْدِ  
تحدو بها فتية صيغت وجوههم  
وللأمير تميم بن المعز: [البسيط]

ناولتها شُبَّةً خذيها معتقةُ  
فقبَّلتها وهي ضاحكةُ  
قلت اشربي فهي دُمعي، وحمرتها  
قالت فإن كنت من حبي بكيت دماً  
يا ليلة بات فيها البدر مُعتِقي  
وبتُ مستغنياً بالشَّعر عن قدحِ  
وقال أيضاً: [البسيط]

قالت وقد نالها للبين أوجعه  
اجعل يديك على قلبي فقد ضَعُفْتُ  
واعطفْ علي المطايا ساعةً فعسى  
كأنني يوم وَلَّتُ حسرةً وأسى  
وقال التهامي: [البسيط]

أهدى لنا طيفُها نجداً وساكته  
فبات يجلو لنا من وجهها قمرأ  
وراعها حرَّ أنفاسي فقلت لها:  
وزاد دُرُّ الشنايا دُرَّ أدمعها  
ولو قدرت وثوب الليل منخرقُ  
بيضاء يَسحبُ ليلاً حسنه أبدأ  
لو لم يكن أقحوانا ثَغُرُ مبسمها  
ولبعض أصحابنا: [الطويل]

شدِّتْ فلا أدري بأيِّ صفاتها  
وأي لآليها أشدُّ نفاسة  
فللشمس مرآها، وللغصن قَدَّها،

قال الحسن: [الكامل]

وذات خـدٌ مـورّد	فتّانة الممتجرّد
تأمل العين منها	محاسناً ليس تنفد
فبعضها في انتهاء	وبعضها يتولّد
فالحسن في كلّ جزء	منها معاذ مرّد
وكلما عدت فيها	تكون في العود أحمّد

\*\*\*

قوله: «أزرت بالجمان»، أي قصرت بحبّ الفضة.

والمرجان: اللؤلؤ الصغار.

والمجان: شيء لا ثمن له، وخذ هذا مجاناً، أي باطلاً؛ أراد أنها إذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف. وأخذه من قول أبي تمام: [السريع]

وقهوة كوكبها يزهر	يسطع منها المِسْكُ والعنبر <sup>(١)</sup>
وردية يحثها شادن	كأنها من خدّه تُغصّر
مهفهف لم يبتسم ضاحكاً	مذ كان إلا كَسَدَ الجواهر
وقال آخر وذكر المجان: [البسيط]	

عثمان يعلم أنّ المدح ذو ثمن	لكنه يشتهي مدحاً بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً	حتى يروا عنده آثار إحسان

رنت: نظرت، البلابل: وساوس الهموم. والسُخر، ينسب إلى بابل وقال السّلامي في هذا المعنى:

أكجيلة الأجفان بالسُحر الذي	لولاه ما درت البلابل بابل
قد كان قلبي غافلاً عما به	أودي وقلبُ أخي السّلامة غافل
حتى ذهاني منك صدرّ راح	ذرب سيناناه وطرف قاتل
ما عقّدت المهنأ بجيدك ذرة	لكن فيرنّد في حسام جائل
وللأمير تميم بن المعتز: [المنسرح]	

وليلة بثها على طرب	آخرها مشبه لأولاهها
أقبل البرق من ثنيثها	والثم الشمس من محياها

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٣٧١.

سَقْتَنِي الرِّيحَ وَهِيَ خَذَاهَا      بِأَكْوُوسِ السَّحَرِ وَهِيَ عَيْنَاهَا  
 إِذَا أَرَادَتْ مَزَاجَهَا جَعَلَتْ      بَأْخَرَ اللَّحْظِ مِنْ فَمِي فَاها  
 فَيَا لَهَا قَهْوَةً مَعْتَقَةً      وَلَيْسَ إِلَّا الْخُدُودَ مَأْوَاهَا  
 حَبَابُهَا الشَّغَرِ حِينَ تَمْزِجُ لِي      وَنُقْلُهَا أَلْسُنُ حِينَ أَسْقَاهَا

\* \* \*

## [ذكر بابل]

وبابل مدينة كان ينزلها ملوك العجم، وهي دار نمرود بن كنعان، وكانت بابل، من استعظامها واستبشاع أمرها، لا تكاد تحصل، وأسسها نمرود، وكانت مدينة ضاحكة المنظر، زاهية البناء، واسعة الفناء، جمعت إلى حسن المنظر رصافة البنيان وبهاء المنصب، فكانت سهلة بطحاء مربعة، في كل تربيعة حصنان عظيمان، وسورها لا يكاد سامع خبره يصدقه، كان عرضه خمسين ذراعاً، في ارتفاع مائتي ذراع، في دور أربعة وستين ميلاً، وحوله خندق يجري فيه الفرات، وفيها مائة باب نحاس.

وهي أقدم بناء بُني بعد الطوفان، ونسب السحر لها لأن بها هاورت وماروت معلمي السحر، فكان يعجبان من بني آدم حيث يعصون الله تعالى على إنعامه عليهم، فابتلاهما الله تعالى فسلط عليهما الشهوة الآدمية، وحرم عليهما القتل والزنا والخمر؛ وأنزلهما إلى الأرض للحكم بين أهلها، فجاءتهما الزهرة في خصام، فوقعت في قلوبهما، فشكا كل واحدٍ منهما لصاحبه ما يجده من حبها، فأرسل إليها، فراوداها فأبت حتى يعلمها الاسم الذي يرجعان به إلى السماء، فأبيا عليها، قالت لهما: فاشربا الخمر، فشرباها فسكرا وعلمهاها الاسم، وواقعاها، ثم خرجا فوجدوا رجلاً، فظنّا أنه ظهر على أمرهما فقتلاه، وتكلمت الزهرة الاسم الذي يرجعان به إلى السماء فرفعت ومسخت كوكباً وخُيّرَا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذبان ببابل، ويعلمان السحر.

وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا أم المؤمنين، قالت لي امرأة: هل لك أن أعلمك شيئاً يصرف وجه زوجك إليك! فأنت بتيسين، فركبتُ واحداً، وركبت الآخر، وسرنا ما شاء الله فقالت: أتدرين أنك ببابل؟ ودخلت على رجلين، فقالا لي: بُولِي على ذلك الرماد، فذهبت ولم أبُل، ورجعت فقالا لي: ما رأيت؟ فقلت: ما رأيت شيئاً، قال: أنت على رأس أمرك، فرجعت فتشددت وبلت؛ فخرج مثل الفارس المقنع، فصعد في السماء، فقالا لي: ما رأيت؟ فأخبرتهما، فقالا لي: ذلك إيمانك فارقل، فخرجت إلى المرأة، فقلت لها: والله ما علماني شيئاً، ولا قال لي كيف أصنع، فقالت: فما رأيت؟ قلت: كذا وكذا، فقال: أنت أسحر العرب، اعملية، فقطعت جداول، فإذا

زرع يهتز، فقلت: أفرك فإذا هو قد بيس، فأخذته وفركته، وقالت: خذيه، واجعليه سويقاً واسقيه زوجك، فلم أفعل شيئاً من ذلك، وانتهى الأمر إلى هذا فهل لي من توبة؟. ورأت رجلاً من خُزاعة فقالت: يا أم المؤمنين، هذا أشبه الناس بها روت وما روت. روى هذا الحديث بإسناد له ابن قتيبة.



قوله: «عقلت لبَّ العاقل»، اللبّ: العقل، وعقلته: شدته بعقال، وهو قيد البعير.

والعُصم: الوعول، والأعصم: التيس الجبلي الذي في يديه بياض، والمعصم: موضع الخلخال.

الخليل: الأعصم الوعل، وعصمته: بياض في رجله.

والمعلق: قرون الجبال، وأراد أن كلامها لعذوبته يغلب أهل العقول حتى تعذاهم إلى الوحش، أو يريد بالعصم من له عزمة وهمة من الرجال، فإذا سمعها تذلل لها.

وأخذ هذا من قول أبي بكر بن دريد: [المنسرح]

لَوْ نَاجَيْتِ الْأَعْصَمَ لَا نَحْطُ لَهَا	طَوَعَ الْقِيَادَ مِنْ شَمَارِيخِ الدَّرَا
أَوْ صَابَتِ الْقَانَتُ فِي مَخْلُولِي	مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلُوكِ وَغَرِ الْمَرْتَقِي
أَلْهَاءَ عَنْ تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ	تَأْنِيسَهَا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا

والسابق إلى هذا المعنى النابغة بقوله: [الكامل]

لَوْ أَنَّهُا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ	عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِدٍ <sup>(١)</sup>
لَرْنَا لِرُؤْيَيْهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا	وَلِخَالِهِ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يُرْشِدِ

والمفؤود: الذي يشتكي فؤاده، والمؤود: المدفون حيّاً، وانظره في الخامسة والثلاثين.

وأراد أنّ حسن صوتها بالقرآن يشفي من مرض الفؤاد، ويحيي الموتى والعرب تزعم في شعرها أنّ إفراط الحسن يحيي الموتى. قال الأعشى: [السرير]

لَوْ أَسْنَدْتُ مَمِيئًا إِلَى نَحْرِهَا      قَامَ وَلَمْ يُخْمَلْ إِلَى قَابِرٍ<sup>(٢)</sup>

(١) البيتان للنابغة الذبياني: في ديوانه ص ٩٥، والبيت الأول في لسان العرب (صرر) ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٥، ومجمل اللغة ٣/ ٢٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٥٢، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٠٩، وتاج العروس (صرر).

(٢) يروى البيت الأول:

لَوْ أَسْنَدْتُ مَمِيئًا إِلَى قَبْرِهَا      عَاشَ وَلَمْ يَنْقَلْ إِلَى قَابِرٍ =



حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر!

وقال توبة بن الحُمَيْر: [الطويل]

ولو أن ليلى الأخيلىة سلمت عليّ وفوقي تُرْبَةٌ وصفائح<sup>(١)</sup>

لسلمت تسليم البشاشة أو رَقًا إليها صدى من جانب القبر صائح

وقوله: «مزامير»، المزمار: الصوت نفسه، والجمع مزامير. وقيل: صوابه زمار،

ولا يقال زامر، ويقال للأثنى: زامرة ولا يقال: زَمارة، والآلة التي يزمر بها الزَمارة.

وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتاً، وإذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش، وحتت حتى تؤخذ بأعناقها وهي مصغية له، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط إلا على صوته.

ومعبد، أطبع المغنين المتقدمين، إسحاق الموصلي أطبع المتأخرين، وفي معبد

يقول حبيب: [الطويل]

محاسنُ أوصافِ المِغْنَيْنِ جَمَّةٌ وما قَصَبَاتُ السَّبَقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ<sup>(٢)</sup>



### [معبد المغني]

وهو معبد بن وهب، وقيل ابن قطن وأبوه أسود، وكان هو خلاصياً مديد القامة،

أخول.

غنى في أول الدولة الأموية، وتوفي أيام الوليد بن يزيد.

وكان علماً جارية اسمها ظبية: فاشترها رجل من الأهواز، وذهبت به إلى كل مذهب، فماتت وأخذت جواريه أكثر غنائها، فكان من أجلها يفضل معبداً على نظرائه، ويظهر التعصب له، فسمع به معبد، فخرج إليه حتى أتى البصرة، فصادف الرجل خارجاً إلى الأهواز في سفينة، فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه في مؤخر السفينة،

= وهو في ديوان الأعشى ص ١٨٩، ومقاييس اللغة ٤٧/٥. والبيت الثاني في ديوان الأعشى ص ١٩١، ولسان العرب (نشر)، وتهذيب اللغة ٣٣٨/١١، ومقاييس اللغة ٤٣٠/٥، وتاج العروس (نشر)، وبلا نسبة في المخصص ٩٢/٩.

(١) البيتان لتوبة بن الحمير في الأغاني ٢٢٩/١١ وأمالى المرتضى ٤٥٠/١، والحماسة البصرية ٢/١٠٨، والدرر اللوامع ٩٦/٥، وسمط الآلي ص ١٢٠. وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٣١١، وشرح شواهد المغني ص ٦٤٤، والشعر والشعراء ٤٥٣/١، ومغني اللبيب ٢٦١/١، والمقاصد النحوية ٤٥٣/٤، وهما لرؤية في همع الهوامع، وليسا في ديوانه، وهما بلا نسبة في الجنى الداني ص ٢٨٦، وشرح الأشموني ٦٠٠/٣، وشرح ابن عقيل ص ٥٩٣.

(٢) البيت في ديوانه أبي تمام ص ١٠٣.

وانحدر حتى بلغ إلى فم نهر الأبله فتغذوا وشربوا، وأمر جواريه فغتين، فغنت إحداهن للناطقة: [البسيط]

بانث سعاد وأمسي حبلها انجذما<sup>(١)</sup>

ومعبد ساكت في ثياب السفر، حتى سكتت، فصاح: يا جارية، غناؤك ليس بمستقيم، فغضب مولاها، وقال: وما أنت والغناء! ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبي بكر: [الرمل]

يا بنة الأزدي قلبي كئيب      مُستهام عندها ما يُنيب<sup>(٢)</sup>  
ولقد قالوا فقلت دعوني      إن من تنهون عنه حبيب  
إنما أفني عظامي وجسمي      حُبها، والحب شيء عجيب

فصاح معبد: يا جارية، قد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً فازداد غضباً مولاها، وقال: ويلك! أما تكف عن هذا الفضول! ثم غنت أخرى لكثير فقالت: [الطويل]

خليلي عوجاً سلماً ساعة معي      على الزرع نقضي حاجة ونودع<sup>(٣)</sup>  
وقولا لقلب قد سلا: راجع الهوى      وللعين أذرى من دموعك أو دعي  
فلا عيش إلا مثل عيش مضى لنا      مصيفاً أقمنا فيه من بعد مَزِع

فقال معبد: ما قومتن صوتاً واحداً، فقال له الرجل: والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة، وأقسمت بالله لئن عاودته لأخرجتك من السفينة، فاندفع معبد يغني الصوت الأول، فصاح الجواري: أحسنت والله يا رجل! فأعده، قال: لا ولا كرامة، ثم غنى الثاني، فقلن لسيدتهن: هذا والله أحسن الناس غناء، فأسأله أن يعيد لعلنا أن نأخذه، ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة، فوثب الرجل وقبل رأسه، وقال: أخطأنا عليك، فأسألك أن تنزل إلينا، فأبى فلم يزل به حتى نزل، وقال له: من أين أخذ جواريك هذا الغناء؟ قال: من جارية أخذت عن أبي عباد معبد، ثم استأثر الله بها، وكانت مني محل الروح من الجسد، فلذلك أفضل معبداً على جميع المغنيين، فقال له معبد: وإنك لأنت هو! أفتعرفني؟ قال: لا، فصك معبد بيده صلعته، وقال: فأنا والله معبد، وإليك قدمت

(١) عجزه:

واحتلت الشرع فالأجراع من إضما

والبيت للناطقة الذبياني في ديوانه ص ٦١، ولسان العرب (أضم)، وتاج العروس (أضم)، ومقاييس اللغة ١/٤٣٩، ومجمل اللغة ١/٤١٨، ويلا نسبة في لسان العرب (أ).

(٢) الأبيات بلا نسبة في الأغاني ١/٥٠.

(٣) الأبيات لكثير في الأغاني ١/٥٠، وليست في ديوانه.

من الحجاز، ولقصدكم بالأهواز دخلت السفينة، والله لا قصرتُ في جواريك [ هؤلاء ] حتى أجعلهنّ خلفاً من الماضية، فأكبّ الرجل والجواري على يديه ورجليه بالتقبيل، ويقولون: «كتمتنا نفسك، حتى أسأنا عشرتك، وأنت مِمّنْ تنمئى من الله أن نلقاه».

ثم وهب له ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها، فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف إلى الحجاز.

قال ابن الكلبي: قدم ابن سريح والغريض المدينة، وكانا في صنعة الغناء من الحذاق، يتعرّضان لمعروف أهلها، فلما شارفاها تقدّما ثقلهما، ليرتادا منزلاً، حتى إذا هما بمغسلة تغسل فيها الثياب قرب المدينة، إذا هما بغلام ملتحف بإزارٍ وطرفه على رأسه، ويده حُبالة يصيد بها الطير، وهو يتغنى: [البسيط]

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون<sup>(١)</sup>

فإذا الغلام معبد فلما سمعاه مالا إليه، واستعاده، فأعاد الصوت، فسمعا شيئاً لم يسمعا مثله قطّ، فقال أحدهما لصاحبه: هل سمعت كالיום قطّ؟ قال: لا والله، فما رأيك؟ قال ابن سريح: هذا غناء غلام يصيد الطير، فكيف بمن في المدينة، أمّا أنا فنكلت والذي إن لم أرجع، فرجع ولم يدخلها.

وروى إسحاق أنّ معبدًا سافر إلى مكة، فسمع ببطن مرّ غناء، فقصد الموضع، وإذا رجل جالس على حرف بركة فارّق شعره حسن الوجه عليه درّاعة مصبوعة بزعفران، وهو يتغنى: [الخفيف]

جنّ قلبي من بعد ما قد أنابا<sup>(٢)</sup> ودعا الهَمّ شجوه فأجابا

ذاك من منزلٍ لسلمى خلاءٍ لابس من خلّائه جلبابا

عُجْتُ فيه وقلت للركب عوجوا طمعاً أن يردّ زُئجُ جوابا

فاستثار المنسي من لوعة الحد بّ وأبدي الهموم والأوصابا

فقرع معبد بعصاه وغنى: [الكامل]

مَنع الحياة من الرجال ونفعها حدّق تقلّبها النساءِ مِرَاض<sup>(٣)</sup>

وكان أفسدة الرجال إذ رأوا حدّق النساء لئبّ لها أغراض

(١) بعده في الأغاني ١١/١

قد يكتسب الناس أسراراً فأعلمها وما ينالون حتى الموت مكنوني  
والبيت الأخير للمعيطي في لسان العرب (كن).

(٢) الأبيات في الأغاني ٤٧/١.

(٣) البيتان للفرزدق في ديوانه ص ٤٨٨، والأغاني ٤٨/١.

فقال الرجل له: أنت معبد؟ قال نعم، وقال له معبد: بالله أنت ابن سريج! قال: نعم، والله لو عرفتك ما غثيت بين يديك.

قال معبد: فلما قدمت مكة، قيل لي: إن ابن صفوان قد جعل بين المغنين جائزة، فأنتيت بابه، فطلبت الدخول، فقال لي أذنه: قد أمرني أن ألا أذن لأحد عليه، قلت: فدعني أدنو من الباب، فأغني صوتاً، فقال: أما هذا فنعم، فدنوت من الباب، فغنيت، فقالوا: معبد، ففتحوا لي وأخذت الجائزة.



### [إسحاق الموصلي]

وأما إسحاق فذكره صاحب الأغاني، وقال: كان محلّ إسحاق من العلم والأدب والرواية، وتقدمه في الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف، وأما الغناء فكان أصغر علومه، وأدنى ما وسم به وإن كان الغالب عليه؛ وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائفها، وميزها تمييزاً لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده، من تدقيق المجاري، وتمييز الأصناف التي جعلوها صنفاً واحداً، وهي في نفسها كذلك، ولكنها تفرق عند متيقظ مثله، وأين مثله! وروي عنه أنه قال: بقيتُ دهرًا أغلُسُ إلى هشام أسمع الحديث وإلى الكسائي أقرأ عليه جزءاً من القرآن، وإلى الفراء وابن غزالة أسمع اللغة، ثم أتى منصور زلزل، فيطارحني طريقتين أو ثلاثاً، ثم أتى عاتكة بنت شهدة، فأخذ منها صوتاً أو صوتين، ثم أتى الأصمعيّ وأبا عبيدة، فاستفيد منهما وأناشدهما، ثم أصرير إلى أبي فأعلمه بما صنعت، وأتغدى معه، فإذا كان العشي رحت إلى الرشيد.

وروي الحديث، ولقي أهله، مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما، وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب، لا مع المغنين، فإذا أراده للغناء غناه، فأجابه إلى ذلك.

وقال المأمون: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء، لوليته القضاء بحضرتي، فإنه أولى به، وأصدق وأعف، وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة، وكان أجود الناس بالمال وأبخلهم بالغناء، وأعطى لمنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم.

وأهدى له ابن الأعرابي نسخة من النوادر بخطه، فمرّ يوماً على المدائني، فقال: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: أمر على رجل كما قال الشاعر: [المنسرح]

نحمل أشباحنا إلى ملكٍ      نأخذ من ماله ومن أذبه

فقال: ومن هو؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم.

ومات وهو أشعر أهل زمانه، وقال رأيت جريراً في منامي ينشد شعراً، فلما فرغ

أخذ كَبَّةَ شعر فألقاها في فمي، فابتلعُتها، فتأَوَّلْتُ ذلك أنه ورثني الشعر.

ومرَّ به شيخ وهو في الحديث، فقال لجلسائه: هذا أشبه النَّاسَ بجرير الذي رأيت، فسئل الشيخ، فإذا هو عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير. ومن شعره يفتخر: [الطويل]

إذا كانت الأحرار أصلي ومُصِيبِي      وقام بنصري خازم وإبن خازم  
عطست بأنفٍ شامخ وتناولتُ      يداي الثريا قاعداً غير قائم  
وسمعهما الأصمعي فاستحسنهما، وأعجب بهما وفضلهما.

ودخل على مروان بن أبي حفصة وهو يتحدث مع أبيه فأنشده: [الطويل]

إذا مضر الحمراء كانت أزومتِي      وقام بنصري خازم وإبن خازم  
عطست بأنف... البيت.

فجعل إبراهيم يحدث مروان، وهو ساه عنه، فقال: ما لك لا تجبيني فقال: إنك ما تدري ما أفرَّخَ ابنك في أذني. ووجه إليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب إليه: [البيسط]

أشرب على زعفران الرطب متكثراً      وأنعم نغمَتَ بطول اللّهُو والطربِ  
فحرمة الكأس بين الناس واجبةٌ      كحرمة السوء والأرحام والأدبِ  
فأجابه إسحاق الموصلي: [البيسط]

اذكُرْ أبا جعفرَ حقاً أمْتُ بِهِ      أني وإياك مشغوفان بالأدبِ  
وأنا قد رَضَعْنَا الكأس دِرَّتْهَا      والكأس حرمتها أولى من النِّسبِ

وجلس عند إبراهيم بن مصعب للشرب، فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدرح إلى إسحاق، فلم يأخذ منه، فقال له إبراهيم: لِمَ لا تشرب؟ فقال: [البيسط]

أصبَحَ نديمك أقداحاً تسليلاًها      من الشُّمول وأتبعها بأقداح  
من كَفَّ زَيْمٍ مليح الوجه ريقته      بعد الهجوع كمسك أو كَتْفاح  
لا أشرب الراح إلا من يدي رشاً      تقبيلُ راحته تُغني عن الرُّاح

فدعا له بوصيفة تامة الحسن، في زِيٍّ غلام، عليها أقبية ومنطقة، فسقته حتى سَكِر، ثم أمر بتوجيهها إليه بكلِّ ما معها إلى داره.

ومن طرف إسحاق، أن كلثوماً العتابي كان من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على ما لم يكن عليه أحد، فحضر مجلس المأمون، فوضع بين يديه ألف دينار، وغمز إسحاق بالعبث به، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب ويزيد عليه، وهو لا يعرف إسحاق، فقال: أيأذن أمير المؤمنين في نسبة هذا الرجل، والسؤال عن اسمه؟ فقال: أفعل، فقال له العتابي: ما اسمك ومن أين أنت؟ فقال: أنا من الناس، واسمي كلِّ

بَصَل، فقال له العتابي: أما النسبة فمعروفة، وأما الاسم فمذكور، فقال له إسحاق: ما أَقْلُ إنصافك، أو ما كَلْثُوم من الأسماء! فالبصل أطيّب من الثوم! فقال له العتابي: فانتك الله، ما أملحك! ما رأيت كالرجل حلاوة، أياذن أمير المؤمنين في صلته بما وصلني، فقد والله غلبني؟ فقال له المأمون: بل ذلك موفور عليك، وأمر له بمثله. فانصرف إسحاق إلى منزله، ونامده العتابي بقية يومه.

وكانت هُشيمة الخُمارة تجيد الشراب، فلما ماتت قال يرثيها: [الكامل]

أضحت هُشيمة في القُبورِ مقيمةً      وخلت منازلها من الفتيانِ  
كانت إذا هجر الحبيب محبته      ذبت له في السرِّ والإعلانِ  
حتّى يلين لما تريد قياده      ويصيرَ سيئته إلى الإحسانِ

وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان، أصله فارسيّ، وترك ماهان إبراهيم صغيراً فنشأ في بني تميم.

وهذا الذي ذكرنا نبذة من أدبه.

وأما محاسنه في الغناء فلا يأتي عليها الحصر، قال الوراق: ما غنّاني إسحاق قطّ إلا ظننت أن قد زيد في ملكي؛ وإن إسحاق نعمة من نعم المُلُك، التي لم يحظ أحد بمثلها؛ لو أن له العمر والنشاط ممّا يشتري لاشتريتهما بشطر ملكي.

وحَدَّث حمّاد ابنه قال: حدثني أبي قال: غدوت يوماً وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة. فركبت بكرة عازماً أن أطوف في الصحراء، وأنفّرج، وقلت لعلماني: إن جاء رسول الخليفة فعرفوه أنني ركبت في مهمّ ومضيت، وطفت ما بدا لي، وغدوت، وعدت، وقد حمي النهار، فوقفت في ظلّ جناح شارع لأستريح، فلم ألبث أن خادم جاء يقود حماراً فارهاً عليه جارية تحتها منديل ديبقي. وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه، فرأيت لها شمائل ظريفة وطرفاً فاتراً، فحدّثت أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت عليها واقفاً، فعلقها قلبي علوقاً شديداً لم أستطع معه براحاً، وأقبل رجلان شابان، لهما هبة تدلّ على قدرهما، وهما راكبان، فأذن لهما فحملني حبّ الجارية وحسن حالهما أن توسلت بهما، فدخلت معهما، فظنّنا أن صاحب الدار دعاني، وظنّ هو أنني معهما، فجلسنا، وأتي بالطعام فأكلنا، وجيء بالشراب، فخرجت الجارية، وفي يدها عود، فرأيت جارية حسناء، فغنت غناء صالحاً، فتمكّن ما في قلبي منها، وشربنا. ثم قمت للبول، فسألتهما صاحب المنزل عني، فأكراني، فقال: هذا طفيلي، ولكنه ظريف، فأجملوا عشرته، فجتت وجلست فغنت في لحن لي: [الطويل]

ذكرتك أن مرّث ببأ أمّ شادن      أمام المطايا تشرئب وتسحّ  
من المؤلفات الرّمل أذماء حُرّة      شعاع الضّحى في وجهها يتوضّح

فأذته أداء صالِحاً. ثم غَتَّتْ أصواتاً فيها من صنعتي: [مجزوء الخفيف]

الطَّلُول الدَّوَارِسُ      قَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحَشَتْ بَعْدَ أُنْسِهَا      فَهِيَ قَفَرٌ بِسَائِسُ

فكان أمرها فيه أَصْلَحَ من الأول، ثم غَتَّتْ من صنعتي في شعري: [الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِباً      وَنَأَى عَنْكَ جَانِباً

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدَ      تَ وَإِنْ كُنْتَ لِأَعْبَا

وَاعْتَرَفْنَا بِمَا أَدْعَى      تَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبَا

فكان أَصْلَحَ ممَّا غَنَتْه، فاستعدته منها لِأَصَحِّهِ. فأقبل عليَّ أحد الرجلين، فقال: ما رأيتُ طفلياً أَصَفَّ وجهاً منك، لم تَرُضْ بالتَّطْفِيلِ حتى اقترحت! وهذا تصديق المثل، «طفيلي وقد يقترح»، فلم أجبه. وكَفَّهَ صاحبه عني، فلم يَنْكُفْ، ثم قاموا لِلصَّلَاةِ فأخذتُ عود الجارية، وأصلحته إِصلاحاً مُحْكَمًا. وعدت إلى موضعي، فصلَّيتُ، ثم عادوا، فعاد ذلك الرجل في عَزَبَتِهِ عَلَيَّ، وأنا صامت، فأخذتُ الجارية عودَهَا، وجسَّته، فقالت: مَنْ جَسَّ عودي؟ فقالوا: ما جَسَّه أحد، فقالت: والله لقد جَسَّه حاذق متقدِّم، وشُدَّ طبقته، فقلَّتْ لها: أنا أَصْلَحْتُهُ، فقالت: بالله عليك خذه، واضرب به، فأخذته منها وضربتُ مبدأ طريق عجيب صَغْبٍ، فيه نَقَرَاتٌ مُحْكَمَةٌ، فما بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَثَبَ، وجلس بين يدي، وقالوا: بالله يا سيدي، تُغْنِي؟ قلت: نعم، وأعزفكم بنفسي أنا إِسْحَاقِي الموصلي، والله إني لأتبه على الخليفة وأنتم تشتمونني منذ اليوم لأنني تملَّحْتُ معكم بسبب هذه الجارية! والله لا نطقُ بحرف ولا جلست معكم، أو تخرجوا هذا المعريد الغث، ونهضت لأخرج. فتعلَّقوا بي وتعلَّقت الجارية بي، فقلت: والله لا أَجْلِسُ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ؛ فقال له صاحبه: مِنْ شَيْبِهِ هذا حذرت عليك، فأخرجه، فغَنَيْتُ الأصوات التي غَنَتْهَا الجارية من صنعتي؛ فطرب صاحبُ البيت طرباً شديداً، وقال لي: هل لك في أمرٍ أعرضه عليك؟ فقلت: ما هو؟ فقال: تقيم عندي شهراً، والجارية مع ما عليها لك، فقلت: أفعل، فأقمْتُ عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحدٌ أين أنا، والمأمونُ يطلبني.

فجئتُ بذلك منزلي بعد شهر، وركبتُ إلى المأمون، فقال لي: يا إِسْحَاقُ، ويحك! أين تكون؟ فعرفته الخبر فقال: عليَّ بالرجل الساعة، فعرفتهم موضعه فأحضره، وقال: أنت رجل ذو مروءة وسبيلُك أن تُعاوَنَ عليها، فأمر له بمائة ألف درهم، ونهاه ألا يعاشر ذلك المعريد الثَّلْثَ، وأمر لي بخمسين ألفاً، وقال: أحضِرْ لي الجارية، فأحضرتها فغَنَتْه، فقال: قد جعلتُ لها نوبةً في كُلِّ يومٍ ثلاثاء؛ تُغْنِي مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربحتُ والله تلك الرُّكْبَةَ وأزْبِخْتُ.

وتشبه هذه الحكاية حكاية إبراهيم بن المهدي، إذ شفع للمأمون في طفليتي قد

قدّمنا ذكره، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، هب لي ذنبه، وأحدّثك حدثاً عجيباً في التّطفيل عن نفسي، قال: قل، فقلت: خرجت يوماً فمررت في سكك بغداد، فشُممت رائحةً أبزار من جناح دار، وقدورٍ قد فاح قنّارها. فسألت خياطاً: عن رب الدار، فقال رجل من التجار اسمه فلان. فخرجت من شُبّاك في الجناح كفّ ومِعصم، ما رأيت مثلهما قطّ، فذهب عقلي وبُهِت، وإذا رجلان نيلان، فقال الخياط: هذان نديماه، وهما فلان وفلان، فحرّكت دابتي، ودخلت بينهما، وقلت: قد استبطأكما أبو فلان، فأتينا الباب، فدخلنا، فلم يشكّ صاحب الدار أنني منهما، فرحّب بي، وأجلسني في أجل موضع، فأتينا بالألوان، فكان طعمها أطيب من رائحتها، فقلت في نفسي: أكلت الألوان وبقي الكفّ. ثم سرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا أنبل مجلس، وصاحب الدار مقبل باللطّف والحديث عليّ لما ظن أنني منهما، فخرجت جارية تنثني كأنها حُوط بان، فسلمت وجلست، وأخذت بالعود وجسته، فتنبّيت الحلق في جستها، وغنّت هذا الصوت: [الطويل]

توقّمها طرّفي فأصبح خدها	وفيه مكان الوهم من نظري أُنْزُرُ
وصافحها كفي فآلم كفّها	فمن لمس كفي في أناملها عَقُرُ
ومرّ بفكري شخصها فجرحّه	ولم أر شخصاً قطّ يجرحه الفكر

فهَيَّجَتْ بلابلي، وطربت، ثم غنّت: [الطويل]

أشرتُ إليها هل علمت مودتي	فردّت بطرف العين إنّي على العهد.
فحدّثت عن الإظهار عمداً لسرّها	وحادت عن الإظهار أيضاً على عمد

فصحت: السلاح! وجاءني ما لم أملك معه نفسي، ثم غنّت: [الطويل]

أليس عجيباً أنّ بيتاً يضمّني	وإياك لا نخلو ولا نتكلّم
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها	وترجع أحشاء على النار تُضْرَمُ
إشارة أفواهٍ وغمُز حواجبٍ	وتكسير أجفان وقلب متيمّ

فحسّدتها على حدّتها، فقلت: يا جارية بقيّ عليك شيء، فغضبت ورمت بالعود، وقالت: متى كنتم تُحضرون مجالسكم البُغضاء! فندمت ورأيت تغير القوم، فدعوت بالعود وغنّيت: [الكامل]

ما للمنازل لا يُجبن حزيناً	أصمّمن أم بُعد المَدَى قَبَلينا
راحوا العشية رَوْحاً مذكورة	إنّ مِثْن مِثْناً أو بقين بقينا

فأقبلت على رجليّ تقبلهما، وتقول: المعذرة والله يا سيّدي من تغيير مثلك، وقام مولاها وصاحباه، وصنعوا مثلها، وشربوا بالطاسات طرباً، ثم غنّت: [الطويل]



أفي الحق أن أمسي ولا تذكريني      وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما  
إلى الله أشكو بخلها وسماحتي      لها غسل متي وتبذل علقما  
فجاء والله من طرب القوم ما حسبت له أن يخرجوا من عقولهم، فأمسكت حتى إذا  
هذا القوم اندفعت أغني:

حذا محبك مطوي على كميد      صب مدامعه تجري على جسيد  
له يد تسأل الرحمن راحته      مما به ويد أخرى على كبيد  
يا من رأى كلفاً مستهدفاً أيفاً      كانت منيته في طرفه ويد

فصاحت الجارية: السلاح! هذا والله الغناء يا مولاي. وسكروا، وأمر صاحب  
الدار غلماناه بحفظهم إلى منازلهم، وبقيت أشرب معه - وكان جيد الشراب - فقال:  
يا سيدي ذهب والله ما خلا من أيامي باطلاً إذ كنت لا أعرفك، فمن أنت؟ فأخبرته،  
فقبل رأسي، وقال: وأنا أعجب من هذا الأدب، وأنا منذ اليوم مع الخلافة. ثم  
سألني عن قصتي فأخبرته خبر الطعام والمعصم، فأحضر جواريه [ولا أشعر]. ثم  
قال: ما بقي غير أمي وأختي، ولأنزلتهما إليك. فعجبت من كرمه، وسعة صدره،  
فقلت: أبدأ بالأخت، ففعل، فلما رأيت معصمها، قلت: هي هي. فأرسل إلي عشرة  
مشايخ وأحضر بذرتين، وقال: أشهدكم أنني قد زوجت أختي فلانة من إبراهيم بن  
المهدي، وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم. فدفعت إليه البذرة الواحدة، وفترت  
الأخرى على المشايخ، وانصرفوا، وقال: يا سيدي أمهد لك بعض البيوت،  
فأحشمي، فقلت: بل أحملها لي منزلي في عمارية، فوحقك يا أمير المؤمنين، لقد  
حمل إلي من الجهاز ما ضاق عنه بعض ذوي.  
فتعجب المأمون من كرمه، وأمر بإحضاره فصار من خواصه.

\*\*\*

قوله: «سُخِّقاً أي بعداً.

\*\*\*

### [زنام الزامر]

وزنام الزامر هو الذي أحدث الناي، وهو المزممار الذي تدعوه عامتنا بالمغرب  
الزلامي، فصحفوه بإبدال نونه لاما، وإنما هو زنامي، وقال فيه الشاعر: [الرم]

إن في ناي زنام شغلا      يشغل العاقل عن ناي زنام

قال القاسم بن زرور الزامر: حدثني زنام الزامر، قال: لما اعتل المعصم  
علته التي مات منها، قال: هيتوا لي الزلال حتى أركبه، فهنيء له فركب، وأتى فيمن

معه، فمرّ بدجلة بإزاء منازلها، فقال: يا زنام، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: أزمري: [السريع]

يا منزلاً لم تبلى أطلاله      حاشا لأطلالك أن تبلى  
العيش أؤلى ما بكاه الفتى      لا بد للمحزون أن يسلى  
لم أبك أطلالك لكنني      بكيت عيشي فيك إذ ولى  
قال: فزمرت وما زلت أردده، وهو ينتحب ويبكي إلى أن خرج، ثم توفي بعد خمسة أيام.

وزنام سار المثل بضرب يزمريه وإتقان صنته.

وكان الواصل مولعاً يزمريه بعد أبيه المعتمد، حدث حسين بن الضحاك قال: دخلت على الواصل، فقال: قل الساعة أبياتاً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً، فقلت: في أي معنى؟ قال: فما شئت بما ترى بين يديك، فالتفت فإذا بساط قد تفتحت أنواره، وأشرق في نور الصباح، فخرجت وأزيت علي، فقال الواصل: أأست ترى نور صباح، ونور آفاق! ففتحت لي، فقلت: [المتقارب]

أأست ترى الصبح قد أسفرا      ومنسكب الغيث قد أمطرا  
وأسفرت الأرض عن حلة      تضاحك بالأصفر الأخضر  
وتعمل كأسين في فتية      تطارد بالأصغر الأكبر  
يحب كؤوسهم مخطف      تجاذب أردافه المئزر  
فكل ينافس في بره      ليفعل في ذاته المنكرا

فضحك، وقال: تستعمل ما قلت يا حسين إلا الفسق فلا ولا كرامة. ثم قال: قوموا بنا إلى حانة الشط. فقام إليها، وشرب وطرب، وما ترك أحداً من المغنين والجلساء إلا أمر له بصلة. وكان من الأيام التي سارت أخبارها في الآفاق، فلما كان من الغد غدوت عليه، فقال: أنشدني ما قلت في يومنا الماضي، فأنشدته: [البسيط]

يا حانة الشط قد أكرمت مثنوا      عودي بيوم سرور كالذي كانا  
لا تُفقدينا دعابات الأمير ولا      طيب البطالة إصراراً وإعلانا  
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا      شجواً فأهدى لنا روحاً وزيناً  
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السد      قيا فألحق أخرانا بأولانا  
لا زلت أهلة الأوطان عامرة      بأكرم الناس أعرافاً وأغصانا

ذكرنا هذه الحكاية لظرفها، ولما وقع لزنام من الذكر في شعر حسن.

قوله: «زنيما»، أي دعياً في الزمر. قال ابن الأعرابي: الزنيم ابن الزانية. أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء».

وقال رسول الله ﷺ: «كانت العباد فيما مضى إذا عبد الله أحدهم أربعين سنة يسعى نورُه بين يديه، فعبد الله عابد أربعين سنة وأربعين، فلم يسع له نور، فابتهل إلى الله تعالى فقال: عبدتك أربعين وأربعين، ولم يسع لي نور؛ فأرني في منامه أنه لغير رِشدة، فقال: يا رب إن كان أبوي أكلاً حُمَاضاً أضرس أنا! : فسعى نوره بين يديه».

قوله: «جيله» أي أهل عصره.

الزهم الأول السيد، والثاني الضامن، أراد أنه يضمن لمن سمعه أن يطربه وقال أبو الفضل الذارمي في زامر أسود: [البسيط]

وَحَالِكُ اللَّوْنِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ لَهُ	فَضَائِلُ مَشْرِقَاتِ الْحُسِّ كَالْقَلَقِ
تَخَالُ مَجْلِسًا وَجْهًا بِهِ حَسَنًا	إِذَا صَارَ فِيهِ كُخَالٌ مُعْجَبٌ لَيْقٍ
تَرَاهُ يَحْفَظُ مَا يُوَحِّى إِلَيْهِ بِهِ	وَسِرَّهُ أَبْدَأُ يَهُوِي بِمُنْخَرِقٍ
يَحْدُو بِأَنْفَاسِهِ الْأَوْتَارَ مُجْتَهِدًا	فَتَسْتَقِيمُ بِهِ الْأَلْحَانُ فِي الطَّرْقِ
أَهْدَى الشَّبَابُ إِلَيْهِ حَسَنَ بَهْجَتِهِ	فَنَاسِبُ الْمَسْكِ فِي لَوْنٍ وَفِي عَبَقِ

الحبب: الفقاقيع تعلو الماء والخمر. أزدري: أحتقر. النعم: الإبل وأكرمها الحمر. أحلّي: أزين. بتمليها: بطول حياتها ومدتها، والملاوة: المدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]. مرآها: رؤيتها. أذود: أذفع. شرائع: طرق. السمر: الحديث بالليل. أليح: أشفق، تيري: تسير ليلاً. رئاها: رانحتها الطيبة. يَكْهَنُ: يشعر ويحسن، وتكهن الرجل: تحدث عن الغيب.

\*\*\*

### [سطيح]

وسطيح الغساني أكهن الناس، وأنذر بسيل العرم، فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب، خلًا جُمجمة رأسه، وإذا مسّت باليد أثرت فيه للين عظمها.

ومن كهانته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشرة شُرْفة، فأعظم ذلك أهل المملكة، وكتب إلى كسرى صاحب الشام أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة.

وكتب إليه صاحب اليمن أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة.

وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية.

وكتب إليه صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة.

فلما تواترت عليه الكتب، أظهر سريره، وبرز إلى أهل مملكته، فأخبرهم الخبر، فقال المؤيدان: أيها الملك إنني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي، رأيت إبلا صعباً، تقود خيلاً عراباً، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا.

قال: فما عندك في تأويلها؟ قال: ما عندي شيء، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه إليك رجلاً من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان. فبعث إليه، فوجه عبد المسيح بن بقلبة الغساني، فأخبره كسرى بالخبر فقال: أيها الملك، ما عندي فيها شيء، ولكن جهّزني إلى الشام إلى خالي سطيح. فجهّزه، فلما قدم عليه وجده قد احتضر، فناداه فلم يجبه، فقال: [الرجز]

أصمّ أم يسمع غطريف اليمّن      رسول قيل العجم يهوي لئوثن  
يا فاصل الخطّة أعيت من ومن      أتاك شيخ الحي من آل سنن  
\* أبيض فضفاض الرداء والرّسن \*<sup>(١)</sup>

رفع إليه سطيح رأسه، وقال: عبد المسيح، على جميل فُشيع، أقبل إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المؤيدان؛ رأى إبلا صعباً، تقود خيلاً عراباً، حتى اقتحمت الواد، وانتشرت في البلاد. عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وغاض وادي السماوة، وظهر صاحب الهزّاة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات، بعدد ما سقط من الشرفات، وكلّ ما هو آت آت، ثم قال: [البسيط]

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم      فإن ذا الدهر طوراً دهاير<sup>(٢)</sup>

(١) الرجز لعبد المسيح الغساني في لسان العرب (سطح)، (فود)، (زلم)، وتهذيب اللغة ٢٧٧/٤، وهو في حديث سطيح في تاج العروس (فود)، (عنن)، (منن)، وبلا نسبة في لسان العرب (فوز)، (غطرف)، (عنن)، (منن).  
(٢) يروى صدر البيت الأول:

إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم

وهو لعبد المسيح الغساني في لسان العرب (سطح) وتهذيب اللغة ٢٧٨/٤، ١٩٥/٦. ولسطيح في لسان العرب (فرط)، وبلا نسبة في تاج العروس (دهر)، ويروى صدر البيت الثاني:

منهم أخو الصرح بهرام وإخوتهم

وهو لعبد المسيح في لسان العرب (سطح)، وتهذيب اللغة ٢٧٨/٤، ويروى البيت الثالث:

فربما ربما أضحوا بمنزلة      تخاف صولهم الأسد المهاصير

وهو لعبد المسيح في لسان العرب (سطح)، وبلا نسبة في لسان العرب (هصر)، وتاج العروس (هصر)، وفيهما «الهواصير» بدل «المهاصير».

منهم بنو الصُّرَح بهرام وإخوته  
 فربّما أصبَحوا منهم بمنزلة  
 حَقُّوا المطيَّ وَجَدُوا في رحيلهم  
 والنَّاس أبناءَ عِلَاقٍ فمن عَلمُوا  
 والخير والشرَّ مقرونان في قَرْنٍ  
 والهرمزان وسابور وسابور  
 تهاب صولَهُم الأسدُ اليَهاصيرُ  
 فما يقوم لهم سَرَجٌ ولا كورُ  
 أن قد أَقْل، فمحقورٌ ومَهْجورُ  
 والخير متبع والشرَّ محذور  
 فأتى كسرى فأخبره، فغمَّه ذلك، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً، يدور  
 الزمان؛ فملكوا كلهم في أربعين سنة.

قوله: «ينم»: من النيمة. مُليح: كثير الظهور.



فَاتَّقَ لَوْشِكِ الحَظَّ المَبخوسِ، وَنَكَدِ الطَّالِعِ المَنْحوسِ، أَنْ أَتُطَقَّتِي بِوَضْفِهَا  
 حُمَيَا المُدَامِ، عِنْدَ الجَارِ الثَّمَامِ. ثُمَّ ثَابَ الفَهْمُ، بَعْدَ أَنْ صَرِدَ السُّهْمُ، فَأَخَسَسْتُ  
 الخَبَالَ والوَبَالَ؛ وَضِيعَةً مَا أودِعَ ذَلِكَ الغِزَالَ، بَيِّدَ أَنِي عَاهَدْتُهُ، عَلَى عَكْمِ مَا  
 لَفَظْتُهُ، وَأَنْ يَحْفَظَ السَّرَّ وَلَوْ أَحْفَظْتُهُ؛ فَرَعَمَ أَنَّهُ يَخْزُنُ الأسْرَارَ، كَمَا يَخْزُنُ اللُّثِيمُ  
 الدِّينَارَ، وَأَنَّهُ لَا يَهْتِكُ الأسْتَارَ، وَلَوْ عُرِضَ لِأَنْ يَلْجَ الثَّارَ.



الحَظُّ: البخت والنصيب. وَوَشَكِه: سرعة زواله المبخوس: المنقوص. نكد:  
 مشقة. الطالع: نجم الإنسان، والطالع يقابله التساقط. حُمَيَا: حدة ثاب: رجع. صرد:  
 خرج من قوسه، وأراد بالسهم اللفظ الذي سمع منه جاره الخبال: الفساد. الوبال:  
 الثقل، وهو وبال عليه أي ثقل في العاقبة، وطعام وبيل: ثقل متخجم، ومنه استوبلت  
 المدينة إذا لم توافق جسمك وإن أحببتها، أودَع: جعل فيه. والغربال، معلوم، يشبه به  
 الثمام حيث لا يمكك ما جعل فيه؛ قال الحطيفة يهجو أمه: [الوافر]

تَنَحَّيْ فَاجْلِسِي مَنِي بَعِيداً      أَرَاكَ اللهُ مَنكَ العَالِيَمَنَا<sup>(١)</sup>  
 أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سُرّاً      وَكَانُونَا عَلَى المَتَحَدَّثِينَا  
 كانون: أبرد أيام الشتاء، ويريد أنها باردة لحديث.

(١) يروى صدر البيت الأول:

فَهَذَا أَقْعَدِي مَنِي بَعِيداً

والبيتان في ديوان الحطيفة ص ١٢٣، ولسان العرب (بدد)، (كنن)، وتهذيب اللغة ٩/٤٥٤،  
 ومقاييس اللغة ٥/١٢٣، ومجمل اللغة ٤/١٩٠، وديوان الأدب ٣/٦١، وتاج العروس (بدد)،  
 (غريل)، وبلا نسبة في المخصص ١٢/١٣٤.

قال كعب بن زهير رضي الله عنه: [البسيط]

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل<sup>(١)</sup>

وقال في الحماسة: [الطويل]

ولا أكتنم الأسرار لكن أنمها ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي<sup>(٢)</sup>

وإن قليل العقل من بات ليلة تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب

وقال آخر: [البسيط]

أعزز علي بأخلاق وُسفت بها عند البرية يا فالودج الشوق

تضيق بالسّر ذرعاً إن خُصصت به حتى يرى دائعاً كالنفخ في البوق

وقال في ضده: [الطويل]

ومستخبر عن سر رياء رددته بعمياء من رياء بغير يقين<sup>(٣)</sup>

وقال انتصخني إنني لك ناصح وما أنا إن خُبرته بأمين

وقال قيس بن الخطيم: [الطويل]

إذا جاوز الاثنين سرّ فإنّه ببثّ وتكثير الحديث قمين<sup>(٤)</sup>

يكون له عندي إذا ما ضمنته مكان بسوداء الفؤاد مكين

وقال العباس بن الأحنف: [المتقارب]

تعتيت تطلب ما أستحقّ به الهجر منك ولا تقدّر<sup>(٥)</sup>

وماذا يضرك من شهرتي إذا كان سرّك لا يُشهرُ

أمني تخاف انتشار الحديث وحظّي من صونه أوفرُ

(١) البيت في ديوان كعب بن زهير ص ٨، وتاج العروس (غريل).

(٢) البيتان لسحيم الفقعسي في ديوان الحماسة ص ١٨٥.

(٣) يروي البيت الثاني:

تقول انتصخني إنني لك ناصح وما أنا إن خُبرتها بأمين

وهو بلا نسبة في لسان العرب (نصح)، والتبني والإيضاح ٢٧٦/١، وتاج العروس (نصح).

(٤) البيتان لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ١٦٢، والبيت الأول لقيس بن الخطيم في حماسة البحري

ص ١٤٧، والدرر ٣١٢/٦، وسمط الآلي ص ٧٩٦، وشرح شواهد الشافية ص ١٨٣، ولسان

العرب (نث)، (قمن)، (ثني). والمقاصد النحوية ٥٦٦/٤، ونوادر أبي زيد ص ٢٠٤، ولجميل

بشينة في ملحق ديوانه ص ٢٤٥، وكتاب الصناعتين ص ١٥١، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١/

٣٤٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٦٥/١، وشرح المفصل ١٩/٩، ١٣٧، وجمع الهوامع ٢١١/٢.

(٥) الأبيات في ديوان العباس بن الأحنف ص ١٤٦.

ولو لم أصنعه لبُقِيَا عليك      نظرتُ لنفسي كما تنظرُ  
قوله: «بيد» بمعنى غير. عَكم: ربط. أحفظته: أغضبته. يهتك: يخرق.

\*\*\*

فَمَا إِنْ غَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِلَّا يَوْمٌ أَوْ يَوْمَانِ، حَتَّى بَدَأَ إِلَى أَمِيرِ تِلْكَ  
الْمَدْرَةِ، وَوَالِيهَا ذِي الْمَقْدَرَةِ، أَنْ يَقْصِدَ بَابَ قَيْلِهِ، مُجَدِّدًا عَرْضَ خَيْلِهِ، وَمُسْتَمْطِرًا  
عَارِضَ نَيْلِهِ، وَازْتَادَ أَنْ تَضَحِبَهُ تَخَفَةٌ ثَلَاثُمُ هَوَاهُ، لِيُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ، وَجَعَلَ  
يَبْذُلُ الْجَعَائِلَ لِرَوَادِهِ، وَيُسْنِي لِمَنْ يُظْفِرُهُ بِمَرَادِهِ، فَاسْفَ ذَلِكَ الْجَارُ الْخِتَارُ إِلَى  
بَذُولِهِ، وَعَصَى فِي أَذْرَاعِ الْعَارِ عَذْلَ عَذُولِهِ، فَاتَى الْوَالِي نَاشِرًا أُذُنَيْهِ، وَأَبْثَهُ مَا كُنْتُ  
أَسْرَزْتُهِ إِلَيْهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْسِيَابُ صَاغِيَتِهِ إِلَيَّ، وَأَنْثِيَالُ حَفْدَتِهِ عَلَيَّ، يَسُومُنِي  
إِثَارَهُ بِالْذَّرَةِ الْيَتِيْمَةِ، عَلَى أَنْ اتَّحَكَّمَ عَلَيْهِ فِي الْقِيَمَةِ، فَعَشِيَنِي مِنَ الْهَمِّ، مَا عَشِيَنِي  
فَزَعُونَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْيَمِّ.

\*\*\*

غَبَرَ: مضى. المدرة: البلدة. قَيْلِهِ: ملكه الأعظم.  
مجددًا عرض خيله، أي ليعرض عليه ما عنده من الأجناد. والنَّيْلُ، أي العطاء.  
ارتاد: طلب. تحفة: هدية. ثلاثم، توافق. هواه: إرادته. نجواه. حديثه مع الملك.  
والجُعْلُ: حق من ذلك على حاجة، والجعالة بمعنائه، والجعائل جمعها. يُسْنِي:  
يسر وأصل الرّواد طلاب المرعى، واحدهم رائد، وأصل الوسائل، أسباب الود.  
أسف: انحط ودنا، وأسف الطائر: تدلّى نحو الأرض لشيء يأخذه، وأسف  
الرجل: طلب مذاق الأمور.

والجار الختار: الخداع بذوله: عطاؤه. أذراعه: لبسه الدرع. ناشراً أذنيه، أي  
طامعاً، وهو مثل. أبثه: قال له سراً.  
قوله: «راعني» أي أفزعني.

انسياب: دخول. صاغيته: حاشيته. ومن يميل إليه.  
انثيال: انصباب. حَفْدَتُهُ: أتباعه.

يسومني: يعرض عليّ، إثاره: تفضيله على نفسي.

الذرة اليتيمة: الجوهرة النفيسة، وبهذا سُمِّيَ الشعالي كتابه الذرة اليتيمة، أي الذرة  
المنفردة التي لا مثل لها. واليتيمة ذرة مشهورة في البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة،  
استخرجها من البحر كلب جاء لِيَلْغَ، فتعلقت مخارتها بفمه، ففضها في البر، فهي من  
عجائب الدنيا.

ومن عجائبها الحافر، وهو حجر ياقوت، شبه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان.

والغريبة الثالثة: فرس ذهب لم يصنعه صانع، إنما وجد في معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة.

والذي غشي فرعون وجنوده من اليم، هو الغرق. واليم: البحر الذي ذهب نفوسهم فيه.

### [قصة موسى]

ولا بد أن يلّم بنبذة من خبره، نكمل بها القصة حسبما شرطنا؛ وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام، لما خرج فاراً من فرعون حسبما قدمناه في الخامسة، توجه إلى مدين، فبلغها كالأجائعاً فقيراً، فوجد الناس يستقون كما نص الله تعالى: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]، أي يحبسان غنمهما، فأخبرتاه بأنهما لا يسقيان حتى يُصدر الرعاء، وأن لهما أبا شيخاً كبيراً، فرجمهما واقتلع الصخرة عن البئر - وكان لا يرفعها إلا نفر - فملاً وسقى لهما، ثم تولى إلى ظل شجرة مشمرة فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال هذا موسى، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضرة أعمائه من شدة الجوع لفعل - أراد خضرة البقل الذي أكل في طريقه - فرجعت الجاريتان بسرعة إلى أبيهما، فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذي جرت العادة بمجيئهما فيه، فأخبرناه خبر موسى، فأرسل إلى إحداهما فأتته وهي تستحي منه، فقالت: ﴿إِن أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. فمشى معها، وهي بين يديه فضرب الريح ثوبها، فنظر إلى عجيزتها فقال لها: امشي خلفي، ودلّيني على الطريق، فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه، فقص عليه قصته فقال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] فقالت التي دعت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] فقال لها الشيخ: أما القوة فقد خَبَرْتَهُ بقلع الصخرة، فما يدريك أمانته؟ قالت له: إني مشيت أمامه فلم يحب أن يخونني ورددني خلفه. فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ انْكَحَكَ إحدى ابنتي هَاتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] إلى آخر القصة.

فلما قضى أجله، وسار بأهله، وكان في شتاء، رُفعت له نار فيما رأى فكانت من نور الله تعالى، فقال لأهله: ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، ومعنى تصطلون، أي من البرد فكان عند إتيانه لها ما أخبر الله تعالى من أنه ﴿نُودِيَ أَنُ بورك من في النار ومَن حوّلها وسبحان الله رب العالمين﴾ [النمل: ٨]. ثم قال له: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ أي أضرب بها ورق الشجر للغنم ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٧ - ١٨]؛ من حمل الزاد عليها والسقاء



وغير ذلك، فقال له: ﴿ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ [طه: ٢٠]. ﴿فلما رأها تهتز كأنها جانٌ وَلَيَّ مُذْبِرًا أو لم يعقب﴾ [القصص: ٣١]. أي لم ينظر فنودي: ﴿لا تخف إنك من الأمنين﴾ [القصص: ٣١] الآيات.

فسأل الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون رداً، أي عوناً لكونه كان أفصح منه لساناً للجُمُزَةِ التي كانت أحرقت لسانه في صغره، فثقل لسانه فقال تعالى: ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

فأقبل موسى إلى أهله فصار بهم إلى مصر، فدخلها ليلاً، فنزل ضيفاً بأمه وأخيه، وهم لا يعرفونه، وهارون غائب، فنزل بجانب الدار؛ وجاء هارون فسأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف، فدعاه وأكل معه، ثم سأله: مَنْ هو؟ فقال: أنا موسى، فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه.

فقال له موسى: يا هارون، إن الله قد أرسلني وإياك إلى فرعون، فانطلق معي، فقال: سمعاً وطاعة، فصاحت أمهما، وقالت: نشدتكما الله تعالى ألا تذهبا إليه فيقتلكما! فسكنها ثم انطلقا إليه ليلاً في قول السديّ وضربا الباب، فكلمهما البواب، فقالا له: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٨]، ففزع البواب، فأتى فرعون فأخبره أن مجنونين بالباب يزعمان كذا، فقال: أدخلهما.

وأما ابن إسحاق فحدث أنهما وقفا على باب فرعون، يلتمسان الإذن، يغدوان ويروحان سنتين، وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل مُلَّةٌ له، فقال له: أيها الملك، إن على الباب رجلاً أَنْ له إلهاً غيرك، فقال: أدخلوه، فدخلوا وبید موسى عصاه، فلما وقفا عرفه فرعون، فقالا: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦]، فجأوبه بقوله ﴿أَلَمْ نُزَبِّكَ فِتْنًا وَلِيَدًا﴾ [الشعراء: ١٨] الآيات، ثم ذكره أيأذيه قَبْلَه.

فقال له موسى: ﴿وَبَلِّغْ نِعْمَةً لِّمَنَّا عَلَيَّ أَنْ عَبدت بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٨] - [٢٢]، أي اتخذتهم عبيداً، تقتل من شئت وتسترق من شئت. فقال له ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] فأراه الآية الكبرى في العصا، أن ألقاها فإذا هي تعبان مبین، ملأت ما بين السماطين فاتحةً فاهاً، قد صار مخرجها على ظهرها، فارقض الناس، ومال فرعون عن سريره، فناشد موسى ربه، فأدخل يده في جيبه، فأخرجها بيضاء كالثلج، ثم ردها، فعادت هيئتها، ثم وضع يده على الحية فصارت عصاً كما كانت أول مرة، وأخذ فرعون بطنه - وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتمس الخلاء - وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبيه في الناس - فقال لملئه: إن هذا لسحر عظيم، فجمع السحرة، ووعدهم ليوم العيد، وأن يحشر الناس ضحى، يحضرون أمرهم مع موسى، فاجتمعوا لذلك اليوم، فصف خمسة عشر ألف ساحر، كل ساحر له نوع من السحر، فخرج موسى يتوكأ على عصاه، حتى أتى الجمع، وفرعون في مجلسه مشرف على وجوه أهل مملكته

فقال لهم موسى: ﴿وَيَلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَظَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١].

فقال بعضهم لبعض: أمكذا يقول ساحراً فخبروه في أن يلقى أو يلقوا؟ فقال: بل ألقوا، فخيلوا بحبالهم وعصيم أشياء حيروا بها العقول، من حيات قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، ونيران تحرق في ظاهرها ما مزت به وظلم متكاثفة، كما وصف الله تعالى: ﴿وَأَسْزَفُوهُمْ وَجَاؤُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، ففرع موسى وأخوه لهول ما رأيا وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨] الآيات. فآلقى موسى عصاه، فجعلت تلقف كل ما خيلوا به، وكانوا جلبوا آلاتهم في السفن في النيل، فابتلعت السفن، وأقبلت فاتحة فاه، على قبة فرعون بمن فيها، ففروا وتعلقوا بموسى يستنقذون به. فأخذها موسى، فإذا هي عصاً في يده كما كانت، فوقع السحرة سجداً قائلين: ﴿أَمَّا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] لما تبينوا أن أمر العصا إلهي، ليس من تخايلهم، فقال لهم فرعون: ﴿أَمْسُتُمْ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَدْنِ لَكُمُ﴾ [طه: ٧١] إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أي لا سلطان لك إلا في الدنيا ولا سلطان لك بعدها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقُّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، فقتلهم فكانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء.

ثم أمر الله تعالى نبيه موسى أن يخرج بني إسرائيل فقال: ﴿أَمْرٌ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾ [الدخان: ٤٣].

فأمرهم أن يستعيروا الحلقي من القبط، فخرجوا ليلاً، وألقى الله على القبط النوم، حتى طلعت الشمس، وكان موسى على ساقة بني إسرائيل وهارون على المقدمة، وعدد بني إسرائيل ستمائة ألف وعشرون ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرة لصغره، ولا ابن الستين لكبره. وتبعهم فرعون، وعلى مقدمته هامان وهم في ألف ألف وسبعمائة ألف، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٥]. فلما تراءى الجمعان، قالوا: يا موسى أودينا من قبل أن تأتينا بالذبح ومن بعدما جئتنا اليوم يدركننا فرعون فيقتلنا! فقال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

فأتى موسى البحر، وكثأ أبا خالد، فضربه بعصاه، فانفلق فكان ﴿كُلُّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، والطود: الجبل، فصار في البحر اثنا عشر طريقاً فدخل كل سبيل طريقه، وكل سبط يقول: قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر، فنظر آخرهم إلى أولهم. وجاء فرعون ومن معه، فأبت خيله أن تقتحم، فافتحمها جبريل على فرس أنثى، فافتحمت الخيل في أثره، فلما توسط البحر، أمر البحر أن يأخذهم، فانضم عليهم، فلما أدرك فرعون الغرق، قال: ﴿أَمْسَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] وجعل جبريل يدس الطين في فمه لئلا يتم الكلمة، فبرحمه الله، وميكائيل يقول: ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١].

وأخرج الله بدن فرعون ميتاً، حتى عرفه بنو إسرائيل، فهذا هو الذي غشى فرعون وجنوده من اليم.

\*\*\*

وَلَمْ أَرْزُلْ أَذْفَاعَ عَنْهَا وَلَا يُغْنِي الدَّفَاعُ، وَأَسْتَشْفِعُ وَلَا يُجِدِي الِاسْتِشْفَاعُ،  
وَكَلِّمًا رَأَى مِنِّي أَزْدِيَادَ الْاِغْتِيَاصِ، وَارْتِيَادَ الْمَنَاصِ، تَجْرَمُ وَتَضْرَمُ، وَحَرَقَ عَلَيَّ  
الْأُزْمَ، وَنَفْسِي مَعَ ذَلِكَ لَا تَسْمَحُ بِمَفَارَقَةٍ بَذْرِي، وَلَا بَأَنْ تَنْزَعَ قَلْبِي مِنْ صَدْرِي،  
حَتَّى آلِ الْوَعِيدِ إِيقَاعًا، وَالتَّقْرِيعِ قِرَاعًا، فَقَادِنِي الْإِشْفَاقُ مِنَ الْحَيْنِ، إِلَى أَنْ قِضْتُهُ  
سَوَادَ الْغَيْنِ، بِصَفْرَةِ الْغَيْنِ، وَلَمْ يَخْطُ الْوَاشِي بِغَيْرِ الْإِثْمِ وَالشَّيْنِ.

\*\*\*

قوله: الاعتياص: أي التصعب، واعتاص الشيء اعتياصاً: تصعب وتلوى.  
المناص: الملجأ والمفر.

وتجرم: أتى الجرم. وتضرم: اشتد غضبه. والأزم: الأسنان. وحرق: عض  
بعضها على بعض، حتى صوّت، وذلك لشدة الغيظ، وهو مثل. آل: رجع. الوعيد:  
التهديد.

قراعا: ضربا، والقراع: الخبط والضرب، والتقريع: الأخذ باللسان، يريد:  
عَدَدُونِي، فلما أبيت ضربوني.

الحين: الموت. قضته: عاوضته وبادلته سواد العين: جاريته التي هي نور عينه.

صفرة العين: لون الدنانير. لم يحظ: لم يأخذ حظوة، وهي النصيب.

والواشي: التمام، سَمِيَّ واشياً لاستخراجه الأخبار وتوصله إلى معرفتها، من  
قولهم: فلان يوشى الخبر، إذا استخرجه؛ وقيل: سَمِيَّ واشياً لتحسينه ما ينقل من  
الأخبار، وثوب موشى: محسن بما فيه من الثقوش. وقيل: هو من الشَّيْءِ، وهي  
العلامة، كأنه جعل لنفسه علامة من الوصف القبيح، والشين: العيب.

\*\*\*

### [من قصص الجاريات المتأدبات]

وعلى وصف الجارية المذكورة بالأدب والجمال نريد أن نسوق فصلاً في الجواري  
ذوات الأدب ممن أهديت إلى ملك كحال هذه، أولها معه سبب:

حدث الأصمعي قال: بعث لي هارون الرشيد وهو بالرقّة، فحُمِلَتْ إليه، فأنزلني  
الفضل بن الربيع ثم أدخلني عليه وقت المغرب، فاستدنانني، وقال لي: يا عبد الملك،  
وجهتُ فيك بسبب جارتين، أهديتا إليّ، لهما أدب، أحببت أن تبرز ما عندهما، وتشير  
عليّ بالصواب فيهما.

ثم أمر بإحضارهما فأحضرتا، فرأيت جارتين ما رأيت مثلهما قط، فقلت لإحدهما: ما عندك من العلم؟ فقالت: ما أمر الله في كتابه، ثم ما ينظر الناس فيه من الأخبار والأشعار. فسألتهما عن حروف القرآن، فأجابتنى كأنها تقرأ القرآن من كتاب، ثم سألتها عن الأخبار والأشعار والتحو والعروض، فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه، فقلت لها: فأنشدينا شيئاً، فأنشدت: [الطويل]

يا غيات العباد في كل محل  
ما يريد العباد إلا رضاء  
لا ومن شرف الإمام وأعلى  
ما أطاع الإله عبد عاصا

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما رأيت امرأة في منك رجل مثلها.

وخبرت الأخرى، فوجدتها دونها، فأمر أن تُصنع تلك الجارية لتحمل إليه في تلك الليلة ثم قال: يا عبد الملك، أنا صَجر، وأحب أن تُسمعي حديثاً مما شهدت من أعاجيب الزمان أنفِرج به، فقلت: يا أمير المؤمنين، كان لي صاحب في بدو بني فلان، وكنت أغشاه، وأتحدث إليه، وقد أنت عليه ست وتسعون سنة، وهو أصح النفوس ذهناً وأقواهم بدنًا، فغبت عنه، ثم أتيت فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، فسألته: ما سبب تغييره؟ فقال: قصدت بعض القربة، فالفيت عندهم جارية؛ قد طلت بالورس بدنها، وفي عنقها طبل تنشد عليه: [الوافر]

محاسنها سهاً للمنايا  
مُرِيشةً بأنواع الخطوب  
تري ريب المنون بهن سهما  
يُصيب بتضليله مُهَجَ القلوب

فقلت: [الطويل]

ففي شفتي في موضع الطبل ترتعي  
كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن  
هبيني عوداً يابساً تحت شِقَّة  
يُمَتِّع فيما بين نحرِكَ والدُّقْن

فلما سمعت الشعر، رمت بالطبل في وجهي، ودخلت الخيمة، فوقفت حتى جُميت الشمس على مفرق رأسي، فلم تخرج، فانصرفت قريح القلب، فهذا التغير من عشقي لها.

فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم قال: ويلك يا عبد الملك! ابنُ ست وتسعين يعشق! فقلت له: قد كان هذا، فقال: يا عباس، أعط عبد الملك مائة ألف درهم، وزده إلى مدينة السلام.

فانصرفت، ثم أتاني الخادم، فقال: أنا رسولُ بتك - يعني الجارية - تقول لك: إن أمير المؤمنين أمر لها بمالٍ وهذا نصيبك، فدفع لي ألف دينار، فلم تزل تواصلني بالبرِّ والواصل، حتى كانت فتنة محمد، وانقطع خبرها عني، وأمر لي الفضل بعشرة آلاف درهم.

وحدث علي بن الجهم، قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل، أهدى إليه الناس على أقدارهم، فأهدى إليه ابن طاهر جارية أديبة، تسمى محبوبه، تقول الشعر، وتلحنه، وتحسين من كل علم أحسنه. فخلت من قلب المتوكل محلاً جليلاً، فدخلت يوماً للمنادمة، فخرج وهو يضحك. فقال: يا علي، دخلت فزأيت محبوبه قد كتبت على خدّها بالمسك «جعفر»، فما رأيت أحسن منه، فقل فيه شيئاً، فسبقتني محبوبه، فقالت وأخذت عودها، وغتت: [الطويل]:

وكاتبه بالمسك في الخد جعفرأ	بنفسي مخط المسك من حيث أئرا
لئن أودعت سطرأ من المسك خدّها	لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرأ
فيا من مناهي السريرة جعفر	سقى الله من سقيا ثناياك جعفرأ
ويا من لمملوكا يظل مليكه	مطيعاً له فيما أسر وأجهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر	سقى الله صوب المُسكرات لجعفرأ

قال: فتقلبت خواطري، حتى كأتى ما أحسن حرفاً من الشعر، فقلت للمتوكل: أقلني، فقد والله عزب ذهني عني، فلم يزل يعيرني به.

ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة، فقال: يا علي، أعلمت أنني غاضبت محبوبه، وأمرتها بلزوم مقصورتها، ومنعت أهل القصر من كلامها؟ فقلت: يا سيدي، إن غاضبتها اليوم، فصالحها غداً، فدخلت عليه من الغد، فقال: ويحك يا علي! رأيت البارحة في النوم كأتى صالحت محبوبه، فقالت جاريته: شاطر، يا سيدي، لقد سمعت الآن في مقصورتها هيئمة، فقال: قم حتى ننظر ما هي، فقام حافياً، حتى قربنا من مقصورتها، فإذا هي تغني، ويقولك: [المنسرح]:

أدور في القصر لا أرى أحداً	أشكو إليه ولا يكلّمني
كأنني قد أتيت معصية	ليست لها توبة تخلصني
فمن شفيع لند إلى ملك	قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا ما الصبح عاد لنا	عاد إلى هجره فصارميني

فصق المتوكل طرباً، فلما سمعته خرجت ثقيل رجله، وتمرغ خدّها في التراب، حتى أخذ بيدها راضياً عنها.

حدثني أبو علي بن الأسكري المصري - وأسكر هي القرية التي ولد بها موسى عليه السلام - قال: كنت من جلاس تميم بن أبي تميم، ومن يخف عليه، فأتني من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء، فدعا جلّاسه، ومذت الستارة، فأمرها فغنت: [الكامل]

وبدا له من بعدما اندمل الهوى	برق تالّق موهناً لمعائه
يببدو كحاشية الرداء ودوئه	صعب الذرى متمنّع أركائه

وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق  
فالتار ما اشتملت عليه ضلوعه  
نظراً إليه وصدّه أشجائه  
والماء ما سمّحت به أجفائه

قال: فأحسنت ما شاءت، وطرب تميم ومن حضر، ثم غنت:

سَيْسُليكَ عَمّا فات دولة مفضل  
تُني الله عِطْفِيه، وألف شخصه  
أوائله محمودة وأواخِره  
على البرّ مُدْ شُدّت عليه ما زره

فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً، ثم غنت: [البسيط]

أستودع الله في بغداد لي قمرأ  
بالكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الأَزْرارِ مَطْلَعُهُ

فأفرط تميم في الطرب جداً. ثم قال لها: تمّني ما شئت، فلك منك، فقالت: أتمّني عافية الأمير وسعادته، فقال: لا بدّ والله، فقالت: على الوفاء أتمّني أيها الأمير، فقال: نعم فقالت: أتمّني أن أعّني هذه النوبة ببغداد. فتغيّر وجه تميم، وتكذّر المجلس، وقمنا. فلحقني بعضُ خدمه، فردّني. فلمّا وقفت بين يديه، قال لي: ويحك! أرايت ما امتحنّا به، ولا بدّ من الوفاء: وما أثق في هذا بغيرك، فتأهبّ لتحملها إلى بغداد، فإذا غنت هناك، فاصرفها، فقلت: سمعاً وطاعة، فأصبحها جارية سوداء تخدمها وتعاذّ لها، وأمر لي بناقة وبجمل عليه هودج، فأدخلت فيه، وسرنا مع القافلة إلى مكة، فقضينا حجتنا.

ثم لما وردنا القادسية، أتتني السوداء، فقالت لي: تقول لك سيدتي: أين نحن؟ فقلت: نحن نزول بالقادسية، فأخبرتها، فسمعتُ صوتها قد ارتفع بالغناء: [مجزوء الكامل]

لَمّا نزلنا القادسيّة  
وشممت من أرض الحججا  
بِجَمْعِ شَمْلٍ وَأَتْفاقِ  
كَمّا بَكَيْتُ مِنَ الْفراقِ  
هَيْهَاتَ حَيْثُ مَجْتَمَعُ الرِّفاقِ  
زَيْسِيْمَ أَنْفاسِ الْعِراقِ

فصاح الناس من أقطار الغافلة: أعيدي أعيدي، بالله! فما سُمع لها كلمة.

فلما نزلنا الياسرية على خمسة أميال من بغداد في بساتين مُصَلّة يَبِيْتُ الناس بها، ثم يَبْكُرون ببغداد. فلمّا قرب الصباح إذا بالسوداء قد أتتني مذعورة، فقالت: إن سيدتي ليست، بحاضرة، والله لا أدري أين هي؟ فطلبتها فلم أجدها، ولا وجدت لها ببغداد خبراً، فقضيت حوائجي ببغداد وانصرفت إلى تميم، فأخبرته خبرها، فلم يزل واجماً عليها.

وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر.

## [مما قيل في الوشاة]

ومما جاء في الواشي، ما حُكي أن رجلاً وَشَى برجل إلى بلال بن أبي بردة، فقال للساعي: انصرف، حتى أكشف عما ذكرت، فلما كشف عن الساعي، إذا هو لغير رشدة، قال: نبأنا أبو عمرو - وما كُذِّبَ ولا كُذِّبَ - حَدَّثني أبي عن جدي، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الساعي لغير رشدة».

وذكر السعاة عند المأمون، فقال: لو لم يكن من غيهم إلا أنهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله.

وقال ذو الرياستين: قبول النميمة شر من النميمة، لأن النميمة دلالة، والقبول إجازة، وليس مَنْ دَلَّ على شيء كمن قبله وأجازه، وقد جعل الله السامع شريك القاتل، فقال: «سماعون للكذب» [المائدة: ٤١].

وقال الشاعر: [الطويل]

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه      ولكئما سبَّ الأميرَ المبلِّغُ  
ووشى واشٍ بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد، فقال له: إنه هجاك، فقال: أجمع بينكما، قال: نعم؛ فبعث إلى ابن همام، وأدخل الرجل بيتاً، فقال زياد: يا بن همام، بلغني أنك هجوتني، فقال: كلا، أصلحك الله ما فعلت، ولا أنت لذلك بأهل، فأخرج الرجل، وقال: إن هذا أخبرني، فأطرق ابن همام هنيهة، ثم أقبل على الرجل فقال: [الطويل]

وأنت امرؤٌ إما اتهمتكَ خالياً      فخنت، وإما قلت قولاً بلا علمٍ  
فأنت من الأمر الذي كان بيننا      بمنزلة بين الخيانة والإثم  
فأعجب زياد بجوابه، وأقصى الواشي ولم يقبل منه.

قال الشاعر: [الكامل]

لا تقبلن نميمةً من قائل      وتحفظن من الذي أنباكها  
إن الذي أنباك عنه نميمةٌ      سيدبُ عنك نميمةٌ قد حاكها

علي بن أبي طالب: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى قال: يا رب إني حيث ذهبت لا أنصر ولا أخذل، فأوحى الله إليه: إن في عسكري غمّازاً، قال: يا رب دلني عليه، قال: يا موسى، أبغض الغماز، فكيف أغمز!».

قال رسول الله ﷺ: «إن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، والمتمسكون بين البراءة العيب»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أربعة يؤذنون أهل النار على ما بهم من الأذى»، وذكر رجلاً يأكل لحوم الناس، ويمشي بالنميمة<sup>(١)</sup>.



فَعَاهَذْتُ اللَّهَ تَعَالَى مُذْ ذَلِكَ الْعَهْدِ؛ أَلَا أَحَاضِرُ نَمَاماً مِنْ بَعْدِ، وَالزُّجَاجُ  
مَخْصُوصٌ بِهَذِهِ الطَّبَاعِ الدَّمِيمَةِ، وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي التَّمِيمَةِ؛ فَقَدْ جَرَى عَلَيْهِ سَيْلُ  
يَمِينِي؛ وَلِلذِّكْرِ السَّبَبِ لَمْ تَمْتَدِّ إِلَيْهِ يَمِينِي. [الطويل]

فَلَا تَعْذِلُونِي بَعْدَ مَا قَدْ شَرَحْتُهُ عَلَى الْقُرْمُثِ بِي افْتِطَافَ الْقَطَائِفِ  
فَقَدْ بَانَ عَذْرِي فِي صَنِيعِي وَإِنِّي سَأَرْتُكَ فَتَقِي مِنْ تَلِيدِي وَطَارَ فِي  
عَلَى أَنْ مَا زَوَّدْتُكُمْ مِنْ فُكَاهَةٍ أَلَدُّ مِنَ الْحُلْوَى لَدَى كُلِّ عَارِفٍ



### [مما قيل في النميمة]

قوله «والزجاج مخصوص بهذه الطباع اللذيمة»، قال السري فيما يتعلق بالزجاج «من  
الثم: [الطويل]

رَأَيْكَ تَبْدِي لِلصَّدِيقِ نَوَافِداً عَدُوَّكَ مِنْ أَمْثَالِهَا الذَّهَرُ آمِنُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَكْشِفُ الْمَسَارَازَ الْأَخْلَاءَ مَازِحاً وَيَا رَبَّ مَرْجَ رَاحٍ وَهُوَ ضَغَائِنُ  
سَاحِفُظٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَانِئاً عَهْدُكَ إِنْ الْعَهْدَ لِلْمَرْءِ عَصَائِنُ  
وَالْقَاكَ بِالْبَشْرِ الْجَمِيلِ مَدَاهِناً فَلِي مِنْكَ خَلٌّ مَا عَلِمْتُ مَدَاهِنُ  
أَنْتُمْ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ زُجَاجَةٍ يَبْرُؤُ الْكُشْبِيَّ فِيهَا ظَاهِرٌ أَوْ هُوَ بَاطِنُ  
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ:

لَحَى اللَّهُ أَمْرًا أَعْطَاكَ سِرًّا فَضِيْعَهُ وَفَضَّ اللَّهُ فَاةً  
فَإِنَّكَ كَلِمَتُمَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا أَنْتُمْ مِنَ الزُّجَاجِ بِمَلَأْتُمْ عِلَّةً  
وَقَالَ السَّيَزِيُّ: [البيسط]

اسْتَوْدَعَ اللَّهُ خَلًّا مِنْكَ أَوْ سِغُهُ وَدَا وَيُوسَعْنِي غُثًّا وَتَمْوِيْهَا<sup>(٣)</sup>

(١) روي بطرق وأسانيد متعددة، وأخرجه البخاري في الوضوء باب ٥٥، ٥٦، والجنائز باب ٨٢، والأدب باب ٤٩، وأبو داود في الطهارة باب ١١، والترمذي في الطهارة باب ٥٣، والنسائي في الطهارة باب ٢٦، والجنائز باب ١١٦، وابن ماجه في الطهارة باب ٢٦، والدارمي في الوضوء باب ٦١، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٥، ٢٦٦.

(٢) الأبيات في ديوان السري الرفاء ص ٢٢٧.

(٣) الأبيات في ديوان السري الرفاء ص ٢٦٧.



كَأَن سُرِّيَ فِي أَحْشَائِهِ لَهَبٌ      فَمَا يَطِيقُ لَهُ صَمًّا حَوَاشِيهَا  
 قَدْ كَانَ صَدْرُكَ لِلْأَسْرَارِ جَنْدَلَةً      ضَنْيِنَةً بِالَّذِي تُخْفِي نَوَاحِيهَا  
 فَعَادَ مِنْ بَثٍّ مَا اسْتَوْدَعْتَ جَوْهَرَةً      رَقِيقَةً تَسْتَشْفَى الْعَيْنُ مَا فِيهَا  
 وَلَهُ أَيْضاً: [الوافر]

ثَنَانِي عَنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتَ سُرًّا      خِلَالُ فَيْكَ لَسْتُ لَهَا يَرَاضٍ<sup>(١)</sup>  
 وَإِنَّكَ كَلَّمَا اسْتَوْدَعْتَ سُرًّا      أَنْتَ مِنَ التَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ  
 قَوْلُهُ: «وَبِهِ جَرَى الْمَثَلُ فِي النَّيْمَةِ»، يُقَالُ: أَنْتَ مِنَ الزَّجَاجَةِ عَلَى مَا فِيهَا، لِأَنَّهُ  
 جَوْهَرٌ لَا يَكْتُمُ مَا فِيهِ.

### [مِمَّا قِيلَ فِي وَصْفِ الذَّهَبِ وَالزَّجَاجِ]

قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ: مَا زَالَ الْبُلْغَاءُ يَتَعَاطَوْنَ وَصْفَ هَذَا الْجَوْهَرِ، فَعَبَّرُوا عَنْ مَدْحِهِ  
 وَذَمِّهِ، فَأَمَّا ذَمُّهُ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَيَارِ النَّظَامِ أَخْرَجَهُ فِي كَلِمَتَيْنِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ، وَأَتَمَّ مَعْنَى،  
 فَقَالَ: سَرِيعُ الْكَسْرِ، بَطِيءُ الْجَبْرِ.

وَقَالَ فِي الذَّهَبِ: الذَّهَبُ لَثِيمٌ، لِأَنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّثَامِ أَكْثَرُ  
 مِنْهُ عِنْدَ الْكَرَامِ.

وَأَمَّا سَهْلُ بْنُ هَارُونَ، فَكَانَ يَوْمًا بِمَجْلِسِ أَحَدِ الْمُلُوكِ، وَشَدَّادُ الْحَرْبِيِّ يَعْدُدُ  
 خِصَالَ الذَّهَبِ، فَقَالَ: هُوَ أَبْقَى الْجَوَاهِرِ عَلَى الذَّنْفِ، وَأَصْبَرُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَأَقْلَاهَا نَقْصًا  
 فِي النَّارِ، وَهُوَ أَوْزَنُ مِنْ كُلِّ ذِي وَزْنٍ، إِذَا كَانَ فِي مَقْدَارِ شَخْصَةٍ، وَلَوْ وَضَعْتَ عَلَى ظَهْرِ  
 الزُّبُقِ فِي إِنْثَائِهِ قِيرَاطًا مِنْ ذَهَبٍ، لِرَسَبٍ حَتَّى يَضْرِبَ قَعَرَ الْإِنَاءِ، وَسَائِرِ الْجَوَاهِرِ تَطْفُو  
 فَوْقَهُ؛ وَلَوْ كَانَ الْجَوْهَرُ ذَا وَزْنٍ ثَقِيلٍ، وَرَجَعَ عَظِيمٌ وَلَا تَشُدُّ الْأَسْنَانُ الْمُتَقَلِّقَةَ بَغِيرِهِ، وَلَا  
 يُوَضَعُ فِي مَكَانِ الْأَنْوَفِ الْمُصْطَلِمَةِ سِوَاهُ، وَمِثْلُهُ أَجُودُ الْأَمْيَالِ، وَالْهِنْدُ تُؤَمِّرُهُ فِي الْعَيْنِ بِلَا  
 كَحْلٍ لِمَصْلَاحِ طَبْعِهِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ التَّبَايَعِ مَذْكَانُ التَّبَايَعِ، وَهُوَ ثَمَنٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ  
 الزَّرْيَابُ<sup>(٢)</sup> وَالصَّفَائِحُ الَّتِي تَكُونُ فِي سَقْفِ الْمُلُوكِ، وَالطَّبِيخُ فِي قُدُورِهِ أَغْدَى وَأَمْرًا.

وَسَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْكَبِيرَةِ الْأَحْمَرِ؛ فَقَالَ: هُوَ الذَّهَبُ؛  
 فَأَدْرَكَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْحَسَدِ مَا دَعَاهُ إِلَى مَعَارَضَتِهِ، فَقَالَ يَذِمُّ الذَّهَبَ،  
 وَيَفْضَلُ الزَّجَاجَ: الذَّهَبُ مَخْلُوقٌ وَالزَّجَاجُ مُصْنُوعٌ، وَإِنْ فَضَّلَهُ الذَّهَبُ بِالصَّلَابَةِ فَضَّلَهُ  
 الزَّجَاجُ بِالصَّفَاءِ، وَالزَّجَاجُ أَبْقَى عَلَى الذَّنْفِ، وَالزَّجَاجُ نُورٌ عَلَوِيٌّ، وَالذَّهَبُ مِتَاعٌ سَيَالٌ،  
 وَلَمْ تَتَخَذِ النَّاسُ آتِيَةً لِلشَّرَابِ أَجْمَعَ لِمَا يَرِيدُونَ مِنَ الشَّرَابِ مِنْهُ، وَالشَّرَابُ فِيهَا أَحْسَنُ مِنْهُ

(١) الْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ الرَّفَاءِ ص ١٥٧.

(٢) الزَّرْيَابُ: هُوَ الذَّهَبُ الْخَالِصُ.

في كل معدن، ولا يفقد معه وجه العديم، ولا يثقل اليد، ولا يرتفع في السؤم.

وكان سليمان إذا شرب في إناء كلحت في وجهه مَرْدَة الجِنِّ، فعَلَّمَهُ الله تعالى صنعة القوارير، فحسم عن نفسه تلك الجراءة. وَمَنْ كَرَعَ فيه فكأنما كرع في إناء من ماء وهواء ونور، وقد تقدح النار من كسرِ قَتِينَةِ الزجاج إذا كان فيها ماء لأنَّ طبع الزجاج والماء، والهواء والشمس واحد، وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صَبْغٍ منه وأجدر ألا يفارقه؛ حتى كأن ذلك الصَّبْغُ جوهريّة فيه. ومتى سقط عليه ضياء أنفذه إلى الجانب الآخر، وأعاره لونه، فإن كان الجام ذا لونين، أراك الوشي أحسن من وشى صنعاء، ومن ديباج تُسْتَرُ وإذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزّجاج صار المصباح والقنديل مصباحاً واحداً، ورّد الضياء كل واحد منهما على صاحبه. واعتبروا ذلك بالشُعاع الذي يسقط على المرأة على وجه الماء، أو على الزجاج، ثم انظروا كيف يتضاعف نوره، وإن كان سقوطه على عين إنسان أعشاه وربما أعماه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٢٥]، والزيت في الزجاجاة نور على نور. قال الله تعالى: ﴿إِنْ صَرَخَ مَمْرُودٌ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥] فاشتق اسمها للفضة منها.

وقال رسول الله ﷺ لحادي إببله: «يا أنيس ارفق بالقوارير»<sup>(١)</sup>، فاشتق للنساء اسمها منه. وقُدُورُهُ أطيبُ طعاماً من قُدُورِ الحجارة، وهي لا تصدأ، وإن اتسخت فالماء وحده لها جلاء، ومتى غسلت عادت جُوداً.

واسم الذهب يتطير منه، وإن سقط عليك قتلك. ومن لؤمه سرعته إلى بيوت اللثام، وإبطاؤه عن بيوت الكرام؛ وهو من مصائد الشيطان، ولذلك قالوا: أهلك الرجال الأحمران، وهو فتان قتال لمن أصابه.

فلم يبق في المجلس أحداً إلا تخير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته، واحتجاجه في معارضته من غير روية، وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز، وأنه مخراق يذهب في كل فن، فإذا صح العقل صح تقويم اللسان.

قوله «القطائف»، هي ما يجنى من الثمار، يريد بها الحلوى التي خرمهم أكلها والرتق: السد والإغلاق وهو ضد الفتق، ويقال: هو القاتق الراقق، أي هو مالك لأمر، فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع. ورتق: ضم وجمع، وامرأة رتقاء: لا يصل إليها

(١) روي بطرق وأسانيد متعددة أخرجه البخاري في الأدب باب ١١٦، وأحمد في المسند ١٧٢/٣. بلفظ: «ارفق يا أنشجة ويحك بالقوارير».

الرجال. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي كانتا سماء واحدة، وأرضاً واحدة، فجعلت كل واحدة منهما سبع. وقيل: كانتا معاً ففتقناهما بالهواء الذي بينهما وقيل: فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، فقال: سأسد ما خرقتة.

قوله: «التليد»، المال القديم. والطريف: المكتسب فكاهة: مُلَح.

\*\*\*

قال الحارث بن هَمَام: فقبلنا اعتذاره، وقبلنا عذاره، وقلنا له: قدماً وقَذْبَ النَمِيمة خَيْرُ الْبَشَر؛ حتى انتشر عن حَمَالَةِ الحطَب ما انتشر. ثم سألناه عما أَخَذَتْ جَارُهُ الْقَتَات، ودَخَلَهُ الْمَفَات؛ بَعْدَ أَنْ رَاشَ لَهُ نَبْلُ السَّعَايَةِ، وجذم حَبْلُ الرُّعَايَةِ فقال: أَخَذَ فِي الاستخذاء والاستكانة، والاستشفاع إِلَيَّ بِذَوِي الْمَكَانَةِ.

\*\*\*

عذاره: شعر خَدَّه، شبه بالشوكة التي تقع على خد الفرس. وقد عذرت الفرس عذراً وأعذرته بالعذار بمعنى الجمته، وأعذرت اللجام: جعلت له عذاراً، وأنشد ابن رشيقي في معذرة: [مخلع البسيط]

وأَسْمَرُ اللَّوْنِ عَسْجَدِي	يَكَادِي سَمَطَ الْجِهَامَا
ضَاقَ بِحَمْلِ الْعِذَارِ دُرْعَا	كَالْمُهْرِ لَا يَعْرِفُ اللَّجَامَا
وَنَكَّسَ الرَّأْسَ إِذْ رَأَيْتِي	كَأَبَةٍ وَاکْتَسَى احْتِشَامَا
وظَنُّ أَنْ الْعِذَارَ مِمَّا	يُزَيِّجُ عَنْ قَلْبِي الْغَرَامَا
وَمَا دَرَى أَنَّهُ نَبَاتٌ	أَنْبَتَ فِي قَلْبِي السَّقَامَا
وَهَلْ تَرَى عَارِضَاهُ إِلَّا	حَمَائِلًا قُلْدَتْ حُسَامَا

قوله: «قديماً وقَذَتْ»، أي قديماً أمرضت وأوجعت.

حَمَالَةُ الحطَب: هي أم جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبي لهب، وكانت تمشي بالنميمة بين النبي ﷺ وبين المشركين، وقيل بين زوجها وبين النبي ﷺ، وقيل ذلك للماشي بالنميمة، لأن الحطَب يهيج النار، والنميمة تهيج الشر. وقيل: سميت حمالة الحطَب لأنها كانت تطرح الشوك للنبي ﷺ في طريقه، وكانت عوراء وأبو لهب أحول.

والقَتَات: المنام بالكذب والنميمة، وقت بقت قتاً: مشى بالنميمة، وثَمَ يَنْمُ نَمًا: ضيع الأحاديث ولم يحفظها، وقيل: النميمة من قولهم: جلود نَمَتْ إِذَا لَمْ تَمْسُكِ الْمَاءَ. والقَتَات أيضاً: المتسمع على من ليس يشعر به، وهو القَتَات، والنَمَام والعَسَاسُ والهَمَام والغَمَاز والمهينم، والمورُش والمِمَاس، وقد مأس يماس.

دخله: خاصته العالم بداخل أمره. المفتات: المستبدّ برأيه المتسوّر على ما لا ينبغي له.

راش: جعل لها ريشاً.

السعاية: المشي بالنميمة. جَذَم: قطع الرعاية: حفظ الصداقة. الاستخذاء، الخُضوع والاستكانة: الذلّ. ذوو المكانة: أهل الجاه



وكنْتُ حَرْجَتْ عَلَى نَفْسِي، أَلَا يَسْتَرْجِعُهُ أَنَسِي، أَوْ يَزْجِعَ إِلَيَّ أُمْسِي؛ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِثِّي سِوَى الرُّدِّ، وَالْإِضْرَارِ عَلَى الصَّدِّ، وَهُوَ لَا يَكْتَسِبُ مِنَ النَّجْوِ، وَلَا يَتَّبِعُ مِنَ وَقَاحَةِ الْوَجْهِ، بَلْ يُلْطُ بِالْوَسَائِلِ، وَيُلْجُ فِي الْمَسَائِلِ؛ فَمَا أَنْقَذَنِي مِنْ إِبْرَاهِمِ، وَلَا أَبْعَدَ عَلَيْهِ نَيْلَ مَزَامِيرِهِ؛ إِلَّا أَبْيَاثَ نَفْتٍ بِهَا الصُّدْرُ الْمُؤْتُورُ، وَالْخَاطِرُ الْمَبْتُورُ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ مَذْحَرَةً لَشَيْطَانِي، وَمَسْجَنَةً لَهُ فِي أَوْطَانِهِ وَعِنْدَ انْتِشَارِهَا بَثَّ طَلَاقُ الْحُبُورِ، وَدَعَا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَيَسَّ مِنْ نَشْرِ وَضْلِي الْمَقْبُورِ؛ كَمَا يَسَّ الْكَفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.



حَرْجَتْ: أثمت وضيقّت عليها بيمين أكيدته. الإصرار: العزيمة. والصدّ: الإعراض عنه. يكتسب: يهتم. النجوة: الجفاء وتغليظ الكلام. يتّيب: يرجع. يُلطّ: يكثر اللزوم بها. ويقال: أُلط بالشيء، إذا لزمه.

إبراهيم: يُقْلَع. نَفْتٌ: نطق وتكلم. الموتور: المظلوم. المبتور: المقطوع بالهم. مَذْحَرَةٌ: مدفعة ومبعدة، ودَحَرْتُ الشيء دَحوراً ودَحَرًا: أبعدته ودَجَرَهُ هو: بُعد. بَثَّ: قطع وأمضى، وجعله بَثًّا وهو ما لا رجعة له فيه.

الحُبُور: السرور، وَحَبَرْتُهُ خَبَرْتُهُ: سرّته الثبور: الهلاك، وثبر الله العدو ثبوراً: أهلكه. يسّ: قطع رجاءه. نشر: أحيّا. المقبور: المدفون. الكفّار: الدافنون للموتى.



فَنَاشَدْنَاهُ أَنْ يُنْشِدَنَا إِيَّاهَا، وَيُنْشِقَنَا رِيَّاهَا، فَقَالَ: أَجَلْ، خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، ثُمَّ أَشَدَّ لَا يَزُودُهُ خَجَلٌ، وَلَا يَنْشِيهِ وَجَلٌ: [الخفيف]

وَنِدِيمٌ مَحْضُهُ صِدْقٌ وَدِّي	إِذْ تَوَهَّمْتُهُ صَدِيقاً حَمِيمَا
ثُمَّ أَوَّلِيَّتُهُ قَطِيعَةٌ قَالِ	حِينَ الْفَيْتُهُ صَدِيقاً حَمِيمَا
خَلَقْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَجْرُبَ الْفَأْ	ذَا ذَمَامٍ فَبَانَ جَلْفاً دَمِيمَا

وَتَخَيَّرْتُهُ كَلِيمًا فَأَمْسَى مِنْهُ قُلُوبِي بِمَا جَاءَهُ كَلِيمًا

\*\*\*

ناشدناه: سألناه وجعلناه. يُنَشِّقُنَا رِيَاها: يشممننا رائحتها. أجل، حرف جواب بمعنى نعم.

خلق الإنسان من عجل: قال أبو علي: هو على القلب، معناه: خلق العَجَلُ من الإنسان، قال الزَّجَّاج: ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] ومثله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] أي بلغت الكبر، ومثله: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٤٥].

قال الشماخ: [البسيط]

\* لِيَا كَمَا عُصِبَ الْعِلْبَاءُ بِالْعُودِ \*<sup>(١)</sup>

أي العود بالعلباء.

وقال القطامي: [الوافر]

\* كَمَا بَطَّنْتُ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا \*<sup>(٢)</sup>

أي بَطَّنْتُ بالسِّيَاعَ بِالْفَدَنِ وهو الطِّينُ بالتبن، والفَدَنُ: القَصْر. وقال ابن مقبل: [البسيط].

\* وَابْتَذِلْتُ وَقَعَ الْمَحَاجِنَ بِالْمَهْرِيةِ الدُّقْنِ \*<sup>(٣)</sup>

أي ابْتَذِلْتُ المهريّة يوقع المحاجن، ومن جعل العَجَلُ الطين، فَلَا قلب فيه، وأراد: لم يهبروا عن الآيات لعجلتهم في طلبها.

(١) يروى البيت بتمامه:

منه وليذت ولم يؤشب به نسبي  
وهو للشماخ بن ضرار في ديوانه ص ١٢٠، والأزهية ص ١٩٨، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٦٧، والمنصف.

(٢) يروى البيت بتمامه:

فلما أن جرى يسمنٌ عليها  
وهو للقطامي في ديوانه ص ٤٠، وأساس البلاغة (فدن)، وجمهرة اللغة ص ٨٤٥، وشرح شواهد المغني ٩٧٢/٢، ولسان العرب (تيز)، (سيع)، ومغني اللبيب ٦٩٦/٢.

(٣) تمامه:

قد صرَّح الشُّيْرُ عن كتمان وابتذلت  
والبيت لابن مقبل في ديوانه ص ٣٠٣، وشرح شواهد المغني ٣١٦/١، ولسان العرب (كتم)، (حجن)، (دقن)، والمحتسب ٢٣٧/١، وهو بلا نسبة في المخصص ٤١٨/٢.

وقوله: يزويه، أي يقبضه خجل: حياء، وقد خجل إذا استحيا. يشنيه: يرّذه. وجَل: خوف.

محضته، أي أخلصته. توهّمته: حسبته. والحميم: الخاصّ من الإخوان، والحميم الثاني: الماء الحارّ السخن.

والصدید: الدم المختلط بالقيح. أوليته: ألصقت به. القطيعة: البعد قال: مبغض. إلفاً: صاحباً. ذمام: عهد. بان: تبين جلفاً: جافياً. ذميماً. مذموماً. كليماً الأول مكلفاً، والثاني مجروحاً.

\*\*\*

### [مما قيل في الغدر وقلة الوفاء]

وقد أكثر الناس من التشكّي بغدر الإخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه، ونسوق منه ما يليق بهذا الموضع:

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى لصديق له: هل بلغك شيء تكره ممّن لا تعرف؟ قال: لا، قال: فأقلل ممّن تعرف.

الجاحظ: قرئ على باب شيخ من أهل الرّي: جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً، كأنه اتقى من ثقاته.

وقال امرؤ القيس بن حُجر: [الطويل]

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضىته وَقَرْتُ به العَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخِراً<sup>(١)</sup>

كذلك جدّي، ما أصاحبُ صاحباً من النَّاسِ إلا خانني وتغيّرا

وقال النابغة: [الطويل]

ولستُ بمستبِق أخا لا تلمُهُ على شَعَثٍ، أي الرجال المهذب<sup>(٢)</sup>!

ولمّا انحرف ابن الزيات عن إبراهيم بن العباس الصولي، تحاماه الناس أن يلقوه، وكان الحارث بن سنجر صديقاً له، فهجره من ذلك، فكتب إليه: [الطويل]

تغيّر لي فيمن تغيّر حارثٌ وكم من خليل غيّرته الحوادث<sup>(٣)</sup>

(١) البيتان في ديوان امرئ القيس ص ٦٩، والبيت الأول في لسان العرب (آخر)، وتاج العروس (آخر).

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٢٨، ولسان العرب (شعث)، (بقي)، وتهذيب اللغة ٤٠٦/١، ٢٦٦/٦، ٣٤٨/٩، وكتاب العين ٢٣٠/٥، وجمهرة اللغة ص ٣٠٧، وجمهرة الأمثال ١١٨٨/١، وفصل المقال ص ٤٤، والمستقصى ٤٥٠/١، ومجمع الأمثال ٢٣/١، ومقاييس اللغة ٢٧٧/١، وأساس البلاغة (بقي)، وتاج العروس (بقي).

(٣) الأبيات في ديوان الصولي ص ١٨٢.

نعمنا وما بيني وبينك ثالث

أحارث إن أشركتُ فيك فطالما  
وكتب لابن الزيات: [الوافر]

ر صاحبُ أيُّنا غلبا<sup>(١)</sup>  
نبا دهرٌ عليّ نبا  
فعباد به وقد وثبا  
لعباد أخا به خديبا

أخي بيني وبين الذهب  
صديقي ما استقام فلإن  
وثبت على الزمان به  
ولو عاد الزمان لنا  
وكتب إليه أيضاً: [المقارب]

فلما نبا صرت حرياً عوانا<sup>(٢)</sup>  
فأصبح فيك ألوم الزمانا  
فأصبحت أطلب منك الأمانا

وكنت أخي بإخاء الزمان  
وكنت إليك ألوم الزمان  
وكنت أعدك للنائبات  
وقال أبو فراس: [الطويل]

يميلُ مع النعماء حيث تَميلُ<sup>(٣)</sup>  
وأن خليلاً لا يضرّ خليلُ  
إلى غير شاك في الزمان وُضولُ  
وكل زمان بالكرام بخيلُ!

أقلب طرفي لا أرى غيرَ صاحبٍ  
وصِرنا نرى أنَّ المتارك محسنُ  
تصفحت أحوالَ الرجال فلم يكنْ  
أكل خليل هكذا غير منصفٍ  
وله أيضاً: [الطويل]

فليس له إلا الفراق عتاب<sup>(٤)</sup>  
فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ  
ومن أين للحزّ الكريم صحابُ!  
ذئاباً على أجسادهنّ ثيابُ

إذا الخلّ لم يهجرِكَ إلا ملالةٌ  
إذا لم أجد في بلدةٍ ما أريده  
بمن يشق الإنسان فيما ينوبه  
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم  
وقال الخباز البلّوي: [الطويل]

أفاعي رمالٍ لا تقصُر في اللُنع  
نزلت بوادٍ منهم غير ذي زرعٍ

ألا إن إخواني الذين عهدتُهم  
ظننت بهم خيراً فلما بلوئتهم  
ولابن هارون القرطبي: [الكامل]

تلقى الصديق من الوفا عُزباناً

ذهب الوفاء فلا وفاة يرتجى

(١) الأبيات في ديوان الصولي ص ١٥٥.

(٢) الأبيات في ديوان الصولي ص ١٦٦.

(٣) الأبيات في ديوان أبي فراس الحمداني ص ٣٤.

(٤) الأبيات في ديوان أبي فراس الحمداني ص ٣٨.

يعطيك ودًا صادقاً بلسانه  
وقال المعري: [الوافر]

فظنّ بسائر الإخوان شراً  
فلو خبّرتهم الجواز خُبيري  
تجنّبت الأنام فلا أواخي  
ولمّا أن تجهمني مُرادي  
وهزنت الخطوب عليّ حتى  
وله أيضاً: [البيط]

والخلّ كالماء يبدي لي ضمانته  
وكتب المعتصم صاحب المرية إلى ابن عمار: [الطويل]

وزهدني في الناس معرفتي بهم  
فلم تُرني الأيام خلاً تُسرّني  
ولا قلت أرجوه لدفع ملّة  
وقال البحري: [الكامل]

أما العداة فقد أزوك نفوسهم  
وقال أيضاً: [المجث]

أما العدو فَيُبْدي  
لكن سوق وحاذر

وقال منصور بن إسماعيل التميمي الفقيه: قال ابن رشيق: [المجث]

لوقيل لي خذ أماناً  
لما أخذت أماناً

وهذا الباب لا يحصى كثرة. [الخفيف]



وتظنّنيّه مُعيناً رحيماً  
وتراءيه مُريداً فجلى  
وتوسّمت أن يهّب نسيماً  
فتبيّننيّه العيناً رجيماً  
عنه سبكي له مريداً ليّماً  
فأبى أن يهّب إلا سُموماً



بثّ مِنْ لَسَعِهِ الذي أعجز الرّا  
وهذا نهجُه غداةً افترقننا  
لم يكن رائعاً خصبياً ولكن  
قلتُ لِمَا بلوئُهُ: لَيْتَهُ كا  
بَغْضِ الصُّبْحِ حينَ نَمَّ إلى قَلْدِ  
ودغاني إلى هوى اللَّيْلِ إذْ كا  
وكفَى مَنْ يَشِي ولو فاه بهالقصْدِ  
قي سليماً وبثّ مِنِّي سليماً  
مستقيماً والجسمُ مِنِّي سقيماً  
كان بالشرِّ رائعاً لي خصبياً  
لَنْ عَليماً ولم يكن لي نديماً  
جبي لأنَّ الصُّبْحَ يُلقَى ثُموماً  
نَ سوادِ اللُّجى رقيباً كتوماً  
قي أثاماً فيما أناهُ ولوماً



قوله: «تظّيته» أي حسبته، وأبدل من إحدى تونيه ياء.

لعيناً: رجيماً: شيطاناً مبعداً مرجوماً بالنجوم، وقيل: الرقيم: المرجوم أي المشتم  
المسبوب، من قوله سبحانه وتعالى: ﴿لئن لم تنته لأَرْجِمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، أي لأسبِئَكَ  
وقيل: الرقيم الملعون، وهو مذهب أهل التفسير، فمعنى اللعين والرقيم واحد.

تراءيته: طننته، من تراءى لي الشيء: ظهر بعض الظهور. مُريداً: محبباً. جَلَى:  
كشف. سبكي: تجريبي. مريداً: كثير الشر. خبيثاً: لثيماً: وضع القدر خسيس الهمة.

توسّمت: ظننت، وتوسّمت فيه الخير، أي رأيت فيه سَمَتَهُ، أي علامته والتسيم:  
الريح اللينة. والسموم: الحارّة: لَسَعَهُ: ضربه. سليم: الأول ممدوغ والثاني سالم:  
ورائع: الأول حسن المنظر، والثاني مفزع. بلوئُهُ: جربته عديماً غير موجود. يلقى:  
يوجد. هوى. حُب. رقيباً: حافظاً. يَشِي: ينم. فاه: نطق.

قوله: بغض الصبح، وهو من المثل: الليل أخفى للويل، يقالوا: أنم من الصبح،  
لأنه يهتك حجاب الظلام. وقال بعض الحكماء لابنه: اجعل نظرك في العلم ليلاً لأن  
القلب في النهار كالطائر، وهو في الليل ساكن، فما أَلَقَيْت فيه من شيء وعاه.

### [أما قيل في الليل]

فأما أكثر الشعراء فهم إلى الليل أفزع، ومن النهار أنزع، لأنَّ الليل أجمع لشتات  
الهموم والفكر، وأجلب لشوارد الأحزان والذكر.

قال امرؤ القيس: [الطويل]

وليلٍ كموج البحر أرخى سُندوهُ عَليّ بأنواعِ الهمومِ لِيَبْتَلِي<sup>(١)</sup>

(١) البيت لامرؤ القيس في ديوانه ص ١٧٨، وخزانة الأدب ٢/ ٣٢٦، ٣/ ٣٧١، وشرح شواهد المغني  
٥٧٤/ ٢، ٧٨٢، وشرح عمدة الحافظ ص ٢٧٣، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٣٨، وبلا نسبة في أوضح  
المسالك ٣/ ٧٥، وشرح الأشموني ٣/ ٣٠٠، وشرح شذور الذهب ص ٤١٥.

وقال النابعة: [الطويل]

وصدر أراح الليل عازبَ همِّهِ      تضاعف فيه الحزنُ من كلِّ جانبٍ<sup>(١)</sup>

وقال قيس بن ذريح: [الطويل]

نهارِي نهار الناس حتى إذا بدا      لي الليل هزّني إليك المضاجعُ<sup>(٢)</sup>

وقال الطرماح بن حكيم: [الطويل]

ألا أيها الليل الطويل ألا أصبح      بضُبحٍ، وما الإصباح فيك بأروح<sup>(٣)</sup>

بلى إن للعينين في الصبح راحةً      لطرجهما طرْفَيهما كلَّ مطرح

وقال ابن المعتز: [البيسط]

لا تلتق إلا بليلٍ مَنْ تواصلُهُ      فالشمس نائمةً والليل قَوادُ<sup>(٤)</sup>

كم عاشقٍ وظلام الليل يستُرهِ      لأقى الأحبة والواشون رُقَادُ

وقال المتنبي وأجاد: [الطويل]

كم زورةٍ لك في الأعراب خافيةٍ      أذهى وقد رقدوا من زُورةِ الذُيبِ<sup>(٥)</sup>

أزورهم وسواد الليل يشفع لي      وأنشني وبياض الصُبْح يُغري بي

وهذا البيت أميرُ شعره على كثرة الجِدِّ فيه. والبدیع فيه أنه قابل الشطر الأول بالثاني حرفاً بحرف، فقابل «أزورهم» بقوله: «أنشني»، و «سواد الليل» ببياض الصبح، «ويشفع لي» بـ «يُغري بي».

وحكى ابنُ جني قال: حدثني المتنبي وقت القراءة قال قال لي ابن خُزابة وزير كافوز: أعلمت أنني أحضرت كتبي كلها، وجماعة من أهل الأدب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى، فلم يظفروا به! وكان أكثر مَنْ رأيتُ كتباً.

(١) البيت للنابعة الذيباني في ديوانه ص ٤١، وأساس البلاغة (عزب)، وبلا نسبة في تاج العروس (عزب).

(٢) البيت ليس في ديوان قيس بن ذريح، وهو لابن الدمينه في ديوانه ص ٨٨، وأساس البلاغة (هرر)، والأغاني ١٧/١٠٥.

(٣) يروي البيت الأولى:

ألا أيها الليل الذي طال أصبح      بسمّ وما الإصباح فيك بأروح

وهو للطرماح في ديوانه ص ٩٦، ولسان العرب (بمم)، وتاج العروس (بمم). وديوان المعاني ١/ ٣٤٦، وزهر الأداب ص ٧٤٨، ومعجم البلدان (بم)، ومعجم ما استعجم ١/ ٢٧٩.

(٤) البيتان في ديوان ابن المعتز ٧٧/١.

(٥) البيت في ديوان المتنبي ١/ ١٦١.

قال ابن جني: ثم إنِّي عثرت على الموضع الذي أخذ منه، فوجدته لابن المعتز مصراعاً بلفظ [لَيْن] صغير [جداً] جرى فيه معنى بيت المتنبي كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو: [البسيط]

\* فالشُّمس نَمَامَة والليل قواد \*

قال: الشعالي إما أن يكون ألم به فحسَّنه وزينه، فصار أولى به، أو عثر على الموضع الذي عثر عليه ابن المعتز فأربى عليه في جودة أخذه، وأن يكون قد افترع المعنى وابتدعه، فليَّله دَرَه! وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه!

قال: ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله وهو: [الطويل]

عذيري من الأيام مدت صروفها	إلى وَجْهِ مَنْ أهوى يدُ المسخ والمحو
وأبدت برأسي طالعَاتِ أرى بها	سهامَ أبي يحيى مسدَّدة تحوي
فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى	وهذا بياضُ الوُخْط يأمرُ بالصُّخو

وقال ابن رشيقي: [الخفيف]

أيها الليل طرُ بغير جَنَاح	ليس للعين راحةً في الصُّبَاح
كيف لا أبغضُ الصُّباح وفيه	بان عني أولو الوجوه الصُّباح

وقال المتنبي: [الطويل]

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ	تخبّر أن المانويّة تكذب <sup>(١)</sup>
وقاك أذى الأعداء تسري إليهم	وزارك فيه ذو الدّلال المحجّب

المانويّة هم الثنويّة، وهم الذين يقولون: إن الخير كله من النور، والشّر كله من الظلام، فكذبهم بأن وجد الخبر في الظلام حيث ستره من أعدائه، ووقاه شرّهم، وكان عوناً على زيارة جبه، ووجد الضدّ في النور، وهذا كله يجري في نمط بيت الحريري.



قال: فلما سمع ربُّ البيت قريضه وسجعه، واستمَلَحَ تقرُّظه وسبَّعه، بوَّاه مَهَادَ كَرَامَتِهِ، وصدَّره على تَكْرِمَتِهِ. ثم استخضرَ عَشْرَ صحافٍ من العَرَب، فيها حلَّاء القنْدِ والضَّرْب؛ وقال له:

لا يستوي أصحابُ النَّارِ وأصحابُ الجَنَّةِ، وَلَا يَسَعُ أَنْ يُجْعَلَ الْبَرِيءُ كَذِي

(١) البيتان في ديوان المتنبي ١/ ١٧٨، ١٧٩.

الظُّنَّةُ، وَهَذِهِ الْآتِيَةُ تَنْتَزِلُ مَثَرَلَةَ الْأَنْبِرَارِ، فِي صَوْنَيْهِ الْأَشْرَارِ، فَلَا تُؤَلِّهَا الْإِبْعَادُ، وَلَا تُلْحِقُ هُوداً يَبْلُدُ...

\*\*\*

قوله: «قريضة» أي شعره، وتقدّم السجع..

تقريظه وسبعة: المملوح والذم، ويقال: سَبَّحَهُ يسبِّعه، إذا رماه بقبيح، من قولهم: سبعت الذئب إذا رميته، وقيل: معنى سبعت قلت له قولا غمُّه وذعر منه، ويقال: سبعت الوحش: ذعرتها، والأسد أفرعته.

بؤاه: أنزله، مهاد: فراش. صدره: قلَّامه وأجلسه في صدر وسادته.

التكرمة: الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه ودخل عمر على سلمان رضي الله عنهما فقال لى له وسادة. فقال: ما هذا يا أبا عبد الله؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم يخلل عليه أخوه المسلم، فيلقي إليه وسادة إكراماً له وإعظاماً، إلّا غفر الله تعالى له».

قوله: «استحضر»: أمر بإحضارها. الغرب: نزع من الخشب كريم. القند: عصارة قصب السكر. والضرب: العسل الأبيض.

الظنة: التهمة، أراد بالبريء آتية الغرب، وبالمتهم جام الزجاج.

والأنبار: الأخيار. صون: حفظ. تؤلها: تلصق بها.

عاد: قوم هود، وأراد: لا تساو بين هود وهو مؤمن، وبين قومه وهم كفار، فهم أضداد كالبري، والمتهم فقد خرج من نوعهم، وإن كانت جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم، وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان في الآتية والوعاء، ويختلفان في الاحتواء على ما فيهما من الإخفاء والإظهار.

\*\*\*

### [هود عليه السلام وقومه]

وهو هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وعاد هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله، وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن، فدعاهم هود إلى عبادة الله تعالى، فكذبوه وعصوه، وكانوا جبابرة أقوياء، طول الرجل منهم مائة فراع، وطول أقصرهم ستون ذراعاً، قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّاهُمْ فِي النَّارِ بِسُوءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]. أي عظماً وطولاً وقوة وشدة، وعظهم هود عليه الصلاة والسلام، وقال لهم: ﴿أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آتِيَةٍ تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] الآية، فكان جوابهم أن قالوا: ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ [فصلت: ٦٥]، وقالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ

تكن من الواعظين﴾ [الشعراء: ١٣٦]. وقالوا: ﴿يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ [هود: ٥٣] الآيات، واشتكبروا ولم يؤمنوا، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين حتى جُهدوا.

فأوفدوا وفداً يستسقون لهم، فبعثوا قَيْلَ بن عَيز، ونعيم بن هَزَال، ومَرثد بن سعد، وكنيته أبو سعد، وجَهْلَمَة بن الخيرِي، ولقمان بن عاد، ومع كل رجل منهم رهط من قومه، فلما قربوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلي - وكانوا أخوالاً له وصهراء - فأنزلهم وأكرمهم شهراً، يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما: الجرادتان. فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده؛ وقد بعثهم قومهم للبلاء الذي نزل بهم شق عليه ذلك، وقال: هلك أصهاري وأخوالي، والله ما أدري ما أصنع بهم! وإني أستحي أن أمر بالخروج من عندي فيظنون أنه ضاق بي مقامهم عندي، فقال شعراً وأعطاه للجرادتين فغنتاهم به، وهو: [الوافر]

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فهِم	لعلَّ الله يُضْبِحُنَا غَمَاماً <sup>(١)</sup>
فيسقي أرض عادٍ إن عاداً	قد امسوا لا يبيئون الكلاما
وإن الوحش تأتيهم جهاراً	فلا تخشى لعاديهم سَهَاماً
وأنتم هاهنا فيم اشتهيتم	نهاركم وليلكم الثَمَاما
فقبَّح وفدكم من وفد قوم	ولا لُفُّوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض: إنما بعثكم قومكم لما نزل بهم، فادخلوا الحرم. فاستسقوا، فقال مَرثد بن سعد: والله لا تسقون حتى تطيعوا نبيكم، فقال له جهلمة: [الوافر]

أبا سعد وإنيك من قبيل	ذوي كرم وإنيك من مُؤود
أتأمرنا لنترك دين رِفْدٍ	وزنل آل صُدِّ والسوفود
ونترك دين آباء كرام	ذوي رأيٍ ونتبع دين هودا
فإننا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية: امسك مَرثداً عنا، لا يدخلن مكة معنا وهو على دين هود. فدخلوا مكة، وخرج مَرثد، فأدركهم قبل أن يدعوا، فقال: اللهم لا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد.

وقيل: قال: اللهم إن كان هود صادقاً فاسقنا، فقد هلكنا، فأنشأ الله سحاب ثلاثاً: بيضاء، وحمراء وسوداء، ونودي من السحاب: يا قَيْل، اختر لنفسك ولقومك، قال: لقد اخترت السحابة بالسوداء، لأنها أكثر السحاب ماء فنودي: اخترت رماداً رَمُداً، لا

يُبْقِي مِنْ عَادٍ أَحَدًا، فَسَاقَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى السَّحَابَةُ السُّودَاءُ إِلَى عَادٍ فَاسْتَبَشَرُوا، وَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا، فَسَخَرَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ رِيحٌ صَرَصَر، فَلَمْ تَدْعُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ.

ولما خرجت الريح عليهم، قال سبعة منهم: تعالوا نقف على شفير الوادي فترُدّها، فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترميه حتى يدقّ عنقه، فتركتهم كما قال الله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧]. واعتزل هود ومَنْ معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبهم منها إلا نسيم يُلِينُ البشرة، وتلذّه الأنفُس، وإنّها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض.

ورجع وفد عاد، فنزلوا على معاوية، فأَتَاهُمْ رَاكِبٌ عَلَى نَاقَةٍ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مَصَابِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبِيرَ، فَقَالُوا: وَأَيْنَ فَارَقْتَ هُودَ؟ فَقَالَ: بِسَاحِلِ الْبَحْرِ، وَخُيِّرُوا حِينَ دَعَا بِمَكَّةَ لَأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لِقَمَان: يَا رَبِّ أَعْطِنِي عُفْرًا، فَعَمَّرَهُ اللَّهُ عَمْرَ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ، يَأْخُذُ الْفَرْخَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْضَتِهِ فَيَغْذِيهِ حَتَّى يَمُوتَ، ثُمَّ يَأْخُذُ آخَرَ حَتَّى يَبْقِيَ السَّابِعُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ: مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِكَ؟ قَالَ: عَمْرُ هَذَا النَّسْرِ، وَهُوَ لَيْدٌ - وَلَيْدٌ بِلِسَانِهِمْ - الذَّهْرُ. فَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعْ لَيْدُ النَّهْوِضِ مَعَ النَّسْرِ، أَيقِنَ لِقَمَانُ بِالمَوْتِ، فَمَاتَا جَمِيعًا.

واختار قبل أن يضييه ما أصاب قَوْمَهُ، فاقتلته الريح فقتلته.  
وقال مرثد: يَا رَبِّ أَعْطِنِي بَرًّا وَصِدْقًا وَعَمْرَ هُودَ، فَعَمَّرَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ سَنَةً.



ثُمَّ أَمَرَ خَادِمَهُ بِنَقْلِهَا إِلَى مَثْوَاهُ، لِيَحْكُمَ فِيهَا بِمَا يَهْوَاهُ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا أَبُو زَيْدٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا سُورَةَ الْفَتْحِ، وَأَبَشِّرُوا بِأَنْدِمَالِ الْقَرْحِ؛ فَقَدْ جَبَرَ اللَّهُ تُكُلْكُمْ، وَسَتَى أَكُلْكُمْ، وَجَمَعَ فِي ظِلِّ الْحُلُوءِ شَمْلَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.

ولمّا هَمَّ بِالْإِنْصِرَافِ، مَالَ إِلَى اسْتِهْدَاءِ الصُّحَافِ، فَقَالَ لِلْأَدِيبِ: إِنْ مِنْ دَلَائِلِ الظُّرْفِ، سَمَاحَةِ الْمَهْدِيِّ بِالظُّرْفِ، فَقَالَ: كِلَاهُمَا لَكَ وَالْعُلَامُ، فَاحْذِفِ الْكَلَامَ، وَانْهَضْ بِسَلَامٍ. فَوُتِبَ فِي الْجَوَابِ، وَشَكَرَ شُكْرَ الرُّؤُوسِ لِلْسَّحَابِ.



قوله: «مثواه»، أي منزله. وقال: اقْرَؤُوا سُورَةَ الْفَتْحِ، أي لأن الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم. اندمال القرح: الجرح. جبر: أصلح. ثكلكم: حزنكم على فقدكم الحلواء بسببي، والحلواء: كل طعام غولج بحلاوة، وتمدّ وتقصر. شملكم: عددكم المفترق. وفي معنى الآية قال بعضهم: [الكامل]

لا تكره المكروه عند نزوله      إن المكاره لم تزل متباينة  
كم من يد لا تستقل بشكرها      لله في طي المكاره كائنة  
الآدب: صاحب العرس.

الظرف: جودة الرأي. الأصمعي وابن الأعرابي: الظريف: البليغ الجيد الكلام، وقالوا: الظرف في اللسان، واحتجاً بقول عمر رضي الله عنه أنه إذا كان الرجل ظريفاً لم يقطع، أي إذا كان بليغاً احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد، قال الكسائي رحمه الله تعالى وفي الوجه، يقال لسان ظريف ووجه ظريف. غيره: الظريف الحسن الوجه والهيئة.

المهدي: مرسل الهدية، والظرف: الوعاء. احذف: اقطع بعضه. انهض: تقدم. وثب: بالغ وعجل جوابه. الرّوض: موضع العشب والأنوار.

\*\*\*

ثم افتادنا أبو زيد إلى جوائيه، وحكمنا في خلوائيه، وجعل يقلب الأواني بيده، ويفض عددها على عدده، ثم قال: لست أذري أشكو ذلك الثمام أم أشكر، وأتناسى فعلته التي فعلها أم أذكر، فإنه وإن كان أسلف الجريمة، وثمن التهمة، فمن غيمه انهلث هذه الديمة، ويسيفه انحازت لي هذه الغنيمة. وقد خطر ببالي، أن أرجع إلى أشبالي، وأفتن بما تسنى لي، وألا أتعب نفسي ولا أجمالي، وأنا أودعكم وأدع محافظ، واستودعكم خبر حافظ.

ثم استوى على راحلته، راجعا في حافزته، ولأويا إلى زافزته. فغادرنا بعد أن وحدث عثسه، وزايلنا أنسه، كدست غاب عنه صدوره، أو ليل أقل بذره.

\*\*\*

حواؤه: موضعه، والجواء: أخبية قريب بعضها من بعض، ويفض: يفرق. وأسلف الجريمة: قدم الذنب. نمن: زين، والنمنمة: النقش. غيمه: سحابة. انهلث: سالت. الديمة: العطية هنا، وانظر معنى هذا الشك الطارئ عليه في السابعة والعشرين في قوله: [الرمل]

\* يا أخي الحامل ضيمي \*

محافظ: راع للمودة. استودعكم: أترككم وديعة في يده. خير حافظ: هو الله سبحانه وتعالى يشير لقوله تعالى: ﴿فَالله خير حافظاً﴾ [يوسف: ٦٤]. استوى عليها، أي

ركبها، وقال في الدرة: الراحلة تقع على الجمل والناقة، والهاء فيها للمبالغة. كالتي في داهية وراوية، وسميت راحلة لأنها تُرَحَّل، أي يشد عليها الرَّحْل، فهي فاعلة بمعنى مفعولة، كما جاء في التنزيل: ﴿عِشَّة رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، بمعنى مرضية، و ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٣]، أي لا معصوم، و ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي مدفوق، و ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص: ٥٧] أي مأموناً، كما جاء مفعول بمعنى فاعل في قوله تعالى: ﴿حُجَّابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي ساتراً، ﴿وَكَانَ وَغْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم: ٥١]، أي آتياً.

في حافرته: في الطريق الذي جاء منه. لاوياً: عاطفاً. زافرته: قرابته. وخذت: أسرع. عنسه: ناقتة الصلبة، ومنه عنست المرأة، إذا طال مكثها لا تتزوج. زابلنا: فارقنا. دست: مجلس. صدره: أعيانه. أفل: غاب.



## المقامة التاسعة عشرة

### وهي النصيبية

روى الحارث بن همام، قال: أمحلَ العِراقُ ذاتَ العُونِمِ، لإِخلافِ أنواءِ الغَيمِ، وتحدَّثَ الرِّكبانُ بريفِ نَصيبين، وبُلْهَنَةِ أَهْلِهَا المَخْصِيبين.

\*\*\*

أمحل: أجذب، أي لم ينزل فيه مطر. إخلاف الأنواء، يريد النجوم التي من عاداتها أن تطلع بالمطر، وأخلفت: لم تجيء بمطر. الركبان: أهل الأسفار. ريف: خصب.

\*\*\*

### [مدينة نصيبين]

نصيبين مدينة ديار ربيعة العظمى، وهي مطلة على جبل الجودي الذي استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه، وهو جَبَلُ عالٍ مستطيل.

أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زُويْتُ لي الأرض، فرأيت مدينة أعجبتني، فقلت: يا جبريل، أي مدينة هذه؟ قال: نصيبين، فقلت: اللهم عَجِّلْ فتحها».

قال اليعقوبي: هي مدينة عظيمة كثير الأنهار والجئات والبساتين، ولها نهر عظيم يقال له الهَرَماس، عليه قناطر حجارة قديمة رومية، وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب، افتتحها غنم بن عياض في خلافة عمر رضي الله عنهما سنة ثمان عشرة.

قال شيخنا ابن جبير: مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقَدَم، ظاهرها شباب، وباطنها هَرَم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصَّغَر، أمامها وخلفها بسيط أخضر مدَّ البصر، قد أجرى الله فيه مذائب من الماء تسقيه، وتطرَّد في نواحيه، وتحفَّ بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار، يانعة الثمار. وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السَّوار، والحدائق، تنتظم حافته، وتفيء ظلالها الوارفة عليه، فرحم الله أبا نواس حيث يقول: [البسيط]

طابَتْ نَصيبين لي يوماً فطَبْتُ لها      لَيتَ حظِّي من الدنيا نَصيبينُ

فخارجها رياضُ الشِّمائل، أندلسي الخمائل، برق نضارة وغضارة، ويأتلق عليه رونق الحضارة. ودخلها شعث البادية باديةً عليه، فلا مطمح للبصر إليه، لا تجد العين

فيه فسحة مجال، ولا مسحة جمال. وهذا النهر ينساب إليها من عين معينة، منبها بجبل قريب منها، تنقسم منها مذائب تخترق بسائطها وعمائرها، ويتخلل البلد منها جزء يفترق على شوارعها، ويلج في بعض ديارها، ويخترق جامعها منه ميزاب ينصب في صهريجين، أحدهما وسط الصحن، والآخر عند الباب الشرقي، ويفضي إلى سقايتين حول الجامع. وعلى التهر جسر معقود من صم الحجارة، متصل بباب المدينة القبلي، وفيها مدرستان ومارستان واحد.



قوله: وبلهنية أهلها المخصين، البلهنية: رخاء العيش.

### [مما قيل في وصف الرياض شعراً]

ونريد أن نصل ما نذكره من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة في أوصاف الرياض تقع كالصفة لها، قال إبراهيم بن العباس الكاتب: [المتقارب]

تأمل سماء أظلت علي	ك فيها مصابيحها تزهر
وأرضاً تقابلها بالعرو	س والمرج بينهما جعفر
ومسحب نور غداة بالريـ	ع أنفائه الوسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر	وأضعاف أصفره أحمر
والماء مطرد بينها	يضيق بأذيه المضدر
وللأطقات بأكنافه	دواعي اشتياق ومستعبر
يشارفه البر من جانب	ومن جانب بحره الأخضر
مجال وحوش ومرسى سفين	فيا عذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عز ملك	يسوسهم الملك الأكبر
إمام به أمر الأمور	ن بالعرف واستنكر المنكر

وأنشد السيرافي: [الطويل]

ومجلس فتيان إلى جنب حافة	بقطر بل بين الرياض الحدائق
تناصي مياديننا له أهدقت به	مواخرها موصولة بالجوايق
وحف بريحان وكزم معرّش	ونهر وأشجار وتخل بوايق
ووزد وتسرين وآس وسوسن	أفاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرق بالتوار حتى كأنما	به جنة محفوفة بالتمارق

وقال كشاجم: [البيط]

وروضة صنف التوار جوهره	فيها فما شئت من حُسن ومن طيب
------------------------	------------------------------

أخلاق مستحسنٍ الأخلاق محبوب  
تبكي بدمع من الأنواء مسكوب  
على الميادين ألوان اليعاسيب  
تحيير ثوب من الموشى منصوب

كأن ما تجتنيه من زخارفها  
ما انفك للعين فيها أعين ذرف  
حسني كأن أفانين النبات بها  
كان غُذْرانها بالزّوض محدقة  
ولتميم بن المعتز: [الطويل]

قد التحفت لحاف في الظل سَجَسَجَا  
وعاد عليها ذلك التّصل هُودَجَا  
كأن لها قلباً على الجوّ محرّجَا  
فزخرفها بين الرياض ودَبَجَا  
وأس ربيعي يناغي بنفسجَا  
تعمّم بالكافور ثم تتوجّا  
من المسك في جو السماء تارّجَا

وقاذفة بالماء في وسط بركة  
إذا اقتدفت بالماء سلته مُثْصَلَا  
تحاول إدراك النجوم بقذفها  
لدى روضة جاد السحاب ربوعها  
على نرجس غصّ يلاحظ سوسنا  
كان عُصّون الأقحوان زمرد  
ونوار تُسرّين كأن نسيمه

قال أبو البحتري: تعرضت لأبي فحمة - وكان مجنوناً ببغداد - له بديهة حسنة،  
فقلت له: كيف أنت يا أبا فحمة؟ فأنشأ يقول: [الكامل]

متعرّضاً للموارد التّلف  
متحرّفاً عن غير منحرف  
أسفي عليك أشد من كلفي  
فأخرجت قبضة نرجس من كمي، فأخذها وشمها ملياً، وأنشأ يقول:

أصبحث منك على شفا جُرُف  
وأراك نحوي غير ملتفت  
يا من أطلال بهجره كلفي  
فأخرجت قبضة نرجس من كمي،

حونٍ هتونٍ زبرج دلاح  
فاستثقلت حملاً بغير نكاح  
فأنت بسؤلّدان بلا أرواح  
بيد التّدى وأنامل الأزواج  
تبرّ على وُرقٍ من الأوضاح  
نحو الغزالة ناظراً بملاح

لما تزوّجت الجنوب بهاطل  
أضحى يلفحها بوسمي الصبا  
حتى إذا حان المخاض تفجّرت  
حاك الربيع لها ثياباً وشيث  
من أصفر في أزهرٍ قد زانه  
ركّبت في عقد الزّبرجد فاغتدى



### [فصل أشعار المجانين]

ويتصل بهذه الحكاية فصل في ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين، فإن أبا محمد  
ذكر في هذه المقامة المصابين، وذكر المجانين في غيرها، لئلا يخل بما شرطنا. قال

بعض الأدباء: كان رجلٌ من أهل الأدب، قد ذهب عقله بالمحبة، [وخلفه دابة تدور معه، فاستوقفته] وقلت له: يا أبا فلان، ما حالك، وأين النعمة؟ قال: تغير قلبي بالحب فتغيرت النعمة، ثم بكى وأنشأ يقول: [البيط]

أزى التجمل شيئاً لسْتُ أحسُّهُ      وكيف أخفى الهوى والذمع يعلُّهُ  
أم كيف صبر محبُّ قلبه دَنَفٌ      الشوق يُنحله والهجرُ يحزنه  
وإنه حين لا وصلٌ يساعفه      يهوى السلو، ولكن ليس يمكنهُ  
وكيف ينسى الهوى مَنْ أنت فتنته      وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت: أحسنت والله، فقال: قف قليلاً، فوالله لأطرحن في أذنك أدباً أثقل من الرصاص، وأخف على الفؤاد من ريش النعام، فوقفت، فأنشد: [البيط]

للحب نار على قلبي مضرمةٌ      لم تبلغ النار منها عُشرَ معشارِ  
الماء ينبع منها في محاجرنا      يا اللرجال لماء فاض من نار!  
وأنشد أيضاً: [المتقارب]

أعاد الصدود فأحيا الغليلاً      وأبلى الجفاء فصبراً جميلاً  
وأحسب نفسي على ما تَرَى      ستلقى من المهجر غماً طويلاً  
وأحسب قلبي على ما بدا      سيذهب مني قليلاً قليلاً  
قال الحسن بن هانئ: رأيت مانياً الموسوس فأنشدني: [الخفيف]

شعر حيّ أذاك من لفظ ميتٍ      صار بين الحياة والموت وَفَقاً  
قد برث جسمه الحوادثُ حتّى      كاد عن أعين البرية يخفى  
لو تأملتني لشبصر شخصي      لم تبين من المحاسن حُرُفاً

ثم أتيت جعفران الموسوس، وهو شيخ كبير من بني هاشم، عليه قطيفة، وفي عنقه غُلّ من ذهب، فقال: من أين جئت يا حسن؟ فقلت: من بيت مانوية: فقال: في حر أم مانوية! وقال لي اكتب: [البيط]

ما غرّد الديك ليلاً في تنبّهه      إلا حشئت إليك السيرَ مجهوداً  
ولا هدت كل عين لَدُ راقِدِها      بنومة في لذيق العيش ممهوداً  
إلا امتطيت الذجى شوقاً إليك ولو      أصبحت في خلق الأقياد مصفوداً  
أسعى مخاطرة بالتففس يا أملي      والليل مدرع أثوابه السوداً  
فلم ترق ولم ترث لذي دنفٍ      زودته حرقات القلب تزويداً  
هيهات لا عذر في جن ولا بشر      من الخلائق إلا فيك موجوداً

ثم قال لي: خَرَقَ رَقْعَةً مَانُوِيَّةً، فخرقتها، ثم مضيت فلقيت عرددا المصاب، وحوله الصبيان، وهو يلطم وجهه، ويقول: يَايَهَا النَّاسَ، الْفِرَاقَ مَرَّ الْمَذَاقِ، فقلت: يا أبا محمد، من أين أَقْبَلْتَ؟ فقال شَيِّعَتِ الْحَاجِّ إِذْ كَانَ لِي فِيهِمْ سَكْنٌ، وقلت في ذلك: [الطويل]

هُمْ اِرْحَلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ غُدِيَّةً      وودعتهم لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدُّعُوا  
فَلَمَّا تَوَلَّوْا وَلَّتِ النَّفْسُ مَغْهَمُ      فقلت: ارجعي قالت: إلى أين أرجع؟  
إِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ      وما هو إِلَّا أَعْظَمُ تَتَقَعَّقُ  
وَعَيْنَانِ قَدْ أَعْمَاهُمَا الْحُزْنُ وَالْبُكَاءُ      وَأَذُنٌ عَصَتْ عُدَّالَهَا لَيْسَ تَسْمَعُ  
وجعيفران من مجانين الكوفة، أعطاه رجل درهماً، وقال له: قل شعراً على قافية الجيم، فقال بديهاً: [مجزوء الخفيف]

عَادَنِي الْهَمُّ فَاعْتَلَجَ      كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجٍ  
سَلُّ عَنْكَ الْهَمُومَ بِالْـ      كَأْسٍ وَالرَّاحِ تَنْفَرُجُ  
وهو القائل: [المجث]

مَا جَعَفَرُ لِأَبِيهِ      وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ  
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِيرٍ      فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ  
هَذَا يَقُولُ بُنْيِي      وَذَا يَخَاصِمُ فِيهِ  
وَالْأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ      لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ  
وقال ماني: [البسيط]

مِنَ الظُّبَاءِ ظَبَاءٌ عَمَّهَا الشُّحُبُ      وَخَلَّيْهَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ  
يَا حَسَنَ مَا سَرَقَتْ عَيْنِي وَمَا انْتَهَبْتُ      وَالْعَيْنُ تَسْرِقُ أَحْيَاناً، وَتَنْتَهَبُ  
إِذَا يَدٌ سَرَقَتْ فَالْحَدَّ يَقْطَعُهَا      وَالْحَدَّ فِي سَرَقِ الْعَيْنِ لَا يَجِبُ  
وله أيضاً: [الطويل]

لَهُ وَجَنَاتٌ فِي بَيَاضٍ وَحُمْرَةٍ      فَحَافَاتُهَا بَيْضٌ وَأَوْسَاطُهَا حُمْرُ  
رِقَاقٌ يَجُولُ الْمَاءُ فِيهَا كَأَنَّهَا      زُجَاجٌ أُجِيلَتْ فِي جَوَانِبِهَا الْخُمْرُ  
وأشعار المجانين في هذا الباب أكثر من أن تحصى.



فَافْتَعَذْتُ مَهْرِيًّا، وَاعْتَثَلْتُ سَمَهْرِيًّا، وَسِرْتُ تَلْفِظُنِي أَرْضُ إِلَى أَرْضٍ،  
وَيَجْذِبُنِي رَفْعٌ مِنْ خَفَضٍ، حَتَّى بَلَغْتُهَا نَقْضاً عَلَى نَقْضٍ. فَلَمَّا أَنْخْتُ بِمَغْنَاهَا

الْخَصِيبِ، وَضَرَبْتُ فِي مَرَعَاهَا بِنَصِيبٍ، نَوَيْتُ أَنْ أَلْقِيَ بِهَا جِرَانِي، وَأَتَّخِذَ أَهْلَهَا جِيرَانِي، إِلَى أَنْ تَحْيَا السَّنَةُ الْجَمَادُ، وَتَتَعَهَّدَ أَرْضُ قَوْمِي الْعِيَادَ، فَوَاللَّهِ مَا تَمَضَّمْتُ مَقْلَتِي بِنَوِيهَا، وَلَا تَمَخَّضْتُ لِنَلَّتِي عَنْ يَوْمِهَا، دُونَ أَنْ أَلْفَيْتُ أَبَا زَيْدَ السَّرُوجِيِّ يَجُولُ فِي أَرْجَاءِ نَصِيبِينَ، وَيَخْبِطُ بِهَا خَبْطَ الْمُصَابِينَ وَالْمُصِيبِينَ، وَهُوَ يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ الدَّرَرَ، وَيَحْتَلِبُ بِكَفِّهِ الدَّرَرَ. فَوَجَدْتُ بِهَا جِهَادِي قَدْ حَارَ مَعْمَا، وَقَدْ جِي الْقَدْ قَدْ صَارَ تَوَامًا، وَلَمْ أَزَلْ أَتْبِعْ ظِلَّهُ أَيَّمَا أَتْبِعَتْ، وَأَلْتَقِطُ لَفْظُهُ كُلَّمَا نَفَتْ، إِلَى أَنْ عَرَاهَ مَرَضٌ امْتَدَّ مَدَاهُ، وَعَرَفْتُهُ مَدَاهُ، حَتَّى كَادَ يَسْلُبُهُ الْمَخْيَا، وَيُسْلِمُهُ إِلَى أَبِي يَحْيَى.



قوله: «اقتعدت مهرياً»، أي ركبت بعيراً منسوباً إلى مهرة، قبيلة من قضاة، إبلهم أنجب الإبل، زعموا أنه كان يلقحها الوحش، وهي إبل متوحشة صغار بيض، تكون بين عُمان والشَّحر، وتزعم العرب إنها إبل الجن لسرعتها، فبقيت أنسالها في بني مهرة. قال أبو عبيدة: المهريّة من الإبل تسير أربعمائة ميل كل يوم، ثم نسبت العرب إلى مهرة كل بعير نجيب.

اعتقلت: حبست، والاعتقال: أن تحبس الرَّمح بين ركابك وساقك تلفظني: ترميني. رفع: مرتفع: خفض: منخفض. يجذبني: يسوقني لنفسه. يُقَضُّ على نقض: هزيل على هزيل؛ وأخذ هذا اللفظ من قول أبي الشيص يصف شدة السير: [الكامل]

أَكَلُ الْوَجِيفِ لِحُومِهِمْ وَلِحُومِهَا      فَأَتُوكَ أَنْقَاضاً عَلَى أَنْقَاضٍ  
وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ عَلَى الزَّمَانِ سَوَاطِطاً      فَرَجَعْنِ عَنْكَ وَهَنْ عَنْهُ رَوَاضِي

وقال حبيب في معناه: [الطويل]

وَرَكِبَ يَسَاقُونَ الرِّكَابَ زَجَاجَةً      مِنْ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْغَوَارِبَ بِالسَّرَى      وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ

ولحبيب أيضاً: [الطويل]

وَرَكِبَ كَأَمْثَالِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا      عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو كَوَاكِبُهُ<sup>(٢)</sup>  
عَلَى كُلِّ رَوَادٍ الْجَلَاظَ تَهْدَمَتْ      عَرِيكَتَهُ الْعَلِيَاءُ وَأَنْضَمَ جَانِبُهُ  
رَعْتَهُ الْفِيَاظِي بَعْدَمَا كَانَ حَقْبَةً      رَعَاهَا، وَمَاءَ الْمِزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٤٤.

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص ٤١.

فكم جزع وإد جبّ ذروة غاربٍ وبالأمس كانت أتمكّته مذنابهُ

قوله: «أنخت» بركت. مغناها: موضع سكنها. نويت: قصدت. جُراني صدري، والجُران: باطن عنق البعير، يقول: لما أخذ نصيباً في مرعاها، أضمر أن يقيم بها ريشما يأتي أرضه المطر. الجماد: التي لا مطر فيها. تتعهد: تتفقد وتزور. الجهاد: كثرة المطر.

وتمضمضت العين بالنوم، إذا خالطها ودبّ فيها، وتمخّضت المرأة: أضرّ بها وجع الولادة، وتقول: تمخّضت المرأة عن زوجها إذا حملت بالولد عنه، وتمخضت بولدها إذا تحرّكت به ودنّت ولادتها، وإذا استعير هذا المعنى لليلة صار تمخّضها عن اليوم السابق لها، كأن اليوم ألقى في الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحرّكت به؛ فيريد أنه لم ينقص يومي الذي وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل في ليلتي، ولأجل هذا قال قبل هذا: تمخّضت مقلتي بنومها، أراد أنه لقيه قبل الليلة التي ينام فيها، ولو قال: تمخّضت بيومها للزم أن يكون اليوم الذي يأتي بعدها، كأنها كانت تحمله فتلده إذا طلع صبحه من حيث إنه متصل بها، ولو جعلت «عن» بمعنى الباء لانقلب إلى هذا المعنى، وإنما دل الكلام على صحة المعنى الأوّل، وأصله المَخْضُ بالتحريك، ومنه: مخضت اللبن مَخْضاً، حرّكته لإخراج زبده، ومخّضت المرأة وتمخّضت: تحرّك ولدها ليخرج، ثم يستعار ذلك للأيام وغيرها، فأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان في النعمان: [الوافر]

أجذك هل رأيت أبا قبيسٍ أطال بقاءه التَّعم الرِّكّام<sup>(١)</sup>

تمخّضت المنون له بيومٍ أنى، ولكلّ حاملٍ تمامٍ

التعم الركّام: الإبل الكثيرة، وصُفّر قابوس، تصغير الترخيم، وجعل النية حاملاً باليوم الذي هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة، وقال حبيب في معناه: [البسيط]

حتى إذا مخّض اللّه السنين لها مخّض الحليّة كائن زُبْدَةُ الْحِقَبِ<sup>(٢)</sup>

فهذه استعارة من مخّض اللبن، أراد أن السنين تحرّكت لهذه البلدة، أي كانت تمرّ عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة في حسنها ولذّتها فأكلوها باستباحة من فيها.

(١) البيت الأول لعمرو بن حسان في لسان العرب (كثر)، (مخض)، (طوق)، والبيت الثاني لعمرو بن حسان في حاشية يس ٢/٢٨٦، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٣، ٣٤٢، والإنصاف ٢/٧٦٠، وجوهرة اللغة ص ٦٠٨، وشرح عمدة الحافظ ص ٧٣٦.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص ٨.

قوله: «ألفيت»، أي وجدت. يجول: يتصرف. أرجاء: نواحي. يخبط: يسأل الناس، وأصل الخبط نفض ورق الشجر، يُنض للإبل فيخزن ثم يدق لها في زمن الشتاء، ويبل بالماء فتعلفه، ثم يستعار الخبط للمعروف، وقال زهير بن أبي سلمى: [البسيط]

وليس مانع ذي قربي وذئ نَسِبَ يوماً ولا مُعْديماً مِنْ خَابِطٍ وَرَقاً<sup>(١)</sup>

يقال: خبطت الرجل، أي سألته، وخبط الرجل بالأمر: لم يهتد لصوابه، والبعير: ضرب بيده الأرض، والشيء: ضربته، والدابة الأرض: شدت وطأها، والشيطان الإنسان: صرعه.

قوله: «المصابين» أي المجانين. والمصيبين: الواجدين لما يطلبون، والمصيب أيضاً ضد المخطيء، والمفعول مُصاب، فيريد أنه يجول في نواحيها مسرعاً كالمجنون، أو كالمتيقن بوجود حاجته.

الدُّرَر: الجواهر، والدُّرَر: اللبان، أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا، قُدْجِي القُدْ، أي سهمي المنفرد. توأما: زوجا، وأراد أنه كان منفرداً فصار يأبى زيد زوجاً. انبعث: نهض وتوجه. نفث: نطق. عراه: قصده. امتد مداه، أي طالت مدته. عرقته: أخذت لحمه. مُداه: سكاكينه. بُسِّلِمُه: يتركه، وأبو يحيى: كنية الموت، وقد تقدّم في المقامة قبل سهام أبي يحيى مسددة نحوي.

\*\*\*

### [ثواب المريض]

أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً، ووُقِيَ من فتنة القبر، وغُدِيَ وريح عليه برزقه من الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة»<sup>(٣)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «الصداع والحمى يصيب الإنسان وإن ذنوبه مثل أخذ فما يفارقه حتى لا يدع من ذنوبه وزن خردلة».

أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال: رسول الله ﷺ: «المريض إذا برئ وصح

(١) يروى صدر البيت:

وليس مانع ذي قربي ولا رحم

وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٣، ولسان العرب (خبط)، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٥١، ٧/ ٢٥٠، وجمهرة اللغة ص ٢٩١، وأساس البلاغة (خبط)، وتاج العروس (خبط)، وبلا نسبة في لسان العرب (عدم)، وتاج العروس (عدم).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجناز باب ٦٢.

(٣) أخرجه بنحوه الدارمي في الرقاق باب ٥٦.



من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء في صفاء لونها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

فَوَجَدْتُ لِقَوْبَ لُقْيَاهُ، وَأَنْقَطَعَ سُقْيَاهُ، مَا يَجِدُهُ الْمُبْعَدُ عَنْ مَرَامِهِ، وَالْمَرْضَعُ  
عِنْدَ فِطَامِهِ، ثُمَّ أَرْجَفَ بَأَنَّ رَهْنَهُ قَدْ عَلِقَ، وَمِخْلَبَ الْحِمَامِ بِهِ قَدْ عَلِقَ، فَقَلِقَ صَحْبُهُ  
لِلْإِرْجَافِ الْمُزْجِفِينَ، وَانْتَالُوا إِلَى عَقَوْتِهِ مُوجِفِينَ: [المقارب]

حَيَارَى يَمِيدُ بِهِمْ شُجُوهُمْ      كَأَنَّهُمْ ازْتَضَعُوا الْخَنْدَرِيسَا  
أَسَالُوا الْغُرُوبَ وَعَطُوا الْجِيُوبَ      وَصَكُوا الْخُدُودَ وَشَجُّوا الرُّوْسَا  
يَوْدُونَ لَوْ سَالِمَتِ الْمُنُون      وَغَالَتْ نَفَائِسُهُمُ وَالْثُفُوسَا

\*\*\*

قوله: «سقياه»، أي فوائده التي كان يسقيه بها. مرامه: حاجته. فطامه: قطعه عن  
الرضاع. أرجف: تحدث، والإرجاف: خوض الناس في الفتنة وحديثها. وغلق: كف،  
وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يمسك رهنه: إن لم آتَكَ إلى كذا فالرهن لك  
فإن آتاه بالدُّين بعد الأمد قال له: قد عَلِقَ الرهن.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَغْلِقُ الرهن، له  
عُثْمُهُ وعليه غُرْمُهُ»<sup>(٢)</sup>.

المخلب: ظفر الطائر الصائد. الحمام: المنون. انتالوا: انصبوا واندفعوا. عقوته:  
موضعه وأصلها فناء الدار.

موجفين: مسرعين. حيارى: جمع حيران، والحيرة: التردد في الأمر وعدم التهدي  
له، قال الواثق:

لَا يَكُ السُّقْمُ وَلَكِنْ كَانَ بِي      وَيَنْفَسِي وَيَأْمِي وَأَبِي  
قِيلَ لِي إِنَّكَ صُدْعَتْ فَمَا      خَالَطَتْ سَمْعِي حَتَّى دِيرَ بِي  
وَقَالَ آخِرُ:

أَنَا مَذْخَبَتْ بِالْعِلِّ      لِي وَاللَّهِ عِلِّيْلُ  
لَيْتَ حُمَاكِ بِجَسْمِي      وَلَكَ الْعَمْرُ الطَّوِيلُ

يميد: يميل. شجوههم: حزنهم. الخندريس: الخمر. أسالوا الغروب: أجروا  
الدموع، والغربة: الفيضة من الدمع، والجمع غروب: عطوا. شكوا: لطموا:

(١) أخرجه الترمذي في الطب باب ٣٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الرهون باب ٣، ومالك في الأقضية حديث ١٣.

شُجُوا: جرحوا. يودون: يتمنون. سالمته: تركته وصالحته، وأصله الصلح. المنون: المنيّة. غالت: أهلكت. نفائسهم: كرائم أموالهم.

### [مما قيل في عيادة المريض]

ونذكر هنا من الشعر ما يوافق هذا الموضع:

دخل أبو دهمان القيسي يوماً على بعض الأمراء يعود، فأنشده: [الطويل]  
 بأنفيسنا لا بالطوارف والثُلْدِ      نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ السُّقْمِ أَوْ تَبْدي  
 بنا معشرَ العُودِ ما بك من أذى      فإنْ أَشْفَقُوا مِنَّا أَقُولُ فِيهِ وَحِدي  
 ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعود، فقال: [البيط]

الله يدفعُ عن نفس الإمام لنا      وَكُلْنَا لِلْمَنَايَا دُونَهُ غَرَضُ  
 فليت أن الذي يَغْرُوهُ من مرض      بالعائدين جميعاً لا به المرضُ  
 ففي الإمام لنا من غيره عَوْضُ      وليس في غيره مِنْهُ لَنَا عَوْضُ

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر: [الكامل]

أعزُّ عليّ بأن أراك عليلًا      أو أن يكون لك السُّقَامُ نَزِيلًا  
 لوددتُ أني مالكٌ لِسَلَامَتِي      فأعيرُها لك بُكْرَةً وَأَصِيلًا  
 فتكونَ تبقى سالمًا لسلامتي      وأكونَ ممّا قد عراك بديلاً  
 هذا أخ لك يشتكي ما تشتكي      وكذا الخليل إذا أحبَّ خليلًا  
 هذا الشعر على فتوره شرفٌ بمنصب قائله.

وكان المعتصم أميًا لأن أباه هارون الرشيد ندبه في صِغَرِهِ للتعلم فسمعه يوماً يقول وقد مرَّ به جنازة: ليتني مكانك ولا أرى هذا البلاء، فقال له: لا أندبك إلى شيء تتمنى الموت من أجله؛ فلماذا لم يكن له علم بالأدب كأخويه الأمين والمأمون.

ولأبي العباس المبرد: [الخفيف]

يا عليلُ أفديك من ألم العِدِ      لَمَّةَ هَلْ لي إلى اللقاء سَبِيلُ  
 إنْ يَحُلْ دونك الحجاب فما يُخِ      حَبِّ عَنِّي وَبِكَ الضُّئَى وَالثُّحُولُ

ولأبي تمام في مالك بن طوق: [المنسرح]

أَلْبَسَكَ اللهُ مِنْهُ عَافِيَةً      فِي نَوْمِكَ الْمَعْتَرَى وَفِي أَرْقُكَ  
 يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السُّقَامَ كَمَا      أَخْرَجَ ذُمُّ الْفَعَالِ مِنْ خُلُقِكَ

ولابن عبد ربه: [البيط]

يَا مَنْ عَلَيَّهِ حِجَابٌ مِنْ جَلَالَتِهِ      وَإِنْ بَدَا لَكَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْجُوبِ

ما أنت وحدك مكسوراً ثياب ضئى      بل كلنا لك مِن مُضْئى وَمَشْحُوبِ  
ألقى عليك يداً للضرّ كاشفة      كَشَّافُ ضُرِّ نَبِيِّ الله أيوبِ

\*\*\*

قال الراوي: وَكُنْتُ فِيمَنْ التَفَّ بِأَصْحَابِهِ، وَأَغَذَ إِلَى بَابِهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى فَنَائِهِ، وَتَصَدَّقْنَا لِاسْتِنْشَاءِ أَنْبَائِهِ، بَرَزَ إِلَيْنَا قَتَاهُ، مَفْتَرَّةً شَفَتَاهُ، فَاسْتَطْلَعْنَا طُلُوعَ الشَّيْخِ فِي شَكَاتِهِ، وَكُنْهَ قُوَى حَرَكَاتِهِ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْمَرَضَةِ، وَعَزْرَكَةِ الْوَعْكَةِ، إِلَى أَنْ شَفَّهُ الدَّنْفُ وَاسْتَشَفَّهُ التَّلْفُ، ثُمَّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِتَقْوِيَةِ دَمَائِهِ، فَأَفَاقَ مِنْ إِغْمَائِهِ. فَارْجِعُوا أَدْرَاجَكُمْ، وَانْضُوا انْزِعَاجَكُمْ، فَكَأَنَّ قَدْ عَدَا وَرَاحَ، وَسَاقَاكُمْ الرِّاحَ. فَأَعْظَمْنَا بَشْرَاهُ، وَاقْتَرَحْنَا أَنْ نَرَاهُ، فَدَخَلَ مُؤَذَّنًا بِنَا، ثُمَّ خَرَجَ آذَنًا لَنَا، فَلَقِينَا مِنْهُ لَقَى، وَلِسَانًا طَلْقًا، وَجَلَسْنَا مُخَدِّقِينَ بِسِرِيرِهِ، مُحَدِّقِينَ إِلَى أَسَارِيرِهِ.

\*\*\*

قوله: «أغذ»، أي أسرع. تصدقنا: تعرضنا. الاستنشاء: الاستطلاع. أنبائه: أخباره. برز: خرج. مفترّة: ضاحكة. استطلعناه: سألناه أن يُطْلِعَنَا. طلع الشيخ في شكاته: خبر مرضه. كُنْهَ: حقيقة. عزكه الوعكة: شدة المرض، وعركت الشيء: دلكته بيدك وحككته، ووعكته الحُمى: كسرته. وشفه الدنف: أضعفه المرض ونقص جسمه استشفه: استقصى بقية قوته. دَمَائِهِ: قوَى نفسه إغمائهِ: ذهاب عقله من الضعف. ارجعوا أَدْرَاجَكُمْ، أي في الطريق الذي جئتم فيه. انضوا انزعاجكم، أي أزيلوا زعجكم وطيشكم، والانزعاج: ضد القرار. أعظمنا بشره، أي وجدنا ما بشرنا به عظيماً، والبشارة بكسر الباء: ما بُشِّرَتْ به، والبشارة بضمها: ما يُعْطَى على البشارة. والبشارة بفتحها: الجمال، وفلان بشير الوجه، أي حسنه، وعند أكثرهم أن لفظ «بشّره» لا يستعمل إلا في الإخبار في الخير، وليس كذلك، بل يستعمل في الخير والشر قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٢٤]، والعلّة في ذلك أن البشارة إنما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها في بشرة مَنْ بُشِّرَ بها، وقد تتغير البشرة للمساء بالمكروه، كما تتغير عند المسرة بالمحبيب، إلا أنه إذا أُطْلِقَ لفظها وقع على الخير؛ كما أن النذارة يُطلق لفظها في الشر، وهذا ذكره الحريري في الذرة قال ابن عزيز: البشرى: والبشارة إخبار بما يسر، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [يونس: ٦٤].

اقترحنا: طلبنا، واقتרכת الشيء: فعلته قبل أن يُفعل. مؤذناً: معلماً. لقي: طريحاً. طلقاً: فصيحاً. محدقين: محلّقين، وأحْدَقَ القوم بالشيء إذا أحاطوا به واحتفوا

حَوْلَهُ. وَحَذِّقُوا، أَيْ نَظَرُوا إِلَيْهِ نَظَرًا شَدِيدًا، فَهَمْ مُحَدِّقُونَ إِلَيْهِ، أَيِ نَازِرُونَ، وَالْحَذَقَةُ: سَوَادُ الْعَيْنِ الْأَعْظَمِ. وَالْأَسَارِيرُ: تَكَاسِيرُ جِلْدِ الْوَجْهِ.

\*\*\*

أَنَسَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا فَجَلَسَ عِنْدَهُ قَدْرَ سَاعَةٍ، أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْرَ عَمَلِ سَنَةٍ لَا يَعْصِيهِ فِيهَا طَرْفَةُ عَيْنٍ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عِيَادَةُ الْمَرِيضِ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ، أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَقُولَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ أَوْ كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟ وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ تَغَمَّدَتْكَ الرَّحْمَةُ، وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِ خُضَّتْهَا مَقْبَلًا وَمَدْبَرًا» - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَقْوَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ الْمَرِيضَ خَاضَ الرَّحْمَةَ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ انْغَمَسَ فِيهَا»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى مَرِيضٍ فَتَنَسَّوْا عَلَيْهِ فِي أَجَلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا وَهُوَ يَطِيبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ»<sup>(٤)</sup>.

نَفَسُوا: وَسَعَوْا عَلَيْهِ بِطَوْلِ عَمَرِهِ.

وَدَخَلَ كَثِيرٌ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ: لَوْلَا أَنْ سُرورك مَا يَتَمُّ بِأَنْ تَسَلَّمَ وَأَسْقَمَ أَنَا، لَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ؛ وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ، وَلِي فِي كَنْفِكَ النِّعْمَةُ. فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: [الْكَامِلُ]

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا	لَيْتَ التَّشْكِي كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِذْيَةٌ لِفِدْيَتِهِ	بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارٍ فِي وَتِلَادِي
وَكُتِبَ آخِرُ إِلَى عَلِيلٍ: [الْبَسِيطُ]	

تُبْنَتْ أَنْكَ مَعْتَلٌ فَقُلْتَ لَهُمْ	نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتَهُ بِي غَيْرَ أَنْ لَهُ	أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأَنْتِي غَيْرُ مَاجُورٍ

\*\*\*

(١) رَوَى بِطَرَقٍ وَأَسَانِيدَ مُتَعَدَّةً، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْبَرِّ حَدِيثَ ٤٠، ٤٢، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْجَنَائِزِ بَابَ ٨، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْبَرِّ بَابَ ٦٤، وَابْنُ مَاجَةٍ فِي الْجَنَائِزِ بَابَ ٢، وَاحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ١/١٢١، ١٣٨، ٢٣٩، ٣٠٤/٣، ٤٦٠، ٢٤١/٥، ٢٧٧، ٢٨١.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَرَضِ بَابَ ١٥، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْجَنَائِزِ بَابَ ٢.

(٣) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْعَيْنِ حَدِيثَ ١٧.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الطَّبِّ بَابَ ٢٥، وَابْنُ مَاجَةٍ فِي الْجَنَائِزِ بَابَ ١.

فَقَلَّبَ طَرْفَهُ فِي الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ: اجْتَلَوْهَا بِنْتُ السَّاعَةِ، وَأَنْشُدْ: [الكامل]  
 عَافَانِي اللّهُ وَشُكْرًا لَهُ      مِنْ عِلَّةٍ كَادَتْ تُعَفِّينِي  
 وَمَنْ بِالْبُزْءِ عَلَى أَنَّهُ      لَا بُدَّ مِنْ حُتْفٍ سَيَبْرِيْنِي  
 مَا يَتَنَاسَانِي، وَلَكِنَّهُ      إِلَى تَقْضِي الْأَكْلِ يُثْسِبِيْنِي  
 إِنْ حُمَ لَمْ يُغْنِ حَمِيمٌ وَلَا      جَمَى كَلْبٍ مِنْهُ يَحْمِيْنِي  
 وَمَا أَبَالِي إِنْ دَنَا يَوْمُهُ      أَمْ أَخَّرَ الْحَيْنُ إِلَى حِينِ  
 فَأَيُّ فَخْرٍ فِي حَيَاةٍ أَرَى      فِيهَا الْبَلَاءُ ثُمَّ تَبْلِيْنِي

\* \* \*

قوله: قلب طرفه، أي حول عينيه بنظرهم. اجتلوا: انظروا، ونسب الشعر للساعة  
 لما قيل فيها. عافاني: أي سلمني. تعفني: تهلكني. من: أنعم. حُتْف: هلاك. تقضي  
 الأكل: تمامه وآخره. يُثْسِبِي: يؤخرني، والأصل الهمزة فسَّهله للشعر. حُم: قدر.  
 حميم: صاحب.

### [جمي كليب]

جمي كليب؛ هو ابن ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس، وكان أعز  
 الناس في العرب. وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جزو كلب، فإذا نزل بمنزل فيه كلاً قذف  
 ذلك الجزو فيه، فعوى فحيثما بلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع إلا بإذنه،  
 وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إلا جلالاً له، ولا يُخشى أحد في مجلسه غيره، ولا توقد  
 نار غير ناره، ولا يُجبر تغلب ولا يُكرى رجلاً، ولا يحمي حملاً ولا يُغير إلا بإذنه.  
 وكان يحمي الصيد فيقول: صيد كذا في جوارِي، فلا يصيب أحد منه شيئاً، وكان  
 قد حمى حمى لا يظوه إنسان ولا بهيمة، فدخل فيه يوماً فطارت قنبرة بين يديه من على  
 بيضها، فقال لها: [الرجز]

يَا لِكَ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمَغْمَرٍ      خَلَا لِكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاضْفِرِي

\* ونقري ما شئت أن تنقري \*<sup>(١)</sup>

(١) الرجز لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٤٦، ولسان العرب (عمر)، (قبر). (نقر)، (جوا)، وجمهرة  
 اللغة ص ٧٩٥، والحيوان ٦٦/٣، ٢٢٧/٥، والشعر والشعراء ١٩٤/١، وتاج العروس (عمر)،  
 (نقر)، (جوا)، (الياء)، وتهذيب اللغة ٣٨٤/٢، ٢٢٨/١١، ولكليب بن ربيعة في لسان العرب  
 (قبر)، (يا)، والتنبيه والإيضاح ١٨٤/٢، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٧٢، والخصائص ٣/  
 ٢٣٠، ووصف المباني ص ٢٢١، والعقد الفريد ١٢٧/٣، ٣٤/٤، والمنصف ١٣٨/١، ٢١/٣،  
 والمختص ٣٩/١٢.

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان، وكان لمرة - وهو من بني بكر - عشرة من الولد، منهم الحارث وجساس وتُضله وهَمَام، فجاءت جساساً خالة له اسمها البسوس، التي يقال فيها: أشأم من البسوس، فنزلت عليه، ولها ابن وناقَة تُسمى سراب، بفصيل لها، فدخل الجُمى يوماً، فوجد بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرتة، فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس، فقال: أو قد بلغ من قدره أن يُجير دون إذني! يا غلام، ارمِ صُرْعها، فخرقه بسهم، وقتل فصيلها، ثم طرد إبل جساس، ونفاها عن المياه، عن شُبَيْث والأحص (غديرين) حتى بلغ غدير الذئاب. فجاء جساس، فقال: نفيت عن المياه مالي، حتى كدت تهلكه! فقال: إننا للمياه شاغلون، فقال: هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها، فقال: أو قد ذكرتها! أما إنني لو وجدتها في غير إيلي مرة استحلتت تلك الإبل لها، فعطف عليه جساس فرسه، فطعنه، فلما أحس الموت، قال: يا جساس، اسقني ماء. فقال: تجاوزت شُبَيْثاً والأحص، واحتز رأسه، وأمال يديه، وجاء. فقالت أخته لأبيها: إن جساساً جاء خارجة ركبته، قال أبوها: والله ما خرجنا إلا لأمر. فلما وصله قال: ما وراءك يا بُني؟ قال: طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصاً. قال: قتلت كليباً؟ قال: نعم، قال: وددت أنك وأخوتك متم قبل هذا، ما بنا إلا أن تشام بنا وائل، ثم لقي أخاه نُضلة فقال: [الوافر]

وإني قد جنيْتُ عليك حرباً      تَغِصُّ الشَّيْخُ بِالماءِ الْقَرَّاحِ  
فأجابه أخوه نُضلة:

فإن تك قد جنيْتُ عليّ حرباً      فلا وإنِ لارثُ السُّلَّاحِ

وكان أخوه هَمَام قد آخى مهلهلاً أخا كليب، وعاهده ألا يكتمه شيئاً، فجاءته أمة له، وعنده مهلهل، فأسرت إليه الخبر، فقال له مهلهل: ما قالت لك أمتك؟ فقال: زعمت أن أخي جساساً قتل كليباً، فقال: است أخيك أضيق من ذلك. وتحمل القوم، وغدا مهلهل في ثار أخيه بالخيل، واجتمعت أشراف تغلب، وأتوا مرة، فتكلموا معه في القصاص من جساس وإخوته، فذهب مرة إلى الدية، فغضبت تغلب ووقعت في الحرب، فدامت بينهم أربعين عاماً.

وكان فيما بينهم خمس وقائع: أولها يوم غنيزة وآخرها قتل جساس، وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لأخته: رحلي جليلة عن مأتمك، فإن قيامها شمانة بنا، وعار علينا، فقالت لها: اخرجي يا هذه من مأتمنا، فإنك شقيقة قاتلنا، فلما رحلت قالت أخت كليب: رحلة المعتدي، وفراق الشامت! ويلٌ غداً لآل مرة، من الكرة بعد الكرة.

فلما بلغ ذلك جليلة قالت: وكيف تشمت الحرّة بهتك سترها، وترقب وثرها! أسعد الله جد أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء!

وجاءت وهي حامل، فولدت غلاماً وسمته بالهجرس، وزباه جساس، فكان لا

يعرف أباً غيره، فزوجه ابنته، فوقع بينه وبين بكريّ كلام، فقال له البكريّ: ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك. فأمسك عنه، ودخل إلى أمه فسألها فأخبرته، فلما أوى إلى فراشه، وضع أنفه بين ثدي زوجته، وتنفس تنفيساً تنفّط ما بين ثدييها من حرارتها، فقامت الجارية فزعاً، فدخلت إلى أبيها فأعلمته، فقال: نائر وربّ الكعبة.

فلما أصبح أرسل وراء الهجرس، فأثاه فقال له: إنما أنت ولدي ومعى، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفائى، وقد اصطلحنا الآن، فانطلق معى حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا، قال: نعم، ولكن مثلي لا يأتي قومَه إلا بسلاحه، فأتيا جمعاً من قومهما، فقصّ عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء، وما صاروا إليه من العافية، ثم قال: وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه، فلما قُدِّموا للعقد أخذ بوسط رمح، وقال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونُضْلي، وسيفي وغِراري، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر إليه. ثم طعن جساساً فقتله، ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم.

وقد قيل في صورة قتل كليب غير ما ذكرنا، وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب، وقد نسب شعر القنبرة لطرفة.

وقال النابغة الجعديّ وذكر قتل كليب وحذّر به عقلاً العقيلي: [الطويل]

كَلَيْبٌ لِعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً      وَأَبْصَرَ حَزْماً مِنْكَ ضُرُجٌ بِالْدَمِ<sup>(١)</sup>  
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ      كَحَاشِيَةِ الْجُزْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْهِمِ  
فَقَالَ لَجَسَّاسٍ: أَغْنِنِي بِشَرِيَةٍ      تُدَارِكُ بِهَا مَثْأَ عَلِيٍّ وَأَنْعَمِ  
فَقَالَ: تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَ وَمَاءَ      وَيَطْنُ شُبَيْثٌ وَهُوَ ذُو مِثْرَسَمِ

الترسم: اتباع الماء في قعر البشر، يقول: أيّ افتخار في حياة تعرض عليّ فيها الامتحنات، ثم بعد هذه المشقات تردني إلى الكبر والشيخوخة؛ فلم أبال، أدنا الموت أم تأخر، إذ المآل إلى الهرم القائد إلى الموت. وأشار بهذا إلى قول النمر بن تَوَلَب: [الطويل]

يَوْءُ الْفَتَى طَوْلُ السَّلَامَةِ جَاهِداً      فَكَيْفَ تَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ!

وإلى قول حميد بن ثور: [الطويل]

أَرَى بِصُرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ      وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا

وجاء: كفي بالسلامة داء.

وجاء في أجر البلايا قوله ﷺ: «إن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما له خطيئة».

أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الهوى والبلاء والشهوة معجونة بطينة آدم».

\*\*\*

قال: فدَعُونَا لَهُ بِامْتِدَادِ الْأَجَلِ، وَارْتِدَادِ الْوَجَلِ، ثُمَّ تَدَاعَيْنَا إِلَى الْقِيَامِ، لَانْقَاءِ الْإِبْرَامِ، فَقَالَ: كَلَّا بَلِ الْبَثُّ بِيَاضُ يَوْمِكُمْ عِنْدِي، لَتَشْفُوا بِالْمَفَاكِهِ وَجَدِي، فَإِنْ مُتَاجَاتِكُمْ قُوتُ نَفْسِي، وَمِغْنَاتِي سُنِّي. فَتَحَرَّيْنَا مَرَضَاتِهِ، وَتَحَامَيْنَا مُعَاصَاتِهِ، وَأَقْبَلْنَا عَلَى الْحَدِيثِ نَمُحُضُ رُبْدَهُ، وَنُلْغِي رُبْدَهُ، إِلَى أَنْ حَانَ وَقْتُ الْمَقِيلِ، وَكَلَّتِ الْأَلْسُنُ مِنَ الْقَالِ وَالْقِيلِ. وَكَانَ يَوْمًا حَامِي الْوَدِيقَةِ، يَانِعُ الْحَدِيقَةِ، فَقَالَ: إِنَّ الثُّعَاسَ قَدْ أَمَالَ الْأَعْنَاقَ، وَزَادَ الْأَمَاقَ، وَهُوَ خَضَمُ الْأُدَّ، وَخَطْبُ لَا يُرَدُّ؛ وَفَضَّلُوا حَبْلَهُ بِالْقَيْلُولَةِ، وَافْتَدَوْا فِيهِ بِالْآثَارِ الْمُنْقُولَةِ.

\*\*\*

قوله ارتداد الوجل، أي إزالة الخوف. وانقضاء الإبرام: خشية التثقل.

\*\*\*

### [تخفيف العيادة]

قال بعضهم: [الوافر]

إذا ما عُدْتُ مَحْمُومًا فَخَفَّفْ فَتَخْفِيفُ الْعِيَادَةِ خَيْرُ عَادَةٍ

وقال رسول الله ﷺ: «أخَفُّوا الْعِيَادَةَ، وَأَقْلَوْا الْجُلُوسَ؛ وَالتَّعْزِيَةُ يَوْمٌ».

أبو القاسم الوزير بن عيسى، قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، وقد جثته عائداً، وأطال قوم عنده الجلوس، فقال لي: يا أبا القاسم، عيادة ثم ماذا؟ فصرفت مَنْ حضر، ثم هممت بالانصراف معهم، فأمرني بالرجوع، ثم أنشدني عن محمد بن الجهم: [البيسط]

لَا تُضْجِرَنَّ مَرِيضًا: جَثَّتْ عَائِدُهُ      إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ إِثْرِيَوْمِيْنَ  
وسلَّه عَنْ حَالِهِ، وَادَّعَى إِلَالَهُ لَهُ      وَأَقْعَدَ بِقَدْرِ فُوقِ بَيْنِ حَلْبِيْنَ  
مَنْ زَارَ غَيْبًا إِذَا دَامَتْ مَوَدَّتُهُ      وَكَانَ ذَاكَ صَلَاحًا لِلْخَلِيلِيْنَ

وقال آخر: [البيسط]

عيادة المرء يوم بعد يومين      وَجَلْسَةٌ لَكَ مِثْلَ اللَّحْظِ بِالْعَيْنِ  
لَا تُبْرَمَنَّ مَرِيضًا فِي مُسَاءَلَةٍ      يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْأَلُ بِحَرْفَيْنِ



مرض يحيى بن خالد، فكان إسماعيل بن صبيح إذا دخل عليه يعودوه وقف عند رأسه، ودعا له، ثم يخرج ويسأل الحاجب عن منامه وطعامه وشرابه. فلما أفاق قال: ما عادني إلا إسماعيل بن صبيح، ودعا له.

وممن زاد على التخفيف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن ظاهر، مرض أخوه محمد بن عبد الله فلم يعده عبيد الله، فكتب له محمد: [الكامل]

إنني وجدتُ على جفا      ثك من فعالك شاهداً  
إنني اعتللتُ فما وجدُ      ت سوى رسولك عائداً  
ولو اعتللتُ فلم أجد      سبباً إليك مساعداً  
لاستشعرتُ عيني الكرى      حتى أعودك راقداً  
فأجابه عبيد الله أخوه: [الخفيف]

كجئت مقلتي بشوك القتاد      لم أذق مذ حُجِمتَ طعم الرقاد  
يا أخي الحافظ المودة والثا      زل من مقلتي مكان السواد  
مئعتني عليك رقة قلبي      من دخولي عليك في العواد  
لو بأذني سمعت منك أنيناً      لتفرّى من الأنين فؤادي  
ومرض حماد عَجُرد، فعاده أصحابه إلا مطيع بن إياس، وكان خاصاً به، فكتب إليه يقول: [الوافر]

كفك عيادتي من كان يرجو      ثواب الله في صِلَةِ المريض  
فإن تجذت لك الأيام سقما      يحول جريضه دون القريض  
يكن طول التأوه منك عندي      بمنزلة الطنين من البعوض  
فما نفسي عليك تذوب حزناً      وما دمعي عليك بمستفيض  
ولمحمد بن عبد الله في محبوب له مرض: [المنسرح]

أليسك الله منه عافيةً      تغنيك عن دعوتي وعن جلدك  
سقمك ذا لا لعلّة عرضت      بل سقم عينيك دب في جسدك  
فيا مريض الجفون أخي فتى      قتلته بالجفون لا بيدك  
وقال آخر في محبوب له تركت الحمى على فيه أثراً: [المنسرح]

يا أملي كيف أنت من أملك      وكيف ما تشتكيه من سقمك  
هذان يومان لي أعدهما      مذ لم تلخ لي بُروق مبتسمك  
حسدت حماك حين قيل لنا      بأنها قبلتك فوق فمك

وقال العباس بن الأحنف: [الكامل]

قالت: مرضت فعُدَّتْها فتَبَرَّمَتْ وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ<sup>(١)</sup>

والله لو أنَّ القلوب كقلبها مارقٌ للولد الضعيف الوالد

قوله: «البثوا»، أي أقيموا. بياض يومكم، أي طوله، وبياض النهار: ضوءه: مناجاتكم: محادثكم.

مغناطيس، حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس. تحرينا، أي قصدنا. تحامينا: تباعدنا. نمخض زبده: نحرك ونجمع فوائده، وكني بالزبد، وهو جمع زبدة عن خيار الكلام. نلغي زبده: نترك ما لا خير فيه، وزبد الماء: ما يعلوه من الرغوة. المقييل: النوم في وقت القائلة. حامي الوديقة: شديد الحر. يانع الحديقة: ناعم الروضة، والحديقة كل بستان محلّق بحائط أو زرب. راود: طالب. الآماق: العيون، وأصله طرف العين من جهة الأنف. والخطب: من يخطب المرأة. والقيلولة: الرقاد في القائلة. والآثار: الأحاديث.



### [مما قيل في القيلولة]

قلنا وقال: يقال: قال يقيل قيلولة ومقيلاً: نام نصف النهار.

أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم «ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم: من تسخر، وقال: وشرب بعد ما يأكل».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «قيلوا فإن الشياطين لا تقيل». ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع، فضربه برجله، وقال: قم لا نامت عينك! تنام في ساعة يقسم فيها الرزق! وإنما النوم على إحدى خصال: خرق أو حمق، أو خلق، فنومة الحمق بعد العصر، لا ينامها إلا سكران أو شيطان، ونومة الخرق نومة الصبح، ونومة الخلق نصف النهار».

ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا بقيلولة النهار على قيام الليل، وبالسحور على صيام النهار».

قال الراوي: فاتبعنا ما قال، وقلنا وقال: فضرب الله على الآذان، وأفرغ السنة في الأجفان؛ حتى خرجنا من حكم الوجود، وضررنا بالهجوم عن السجود، فما استيقظنا إلا والنحر قد باخ، واليوم قد شاخ، فتكرعنا لصلاة العجمائين، وأذنتنا ما حلّ من الدين.

ثم تحثحثنا للآزتحال، إلى مُلْقَى الرِّحال، فالتفت أبو زيد إلى شِبْلِهِ، وَكَانَ عَلَى شَاكِلِيهِ وَشَكْلِهِ، وَقَالَ: إِنِّي لِإِخَالِ أَبَا عَمْرَةَ، قَدْ أَضْرَمَ فِي أَحْشَائِهِمُ الْجُمْرَةَ، فَاسْتَدْعَ أَبَا جَامِعَ، فَإِنَّهُ بُشِّرَى كُلَّ جَانِعٍ، وَأَزْدِفُهُ بِأَبِي نُعَيْمٍ، الصَّابِرِ عَلَى كُلِّ ضَمِيمٍ، ثُمَّ عَزَزَ بِأَبِي حَبِيبِ الْمُحَبَّبِ إِلَى كُلِّ حَبِيبٍ، الْمُقْلَبِ بَيْنَ إِحْرَاقٍ وَتَعْذِيبٍ، وَأَهْبَ بِأَبِي ثَقِيفٍ، فَحَبِذَا هُوَ مِنْ أَلِيفٍ، وَهَلُمَّ بِأَبِي عَوْنٍ، فَمَا مِثْلُهُ مِنْ عَوْنٍ، وَلَوْ اسْتَحْضَرْتَ أَبَا جَمِيلٍ، لَجَمَّلَ أَيَّ تَجْمِيلٍ.

\*\*\*

قوله: «السَّنة»، النوم، الهجود: الرقاد. باخ: سكن حرّه. تحثحثنا، أي تحركنا. ملقى الرحال: موضعها. شبله: ولده. شاكلته: طريقته. شكله: مثله، وتكون الشاكلة والشكل واحداً وجمع الشكل أشكال وشكول. إخال: أحسب، وكئى الجوع أبو عمرة، لأنه يعمر كل جوف؛ قيل لمدني: أعترف أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وقد تريع في كبدي.

وقال الراجز: [الرجز]

حَلَّ أَبُو عَمْرَةَ وَسَطَ حُجْرَتِي وَحَلَّ نَسِجَ الْعَنْكَبُوتِ بُرْمَتِي<sup>(١)</sup>  
أضرم: أوقد، وكئى الخوان - وهو المائدة - أبا جامع للاجتماع حوله للأكل. وأردفه: جيء به خلفه، وكئى الحواري، وهو الدرمل أبو نُعَيْمٍ، لأن خبزه أنعم الأخباز وأصفاها.

الضيم: الذل، وجعله صابراً على كل ذل، لأنه لا يصل من صورة البر إلى الخبز إلا بعد علاج شديد، وتغير له من حال إلى حال.

وفسر معنى أبي حبيب بقوله: المحبب إلى كل لبيب. وقوله: المقلب بين إحراق وتعذيب، يريد أن ما ولي من الجدي النار وقت شبه احترق، وما لم يلهأ أدركه حرّها فأنفضجه وأسأل ودكه، فذلك تعذيبه. أهب: ادع به وصيخ به.

وكئى الخل أبا ثقيف لأنه يثقف الطعام، أي يحذقه فيطيب للأكل.

أليف: صاحب، وإنما قال: حبذا هو من صاحب، لقوله ﷺ: «نعم الإدام الخل»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشطر الثاني من الرجز بلا نسبة في المخصص ٢٨٨/١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في الأطعمة باب ٣٩، والنسائي في الأيمان باب ٢١، وابن ماجه في الأطعمة باب ٣٣، والدارمي في الأطعمة باب ١٨.

وكنى الملح أبا عون، لأنه يُستعان به على أكل الطعام، وطعام بلا ملح لا يؤكل، وقد أشار إلى هذا بقوله: فما مثله من عَوْن.

وكنى البقل أبا جميل لأنه يحسّن بحضرته الإدام ويزيّنه، أو لأنه يذهب الجميل، وهو وَدَك اللحم فيخفّ للآكل وقوله: لجَمَل أي تجميل، أليق بالتفسير الأول، ولا يمتنع من الثاني؛ وحدث وثالة أن رسول الله ﷺ قال: «أحضروا موائدكم البقل فإنه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى».

أبو الفضل بن مالك: يعجبني البقل على المائدة فإذا رأيت السكّاج نسيت البقل. السكّاج: لحم بخلّ، والسكّ بالفارسية، الخلّ، والباج اللحم، وسمي السكّاج بأمّ القرى لأنه من أجلّ أطعمتهم.

\*\*\*

وَحَيَّ هَلْ بَأَمِّ الْقِرَى، الْمُدْكُورَةُ بِكِسْرَى، وَلَا تَتَنَاسَ أُمَّ جَابِرٍ، فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ، وَنَادِ أُمَّ الْفَرَجِ، ثُمَّ افْتِكْ بِهَا وَلَا حَرَجِ، وَاخْتِمِ بِأَبِي رَزِينٍ، فَهُوَ مَسْلَاةٌ كُلِّ حَزِينٍ، وَإِنْ تَقَرُّنْ بِهِ أَبَا الْعَلَاءِ، تَمَحَّ اسْمُكَ مِنَ الْبُخْلَاءِ. وَإِيَّاكَ وَاسْتِذْنَاءَ الْمُرْجَفِينِ، قَبْلَ اسْتِثْلَالِ حُمُولِ الْبَيْتِ، وَإِذَا نَزَعَ الْقَوْمُ عَنِ الْمِرَاسِ، وَصَافَحُوا أَبَا إِيَّاسٍ، فَأَطِفْ عَلَيْهِمْ أَبَا السَّرْوِ، فَإِنَّهُ عُثْوَانُ السَّرْوِ.

\*\*\*

وَأَمَّ الشَّيْءَ: معظمه وجليله، ومنه أَمَّ القرآن الحمد لله، وأَمَّ القرى لمكة المشرفة، وأَمَّ الشَّيْءَ أجله، والقرى: طعام القصيف، فكانه قال: عَجَلْ بطعام فاضل. يقدّم للضيف. وكسرى ملك الفرس، وجعلها تذكّرت، لأنه أَوَّلُ مَنْ صنعت له، فاستعملها، وأمر بإجادة الصنعة في طبخها، وقيل: إن غيره طبخها واستعملها في زمن كسرى فنُسبت إليه. وكنى الْجَوَزَانَةَ بأمّ الفرج، وهي خِزَة توضع في الثَّوَر ويعلّق عليها طير أو لحم، فيسيلُ ودكه فيها ما دامت تطبخ، فنفرج عنك هَمُّ الإدام فلا تحتاج إليه فهي خَيْرُ إدامه. افتكّ بها ولا حرج، أي كُلّها ولا إثم عليك، وإن كان اللفظ يعطيك معنى آخر، فالمراد به هذا.

وكنى الخبيصَ أبا رزّين لفضله في الطعام وشرفه ورجحان ثمنه، وجعله آخر ما يؤكل، والرّزّين من الرّجال: الكثير الوقار، وقرن به الفالودج، لأنه نوع منه؛ قال بعض الطفيلية: الحلواء مثل الملك، يدخل بيتاً فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لأحد، فإذا نظروا إلى الملك تضايقوا وأوسعوا له.

وكان عبد الله بن جُدعان سيّداً شريفاً في قريش، فوقه على كسرى وأكل عنده

الفالودج، فسأله عنه فقيل له: هو الفالودج، قال: وما هو؟ قيل لباب البرّ مع غسل التحل، فقال: ابغوا لي غلاماً يصنعه فأتوه به فابتاعه، وقدم مكة فصنع بها الفالودج، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد، ثم نادى: ألا من أراد الفالودج، فليحضر! فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت، وكان يمتدحه كثيراً فقال فيه: [الوافر]

لكلّ قبيلة رأس وهادٍ      وأنت الرأس تقدّم كلّ هادي<sup>(١)</sup>  
له داع بمكة مشمعل<sup>٢</sup>      وآخر فوق دارّته ينادي  
إلى رُدج من الشّيزى ملأ<sup>٣</sup>      لباب البرّ يلبك بالشهاد

ولباب البرّ: خالص القمح، ويسمى التّشا. يلبك: يخلط، والشهاد: العسل، والفالودج: الذي رأيت سجنطلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار، ثم يعقدان بالنشا، ثم يلون الكلّ بالزعفران فيجيء متعقّ الحمرة، فيقطع قطعاً على قدر أكبر التمر، وفي شكله، ويؤتى به في الأعراس بعد الشواء، ويؤتى بالخبيص آخرًا، وخبيصهم في غاية البياض ليس كخبيص الأندلس، ويقرّص قرصاً على قدر صغار الجبن؛ فمن رآها على بعد لم يشكّ أنها جبن. ويعدّ رجال المائدة، ويؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم، وأمام كل رجل قرصته، فلا يكاد يكملها بالإكل لإفراط حلاوتها. وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق؛ وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها، واستعمال الإبل في السواقي والطواحين، ودقّ النوى لعلفها نعم، وعلى أنّ البربرية غالبية على السنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيراً من ألفاظ أهل العراق، يقولون لفرق الناس الشماسك، وكذا تسمية أهل سجنطلماسة، ويسمون البرّادة التي لشرب الماء بوقالا، وكذا تسمية أهل سجنطلماسة، وجمع البوقال بواقيل، قال الحسن بن هانئ: [البسيط]

أضمرت للنيل هجراناً ومقلنيةً      إذ قيل لي إنما التماسح في النيل  
فمن رأى النيل رأى العين من كثب<sup>٤</sup>      فلا أرى النيل إلا في البواقيل

وكان رأى التماسح أخذ رجلاً، فهجا النيل. والبرّادة عندهم آتية من صُفّر، فيها مخاطيف يعلّق فيها البواقيل، وترفع للهواء فيبرد فيها الماء.

(١) الأبيات في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٧، والبيت الثاني لأمية في لسان العرب (دور)، (شمعل)، (رذم)، وديوان الأدب ٣/٣٤٠، ومجمل اللغة ٤/٢٦٣، وجمهرة اللغة ص ٥٠٢، وتاج العروس (دور)، (جدع)، (شمعل)، ولعبد الله بن الزبيري في ملحق ديوانه ص ٥٥، وتهذيب اللغة ١٤/١٥٤، وبلا نسبة ففي مقاييس اللغة ٢/٣١٢. والبيت الثالث لأمية بن أبي الصلت في أساس البلاغة (ردح)، وجمهرة اللغة ص ٥٠٢، وسمط الألي ص ٣٦٣، ولسان العرب (رجح)، (ردح)، (شهد)، (لبك)، (رذم)، والمعاني الكبير ١/٣٨٠، ولأبي الصلت في المستقصى ١/٢٨١، ولأمية أو لأبي الصلت في الدرر ١/٢٤٩، ولابن الزبيري في لسان العرب (شيز)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨١٢، والمقرب ١/١٦٣.

قوله: المرجفين، الطست والإبريق، لأنّ لهما عند أخذهما صوتاً، بنقر أحدهما في الآخر، فكان ذلك الصوت يرجف، أي يخبر بتمام الطعام والحث على القيام.

أبو بكر الصفار: حضر مجنون بالكوفة طعاماً قوم، فجلس يأكل، فجعل الغلام يحرك الطست والإبريق، فقال: من هذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا؟

بينما طفيلي يأكل، سمع صوت دقّ الأسنان، فامتنع من الأكل ف قيل له: ألا تأكل؟ قال: حتى يسكن هذا الإرجاف الذي أسمع.

وقيل لطفيلي: ممّ اصفرّ وجهك؟ قال: من فترة بين قُصعتين، مخافة أن تكون قد فנית.

استقلال: ارتفاع. حمول البين، أي إبل الفراق، ويريد بها الموائد لأنها إذا ارتفعت يفرق أهل المجلس، فيقول: إياك أن تقربهما قبل أن ترتفع الموائد، فيتهدأ الناس للغسل والانصراف، فإن غسلت الأيدي والموائد باقية توهم أن ثمّ طعاماً يُستأنف أكله.

نزع: زال وتنحى. المراس: غسل الأيدي وذلك بعضها ببعض.

صافحوا: باشروا، والغسول قد تقدّم في السابعة.

أطف: اجعله يطوف وقد بينّ لما كناه أبا السرو، أنه من فعل السرى من الرجال، وعنوان السرو: دليل المروءة.



قال: ففقه ابنه لطائف رموزه، بلطافة تمييزه، فطاف علينا بالطيبات والطيب، إلى أن آذنت الشمس بالمغيب. فلَمّا أجمعنا على التّوديع، قُلْنَا له: أَلَمْ تَر إلى هَذَا اليوم البديع، كيف بَدَأَ صُبْحُهُ قَمَطَرِيّاً، وَمُنِيَّهُ مُسْتَبِيراً! فسجد ثم رفع رأسه، وقال [مجزوء الكامل]

لا تَبْأَسَنَّ عِنْدَ الثُّوْبِ	مَنْ قَزَجَةٍ تَجْلُو الكُرْبِ
فَكَلِمَ سَمُومٍ هَبْ ثـ	مَ جَرَى نَسِيماً وَانْقَلَبْ
وَسَحَابٍ مَكْرُوهٍ تَنَشَّى	فَاضْمَحَلْ وَمَا سَكَبْ
وَدُخَانٍ خَطْبٍ خِيفَ مِنْـ	هُ فَمَا اسْتَبَانَ لَهُ لَهَبْ
وَلَطَّالِماً طَلَعَ الْأَمْسَى	وَعَلَى تَفِيئَتِهِ غَرَبْ
فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْ	غُ فَالزَّمَانُ أَبُو الْعَجَبْ
وَتَرَجْ مِنْ رَوْحِ الْإِلـ	هِ لَطَائِفاً لَا تُخْتَسَبْ

قال: فاستمّلنا منه أبياته الغرّ، وواليتنا لله تعالى الشكر، وودّعناه مشرورين ببرّه،

مغمورين ببرّه:



قوله: «فقه»، أي فهم لطائف: دقائق. رموزه: إشارات الخفية، والزُّمَر: الإشارة بالشفقتين أو العينين. آذنت: أعلمت. أجمعنا: عزمنا. البديع: العجيب. قمطريرا: مظلماً، ورجل قمطير: شديد العبوس، واقمطرُ القوم: اشتدوا. الصُّبْح والمُسَى: اسمان لوقت زوال الظلام والضياء مستتيراً: كثير الضوء.

والثُّوب: النوازل. فُرْجة: راحة. تجلو الكُرب: تزيل الهموم، وأنشدوا في هذا المعنى: [الخفيف]

لا تضيقن في الأمور فقد تُكـ شِفْ عَمَّاؤَها بغير احتيال<sup>(١)</sup>

رُبما تكره النُفوس من الأمر رله فُرْجة كحل العِقبال

كذا أنشدوه فُرْجة بالفتح، والفُرْجة بالضم في الحائط وشبهه، وبالفتح في الأمر، وانظر هذا البيت في الأربعين في أخبار [أبي] عمرو بن العلاء.

سَموم: ريح حارة. نسيماً: ريحاً ليّنة. تنشئ: ابتدأ وظهر. اضمحل: زال. سكب: أمطر خطب: أمر شديد. لهب النار: اشتعالها بغير دخان، وفي هذا المعنى قال أبو نواس: [الكامل]

خَفَضَ عليك ولا تَكُنْ قَلِقَ الحَشا مَما يَكُونُ وَعَلَهُ وَعَسَاءُ

فَالذَّهْرُ أَقْصَرُ مُدَّةَ مَما تَرَى وَعَسَاكَ أَنْ تُكْفَى الَّذِي تَخْشَاءُ

وقال أيضاً: [الرمل]

حَسُنَ الظَّنُّ بِمَنْ قَدْ عَوَّذَكَ كَلَّ إِحْسانَ وَقَوَّيْ أَوَّذَكَ

إِنْ رِبا كَانَ يَكْفِيكَ الدِّي كَانَ بِالْأَمْسِ، سِيَكْفِيكَ عَدَّكَ

الأسى: الحزن. تفيئته، أي حينه، وقال الزبيدي في الأبنية: جاء على تفيئة ذلك، وتَفَيْئُهُ حينه ووقته. والرُّوح. الرزق: السرور والفرح، والرُّوح: بَزْد نسيم الراحة.

اللطائف: جمع لطيفة، وهي رَفَقَ الله تعالى بعباده وإحسانه إليهم، واللطيف: الرفيق والمحسن، وأراد في البيت: ارجُ في شدائدك الله، فله الطاف كثيرة لا تحصى بالعدة، فبعد العسر يُسر.



(١) البيت الأول لامية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٤٩، ولسان العرب (فرج)، وتاج العروس (فرج)، والبيت الثاني لامية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٥٠، والأزهية ص ٩٥، وحامسة البحري ص ٢٢٣، وخزانة الأدب ١٠٨/٦، ١١٣، ٩/١٠، والدرر ٧٧/١، وشرح أبيات سيبويه ٣/٢، والكتاب ١٠٩/٢، ولسان العرب (خرج)، وله أو لحنيف بن عمير أو لنهار ابن أخت مسيلمة الكذاب في شرح شواهد المغني ٧٠٧/٢، ٧٠٨، والمقاصد النحوية ٤٨٤/١، وله أو لأبي قيس =

## [في الفرج بعد الشدة]

وأشد أبو حاتم في معنى أبيات المقامة: [الوافر]

إذا اشتملت على اليأس القلوب      وضاق لِمابه الصَّدْرُ الرَّحِيبُ  
وَوُطِنَتْ المَكَارِهَ واطمأنت      وأرست في مكامنها الخطوبُ  
ولم تَرْ لَانْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا      ولا أغنى بحيلته الأريبُ  
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ      يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ  
وَكُلَّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ      فمَقْرُونٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ

قال أبو بكر بن الأنباري: أنشدني إسماعيل القاضي: [مجزوء الكامل]

لا تَعْتَبِنَ عَلَى النُّوَائِبِ      فَالْذَهْرُ يُزْعِمُ كُلَّ عَائِبِ  
وَاصْبِرْ عَلَى حَدَثَانِهِ      إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا عَوَاقِبُ  
وَلِكُلِّ صَافِيَةٍ قَذَى      وَلِكُلِّ خِلَالِصَةٍ شَوَائِبُ  
كَمْ فَرْجَةٌ مَطْوِيَةٌ      لَكَ بَيْنَ أَثْنَاءِ النُّوَائِبِ  
وَمَسْرُوءٌ قَدْ أَقْبَلَتْ      مِنْ حَيْثُ تُنْتَظَرُ الْمَصَائِبُ

قال القاضي رحمه الله: ما عرض لي هم فادح، فذكرت تلك الأبيات، إلا رجوت من الله الفرج، ثم تولت عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أوثر.

قال علي الكاتب: أصبحت يوماً مغموماً غمًا لا أعرف سببه، فجاءني رجل بظهر

خوار وإذا فيه: [مجزوء الكامل]

رَوْحُ فَرْدَاكَ بِالسُّحَى      تَرْجِعْ إِلَى رَوْحٍ وَطِيبِ  
لَا تَيْلَأَسْنِ وَإِنْ أَلْـ      سَخِ الدَّهْرُ مِنْ فَرْجٍ قَرِيبِ

قال: فزال عني الهم، ووجدت طعم الفرج.

وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى قال: بَثَّ لَيْلَةً بِبِلَادِيَّةٍ وَحِيداً مَغْمُوماً، فَلَمَّا انْتَهَى

الليل سمعت قائلاً يقول ولم أر شخصه: [الكامل]

فَرْجُ الْقَضَاءِ يَنْكَفُ مَنْ      بِقَضَائِهِ تَزَلُّ الْبَلَاءُ  
وَاصْبِرْ فَكُلَّ شَدِيدَةٍ      لَا يَذِيْتُ بِعُهَا رَخَاءُ  
وَقَالَ آخِرُ: [الرمل]

سَوْفَ تَبْلَى كُلَّ جَنَّةٍ      وَتَقْضِي كُلَّ مَدَّةٍ

= صرمة بن أبي أنس أو لحنيف في خزانة الأدب ١/١٧٥، ولعبيد بن الأبيسر في ديوانه ص ١٢٨، وبلا نسبة في أساس البلاغة (فرج)، وأمالى المرتضى ١/٤٨٦، والبيان والتبيين ٣/٢٦٠.



إنما الدهر عناء      وعوار مستردة  
شدة بعد رخاء      ورخاء بعد شدة  
وقال آخر: [الرمل]

خف إذا أصبحت ترجو      وارج إن أصبحت خائف  
رُبْ مكروه مخوف      فيه لئول لطائف

\*\*\*

قوله: استملينا: كتبنا. الغر: الحسان. والتينا: تابعنا. مغمورين: مغطين. برّه: إفاقته. برّه: إحسانه وإكرامه.

وحَيْهَل: قال ابن الأنباري: فيها ست لغات.

قال عبد الله بن مسعود: إذا ذكر الصالحون فحيّلاً بعمر، ومعناه أقبلوا على ذكر عمر، فتنوّن هلاً وتنصبه على المصدر، كأنه قال: مرحباً به.

الثاني: تفتح حيّ وهل وتبينها خمسة عشر.

الثالث: تسكن هاء «هلاً» هذه الشبهة لكثرة الحركات.

الرابع: حيّهل بتسكينهما جميعاً كبخ بخ.

الخامس، حيّهل إلى عمر: أي هلموا إليّ ذكره.

السادس: حيهلي على عمر: أي أقبلوا على ذكره.

### تفسير الفاظ ما تضمنته

#### هذه المقامة من كلمات

#### لغوية وكنى طفيلية وكنائيات صوفية

قوله: ذات الغريم، يعني به الزمان المتقدم، ومثله ذات الزمن.

والسمهرية: الرماح، وفي تسميتها بذلك قولان: أحدهما أنها سميت بذلك لصلابتها، من قولهم: اسمهر الشيء، إذا اشتدّ وقيل إنها منسوبة إلى سمهر زوج رديئة، وكانا جميعاً يقومان الرماح بسوق هجر فتبيّث إليهما.

وقوله: نقضاً على يقض: أي مهزولاً على مهزول.

و «الجران» باطن العنق، وقيل منه يعمل السباط.

وقوله: فضرّب الله على الآذان، أي أنلّمنا، ومنه قوله عز وجل «فضرّبنا على آذانهم في الكهف» [الكهف: ١١]، أي أثنأهم. وقيل في تفسيره منعناهم السمع.

وقوله: تكرّغنا لصلاة العجماءين، أي غسلنا أكارعنا، وهو كناية عن الضوء،

والعجماوان: صلاتا الظهر والعصر، سُمِّيَا بذلك لإسرار القراءة فيهما، ومنه الحديث: «صلاة النهار عجماء»<sup>(١)</sup>.

وقوله: هَلَمْ، أي قل هَلَمْ، وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل، والأفصح أن يوحد لفظهما مع المذكر والمؤنث والاثنتين والجمع، وبه نطق القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]، ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هَلَمْ، وللثنتين هَلُمَا، وللجمع: هَلُمُوا، وللمؤنث الواحدة هَلْمِي وللثنتين هَلُمَا، وللجمع هَلْمُنَّ.

وقوله: حَيْهَل: أي عَجَل وأسرع، يقال: حيَّ هَلْ بفلان بتسكين اللام وفتحها، وتنوينها وبإثبات النون معها، ومعه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنه: إذا ذكر الصالحون فحيَّ هَلَا بعمر، وفي حَيْهَل لغات أخر أضربنا عن ذكرها، إذا ليس هذا موضع استيفاء شرحها.

فهذا تفسير الألفاظ اللغوية.

وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنائيات الصوفية:

فأبو يحيى، كنية الموت.

وأبو عمرة: كنية الجوع، ويكنى أيضاً أبا مالك.

وأبو جامع: الخوان.

وأبو نعيم: الخبز الحواري.

وأبو حبيب: الجدي.

وأبو ثقيف: الخل.

وأبو عون: الملح.

وأبو جميل: البقل.

وأم القرى: السُّكَبَاج.

وأم جابر: الهريسة.

وأم الفرج: الجوزاب.

وأبو رَزِين: الخبيص.

وأبو القلاء: الفالوذق «كذا في الأصل».

وأبو إياس: الغسول.

والمرجفان: الطست والإبريق. وأبو السرو: البخور.

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٨٧، من حديث الحسن.

## المَقَامَةُ العِشْرُونَ

### وهي الفارقة

حكى الحارث بن همام قال: يَمُت مِيفَارِقِينَ، مع رُفَقَةٍ موافقين، لا يُمارُونَ في المُنَاجَاة، ولا يَذْرُونَ مَا طَعُمُ المُدَاجَاة، فكَنْتُ بِهِمْ كَمَنْ لَمْ يَرَمْ عَنْ وَجَارِهِ، ولا ظَعْنَ عن أَلِيفِهِ وَجَارِهِ. فَلَمَّا أَتَخْنَا بِهَا مَطَايَا التَّنْسِيَارِ، وَانْتَقَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ إِلَى الْأَوْكَارِ، تَوَاصَيْنَا بِتَذْكَارِ الصُّحْبَةِ، وَتَنَاهَيْنَا عَنِ التَّقَاطُعِ فِي الْغُرْبَةِ، وَاتَّخَذْنَا نَادِيًا نَعْتِمِرُهُ طَرَفِي النَّهَارِ، وَنَتَهَادِي فِيهِ طَرَفَ الْأَخْبَارِ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَامِ، وَقَدْ انْتَضَمْنَا فِي سِلْكِ الْإِلْتِمَامِ، وَقَفَ عَلَيْنَا دُو مِقْوَلٍ جَرِيٍّ، وَجَرَسِ جَهْوَرِيٍّ، فَحَيَّا تَحِيَّةَ نَفَاطٍ فِي الْعُقْدِ، فَتَاصَ لِلْأُسْدِ وَالتَّقْدِ، ثُمَّ قَالَ:



يَمُت: أي قصدت.

### [مِيفَارِقِينَ]

مِيفَارِقِينَ، بلدة منها إلى نصيبين ثلاثون فرسخاً، ومِيفَارِقِينَ بديار بكر، وهي من كُور الجزيرة، وكان تَمَلَّكُهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ، وَذَكَرَهَا الْمُتَنَبِّي، فَقَالَ:

نَجَانَفَ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَسْرِقُ لِمِيفَارِقِينَ وَنَرْحَمُ

الْفَنَجْدِيهِ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَدْبَاءِ يَقُولُ: سُمِّيَتْ مِيفَارِقِينَ، لِأَنَّ ذَا الرِّمَّةَ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْعِشَاقِ، لَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا بِالْإِتْفَاقِ، وَشَهِدَ وَجْهَ أَهْلِهَا الْمَلَاحِ، وَالْعَيُونَ السَّقِيمَةَ الصَّحَاحِ، وَعَايَنَ رَشَاقَةَ الْقُدُودِ، وَلِبَاقَةَ الْخُدُودِ، وَسَوَادَ الطَّرَرِ، وَبَيَاضَ الْغُرَرِ، وَسَمَرَةَ الشَّفَاهِ اللَّعْسِ، وَحَمْرَةَ الْوُجُنَاتِ وَالْجَبَاهِ الْمُلْسِ، لَقَالَ لِصَاحِبَتِهِ: مِيفَارِقِينِي، وَلَا تَرَاغِبْنِي، فَلَا يَجُوزُ التَّيَمُّمُ مَعَ وَجُودِ الْمَاءِ، وَلَا حَاجَةٌ إِلَى الدَّوَاءِ بَعْدَ الْبَرِّ وَالشِّفَاءِ.



قوله: «يمارون» أي يجادلون ولا يخالفون. المناجاة: المحادثة المدجاة: المسطرة بالعداوة. لم يرم: لم يزل. يقال ما رامني ولا يريمني، أي لم يبرح عني ولا زال، ولا يقال إلا منفيًا وجاره: بلده، وأصله الجحجر: ظعن: رحل. أليفه: صاحبه. الأكوار:

الرحال. الأوكار: البيوت، يريد أنهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن، فتركوا النقلة وأقاموا في البيوت. تناهينا: نهى بعضنا بعضاً. نادياً: مجلساً. نعتمره طرفي النهار، أي نجلس فيه بالغدو والعشي طُرف: غرائب. السُّلك: خيط النظام. وانتظمنا: اجتمعنا فيه. الالتئام: الاتفاق، يقال: لسان جريء مقدم على الكلام. جرس: صوت. جُهورِيّ: عالٍ. نفاث: ساحر، والعُقد: ما يعقدها السحرة وينفثون عليها بالبصاق قناص: صائد. الثُّقد: غنم صغار. [السريع]



عِثْدِي يا قوم حديثٌ عَجِيبٌ	فيه اعتبارٌ للبيب الأريب
رأيت في ريعان عُمرِي أخنا	بأس له خد الحسام القُضيب
يُقَدِّم في المعرك إقداماً مَنْ	يُوقِنُ بالفتك ولا يستريب
فيُفْرِج الضيق بكرايته	حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الأقران إلا أنشنى	عن موقف الطعن برمح خُصيب
ولا سَمًا يَفْتَحُ مُسْتَضْعَباً	مُستغلق الباب منيعاً مهيب
إلا وتودِي حِين يَسْمُو لَهُ	نَضْرُ من الله وفتح قريب
هذا وكَم من لَيْلَةٍ باتَهَا	يَمِيسُ في بُزْدِ الشَّبابِ القُشِيبِ
يرتشف الغيدَ وَيرْشِفُهُ	وهو لَدَى الكُلِّ الْمُقْدَى الحبيب
فَلَم يَزَلْ يَبْتَزُّهُ دَهْرُهُ	ما فيه من بَطْشٍ وعودِ صَليب
حتى أصارته اللَّيالي لَقَى	يعاقبه مَنْ كانَ مِنْهُ قَرِيب
قد أَعْجَزَ النِّزَاقِي تَخْلِيلُ مَا	بِهِ مِنَ الدَّاءِ وَأَغْيَا الطُّبِيبِ
وصارم البيضِ وصار مِنْهُ	مِنْ بَعْدِ ما كانَ المِجَابِ المِجِيبِ
وَأَض كَالْمَنْكُوسِ فِي خَلْقِهِ	وَمَنْ يَعْشُ يَلْقُ دَوَاهِي المَشِيبِ
وها هو اليوم مسجى فَمَنْ	يَرْغَبُ في تَكْفِينِ مَيِّتٍ غَرِيبِ



والبيب والأريب: كلاهما بمعنى العاقل. رِيْعان: أول. أخا بأس: صاحب شدة الحُسام القُضيب: السيف القاطع. المعرك: موضع القتال، وأراد به فروج الأيكار. الفتك: سَفْكَ الدم، وهو أيضاً ركوب الرجل ما هم به. كرات: دفعات ورجعات. ضنكا: ضيقا. رحيب: واسع. بارز: قاتل الأفيان: الأمثال في الشدة وغيرها. انشنى: رَجَعَ. خُصِيب: مخضوب، يريد أيضاً افتضاض الأيكار. سما: ارتفع وقام. منيع، أي صعب ممنوع مهيب: مخوف. يَمِيس: يتبختر. يرتشف: يقبل ويمص ريقهن. والترشف: المص الكثير. والتغيد: جمع غَيْدله، وهي اللينة المفاصل من النعمة، وقيل:

المائلة العنق في نعمة. يبتزّه: بجزّه. والبطش: القوة والتناول الشديد. صليب: قوي شديد. لقي: طريحاً. يعافه: يستثقله ويكرهه. تحليل: إذهاب وإزالة، وتخلل الداء: ذهب شيئاً فشيئاً. أعيا: غلب. صارم: قاطع. البيض: النساء الحسان. المجاب: الذي تجيبه النساء لحاجته منهنّ. والمجيب: الذي يجيبهن لحاجتهنّ منه. آصر: رجع: المنكوس: المردود إلى حالته الأولى من الضعف، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْيبًا﴾ [الروم: ٥٤]، فردّه إلى الحالة الأولى، وهذا هو التّكسّر في الخلق، والتّكسّر في المرض أن يمرض، ثم يبرأ ثم يمرض والتّكسّر في السهام: أن ينكسر السهم، فيجعل في الجعبة محوّل الكسر إلى فوق، فإذا أدخل الرامي يده في الجعبة ليأخذ سهماً فوجده محوّل تركه وأخذ غيره. دواهي المشيب: حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك. ونذكر هنا من الأدب ما يليق بالموضع.



### [الضعف والكبر]

دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلاثمائة سنة، فقال: كيف تجدك يا مستوغر؟ فقال: أجدني قد لان منّي ما كنت أحبّ أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحبّ أن يلين، وابيض مني ما كنت أحبّ أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت أحبّ أن يبيض، ثم أنشأ يقول: [الرجز]

سلني أنبئك بآيات الكِبَرِ      نَوْمُ الْعَشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ  
وقلة الطعم إذا الزاد خَضِرُ      وتركك الحسناء من قبل الظُّهْرِ  
\* والناس يَبْلَوْنَ كما تَبْلَى الشَّجَرُ \*

ثم قال: ألا أخبركم بجيد العنب؟ هو ما زوي عمودّه، واخضر عوده، وتفرّق عنقودّه. ألا أخبرك بجيد الرُّطْب؟ هو ما كبر لحاه، وصغر نواه، ورق سحاه. وفي الزبور: مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ.

وقال ابن أبي معن: [البسيط]

من عاش أخلقت الأيام جدّته      وخانه ثقتاه السَّمْع والبَصَرُ



قوله مسجّي: أي مغطى.

ووصف في أوّل الشعر ذكره بالشدة وفي آخره باللين، وأذكر من الصفتين ما يكون من شرط ما ذكر.

حكى أبو زياد الكلابي، قال: كان عندنا أبو الغريب شيخاً فتزوج ولم يُولم،  
فاجتمعنا على باب خبائه فصحنّا: أولم ولو بربوع، أو بقرد مجذوع، قتلنا من الجوع:  
فأولم، فلما عرس غدونا عليه فقلنا: [الرجز]

يا ليت شعري عن أبي الغريب      إذ بات في مجاسدٍ وطيب  
معانقاً للرشأ الرئيب      أأحمد المحفار في القليب  
\* أم كان رخواً يابس القضيبي \*

فصاح: يابس القضيبي والله! ثم أنشأ يقول: [البسيط]

سقياً لعهد خليلٍ كان يأم لي      زادي ويذهب عن زوجاتي الغضب  
كان الخليل فأضحى قد تحوّنه      مر الزمان وتطعاني به الثقب  
يا صاح أبلغ ذوي الزوجات كلهم      أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب  
والقوافي وقعت في لفظ يعقوب موقوفة. وعرا الذنب: عروق الذكر.

وكان أبو البيداء الأعرابي عثياً، وكان يتجلّد ويقول لقومه: زوجوني امرأتين،  
فيقولون: أما واحدة كفاية! فيقول: أما لي فلا، فزوجوه أعرابية، وقالوا له: إن كفتك  
وإلا زوجناك الأخرى، فدخل بها، وأقام عليها أسبوعاً فزاره إخوانه في اليوم السابع،  
فقالوا له: يا أبا البيداء، ما كان من أمرك في الأول؟ فقال: عظيم جداً، فقالوا: ففي  
اليوم الثاني، فقال أعظم وأجلّ، قالوا: ففي اليوم الثالث، قال: لا تسألوا، فقالت امرأته  
من وراء السّتر: [الكامل]

كان أبو البيداء ينزو في الوَهَق      حتى إذا ما حلّ في بيت أُنق  
فيه غزال حسن الدّل خرق      مارسه حتى إذا رفض العرق  
\* تكسر المفتاح وانسدّ العلق \*

الوَهَق: حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة، والألق الجيد. وينزو: يمتد  
ويقصر.

وتزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع، فعجز عنها فقال: [البسيط]

يا لهف نفسي على نَعَطٍ فجعت به      حين التقى الركب المحلوق والركب<sup>(١)</sup>

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية، فنظرها نظراً شديداً، فقالت له:  
ما لك تنظر، فوائه لو كان لي ألف جرٍ ما طمعت في واحد، قال: ولم يا لخناء؟ قالت:  
لقبح منظرك وسوء مخيرك فيما أرى، فقال لها: أما والله لو خبّرتني لغفر مخبري على

(١) البيت للفرزدق في تاج العروس (ركب) وليس في ديوانه، وفي التاج «بالركب» بدل «والركب».

منظري، ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر، فكشفت له عن مثل سنام البعير، فتسّمها، وقال: [السريع]

أدخلت فيها كذراع البكر      مُدَمِّلَج الرأس شديد الأثر  
زاد على شبر ونصف شبر      كأنما أولجته في جُمَر

وسمع بشار كلام امرأة، فأحبها وأرسل لها أن تواصله، وألح عليها، فقالت لرسوله؛ أي معنى له في أولي فيه، وهو أعمى لا يراني، فيعرف جمالي، وهو قبيح الوجه لا حظ لي فيه! فليت شعري لأي شيء يطلب وصال مثلي! فأذى إليه الرسول كلامها، فقال عُدْ إليها فقل لها: [الكامل]

أُتِرِي له فضل على آبارهم      وإذا أشطَّ سجدن غير أوابي<sup>(١)</sup>  
تلقاء بعد ثلاث عشرة قائماً      نظر المؤذن شك يوم سحاب  
وكأن هامة رأسه بِطُيْحَة      حُمِلت إلى ملك بدجلة جابي

وعشق امرأة وتردّد رسوله إليها حتى أبرمها، فشكته إلى زوجها، فقال: أجيبيه وعديهِ إلى هنا، ففعلت ووجّهت له، فجاء ولم يعرف بزوجها، فقال لها: ما اسمك بأبي أنت وأمي! فقالت: أمانة، فقال: [الكامل]

أمانة قد وُصِفَت لنا بحسن      وإنّا لانراك فالْمُسَيِّنَا

فوضعت يده على أُنثَر زوجها، وقد أنعظ لحسن حديثها معه، ففزع ووثب قائماً وقال: [الوافر]

عليّ أليّة ما عشتِ حيّاً      أمسك طائِعاً إلّا بعود  
ولا أهدي لأرض أنت فيها      سلام الله إلّا مِنْ بَعِيد  
طلبْتُ غنيمةً فوضعت كُفّي      على أُنثَر أشدُّ من الحديد  
فخير منك مَنْ لا خير فيه      وخير من زيارتكم قُعودي

فقبض زوجها عليه، وقال: هممت أن أفضحك، فقال: كفاني فديتك ما فعلت بي، والله لا أعود لمثلها أبداً.

سمع الحكم بن عبدل امرأة تتمثل بقوله: [الطويل]

وأغسير أحياناً فتشتدّ عسرتي      فأدرك ميسور الغنى ومعِي عِزُّضي

فقال لها: يا أختي، أتعرفين قائل هذا الكلام؟ قالت: هو ابن عبدل، قال: أفتعرفينه عينا؟ فقالت: لا، والله، فقال: أنا هو، والذي أقول: [الطويل]

وَأَعِذْهُ جُهْدِي فَلَا يَنْفَعُ الْعِذُّ  
وَأَزْدَادُ تَغْطَا حِينَ أَسْمَعُ جَارَتِي  
وَرُبَّمَا لَمْ أَذِرْ مَا حِيلَتِي بِهِنَ  
فَأَوَيْتَهُ فِي بَطْنِ جَارِي وَجَارَتِي  
فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: بئس الجار والله للمغيبة أنت، قال: إي والله وللتّي معها زوجها  
وابنها وأخوها، أين قول هذا على إسلامه من قول عترة على جاهليته: [الكامل]

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي  
حَتَّى يَوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا<sup>(١)</sup>  
إِنِّي أَمْرُؤُ سَمُحُ الْخَلِيقَةِ مَا جِدْتُ  
لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا  
وَقَالَ أَبُو الرِّقْعَمَقِّ: [الرمْل]

كُلُّ يَوْمٍ أَنَا مِنْ أُنْزِي  
فِي أُنْزِي عَجَابِ  
لَيْسَ يَخْلِينِي مَنْ هُمُ  
وَحُزْنٌ وَاكْتِئَابِ  
عَيْنُهُ فِي كُلِّ مَنْ دَبَّ  
عَلَى وَجْهِ الثَّرَابِ  
لَمْ يَدْعُ لِي ذَهَبًا إِلَّا  
رَمَاهُ بِالذَّهَابِ  
وَابْتَدَى الْمَشْؤُومُ أَنْ يَغْفِرَ  
مَلَّ فِي بَيْعِ الثِّيَابِ  
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْنِي  
هَ وَبِرَاغِيثِ الْكِلَابِ

وللمفجع البصري في ضد ما تقدم، والمفجع صاحب ابن دريد، والقائم مقامه  
بالبصرة في الإملاء: [الخفيف]

لِيْ أُنْزِرْ أُرَاحِنِي اللَّهُ مِثْلُهُ  
صَارَ هَمِي بِهِ عَرِيضاً طَوِيلَا  
نَامَ إِذْ زَارَنِي الْحَبِيبُ عِنَادَا  
وَلَعَّهْدِي بِهِ يَنِيكَ الرُّسُولَا  
حُسِبَتْ زُورَةٌ عَلَيَّ لِحَيِّينَ  
وَانْصَرَفْنَا وَمَا شَفِينَا عَلِيلَا  
وَلِرَاشِدِ بْنِ إِسْحَاقَ: [الخفيف]

طَالَمْنَا قَمْنَتْ كَالْمَنَارَةِ نَهْتَزُ  
اهْتَزَّازَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْعَيُونُ  
رَبِّ يَوْمٍ رَفَعْتُ فِيهِ ثِيَابِي  
فَكَأَنِّي فِي مَشِيَّتِي مَخْتُونُ  
فَحَنْتُ قَوْسَكَ الْخُطُوبِ وَأَفْنَتَ  
كَ فَتَوْتُ تَفْنَى عَلَيْهَا الْقُتُونُ  
لَمْ يَدْعُ مِنْكَ حَادِثُ الدَّهْرِ إِلَّا  
جِلْدَةٌ كَالرِّشَاءِ فِيهَا غُضُونُ  
تَتَشَنَّى كَأَنَّهَا صَوْلَجَانُ  
أَوْ كَمَا حُرِّقَتْ مِنَ الْخَطِّ نُونُ



وله أيضاً فيه : [البسيط]

كانه حين أطويه وأنشره      سير يُلَفُّ على دَوامة الزُّيبي  
وإن يقيم قلت قشةً معتفكة      أو عروة رُكِّيت في رأس إبريقي

وله أيضاً فيه : [البسيط]

أُيِّرَ ضعيف المتن رثَّ القوى      لو شئت أن أعقده لانعقد  
إن يُمسَّ كالبقلة في لينها      فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضاً فيه : [الطويل]

ينام على كَفِّ الفتاة وتارة      له حركات ما يُجسُّ بها الكف  
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه      إلى أبويه ثم يدركه الضعف

الفنجديهي : سمعت الحافظ أبا جعفر المروزي يقول : مازحت شيخنا نجيب بن ميمون الواسطي يوماً - وكان شيخاً دمثاً ظريفاً - فقلت له : أخبرني هل بقي - من سلطان الهوى شيء؟ وهل تقوم للخدمة العكازة الميمونية؟ فقال : آه آه، ثم أنشد : [الطويل]

تعقَّف فوق الحُصيتين كأنه      زُشاً على رأس الركبة ملتف  
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه      إلى أبويه ثم يدركه الضعف  
وأنشد أيضاً : [البسيط]

يقوم في الليل عند البول منحنياً      كأنه قوس نُدافٍ بلا وَترٍ  
ولا يقوم إذا نَبَّهته سحراً      كما تقوم أيور الناس في السحر  
ثم بكى بكاء شديداً، وذكرنا ووعظنا.

وهذه الأبيات المنسوبة لراشد بن إسحاق كلها من قصائد له مطوَّلة في هذا الفن، وأكثر شعره فيه، وله فيه شعر كثير؛ ومنه انتزع الحريري قصيدته في هذه المقامة

\*\*\*

ثم إنه أعلن بالنحيب، وبكى بكاء المحبِّ على الحبيب. وَلَمَّا رَقَات دَمَعَتُهُ، وانفثت لَوَعَتُهُ، قال: يا نُجْعةَ الرُّؤَادِ، وَقُدُوةَ الأَجَوَادِ، وَاللَّهِ مَا نَطَقْتُ بِنَهْتَانٍ، وَلَا أَخْبَرْتُكُمْ إِلَّا عَنْ عِيَانٍ، وَلَوْ كَانَ فِي عَصَايَ سَيِّرٌ، وَلِغَيْمِي مُطِيرٌ؛ لَاسْتَأْثَرْتُ بِمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَلَمَّا وَقَفْتُ مَوْقِفَ الدَّالِّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ الطَّيْرَانِ بِلَا جَنَاحٍ، وَهَلْ عَلَى مَنْ لَا يَجِدُ مِنْ جَنَاحٍ!

\*\*\*

قوله: «أعلن» أي رفع صوته. والنحيب: البكاء. وفي بكاء المحب على الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى: [المتقارب]

أتتني تؤتبنني في البكاء      فأهلاًبها وبتأنيبها  
تقول وفي قولها حكمة      أتبكي بعين تراني بها!  
فقلت: إذا استحسنت غيركم      أمرت البكاء بتأديبها

قوله: رقات، أي انقطعت. انفثأت: انكسرت وسكنت. لوعته: حرقة. النجعة: المرعى. الرواد: الطالبون لها. بهتان: باطل. عيان: معانة.

قوله: «في عصاي سير» مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة. والسير: الشراك يدخل في ثقب في رأس العصا ويعقد منه حلقة، يدخل فيها يده التي تمسك العصا، فتكون أشد لاعتماده عليها، وضربه بها، فجعل عصاه عاطلة من سيرها، وهو يريد أن لا منفعة عنده.

وأشدوا: [الرجز]

يا لك من همّة وخير      لو كان لي في عصاي سير  
صبراً على النائبات صبراً      ما يصنع الله فهو خير  
فمن قليل بدا كثير      كم مطر بدؤه مُطْنير



### [مما قيل في العصا]

وذكر الجاحظ فوائد العصا، فمنها: سئل يونس عن قول الله عز وجل: ﴿وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ آخَرٌ﴾ [طه: ١٨] فقال: لست أحيط بجميع مأرب موسى، لكنني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة إليها:

من ذلك أنها تُحسَل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج، وتُوكأ عليها الكبير والسقيم والأطعم والخطيب والأعرج، فتنوب للأعرج عن ساق أخرى [وتنوب] للأعمى عن قائده. وهي للقصار والذباغ وهي المفاد للملّة ومحرك للتثور، ولدق الجصّ والسّمسم، ولخبط الشجر، وللشرطي والمكاري، وللراعي غنمه، وللراكب مركبه، ويؤيد في الحائط، وتركزها فتجعلها قيلة، وإن شئت مظلة، وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك، والثاني في يد صاحبك، وإن كان فيها رُج كانت عترة، فإن زدت شيئاً، كانت عكازاً، فإن زدت شيئاً كانت مطرداً، وإن زدت شيئاً كانت رمحاً.

وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه، وكانت لا تفارق يد سليمان عليه الصلاة والسلام في مقاماته، حتى سلط الله الأرضة وهو ميت فسقط، فكانت للجن آية.

وكان الحكم بن عبدل أعرج أحذب هجاء خبيث الهجاء، وكان الشعراء يقفون  
بأبواب الملوك فلا يؤذّن لهم، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها، فلا تؤخر له  
حاجة، فقال يحيى بن نوفل : [الطويل]

عصا حَكَم في الباب أوّل داخل      ونحنُ على الأبواب نُقْصَى وَتُحَجَّبُ  
وكانت عصا موسى لفرعون آية      وهذي لعمر الله أدهى وأعَجِبُ  
تُطاع فلا تعصَى ويُحذر أمرُها      ويُرغب في المرضاة منها وتُرهبُ

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة، وصارت ضحكة، فاجتنب أن يكتب  
عليها.

وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى ابن عُلَيْة، وكان ابن عبدل قد أقعد،  
فخرج ليلة إلى منزل بعض إخوانهما، وابن عبدل يُحَمَل والأعمى يقاد، فلقيهما صاحب  
العَس، فأخذهما وحبسهما. فنظر ابن عبدل إلى عصا ابن عليه في الحبس إلى جانب  
عصاه، فضحك وقال : [مجزوء الكامل]

حَبْسِي وَحَبْسُ أَبِي عُلَيْة      ع من أعاجيب الزُمانِ  
أعمى يُقَاد ومَقْعَدُ      لا الرُّجُل منه ولا اليَدانِ  
يا من رأى ضَبَّ الفِلا      وقعيد موت في مكانِ  
طِرْفِي وطِرْفُ أَبِي عُلَيْة      دَفَرْنَا متوافقانِ  
من يفتخر بجواده      فـجـيـادنا عـكـازانِ

وقال أيضاً : [الطويل]

أقول ليحيى ليلة السجن سادراً      ونومي به نوم الأسير المقيّد  
أعني على حفظ النجوم ورعيها      أعنك على تحبير شُغْرِ مُقْصِدِ  
ففي حالتينا عبرة وتفكّر      وأعجب من ذا حبس أعمى ومقعدِ  
كلانا إذا العكاز فارق كفه      يُنيخ صريعاً أو على الكف يسجدِ  
فعكّازة تهدي إلى السُّبُل أكتّمها      وأخرى مقام الرّجل قامت مع اليَدِ

وولي إمرة الكوفة أعرج وولي شرطتها أعرج، فقصد الأمير ابن عبدل وهو أعرج،  
ووجد سائلاً أعرج فقال : [الكامل]

ألقي العصا ودّع التخامع والتمس      عملاً فهذي دولة العُرْجَانِ  
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً      يا قومنا الكلّيهما رِجْلانِ  
فلإذا يكون أميرنا ووزيرنا      وأنا فإنّ الرابع الشيطانِ

فبعث إليه الأمير بمائتي درهم فضة وسأله أن يكفّ.

وكثيراً ما تصرّف الشعراء في ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم، فمنها ما يحسن ومنها ما يقبح . وقال ابن سارة : [البسيط]

ولي عصاً من طريق الذمّ أحمدها      بها أقدم في تأخيرها قذمي  
كأنها وهي في كفي أثث بها      على ثمانين عاماً لا على غنمي  
كأنني قوس رام وهي لي وتر      أرمي عليها سهام الشيب والهرم  
وقال أبو بكر البلوي : [الطويل]

كأن يميني حين حاولت بسطها      لتوديع إلفي والهوى يصرف الذمّ  
يمين ابن عمران وقد حاول العصا      وقد جعلت تلك العصا حيّة تسعى

قال ابن رشيق : كنت أميل إلى قينة اسمها ليلي ، فعشقها بعض خدام الحصون ، وكان يخسب خدمتها وكنسها منزله لا يثلم جاء متوليها فنهته عنها فلم يته ، فقلت فيه : [الخفيف]

ظن أن الحصون ملك سليمان      ن وليلى بجهله بلقيس  
وله في العصا مآرب أخرى      حاش لله أن تكون لموسى  
وقال الصابي : [الكامل]

يُبدي اللواط مغالطاً وعجانه      أبداً لأغراض الورى يستهدف  
فكانه ثعبان موسى إذ غدا      لحبالهم وعصيهم يتلقف  
وقال صاحب : [السريع]

هذا ابن مئوية له آية      يبتلع الأثر وأقصى الخصى  
يكفر بالرسول جميعاً سوى      موسى بن عمران لأجل العصا

وقال أبو الفرج الأصبهاني في القاضي الأندنجي ، والشمس منه عكازة فلم يعطها إياه : [البسيط]

اسمع حديثي تسمع آية عَجبا      لاشيء أعجب منه يَبْهَرُ القصصا  
طلبت عكازة للرجل تحملي      ورُمّتها عند من يخفي العصا فعصى  
وكنت أحسبه يهوى عصا عَصِب      ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم والياً على خراسان سقطت المخصرة من يده ، فتطير به أهل خراسان ، فقال : يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ، ولكن كما قال الشاعر : [الطويل]

فألقت عصاها واستقر بها الثوى      كما قرّ عيناً بالإياب المسافر  
وأما قول الشاعر : [الطويل]

وبكفيك ألا يرحل الضيف لائماً      عصا العبد والبئر التي لا تميها

فقال يعقوب: البثر هنا حفرة تجعل فيها المَلَّة وتجعل عليها الخبزة، والعصا تقلب بها الخبزة على المَلَّة، وينفض بها الرماد.

وقال آخر: [الطويل]

إذا جاء ثَقاف يَجْرُ قَنَائُهُ طَوِيلُ الْعَصَا نَكَبْتَهُ عَنْ شَيْهَانَا

فالثَقاف الرسول بين المريب والمريبة، يأتي كالسائل، فإذا وقف ثقف الأرض بعصاه، فإذا سمعت المرأة ذلك خرجت إليه، فأبلغها الرسالة، فنفقه علامة بينهما وأراد بالشيء النساء.

قوله: «غيمي»، أي سحابي. مُطِير: تصغير مطر، أي لو كان لي قوة ومال لآثرت بذلك نفسي. استأثرت: اختصصت. جناح: إثم.

\*\*\*

قال الراوي: فطفق القوم يأتَمرون فيما يَأْمُرُونَ، ويتخافتون فيه يأتون، فتوهم أنهم يتماثلون على صَرْفِهِ بِحِزْمَان، أو مطالبته بِبُرْهَان، ففرط منه أن قال: يا يلامع القاع، ويَرامع البِقَاع، ما هذا الازْتِيَاءُ، الَّذِي يَأْبَاهُ الْحَيَاءُ، حتى كأنكم كلُفْتُمْ مَشَقَّةَ لَا شُقَّةَ، أو استوهبْتُمْ بلدةً لَا بُرْدَةَ، أو هَزَزْتُمْ لِكُسُورَةِ الْبَيْتِ، لَا لِتَكْفِينِ الْمَيْتِ، أَفْ لِمَنْ لَا تَنْدِي صَفَاتُهُ، وَلَا تَرُشُّحُ حَصَاتُهُ!

فَلَمَّا بَصُرَتِ الْجَمَاعَةُ بِذِلَاقَتِهِ، وَمَرَارَةِ مَذَاقَتِهِ، رَفَأَهُ كُلُّ مِنْهُمْ بَيْنِيلِهِ، وَاخْتَمَلَ طَلَّهُ خَوْفَ سَنِيلِهِ.

\*\*\*

يأتَمرون: يتشاورون. يتخافتون: يتكلمون سراً. فيما يأتون، أي فيما يفعلون معه. توهم ظنً. صَرْفَهُ. رَدَّهُ.

حِزْمَان: خيبة. بُرْهَان: حجة. فرط: سبق: يَلَامَعُ: جمع يَلْمَعُ وهو السراب. القاع: منخفض الأرض. يَرامع: جمع يَرْمَعُ وهي الحصى البيض، وقيل الحجارة الرخوة.

البِقَاع: جمع بقعة، وأراد أن لهم ظاهراً وليس لهم خبرة، كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له، واليرمع تظنه فضة وهو حجر.

الازْتِيَاءُ: تدبير الرأي، وأصله الهمز لأنه من الرأي. استوهبتهم: طلبت منكم هبة. بردة: ثوب يلبس. هَزَزْتُمْ: حركتكم. البيت: الكعبة.

أف: خيبة، وقد تقدم أن الصخرة والحصاة يكنى بهما عن يد البخيل ذلاقته: حدة لسانه. رَفَأَهُ: وصله. والطل والسيل هنا: القليل والكثير.

\*\*\*

قال الحارث بن همام: وَكَانَ هَذَا السَّائِلُ واقفاً خَلْفِي، ومحتجباً بظهوري عن طَرْفِي. فلَمَّا أَرْضَاهُ الْقَوْمَ بِسَيِّئِهِمْ، وَحَقَّ عَلَيَّ التَّأْسِي بِهِمْ خَلَجْتَ خَاتَمِي مِنْ خِنْصَرِي، وَلَفْتُ بَصْرِي، فَإِذَا هُوَ شَيْخَنَا السُّرُوجِيُّ بِلَا فِزِيَّةٍ وَلَا مِزِيَّةٍ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا أَكْذُوبَةٌ تَكْذِبُهَا، وَأُخْبِلَةٌ نَصَبَهَا، إِلَّا أَنَّنِي طَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ، وَصُنْتُ شَعَاهُ عَنْ فَرِّهِ، فَحَصَبْتُهُ بِالْخَاتَمِ، وَقُلْتُ: أَرْصِدْهُ لِنَفَقَةِ الْمَأْتَمِ، فَقَالَ: وَاهَا لَكَ فَمَا أَضْرَمَ شَعْلَكَ، وَأَكْثَرَ فَعْلَكَ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَسْعَى قُدَمَا، وَيَهْرُولُ هَزُولَتَهُ قُدَمَا.



سَيِّئِهِمْ: عطاؤهم. وحق: وجب. التأسي: الاقتداء. خلجت: جذبت وأخرجت. الخنصر: الأصغر من الأصابع، يليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى المسبحة والمشيخة، ثم الإبهام، وقال أبو العلاء المعري: [المقارِب]

شغلت عن المرء من -نمسة اثـ	نيتن فخصهما المفخر
يُشار إليك بسبابة	وتثني على فضلك المخصر
فمن أجل ذا رُفَعَتْ هذه	إلى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كُسيَتْ خاتما	يزين وعُرِيَتْ البنصر

وقال صريع الغواني يلغز بخاتم: [الطويل]

وأبيض أما رأسه فمدور	نقي وأما جسمه فمعار
ولم يُتخذ إلا لتسكن وسطه	خضيبة رأس ما عليه خمار
لها أخوات أربع هن مثلها	ولكنها الصغرى وهن كبار

لَفْتُ: رددت. فَرِيَّة: كذب. مَرِيَّة: شك، وتقول: بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها، أي أحاديث كذب. تَكْذِبُهَا: استغفلها. أُخْبِلَةٌ: آلة يصاد بها. وطويته على غَرِّهِ، أي سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل، والغَرَّ بالنقط: كسور الثوب، يقال: اطو الثوب على غَرِّهِ، أي على كسور طيه الأولى.

جابر: قال النبي ﷺ: «طي الثوب راحته».

صُنْتُ: حفظت وكتمت: شغاه: غيبه. فَرِّهِ: كشفه. والشَّغَا: بروز سنٍّ على أخواتها، وخروج الحنك الأعلى على الأسفل.

وحصبت: رميته، والحصباء: الحصى الصغار، وحصبته: رميته بالحصباء، فاستعاره للخاتم.

أَرْصَدَهُ: أعده. واهَا: عجباً. ما أَضْرَمَ شَعْلَكَ، أي ما أَكْبَرَ تَوَقُّدَ ذَهْنِكَ، والشعلة

لسان النار، وإنما تعجّب منه لأنه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرف مكره حين قال له: أرصده، ثم ستر عليه، وأهل الشرق يتختمون ويتصدقون بخواتمهم. وفي البديعية بعد تشك تقدم من أبي الفتح: قال ابن هشام: فوالله ما أنسني عن وحدتي إلا خاتم ختمت به خنصره، فلما تناوله أنشأ يقول: [الكامل]

وممنطقي من نفسيه      بقلادة الجوزاء حُسنا  
متألف من غير أشـ      رته على الأيام خذنا  
كُمَتَّيْمَ لَقِيَّ الحبيبـ      بفضمه شغفاً وحزنا  
عَلَّقَ سِنِيَّ قدره      لكنْ مَنْ أهدأ أسئى  
أقسمت لو كان السورى      في المجد لفظاً كنت معنى

قال: فتبعته حتى سمرت الخلوة وجهها، فإذا والله أبو الفتح، والطلا زغلوله، فقلت أبا الفتح، شبت وشب الغلام، فأين الكلام، وأين السلام؟ فقال: [المتقارب]  
غريباً إذا جمعتنا الطريقُ      ألوفاً إذا نظمنا الخيامُ  
قوله، يسعى، أي يسرع المشي. قُذِمَاً: أي قدامه وقبالة. يهرول: يسرع، والهرولة جري بين المشي والعدو. قِدَمًا، أي قديماً وأوَّلاً، ومعناها كما فعل في أول مرة حين سعى قداماً.

\*\*\*

فنزعتُ إلى عرفانِ مَيِّتِه، وامتِحانِ دَعْوَى حَمِيَّتِه، ففرغتُ ظَنُّوبِي، وَأَلْهَبْتُ أَلْهُوبِي، حتى أدركته على غَلْوَةٍ، واجتَلَيْتُهُ فِي خَلْوَةٍ، فأخذتُ بِجُمُعِ أَرْدَانِه، وَعَقَفْتُهُ عَنْ سَنَنِ مَيِّدَانِه، وقلتُ له: والله ما لك مِنِّي مَلَجاً وَلَا مَنَاجَى، أَوْ تُرِيَنِي مَيِّتَكَ الْمُسْجَى، فكشف عَنْ سَرَائِيلِه، وَأَشَارَ إِلَى غُرْمُولِه. فقلتُ له: قاتلك الله! فَمَا أَلْعَبُكَ بِاللُّهْيِ، وَأَخِيْلَكَ عَلَى اللُّهْيِ! ثم عُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي عودَ الرَّائِدِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ أَهْلُه، وَلَا يَبْرِقْشُ قَوْلُه، فَأَخْبَرْتَهُم بِالَّذِي رَأَيْتُ وَمَا وَرَيْتُ وَلَا رَأَيْتُ، فَفَهَقُوا مِنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَلَعَنُوا ذَلِكَ الْمَيِّتَ!

\*\*\*

نزعت: اشتقت. امتحان: تجربة. قرعت: ضربت. ظنوب: مقدم عظم الساق، ويقال: قرع لهذا الأمر ظنوبه، إذا أسرع وجُدَّ فيه، وبيَّنه قول سلامة بن جندل: [البسيط]

كنا إذا أنا صارخ قَزَع      كان للصارخ له قَزَعُ الظنابيب<sup>(١)</sup>

(١) البيت لسلامة بن جندل في ديوانه ص ١٢٣، ولسان العرب (ظنّب)، (فزّع)، ومجمل اللغة ٣/ =

أي كانت إغائتنا له إسرارنا في نصرته. ألهمت: أشعلت. ألهوي: شدة جريبي. والغلو: مقدار رمية السهم. اجتليته: نظرتُه. بجمع أردائه، أي بجميع أطراف ثوبه. عفته: صرفته عن وجهه. ستن: طريق. مبداه: موضع جرية وطلقه. ملجأ: موضع يُلجأ إليه. منجى: موضع تنجو فيه. غرموله: ذكره. قاتلك الله، أي قتلك الله؛ وأكثر ما يقع فاعلت على الاثنين، وقد يكون عن الواحد، نحو ناولت وسافرت؛ وقيل: معنى قاتله، لعنه، وقيل عاداه. الثهي: العقول، واحدها نُهيّة، ومنه نهيته عن كذا فانتهى. واللها: العطايا، واحدها لهوة، وأصله القنبضة من الطعام، تُجعل في فم الرّحّا. يكذب: يحدث بالكذب: يُبرّش: يُزيّن، والبرقشة التزيين بالوان شتى. ورّيت، يقال: روّيت الخبر أوّريه توريّة: سترته وأظهرت غيره، وفي الحديث الشريف، أنه ﷺ كان إذا أراد سفراً، ورّى بغيره، وهو مأخوذ من الوّاء، كأنه جعل الخبر وراءه ولم يُظهره. راءيت: استعملت الرّياء، يريد أنه صرّح لهم بذكر العورة، ولم يُكنّ عنها. فقهقها: أكثروا الضحك. أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إياك وكثرة الضحك فإنه يُميت القلب»<sup>(١)</sup>. والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله من كيت وكيت، أي من هذه القصة التي أسمعهم؛ وكيت وكيت، كناية عن الحديث المدمج المتداخل. والله أعلم.

= ٣٦٥، وأساس البلاغة (صرخ)، وتاج العروس (ظنب)، (فزع)، وكتاب العين ١٦٥/٨، وتهذيب اللغة ٣٩٠/١٤، والكامل ص ٣، وشرح اختيارات المفضل ص ٥٨٨، وسمط اللآلي ص ٤٧، والبيان والتبيين ٤٥/٣، ٨٤، ومجمع الأمثال ٩٣/٢، والمستقصى ١٩٦/٢، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٧٠/٣، ٥٠٢/٤، والمخصص ٥٣/٢، وجمهرة اللغة ص ٥٨٦، ٨١٤.  
(١) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٢، وابن ماجه في الزهد باب ١٩، وأحمد في المسند ٣١٠/٢.



## المقامة الحادية والعشرون

### وهي الرازية

حَدَّثَ الحارث بن هَمَام قال: غُنِيتُ مَذْأَحَكَمْتُ تَذِيرِي، وَعَرَفْتُ قَبِيلِي مِنْ دَبِيرِي، بَأَن أَصْغِي إِلَى الْعِظَاتِ، وَأُلْغِي الْكَلِمَ الْمُحْفِظَاتِ، لِأَتَحَلَّى بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَتَحَلَّى مِمَّا يَسِمُ بِالْأَخْلَاقِ. وَمَا زِلْتُ أَخْذُ نَفْسِي بِهَذَا الْأَدَبِ، وَأَخْجِدُ بِهِ جَمْرَةَ الْغَضَبِ؛ حَتَّى صَارَ التَّطَبُّعُ فِيهِ طَبَاعاً، وَالتَّكَلُّفُ لَهُ هَوًى مُطَاعاً.

غُنِيتُ، أَي شَغَلْتُ. أَحَكَمْتُ: اتَّقَنْتُ. قَبِيلِي مِنْ دَبِيرِي، أَي مَا أَقْبَلُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِي وَمَا أَدْبَرُ عَنْهُ. ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَا يَعْرِفُ قَبِيلاً مِنْ دَبِيرٍ، أَي مَا يَعْرِفُ الْإِقْبَالَ مِنَ الْإِدْبَارِ، أَي مَا يَعْرِفُ مَا أَقْبَلُ بِهِ مِنَ الْقَبْلِ إِلَى الصَّدْرِ مِمَّا أَدْبَرُ عَنْهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا يَعْرِفُ الشَّاةِ الْمَقَابِلَةَ مِنَ الْمَدَابِرَةِ، وَالْمَقَابِلَةُ الَّتِي شُقُّ أُذُنُهَا إِلَى قُدَامِ، وَالْمَدَابِرَةُ الَّتِي شُقُّ أُذُنُهَا مِنْ مُؤَخَّرِهَا، وَتَرَكَ مَا قَطَعَ مَعْلَقاً إِلَى خَلْفٍ لَا يَبِينُ.

أَصْغِي: أَمِيلُ. الْعِظَاتُ: هِيَ الْمَوَاعِظُ. أُلْغِي: أَتَرَكَ. الْكَلِمَ: جَمْعُ كَلِمَةٍ الْمُحْفِظَاتُ: الْمُغْضِبَاتُ. أَتَحَلَّى: أَتَزَيَّنُ وَأَتَصَفِّ. وَأَتَحَلَّى: أَزُولُ وَأَنْفِرُ، وَتَحَلَّيْتُ مِنْ كَذَا: تَرَكَتُهُ. يَسِمُ: يُجْعَلُ سَمَةً. الْإِخْلَاقُ: الْعِيُوبُ وَتَمْزِيقُ الْعَرَضِ وَأَصْلُهُ فِي الثُّوبِ. أَحْمَدُ: أَسْكَنُ

### [الطبع والتطبع]

وَالتَّطَبُّعُ لَهُ فِي الطَّبِيعَةِ أَثَرٌ، وَإِنْ لَمْ تَذْهَبِ الطَّبِيعَةُ بِالْجَمْلَةِ، لِأَنَّهُ اتَّفَقَتْ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى قَوْلِهِمْ: الطَّبِيعُ أَمْلَكُ. وَكَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ، لَهُ وَزِيرٌ مَجْرَبٌ حَازِمٌ، فَكَانَ يَغْرِفُ الْيَمْنَ فِي مَشُورَتِهِ، فَهَلَكَ وَقَامَ ابْنُهُ بَعْدَهُ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْساً، فَذَكَرَ لَهُ مَكَانَتَهُ مِنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَغْلُطُ فِيهِ، وَسَارِيكُمْ ذَلِكَ فَأَحْضَرَهُ، وَقَالَ لَهُ: أَيُّهُمَا أَغْلَبَ عَلَى الرَّجُلِ؟ الْأَدَبُ أَوْ الطَّبِيعَةُ؟ فَقَالَ: الطَّبِيعَةُ لِأَنَّهَا أَصْلُ وَالْأَدَبُ فَرْعٌ، وَكُلُّ فَرْعٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ. فَدَعَا الْمَلِكُ بِسُفْرَةٍ فَوَضَعَتْ، وَأَقْبَلَتْ سَنَانِيرَ بِأَيْدِيهَا الشَّمْعَ، فَوَقَفَتْ حَوْلَ السُّفْرَةِ، فَقَالَ لَهُ: اعْتَبِرْ خَطَاكَ وَضَعْفَ مَذْهَبِكَ، مَتَى كَانَ أَبُو هَذِهِ السَّنَانِيرِ شَمْعاً؟ فَقَالَ لَهُ: أَمَهْلَنِي فِي الْجَوَابِ إِلَى اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ، فَقَالَ: لَكَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ الْوَزِيرُ، وَأَمَرَ غُلَامَهُ أَنْ يَسُوقَ لَهُ فَاةً فَسَاقَهَا حَيَّةً فَرَبَطَهَا بِخَيْطٍ وَعَقَدَهَا فِي سِنِيَّةٍ. فَلَمَّا رَاحَ إِلَى الْمَلِكِ وَضَعَهَا

في كمّه، ودخل فأحضر السفرة والسنانير فألقى لها الوزير الفأرة، فاستبقت السنانير إليها، وتطاير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم ناراً، فقال للملك: كيف رأيت غلبه الطبع للآدب! قال: صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه. وقال ذو الإصبع: [البسيط]

كلّ امرئ راجع يوماً لشيئته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين  
وقال المتنبي: [الطويل]

أبي خلق الدنيا حبیباً تديمه فما طلبني منها حبیباً ترده<sup>(١)</sup>  
وأيسر مفعول فعلت تغييراً تكلف شيء في طباعك ضده  
وقال العرجي: [البسيط]

يأتيها المتحلّي غير شيمته ومن شمائله التبديل والمَلَقُ<sup>(٢)</sup>  
ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه إن التخلّق يأتي دونه الخُلُقُ  
وقال المتنبي أيضاً: [المقارب]

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل<sup>(٣)</sup>  
وقال الشريف: [الكامل]

هيهات لا تتكلفن لي الهوى فضح التّطَبُّعُ شيمَةَ المطبوع<sup>(٤)</sup>  
وقال ابن طاهر الأندلسي: [البسيط]

نقل الطباع من الإنسان ممتنعٌ صعب إذا رامه من ليس من أَرِيه  
يريد شيئاً وتأباه طباعه والطَّبْعُ أملك للإنسان من أدبه

فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر، حتى انقادت له إلى ما يريد، والتطبع استعمال غير ما في طبعك، والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه إلا بمشقة.



(١) البيتان في ديوان المتنبي ١٩/٢.

(٢) يروى البيت:

يا أيها المتحلّي غير شيمته إن التخلّف يأتي دونه الخُلُقُ  
وهو لسالم بن وابصة في لسان العرب (خلق)، وتاج العروس (خلق)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧١٠، ورواية صدر البيت فيه:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

والبيت بلا نسبة في ديوان الأدب ٤٥٦/٢، وزهر الأكم ١٤٨/١.

(٣) البيت في ديوان المتنبي ٢٢/٣.

(٤) البيت في ديوان الشريف الرضي ٤٩٦/١.

فَلَمَّا حَلَلْتُ بِالرِّيِّ، وَقَدْ حَلَلْتُ جِبَا النِّعَى، وَعَرَفْتُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ، رَأَيْتُ بِهَا  
ذَاتَ بُكْرَةٍ، زُمْرَةً فِي إِثْرِ زُمْرَةٍ، وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ انتِشَارَ الْجَرَادِ، وَمُسْتَثْنُونَ اسْتِثْنَاءَ  
الْجِيَادِ، وَمُتَوَاصِفُونَ وَاعِظًا يَقْصِدُونَهُ، وَيُحْلُونَ ابْنَ سَمْعُونَ ذُوهُ.

### [الرِّي]

قوله: «فلما حللت بالري»:

الري: أرض على جادة خُراسان، واسم مدينة الري المهدية، سُميت بهذا الاسم،  
لأن المهدي تولّاها في خلافة المنصور لما توجه إلى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد  
الرحمن الأزدي، وبها ولد الرشيد، والمهدي أقام بها عدة سنين، فشيّد بناءها وأتقنها،  
وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد. وأهل الري أخلاط من العرب، والعجم قليل  
فيها. وافتتحها قرط بن كعب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.  
ويشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة، وبها واد عظيم يأتي من بلاد الديلم يقال له  
نهر عيسى، ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجنّاته وأشجاره، وله رساتيق<sup>(١)</sup> وأقاليم.  
ونسب إليها الرازي، وهو من شاذّ النسب.

وكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم: ما يقيمك بأرض الفراعنة والجبابرة! سرّ إلى  
خراسان، أرض الفضة والعقيان، والجواري الحسان.

\*\*\*

وتقدّم الحبا. والغى: الضلال، والعرب تقول: ما يعرف الحيّ من الليّ، والحوّ  
من اللوّ، تقوله لمن تستجهله وتنفي عنه الفطنة، وتصريفها أنّ الحيّ مصدر حويت الشيء  
حزته وجمعته، ولويت الرجل: مطلته ومنعته حقّه لوّاً وليّاً ولياناً، فالحيّ مدح والليّ ذم،  
فكانه إذا قال: عرفت الحيّ من الليّ إنما قال: عرفت الخير من الشرّ، وما يضرّ مما  
ينفع، وعرفت الحيّ من الليّ. وقبيلي من ذبيري، إنما يستعملان في النفي. وتجوّز أبو  
محمد في استعمالهما في الإيجاب حيث كان أصلاً للنفي.

الزُمرة: الجماعة، وتقول: فلان إثر فلان أي خلفه وقريباً منه، كأنه يتبع أثره إذا  
رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه في الموضع. منتشرون: متفرقون مستثنون: جارون.  
متواصفون: يصفه بعضهم لبعض.

\*\*\*

### [ابن سمعون الواعظ]

ابن سمعون: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن إسماعيل

(١) الرساتيق: القرى، معرب.

المعروف بابن سمعون، الواعظ. وكان وحيدَ عصره وفريدَ دهره في الإخبار عما هجس في الأفكار، وليًا من الأولياء الأخيار، كلامه في الوعظ نافع، ونصحه في القلوب ناجع، ومجاله في تصارييف الكلام على الخواطر رُخْب واسع. وكان يقال له: الشيخ المنطق بالحكمة.

وحدث أبو الطاهر محمد بن عليّ العلاف قال: حضرت ابنَ سمعون يوماً وهو في مجلس الوعظ على كرسِيه، وكان أبو الفتح القزّاس جالساً إلى جنب الكرسي، فغشيه النعاس فنام، فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه، فقال له: رأيتُ النبي ﷺ في نومك؟ فقال نعم، فقال أبو الحسن: لذلك أمسكت عن الكلام خوفاً أن تنزعج وتَنقَطِع عن الكلام الذي كنت فيه.

وذكر أبو عليّ الهاشمي، قال: حكى لي مولى الطائع لله تعالى، قال: أمرني الطائع أن أوجه إلى ابن سمعون فأحضره دار الخلافة، ورأيت الطائع على صفةٍ من الغضب - وكان يُتَقَى في تلك الحال، لأنه كان ذا حدّة - فبعثت إلى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله، فلما حضر، أعلمت الطائع حضوره - فجلس مجلسه، وأذن له في الدخول فسلم عليه بالخلافة، ثم أخذ في وعظه فأول ما ابتدأ به أن قال: روي عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه... وذكر خبراً، ولم يزل يجري في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه، وإيتلّ منديله بين يديه بدموعه، فأمسك ابن سمعون حينئذ، ودفع إليّ دُرْجاً فيه طيب وغيره، فدفعته إليه وانصرف. وعدت إلى الطائع، وقلت: يا مولاي، رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون، ثم انتقلت عنها عند حضوره، فما السبب؟ فقال: رُفِعَ إليّ أنه يتنقص عليّاً رضي الله عنه، وأحببت أن أتيقن ذلك، فإن صح منه قلته، فلما حضر بين يدي افتتح كلامه بذكره والصلاة عليه، وأعاد في ذلك وأبدى، وقد كان له مندوحة في الرواية عن غيره وترك الابتداء به، فعلمت أنه وُفِّقَ لما تزول به عنه الظنّة، وتبرأ ساحته عندي، ولعله كوشف بذلك.

وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث متصلة الأسانيد.

ومن كلامه أن القلب بمنزلة المرأة فإذا أصابها لطمخة عولجت بالزيت، فإذا زادت زيد فيها من حبات الآجر، فإذا زادت جُلِيَتْ بالحديد، فإذا زادت على ذلك حتى ركبها الصدا لم يكن لها بُدٌّ من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها.

توفي ابن سمعون في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة، ودفن بداره بشارع العباسي، فلم يزل هناك حتى نقل يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد. وقيل: إن أكفانه لم تكن بليت بعد.



فلم يتكأ ذنبي لاستماع المواعظ، واختيار الواعظ؛ أن أقاصي الأَغَط،

وَأَحْتَمِلَ الضَّاعِطَ. فَأُضْحَبْتُ إِصْحَابَ الْمَطَوَاعَةِ، وَأَنْخَرْتُ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ؛  
حَتَّى أَفْضَيْنَا إِلَى تَادِ جَمْعِ الْأَمِيرِ وَالْمَأْمُورِ، وَحَسَدِ النَّبِيِّ وَالْمُغْمُورِ، وَفِي وَسْطِ  
هَالَتِهِ، وَوَسْطِ أَهْلَتِهِ، شَيْخٌ قَدْ تَقَوَّسَ وَأَقْعَنْسَسَ، وَتَقَلَّسَ وَتَطَلَّسَ؛ وَهُوَ يَصْدَعُ  
بِوَعْظِ يَشْفِي الصَّدُورَ، وَيَلِينُ الصُّخُورَ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَقَدْ افْتَتَنَتْ بِهِ الْعُقُولُ.

\*\*\*

قوله: يتكأء دني، أي يشق علي أقاصي: أباعد. اللاغط: الصلطح: بكلام لا يفهم،  
والضاغط: الذي إذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نَفْسُكَ، يريد أنه لم  
يمنعه ما أصابه من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من  
الواعظ.

ويبين هذا قوله في الخمسين: «ولم أزل أنتقل في المراكز» وأغضى للاكز والواكز»  
أصحبت: انقذت. المبطوعة: المنقادين المطاوعين. والانخراط: دخول الإنسان في  
الأمر بغير علم. وتقدّم السلك.

أفضيئنا: وصلنا، وأراد أن هذا المجلس جمع العامة والأمير، ومن له ذكر رفيع  
وشهرة. ومن هو مجهول مخمول. وأراد بالهالة حلقة الناس، وبالأهلة أشراف الناس  
والعلماء. وحوّك السين من «وسط»، مع الهالة لأنها دارة وساحة العرب تقول: فلان  
جلس وسط الدار. واحتجم وسط الرأس بالتحريك، وسكن مع الأهلة لأنه أراد معنى بين،  
والعرب تقول: جلس وسط القوم، فحملوه على بين، لما حل محلها وكان في معناها،  
ولا يجوز جلس بين الدار، فهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين.

تقوس: انحنى. اقعنسس: تقبّض واحدودب. والقعس: دخول الظهر وخروج  
الصدر، والحدب ضده ويته الراجز بقوله [الرجز]

\*. أقعس يمشي مشية التقاعس \*

تقلّس: لبس القلنسوة. تطلس: لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص.  
يصدع: يشق.

\*\*\*

ابن آدم: ما أغراك بما يغرك، وأضرأك بما يضرك، وألهجك بما يطغيك،  
وأههجك بمن يطريك. تُغني بما يُعنيك، وتُهمل ما يُعنيك، وتترع في قوس  
تعدبك، وتتردي الحزص الذي يُريدك؛ لا بالكفاف تقتنع، ولا من الحرام تمتنع،  
ولا للعظا تسمتع، ولا بالوعيد تتردع. ذاك أن تتقلب مع الأهواء، وتخط خط  
العشواء، وهمك أن تدأب في الاجترأ، وتجمع الثراث للوراث؛ يُعجبك التكاثر

بِمَا لَدَيْكَ؛ وَلَا تَذْكُرْ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَتَسْعَى أَبَدًا لِغَارِيكَ، وَلَا تَبَالِي أَلْكَ أَمْ عَلَيْكَ  
 أَنْظُرْ أَنْ سَتُنْزَلَ سَدَى، وَأَلَّا تَحَاسَبَ غَدًا؛ أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ الْمَوْتَ يَقْبَلُ الرُّشَاءَ، أَوْ  
 يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالرُّشَاءِ. كَلَّا وَاللَّهِ لَنْ يَذْفَعَ الْمُنُونُ، مَالًا وَلَا بَثُونًا؛ وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ  
 الْقُبُورِ؛ سِوَى الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ، فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى؛ وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى؛ وَنَهَى  
 النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَعَلِمَ أَنَّ الْفَائِزَ مِنَ الزَّعْوَى، وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى،  
 وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ أَنْشَدَ إِنْشَادًا وَجِلًّا، بِصَوْتِ رَجُلٍ:

\* \* \*

قوله: «ما أغراك»: ما أكثر لصوقك. يغرك: يدلك على الغرر. أضراك: أشد  
 ملازمتك. ألهجك: أشد حبك.

يطغيك: يردك طاغياً متجاوزاً قدرك. أبهجك: أشد سرورك. يطريك: يمدحك في  
 وجهك، والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها ويشني عليها، فرارة ممن يحقرها  
 ويذمها، ولذا قال ﷺ: «اِخْثُوا التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ الْمَدَاحِينَ» تذليلاً لهم بذلك حيث أكسبوا  
 غيرهم عزة النفس والكبر. قال الشاعر: [الكامل]

وُخِدَعْتُهُ بِخُدَيْعَةٍ لَمَّا أَبَى وَالْخُرُ يُخْذَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ

تعني: تشتغل. يعثيك: يتعبك. تنزع: ترمي. تعذيبك: ظلمك الحرص: أسوأ  
 الطمع. يرديك: يهلكك.

\* \* \*

### [بعض الحكم والمواعظ]

كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ذَنْبَانِ جَانَعَانِ أَرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدِهَا  
 مِنْ حَرَصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالسُّرْفِ لَدِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ إِلَّا حَرَصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلَا  
 تَزْدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدًا».

وقال محمود الوراق: [الرمل]

كَمْ إِلَى كَمْ أَنْتَ لِلْحَزْ صِ وَلِلْأَمَالِ عَبْدُ

لَيْسَ يَجْدِي الْحَزْ وَالسَّعَى إِذَا لَمْ يَكْ جَدُ

(١) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٤٣، والدارمي في الرقاق باب ٢١، وأحمد في المسند ٤٥٦/٣،

ما لما قدره الله — من الأمر مررُ  
وفي كتاب للهند: لا ينبغي للمتمس من عيشه إلا الكفاف الذي يدفع به الحاجة  
عن نفسه، وما سوى ذلك فإنما هو زيادة في غمّه.  
وقالت الحكماء: أقل الدنيا يكفي، وأكثرها لا يكفي.  
وقال أبو ذؤيب: [الكامل]

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْهَا وإذا تُرِدَ إلى قليلٍ تقنعُ<sup>(١)</sup>  
وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه: يا بُنَيَّ، إذا طلبت الغنى فاطلبه  
بالقناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنما هو فقر حاضر. وعليك باليأس فإنك لم  
تياأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه.

وقال: الغني من استغنى بالله والفقير من افتقر إلى الناس.

قال ابن أبي حازم رحمه الله تعالى: [البيط]

استغن بالله لا تضرع إلى الناس واقنع بيأس فإن العز في اليأس  
واستغن عن كل ذي قربي وذو رحم إن الغني من استغنى عن الناس  
ومن دعاء عمر رضي الله عنه: اللهم، لا تكثر لي من الدنيا فأطغى، ولا تقل لي  
منها فأنسى، فإنه ما قل وكفى، خير مما كثر وألهى.

وقالوا: ثمرة القناعة الراحة، وثمره الحرص التعب.

وقالوا: لا غنى إلا غنى النفس.

وقال رسول الله ﷺ: «عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك! لا بقليل تقنع، ولا  
بكثير تشبع. يا بن آدم، إذا أصبحت آمناً في سربك معافى في بدنك، عندك قوت يومك  
فعلى الدنيا العفاء»<sup>(٢)</sup>.

وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ فقال: ما لان: الغنى بما في أيدي، واليأس مما في  
أيدي الناس.

وقيل لآخر: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن.

ومما قيل من الشعر في معنى ما تقدم، قال محمود الوراق: [السريع]

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في الدرر ١٠٢/٣، وشرح اختيارات المفصل ص ١٦٩٣، وشرح أشعار  
الهذليين ٧/١، وشرح شواهد المغني ٢٦٢/١، ومغني اللبيب ٩٣/١، وبلا نسبة في همع الهوامع  
٢٠٦/١.

(٢) أخرجه الأخير من الحديث، الترمذي في الزهد باب ٣٤، وابن ماجه في الزهد باب ٩، بلفظ: «إذا  
أصبح آمناً في سربه معافى في جسده».

يا عائب الفقير: ألا تزددجز  
من شرف الفقير: ومن فضله  
أنك تعصي الله تبغي الغنى  
وعيبُ الغنى أكبرُ لو تعتبرُ  
على الغنى لو صحَّ منك النظر  
وليس تعصي الله كي تفتقرُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: [الطويل]

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءه  
فإن صلاح المرء يرجع كله  
فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقداً  
فساداً إذا الإنسان جاز به الحدأ

وقال البحتري: [الوافر]

إذا ما كان عندي قوت يوم  
ولم تخطر هموم غدٍ ببالي  
طرحتَ الهم عني يا سعيدي  
لأن غداً له رزق جليدي

وقال ابن طباطبا: [الرملي]

إن في نيل المئى وشك اللئى  
كسراج دُفنه غمر المـ  
وقياس القصد ضد السرف  
فإذا غرقته فيه طفي

وقال آخر: [الكامل]

وإذا نبا بي منزل جاوزته  
وإذا غلا شيء علي تركته  
واعترضت منه غيره لي منزلاً  
فيكون أخص من يكون إذا غلا



قوله: «ولا بالوعيد ترتدع» أي لا تكف عن غيك ولا ضللك بما تخوف به من أهوال الآخرة. ذاك، أي عادتك. الأهواء: جمع هوى، وهو ما تحبه النفس وتميل إليه. تخبط: تمشي على عماية. العشواء: الناقة التي لا تبصر. تدأب: تداوم الاحتراث: الكسب. التراث: المال الموروث.

وفي معناه أنه وجد على حائط مكتوباً: ابن آدم غافص<sup>(١)</sup> الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا تحل في قلبك هم يوم لم يأت إن يكن من أجلك، يأتك الله برزقك فيه، ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة المغرورين، فرب جامع لبعل حليته. واعلم أن تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات. قال بديع الزمان: [المقارِب]

أيا جامع المال من خلته  
سيؤخذ منك غداً كله  
يبيت ويضبح في ظله  
وتسأل من بعد عن كله

(١) غافص الرجل مغافصة: أخذه على حين غرة.



وله أيضاً: [مجزوء الخفيف]

يا حريصاً على الغنى      قاعداً بالمراصد  
لست في سعيك الذي      خضت فيه بقاصد  
إن دنياك هذه      لست فيها بخالد  
بعد هذا وإنما      أنت ساع لقاعد

وقال سابق البربري: [الطويل]

فحتى متى تلهو بمنزل باطل      كأنك فيه ثابت الأصل قاطن  
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً      كأنك في الدنيا لغيرك خازن

وقال رجال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلاناً جمع مالا، قال: فهل جمع له أياماً! أخذه الشاعر فقال: [البسيط]

ارفه يعيش فتى يغدو على ثقة      إن الذي قَسَمَ الأرزاق يرزقه  
فالعِرض منه مصون لا يدنسُه      والوجه منه جديد ليس يخلقه  
جمعت مالا ففكر هل جمعت له      يا جامع المال أياماً تفرقه  
المال عندك مخزون لوارثه      ما المال مالك إلا حين تنفقه

قوله: «التكاثر» أي كثرة المال، تقول: تكاثر المال تكاثراً: جاز الحد في الكثرة.

أبو سعيد عن النبي ﷺ: «من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثراً حشر مع اليهود والنصارى، والذين قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر».

تسعى لغاريك: تجهد في كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك، وهما الغاران، قيل: هما الفرج والقم. وقيل: الحنكان: الأعلى والأسفل؛ وأخذ اللفظ من قول الشاعر: [الطويل]

ألم تر أن الدهر يومٌ وليلة      وأن الفتى يسعى لغاريه دائباً<sup>(١)</sup>

قوله سدَى، أي مهمل مستب. الرشا بالضم: جمع رشوة وهي العطية تدفع بها مضرة من يقدر عليك. الرشا، بالفتح: الغزال. كلاً: زجر. المنون: هي المنيّة، المبرور: المتقبل. وعى: حفظ الوصية. ما ادعى، أي ما ادعاه من أنه قبل الوصية.

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (غور)، والمخصص ٢٢٤/١٣، وديوان الأدب ٣/٣٣٤، ومجمل اللغة ٢٩/٤، وأساس البلاغة (غور) وتاج العروس (غور)، ويروى البيت:

ألم ترى أن الدهر يومٌ وليلة      وأن الفتى يمسى بحبليه عانياً  
وهو بهذه الرواية لمعروف بن ظالم في لسان العرب (حبل).

وحققه : داوم عليه بعمله . ارعوى : رجع وتاب . ما سعى : أي ما عمل وتعب فيه .  
الفائز : الظافر بحاجته . وَجِل : خائف . زجل : شديد ، وزجل الصوت زجلاً : ارتفع  
وأيضاً طرَب .

وقال أبو العتاهية فيما تقدّم من ذكر الموت : [مجزوء الرمل]

بين عيني كل حين      علم الموت يلوح  
كلنا في غفلة والـ      موت يغدو ويروح

وقال البديع : [مجزوء الرمل]

إنما الذنبا غرور      ولمن أصغى نصيح  
ولسان الدهر بالوغ      ظ لواعيه فصيح  
نحن لاهون وأجا      لُ المنيا لا تريح

\*\*\*

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا تُفْنِي الْمَغَانِي وَلَا أَلْغِي  
فَجْدٌ فِي مَرَاضِي اللَّهِ رَاضِياً  
وَبَادِرٌ بِهِ صَرْفُ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ  
وَلَا تَأْمِنُ الدَّهْرُ الْخَوَوْنَ وَمَكْرَهُ  
وَعَاصٍ هَوَى الثَّقَسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ  
وَحَافِظٌ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ وَخَوْفِهِ  
وَلَا تَلَهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَإِبْكِهِ  
وَمَثُلٌ لِعَيْنِكَ الْجِمَامَ وَوَقَعَهُ  
وَأَنَّ قَصَارَى مَنَزِلِ الْحَيِّ خُفْرَةٌ  
فَوَاهِأَ لِعَبِيدٍ سَاءَهُ سَوْءُ فِعْلِهِ

إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى الشَّرَى وَتَوَى بِهِ  
بِمَا تَفْتَنِي مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ  
بِمُخْلَبِهِ الْأَشْعَى يَغُولُ وَنَابِهِ  
فَكَمْ خَامِلٍ أَخْنَى عَلَيْهِ وَنَابِهِ  
أَخْوَضَلُهُ الْأَهْوَى مِنْ عِقَابِهِ  
لَتَنْجُوَ مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ  
يَذْمَعُ يُضَاهِي الْمُرْنَ حَالَ مَصَابِهِ  
وَزَوْعَةً مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ  
سَتَرْلَهَا مَسْتَتِراً عَنْ قَبَابِهِ  
وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

\*\*\*

قوله : لَعَمْرُكَ ، العَمَرُ البقاء ، فأقسم به كأنه قال : وحق بقائك الكريم عليّ المحبب إليّ .

المغاني : المنازل الشريفة . المثري : الكثير المال . الثرى : التراب الندي ، وأثرى  
صار له كثير من المال كالثري في كثرته . ثوى : أقام . جُدْ : تكرم بمالك . تقتني :  
تكتسب ، أي لا تنفع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثيرة إذا آل الحال إلى الموت .  
بادر : سابق . صَرَفَ : تقلّب .

الأشعى: المموّج. يؤول: يهلك. نابه: ضرسه. الخؤون: الكثير الخيانة. النابه والنبيه، من النباهة وهي الجلالة والرفعة، والخامل ضده. وأخنى عليّ: أخذ مالي. ضلّة، أي ضلالة، وهوى: سقط. عقابه الأول جباله، والثاني عذابه تلّه: تشتغل. يضاهاى: يشابه. الوئيل: أكثر المطر. حال مصابه، أي حال وقوعه، والمصاب: مصدر صاب يصوب صوباً ومصاباً. الجمام: الموت. روعة: فزع صاحبه حين يلقاه. صابه: مرّه، والصاب شجر مرّ. وقصارى: آخر ونهاية، كأنه قصر عندها أي جلس فلم يجاوزها. واهأ: عجباً. التلافي: التدارك لما فات إغلاق باب، أي موته.

### [لقاء ملك الموت]

وفي روعة ملقاه يحكى أنّ إبراهيم عليه السلام، قال لملك الموت: هل تستطيع أن تُرني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر، قال: لا تستطيع ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عني، ثم التفت، فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومن منخره لهيب النار والدخان. ففُثي على إبراهيم عليه السلام، ثم أفاق وقد عاد إلى صورته: فقال إبراهيم: لو لم يكن للفاجر عند موته إلا صورتك لكان حسبه.

وفي مطعم صابه، يحكى أنّ إبراهيم عليه السلام قال له الله تعالى: كيف وجدت الموت يا خليلي؟ قال: كسُفود جعل في صوف رطب، قال: أما إنّنا هوناً عليك. وقال لموسى عليه السلام: كيف وجدت الموت؟ قال كعصفور يقلى على المقلّى، لا يموت فيستريح، ولا يطير فينجو. وفي رواية: كشاة تُسلخ من جلدها وهي حية.

وقال كعب الأحبار لعمر رضي الله عنهما، وقد سأله أن يحدثه عن الموت، قال: الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك، أدخل جوف رجل، فأخذت كلّ شوكه بعزق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ الغصن ما أخذ، وأبقى ما أبقى.

وكان النبي ﷺ عند موته يقول: «إن للموت لسكرات، اللهم هون عليّ سكرات الموت»<sup>(١)</sup>.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيته من موته»<sup>(٢)</sup>.

فهذه حال أحبابه فكيف بمن غمر في بحار المعاصي! اللهم عفوك.

وشعر المقامة مزدوج القوافي، وعارضه الزاهد بن عمران فقال: [السريع]

(١) أخرجه بلفظ: «اللهم أعني على سكرات الموت»: ابن ماجه في الجنائز باب ٦٤، والترمذي في

الجنائز باب ٧، وأحمد في المسند ٦/٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١.

(٢) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٨.

غَرَارَةٌ خُدَاعَةٌ مَالِي  
تَعَبْتُ فِي نَفْسِي وَفِي مَالِي  
مَا كَانَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِي  
رَأْسُ خَطَايَايَ وَأَعْمَالِي  
عَيْنِي بِتَشْكَابٍ وَإِهْمَالِي  
وَلَا تَوَاضَعْنِي بِإِهْمَالِي

وله في مثله : [السريع]

مَشُوبَةٌ جَاءَتْكَ أَوْصَافِيَّةُ  
فَاصْغِ إِلَى نَصَحِي وَأَوْصَافِيَّةُ  
كَلًّا وَلَا يَغْتَرَّ بِالْعَافِيَّةِ  
عَافِيَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ عَافِيَّةُ

ارْغَبْ عَنِ الدُّنْيَا وَأَوْصَافِيَّهَا  
قَتْلُ أُولَى الْأَبَابِ مِنْ فَعْلِهَا  
مَا بِالْغِنَى يَغْتَرُّ ذُو فَطْنَةٍ  
كَمْ مِنْ غِيٍّ قَدْ عَادَ فَقْرًا وَكَمْ

وله أيضاً : [السريع]

بَلْبَسَ أَسْمَالَ وَأَخْلَاقِ  
فِي حَسَنِ آدَابٍ وَأَخْلَاقِ

مَا الزُّهْدُ يَا قَوْمَ - فَلَا تَجْهَلُوا -  
لَكِنَّهُ لُبْسُ ثِيَابِ التَّقَى

وله أيضاً : [الطويل]

وَمَهْمَا سَأَلْتَ اللَّهَ فَاسْأَلْهُ لِي صَفْحًا  
لَأُضْرِبَ عَنْ ذِكْرِي أَبَادِي النِّهْيِ صَفْحًا  
فَلَمْ يَفْشَ لِي سِرًّا وَلَمْ يُبْدَ لِي صَفْحًا

خَلِيلِي لَا يُغَرِّزُكَ مِتِّي ظَاهِرِي  
فَلَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ كَعِلْمِي بِبَاطِنِي  
وَلَكِنْ أَرَى اللَّهَ الْجَمِيلَ بِفَضْلِهِ

وقال بعض الزهاد لصاحبه : إني أحبك في الله ، فقال له : لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله .

وله أيضاً : [المتقارب]

وَلَا تَلْفِ عَرْضَكَ عِزًّا كَلِيمَا  
وَبَادِرْ بِإِصْلَاحِ مَا مِنْكَ لِيَمَا  
وَلَسْتَ ابْنُ عِمْرَانَ مُوسَى الْكَلِيمَا

تَحْفَظْ بَدِينَكَ لَا تَبْتَذُلْهُ  
وَعُدْ عَنِ الذَّنْبِ لَا تَأْتِهِ  
فَأَنْتَ ابْنُ عِمْرَانَ مُوسَى الْمَسِيءِ

وقال غيره : [مجزوء الكامل]

نَ وَخَفَ بِوَادِرِ بَغْتَاتِيَّةِ  
وَالْعَمَرُ قَدْرَ مَسَافَتِيَّةِ

لَا تَأْمَنْ الدَّهْرَ الْخَوْوُ  
فَالْمَوْتُ سَهْمٌ مَرْسَلٌ

قال: فظَلَّ القومُ بَيِّنَ عِبْرَةٍ يَذَرُونَهَا، وَتَوْبَةٍ يُظْهِرُونَهَا؛ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَزُولُ، وَالْفَرِيضَةُ تَعُولُ. فَلَمَّا خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَالتَّامَ الْإِنْصَاتُ، وَاسْتَكْنَتِ الْعِبْرَاتُ وَالْعِبَارَاتُ؛ اسْتَصْرَخَ مُسْتَصْرِخٌ بِالْأَمِيرِ الْحَاضِرِ، وَجَعَلَ يَجَارُّ إِلَيْهِ مِنْ عَامِلِيهِ الْجَائِرِ، وَالْأَمِيرُ صَاغَ إِلَى خَصْمِهِ، لَاؤُهُ عَنْ كَشْفِ ظُلْمِهِ. فَلَمَّا يَتَسَّرَ مِنْ رَوْحِهِ، اسْتَنْهَضَ الْوَاعِظُ لِنَصْحِهِ؛ فَتَهَضَّ نَهْضَةً الشَّمِيرِ، وَأَنْشَدَ مُعَرَّضاً بِالْأَمِيرِ.



قوله: «عبرة يذرونها»، أي دمة يصبونها. وتَعُولُ: تزيد وتضيق، يريد يضيق وقتها، ويدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين. خَشَعَتِ: ذَلَّتْ. التَّامَ الْإِنْصَاتُ: اتَّصَلَ السَّكُوتُ. اسْتَكْنَتِ الْعِبْرَاتُ وَالْعِبَارَاتُ، أي سكن البكاء والكلام. اسْتَصْرَخَ مُسْتَصْرِخٌ، أي استغاث مستغيث. يَجَارُّ: يصيح.. يريد أَنْ رجلاً تَشْكَى لِلْأَمِيرِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ وَلَاءٌ عَلَيْهِمْ، فَجَارَّ، فَمَالَ الْأَمِيرُ مَعَ الْوَالِي، وَتَرَكَ الْمَشْتَكِي. وَقَوْلُهُ: صَاغَ، أي مائل. وَلَاؤُهُ: أي تارك ومشتغل. يَتَسَّرَ: قطع رجاءه. رَوْحُهُ: نصرته وعدله الذي يريح المشتكي، وَالرَّوْحُ: الفرح والسرور. اسْتَنْهَضَ: سَأَلَهُ النُّهُوضُ لِيُنْصَحَ الْأَمِيرُ.

عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَا وَصْلَةٍ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى السُّلْطَانِ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ، وَتَيْسِيرٍ عَسِيرٍ، أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ: يَوْمَ دَخَلَ الْأَقْدَامَ».

الشَّمِيرُ: الماضي في أموره: معرّضاً: من التعريض وهو أن تخاطب غيره وأنت تريد.



#### [الكامل]

عَجِباً لِرَاجِ أَنْ يَنَالَ وَلايَةَ	حَتَّى إِذَا مَا نَالَ بُغْيَتَهُ بَغَى
يُسَيِّدِي وَيُلْجِمُ فِي الْمِظَالِمِ وَالْغَا	فِي وَزْدَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا مُوَلِّغَا
مَا إِنْ يَبَالِي جِئْنَ يَتَّبِعِ الْهَوَى	فِيهَا أَوْضَلَحَ دِيْنُهُ أَمْ أَوْتَعَا
يَا وَيَحَهُ لَوْ كَانَ يُوقِنُ أَنَّهُ	مَا حَالَةُ الْأَتْحُولِ، لَمَّا طَعَى
أَوْ لَوْ تَبَيَّنَ مَا نَدَامَةُ مَنْ صَغَا	سَمِعَا إِلَى إِفْكِ الْوَشَاةِ لَمَّا صَغَا
فَانْقَدَ لِمَنْ أَضْحَى الزَّمَامَ بِكَفِّهِ	وَتَغَاضَ إِنْ أَلْغَى الرِّعَايَةَ أَوْلَعَا
وَازَعَ الْمُرَارَ إِذَا دَعَاكَ لِرَغْبِهِ	وَرَدَّ الْأَجَاغَ إِذَا حَمَاكَ السَّيِّئَا
وَاحْمِلْ أَذَاهُ وَلَوْ أَمْضَكَ مَسَّهُ	وَأَسَالَ غَرْبَ الدُّنْعِ مَثَكَ وَأَفْرَعَا

فَلْيُضْحِكْكَ الدَّهْرُ مِنْهُ إِذَا نَبَا      عَنْهُ وَشَبَّ لِكَيْدِهِ نَارَ الْوَعَى  
وَلِيَنْزِلَنَّ بِهِ السَّمَاتُ إِذَا بَدَا      مُتَخَلِّياً مِنْ شُغْلِهِ مُتَفَرِّغَا  
وَلَتَأْوِيَنَّ لَهُ إِذَا مَا خَدَّهُ      أَضْحَى عَلَى تَرْبِ الْهَوَانِ مَمَرَّغَا

نال بغيته: أي أدرك ما طلب. بغى: جار وظلم. يُسدي ويلحم، أي متصرف في المظالم طويلاً وعرضاً، ومقبلاً ومدبراً. والسدي: خيوط الثوب طويلاً، واللحمة خيوطه عرضاً، والغا: شارباً. وردها: ماؤها. مولغاً: مسقياً غيره، ويريد أنه يباشر الظلم بنفسه تارة، ويوليه غيره أخرى. أوتغ: أفسد وأهلك.

يا ويحه، قال الأزهري رحمه الله تعالى: ونح كلمة رحمة، وويل كلمة عذاب، والفرق بين ويح وويل أن ويح يقال لمن وقع في بليّة، يُرَحَم ويدعى له بالتخلص منها. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ويحك»، فجزعت فقال لي: «يا حميراء، إن ويح كلمة رحمة فلا تجزعي منها ولكن اجزعي من الويل».

يوقن: يحقق. تحول: تتغير. طغى: ارتفع وجاز الحدّ في الجور. صغى: مال. إفك. كذب. الوشاة: جمع واش، وقد تقدم. انقد: أطع، يقول: من أصبح حاكمك فاتبعه وأطع له. تغاض: تغافل. ألغى: ترك. الرعاية: المحافظة للحقوق. لغا: أخطأ وقال قبيحاً، ثم قال: إن حَمَلَك على الذل فاحتمله، وكُنِّي برعي المُرار عنه. ردّ الأجاج: اشرب الماء المَر والمِلح. حماك السيِّغا: منعك العذب السهل للشرب. أمضك: أحرقت وصيرك مهموماً، والمضّ التوجع من قول أو جرح. مسّه: وقعه بجسمك. والغرب: فيض الدمع، والغرب: الدلو.



[الكامل]

هَذَا لَهُ وَلَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفَاً      فِيهِ يُرَى رَبُّ الْفَصَاحَةِ أَلْسَنَا  
وَلِيُحْشَرَنَّ أَذْلٌ مِنْ فَقْعِ الْفَلَا      وَيَحَاسِبُنْ عَلَى النَّقِيصَةِ وَالشَّغَا  
وَيُؤَاخِذُنْ بِمَا اجْتَنَى وَمَنْ اجْتَبَى      وَيُطَالِبُنْ بِمَا اخْتَسَى وَبِمَا ارْتَعَى  
وَيُنَاقِشُنْ عَلَى الدَّقَائِقِ مِثْلَ مَا      قَدْ كَانَ يَصْنَعُ بِالْوَرَى بَلْ أَبْلَغَا  
حَتَّى يَعْضُ عَلَى الْوَلَايَةِ كَفُّهُ      وَيُوذُّ لَوْ لَمْ يَبْغِ مِنْهَا مَا بَغَى



هذا له، إشارة إلى ذل العزل. الألتغ: الأخرس المحبوس اللسان، وهو أيضاً الذي يُبدل الباء والراء غيناً. ورثها: صاحبها. والفقع: ضرب من الكمأة من وطنه كسره لضعفه، وهو الفُقّاق، وبه يضرب المثل، فيقال: أذل من فقّع بقرقر.

الشَّغَا: الزيادة. اجتنى: جمع أموال الناس وضبطها لنفسه. اجتبى: اختار، يريد أنه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالي الذي اختاره وولاه.

احتسى: شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة. ارتغى: شرب الرغوة، أي يؤخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن. يناقش: يبحث عليه ويخرج ما عنده. أبلغ: أزيد. يبع، يدرك ويطلب.

### [الولاية والولاة]

ونذكر هنا فصلاً من الآداب يحتوي على الولاية والعزل والتشكي من الولاة، حسبما تضمن هذا الموضع في المقامة.

قال رسول الله ﷺ: «ستحرصون على الإمارة، وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة، وبشت الفاطمة»<sup>(١)</sup>.

أراد عمر رضي الله عنه أن يستعمل رجلاً فبدر الرجل يطلب العمل فقال: قد كنا أردنا لذلك، ولكن من طلب هذا العمل لم يُعَن عليه.

ولقي عمر رضي الله عنه أبا هريرة رضي الله عنه فقال: ألا تعمل؟ فقال: ما أريد العمل، قال: قد طلبه من هو خير منك، يوسف الصديق عليه السلام قال: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: ٥٥].

قال المغيرة بن شعبة: أحب الإمرة لثلاث: لرفع الأولياء، ووضع الأعداء ولستر خاص الأشياء. وأكرهها لثلاث: لروعة البريد، وذُل العزل وشماتة الأعداء.

وقال أمير لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً، قال: وأنت فاعمل به، فوالله لَمَا وعدك الله على تركه أعظم مما توعدتني به.

وذكر أهل السلطان عند أعرابي، فقال أما والله إن اعتزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل، فإن عوضاً من كثير باقي، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم.

تظلم رجل للمأمون من عامل له، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما ترك لنا فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا ذهب به، ولا ماشية إلا مشى بها، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا علقاً إلا علقه، ولا عرضاً إلا عرض له، ولا جليلاً إلا أجله، ولا دقيقاً إلا دقه. فعجب المأمون من فصاحته، وقضى حاجته.

قحطبة بن حميد: إني لواقف على رأس المأمون يوماً، وقد جلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم إليه امرأة وقد هم بالقيام، عليها أهبة السفر وثياب رثة. فوفقت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى

(١) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٧، والنسائي في البيعة باب ٣٩، والقضاة باب ٥، وأحمد في

يحيى بن أكثم، فقال يحيى : وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت : [البسيط]

يا خير منتصف يُرَجَى له الرَّشْدُ      ويا إماماً به قد أشرق البلدُ  
تشكو إليك عميدَ الملكِ أرملةً      عداً عليها فلم يُترك لها سَبْدُ  
وابتَزَّ مني ضياعي بعد منعيتها      ظلماً وفرّق منّي الأهل والولدُ  
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه فقال : [البسيط]

في دون ما قلّت زال الصُّبُرُ والجلدُ      عني وأقريح منّي القلبُ والكِبْدُ  
هذا أو أن صلاة العصر فانصرفي      واحضري الخصم في الوقت الذي أعدُ  
والمجلس السبت أن يقضَ الجلوس لنا      تُنصِفُك منه وإلا المجلسُ الأحَدُ

فجلس يوم الأحد، فكانت أول من تقدم إليه، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال : وعليك السلام، أين الخصم؟ فقالت : واقف على رأسك، وأشارت إلى ابنه العباس، فقال : يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها للخصومة . ففعل . فجلس، فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها : أحمد يا أمة الله، أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الأمير، فافخضي من صوتك، فقال له المأمون : دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه . ثم قضى لها برد ضباعها وظلم العباس . وأمر لها بنفقة وبكتاب إلى عامل بلدها أن يحسن معاومتها .

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شله يتيه عليّ في وزارته، فلما صُرف رهنبي، فلما لقيني سلّم عليّ فدنوت منه وقلت له : والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون بيانك، وبلحظك دون لفظك، والحمد لله على ما آلت إليه حالتك، فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة، وإن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك، فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك، والله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزّهنا عن قول الزور فيك، فقد والله أسأت حَمْلَ الثَّعْم، وما شكرت حقّ المنعم . فقيل له : يا أبا عبد الله، لقد أبلغت في السب، فما كان الذنب؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته، فردّني عنها بأقبح من صورته .

وقال ابن الروميّ في أبي الصقر، وكان قد مدحه فلم يرفع به رأساً : [الكامل]

فلئن نُكِبَتْ لطالما نُكِبَتْ      بك همة لجأت إلى سَنَدِكَ  
لو تسجد الأيام ما سجدت      إلا ليوم فت في عَضْدِكَ  
يا نعمة ولت غضارتها      ما كان أقبح حسنها بيدك  
فلقد غدت بَرْدًا على كبدي      لما غدت حرًّا على كبدي  
وقال فيه : [السريع]

خَفَضَ أبا الصقر فكم طائرٍ      خرَّ صريعاً بعد تحليقي



رُوجَتْ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كَفُوهَا      فِصَانِهَا اللَّهُ بِتَطْلِينِي  
لَا قَدَسَتْ نَعْمَى تَسْرِبِلَتْهَا      كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لَزْنِدِينِي  
وَقَالَ فِيهِ قَبْلَ النُّكْبَةِ : [الوافر]

غدا يعلو الجيادَ وكان يعلو      إذا ما استفره السبب الطُّرَاقَا  
أَعْنَتْهَا الشَّسُوعَ فَإِنْ عَرَاهَا      حَفَاءَ الْكَدِّ أَنْعَلَهَا طَرَاقَا  
فَزُوجَ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نُعْمَى      أَرَانِي اللَّهَ صُبْحَهَا طَلَاقَا

ومن غرائب التكاثر في العزل، ما كتب به أحمد بن مهران إلى معزول : بلغني أعزك الله انصرافك عن عملك، فسررت بذلك، ولم أستفظعه لعلمي بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرقعك عمل تبتلوا، أو يضعك عزل عنه، والله لو لم تختار الانصراف، وترد الانعزال، لكان في لطف تدبيرك، وثقوب رويتك، وحسن تأنيك، ما تنزل به السبب الداعي إلى عزلك والباعث على صرفك، ونحن إلى أن نهنتك بهذا الحال، أولى بنا من أن نعزبك؛ إذ أردت الصرف فأوتيته، وأحببت الاعتزال فأعطيته، فبارك الله لك في منقلبك وهناك النعم بدوامها، ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها.

كان أبو شراة لا يسأل ابن المدبر حاجة إلا قضاها، ولا يشفع لأحد إلا شفعه، فلما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس، فردهم حتى لم يبق إلا أبو شراة، فقال يا أبا شراة، غايه كل ميودع الفراق. فانصرف راشداً مكلوءاً من غير قلبي والله ولا ملل. وأمر له بعشرة آلاف درهم. فعانقه أبو شراة وبكى وأطال، ثم قال وهو أحسن ما قيل في التهتهة بالعزل : [الرميل]

يا أبا إسحق سِرْ فِي دَعَا      «وَامضْ مَكْلُوءاً فَمَا مِنْكَ خَلْفُ  
لَيْتَ شَعْرِي أَيْ أَرْضَ أَجْدَبْتُ      فَأَرِيحْتُ بِكَ مِنْ جِهْدِ الْعَجْفُ  
نَزَلَ اللَّطْفُ مِنَ اللَّهِ بِهِمْ      وَحُرْمَنَّاكَ بِذَنْبٍ قَدْ سَلَفُ  
إِنَّمَا أَنْتَ رَبِيعٌ بِأَكْرُ      حَيْثَمَا صَرَفَهُ اللَّهُ انْصَرَفُ  
ومن ملح هذا الباب أن بعض الوزراء قلد ابن حجلاج عملاً، فخرج إليه يوم الخميس، وتبعه كتاب عزله يوم الأحد، فقال فيه : [مجزوء الكامل]

يا من إذا نظلر الهلا      لُ إِلَى مُحَايِنِهِ مَجْدُ  
وإذا رآته الشمس كا      دت أن تموت من الحسنُ  
يوم الخميس بعثتني      وصرفتني يوم الأخذُ  
والناس قد غنوا ع      لي لَمَّا خَرَجْتَ مِنَ الْبِلْدُ  
ما قام عمرو في الولا      ية قائماً حتى قعدُ

ثم قال: أيها المتوشح بالولاية، المترشح للرعاية؛ دَعِ الإدلال بدُولَتِكَ،  
والاغترار بِصَوْلَتِكَ؛ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ رِيحُ قُلُوبٍ، وَالْإِمْرَةَ بَرْقُ خُلُبٍ. وَإِنْ أَسْعَدَ الرَّعَاةُ،  
مَنْ سَعَدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ، وَأَشْقَاهُمْ فِي الدَّارَيْنِ مَنْ سَاءَتْ رَعَايَتُهُ؛ فَلَا تَكُ مِمَّنْ يَذُرُ  
الْآخِرَةَ وَيُلْغِيهَا، وَيُحِبُّ الْعَاجِلَةَ وَيَبْتَغِيهَا، وَيَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ وَيُؤْذِيهَا؛ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى  
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا؛ فَوَاللَّهِ مَا يَغْفُلُ الدِّيَانُ، وَلَا تُهْمَلُ يَا إِنْسَانُ، وَلَا تُلْغَى  
الْإِسَاءَةُ وَلَا الْإِحْسَانُ؛ بَلْ سَيُوضَعُ لَكَ الْمِيزَانُ، وَكَمَا تَذِينُ تُدَانُ.

قال: فَوَجَمَ الْوَالِي لِمَا سَمِعَ، وَامْتَقَعَ لَوْنَهُ وَانْتَفَعَ، وَجَعَلَ يَتَأَفَّفُ مِنَ الْإِمْرَةِ،  
وَيُرْدِفُ الزُّقْرَةَ.

### [الثلث من الشعر]

وذكر الثلث، وللشعراء في الثلث ما يستحسن، قال ابن شهيد: [الكامل]

مرض الجفون ولشغة في المنطق	شيان جزا عشق من لم يغشق
ينبي فينبر في الكلام لسائه	فكانه من خمر عينيه سقي
لا يُنعش الألفاظ من عثراتها	ولو أنها كتبت له في مهرق

وأحسن ما في وصفه قول الرمادي: [الكامل]

لا الرء تطمع في الوصال ولا أنا	الهجر يجمعنا فنحن سواء
فلماذا خلوت كتبتها في راحتي	فبكيت منتحبا أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف، فقال: [الخفيف]

أيها الألتخ الذي شفت قلبي	جذب حرف ولو نطقت بسبي
هجرك الرء مثل هجري سواء	فكلانا معذب دون ذنب
فلماذا شئت أن أرى لي مثالا	في غرامي خططت راء بجنبي

\*\*\*

قوله: «المتوشح» أي المحتزم. والمترشح: المهيب للرعاية أي لحفظ الناس.  
الاغترار الانخداع. صولتك: عزك وقهرك، يقال: صال الرجل على قِزَنه، والفحل على  
إبله، أي قهر وعلا، والفحل أيضاً عض، وربما همز فعل الفعل. قُلُب، أي متقلب.  
خَلَب: خادع لا ماء فيه، يريد أن الولاية تنقل من إنسان إلى آخر. تلغى: تهمل.  
العاجلة: الدنيا لأن خيرها معجل. تولى: صار والياً. سعى: مشى مسرعاً.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمْتِي شَيْئاً

فحسنت سريرته رَزَقَ الهيبة في قلوبهم، وإذا بسطت يده لهم بالمعروف رَزَقَ المحبة منهم، وإذا أنصف الضعيف من القوي قَوَى الله سلطانه وإذا عدل مدَّ في عمره<sup>(١)</sup>: وقال رسول الله ﷺ: «أَفَّةُ الدين ولاة السوء، أَيْمًا والٍ وَلِيَّ شَيْئًا من أمور المسلمين فلم ينصح لهم، ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه، كَبَّه الله تعالى على وجهه يوم القيامة». وقال رسول الله ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للأخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن مَنْ أخذ من هذه وهذه».

الديان: المجازي وهو الله سبحانه وتعالى، لأنه يجزي العباد على أعمالهم.

وقال الألبيري: [الكامل]

كل امرئ فيما يدين يداً	سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسلكنها وما	هي بالتي يبقى بها سكان
تفنى وتبقى الأرض بعدك مثل ما	يبقى المناخ وترحل الركبان
أسر في الدنيا بكل زيادة	وزيادتي فيها هي النقصان

تهمل: تترك هملًا. وجَم: سكت غاضباً وامتنع وانتقم: تغير وذهب الدم من وجهه، ويقال في معناه: انتقم وانتقم.

يتأفف: يقول: أف أف، وذلك فعل النادم المهموم. الزفرة: النفخة من الهم.

\*\*\*

ثم عمَدَ إلى الشاكي فَأَشْكَاهُ، وإلى المشكو مِنْهُ فَأَشْجَاهُ، وألطف الواعظَ وَحَبَاهُ، واستدعى منه أن يَغْشَاهُ، فانقلب عنه المظلوم منصوراً، والظالم مَحْضُوراً، وبَرَزَ الواعظ يتهاذى بَيْنَ رُفْقَتِهِ، وَبِتَبَاهَى بَفَوْزِ صَفْقَتِهِ. واعتقبته أخطو متقاصراً، وأريه لُمَحاً باصراً. فلما استشف ما أخفيه، وفطن لتقلب طُرْفِي فيه، قال: خيرٌ ذَلِيلُكَ مَنْ أَرشَد، ثم اقترب مِنِّي وأنشد: [الرجز]

أنا الذي تعرفه يا حارث	جذت ملوك فكة منافث
أطرب ما لا تطرب المثال	طوراً أخو جذ، وطوراً غابث
ما غيرتني بَعْدَكَ الْحَوَادِثُ	ولا التحى عودي خُطْبُ كَارِثُ
ولا قَرَى حَدِّي نَابُ فَارِثُ	بل مَخْلَبِي بكل صيد ضَابِثُ
وكل سَرَحٍ فيه ذنبي عاثث	حشى كاني للأنام وارِثُ

\* سامهم وحامهم ويافث \*

\*\*\*

أشكاه: أنصفه ورفع عنه شكواه، وفي الحديث: «شكونا إلى رسول الله ﷺ حرّ الرضاء فلم يُشكنا»<sup>(١)</sup>. أي لم يزل شكوانا، أي شكوا إليه، ما يصيب أقدامهم من شدة الحر في صلاة الظهر، وسألوه تأخيرها إلى الإبراد، فلم يجيبهم إلى ذلك، وأنشد يعقوب: [الرجز]

\* ونشتكي لو أنها تُشكينا \*

\*\*\*

والمشكو إليه الوالي الذي اشتكى إليه. أشجاه: آذاه وأبكاه. ألطف: بره وأكرمه. حباه: أعطاه الحباء. يغشاه: يزوره. محصوراً: محبوساً. يتهادى: يمشي متشاقلاً مشي الوقار. يتباهى: يتعاطم بفوز صفقته، بظفر قصته مع الوالي، وفاز فوزاً: ظفر بخير دنياه وأخراه، وأصل الصفقة في البيع هو أن تضرب بيدك على يد مبايعك. اعتقبته: مشيت خلفه، كأنك تطأ بصدر قدميك مواطئ عقبه. أخطو متقاصراً: أي أمشي مستخفياً متشيهاً بالقصار. لمحا باصراً: أي نظراً شديداً. استشف: استقصى. فطن: تنبه وشعر. أرشد: دلّ، يقول: إذا كان لك دليان، فخيرهما من هداك الطريق، فلما رآه ينظر وتشكك فيه. قال: خير دليلك من ذلك عليّ. اقترِب: قرب.

جذث ملوك، أي يحدثهم بما يطربون. فكه: طيب الحديث، والفكه المزاح الحسن الخلق، وفكه فكها وفكاهة: طابت نفسه وكثر ضحكها، قال الشاعر: [الكامل]

فكهٌ إلى جنب الخوان إذا غدت نكباء تقطع ثابت الأطناب<sup>(٢)</sup>

أبو عبيدة: رجل فكه: يأكل الفاكهة، وفاكه: عنده فاكهة.

وقال الشاعر أيضاً: [الكامل]

فكه العشي إذا تأوَّب رحله صيف الشتاء مسامح بالميسر<sup>(٣)</sup>

أي يأكل الفاكهة وقرى «فاكهين وفكهين»: قال الفراء رحمه الله تعالى: معناهما واحد أي معجبين بما آتاهم ربهم، كقطع وطامع، وفكه وفكهة إذا تعجّب ومنه: «ففظلتم تفكّهون» [الواقعة: ٦٥] وقيل: معناه تندمون..

قوله: منافث، أي محادث. المثلث: من أوتلزل العود. طوراً: حيناً. عابث: لاعب. الحوادث: ما يحدثه الدهر من خير أو شر. التحى: قشر. خطب كارث: أمر ثقيل صعب. قرى: قطع. نابي: ضرسى. فارت: مفتت للكبد، قال الشاعر: [مجزوء الوافر]

(١) أخرجه بنحوه، مسلم في المساجد حديث ١٨٩، ١٩٠، والنسائي في المواقيت باب ٢، وابن ماجه في الصلاة باب ٣، وأحمد في المسند ١٠٨/٥، ١١٠.

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب. (فكه)، وأساس البلاغة (فكه)، وتهذيب اللغة ٢٦/٦.

(٣) البيت لضخر بن عمرو بن الشريد في أساس البلاغة (فكه).

هَوَى مِنْ صَخْرَةٍ صَلْدٍ      ففرت تحتها كبده  
وفرت الكرش: أخرجت ما فيها من الزبل. ضابث: قابض عليه. السرح:  
لماشية تغدو راعية في المسرح وتروح منه. عاث: مفسد أكل لها.

\*\*\*

### [سام وحام ويافث]

وسام وحام ويافث، أولاد نوح عليه الصلاة والسلام، وفيهم نزلت: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] وبذلك جاءت الأخبار، وهم لأم واحدة. وأصاب حام امرأته في السفينة. فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطقته، فجاءت بالسودان. وذكر أهل التوراة أن نوحاً عليه السلام شرب وانتشى وتعرى، فأبصر حام عورته، فاطلع عليه أخواه، فأخذوا رداءه فألقياه على عواتقهما، ومشيا على أعقابهما، فوارياه، فعلم نوح عليه السلام بذلك، فقال: ملعون كنعان بن حام، عبد العبيد يكون لأخويه، ومبارك سام، ويكثر الله يافث.

وفي تفسير النقاش أن نوحاً لما أهبط من السفينة، نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك، ولم يغير عليه يافث ونظر ذلك سام، فزجره وغطى عورة أبيه، فلما استيقظ أخبره، فدعا نوح ابنه حاماً فقال: يا بني غير الله ماء صلبك، فلا تلد إلا السودان. وقال ليافث: جعل الله ذريتك عبيداً لأولاد سام، وقال لسام: جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك. فكان سام القيم بعد أبيه في الأرض، ونزل وسطها، نزل الحرم إلى اليمن إلى الشام. ومن ولده الأنبياء كلهم عريبيها وعجميها. ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرحم، وهم العرب العاربة، لأن العريية لسانهم التي جبلوا عليها، ويقولون لبني إسماعيل العرب المتعربة، لأنهم إنما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم، ومن العماليق الجبارة بالشأم والفراغة بمصر.

سعيد بن المسيب: سام ولده العرب وفارس والروم وفي كل خير، وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والأسبان والترك والخزر ويأجوج ومأجوج.

ابن المسيب: وليس في واحد من هؤلاء خير وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام، والخلاف كثير.

\*\*\*

قال الحارث بن همام: فقلت له: تالله إنك لأبو زيد، ولقد قمت لئلا ولا عمرو بن عبيد. فهش هشاشة الكريم إذا أم، وقال: اسمع يابن أم؛ ثم أنشأ يقول: [السرير]  
عليك بالصّدق ولو أنه      أحرقك الصّدق بنار الوعيد

وابن رضا الله، فأغشى الوري من أسخط المولى وأرضى العبيد  
ثم إنه ودّع أخذانه، وانطلق يسحب أزدانه. فطلبناه من بغد بالرتي، واستنشرنا خبره  
من مدارج الطي؛ فما فينا من عَرَفَ قَرَارَهُ، ولا دَرَى أَيُّ الجراد عَارَهُ.

\*\*\*

### [عمرو بن عُبيد الزاهد]

قوله: «ولا عمرو بن عبيد»، هو الزاهد الذي كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن  
البصري؛ حتى حفظ عنه شيئاً كثيراً من علومه، واشتهر فضله بصحبته، وكان له سمت  
وإظهار زهد.

ورآه الحسن يوماً فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يحدث. ثم اعتزله ونهى  
عنه، فقال بالعزل ودعا إليه، وترك مذهب أهل السنة، واعتزل الحسن البصري، ونُسبت  
إليه المعتزلة.

فأما قيامه الذي ذكره فهو دخوله على المنصور في جماعة من أهل العلم، فاستشارهم  
في أمر، فكلهم أشار عليه بمراة إلا عمرأ فإنه لم يَصْحَبْهُمْ ونصحه، فقال: يا أمير المؤمنين  
إن هذا الأمر لو كان باقياً لأحد قبلك لما وصلك، **«الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات  
العماد»** [الفجر: ٧]، قال: فيكى المنصور حتى بل ثوبه، فقال الربيع: يا عمرو، غممت  
أمير المؤمنين، فقال عمرو: إن هذا - يعني الربيع - صحبتك عشرين سنة، ما نصحك يوماً  
واحداً، وما عمل وزراؤك بشيء من كتاب الله تعالى. فقال له المنصور: فماذا أصنع؟ هذا  
خاتمي في يدك، فخذة أنت وأصحابك، فاكفوني فقال عمرو: ادعنا بِعَذْلِكَ تسمح أنفسنا  
بعونك، بيباك ألف مظلمة، اردد منها واحدة حتى نعلم أنك صادق.

ويروى أنه قال له المنصور: أعني بأصحابك، فقال: ارفع عَلمَ الحق يتبعك أهله.  
ثم قال له المنصور: ما حاجتك يا أبا عثمان؟ فقال له: تأمر برفع هذا الطيلسان عني،  
فرفع. وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله. فقال له: لا تدع إتياننا، قال: نعم،  
لا يضمّني وإياك بلد إلا آتيتك، وإن بدت لي حاجة إليك سألتك، ولكن لا تعطيني حتى  
أسألك، ولا تدعني حتى آتيك، قال: إذا لا تأتينا أبداً، فلما ولّوا للخروج، أتبعهم  
المنصور بصره، ثم قال: [مجزوء الرمل]

كَلِّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدُ كُلِّكُمْ حَابِلُ صَيْدُ

\* غير عمرو بن عُبيد \*

وكان جدّه باب من سبي فارس، وكان أبوه عبيد بن باب نَسَاجاً، ثم تحوّل فصار  
للحجاج شُرطياً بالبصرة. وكان فظاً غليظاً خسيساً، وبلغه أن الناس إذا رأوا ابنه قالوا:  
هذا خير الناس، ابن شرّ الناس، فقال: صدقوا، أنا كآزر وابني كإبراهيم.

وقال إسحاق بن الفضل: بينما أنا واقف إلى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور، إذ

طلع عمرو بن عبيد على حمار، فنزل ونَحَى البساط برجله، وجلس دونه، فقال لي عمارة: لا ترال بصركم ترمينا بأحمق، فما فَضَّل كلامه من فيه حتى خرج الربيع، وهو يقول: أين أبو عثمان عمرو بن عبيد؟ فوالله ما دلَّ على نفسه حتى أُرْشِد إليه. فأَتَكَاهُ يده، ثم قال: أجب أمير المؤمنين جعلني الله فداءك! فمَرَّ متوكئاً عليه، فقلت لعمارة الذي استحمله: قد دُعِيَ وتركتنا، فقال: كثيراً ما يكون مثل هذا، فأطال اللَّبَث، ثم خرج الربيع، وعمرو متوكئ عليه، وهو يقول: يا غلام، حمار أبي عثمان. فما برح حتى أَقَرَّه على سرجه وضمَّ إليه ثوبه، واستودعه الله عز وجل. فأقبل عمارة على الربيع، فقال: لقد فعلتم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولي عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه. قال: فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب. قال: فإن اتَّسع لك الحديث فحدِّثنا، فقال: ما هو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه، فما أهمل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا، ثم انتقل هو والمهديّ إليه، وعلى المهديّ سواده وسيفه، ثم أذن له. فلما دخل عليه سلَّم بالخلافة، فرد عليه، وما زال يدينه حتى أَتَكَاهُ فخذَه وتَحَفَّى، ثم سأله عن نفسه وعن عياله؛ يَسْتَهيم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة، ثم قال: يا أبا عثمان عَظِيتي، فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم \* بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي جبر﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١٤] يا أبا جعفر، فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديداً، وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة إلا تلك الساعة، فقال: زدني، قال إن الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، وإن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد مَنْ كان قبلك ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وإني أحذرك ليلة تتمخَّص صبيحتُها عن يوم القيامة. قال: فبكى والله أشدَّ من بكائه الأوَّل حتى رجف جنباه، فقال له سليمان بن مالك: رفقاً بأمرير المؤمنين لقد أتعبتَ في هذا اليوم، فقال له عمرو: بمثلِكَ ضاع الأمر وانتشر، لا أبالك! وماذا خفَّت على أمير المؤمنين إن بكى من خشية الله تعالى. قال: فانت والله الصادق البرّ، قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك، فقال: لا حاجة لي بها، قال: والله لتأخذنَّها، قال: والله لا أخذها، فقال له المهديّ: يحلف أمير المؤمنين وتحلف! فأقبل على المنصور فقال: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هذا ابني محمد، وهو ولي عهد المؤمنين، فقال: والله لقد سَمَّيْتَهُ اسماً ما استحَقَّه عملُه، وأليستَ لبوساً ما هو من لبوس الأبرار، ولقد ملكته أمراً، أمتنع ما يكون به أشغل ما يكون عنه. ثم التفت إلى المهديّ وقال: يابن أخي، إذا حلف أبوك حلف عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك. ثم قال: يا أبا عثمان، هل من حاجة؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك، قال: إذا لا نلتقي. قال: عن حاجتي سألتني، ثم استحفظه الله عز وجل وودَّعه، وانصرف. فلما وُلِّي أتبعه المنصور بصره وهو يقول: [مجزوء الرمل]

\* كلكم يمشي رُوْنَد \*

الآيات.

وقال إسماعيل بن مسلمة أخو القعنبي: رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام، فقال لي: يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة. فقلت: فعمرو بن عبيد، فقال: في النار، ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك، فقلت له في الليلة الثالثة: فعمرو بن عبيد؟ فقال: في النار، كم أقول لك!



قوله: «هش» أي فرح. أم: قُصِد. الوعيد: التهديد. أغبى الوري: أجهل الناس به، قال المنصور: والله ما عزّ ذو باطل، ولو طلع في جبينه القمر، ولا ذلّ ذو حق ولو أصفق العالم عليه.

وفي معنى قوله: «وايع رضا الله...» البيت. أن ابن هبيرة شاور الحسن البصري، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك، فيها بعض ما فيها، فإن أنفذتها خفت سخط الله، وإن لم أنفذها خفت على دمي. فقال الحسن: يا بن هبيرة، خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، فإن الله مانعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله. يا بن هبيرة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى، فما وافقه فتفذه، وما خالفه فلا تنفذه. فقال: صدقتني ورب الكعبة.

وشاور معاوية الأحنف في استخلاف يزيد، فسكت، فقال: ما لك لا تقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبتك أسخطنا الله عز وجل، فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى. قال: صدقت.

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية: أما بعد، فإنه من يلتمس رضا الله يسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن يلتمس رضا الناس يسخط الله وكله الله إلى الناس.

وكتبت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها: أما بعد فإنه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من الناس ذاماً له. والسلام.

قوله: «أخذناه» أصحابه. ويسحب أردانه: يجزّ أذياه. استنشرنا: طلبنا أن ينشر لنا. والمدرجة: الورقة تكتب فيها الرسالة، ويدرج فيها الكتاب، وأضافها إلى الطي لأنها تطوى على ما فيها من الكتاب، فكانه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوي عليه، يريد أنه أرسل فيه الرسائل إلى البلاد، فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت. عاره: ذهب به وأتلفه.

ويكنون بالجراد عن الناس، فكانه قال: ما يدري أيّ الناس ذهب به. ويقال: عارت عينه، صارت عوراء، ووعرتها أنا: فقأتها؛ فكانه ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف. والله أعلم بالصواب.



## المقامة الثانية والعشرون

### وهي الفرائية

حكى الحارث بن همام قال: أَوَيْتُ فِي بَعْضِ الْفُرَاتِ، إِلَى سِقْيِ الْفُرَاتِ، فَلَقِيتُ بِهَا كُتَّاباً أَبْرَعَ مِنْ بَنِي الْفُرَاتِ، وَأَعَذِبَ أَخْلَاقاً مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ. فَأَطْفَتْ بِهِمْ لِتَهْذُوبِهِمْ، لَا لِذَهَبِهِمْ، وَكَاثَرْتُهُمْ لِأَذْيَبِهِمْ، لَا لِمَادِبِهِمْ. فَجَالَسْتُ مِنْهُمْ أَضْرَابَ قَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ، وَوَصَلْتُ بِهِمْ إِلَى الْكُورِ بَعْدَ الْحَوْرِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ أَشْرَكُونِي فِي الْمَرْبَعِ وَالْمَرْتَعِ، وَأَحْلُونِي مَحَلَّ الْأَثْمَلَةِ مِنَ الْإِصْبَعِ. وَاتَّخَذُونِي ابْنَ أَنْسِيهِمْ عِنْدَ الْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ، وَخَازَنَ سِرَّهُمْ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ.

\*\*\*

أَوَيْتُ، أَيِ مَلْتُ وَانْضَمَمْتُ. الْفُرَاتُ: جَمْعُ فُتْرَةٍ، وَهِيَ الْهَدَنَةُ وَالسُّكُونُ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَشِيتُ فِي بَعْضِ السِّنِينَ الْأَمَنَةِ. وَالْفُتْرَةُ أَيْضاً: ضَعْفُ الْأَعْضَاءِ، وَالْفُتْرَةُ أَيْضاً مَا بَيْنَ نَبِيٍّ وَنَبِيٍّ.

\*\*\*

### [سقي الفرات]

وسقي الفرات بلاد يسقيها الفرات، والفرات نهر يشق بلاد الروم وبلاد العراق، ويقع في البحر الحبشي، وجريانه خمسمائة فرسخ.

وقال الرُّشَاطِيُّ: ابْتَدَأَ الْفُرَاتُ وَفُوتَهُ مِنْ قَالِيْقَلَا مِنْ بِلَادِ إِرْمِينِيَّةٍ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى مَنبِجٍ مِنْ كُورِ قَنْسَرِينَ إِلَى سُمَيْسَاطٍ، ثُمَّ إِلَى مَلْطِيَّةٍ، ثُمَّ إِلَى كَيْسُومٍ مِنْ أَرْضِ الرِّقَّةِ، ثُمَّ إِلَى الرِّقَّةِ وَقَرْقِيسِيَا وَالرَّحْبَةِ وَكُورِ الْفُرَاتِ، ثُمَّ إِلَى الْأَنْبَارِ، ثُمَّ إِلَى الْكُوفَةِ، وَيَلْتَقِي مَعَ الدَّجْلَةِ مَا بَيْنَ وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ، وَمِنْهَا انْصَبَابُهَا إِلَى الْبَحْرِ، وَجَرِيَانُهُمَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ.

وقال شيخنا ابن جبير: هَذَا النَّهْرُ كَاسَمِهِ فُرَاتٌ، وَهُوَ مِنْ أَعَذِبِ الْمِيَاهِ وَأَخْفَهَا، وَهُوَ نَهْرٌ كَبِيرٌ زَخَّارٌ، تَصْعَدُ فِيهِ السَّفُنُ وَتَنْحَدِرُ. وَأَمَّا سِقْيُهُ فِي أَحْوَازِ بَغْدَادَ فَنَبِيْنُ لَكَ قَدْرُهُ. فَذَكَرَ أَنَّهُ عَايَنَهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَنَّهُ رَحَلَ مَعَ أَمِيرِ الْحَاجِّ مِنَ الْكُوفَةِ يَوْمَ السَّبْتِ.

قال : ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات، ورحلنا من ذلك الموقع، وبتنا ليلة الأحد سلخ محرم بقرية من الجلة، ثم جئناها يوم الأحد وهي مدينة عتيقة الموضع، مستطيلة متصلة بالفرات من جانبيها الشرقي، وهي على شاطئه، ويمتد بطولها. ولها أسواق حافلة جامعة للمزاق، قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل، وألفينا بها جسراً معقوداً على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط، أمر الأمير بعقدها اهتماماً بالحاج، فغيرناها، ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد، والطريق من الجلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بسائط وعمائر تتصل بها القرى يميناً وشمالاً، ويشق هذه البسائط أغصان من [ماء] الفرات تسقيها، فللعين في هذه الطريق مسرح انشراح، وللنفس مزاد انبساط وانفساح.

ومن مدينة الجلة يتسلسل الحاج أرسالاً وأفواجاً، لا يعرج المتأخر على المتقدم، فحيثما شأوا نزلوا، ومن جملة الدواعي لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة في طريقهم إلى بغداد لا تكاد تمشي ميلاً إلا ونجد قنطرة على نهر متفرع عن الفرات، فلو زاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعةً، لتراكموا وقوعاً بعضاً على بعض.

فرحلنا من الجلة ضحوة يوم الاثنين أول يوم من صفر، ونزلنا بعصره بقرية تعرف بالقنطرة، كثيرة الخضب، كبيرة المساحة، متدفقة فيها جداول الماء، وارفة الظلال بشجرات الفواكه، من أحسن القرى وأجملها، بها قنطرة محدودة تصعد إليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات، فُقرت القرية بها.

ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء، ونزلنا ضحوة بالفراش؛ قرية كثيرة العمارة يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر، والقرى من الجلة إلى بغداد على صفة الفراش في الحسن والاتساع.

ثم رحلنا منها ونزلنا عشيّ النهار بزيران، وهي قرية من أجمل قرى الأرض وأحسنها منظرًا، وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطاً، وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل، ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن. وحسبك من شرفها أن دجلة تسقي شرفيها والفرات يسقي غربيها، وهي كالعروس بينهما.

ومن شرفها أن يازانها إيوان كسرى، وهو بناء عالٍ في الهواء على مقدار الميل منها وأمامها بيسير مدائنه. واجتازنا سحراً على المدائن، فعايئنا من طولها واتباعها مرأى عجيباً.

ونزلنا قافلين بصرص، وهي أخت زيران حسناً، يمرّ بجانبها القبلي نهر متفرع من الفرات وهي من القرى التي تملأ النفوس حسناً وجمالاً، لها أسواق حافلة، وجامع وجسر معقود على مراكب من الشط إلى الشط وهي من بغداد على ثلاثة فراسخ، ورحلنا منها قبل الظهر؛ وجئنا بغداد قبل العصر، على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها، فمن

أراد أن يعرف قدر سقيّ الفرات فليقف على هذا الفصل الذي ذكرناه.  
وقوله: «كتاباً أبرع من بني الفرات»، أي أحذق وأزيد فضيلة.

### [بني الفرات]

والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة، وتقلّد الوزارة، قال في بعضهم صالح بن موسى رحمه الله: [المجث]

آل الفرات ندادهم      على الفرات يزيد  
وأنت فضلك فيهم      وعليك منه شهود

وقال ابن المعتز في علي بن محمد بن الفرات: [الطويل]

أبا حسن ثبت في الأمر وطأني      وأدركتني في المعضلات الهزاهز  
وألبستني درعاً عليّ حصينة      فناديت صرف الدهر: هل من مبارز!

وقال علي بن بسام: [الطويل]

وقفت شهوراً للوزير أعدها      فلم تشنه نخوي الحقوق السوالف  
فلا هو يرعاني رعاية مثله      ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

وكان موسى بن الفرات عاملاً لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المنوكل، واستوزر المقتدر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ثلاث مرات، يعزله ثم يردهُ وقُتِل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره.

وتولّى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبي الحسين بن الفرات. فكان محل آل الفرات، الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة.

وحكي أن بعض الأدباء جوّز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات أن السين تقام مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير: أتقرأ: ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، أو «ومن سلح؟» فخل الرجل وانقطع.

ومثل هذه النادرة أن النضر بن شميل مرض، فدخل عليه قوم يعودونه، فقال له رجل منهم: يكنى أبا صالح: مسح الله ما بك، فقال له: لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب، وهو كلام العرب. فقال أبو صالح إن السين تبدل من الصاد كالصراط والسرّاط وصقر وسقر، فقال له النضر: فأنت إذا أبو صالح! فخل الرجل.

قوله: «أعذب من الماء الفرات» أي أحلى، والماء الفرات: العذب الحلو أطفئت: أي ألهمت ونزلت. لتهذيبهم: لظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء كآثرتهم: صاحبتهم فكثرت عددهم بي. مآديهم: طعامهم. أضراب: أمثال.

## [الققعاق بن شور]

الققعاق بن شور، قال المبرد: هو رجل سيد من عبد الله بن دارم، وكان إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في حاله، وأعاناه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له؛ حتى شهر بذلك.

قال الفنجديهي: هو الققعاق بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني، وهو من الأجواد والأسخياء، يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعاشرة وإتيان الجليس بالشيء النفيس.

قال أبو عبيد: وكان من جلساء معاوية، فأهدى إلى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة، فدفعها إلى جلسائه ودفع إلى الققعاق جام ذهب، وفي القوم أعرابي إلى جنب الققعاق، فدفع إليه لجام فأخذه الأعرابي ونهض ينشد: [الوافر]

وكنـت جـليس قـعقـاق بـن شـورٍ      ولا يـشـقى بـقـعقـاق جـلـيسٌ<sup>(١)</sup>  
ضـحـوك السـن إن نـطـقـوا بـخـيرٍ      وعـنـد الشـرّ مـطـراق عـبـوسٌ

## [مما قيل في البر في الجليس شعراً]

ومما يستحسن في البر بالجليس قول صاعد اللغوي: [مجزوء الوافر]

لـي مـن سـرّ بـنـي العـبـا      سـ خـلّ و جـلـيسٌ  
شـهـد المـجـد عـلـيـه      أـنـه العـلـق النـفـيسُ  
فـإذا جـالـسـتـه لـم      تـدـر مـن مـثـا الجـلـيس

وقال كشاجم: [مجزوء الوافر]

جـلـيس لـي أخـو ثـقـة      كـأنّ حـديـثـه حـبـره<sup>(٢)</sup>  
يـسـرـك حـسـن ظـاهـره      و تـحـمـد مـنـه مـخـتـبـره  
و يـسـتـر عـيـبَ صـاحـبه      و يـسـتـر أـنـه سـتـره

وقال آخر: [مجزوء الوافر]

جـلـيس لـتـي لـه أدب      رـعـايـة مـثـلـه تـجـبُ  
لـو انـثـقـدت خـلائـقـه      تـبـهـرج عـنـدهـا الذـهـبُ

(١) البيت الأول بلا نسبة في لسان العرب (قمع) وتاج العروس (شور)، (قمع)، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٤١، والبيت الثاني بلا نسبة في تاج العروس (قمع)، وفيه «إن أمروا» بدل «إن نطقوا».

(٢) الأبيات في ديوان كشاجم ص ٧١.

وقال آخر: [الخفيف]

لي صديق غلطت بل لي مولى      من لمثلي بأن يكون صديقي  
نتلاقى التقاء روح بروح      بضروب التقبيل والتعنيق  
ليس في الأرض من يميز منا      عاشقاً في اللقاء من معشوق  
أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور: [السريع]

قلت لئدما نى على خلوة      أذن كذا رأسك من راسيَا  
ونم على وجهك لي ساعة      إني امرؤ أنكح جلاسيَا  
والبة بن الحباب شيخ الحسن بن هاني أذبه صغيراً، فتخلّق بخلقه. وقال الحسن:  
[الخفيف]

وجليس كأن في جنتيه      كل شيء تسمو إليه النفوس  
قد أصبنا منه فتستغفر الله كثيراً      وقد يصاب الجليس

### [الحور والكور]

قوله: الكُورِ والحُور، أي الزيادة والنقصان، وكلام العرب: نعوذ بالله من الحورِ بعد الكُورِ، أي من النقصان بعد الزيادة، فقلب اللفظ على مراده، وهو من كُورِ العمامة، وهو استعارة من نقض الأمر، كتقضى العمامة بعد كُورها وهو شذها، وكار عمامته: شذها على رأسه وجمعها وحارها فنقضها وأفسدها.

وأمر الحجاج رجلاً على جيش، ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر، فقال: هذا الحور بعد الكُور، فقال له الحجاج: وما الحور بعد الكُور؟ قال: النقصان بعد الزيادة، فعلى هذا أكثر أهل اللغة.

وقيل معناها: نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا في الكُور، وهو الاجتماع، من كار عمامته جمعها في رأسه. وحارها: أفسدها.

ويروى «بعد الكُون»، من قولهم: حار بعد ما كان، أي كان على حالة جميلة فرجع عنها. وقيل: معناها نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكُون على الاستقامة فحذف للعلم به.



في المرتع والمربع، يعني المأكل والمنزل، والمرتع الاتساع في الأكل الكثير والشرب، والمربع: المنزل في الربيع، من ربت في الموضع أقمت فيه. الأنملة: طرف الأصبع أي عظموه ورفعه فوق رؤوسهم.

ابن أنسهم، أي الذي يأنسون به. عند الولاية والعزل: أي زمن العمل والعطل.  
خازن: كاتم وحابس.



فَاتَّقَوْا أَنْ تُدْبُوا فِي بَعْضِ الْأَوَاقِ، لاستقراء مَزَارِعِ الرُّزْدَاقَاتِ، فاخْتَارُوا مِنَ  
الجَوَارِي المنشآت، جاريةً حالكةَ الشَّيَاتِ، تَحْسَبُهَا جَارِيَةً وَهِيَ تَمَرُّ مِنَ السَّحَابِ،  
وتنسأُ فِي الْحَبَابِ كَالْحُبَابِ. ثُمَّ دَعَوْنِي إِلَى المرافقة، فَلَبِثْتُ بِلِسَانِ المَوَافَقَةِ.



تُدْبُوا، أي دعوا. استقراء، أن تتبّع. الرزداقات: العمالات والأنظار، وأراد أنهم  
خرجوا عمالاً على الزرع، وكل موضع أو قرية انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق  
ورستاق ومخلاف وكورة، فالرزداق بخراسان وهو فارسيّ عربيّ، والمخلاف لليمن،  
والكورة لغيرهما من الأرضين.

الجواري: السفن. المنشآت: المصنوعات. حالكة الشيات: مسودة اللون، والشية  
في الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك، فأراد أن موضع البياض في غير  
السفينة هو منها أسود فهي كلها سوداء جامدة: ساكنة.

### [وصف السفن]

وركب السَّلامِيّ دجلة في زورق، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال: [الوافر]  
وميدانٌ تجول به خيولٌ تقود الدَّرَاعِينَ ولا تقاؤُ  
ركبت به إلى اللذات طُرفاً له جسمٌ وليس له فؤادُ  
جَرَى فحسبت أن الأرض وجهٌ ودجلة ناظر وهو السَّوَادُ  
وقال القاضي التنوخي يصف دجلة في الظلام: والقمر يلمع عليها، وينتظم في  
سبلك أبيات السَّلامِيّ رحمه الله تعالى: [الكامل]

أَحْسِنُ بِدَجْلِهِ وَالدَّجَى مَتَصَوِّبٌ      وَالبدر في أفق السماء مغرَّبُ  
فكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقُ      وَكَأَنَّهُ فِيهَا طَرَاظٌ مُذْهَبُ  
وقال منصور بن كينغلغ: [الكامل]

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا      مِنْ فَوْقِ دَجْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَغَيَّبَا  
وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْأَقْوَالِ كَأَنَّهُ      قَدْ سَلَ فُرُوقَ سَيْفٍ مُذْهَبَا

وتسميته للسفينة جارية، لجريانها على الماء، قال تعالى في السفن العظام: ﴿وَمِنْ  
آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢].

ولبعضهم: [الكامل]

يا من تأقَّبَ مزْمعاً لِرَواحِ  
في بطنِ جاريةِ كَفْثِكَ بَسيرها  
فكَانَها والماءُ يَنْطَحُ صَدْرُها  
جَوْزٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَبْتَدِرُ الدَّجَى  
مَتَيْمَماً بِغَدَاةٍ غَيْرِ مَلاحِ  
رَقْلانِ كُلِّ شَناحَةٍ وَشَناحِ  
والخيزرانةِ في يدِ المَلاحِ  
يَهْوَى بِصَوْتِ وَاِصْطِفاقِ جَنَاحِ  
الشَّناحِ: الجملُ التامُ الخلقِ.

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الأصطول: [الكامل]

يا حَسَنَها يَوماً شَهدْتُ رَفاها  
من كُلِّ لابسَةِ الشَّبابِ مُلاءَةً  
ومَجادِفٍ تَحْكِي أَراقِمَ رَبوَّةِ  
والماءِ في شَكْلِ الهِواءِ فلا تَرى  
بنتُ الغُضاءِ إلى الخَليجِ الأَزْرقِ  
حَسَبَ اقْتِدارِ الصَّانِعِ المَتانِقِ  
نَزلتُ لَتَكرِجٍ في غَديرِ مُثاقِ  
في شَكْلِها إلّا جَوارِحَ تَلتَقِي  
ولا بنِ حَريقٍ: [الكامل]

وكانَما سَكنَ الأراقِمُ جَوفَها  
فإذا رَأى الماءَ يَطفَحُ نَضِضُها  
من عَهدِ نوحِ صاحِبِ الطُوفانِ  
من كُلِّ حَرِّقٍ حَيَّةٌ بِلِسانِ



قوله: ينساب، أي تمشي بسلاسة. الحُباب: طرائق الماء. والحُباب، بالضم: الحية. وتشبيهه المشي السهل بحُباب الماء أفسى وأعرف من تشبيهه بـمشي الحية، وتشبيهه بـمشي الحية قد استعمل، وهو متمكن في المعنى، وبه وقع التشبيه هنا في المقامة، وقال امرؤ القيس في تشبيهه بحُباب الماء: [الطويل]

سَموتُ إليها بَعدَ ما نَامَ أَهلُها  
وقال ابن الرومي: [البيط]

فصَغتُ ذَلكَ من قَولي إلى قَمرِ  
جَرتُ تُدافِعُ من وَشَيِّ لَها حَسنِ  
يَلهُو بِمَكتَحَلِ طَوراً ومُختَضِبِ  
تَدافُعِ الماءِ في وَشَنِي من الحَبَبِ  
وقال عمر بن أبي ربيعة في مشي الحية: [الطويل]

فلَما فَقدتُ الصَوْتَ مِنْهُم وأَطفِئْتُ  
مِصابيحَ شُبُتَ بالعِشاءِ وأَنوَرُ<sup>(١)</sup>

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٣١، وتاج العروس (حب)، وبلا نسبة في لسان العرب (حب)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٠.

(٢) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٦٦.

وغاب قُمَيْرٌ كنت أرجو غيوبه      وَرَوْحُ رُغَيَّانَ وهومٌ سُمِرُ  
وَحُقُضٌ عني الصوت أقبلت مشية الـ      حُباب وركنى خيفة القوم أزورُ  
ثبت في الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الأعرابي: [الوافر]

من المتصديات لغير سوء      تسيل إذا مشت سَيْلُ الحُبابِ  
يروي بالفتح والضم. وابن الإفليلي يأبى إلا الضم.

وقال أبو القاسم بن هانئ فجمع بين التشبيهين: [الكامل]

قامت تَمِيسُ كما تدافع جَذُولُ      وانساب أَيْمٌ في نقأ يتهيلُ  
وأنت تُزَجِّي رَدْفها بقوامها      فتأطر الأعلى وماج الأسفلُ  
وقال آخر ورفع الاحتمال: [السريع]

لما دنا الليل بأرواقه      ولاحت الجوزاء والمرزُمُ  
أقبلت والوطء خفيف كما      ينساب في مكمنه الأرقمُ  
وما أحسن قول ابن شهيد في معناه: [المقارب]

ولمّا تمكّن من سُكْرِهِ      ونام ونامت عيون العَسَسِ  
دَنُوْتُ إليه على رِقْبَةٍ      دنو محبٌ دَرَى ما التمسِ  
أدبٌ إليه دبيب الكرى      وأسمو إليه سمو النُقْسِ  
أقبل منه بياض الطُلَى      وأرشف منه اللَّمَى واللَّعْسِ



فلما تورّكنا على المطيئة الدهماء، وتبطّنا الوليّة الماشية على الماء، أَلْفَيْنَا بها شيخاً عليه سَخَقٌ سِرْبَال، وسِبُّ بال، فعافت الجماعة محضره. وعَنُفْتُ مَنْ أحضره، وَهَمْتُ بإبرازه من السفينة، لولاً ما ثابَ إليها من السَّكِينَةِ؛ فلما لَمَحَ مِنَّا استئقال ظِلَّةٍ، واستبراد طَلِّهِ، تعرّض للمنافثة فصُمْتُ، وَحَمْدَلٌ بعد أن عَطَسَ فما شُمْتُ.



قوله: المطيئة الدهماء، هي السفينة السوداء. وتورّكناها: قعدنا عليها متكئين. وتبطّنا: دخلنا بطنها. الوليّة المطيعة. وأوهم لِقول الناس: فلان وليّ يمشي على الماء، فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها وليّة. أَلْفَيْنَا: وجدنا. سحق سربال، أي قميص حَلَقَى. والسَّب: الخمار. فيريد أن عليه مئزراً أو خميراً بالياً، والمئزر كالخمار



للمرأة. عافت: كرهت. عتقت: لامت وأغلظت له القول، والعنف ضد الرفق. ثاب: رجع.

قال الفراء رحمه الله تعالى: معنى السكينة الطمأنينة.

أبو عبيدة: هي فعيلة من السكون. وتشبه حالة أبي زيد هنا في إهائته أولاً وإكرامه آخراً حالة مُعَبَّد في دخول السفينة، وقد تقدّمت في الثامنة عشرة.

لمح: رأى. والظلّ، يوصف بالثقل مبالغة في ثقل صاحبه، يقال للمستثقل: ظلك عليّ ثقیل، أي أخف ما يمكن أن يوجد منك الظلّ السريع الانتقال يثقل علينا، فيُصوّر شخصك أي منزلته من الثقل، وإنما يتصور ثقل الظل حقيقة إذا أخذ عليك إنسان عين الشمس في زمن البرد أو ضوءها وأنت تنظر ما يدفئ.

### [مما قيل في الثقلاء]

ومما قيل في ثقیل: [مجزوء الرمل]

أنت يا هذا ثقیلٌ      وثقیلٌ وثقیلٌ  
أنت في المنظر إنسا      نُ وفي المخبر فيلٌ  
لو تعرضت لظلٌ      فسَد الظلّ الظلیلُ

وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقیل يُشد: [المقارب]

فما الفیل تحمله مَبْتَأُ      بأثقل من بعض جلاسیَا

وذكر ثقیلا كان یجلس إلى جانبه، فقال: والله إني لأبغض شقی الذي يليه مني.

وكان حماد بن سلمة إذا أرى مَنْ یستثقله قرأ: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ [الدخان: ١٢].

عائشة رضي الله عنها: نزلت آية في الثقلاء: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث﴾ [الأحزاب: ٥٣].

الشعبي: من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى ثقیلاً قال: اللهم اغفر له وأرخنا منه.

قيل لجالينوس: لم صار الرجل الثقیل أثقل من الحمل الثقیل؟ قال: لأن ثقله على القلب دون الجوارح، والحمل الثقیل يستعين القلب بالجوارح عليه.

وقال طبيب للحجاج: إياك ومجالسة الثقلاء، فإننا نجد في الطب أن مجالستهم حُفِيَ الروح.

وقال حكيم لآخر: لا تصحب ثقیلاً، فمن يصحبه فإنما يعدّب روحه.

وقيل: سخنة العين النظر إلى الثقلاء.

وكان بعضهم إذا رأى ثقيلاً عُشِيَّ عليه . وكان آخر إذا رأى ثقيلاً غَمَضَ عينيه .  
وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلاً قال : قد جاءكم الجبل ، فإن جلس عندهم قال :  
قد وقع عليكم .

وسمع الأعمش كلام ثقیل فقال : مَنْ هذا الذي يتكلم وقلبي يتألم .  
قال رجل لخالد بن صفوان : أنتستقل فلاناً؟ قال : أَوْه كدَتْ والله أن تصدع قلبي  
بذكره ، والله لهو أثقل من شراب الترنجيل بماء التين في أيام الحكاك بعقب التخمة وأوان  
الحجامة .

سَلِمَ ثقیل على بعض الظرفاء فقال : وعليك السَّلام شهراً .  
قعد ثقیل عند ظريف ، فسئل عن ذلك ، فقال : كانت نفسي قد شمخت عليَّ فأردت  
أن أهينها بذلك .

وقال رجل لغلام هاشمي : يا بغيض ، فشكاه إلى أبيه ، فقال : قد علمتُ أنك  
بغيض ، فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بغضك بإسنادك .  
وسئل إنسان له ثلاث بنين ثقلاء : أي بنيك أثقل؟ فقال : ليس بعد الكبير أثقل من  
الصغير إلا الأوسط .

كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد : أنت والله يا محمد ثقیل الظلِّ ، مظلم الهواء  
جامد النسيم ، بارد حامض متنن .  
قال سهل بن هارون : مَنْ ثَقُلَ عليك نفسه ، وغمك سؤاله فأعِزَّه أدناً صماء ، وعيناً  
عمياء .

وأنشدوا : [السريع]

مَشْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَنْشِي  
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا  
إِلَيْهِ لِحَظًا مَقْلَةُ الرَامِقِ<sup>(١)</sup>  
أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ  
وقال بعضهم : [الكامل]

يَا مَنْ تَبَرَّمت الدنیا بطلعتِهِ  
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ  
كَمَا تَبَرَّمت الأَجْفَانُ بِالشُّهْدِ  
مِنْ ثَقْلِهِ جَالِسًا مَنِي عَلَى كِبِيدِي  
ولبعضهم : [مجزوء الخفيف]

نَظَرَ الْعَيْنَ نَحْوَهُ  
فَإِذَا مَا أَرَدْتُكُمْ  
- عَلِمَ اللَّهُ - يُمَرِّضُ  
أَنْ تَرَوْهُ فَنَغْمَضُوا

لا تصببكم ملّة      والمملّات تعرّضُ  
وقال بعضهم : [مخلع البسيط]

شخصك في مقلّة التّديم      أوحش من نحسّة النجوم  
يا رجلاً وجهه علينا      أثقل من مئة اللثيم  
إنّي لأرجو بما أقاسي      منك خلاصي من الجحيم  
وقال بعضهم أيضاً : [المتقارب]

ولي خلّتان على هامتي      جلوسهما مثل حدّ الويد  
ثقيلان لم يعرفا جفّة      فهذا الصّداع وذاك الرمد

والأشعار في الثقلاء كثيرة وفي كتب الآداب مشهورة، فلنقتصر على هذه النبذة.

قوله : استبراد طلّه . الطّل : أضعف المطر، وهو الرذاذ، وأكثر نزوله ساكناً بغير ريح، ولا برّد في الغالب يكون معه، فكأنّ هنا بالطلّ عن كلامه القليل، وإنه عندهم بارد الحديث، وإن كان ما جاء منه ثقیل مؤذ.

وقد جاء في ذلك : [المتقارب]

ولو مازج النار في حرّها      حديثك أطفأ منها اللهب  
وقال آخر في شعر الصولي : [السريع]

داري بلا خيش ولكّني      عقدت من خيشي طاقين  
دار متى ما اشتد بي حرّها      أنشدت للصّولي بيتين

وكلامه : [الطويل]

ويوم كتّ نور الطهاة سجرته      على أنه منه أحرّ وأوقد  
ظللت به عند المبرّد جالساً      فما زلت في ألفاظه أتبرّد

لقي برد الخيار المغني أبا العباس المبرد في يوم ثلج بالجر، فقال له : أنت المبرّد وأنا برد الخيار، واليوم كما ترى : عبّر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسبينا . وقال كشاجم رحمه الله تعالى : [المتقارب]

غناء مديح بأرض الحجاز      يطيب وأما بحمص فلا  
لبرد الغناء ويرد الهواء      فإن جمعا خفت أن يقتلا

قوله : تعرّض، أي تهيأ . المنافة : الكلام معهم . صمّت : سكّت . ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «موقع حديث الرجل من القوم كموقعه من قلوبهم» .

حمدل: قال الحمد لله. ما شُمت: ما أدخل عليه السرور بقولهم: يرحمك الله تعالى.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دُفع بها عنه سبعون داء أهونها الجذام».

### [في تسميت العاطس]

وقال النبي ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، والذي يشمت: يرحمك الله، وليقل هو: يهديكم الله، ويصلح بالكم»<sup>(١)</sup>.

ومما يستظرف من حديث العطاس أن صوفيًا في بلدنا كان حافظاً للشعر، فلا يعرض في مجلسه معنى إلا وينشد عليه شعراً، فاتفق أن عطس رجل بمحضره، فشتمته الحاضرون، فدعا لهم، فرأى الصوفي أن تسميته قطع إنشاده بما لا يشاكله من النظم، وإن لم يشتمه كان تقصيراً في البر. فأصبح للطلبة رغباً أن ينظم له هذا المعنى، فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد: [السريع]

يا عاطساً يرحمك الله إن	أعلنت بالحمد على عطسك
ادع لنا ربك يغفر لنا	وأخلص النية في دعوتك
وقل له يا سيدي رغبتني	حضور هذا الجمع في حضرتك
وأنت يا رب النداء والندى	بارك رب الناس في ليلتك
فإن يكن منك لنا دعوة	فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير الشريف إنما يصرف شعره في أوصاف الغزلان، ومخاطبات الإخوان. وكتب إليّ يستهديني كتاب العقد: [الطويل]

أيام غدا سلكا بجيد معارفه	ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحي عاطل الجيد فلتجد	بعقد على لباته وسولفه

وتوَعَّك في بعض الأعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة، فلما هموا بالانصراف أنشدتهم ارتجالاً: [الكامل]

له در عصابة أمجاد	شرف النداء بقصدهم والنأي
لما أشاروا بالسلام وأزبعوا	أنشدتهم وصدقت في الإنشاد
في العيد عدتم وهو يوم عزوبة	يا فرحتي بثلاثة الأغياذ



(١) أخرجه الدارمي في الاستئذان باب ٣٠، وليس فيه لفظ «تجشأ».

فَأَخْرَدَ يَنْظُرُ فِيمَا آلَتْ حَالُهُ إِلَيْهِ، وَيَنْتَظِرُ نُصْرَةَ الْمِبْغِيِّ عَلَيْهِ. وَجُلْنَا نَحْنُ فِي شَجُونٍ، مِنْ جِدِّ وَمُجُونٍ؛ إِلَى أَنْ اعْتَرَضَ ذَكَرُ الْكِتَابَتَيْنِ وَفَضْلِهِمَا، وَتَبَيَّانِ أَفْضَلِهِمَا، فَقَالَ قَائِلٌ: إِنْ كَتَبَ الْإِنْشَاءُ أَنْبَلَ الْكِتَابِ؛ وَمَالَ مَائِلٌ إِلَى تَفْضِيلِ الْحِسَابِ. وَاحْتَدَّ الْحِجَاجُ، وَامْتَدَّ اللَّجَاجُ؛ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ لِلْجِدَالِ مَطَرَحٌ، وَلَا لِلْمِرَاءِ مَسْرَحٌ؛ قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ يَا قَوْمُ اللَّغَطِ، وَأَثَرْتُمْ الصَّوَابَ وَالْغَلَطَ، وَإِنَّ جَلِيَّةَ الْحُكْمِ عِنْدِي، فَارْتَضُوا بِنَقْدِي، وَلَا تَسْتَفْتُوا أَحَدًا بَعْدِي.



قوله: أخرد: أي سكت ذلاً، ويروى: خرد، أي سكت حياء واستتر، تقول: أخردت وخردت من حرّ الشمس. أي استترت، وأقرد من لفظ القرد أو القراد، وأخرد من لفظ الخريدة. آلت: رجعت. المبغي عليه أي المظلوم، وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه، من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] جلنا: تصرّفنا. شجون: ضروب من الكلام، ومنه: الحديث شجون، أي فنون، ومشتبك بعضه ببعض. وفي الحديث: «الرحم شجنة من الله»، معناه القرابة مشتبك بعضها ببعض، كاشتباك العروق. اعترض: تصلّب وظهر. الإنشاء: الكتابة. وكتبة الإنشاء هم كتبة بين يدي السلطان وهم المترسلون. أنبل: أعظم قدراً. والحساب: كتبة الزمام.

احتدّ: اشتدّ. والمحاج: المحاجة واللجاج: ركوب الرجل على الباطل، مطرح: موضع يطرح فيه. المراد قد تقدّم. أثرتم: فضلتهم. جليّة: بيان. نقدي: تمييزي.



اغْلُمُوا أَنْ صَنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ أَزْفَعَ، وَصِنَاعَةَ الْحِسَابِ أَثْفَعَ، وَقَلَمَ الْمَكَاتِبَةِ خَاطِبَ، وَقَلَمَ الْمَحَاسِبَةِ حَاطِبَ، وَأَسَاطِيرَ الْبَلَاغَةِ تُنْسَخُ لِتُذَرَسَ، وَدَسَاتِيرَ الْحُسْبَانَاتِ تُنْسَخُ وَتُذَرَسَ. وَالْمَنْشِئُ جُهَيْنَةُ الْأَخْبَارِ، وَحَقِيبَةُ الْأَسْرَارِ، وَنَجِيُّ الْعُظَمَاءِ، وَكَبِيرُ النَّدَمَاءِ، وَقَلَمُهُ لِسَانُ الدَّوْلَةِ، وَفَارِسُ الْجَوْلَةِ، وَلَقْمَانُ الْحِكْمَةِ، وَتَرْجُمانُ الْهِمَةِ. وَهُوَ الْبَشِيرُ وَالتَّذِيرُ، وَالسَّفِيعُ وَالسَّفِيرُ. بِهِ تُسْتَخْلَصُ الصَّيَاصِي، وَتُمْلَكُ النَّوَاصِي، وَيُقْتَادُ الْعَاصِي، وَيُسْتَدْنَى الْقَاصِي، وَصَاحِبُهُ بَرِيٌّ مِنَ التَّيْبَعَاتِ، آمِينَ كَيْدَ السَّعَاةِ، مُقَرَّطٌ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ، غَيْرُ مُعْرِضٍ لِنُظْمِ الْجَمَاعَاتِ.



قوله: خاطب، أي جامع للكلام. حاطب: جامع للحطب، يريد أن المنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه، ولا يبالي كاتب الحساب بما كتب، ويكون

حاطب بمعنى مجمع للمال. أساطير: أحاديث، وهي جمع أسطار، وأسطار: جمع سطر. وقيل: الأساطير: جمع أسطورة وإسطارة. دساتير: أزمنة. تدرس: تَمْحَى أو تُتْرَك حتى تتغير.

### [قصة المثل : عند جهينة الخبر اليقين]

جهينة الأخبار، أي العارف بها. واختلفوا في المثل، قال الأصمعي رحمه الله تعالى: جُفِينَة بالجيم والفاء.

وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى: حُفِينَة، بحاء غير معجمة.

وقال ابن الكلبي: جُهينة بالجيم والهاء، وهو الصحيح.

وأصله أَنَّ حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خَرَجَ يطلب فُرْصة فاجتمع برجل من جُهينة يقال له الأخنس بن كعب، فنزلا في بعض منازلهما. وتعاقدا ألا يلقي أحداً إلا سلباه، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه، فلقياً رجلاً، فسلباه كلُّ ما معه فقال لهما: هل لكما أن تردّا عليّ بعض ما أخذتما مِنّي وأدلكما على مغنم؟ فقالا: نعم، قال هذا رجل لخمّي قدم من بعض الملوك بمغنم كثير، وهو خلفي في موضع كذا، فردّا عليه بعض ماله، وطلبا اللخمّي، فوجده نازلاً في ظل شجرة وقْدَماه طعامه وشرابه، فحيّاه وحيّاهما، وعرض عليهما الطعام، فنزلا وأكلا، وشربا مع اللخمّي. ثم إن الأخنس ذهب لبعض شأنه، فلما رجع أبصر سيف صاحبه مسلولاً، واللخمّي يتشخّط في دمه، فسَلَّ سيفه، وقال: ويحك! قتلْت رجلاً قد تحرّمتنا بطعامه وشرابه! فقال: اقعد يا أخا جهينة، فلهذا وشبهه خرجنا. ثم إن الجهنّي شغَلَ صاحبه بشيء، ثم وثب عليه فقتله، وأخذ متاعه ومتاع اللخمّي. ثم انصرف إلى قومه راجعاً بماله، وكانت لحصين أخت تسمّى صخرة، فكانت تبكيه في المواسم وتسأل عنه فلا تجد مَنْ يخبرها بخبره، فقال الأخنس حين أبصرها: [الوافر]

وكم من فارس لا تزدرية	إذا شَخَصَتْ لرؤيته العيونُ
علوث بياض مفارقة بعَضٍ	فأضحى في القلاة له سكون
يذلّ له العزيز وكلّ ليثٍ	من العُقبان مسكنه العرينُ
فأضحت عرسه ولها عليه	بُعَيْدٌ هدوء رُقْدَتها أنينُ
كصخرة إذ تسائل في مراحٍ	وفى جرم وعلمهما ظنونُ
تسائل عن حصين كلّ ركب	وعند جُهينة الخبر اليقين <sup>(١)</sup>

(١) البيت للأخنس الجهني في لسان العرب (جفن)، وتاج العروس (جفن)، ولغصين في لسان العرب (جفن)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨٩٠، وتاج العروس (جهن).

فمن يك سائلاً عنه فعندي  
لوسائله الحديث المستبين  
مراح وجزم: قيلتان.

حقبة: وعاء. نجى: متكلم. الندماء: الجلساء على الخمر، يريد أن أصحابه  
أعيان وأشراف. التذير: المخوف. السفير: الرسول بين القوم. تستخلص: تملك  
وتحصل. الضياعي: الحصون. النواصي: الرؤوس، وأصل الناصية شعر مقدم الرأس.  
القاضي: البعيد. التبعات: المطالبات. السعاة جمع ساع، وهو جابي الصدقة. مقرظ:  
مددوح. نظم الجماعات: تجميل الحساب، والجماع: الأخلاط وضروب من الناس،  
والجماع: كل شيء انضم بعضه إلى بعض وتجمع؛ أراد أن كاتب التراسيل قد أمن من  
مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعرض لأن يولف ما افترق  
من الخراج حتى يصير جماعات.



فلما انتهى في الفصل، إلى هذا الفصل، لحظ من لمحات القوم أنه ازدرع  
حُباً وبُغضاً، وأزسى بعضاً وأحفظ بعضاً. فعقب كلامه بأن قال: إلا أن صناعة  
الحساب موضوعة على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق، ولَمَّ  
الحاسب ضابط، ولَمَّ المنشئ خابط. وبين إتاحة توظيف المعاملات، وتلاوة  
طوامير السجلات، بَوْنٌ لا يُدرِكُه قياس، ولا يَعْتوره التباس، إذ الإتاحة تملأ  
الأكياس، والتلاوة تفرغ الرأس، وخراج الأوارج، يُغني الناظر، واستخراج  
المدارج يُعني الناظر.



الفصل، أي القضاء والحكم، وأراد أنه فصل في القضاء بين الصنفين من الكتاب.  
إلى هذا الفصل، أي إلى هذا الحد. والفرق، فالأول من فصل الحاكم بين الخصمين  
فصلاً: قضى، والثاني من فصلت بين الشئين فصلاً وفصلاً: فرقت، يريد أنه فصل بين  
الكلام المتقدم والكلام المستأنف، وأراد أنه ازدرع في قلوب كتبة الإنشاء حبه لمدحه  
لهم، وفي قلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم، فأخذ يستأنف مدحهم.

أحفظ: أغضب. عقب: أتبع، وأراد بالتحقيق أن صناعة الحساب برهانية محقة.  
والتلفيق: ضم شيء لطيف إلى مثله، ولفقت الشيء تليقاً ضمنت بعض أجزائه إلى  
بعض. ضابط: محقق، والضبط الأخذ بشدة، ورجل ضابط للشيء، إذا قوَّى عليه فلم  
يُفَلت منه. خابط: مغرر، وخبط: مشى على غير هداية.

الإتاحة: الخراج والجبابة إلى بيت المال. توظيف: تقسيط. ووظف على الناس

الغرم: قسّطه عليهم، والوظيفة: نصيبك الذي تغرمه. المعاملات: أنواع من علم الحساب، وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة إذا وافقته على بيع أو كراء أو إجازة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض. تلاوة: قراءة. طوامير السجلات: بطائق الترسيل، والطّومار: الكتاب. بون: بعد. يعتوره: يتداوله ويقصده. التباس: شك. الأكياس: أوعية الدراهم. والإتاوة: رشوة العمال: قال النبي ﷺ: «هدايا العمال رشوة». تغرّغ الرأس: تهوّسه بكثرة الدروس والسهل. الأوارج: أزمة الخراج. وقيل: صنف من الخراج. الناظر: العامل فيها، وأورجها، إذا تولى عملها والقيام بها. المدراج: الرسائل، سمّيت بذلك لأنها تُدرّج، أي تطوى على ما فيها، واستخراجها: تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها. يعتب: الناظر: سواد العين، يريد أنّ كاتب الزمام في راحة وهو يملي على أكياسه بالدراهم. وكاتب الرسالة متعوب قليل المال.



ثم إن الحسبة حفظت الأموال، وحملت الأثقال، والنقلة الأثبات، والسفرة الثقات، وأعلام الإنصاف والانتصاف، والشهود المقانيع في الإخلاف، ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان، وقطب الديوان، وقسطاس الأعمال، والمهين على العمال، وإليه المآب في السلم والهزج، وعليه المدار في الدخل والخرج، وبه مناط الضر والنفع، وفي يده رباط الإعطاء والمنع.

ولولا قلم الحساب، لأودت ثمرة الاكتساب، ولاتصل الثغابن إلى يوم الحساب. ولكان نظام المعاملات مخلولاً، وجرح الظلمات مطلقاً، وجيد الثناصيف مغلولاً، وسيف الظالم مسلولا. على أن يراع الإنشاء متقول، ويراع الحساب متأول. والمحاييب مناقش، والمنشيء أبو براقش، ولكليهما حمة حين يزقي، إلى أن يلقي ويرقى، وإعتات فيما يئشأ، حتى يغشى ويؤشئ؛ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم.



الثقلة: الأثبات، أي هم على يقين وثبات فيما ينقلون. السفرة: الكتبة. الثقات: الأئمة. أعلام الإنصاف: يريد المشاهير بإنصاف السلطان من الناس والناس منه، وتقول: أنصفت الرجل: أعطيته حقه، وانتصفت منه: أخذت حقه. والمقانع: الذين ينفع بفعلهم، أي يرضى. والإخلاف: جودة الزرع، تقول: أخلف الزرع، إذا طاب؛ ورد على أصحابه أضعاف ما نفق عليه. المستوفي: رأس المشارب. قطب: أصل. وقطب



القوم سيدهم الذي يدبر أمرهم ويدورون على رأيه، بمنزلة قطب الرحي الذي تدور عليه. الديون: دار كتاب الخراج، وهو فارسيّ معرّب. قسطاس: ميزان؛ يريد أنه ميزان العمل الذي يعتدل به.

المهيمن: الشاهد. المآب: الرجوع. السّلم والهزج: الصلح والحرب. المدار: المعول، أي عليه أن يعول في إدارة ما يدخل على السلطان من المال من رعيته، وما يخرج عنه من لوازم الأجناد وغيرهم، وفلان كثير الدخل والخزج، إذا كثر ما يدخل عليه من الفوائد وما يخرج عنه من الإنفاق.

مناط: تعلّق. أودت: هلكت. نظام: خط. مطلوباً: هدرأ أي باطلاً لا حق فيه. التناصف: أخذ الحق وإعطاؤه، واستعار له عنقاً، وجعله مغلولاً؛ أي محبوساً بغلّ. التظالم: ضدّ التناصف. يراع: أقلام. متقول: منحول ما يقوله. متأول: مدبر؛ يريد أنّ الملك يلقي للكاتب مقصده، فيحسن الكاتب الألفاظ ويرتّب الفقر، فيزيد في كتابته ألفاظاً على ما حدّه بالضرورة، فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل ما لم يقل، وكاتب الحساب لا يحتاج إلى تقول. مناقش: مباحث. أبو براقش: أي يأتي بأنواع مختلفة، وأبو براقش: طائر فيه ألوان شتى، مشتق من البرقشة، وهي النقش والرقم، يقال: برقشت الثوب. وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء لبعض بني أسد: [مجزوء الكامل]

إن يبخلوا أو يحسنوا      أو يعذروا لا يحفلوا<sup>(١)</sup>  
يغدوا عليك مرّجليه      من كأنهم لم يفعلوا  
كأيي براقش كل حي      من لونه يتخيّل

وأبو براقش وأبو قلمون، كنية للرجل الكثير التلون، القليل الارتباط، وأصل أبي قلمون كنية لثياب إبريسم تسج بمصر والروم، تتلون للعيون ألواناً شتى. وفي البدعية: [المجث]

أنا أبو قلمون      في كل لون أكون

(١) يروى البيت الأول:

إن ينجلوا أو يجبنوا      أو يغدروا لا يحفلوا

والبيتان الأول والثاني، لبعض بني أسد في خزانة الأدب ٩/٩١، والكتاب ٣/٨٧، ولسان العرب (برقش)، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/٥٨٤، والبيان والتبيين ٣/٣٣٣، وديوان المعاني ١/١٨٢، وذيل الأمالي ص ٨٣، وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٠٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٥١٥، وشرح المفصل ١/٣٦، وكتاب الصناعتين ص ٦٠١، والبيت الثالث للأسدي في لسان العرب (برقش)، والتنبيه والإيضاح ٢/٣١٢، وتاج العروس (برقش)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (برقش)، (خيل).

حُمة بالتخفيف : سَمَ وشَرَّ. يَزُقَى : يصعد في منزله، ويرتفع في أصابع الكاتب حين يكتب به. يُزُقَى : إشارة للرشوة لأنها تسكن شُرّة، كما تسكن الرقية الوجع، إعنات : مشقة. يُنْشَى : يكتب. يُغْشَى : يُقْصَد ويدخل عليه.

### [حائك الكلام]

هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور، لأنهم حقروه أولاً في السفينة ثم عظموه آخرأ بعد الاختبار.

ونذكر الحكاية وإن طالت لموافقتها المقامة : حدّث عمرو بن مسعدة<sup>(١)</sup> أنّ المعتصم لما رجع من الثغر، وصار بناحية الرقة قال لي : ما زلت تسألني في الرخجي<sup>(٢)</sup> حتى وليته الأهواز، وقعد في سُرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضماً، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد، اخرج إليه من ساعتك، واحلف ألا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً، فحلفت له، وقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير مستحسناً لعالم خراج ! ولم أجد بداً من طاعته . فخرجت إلى بغداد، ففرش لي زورق، وغُشِّي بالسِّلْخ<sup>(٣)</sup>، فلما صرت عند دير هزّقل، وإذا رجل يصيح : يا ملاح، رجلٌ منقطع، فقلت للملاح : قرب إلى الشطّ، فقال : هذا شحاذ، وإن قعد معك، آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه في كوثل الزورق<sup>(٤)</sup>، فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع، إلّا أنه نظيف، فلما رُفِع الطعام، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخاصة ؟ أن يقوم فيغسل يده في ناحية، فلم يفعل، فغمزه الغلمان فلم يفعل، فقلت : يا هذا، ما صناعتك ؟ فقال : حائك، فقلت في نفسي : هذه شرٌّ من الأولى، ثم قال لي : جُعِلَت فداك ! سألتني عن صناعتي فأخبرتك، فما صناعتك ؟ فقلت : هذه والله أعظم، فكرهت ذكر الوزارة فقلت : كاتب.

فقال : الكاتب على خمسة أصناف : كاتب رسائل ويحتاج أن يعرف الفصل من انوصل، والتهاني والتعازي والصدور وجملاً من الإعراب . وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيم والحساب . وكاتب جند، يحتاج إلى أن يعرف شِيَاب الخيل وحُلَى الناس وكاتب شرطة يحتاج إلى أن يَعرِف الجراح والقصاص والذّيّات، وكاتب قاضٍ يحتاج إلى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك، فأيهم أنت أعزك الله تعالى ؟

قلت : كاتب رسائل، قال : فأخبرني ؟ إن كان لك صديق تكتب له في المحبوب

(١) من المعروف أن عمرو بن مسعدة بن سعيد هو أحد وزراء المأمون، وقد توفي سنة ٢١٧ هـ في حياة المأمون، وأن المعتصم ولي الخلافة في رجب سنة ٢١٨ هـ. ولعل هنا خطأ.

(٢) هو عمر بن فرج الرخجي من كتاب المأمون.

(٣) السِّلْخ : الجلد.

(٤) كوثل الزورق : مؤخره.

والمكروه، فتزوجت أمه، كيف تكتب إليه؟ تهنيه أو تعزیه؟ قلت: والله لا أدري، وهو بالتعزية أولى، قال: صدقت، فكيف تعزیه؟ قلت: والله لا أدري وهو بالتعزية أولى، قال: صدقت، فكيف تعزیه؟ قلت: والله لا أدري.

قال: فلست بكاتب رسائل: فأبهم أنت؟ قلت: كاتب خراج، قال: فما تقول وقد ولأك السلطان عملاً، فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك، فأردت أن تُنصفهم، وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الأحدوة، وكان لأحدهم قراح<sup>(١)</sup> فأردت مساحته؟ قلت: أضرب العطوف في العمود. قال: إذن تظلم الرجل، قلت: فأمسح العمود على حدة، والعطوف على حدة، قال: إذن تظلم الناس، قلت: والله فما أدري؟ قال: فلست بكاتب خراج، فأبهم أنت؟ قلت: كاتب جند.

فقال: فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد، أحدهما مقطوع الشفة العليا، والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما؟ قلت: أكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم. قال: وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر ألف درهم، فيقبض هذا على دعوة هذا، فتظلم صاحب الألف، قلت: والله ما أدري! قال: فلست بكاتب جند، فأبهم أنت؟ قلت: كاتب قاض.

قال: فما تقول في رجل توفي وخلف زوجة وسرية، وللزوجة بنت وللسرية<sup>(٢)</sup> ابن، فتنازعا فيه، فقالت كل واحدة منهما هذا ابني وقالت واحدة هذا ابني، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي! قلت: والله ما أدري؟ قال: فلست بكاتب قاض، قال: فأبهم أنت؟ قلت: كاتب شرطة.

قال: فما تقول في رجل وثب على رجل، فشجّه شجّة موضحة<sup>(٣)</sup>، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجّة مأمومة<sup>(٤)</sup>، فقلت: لا أعلم، وقد سألت ففسّر لي ما ذكرت.

قال: أما الرجل الذي تزوجت أمه، فتكتب إليه: أما بعد فإن أحكام الله تعالى تجري بغير محاب المخلوقين، والله يختار للمخلوق، فخار الله لك في قبضها إليه، فإن القبر أكرم لها، والسلام.

قال: وأما القراح فتضرب واحداً في واحد في مساحة العظوف، فتمّ بابه.

قال: وأما المقطوع العليا فتكتب عليه أحمد الأعلم، وعلى المقطوع السفلى أحمد الأشرم، وأما المرأتان فيوزن لبيهما، فأيتهما كان لبيها أخف فهي صاحبة البنت. وفي الموضحة خمس من الإبل، وفي المأمومة ثمانية وعشرون.

(٣) الموضحة: الضربة التي بلغت العظم.

(١) القراح: المزرعة ليس فيها بناء ولا شجر.

(٤) المأمومة: الضربة التي بلغت أم الرأس.

(٢) السرية: المملوكة يتسراها صاحبها.

قلت: فما نزع بك إلى هنا؟ قال: ابن عم لي كان عاملاً على ناحية فخرجت إليه فلقيته معزولاً، فخرجت إلى بعض النواحي اضطرب في المعاش، قلت: أليس قد ذكرت أنك حائك! قال: أنا أحوك الكلام، ولستُ بحائك الثياب. فلما بلغنا الأهواز أمرتُ الحجام فأحفي من شعره، وأدخل الحمام، فكسوته من ثيابي، وكلمت الرخجي فيه في الأهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم، ورجع معي.

فقال لي المعتصم: ما كان من خبرك في طريقك؟ فأخبرته خبري، ثم خبر الرجل، فقال: هذا لا يُستغنى عنه، فلأني شيء يصلح؟ قلت: هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة، فولاه البناء، فكنت ألقاه في الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه، فيقول: يا سبحان الله! إنما هذه نعمتك، وبك أقدتها.

ومثل إيهامه هنا أنه حائك إيهام أبي زيد في التاسعة أنه نظام.



قال الحارث بن همام: فلَمَّا أَمْتَعَ الْأَسْمَاعَ، بَمَا رَاقَ وَرَاعَ، اسْتَنْسِنَاهُ فَاسْتَرَابَ، وَأَبَى الْإِنْتِسَابَ، وَلَوْ وَجَدَ مَنْسَاباً لَأَنْسَابَ. فَحَصَلْتُ مِنْ لَبْسِهِ عَلَى غَمَةٍ؛ حَتَّى أَذْكَرْتُ بَعْدَ أَمَةٍ. فَقُلْتُ: وَالَّذِي سَحَرَ الْفَلَكَ الدَّوَارَ، وَالْفَلَكَ السَّيَّارَ، إِنِّي لِأَجِدَ رِيحَ أَبِي زَيْدٍ، وَإِنْ كُنْتُ أَغْهَدُهُ ذَا رِوَاءٍ وَإِيدٍ.

فتبسّم ضاحكاً من قولي، وقال: أنا هو على استبحالة خالي وخولي؛ فقلت لأصحابي: هذا الذي لا يفرى فريته، ولا يبارى عبقرته. فخطبوا منه الود، ويدلوا له الوجد؛ فرغب عن الألفة، ولم يرغب في التحفة، وقال: أما بعد إن سحفتُم حقي، لأجل سحقي، وكسفتُم بالي، لإخلاق سيزبالي، فما أراكم إلا بالعين السخينة، ولا لكم مني إلا صُخبة السفينة.



قوله: «أمتع الأسماع» أي متع الآذان ولقّدها، ومنه يقال في الكتابة: أبقاك الله وأمتع بك، ومعناه: أطال الله عمره، من المانع وهو الطويل عند العرب، ومنه متع النهار، أي علا، وقال الأنصاري. [الكامل]

وهاً لأيام الصّبا وزمانيه لو كان أمتع بالمقام قليلاً!  
ونُبلاء الكتاب يكتبون بها إلى الاتباع والأدنياء، ولا يكتبون بها إلى الأكفاء والأعلون.



## [من أخبار الأدباء والشعراء]

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات: إلى عبد الله بن طاهر كتاباً في صدره: وأمتع بك، فكتب إليه ابن طاهر: [المنسرح]

أَحُلَّتْ عَمَّا عَهَدْتَ مِنْ أَدَبِكَ      أَمْ نَلَتْ مُلْكاً فَنَهَتْ فِي كِتَابِكَ  
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مَلَاظِفَةِ الْـ      إِخْوَانٍ نَقْصاً عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ  
إِنْ جَفَا كِتَابُ ذِي مَقَّةٍ      يَكُونُ فِي صَدْرِهِ: وَأَمْتَعُ بِكَ  
أَتَعَبْتُ كَفِّئِكَ فِي مَخَاطِبَتِي      حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكَ  
فَأَجَابَهُ ابْنُ الزِّيَاتِ: [المنسرح]

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءِ يَا أُمْلِي      وَكُلَّ شَيْءٍ أَنَالَ مِنْ سَبَبِكَ  
إِنْ يَكُ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي      فَعِذْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسْبِكَ  
أَنْكَرْتُ شَيْئاً وَلَسْتُ فَاعِلُهُ      وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِئُ فِي كِتَابِكَ  
فَاعَفْ فَدَنكَ النِّفْثُوسَ عَنْ رَجُلٍ      يَعِيشُ حَتَّى النِّمَامِ فِي أَدَبِكَ

ومن ملح أجوبة ابن الزيات: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ وَهْبٍ مَرَضَ فَلَمْ يَعِدْهُ، وَلَا تَعْرِفُ خَبْرَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ: [الخفيف]

أَيُّ هَذَا الْوَزِيرِ أَيْدِكَ اللَّهُ      وَأَبْقَاكَ لِي زَمَاناً طَوِيلاً  
أَجْمِيلاً تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ      سَ لَكَيْمًا أَرَاهُ أَيْضاً جَمِيلاً  
إِنِّي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلاً      مَا تَرَى مَرْسَالاً إِلَيَّ رَسُولاً  
إِنْ يَكُنْ يُوَجِّبُ التَّعْهَدَ فِي الصَّحْـ      جِيَّةً مِّنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلاً  
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بَرًّا      وَافْتِقَاداً لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلاً  
فَأَجَابَهُ ابْنُ الزِّيَاتِ: [الخفيف]

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّافِئِ      رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً  
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتَ وَمَاذَا      كَ مِنْ الْعَذْرِ جَائِزاً مُقْبُولاً  
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتَ فَلَا رَمَ      خُكْ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا  
فَاجْعَلْنِي لِي وَالِيَّ التَّعْلُقِ بِالْعِذِّ      رَسْبِيلاً إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلاً  
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالضَّفْعِ وَالْعَفْـ      وَوَمَا سَامَحَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له يعائنه على ترك عيادته: [الكامل]

يَا جَانِفِيَا تَرَكْتَ السُّؤَالَ بَعْبِدِهِ:      نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ مَلُولٍ قَاطِعِ  
اعْتَلَّ عَبْدُكَ مِنْ تَشَكُّي رَأْسَهُ      سَأَلُوا رَدْفَهَا بِيَوْمٍ سَابِعِ

فحبستَ رسلك عن تعهدِ علتي  
وعلمتُ منك تمادياً في جفوتي  
فأجابه الآخر : [الكامل]

لا والذي قسم الجمال بفضله  
ما إن علمتُ بعلةً لك سيدي  
وإذا أتتكَ رسالتني فقرأتها

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاماً لأبي تمام روميّاً، وكان أبو تمام يتعشق غلاماً للحسن خُزريّاً، فرآه أبو تمام يعبث بغلامه، فقال : والله لئن أعنقت في الزوم لأركضن إلى الخزر، وما أشبهك إلا بدادود وأشبه نفسي بخضمه، فقال الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه، والمنثور عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام : [البسيط]

أبا عليّ لصرف الدهر والغَيْرِ  
أذكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتى  
أعندك الشمس لم يَحْطُ المغيب بها  
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى

وكان الحسن يكتب لابن الزيات، فلما وقف على ما بينهما من أمر الغلامين، تقدّم إلى بعض ولده، وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يُعلموه ما يدور بينهما، فعزم غلام أبي تمام على الحجامة، فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك، ويسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه إليه مائة دُن ومائة دينار وخلعة وبخوراً وكتب إليه : [الخفيف]

ليت شعري يا أُمْلَحُ الناس عندي  
دفع الله عنك لي كل سوء  
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جهدي  
وخلعتُ العِذار فليعلم النا  
وليقلولوا بما أحبوا إذا كنـ  
مَنْ عذيري من مقلتيك ومن إشـ

ووضع الرقعة تحت مصلاة، وأعلم ابن الزيات خبرها، فأرسل في الحين، وشغله بشيء، ووجه مَنْ جاءه بها. فلما قرأها كتب فيها على لسان أبي تمام : [الخفيف]

ليت شعري عن ليت شعرك هذا  
فلئن كنتُ في المقال محقّاً  
وتشبهت بي وكنت أرى أنّـ

أبهزلُ تقوله أم بجَدّ  
يا بن وهب لقد تطرّفت بعدي  
سي أنا العاشق المتيّم وحدي

إن مولاي عبد غيري ولولا شؤم جَدِّي لكان مولايَّ عبدِي  
ثم قال: ضعوا الرقعة مكانها، فلما قرأها الحسن قال: إنا لله افتضحنا عند الوزير.  
وأعلم أبا تمام، فتلقَّياه فقالا: إنا جعلنا هذين الغلامين سبباً لتكاتبنا بالأشعار، فقال  
لهما: ومن يظن بكما غير هذا! فكان قوله عليهما أشدَّ.  
محمد بن إسحاق: قلت لأبي تمام: غلامك أطوع للحسن من غلامه لك، قال:  
إني أعطي غلامه قبلاً وقالاً، ويعطي غلامي ثياباً ومالاً، وقال أبو تمام في غلامه:  
[السرّيع]

يا عمرو قل للقَمَرِ الطالع اتسع الخرق على الراقع  
يا طول فكري فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع  
ما أنت إلا رشا جوذّر حل بمغنى أسدٍ جائع

قوله: راق، أي أعجب. راع: أفزع لإفراط حسنه. استسبناه: سألناه عن نفسه،  
وهذا من قول النبي ﷺ «إذا جاء الرجلُ الرجلُ، فليساله عن اسمه واسم أبيه ومن هو،  
فإن ذلك أوصل للمودة»<sup>(١)</sup>. استراب: دخلته الريبة. منساباً: موضعاً يدخل فيه. لبسه:  
تخليطه. وغمة القلب: ما يعطيه من الشك أو الهم، فأراد أنه لبس عليه فلم يعرفه.  
أذكرت، أي ذكرت. أمة: حين. الفلك: مدار النجوم. والفلك السيار: أي السفينة  
السريعة. والفلك لفظ يقع للواحد والجمع. أعهد: أعرفه. رواء: فتوة وحسن هيئة.  
أيد: قوة. استحالة: تغير. الحول: القوة، وأيضاً الحيلة. ولو خاطبه ابن همام بشعر  
لكان للشريف الرضي في جوابه للصابي، وقد شكاً إليه الهمم والجلوس في المحفة  
وامتناعه من التصرف، فقال: [الطويل]

لئن رام قبضاً من بنانك حادثٍ لقد عاضنا منك انبساط جنان<sup>(٢)</sup>  
وإن أقعدتكَ النائبات فطالما سرى موقراً من مجدك الملوان  
وإن هذمت منك الخطوب بمرّها فشمّ لسان للمناقب بان  
قوله: «لا يُفري قرّيه»، أي لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله، قال الحوافزان:

وما ارتعشت كفي ولا طاش ضربها إذا طرحوا بالفارس المتهلّل  
ولكنها إذ ذاك تفرّي فريها وتقرع رأس الفارس المتقتل

يُباري عبقرته: يجاري جنته، ولفظ الحريري كله متزع من الحديث الصحيح قال  
رسول الله ﷺ «رأيت فيما يرى النائم كاني على بثر وأرى جميع الناس، فجاء أبو بكر

(١) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٥٤.

(٢) الأبيات في ديوان الشريف الرضي ص ٩٤٤.

فَنَزَلَ ذَنْباً أَوْ ذَنْبَيْنِ . وفيه ضعف ، والله يغفر له . ثم جاء عمر رضي الله عنه فاستحالت بيده غرباً ، فلم أر عبقرياً من الرجال يفري فريته ، حتى ضرب الناس بأعطانهم<sup>(١)</sup> . يقال رجل عبقرتي ، أي كامل قوتي ، والعبقرتي أيضاً الحسن من كل شيء . الوجد : المال . رغب عن الألفة ، أي تباعد عن الصحبة . ولم يرغب في التحفة ، أي لم يطمع في العطية ، أي لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم . سَحَقْتُمْ : نقضتم وغيرتم . سحقي : ثوبي البالي . وكسفتم بالي : تنقصتم حالي وغيرتموها . سربالي : قميصي . السخينة : الساخنة الحارة الدمع .



ثم أنشد : [الكامل]

ما شاب محض التُّضح منه بغشه	اسمع أخِي وصية من ناصح
في مدح من لم تئله أو خذشه	لا تعجلن بقضية مبثوثة
وصفيه في حالي رضاه وبطشه	وقب القضية فيه حتى تجتلي
للشائمين ، ووبله من طشه	ويبين خلْب بركه من صدقه
كرماً وإن ترها يزبن فافشه	فهناك إن تر ما يشين فواره
ومن استخط فخطه في حشه	ومن استحق الارتقاء فرقه
خاف إلى أن يستشار بنبشه	واعلم بأن التبر في عرق الثرى
من حكه لا من ملاحه نقشه	وفضيلة الدينار يظهر سرها
لصقال ملبسه ورونق رقصه	ومن الغباوة أن تعظم جاهلاً
للدروس بزته ورتقه فرشه	أو أن تهين مهذباً في نفسه
ومفوف البزوين عيب لفحشه	ولكم أنبي طمرين هين لفضله
أسماله إلا مراقبي عرشه	وإذا الفتى لم يغش عاراً لم تكن
خلقاً ولا البازي حقارة غشه	ما إن يضمر العضب كون قرابه



شاب : أي خلط ، ومخضه : خالصة . وغشه : عيه وفساده ..

وللزاهد بن عمران في النصيحة : [مجزوء الكامل]

(١) روي بطرق وأسانيد متعددة ، أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ٥ ، ٦ ، والتعبير باب ٢٨ ، ٢٩ ، والتوحيد باب ٣١ ، والمناقب باب ٢٥ ، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٧ ، ١٩ ، والترمذي في البرزخ باب ١٠ ، وأحمد في المسند ٢/٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ٣٦٨ ، ٤٥٥/٥ .



اسمع أخِي نصيحتي      والتُّضَح من أصل الديانة  
لا تعرضنْ إلى الشها      دة والوساطة والأمانة  
تسلم من أن تُغزَى لزو      رَأَوْ فُضُولٍ أَوْ خِيسَانَةٍ  
وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة: [المتقارب]

إذا ما هُديت امرأ مخطئاً      أضلَّ السبيلَ إلى قصده  
ولم تُلفه سامعاً قابلاً      فحسُن له المشي في ضده  
وقوله: «لا تعجلن»، وما بعده من قول الشاعر: [البيط]

لا تمدحن امرأ حتى تجرِّبه      ولا تَدْمُئْهُ من غير تجريب  
ولا بن عمران أيضاً: [الكامل]

تحرَّ سبيل القصد في الناس ولتكنْ      على حذر منهم ولا تُسيء الظَّنَّ  
ولا تمدحنْ مَنْ لم تجرِّب ولا تُقل      على غير علم ذاك من ذاكمُ أسئى  
فما كلُّ مَنْ يرضيك ظاهر حاله      لدى الخبر محموداً وقد يُحمدُ الأدنى

القضية: الحكم. مبتوتة: مقطوعة. تَبْلُهُ: تجرِّبه. خدشه: عيبه وإذايته. تجتلي: تنظر. بطشه: صولته عند الغضب، يقول: لا تحكم بشيء على أحد حتى تجرِّبه في الشدة والرخاء. وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن فلاناً لرجُل صدق، قال: أسافرت معه؟ قال لا، قال: فهل كانت بينك وبينه خصومة؟ قال: لا. قال: فهل ائتمنته على شيء؟ قال لا. قال: فأنت الذي لا علم لك به، وإنما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفّضه في المسجد. يَبِين: يظهر. حُلْب: كاذب. الشائمين: الناظرين إلى البرق. وبله: مطره الكثير. طشه: مطره القليل. يشين: يعيب. واره: استره. كرمأ: أي تكزماً منك عليه. أنشه: حدّث به وانشره. الارتقاء: الترفيع. رَقَه: أرفعه. استحطّ: اتّضع. حُشّه: كنيفه وهو المستراح. الثَبَر: الذهب قبل السَّبْك. يستثار: يستخرج. الثَبش: البحث عليه. الغباوة: الجهالة. رونق رَقِشِه: حسن زينته. مهذباً: مخلصاً. دروس: إخلاق. بَزَتْه: بُسِستَه. رُثّة: ضعف. طمرين: ثوبين خَلَقين. هَيْب: جيف. مفوّف: مزين. لفحشه: لقبح كلامه. يَغْش غاراً: يدهخله. أسماله: ثيابه البالية. مراقي: سلالم ومدارج. عرشه: سريزه ومنزلته. العضب: السيف. قرايه: جفنه.

ومما ينتظم في هذا السلك أن النجّاد العدويّ دخل على معاوية في عباءة فاحتقره، فقال: يا أمير المؤمنين إن العبادة لا تكلمك، إنّما يكلمك مَنْ فيها، ثم تكلم فملاً سمعه بياناً، ثم خرج ولم يسأله شيئاً، فقال معاوية: ما رأيْتُ رجلاً أحقر أَوْلاً، ولا أجَلْ آخراً منه.

وقال بعضهم: [البسيط]

إنني وإن كنت أثوابي مملقَةً  
فإن في المجد همّاتي وفي لغتي  
ليست بخز ولا من نسج كَتَانٍ  
فصاحَةً، ولساني غيرُ لَحَانٍ

وقال آخر: [الكامل]

هل ينفعنك بعد شيبك في الهوى  
هيهات ما فخر المهثّد في الوغي  
توقير مكتسبٍ ولُبس ثياب  
بحلى غمدٍ فوقه وقَرَابٍ

وقال الخابزرزي: [البسيط]

لا تنظرنّ إلى أثوابٍ مغتربٍ  
وانظر إليه إذا ما قام في ملاء  
نائي المحلّ بعيد الأهل والدّارِ  
بمنطقي لذوي الألباب سَحَارِ

وقال المعري: [الطويل]

وإن كان في لبس الفتى شرف له  
وقال أبو هِفَان: [الطويل]

لَعَمري لئن بيعت في دار غربةٍ  
فما أنا إلا السيف أخلق جَفْنه  
ثيابي إن ضاقت عليّ المأكُلُ  
له حلية من نفسه وهو عاطلُ

وقال ليبد: [الطويل]

أصبحت مثلَ السيف أخلق جَفْنه  
وقال الثّمري: [الطويل]

فإن تك أثوابي تمرّقن عن بلى  
فإني كنصل السيف في خلق العُمدِ  
كان بالكوفة رجل يعرف بأبي ذؤيب، وكان مقصداً للشعراء، فدخل مجلسه محمد

ابن حازم الباهلي، وعليه ثياب رثة، وهم يتكلمون في معاني الشعر، فسأله ابن حازم عن بيت للطّرماح، فردّ أبو ذؤيب جواباً محالاً، وهو في ذلك كالمزدري لابن حازم، فوثب مغضباً فقبل له: ماذا فتحت على نفسك الشرّ؟ أتدري من احتقرت؟ قال: لا قيل: هو أخبت الناس لساناً، وأهجاهم، هذا ابن حازم، فوثب حافياً حتى لقيه وحلف أنه لم يعرفه واستقاله فأقاله، وقال: [الكامل]

أخطأ عليّ وردّ غير جوابي  
وزري عليّ وقال غير صوابٍ

(١) البيت في سقط الزند ص ٥٢٦.

(٢) البيت في ديوان ليبد بن ربيعة ص ١٧١.

وسكت من عجبٍ لذاك فزادني  
وقضى عليّ بظاهرٍ من كُسوةٍ  
من عِفَّةٍ وتكْرَمٍ وتَجَمُّلٍ  
لكنه رجعت عليه ندامةٌ  
فأقلته لما أقرَّ بذنبه  
ليس الكريم على الكريم بنابٍ  
وكان ابن حازم ساقط الهمة، يرضيه السير على انطباعه في شعره.

وقال حماد بن يحيى: قال لي ابن حازم يوماً: ما بقي عليّ شيء من اللذات إلا بيع السنابير: فقلت له: ويحك! وأي في ذلك من اللذة؟ قال: يعجبني أن تجيء العجوز الرعناء تخاصمني، وتقول: هذا سَورِي سرق، فأخاصمها، فتشتمني، فأشتمها وأغيطها ثم أنشد: [المجث]

صِلْ خَمْرَةً بِخَمَارٍ      وَصِلْ خَمَاراً بِخَمَرٍ  
وَخُذْ نَصِيبَكَ مِنْ دَا      وَذَا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي  
فقلت: إلى أين ويحك! فقال: إلى النار يا أحمق.

\*\*\*

ثُمَّ ما عَثِمَ أَنْ اسْتَوْقَفَ الْمَلَّاحَ، وَصَعِدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ، فَندِمَ كُلُّ مِثْلٍ عَلَى ما فَرَطَ فِي ذَاتِهِ، وَأَغْضَى جَفَنُهُ عَلَى قَدَائِهِ، وَتَعَاهَدْنَا عَلَى الْأَنْحِتَقَرِ شَخْصاً لِرِثَائِهِ بُرْذِهِ، وَالْأَنْزَدَرِي سَيْفاً مَخْبِوْءاً فِي غَمْدِهِ.

\*\*\*

قوله «ما عثم» أي ما أبطأ ولا تأخر، ويقال: عثم القيرى، إذا تأخر، وأعتم حاجته: أخرها، ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها. استوقف الملاح: أمر خادم السفينة بالوقوف. صعد: ارتقي وارتفع. ساح: ذهب في الأرض. في ذاته: أي في نفسه. أغضى جفنه: سدَّ عينه. قذاته: عاره وعيبه الذي تلقى به السروجي عند الدخول في السفينة. والقذاة: ما يسقط في العين فيوجعها. نزدري: نحتقر. لريثائه بُرْذِهِ: لإخلاق ثوبه. الله تعالى الموفق.

## المقامة الثالثة والعشرون

### وهي الشعرية

حَكَى الحارثُ بنَ هَمَامٍ، قال: نَبَا بِي مَأْلَفُ الْوَطَنِ، فِي شَرْخِ الزَّمَنِ؛  
لِيُخْطَبَ حُثَيي، وَخَوْفُ عَشِيي؛ فَأَرَقْتُ كَأَسَ الْكَرَى، وَنَصَصْتُ رِكَابَ السَّرَى،  
وَجُبْتُ فِي سَيْرِي وَغُوراً لَمْ تَدْمُثْهَا الْخُطَا، وَلَا اهْتَدَتْ إِلَيْهَا الْقَطَا؛ حَتَّى وَرَدْتُ  
جَمَى الْخِلَافَةِ، وَالْحَرَمَ الْعَاصِمَ مِنَ الْمَخَافَةِ، فَسَرَوْتُ إِبْجَاسَ الرُّوعِ وَاسْتِشْعَارَهُ،  
وَتَسَرَّبْتُ لِبَاسِ الْأَمْنِ وَشِعَارَهُ. وَقَصُرَتْ هَمِّي عَلَى لَذَّةِ أَجْتِنِيهَا، وَمُلْحَةِ أَجْتَلِيهَا.  
فَبَرَزْتُ يَوْماً إِلَى الْحَرِيمِ لَأَرْوِضَ طَرْفِي، وَأَجِيلَ فِي طَرْقِهِ طَرْفِي؛ فَإِذَا فُرْسَانٌ  
مُتَتَالُونَ، وَرِجَالٌ مُتَنَالُونَ، وَشَيْخٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ، قَصِيرُ الطَّلِيسَانِ، قَدْ لَبَّبَ فَتَى  
جَدِيدَ الشَّبَابِ، خَلَقَ الْجَلْبَابِ؛ فَكَرَضْتُ فِي إِثْرِ النَّظَارَةِ؛ حَتَّى وَافَيْتَا بَابَ الْإِمَارَةِ،  
وَهَنَّاكَ صَاحِبُ الْمَعُونَةِ مُتَبِعاً فِي دَسْتِهِ، وَمَرُوعاً بِسَمْتِهِ.



قوله «نبا بي» أي قلق ولم يوافقني. الوطن: المنزل. ومألفه. موضع الاجتماع به والتأليف فيه.

شَرْخ: أَوَّل، أَرَادَ فِي أَوَّلِ زَمَانِهِ وَشَبَابِهِ. خُطَب: أَمْرٌ مَخُوفٌ. حُثَيي: خَيْفٌ. وَعَشِيي: نَزْلٌ وَغَطْيٌ.

أَرَقْتُ: هَرَقْتُ. وَجَعَلَ لِلْكَرَى وَهُوَ النَّوْمُ كَأَساً مُجَازاً، وَكُنِيَ بِهَرَقِهَا عَنْ إِزَالَةِ النَّوْمِ  
عَنْ عَيْنِهِ. نَصَصْتُ: رَفَعْتُ وَحَرَكْتُ رِكَابَ السَّرَى: إِبِلَ السَّيْرِ. جُبْتُ: قَطَعْتُ. وَغُوراً:  
طُرُقاً صَعِبَةً. تَدْمُثْهَا: تَسَهَّلْهَا وَتَلَيَّنْهَا. الْخُطَا: هُنَا: الْأَقْدَامُ، وَقِيَاثِمُ الْحَيَوَانِ. وَالْقَطَا:  
طَائِرٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَهَدَايْتَهَا: فِيمَا زَعَمُوا أَنَّهَا تَتْرَكَ فِرَاحَهَا بِالصَّحْرَاءِ، وَتَذْهَبُ عِنْدَ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ لَطَلَبِ الْمَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَمَا دُونِهَا، فَيَرُدُّهُ ضُخْرَةٌ يَوْمَهُنَّ فَيَحْمِلُنَ الْمَاءَ  
لِفِرَاحِهِنَّ فَيَنْهَلْنَ ثُمَّ يَرْجِعْنَ بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى تِلْكَ الْمَسَافَةِ، فَيُشْرِبْنَ وَيَأْتِيَنَّ فِرَاحَهُنَّ فِي  
عَشِيَّةِ يَوْمَهُنَّ فَيَسْقِيْنَهُنَّ عَلَلاً بَعْدَ نَهْلٍ؛ وَلَا يَخْطُئْنَ مَوَاضِعَ فِرَاحَهُنَّ، فَيَقَالُ لَذَلِكَ: أَهْدَى  
مِنَ الْقَطَا، قَالَ الشَّاعِرُ: [الطويل]

تميم بطرق اللؤم أهدى من القَطَا      ولو سلكت سُبُلَ المكارم ضَلَّتْ<sup>(١)</sup>  
 ولو أَنَّ بُرْغوثًا على ظهر قملة      رآته تميمٌ يوم زحفٍ لولَّتِ  
 وقال حميد بن ثور: [الطويل]

كما اتصلت كذراء تسقي فراخها      بِعَزْدَةٍ رِفْهًا والمياهُ شُعب<sup>(٢)</sup>  
 فجاءت ومَسْقَاهَا الذي وردت به      إلى الصدر مشدود العِصَامِ كَثِيبُ  
 تبادر أطفالاً مساكينَ دونها      فَلَا تخطاه الرقابُ رَغِيبُ  
 وصفن لها غوثًا بأرض تنوفية      فما هي إِلَّا نَهْلَةٌ وتزُوبُ

قوله: «حمى الخلافة»، هي بغداد. الحرم: موضع الأمن. العاصم: المانع. سرور: أزلت. إيجاس الروع: إحساس الفزع والخوف. واستشعاره، استفعال من شعرت بالشيء. تسربلت: لبست سِرْبَالًا. قصرت همي: حبست همتي وإرادتي. مُلَحَهُ: طُرْفَةٌ وشيء عجب. أجتليها: أنظرها. الحریم: موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم. أروض: أعلم وأسوس. طُرْفِي: فرسي. أجيل: أمشي. متتالون: متتابعون. مثالون: منصوبون لكثرة جريهم. الطيلسان: ثوب خَزْ أخضر. لَبَبٌ: جعل في عنقه ثوباً وقاده به، وأخذ بتلابيبه وهي أطواق ثوبه، والتلابيب مأخوذة من اللبّة وهي وسط الصدر. جديد الشباب، أي فتي السن، وتقدم الجلباب.

ركضت في أثر النظارة، أي خلف الناظرين لما يفعل به، ومن شأن الغوغاء والعامّة إذا رأوا محبوساً أو مضرّوباً أن يشعوه ويتكاثروا عليه. ونظر عمر رضي الله عنه إلى قوم يتبعون رجلاً مُريباً، فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إِلَّا عند الشرِّ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما اجتمعوا قطّ إِلَّا ضُرُّوا ولا تفرّقوا إِلَّا نفعوا، قيل له: قد علمنا ضُرَّ اجتماعهم. فما نفع افتراقهم؟ قال: يذهب الحُجَّام إلى دكانه، والحَدَّاد إلى كياره، وكلُّ صانع إلى صناعته. وقال دعبل: [البسيط]

ما أَكْثَرَ الناس لا بِلْ ما أَقْلَهُمْ      والله يعلم أنّي لم أَقْلُ فَنَدَا<sup>(٣)</sup>  
 إني لأفتَح عيني حين أفتَحُها      على كثير، ولكن لا أرى أحداً

ومرّ علي بن الجهم بمبرسم، والناس قد تجمّعوا حوله، وحلّقوا به، فلما رآهم المبرسم أخذ ينعان فرسه وأنشأ يقول: [الكامل]

(١) البيتان للطرماح في عيون الأخبار ٣١١/١، وهما ليسا في ديوانه.

(٢) البيت الأول في ديوان حميد بن ثور ص ٥٣، ولسان العرب (شمط)، وتاج العروس (شمط)، وتهذيب اللغة ٣٣٣/١١، وهو بلا نسبة في المخصص ١٥٤/٩، وجمهرة اللغة ص ١٣٠٣.

(٣) البيتان في ديوان دعبل ص ٦٣.

لا تحفلن بمعشر الهـ      محج الذين تراهـم  
فبحق من أبلي بهم      نفسي ومن عافاهـم  
لو قيس مولاهم بهم      كانوا إذا مولاهـم  
ثم نظر حوله، فرأى غلاماً جميل الوجه، حسن اللبسة، فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول: [الكامل]

هذا السعيد لديهم      قد صار بي أشقاهـم  
وافينا: وصلنا. صاحب المعونة: والي الجنائيات، وقال الرستمي: ولي فلان المعونة، أي ولي العون، أي ولأه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهي بتأويل المصدر بمنزلة قولهم: ماله معقول، أي عقل ولا مجلود أي جلد.  
مروءاً بسمته، أي مفزاً بهيئته ووقاره.

\* \* \*

فقال له الشيخ: أعز الله الوالي، وجعل كعبه العالي، إنني كفلت هذا الغلام فطيماً، وربيتُه يتيماً؛ ثم لم آله تعليماً. فلما مهرَ وبهرَ، جرد سيفَ العُدوانِ وشهرَ، ولم أخله يلتوي عليّ ويتقيح، حين يرتوي مني ويلتقيح. فقال له الفتى: علام عثرت مني؛ حتى تنشر هذا الخزي عني، فوالله ما سترت وجه برك، ولا هتكت حجاب سيرك، ولا شققت عصا أمرك، ولا ألغيت تلاوة شكرك.

فقال له الشيخ: ونلك وأي زنب أخزى من زنبك، وهل غيب أفحش من غيبك، وقد ادغيت سحرِي واستلحقته، وانتحلنت شِعري واسترقفته، واستراق الشعر عند الشعراء، أفضح من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتُهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبيكار. فقال الوالي للشيخ: وهل حين سرق سلخ، أم مسخ أم نسخ!

\* \* \*

جعل كعبه العالي، أي جعل أسفل شيء منه يعلو أرفع شيء في غيره. كفلت: ضممت وقلت بمؤنته.

أبو هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين - وهو يشير بإصبعيه - وخير بيت في المسلمين بيت فيه يтим يحسن إليه، وشرها يтим يساء إليه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الطلاق باب ٢٥، والأدب باب ٢٤، ومسلم في الزهد حديث ٤٢، وأبو داود في الأدب باب ١٢٣، والترمذي في البر باب ١٤، ومالك في الشعر حديث ٥، وأحمد في المسند ٣٣٣/٥، ٣٧٥/٢.

أبو أسامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من مسح على رأس يتيم لم يمسه إلا لله، كانت له بكل شعرة مرّت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وإياه في الجنة كهاتين - وفرّق بين إصبعيه»<sup>(١)</sup>.

فطيما: أي صغيراً كما منع الرضاع. لم آله: أي لم أقصر في تعليمه. مَهَر: ظهر وصار ماهراً أي حاذقاً. يَهَر: غلب أمثاله. العذوان: الظلم. يلتوي: ينعطف، لضري وهو من فعل الحية إذا أتبعها الرجل التوث عليه لتلسعه. يتّقح: يسقط حياؤه. يلتقح: يشرب لبن لقحتي، واللقة: الناقة ذات اللبن. عثرت: اطلعت. الخزي: العار والشر، والخزي: الهوان. هَتَكَتْ: خرقت. حجاب سترك: أي ثوب طاعتك. ولا شققت عصا أمرك، أي ما خالفت حكمك، وشقّ فلان العصا: خرج عن الأمر مخالفاً. وشقّ عصا المسلمين: فرّق جماعتهم، والأصل في العصا الائتلاف والاجتماع، ومنه قولهم للمطمئن: ألقى العصا، وقيل شقّ العصا: صار منها في شقّ وخرج عن الجماعة، وفسر قوله تعالى ﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣] بالمباينة، لأن من صار في شقّ عن شقّ صاحبه فقد باينه، وقيل: معنى شقّ العصا رهب إلى شقّها أي كسرهما، فجاء بالشقّ الذي هو من صفة العصا؛ وفي ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ: [الطويل]

تصدّع شعب الحيّ وانشقت العصا كذاك النوى بين الخليط شقوق<sup>(٢)</sup>

الغيت: تركت. تلاوة: قراءة، والريب: الريبة والتهمة. أخزى: أضرّ، وأكثر هواناً. أفحش: أقبح. ادّعيته: نسبته لنفسك وليس لك. سحري: بديع كلامي. استلحقته: ألحقته بنفسك. انتحلت: ادّعت. أفضع: أمرّ. البيضاء والصفراء: الفضة والذهب. بنات الأفكار: هي الأشعار. سلخ: أخذ المعنى. مسخ: قلب الكلام وغيره. نسخ: نقله بعينه.

والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه، وهي النسخ والمسخ والرسخ والفسخ؛ فالفسخ عندهم أن يحوّل الأدنى إلى الأعلى، والمسخ أن يحوّل الأعلى من الحيوان إلى الأدنى، والرسخ ردّ الحيوان جماداً، والفسخ أن يتلاشى فلا يكون شيئاً، وقال شاعرهم: [الوافر]

تعوّذُ بالإله من المسوخ وسله أن تكونَ من التُسوخ<sup>(٣)</sup>

لقد خاب الذي أضحى وأمسى يُنقّلُ في فسوخٍ أو رسوخٍ

وقال المعري: [الطويل]

وقال بأحكام التناسخ معشرُ غلّوا فأجازوا الفسخ في ذاك والرُسخا<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٠/٥.

(٢) البيتان بلا نسبة في شرح اللزوميات ١/٢٢٤.

(٣) البيت في ديوان الشماخ ص ٢٤٢.

(٤) البيت في اللزوميات ص ٢٢٥.

## [السراقات الشعرية]

وتقسيم الحريويّ السرقة في قوله : سلخ ومسح ونسخ ، يدخل تحت أحكام السراقات التي عدّها أبو محمد الحسين بن علي بن كبيع رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بالمنصف في الدلالات على سرقات المتنبي ، فإنه جعلها عشرين وجهاً عشرة أوجه يُغفر في سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته .

الأول منها استيفاء اللفظ الطويل في الموجز القصير ، كقول طرفة : [الطويل]

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ يَمَالُهُ      كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مَفْسِدٍ<sup>(١)</sup>

اختصره ابن الزُّبَيْرِ ، فقال : [الوافر]

وَالْعَطِيَّاتُ خِساسَ بَيْنَهُمْ      وَسِوَاءَ قَبْرِ مَثَرٍ وَمُقِلٍّ<sup>(٢)</sup>

ففضل صدر بيته وجاء ببيت طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ

واضح .

الثاني : نقل اللفظ الرذل إلى الرشيح الجزل ، كقول العباس بن الأحنف : [الرمل]

زَعَمُوا لِي أَنَّهَا بَاتَتْ تُحَمُّ      ابْتَلَى اللَّهُ بِهِذَا مَنْ زَعَمَ<sup>(٣)</sup>

اشتكت أكمل ما كانت كما      يُكْسَفُ الْبَدْرُ إِذَا مَا قِيلَ تَمَّ

فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال : [الطويل]

طَوَى عَارِضُ الْحُمَى سَنَاهُ فَحَالاً      وَالْبِسْ ثَوْباً لِلْسَقَامِ هُزْلاً

كذا البدر محتومٌ عليه إذا انتهى      إِلَى غَايَةِ فِي الْحَسَنِ عَادِ هِلاًلاً

الثالث : ما قبح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه ، كقول أبي نواس :

[الرمل]

بُخَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا      مِنْكَ يَدْعُو أَوْ يَصِيحُ<sup>(٤)</sup>

مَا لِهَذَا أَخَذَ فَوْ      قَ يَدِيهِ مَنْ يَصِيحُ

معناه صحيح ولفظه قبيح ، أخذه مسلم فقال : [البيط]

تَظْلِمُ الْمَالَ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ      لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظُلَاماً

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ، ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال

(١) البيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٣٣ ، ولسان العرب (نحم) ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٨١ ، وتاج

العروس (نحم) ، وهو بلا نسبة في كتاب العين ٣ / ٢٥٢ .

(٢) البيت في ديوان عبد الله بن الزبير ص ٤١ ، وتاج العروس (البط) ، وهو بلا نسبة في المخصص ٣ / ٩٣ .

(٣) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ص ٢٥٢ ، وديوان المعاني ٢ / ١٦٥ .

(٤) البيتان في ديوان أبي نواس ص ٧٠ .



والأعداء، وكلّ ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى.

الرابع: عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد ما كان هجاء، كقول البلاذري: [الكامل]

قد يرفع المرء اللثيم حجابُهُ ضعةً ودون الرُفّ منه حجابُ  
معكوسه: [الكامل]

ملك أغرّ محجّبٌ معروفه لا يُحجّبُ

الخامس: استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد إليه، كقول أبي نواس في الخمر: [مخلع البسيط]

لا ينزل الليل حيث حلّت فدهرُ شُرّابِهائِهَارُ<sup>(١)</sup>

احتذاه البحري وفارق مقصده، فجعله في محبوب، فقال: [مخلع البسيط]

غاب دجاها وأيّ ليل يدجو علينا وأنت بدر

السادس: توليد كلام من كلام لفظهما مفترق، ومعناها متفق، كقول أبي تمام: [الطويل]

لأمرٍ عليهم أن تَتِمَّ صدوره وليس عليهم أن تَتِمَّ عواقبه<sup>(٢)</sup>

أخذه من قول الأعرابي، أنشده الأصمعي رحمه الله تعالى: [الوافر]

فكانَ على الفتى الإقدامُ فيها وليس عليه ما جئتُ المُنُونُ<sup>(٣)</sup>

فجرد لفظه من أخذ منه، وهو في معناه متفق معه؛ وهذا من أدل الأقسام على فطنة الشاعر.

السابع: في توليد معاني مستحسنات في ألفاظ مختلفة، وهذا من أشدّ باب وأقلّه وجوداً، وإنّما قلّ لأنّه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته؛ كقول أبي نواس: [الرملي]

واشقّنيها من كُمَيْتٍ تدعُ اللَّيْلَ نهَاراً<sup>(٤)</sup>

ثم قال أيضاً: [مخلع البسيط]

لا ينزل الليل حيث حلّت فدهرُ شُرّابِهائِهَارُ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت في ديوان أبي نواس ص ٢٧٤.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص ٤٤.

(٣) يروى صدر البيت:

فلان على الفتى الإقدام فيها

وهو بلا نسبة في لسان العرب (متن)، وأساس البلاغة (متن)، وتاج العروس (متن).

(٤) البيت في ديوان أبي نواس ص ٢٧٤.

(٥) ديوانه ص ٢٧٤.

ثم قال أيضاً : [الكامل]

قال ابغني المصباح قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوءها مصباحاً<sup>(١)</sup>

فكل هذه معان مقاربات وألفاظ متشابهات ، مولد بعضها من بعض .

الثامن : مساواة الآخذ المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام ، وإن كان الأول أحق به لأنه ابتدع ، والثاني اتبع ، من ذلك قول العكوك في فرس : [الرجز]

مطررد يرتج من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ، ولم يذكر سكونه ، فأخذه ابن المعتز فقال : [الكامل]

فكانه موج يذوب إذا أطلقته ، فإذا حبست جمذ

فجمع بين الصفتين .

التاسع : مماثلة السارق المسروق بزيادته في المعنى ما هو من تمامه ؛ كقول أبي

حيّة : [الطويل]

فألقت قناعاً دونه الشمس وأثقت بأحسن موصولين : كف ومغصم

أخذه من قول النابغة : [الكامل]

سقط الضيف ولم ترد إسقاطه فتناولته وأثقتنا باليد<sup>(٢)</sup>

فلم يزد النابغة على اتقائها باليد ، وزاد عليه أبو حيّة بقوله : «دونه الشمس» وخبر عن المتقي بأحسن خبر فاستحقه .

العاشر : رُجَحَان السَّارِق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه ،

كقول حسان : [الكامل]

يُغَشُّونَ حتى ما تهرّ كلاهُم لا يسألون عن السَّوَادِ المَقْبِلِ<sup>(٣)</sup>

وقال أبو نواس رحمه الله تعالى : [الطويل]

إلى بيت حانٍ لا تهرّ كلاهُم عليّ ولا يخشون طول ثوائي

ولا فرق بين المعنيين .

(١) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٩٣ ، والشعر والشعراء ١/١٧٦ ، والمقاصد النحوية ٣/١٠٢ ، ولسان العرب (نصف) ، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١/٢٥٩ .

(٣) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص ١٢٣ ، وخزانة الأدب ٢/٤١٢ ، والدرر ٤/٧٦ ، وشرح أبيات سيبويه ١/٦٩ ، وشرح شواهد المعني ١/٣٧٨ ، ٢/٩٦٤ ، والكتاب ٣/١٩ ، ومغني اللبيب ١/١٢٩ ، وهمع الهوامع ٢/٩ ، وتاج العروس (جين) ، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٣/٥٦٢ .

والسرقات المحموددة أكثر من أن تحصر.

ونريك وجه السرقات المذمومة، وهي كالمحمودة عشرة أقسام:

الأول: نقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير، كقول سالم الخاسر: [السريع]

أَقْبَلْنَ فِي رَأْدِ الضَّحَى بِنَا يَسْتَرْجُو وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ

أخذه الثاني فقال: [الكامل]

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ وَبَدَا النَّهَارُ لَوَقْتِهِ يَتَرَحَّلُ

أَبْدَتْ لَعَيْنَ الشَّمْسِ عَيْنًا مِثْلَهَا تَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ

المعنى صحيح والكلام مليح؛ غير أنه تطويلٌ تضييق، والبيتان جميعاً نصف بيت

سالم.

الثاني: نقل الرشيح الجزل إلى المستضعف الرذل، كقول القائل: [المنسرح]

كَأَنَّ لَيْلَى صَبِيرَ غَادِيَةٍ أَوْ دُمَيْةَ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ

أخذه أبو العتاهية فقال: [السريع]

كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُمَيْةَ قَسْ فَتَنْتَ قَسْهَا

فقصر لفظه عن الفصاحة، ومعناه عن الرجاحة.

الثالث: نقل ما حسن معناه ومبناه إلى ما قبح مبناه ومعناه، كقول امرئ القيس: [الطويل]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ<sup>(١)</sup>

فأني بما لا أعلم وجوده في البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيباً، وجاء ببيت

في مراده، حسن النظام مستوفي التمام، أخذه كثير، فقال:

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَسَنِ طَيْبَةُ الثَّرَى يَمِجُّ الشَّدَى جُجْجَاتُهَا وَعَرَاؤُهَا<sup>(٢)</sup>

بأطيب من أزدان عزة موهناً إِذَا أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

فطول وحسن، وقصر غاية التقصير، وأخبر أنها إذا تطيبت كالروضة في طيبتها،

وذلك مما لا يعدم في أقل البشر تنظيلاً.

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٤١، والأشباه والنظائر ٨/ ٨٥، ولسان العرب (ندل)، (محل)، ويروى «ألم تر أني» بدل «ألم ترياني».

(٢) البيتان لكثير عزة في ديوانه ص ٤٢٩، ٤٣٠، وجمهرة اللغة ص ١١١٨، والخصائص ٣/ ٢٨١، والأغاني ١٥/ ٢٧٤، وبلا نسبة في لسان العرب (جثث)، وتاج العروس (جثث)، ويروى البيت الثاني:

بأطيب من فيها إذا جثت طارقاً وقد أوقدت بالمجمر اللذني نازها

وهو بلا نسبة في لسان العرب (جثث)، وتاج العروس (جثث).

الرابع: عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناء، كقول أبي نواس رحمه الله تعالى: [مجزوء الرمل].

فهو بالمال جوادٌ وهو بالعِرضِ شحيحٌ<sup>(١)</sup>  
عكسه ابن الرومي فقال:

ما شئت من مال حمى. ياوي إلى عِرضٍ مباح  
الخامس: نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه إلى ما قبح وثقل على لسان راويه، كقول مسلم رحمه الله تعالى: [الكامل]

أما الهجاء فدقَّ عِرضُك دونهُ والمذحُ عنك كما علمتَ جليلُ  
فاذهبْ فأنت طليق عِرضِكَ إنهُ عِرضُ عِزِّزْتْ به وأنت ذليلُ  
أخذه أبو تمام فقال: [الخفيف]

قال لي النَّاصِحُونَ وهو مقالٌ ذمٌّ من كان جاهلاً إطرأ  
صدقوا في الهِجَاءِ رفعةً أقوا م طعامٍ فليس عندي هِجَاءُ  
فبين الكلامين فرق بعيد.

الثامن: نقل العذب من القوافي إلى المستكره الجافي، كقول أبي نواس: [المديد]  
فتمشَّت في مفاصلِهِمْ كتمشي البرء في السَّقَمِ  
فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم: [البسيط]

تجري محبَّتُها في قلبٍ عاشقها جَري المعافاة في أعضاء منتكسٍ  
التاسع: نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد إلى تقصير وإفساد، كقول القائل: [الكامل]

ولقد أروح إلى النجار مرجلاً مدلي بمالي ليأنا أجيادي<sup>(٢)</sup>  
وإنما له جيد واحد، وهذا وإن جاز عند بعض العرب، فهو عند الآخرين غير حميد ولا سديد.

(١) البيت في ديوان أبي نواس قص ٧٠.

(٢) يروي البيت:

ولقد أروح إلى النجار مرجلاً مذللاً بمالي ليأنا أجيادي  
وهو للأسود بن يعفر في ديوانه ص ٢٩، ولسان العرب (تجر)، (مذل)، والمخصص ٢٣٤/١٣، وتهذيب اللغة ٤٣٥/١٤، وشرح اختيارات المفضل ص ٩٧٤، وتاج العروس (مذل)، وأساس البلاغة (مذل)، وبلا نسبة في لسان العرب (جيد)، وجمهرة اللغة ص ٧٠١.

العاشر: أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها.

وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق، وأول من ذم ذلك طرفة حين قال: [البسيط]

ولا أُغير على الأشعار أسرقها عنها غنيث وشر الناس من سرقاً<sup>(١)</sup>

وقال الأعشى: [المقارب]

فكيف أنا وانتحالي القوا في بَغْدَ المشيب، كفى ذلك عاراً<sup>(٢)</sup>

ومن سرقة اللفظ والمعنى، ما يحكى عن أبي المعافى أنه لما مدح أبا العباس

محمد بن إبراهيم الإمام بقوله: [الوافر]

إليك بمدحتي يا خير أبنا رسول الله من تَلِدُ النساء

ستأتيك المدائح من رجال وما كفُ أصابعُها سواء

فأخذه آخر وغيره بأن وضع الرجال موضع النساء، وغير عجز البيت الآخر فقال:

[الوافر]

\* كما اختلفت إلى العَرَضِ الثُّبَالُ \*

فاستعدي عليه أبا المعالي صالح بن إسماعيل، وهو على شُرْطَة محمد بن إبراهيم

بالمدينة، فقال: [البسيط]

ما سارقُ الشعر فيه وَشْمُ صاحبه إلّا كسارق بيتِ دونه غَلِقُ

بَلْ سارق البيت أخفى حين يسرقُه والبيت يستره من ظلمة غَسَقُ

من جيّد الشعر أن يخفى لسارقه وجيّد الشعر قد سارت به الرقُ

فقال صالح: فما تحب أن أفعل به؟ فقال: تحلفه عند منبر النبي ﷺ ألا ينشد هذا

الشعر إلا لي.

وكان محمد بن زهير يشرب، فإذا سكر لا يفيق إلا بإنشاد الشعر، فأمر يوماً جبار

ابن محمد الكاتب أن ينشده، فأنشده أبياتاً لأبي نواس ادعى أنه قائلها وهي: [الخفيف]

صاح ما لي وللرسوم القفار وَلِغَتِ المطي والأكوار

شغلتنى المدام والقصف عنها وسماع الغناء والمزمار

ومضى في الشعر، وأبو نواس قاعد، فوثب وتعلّق به قدام محمد بن زهير، وأنشأ

يقول: [الخفيف]

(١) البيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٢١٦.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص ١٠٣، وتخليص الشواهد ص ١٠٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٠٩، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٧٣، ولسان العرب (نحل)، وهو بلا نسبة في رصف المباني ص ١٤، ٤٠٣، وشرح المفصل ٤/ ٤٥، والمعرب ٢/ ٣٥.

أَعْدِنِي يَا مُحَمَّدُ بْنُ زَهِيرٍ      يَا عَذَابَ اللَّصُوصِ وَالذَّعَارِ  
يسرق السارقون ليلاً وهذا      يسرق الشعر جهرة بالنهار  
صار شعري قطيعة لجبار      أفهذا لقلعة الأشعار!  
قل له فليغز على شعر حتماً      دأخي الفتك أو على بشار  
وسرق محمد بن يزيد الأموي شعراً لحبيب، فقال حبيب: [الخفيف]

مَنْ بَنُو مَجْدَلٍ مَنِ ابْنُ الْحَبَابِ      مَنْ بَنُو تَغْلِبٍ عَذَاةُ الْكُلابِ  
مَنْ طِفِيلٌ وَعَامِرٌ وَمَنْ الْحَدَّ      يَارِثُ أَوْ مَنْ عَتِيبَةُ بْنُ شَهَابِ  
إِنَّمَا الضِّيغُ الْهَاصُورُ أَبُو الْأَشْبِ      يَالِ جَبَّارِ كُلِّ جَيْشٍ وَغَابِ  
مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ عَلَى سِرْحٍ شَعْرِي      وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَاتِعٌ فِي كِتَابِي  
غَارَةٌ أَسَخَنْتَ عَيُونََ الْمَعَانِي      وَاسْتَبَاحَتْ مُحَارِمَ الْآدَابِ  
لَوْ تَرَى مِنْطَقِي أُسِيرًا وَلَا صَدَّ      بَحَتْ أُسِيرًا لِعُبْرَةٍ وَانْتَحَابِ  
يَا عَذَارَى الْأَشْعَارِ صَرْتَنَ مِنْ بَعْدِ      لَدِي مَبَايَا تُبْغِنَ فِي الْأَعْرَابِ  
طَالَ رَهْبِي إِلَيْكَ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَ      رَغْبِي إِلَيْكَ فَاحْفَظْ ثِيَابِي

وعارض أبو أحمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحتري، فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحتري: [المنسرح]

مَا الذَّهْرُ مُسْتَنْفَذٌ وَلَا عَجْبُهُ      تَسُومُنَا الْخَسْفَ كُلُّهُ نُؤْبَهُ<sup>(١)</sup>  
نَالِ الرِّضَا مَادِحٌ وَمَمْتَدِّحٌ      فَقُلْ لِهَذَا الْأَمِيرِ مَا غَضِبُهُ  
أَجْلَى لَصُوصِ الْبِلَادِ يَطْرُدُهُمْ      وَظِلٌّ لَصُ الْقَرِيضِ يَنْتَهِبُهُ  
ارْدُدْ عَلَيْنَا الَّذِي اسْتَعَرْتَ وَقُلْ      قَوْلِكَ يُعْرِفُ لَغَالِبٍ غَلِبُهُ

واستعدى ابن الرومي العلاء بن عيسى على البحتري، فقال: [البسيط]

قُلْ لِلْعَلَاءِ بْنِ عَيْسَى وَالَّذِي نَصَلْتُ      بِهِ الدَّوَاهِي نَصُولَ الْآلِ فِي رَجَبِ<sup>(٢)</sup>  
أَيْسَرُ الْبَحْتَرِيِّ النَّاسَ شَعْرَهُمْ      جَهْرًا وَأَنْتَ نَكَالُ اللَّصِّ ذِي الرَّيْبِ  
وَتَارَةٌ يَتَرَزُّ الْأَرْوَاحَ مِنْطَقُهُ      فَالْقَوْمُ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمَغْتَصِبِ  
نَكَلُهُ إِنَّ أَنْسَاءَ قَبْلَهُ رَكِبُوا      بِدُونِ مَا قَدْ أَتَاهُ بِاسَقَى الْخَشْبِ  
إِذَا أَجَادَ فَأَوْجِبْ قَطْعَ مَقُولِهِ      فَقَدْ دَهَا شَعْرَاءُ النَّاسِ بِالْحَرْبِ  
وَأِنْ أَسَاءَ فَأَوْجِبْ قَتْلَهُ قَوْدًا      بِمَنْ أَمَاتَ إِذَا أَبْقَى عَلَى السَّلْبِ

(١) الأبيات في ديوان البحتري ٢٠٧/١.

(٢) الأبيات في ديوان ابن الرومي ص ٤١٤.

أجاد لصاً شديد البأس والكلب  
حرّ الكلام بجيش غير ذي لجب

يسيء عفاً فإن أكثت وسائله  
حيّ يغير على الموتى فيسلبهم  
وقال فيه ابن الحاجب: [الخفيف]

ل ابن أوس في المدح والتشبيب  
ه فمعناه لابن أوس حبيب

والفتى البحتري يسرق ما قا  
كل بيت له وجود معنا  
ولابن الحاجب أيضاً: [الخفيف]

ضلنا في القريض والمفضول  
بالذي فيهم قضى التنزيل  
واللسان السروق منها بديل  
دُمنّا ويرذل المرذول

هل إلى محنة تخبر من فا  
محنة تفضح اللصوص وتقضي  
سارق المال تقطع الكف منه  
ليسود الذي يحق له السو

وبلغ صاحب بن عبّاد أن بعضهم سرق شعره، فقال أبلغوه عني: [مجزوء الخفيف]

يُضَام فيه ويُخدغ  
يَكَلّ رأساً وأخدغ  
وسارق الشعر يُضفغ

سُرقت شعري وغيري  
فسوف أجزيك صفعاً  
فسارق المال يُقَطّع

فاتخذ السارق لذلك جملاً وهرب من الرّي.

وبين السريّ الموصليّ والخالدين مستطرفات في هذه السرقات، اشتهرت في كتب الآداب، فلنلّم ببعض ما قال السريّ فيهما وفيه يقول الثعالبيّ: السريّ وما أدراك ما السريّ، صاحب الشعر الجامع بين عقود الدرّ، والنافث في عقْد السُحر؛ والله درّه! ما أعذب بحرّه، وأصفى قطره، وأعجب أمره! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر، ويعلق في كعبة الظرف. وكتبت منه محاسن وملحاً، وبدائع وطرفاً، كأنها أطواق الحمام وصدور البزة البيض، وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان، ونهود العذارى الحسان، وغمزات الحدق الملاح.

قال يتظلم إلى سلامة بن فهد من الخالدين: [الطويل]

عليه فقد أعدمت منه وقد أثري  
تروّع ألفاظي المحجلة الغرّا  
كما ضاحك النوار في روضه الغدرا  
مخائله للفكر أودعته سطرّا  
وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا

تحيف شعري يا بن فهد مصالّت  
وفي كل يوم للغبيّين غارة  
إذا عن لي معنى تضاحك لفظه  
غريب كنشر الرّوض لما تبسمت  
فوجه من الفتیان يمسح وجهه

تناوله مشرٍ من الجهل معدّم  
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها  
فويحكما هلاً بشطرٍ قنعتما  
وقال يخاطب أبا الخطاب، وقد سمع أن الخالدين يرجعان إلى بغداد: [الكامل]

بكرث عليك معرّة الأعراب  
وردّ العراق ربيعةً بن مكدّم  
أفعدننا شكّ بأنهما هما  
جلبا إليك الشعر من أوطانه  
شئنا على الآداب أقبح غارة  
فحذار من حركات صِلّي غارة  
تركت غرائب منطقي في غربة  
أعزز عليّ بأن أرى أشلاءها  
جرحي وما ضربت بحدّ مهتدٍ  
إن عزّ موجود الكلام عليهما  
كم حاولا أمرِي فطال عليهما

والقصيدة طويلة جمعت منها ما وافق الغرض، وسنلّم بشيء منها في الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى.

وقال يتظلم منهما لأبي البركات: [البيسط]

يا أكرم الناس إلا أن تعدّ أبا  
أشكو إليك حليفي غارة شهراً  
ذنبيين لو ظفرا بالشعر في حرّم  
سلاً عليه سُيوف البغي مصلتةً  
وأرخصاه فظل العطر مُتّهماً  
إن قلّذاك بدرٌ فهو من نخبي  
كأنه جنة راقّت حدائقها  
عار من النسب الوضاح منتسب

فات الكرام بآيات وآثارٍ  
سيف العقوق على ديباج أشعاري  
لمزّقه بأنياب وأظفارٍ  
في جحفلي من شنيع الظلم جزاري  
لديهما يُشترى من غير عطارٍ  
أو ختّمك فياقوتي وأحجاري  
بين الغبّيين في نار وإعصار  
في الخالدين بين الخزي والعار

وشتّان بين قول السريّ في أبي بكر وأبي عثمان ابني هشام الخالدين، وبين قول الثعالبي فيهما حين قال: إنّ هذين لساحران، يُغربان فيما يجلبان، ويُبْدعان فيما يصنعان،



وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب، وهما في الموافقة والمساعدة يجيئان بروح واحدة، ويشتركان في قول الشاعر وينفردان، ولا يكادان في السفر والحضر يفترقان، وكانا في التساوي، كما قال أبو تمام: [المتقارب]

رضيعي لبانٍ شريكي عَنانٍ      عتيقي رهانٍ حليفي صَفَاءٍ  
بل، كما قال البحرني: [الكامل]

كالفرقدنين إذا تأمل ناظرٌ      لم يَغُلْ موضعَ فرقدٍ عن فرقدٍ  
بل كما قال الصابي: [الطويل]

أرى الشاعرَينِ الخالدينِ نَشَرا      قصائد يفني الدهر وهي تَخْلُدُ  
جواهر من أبكار لفظ وُغُونِه      يقصُر عنها راجزٌ ومقصِدُ  
تنازع قوم فيهما وتناقضوا      ومَرَّ جدال بينهم يتردّد  
فطائفة قالت سعيد مقدّم      وطائفة قالت لهم بل محمّد  
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهم      وما قلت إلا بالتي هي أرشدُ  
هما لاجتماع الفضلِ زوجِ مؤلف      ومعناهما من حيث ألفت مفردُ  
كذا فرقدا الظلماء لما تشاكلا      غُلا أشكلاً ذاك أم ذاك أمجدُ  
فزوجهما ما مثله في اتفاهه      وفردهما بين الكواكب أسعد  
فقاموا على صلح وقال جميعهم      رضىنا وسأوى فرقدا الأرض فرقداً

وأفاضل الشام والعراق، بعضهم يفضل السريّ عليهما، وبعضهم يفضلهما.

فهذا كله فصل في السرقات مستطرف، احتوى على فوائد من علم الأدب، وهي عشرون وجهاً والعشرون وجهاً في السرقة جلبتها من كتاب الوكيعي على اختصار.



فقال: والذي جعل الشُعَرَ ديوانَ العرب، وتُرْجَمَانُ الأدب، ما أحدث سيوى أن بتر شمل سَرْجِه، وأغار على ثلثي سَرْحِه. فقال له: أنشدنا أبياتك بِرُمْتِها؛ لِيَنْضَحَ ما اختاره مِنْ جملتها؛ فأنشد: [الكامل]

يا خاطِبَ الدُنْيَا الدُّنْيَا إنَّها      شَرَكُ الرِّدَى وَقَرَارَةُ الأكدارِ  
دارٌ مَتى ما أضْحَكْتَ فِي يَوْمِها      أبْكَتْ غداً بُغْداً لَهَا مِنْ دارِ  
وإذا أَظْلَمَ سَحَابُها لَمْ يَنْتَفِعْ      مِنْهُ صَدَى لِحْجَاهِ الغرَّارِ  
غاراً ثَمَّ ما تَنْقُضِي وَأَسِيرُها      لا يُفْتَدَى بِجَلالَةِ الأخطارِ  
كَمْ مُزْدَى بَغْرُورِها حَتَّى بدا      مَتمَرِداً مُتَجاورَ المِقدارِ

قَلَبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ وَأَوَّلَعْتُ      فِيهِ الْمُدَى وَنَزَتْ لِأَخِذِ الثَّارِ  
فَازِباً بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضِيعاً      فِيهَا سُدَى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَظْهَارِ  
وَاقْطَعْ عَلَاتِئَ حُبِّهَا وَطَلَابِهَا      تَلَقَّ الْهُدَى وَرِفَاهَةَ الْأَسْرَارِ  
وَارْقُبْ إِذَا مَا سَأَلَمْتُ مِنْ كَيْدِهَا      حَزَبَ الْعِدَا وَتَوَثَّبَ الْقُدَارِ  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ خَطْوَيْهَا تَفْجَأَ وَلَوْ      طَالَ الْمُدَى وَوَثَّتْ سُرَى الْأَقْدَارِ

\*\*\*

قوله: «والذي جعل الشعر ديوان العرب»، أي كتاباً تدون فيه أخبارهم، قال النبي ﷺ: «إن هذا الشعر جَزُلٌ من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديمهم». وعنه ﷺ أنه قال: «إن من الشعر لحكمة»<sup>(١)</sup> رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ومساوي تتقى. وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الأخلاق.

قوله: «يا خاطب الدنيا الدنية»، أي التي لا خير فيها، شرك: مصائد. الردى: الهلاك. قرارة: موضع يستقر فيه الماء. الأكدار: ما يتكرر به الماء الصافي.

أظَلَّ: دنا وقرب. ينتقع: يرتوي. صدى: عطش. جهامه: سحابه الذي لا ماء فيه. الغزار: الخداع. تنقضي: تنقطع وتتم، أراد أن الدنيا تُهْلِك مَنْ فِيهَا، فكُنَى بِالْأَسِيرِ عَنْ ذَلِكَ وَأَسِيرِ الْمَوْتِ لَا يُفْذَى. الجلائل: جمع جليلة وهي الشيء الرفيع، وتقدمت الأخطار. مزدو: مُعْجَب. غرورها: خداعها. متمرداً: متجاوزاً الحد في الفساد.

المجنون: الترس. أولغت: جعلتها تلغ الدم. المدى، جمع مُدَيَّة: السكين. نزت: وثبت عليه. الثار: طلب الدم، وأراد أنها لما بسطت الأرزاق للإنسان فأعجب بها، وركب رأسه في الفساد تحوّل عليه، وسقت سيكينا من دمه، والعرب تقول: قلبت له ظهر المَجْنُونِ، أي غيّرت له حالي، وهو مثل يضرب للمحاربة بعد المسالمة، وأصله في الحرب، لأن الرجل إذا صالح صاحبه جعل بطن مِجْنَنِهِ مما يلي صاحبه المصالح، فإذا حاربه قلب له ظهره للقتال. ومن جواب رسالة المهلب إلى الحجاج: وزعمت أنني إن لم أَلْقَهُمْ فِي مَوْضِعٍ كَذَا أَسْرَعْتُ إِلَى صَدْرِ الرَّمْحِ، فلو فعلت لقلبته إليك ظهر المجن، ثم إذا كانت الواقعة، فهذا يبين ما ذكرناه.

ازبأ بعمرِكَ، أي ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرِكَ، وتقول: ربأتُ القومَ أي صرت لهم ربيثة، وهو الحارس لهم، والمربأ: الموضع المشرف الذي يقعد فيه الناظر،

(١) روي بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الأدب باب ٩٠، والترمذي في الأدب باب ٦٩،

وابن ماجه في الأدب باب ٤١، والدارمي في الاستئذان باب ٦٨، وأحمد في المسند ١/٢٦٩،

٢٧٣، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢، ٤٥٦/٣، ١٢٥/٥.

فمعنى أزيأ بنفسك: أي ارتفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو. سُدى: مهملاً. استظهار: استعداد، وقد استظهرت بالشيء فظهرت به وأظهرته إذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية، والظهير المعاون. والعلائق: كل ما يعلق القلب بحب الدنيا. والرفاهة: الخفض والعيش الهنيء. الأسرار: البواطن، يريد أن سر الإنسان وخاطره إذا قطع علائق الدنيا كان مترقهاً خالي السر والبال. أرقب: أحرس. سالمث: صالحت. كَبَدَها: مكرها. الغدار: الذي يؤمنك فإذا أمنتك خانك. وتوثبه: تهَيَّؤه للوثب عليك. خُطوبها: أمورها ونوازلها. تفجأ: تأتي على غفلة. ونت: فترت. والسري: مشي الليل. الأقدار: ما يقدره الله على العبد من خير أو شر، فيقول: إذا أمنتك الدنيا من مكرها، فلا تأمنها فخطوبها تأتي على غفلة بعد أمد طويل، وضمن هذا الشعر وصايا في التحذير من الدنيا.

\*\*\*

### [التحذير من الدنيا وغرورها]

ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم في سلك ما نظم، قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(١)</sup>.

وقال: «الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع»<sup>(٢)</sup>.

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: صف لنا الدنيا، فقال: ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عذاب؛ من استغنى فيها فُتِن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال ابنه محمد ابن الحنفية: من كرمتم عليه نفسه هانت عليه الدنيا.

وقيل لبعض الحكماء: صف لنا الدنيا، فقال: أمل بين يديك وأجل مطلٌ عليك، وشيطان فئان، وأمانتي جَزارة العنان، تدعوك فتستجيب، وتزجرها فتخيب.

وقيل لآخر: صف لنا الدنيا، فقال: ناقضة للعزيمة، مرتجعة للعطية، كل مَنْ فيها يجري إلى ما لا يدري.

وقال هارون الرشيد: لو قيل للدنيا: صفي نفسك، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس: [الطويل]

(١) أخرجه مسلم في الزهد حديث ١، والترمذي في الزهد باب ١٦، وابن ماجه في الزهد باب ٣، وأحمد في المسند ١٩٧/٢، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن باب ٢٦، والزهد باب ٤١، وابن ماجه في الفتن باب ١٩، والدارمي في الرقاق باب ٣٧، وأحمد في المسند ٧/٣، ١٩، ٢٢، ٤٦، ٦١، ٦٨/٦.

له عن عدو في ثياب صديق<sup>(١)</sup>

تنع عن خطبتها تسلم  
قريبة العرس من المائم

له علّمان من علم الذّهاب  
وأخّره رداء من شراب

والحمد لله على ذلّك<sup>(٢)</sup>  
وما أرى منهم لها تاركاً

وتم سرورها خذلت  
كما فيمن مضى فعلت

يا فيا ليّت جودها كان بخلاً<sup>(٣)</sup>  
فظ عهداً ولا تُثَمِّمُ وضلاً  
وبفك اليدين عنها تخلي  
ري لذا أثت اسمها الناس أم لا

وأخدع من كفة الحابل<sup>(٤)</sup>  
وما يحصلون على طائل

جنى النحل أصناف الشقاء الذي تُجني  
لأجدر أنثى أن تخون وأن تُخني  
محياً لها قامت له الشمسُ بالحسن

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت  
وقال آخر: [السريع]

يا خاطب الدنيا إلى نفسه  
إن الذي تخطب غدارة  
وقال أبو العرب الصقلي: [الوافر]

ولا يغررك منها حسن بُزْد  
فأوّله رجاء من شراب  
وقال أبو العتاهية: [الرجز]

أصبحت الدنيا لنا فتنةً  
قد أجمع الناس على ذمّها  
وله أيضاً: [الوافر]

هي الدنيا إذا كملت  
وتفعل في الذين بقوا  
وقال المتنبّي: [الخفيف]

أبدأ تسترّد ما تهب الذّن  
وهي معشوقة على الغدر لا تح  
كلّ دمع يسيل منها عليها  
شيم الغانيات فيها فلا أد  
وله أيضاً: [المقارب]

فذي الدار أخون من مُومسٍ  
تفاني الرجال على حبّها  
وقال المعري: [الطويل]

وجذنا أذى الدنيا لذيذاً كأنما  
على أم دفر غضبة الله إتها  
كعاب دُجاها فرعها ونهارها

(٣) الأبيات في ديوان المتنبّي ٣/ ١٣١.

(٤) البيتان في ديوان المتنبّي ٣/ ٣٣.

(١) البيت في ديوان أبي نواس ص ١٩٢.

(٢) البيتان في ديوان أبي العتاهية ص ١٨٦.

كَأَنَّ بَنِيهَا يُولَدُونَ وَمَا لَهَا  
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : [الطويل]

إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ  
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فُجَائِعُ  
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ  
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : [الطويل]

رَضِيتْ بِذِي الدُّنْيَا كَكُلِّ مَكَاثِرٍ  
أَلَمْ تَرَهَا تَرْقِيهِ حَتَّى إِذَا سَمَا  
وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْبُلُوِّي : [السريع]

إِنَّ الَّذِي أَصْبَحَ لَا وَالِدُ  
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِمَا آدَمُ  
إِنْ جِثَّتْ أَرْضًا أَهْلَهَا كَتَلْتَهُمْ  
وَقَالَ ابْنُ عِمْرَانَ : [السريع]

أَفْ لِدُنْيَا قَدْ شَغِفْنَا بِهَا  
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا  
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حُصِّلَتْ  
وَقَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ : [المقارب]

لِدُنْيَاكَ نَوْرٌ وَلَكِنَّهُ  
فَلِنْ عَشْتِ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا  
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا  
وَلَا تَذْخُرَنَّ خِلَافَ التَّقَى

ابن عمران: وإعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجانسه في بعض طباعه، وإن الدنيا جانست الإنسان في بعض طباعه فأحبها بكله.

وقال: [الطويل]

نُرَاجُ لَذَكْرَ الْمَوْتِ فِي حَالِ ذِكْرِهِ  
وَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا  
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آدَمَ : [الطويل]

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيْقِ دِينِنَا  
فَلَا دِينِنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

فطوبى لعبيدٍ أثر الله ربه  
وهذا مثل قول أعرابيٍّ وقد قيل له: كيف أنت في دينك؟ فقال: أخرقه بالمعاصي،  
ولا أرقعه بالاستغفار.

وللأعمى التطيلي: [البسيط]

تنافس الناس في الدنيا وقد عِلِمُوا      أن سوف تقتلهم لذاتهم بَدَا  
قل للمحدث عن لقمان أو لبَّيْد      لم يترك الدهر لقماناً ولا لبَّيْدَا  
وللذي همَّ البنيان يرفعه      إن الردى لم يغادر في الثرى أحداً  
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه      يرجو غداً وعسى ألا يعيش غداً  
تأمل هذه المقاطع فإنها تضمنت حكماً وأدباً وكل قطعة منها لها تعلق بشعر  
الحريري إما باللفظ أو بالمعنى.

\*\*\*

فقال الوالي: ثم ماذا، صنع هذا؟ فقال: أقدم للومة في الجزاء، على أبياتي  
السُداسية الأجزاء، فحذف منها جزأين، ونقص من أوزانها وزَّتين؛ حتى صار الرُّوءُ  
فيها رُزأين. فقال له: بين ما أخذ، ومن أين قلَّد؟ فقال: أرعني سمعك، وأخلِ  
للتفهم عني دُرْعك؛ حتى تتبين كيف أضلَّت عليّ، وتقدر قدر اجتراحه إليّ، ثم  
أنشد، وأنفاسه تتصعد: [مجزوء الكامل]

يا خاطب الدنيا الدنيـ      عِإنها شَرَك الرَّدَى  
دار مئى ما أضحكك      في يومها أبكك غدا  
وإذا أطل سحابها      لم ينتفع منه صدَى  
غاراتها ما تنقضي      وأسيرها لا يُفئدى  
كم مُزْدو بغرورها      حتى بَدَا مُتمردا  
قلبت له ظهر المجن      وألغت فيه المدى  
فازبأ بعمرِكَ أن يمُر      مضيعاً فيها سدى  
واقطع علائق حُبها      وطلابها تلق الهدى  
وارقب إذا ما سألمت      من كنيدها حَزب العدا  
واعلم بأن خطوبها      تفجأ ولو طال المدى

فالتفتَ الوالي إلى الثَّلام وقال: تَبَّا لَكَ مِنْ جَرِيحِ مَارِق، وتَلْمِيذِ سَارِق! فقال أَلْفَتِي: برئت من الأدب وبنيه، ولحقْتُ بِمَنْ يَنَاوِيهِ، ويقوِّضُ مَبَانِيهِ؛ إنْ كَانَتْ أُبْيَاتُهُ نَمَتْ إلى عِلْمِي، قبل أن أَلْفَتْ نَظْمِي؛ وإنما اتَّفَقَ تَوَارِدُ الْخَاطِرِ، كما قَدْ يَنَعُ الْحَافِرُ عَلَى الْحَافِرِ.



قوله: أقدم أي تقدم. لؤمه في الجزاء: يريد أنه جازاه على ما فعل معه من الخير مجازاةً لثَمِّهِ، فسرق شعره. السادسة الأجزاء، لأن عروضها من الكامل، وأجزاؤها متفاعِلن ست مرات. الرِّزء: المصَاب. فُلْدٌ: قطع. أَرِغْنِي سمعك: أي اسمع مني. دَزَعَكَ: بالك وقلبك. أَصَلْتُ: جرد سيفه. تتصعد: تتطلع إلى فوق. الْجَرِيحُ: الذي خَرَجَه معلمه، وفلان جَرِيحُكَ، أي الذي خرج بتهذيبك وتعليمك. مَارِق: خارج عن الطاعة. وتلميذ: طالب متعلم. برئت: زُلت وانفصلت. يَنَاوِيهِ: يعاديه. يقوِّضُ: يَهْدِمُ. نَمَتْ: اتصلت. ونميت الحديث: أسندته. أَلْفَتْ نظمي: جمعت شعري.

توارد الخواطر: تواطؤ الأذهان، أي وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع لذهن الشيخ، مثل الحافر الذي وقع على الحافر.

وهذا الكلام يُعزَى لأبي الطيب المتنبي، وسئل عن اتفاقات الخواطر، فقال: الشعر مَيْدَانٌ، والشعراء فرسان، فربما اتفق توارد الخواطر، كما قد يقع الحافر على الحافر.

قال الأصمعي رحمه الله تعالى: قلت عمرو بن العلاء: أرايت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه، ولا سمع شعره؟ فقال لي: تلك عقول رجال توافقت على الستها.

### [توارد الخواطر]

ومن مشهور ذلك ما وقع في القصيدتين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة، وكذلك اتفاه مع طرفة في قوله: [الطويل]

وقوفاً بها صحبي على مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتجلد<sup>(١)</sup>  
وقال امرؤ القيس وتجل<sup>(٢)</sup>.

(١) البيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٣٠.

(٢) أي قول امرئ القيس:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتجل  
والبيت من الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس ص ٩، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٢٦٨.

ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم . [الكامل]

لو أنها عرضت لأشمط راهب  
عَبَدَ الإلهَ صَرُورَةً مُتَبَتِّلٍ<sup>(١)</sup>  
وقال النابغة: «صُرُورَةٌ مُتَعَبِدٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقال: [الكامل]

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها  
ولهم من تاموره يَتَنَزَّلُ<sup>(٣)</sup>  
وقال النابغة: [الكامل]

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها  
ولخاله رشداً وإن لم يَرْشُدِ<sup>(٤)</sup>  
تاموره: صومعته.

ومن ذلك ما حكى أبو علي أنه خرج جرير والفرزدق مردفين إلى هشام بن عبد الملك، فنزل جرير يبول، فتلفت الناقة فضربها الفرزدق وقال: [الوافر]

إلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتَ تَحْيِي  
وخيَرُ النَّاسِ كُلُّهُمُ أَمَامِي<sup>(٥)</sup>  
مَتَى تَرْدَى الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي  
من التَّهَجِيرِ وَالدُّبْرِ الدَّوَامِي  
ثم قال: الآن يجيء جرير، فأناشده البيتين فيرد علي: [الوافر]

تَلَفَّتْ أَنْهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنِ  
إلى الكيرين والفأس الكهام  
مَتَى تَأْتِ الرُّصَافَةَ تَخْزُ فِيهَا  
كَحِزْنِكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ  
قال: فجاء جرير والفرزدق يضحك، فقال: «ما يُضْحِكُكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ فَأَنَشِدْهُ  
البيتين، فقال جرير: تلفت أنها البيتين.. كما قلل الفرزدق سواء، فقال: واللّه لقد قلت

(١) البيت لربيعه بن مقروم الضبي في ديوانه ص ٢٦٧، ولسان العرب (بتل). وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٩١، والحيوان ١/ ٣٤٧، وبلا نسية في: كتاب العين ٨/ ١٢٤.

(٢) أي قول النابغة الذبياني:

لو أنها عرضت لأشمط راهب  
عبد الإله صرورة متعبد  
والبيت من الكامل، وهو في ديوان النابغة ص ٩٥، ولسان العرب (صرر)، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٥، ومجمل اللغة ٣/ ٢٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٥٣، وتهذيب التهذيب ١٢/ ١٠٩، وتاج العروس (صرر).

(٣) يروى صدر البيت:

لَدُنَّا بِهَجَّتِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا

وهو لربيعه بن مقروم الضبي في ديوانه ص ٢٦٧، ولسان العرب (تمز).

(٤) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٩٦، وفيه «لَدُنَّا» بدل «لَرْنَا».

(٥) البيتان في الأغاني ٩/ ١٦٩.



هذين البيتين، فقال جرير: أما علمت أن شيطاننا واحد.

ومرّ رجل بالفرزدق بالمزبد فقال: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة، قال: فأني شيء أحدث ابن المراغة؟ فأشده: [الكامل]

\* هاج الهوى لفؤادك المهتاج \*

فقال الفرزدق: [الكامل]

\* فانظر بتوضيح باكر الأحداج \*

فقال الرجل: [الكامل]

\* هذا هوّى شغف الفؤاد مبرّج \*

فقال الفرزدق: [الكامل]

\* ونوى تقاذف غير ذات جلاج \*

فقال الرجل: [الكامل]

\* إنّ الغراب بما كرهت لمولع \*

فقال الفرزدق: [الكامل]

\* بنوى الأحبة دائم التشحاج \*

فقال الرجل: هكذا والله قال: أفسمعتها من غيري؟ قال: لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال، فقال: أما علمت أن شيطاننا واحد.

ودخل الفرزدق على امرأة من عَقِيل فحدّثها، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه، فدخل فأقبلت عليه تحدّثه، وتركت الفرزدق، فغاضه ذلك، وقال للفتى: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فصرط الفرزدق، فوثب الفتى عنه وقال: هذا مقام العائذ بك، والله ما أردتُ ما جرى، فقال: والله ما بي ذلك، ولكن كأنني بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر، فقال: [الطويل]

جلستُ إلى ليلَى لتحظى بِقُرْبِها      فخانك دهرٌ لا يزال خَوْوُنُ

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها      كما شدَّ خرقاً بالدلاص قيونُ

فلما بلغ الخبر جريراً قال البيتين.

وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه، فلم يفعل، وأعطاه سيفاً لا يقطع فضرب به عنق روميّ فنبا سيف، فضحك سليمان ومنّ حوله، فجلس وهو يقول: [البسيط]

أَيَعَجِبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَ سَيِّدَهُمْ  
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ  
لَمْ يَنْبُ سَيْفِي عَنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ  
عَنِ الْأَسِيرِ وَلَكِنْ آخِرُ الْقَدَرِ  
ثُمَّ قَالَ : مَا إِنْ يَعَابُ فَرَسٌ إِذَا كَبَا، وَلَا يَعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا، ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :  
كَأَنِّي بَابِنَ الْمَرَاعَةِ قَدْ بَلَغَهُ الْخَبِيرُ فَقَالَ : [الطويل]

بَسِيفٌ أَبِي رَغْوَانٌ سَيْفٌ مَجَاشِعُ  
ضَرِبَتْ بِهِ عِنْدَ الْإِمَاءِ فَأَرَعِشَتْ  
ضَرِبَتْ وَلَمْ تُضْرَبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ  
يَدَاكَ وَقَالُوا مَحْدَثٌ غَيْرُ صَارِمٍ  
ثُمَّ قَالَ : كَأَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَابِنَ الْقَيْنِ قَدْ أَجَابَنِي فَقَالَ : [الطويل]

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ  
فَأَخِيرَ الْفَرَزْدَقَ الْقِصَّةَ، فَقَالَ : [الطويل]

كَذَاكَ سَيْوَفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاثُهَا  
وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ  
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ  
فَهَذَا إِنْ صَحَّ مِنْ أَعْجَبَ اتِّفَاقِ الْخَوَاطِرِ .

وَقَالَ الْأَقِشَرُ : [الوافر]

جَرَيْتُ مَعَ الْهُوَى طَلَقَ الْعَتِيقِ  
وَجَدْتُ أَلْدَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي  
وَمَسْمَعَةً إِذَا مَا شَتَّتْ غَتَّتْ  
تَمْتَعُ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى  
وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْفُسُوقِ  
قِرَانُ النِّغَمِ بِالْوَتْرِ الْخَفُوقِ  
مَتَى نَزَلَ الْأَحَبَّةُ بِالْعَقِيقِ  
وَصَلَ بِعَرَا الصُّبُوحِ عَرَا الْعَبُوقِ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : [الوافر]

جَرَيْتُ مَعَ الْهُوَى طَلَقَ الْجُمُوحِ  
وَجَدْتُ أَلْدَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي  
وَمَسْمَعَةً إِذَا مَا شَتَّتْ غَتَّتْ  
تَمْتَعُ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى  
وَهَلَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ<sup>(١)</sup>  
قِرَانُ النِّغَمِ بِالْوَتْرِ الْفَصِيحِ  
مَتَى كَبَانَ الْجِيَامُ بِذِي طُلُوحِ  
وَصَلَ بِعَرَا الْعَبُوقِ عَرَا الصُّبُوحِ

وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَسَبَ السَّرِيُّ لِلْخَالِدِيِّ فِيمَا قَدَّمَاهُ مِنْ سَرَقَةِ شَعْرِهِ، قَالَ السَّرِيُّ :

[الكامل]

وَكَأَنَّ كَأْسَ مَدَامِهَا  
لَمَّا ارْتَدَّتْ بِحَبَابِهَا

توريد وجنتها إذا ملاح تحت نقابها  
وقال أبو بكر الخالدي: [مجزوء الرمل]

فكان الكأس لَمَّا ضحكت تحت الحباب  
وَجُنَّةٌ حَمراء لاحت لك من تحت النقاب  
وقال السري في وصف جام فيه فالودج: [الطويل]

بأحمر مبيضّ الزجاج كأنه رداء عروس مشربّ بخلق  
له في الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان تلقاه بلون حريق  
كأن بياض اللوز في جنباته كواكب دُرّ في سماء عقيق  
وقال أبو بكر الخالدي: [الطويل]

مُدماً كأن الكفّ من طيب نُشِرها وضفرتها قد خلقت بخلق  
نُعابنها نُورا علاه تجسّد ونشربها نادراً بغير حريق  
كأن حباب الماء في جنباتها كواكب لاحت في سماء عقيق  
وقال السري رحمه الله تعالى: [الوافر]

رأت شيباً يُصاحبني فصدت وكان جزاؤه منها العُبوسا  
وقالت إذ رأت للمشط فيه سواداً لا يشاكله نفيسا  
تلقّ العاج منه بمشط عاج ودع للآبنوس الآبنوسا  
وقال أبو عثمان أيضاً: [الخفيف]

وقفتني ما بين هجر وبؤس وانثنت بعد ضحكة بعُبوس  
ورأتني مشطت عاجاً بعاج وهي الآبنوس بالآبنوس  
وهذا إما توارد أو تسابق، والتسابق أشبه بهم.

\*\*\*

قال: فكان الوالي جورّ صدق زعمه، فندم على بادرة ذمّه؛ فظّل يفكر فيما يكشف  
لّه عن الحقائق، ويميّز به الفائق من المائق، فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة، ولزّهما في  
قرن المُساجلة، فقال لهما: إن أردتما افتضاح العاطل، واتضاح الحق من الباطل،  
فتراسلا في الثّظُم وتبارّيا، وتجاوزا في حلّة الإجازة وتَجَارّيا؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةٍ،  
ويحيى مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةٍ؛ فقالا له بلسان واحد، وجوابا متوارد: قد رضينا بسبرك، فمرنا  
بأمرك.

فقال: إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس، وأراه لها كالرئيس؛ فانظما الآن عشرة

أبيات تُلحمانها بَوْشِيهِ، وترصّعناها بحيله، وضمّناها شرح حالي مع إلف لي بديع الصفة، ألقى الشّفه، مَلِيحَ التثني، كثير التّيه والتجني، مُغَرّي بتناسي العهد، وإطالة الصّد، واختلاف الوعد؛ وأنا له كالعبد.

\*\*\*

قوله: زعمه، الزعم قول معه اعتقاد، بادرة: سابقة وهي الكلمة الرديئة تبدر من المتكلم. الفائق: الفاضل، وفاق الناس، فضلهم وعلاهم بقول أو علم. المائق: الأحقّ الضعيف التدبير. المناضلة: المراماة. لَزَهما: ضمهما وشدهما. فرَن: حبل يقرن بين الشيئين.

### [المساجلة]

المساجلة: أن يستقي ساقيان فيخرج كلّ واحد منهما من الماء مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: [الرمْل]

مَنْ يُسَاجِلُنِي يسَاجِلْ ماجد يملأ الدلو إلى عَقْد الكَرْب<sup>(١)</sup>

وأنا الأخضر مَنْ يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

ومرّ الفرزدق بالفضل، وهو يستقي وينشد البيتين، فشمّر ثيابه عن نفسه، وقال: أنا أساجلك، ثقةً بنسبه، فقليل له: هذا الفضل بن العباس، فردّ ثيابه وقال: ما يساجله إلا من عَضْ أير أبيه. ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة، وأراد هنا بالمناضلة والمساجلة، أن يقول هذا بيتاً، وهذا بيتاً حتى يُعلم لمن الغلب. وأكثر ما جرت به العادة فيها بأنصاف الأبيات كما شهر في قصة امرئ القيس والتوأم حين قال امرؤ القيس: [الوافر]

\* أحارَ تَرى بُرَيْقاً هَبَ وهنا \*

فقال التوأم:

كنار مَجوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَاراً<sup>(٢)</sup>

(١) البيت الأول للفضل بن عباس بن عتبة في لسان العرب (سجل)، وتهذيب اللغة ٥٨٦/١٠، وتاج العروس (كرب)، (خضر)، (سجل)، وجمهرة اللغة ص ٤٧٥، وبلا نسبة في كتاب العين ٣٦٠/٥، وديوان الأدب ٣٩٠/٢، والبيت الثاني لعتبة بن أبي لهب في لسان العرب (خضر)، وللفضل بن العباس الهبي في التنبيه والإيضاح ١١٧/٢، وسمط اللاكبي ص ٧٠١، والفاخر ص ٥٣، والمؤتلف والمختلف ص ٣٥، وتهذيب اللغة ١٠٦/٧، وأساس البلاغة (خضر)، وتاج العروس (خضر)، وجمهرة اللغة ص ٥٨٧، ٦٨٥، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١٩٥/٢، ومجمل اللغة ١٩٨/٢، وتهذيب اللغة ١٠٣/٧.

(٢) يروى البيت:

أحارَ أريك بَرِقاً هَبَ وفناً كنار مجوس تستعر استعاراً =

ثم مضيا على القطعة بالأنصاف حتى كملت، وهي مشهورة.

قال أبو العيناء: وقف علي غلام يسألني ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لي أسود قد اغتسل، وهو يردد، وكان خبيثاً، فأومأت إلى الأسود فقلت: [الرجز]

كَأَنَّهُ ذئب غَضَّى أَزَلُّ

فقال الغلام: [الرجز]

بَابَ النَّدى يَضْرِبُهُ وَالطَّلُّ

فوصلته بدارهم وانصرف.

واجتاز ابن أبي الخصال مِنْ بلده شقورة بأبدة، وهو صبي صغير يطلب الأدب، فأضافه بها القاضي ابن مالك، ثم خرج معه إلى حديقة معروشة، فقطف لهم منها عنقوداً أسود، فقال القاضي: [مجزوء الرجز]

انْظُرْ إِلَيْهِ فِي الْعَصَا

فقال ابن أبي الخصال: [مجزوء الرجز]

كَرَأْسَ زَنْجِيٍّ عَصَا

فعلموا أنه سيكون له شأن في البيان.

ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله أن أبا بكر بن المبجل وأبا بكر بن الملاح الشبلين، كانا متواخيين متصافيين، وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب، وحازا قصب السبق في حلبة الأدب، فتهاجى الابنان بأقذع هجاء، فركب ابن المبجل في سَحَرٍ من الأسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح، ويقول له: قطعت ما بيني وما بين صَفِيَّ أبي بكر بإقذاعك في ابنه، فقال له ابنه: إنه بذأني، والبادئ أظلم، وإنما يجب أن يلحى مَنْ بالشَّرِّ تقدّم، فعذره أبوه؛ فبينما هما على ذلك إذ أقبل على وإد تنقّ فيه ضفادع، فقال أبو بكر لابنه أجز: [الوافر]

تَنَقَّقْ ضَفَادِعَ السَّوَادِي

فقال ابنه:

بِصَوْتٍ غَيْرِ مَعْتَادِ

= وهو مملط، صدره لامرئ القيس، وعجزه للتوأم البشكري في ديوان امرئ القيس ص ١٤٧،  
ولسان العرب (مجس) وتاج المروس (ملط)، وهو لامرئ القيس في شرح شواهد الإيضاح ص  
٤٣٨، والكتاب ٢٥٤/٣، وبلا نسبة في لسان العرب (مجس)، وما ينصرف وما لا ينصرف ص  
٦٠، والمقرب ٨١/٢.

فقال الشيخ:

كَأَنَّ نَقِيْقَ مَقْوَلِهَا

فقال ابنه:

بَنُو الْمَلَّاحِ فِي النَّادِي

فَلَمَّا أَحْسَتِ الضَّفَادِعُ بِهِمَا صَمَتَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

وَتَصَمَّتْ مِثْلَ صَمْتِهِمْ

فقال ابنه:

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى زَادٍ

فقال أبو بكر:

وَلَا عَزُوثٌ لِمَلْهَوْفٍ

فقال ابنه:

وَلَا غِيْثٌ لِمَرْتَادٍ

والإجازة بالأبيات بكمالها كثيرة مشهورة.

وحكى الماورديّ أنّ الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر فقال عبد

الله: [الطويل]

وَمُسْتَوْدَعِي سِرّاً تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ فَأَوْدَعْتَهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْحَشَى قُبْرًا

فقال ابنه عبيد الله، وهو صبيّ: [الطويل]

وَمَا السَّرُّ فِي قَلْبِي كَثَارٍ بِحَفْرَةٍ لِأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونِ يَنْتَظِرُ الْحَشْرًا

ولكنني أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما أحطتُ به خُبْرًا

وحكى الفقيه أبو الحسن أنّ أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبي ركب، حضر

عنده بسبّنة بقرية شنان في عقب شعبان لاستقبال رمضان، فأكل مع مَنْ حضر ضروراً من

الأطعمة والألوان، فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لأبي عبد الله بن زرقون أجز:

[الطويل]

حَمَدْتُ لَشُعْبَانَ الْمُبَارَكِ شَعْبَةً تَسَهَّلُ عَنِّي الْجُوعُ فِي رَمَضَانَ

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى: [الطويل]

كَمَا حَمَدَ الصَّبُّ الْمَتَيْمُ زُورَةَ أَطَاقَ لَهَا الْهَجْرَانِ طَوْلَ زَمَانٍ

فقال أبو الطاهر: [الطويل]

دَعَوْهَا بِشُعْبَانِيَةِ فَلَوْ أَنَّهُمْ دَعَوْهَا بِشُعْبَانِيَةِ لَكَفَانِي

وحدثني أيضاً أن أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز، وهو مضطرب الأمواج، فقال له أبو الحسن: أجز: [الوافر]

وملتطم الغوارب موجَّته      بوارحُ في مناكبها غيومُ  
فقال أبو عبد الله [الطويل]  
تمنَّع لا تعوم به سفينُ      ولو حدَّقت به الزهر النجومُ

\*\*\*

قوله: «افتضاح العاطل»، أي شهرة الفارغ من قول الشعر، تراسلا: تجاريا، والتراسل في الغناء والنشيد، أن يتجاذب الصوت المغنيان، والترسل في الخيل، أن ترسل فرسين في المطلق.

تباريا: تجاريا، وتجاولا: تصرفا. والحلبة يأتي ذكرها في المقامة، وأراد تجارياً في العشر كما يتجاري خيل الحلبة في الميدان، بسبك: قياسك وتجربتك لنا. متوارد: متسابق متتابع. والتجنيس: أن تكون الألفاظ متناسبة والمعاني متباينة. تلحمانها: تنسجانهما. وشبه: رقمه. ترصعانها: تزينانها. وكل ما خرزته أو عقدته فهو مرصع. إلف: معشوق يالْف ويؤنس به. بديع: غريب. ألمى: أسمر، واللمى أن تتعق حمره الشفة حتى تضرب إلى السواد. والتثني: الانعطاف. التيه: الإعجاب والاحتقار بغيره، التجني: ادعاء الجناية على عاشقه، وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنباً عليه وجناية ليتوصل بذلك إلى هجره ثم سَمى الصّد والإعراض تجنياً. مغرى: مولع. والتناسي: استعمال النسيان. أراد أنه يعد عاشقه بالزيارة وغيرها فإذا ذكر بها قال: نسيته. والصد: الإعراض.

\*\*\*

قال: فبرز الشيخ مجلياً، وتلاه الفتى مُصلياً؛ وتجارياً بيتاً فبيتاً على هذا النسق، إلى أن أكمل نظم الأبيات واتسق، وهي: [الطويل]

وأحوى حوى رقي برقة ثغره      وغادرني إلف الشهاد بعذره  
تصدى لقتلي بالصدود وإنني      لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره  
أصدق منه الزور خوف ازوراره      وأرضى استماع الهجر خشية هجره  
وأستعذب التعذيب منه وكلما      أجد عذابي جد بي حب بره  
تناسى ذمامي والتناسي مذمة      وأحفظ قلبي وهو حافظ سيره  
وأعجب ما فيه الثباهي بعجبه      وأكبره عن أن أقوه بكبره  
له مني المدح الذي طاب نشره      ولي منه طي الود من بعد نشره

ولو كان عَذْلًا ما تجئني وقد جئني  
عليّ وغيري يجتني رَشَفَ ثَغْرِهِ  
ولولا ثَنِيهِ ثَنِيْتُ أَعْتَيْي  
بادراً إلى مَنْ أَجْتَلِي نُورَ بَدْرِهِ  
وإني على تصريف أَمْرِي وأَمْرِهِ  
أرى المَرَّ حُلُوءاً في انقيادي لأَمْرِهِ

\* \* \*

على هذا النسق، أي على هذا التتابع والانضمام، اتسق: انضمّ واجتمع. ونسقت الشيء بالشيء ضمّمته إليه، أحوى: أسمر الشفة، والحوّة: حمرة تضرب إلى السواد، يقال: شفة حوَاء حمراء. رَقِي، أي ملكي، والرّق الملك، ورّق الرجل رِقاً: صار عبداً، برقة لفظه: بحلاوة كلامه. غادرني ألف السهاد: تركني صاحب سهر. بغيره: بقلّة وفائه. تصدّى: تعرّض. أسره: حبسه. بأسره: بهجملته. والزور: الكذب. ازوراره: انقباضه، والهجر: الفحش. استعذب: أستطيب. أجّد عذابي: جدّد عذابي. جدّ: زاد واجتهد. برّه: إكرامه. يريد متى زادني عذاباً وهجراناً زدت فيه حبّاً ويزاً. ذمامي: عهدي. مذمة: عيب. أحفظ: أغضب. التباهي: التفاخر. أكبره: أعظمه وأراه كبيراً، أفوه: أنطق. نشره: تحرّك رائحته. رَشَفَ ثَغْرِهِ: تقبّل أسنانه، ثنيت: عطفت. أعْتَيْي: جمع عنان. أجتلي: أنظر. نور بدره: حسن وجهه يقول: لولا حسن ثنيته لتركته وملت إلى غيره. ثم قال: وإني على ما يلقاني به من الهجر والجفاء وألقاه به من البرّ والصفاء. ليرجع عندي المَرّ من أفعاله حلُوءاً في اتباعي لما يُحبّ ويأمر به. وقد أنشدوا في ذلك: [الطويل]

لئن ساءني أن نلتني بمساءة  
لقد سرّني أني خطرت ببالك  
وقال في مثله: [الكامل]

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً  
ما من يهون عليك ممن يكرم  
فهذه غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب.

وقال الشاعر: [الكامل]

ولقد منحتكم المودة محضّة  
جازيتموني بالوصال قطيعة  
فإذا أتيتك زائراً متشوقاً  
وكتمت ما اشتملت عليه ضلوعي  
شأن بين صنيعكم وصنيعي  
قصر الطريق وطال عند رجوعي

وفي معنى قوله: «له مئي المدح»، يقول ابن رشيق، وزاد معنى مستظرفاً:

أراك أتهمت أخاك الثقة  
وأثني عليك وقد سؤتني  
وعندك مقت وعندي يقه  
كما طيب العود من أحرقة

وقال ابن زيدون: [الطويل]

بني جهنور أحرقتكم بجفائكم  
جناني فما بال المدايح تعبّق



تَعْدُونَنِي كَالْعَنْبَرِ النَّدَّ إِنَّمَا      تطيب لكم أنفاسه حين يحرقُ  
وهما وإن تواردا على هذا المعنى، فإنما أخذاه من قول حبيب: [الرجز]  
لولا اشتعال النار فيما جاورث      ما كان يُعرَف طيبُ عَرَفِ العُودِ



ونذكر هنا جملة من الشعر الرائع المستظرف الفائق، تنسحب على أوصاف الغلام المذكور، وتتعلق بشعر الحريري من جهة التجنيس، أو من جهة الانقياد للمحبوب وإن جفا وصد.

ونبدأ بذكر حكاية أبي إسحاق الحصري لتعلقها بما انبت عليه المقامة من توارد الخواطر.

وكان أبو إسحاق يختلف إلى بعض مشيخة القيروان، وكان الشيخ كلفاً بالمعذرين وهو القائل: [الكامل]

ومعذرين كأن نبتَ خدودهم      أقلامُ مسك تستمدّ خُلُوقا  
قرونا البنفسج بالشقيق ونَظَّمُوا      تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا  
فهُم الذين إذا خلّى رآهم      وجَد الهوى بهم إليه طريقا

وكان يختلف إليه غلام من أعيان أشرف القيروان، وكان به كلفاً، فبينما هو عنده والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام وهو يقول: [الكامل]

في صورةٍ كَمَلت فخلت بأنّها      بدرُ السماءِ لِسْتَةٍ وَثَمَانِ  
يعشَى العيون ضياؤها فكأنّها      شمس الضحى تُعشى بها العينانِ

فقال الشيخ: يا حصري، ما تقول فيمن هام بهذا القدّ، وصبا لهذا الخدّ؟ فقال الحصري: الهيمان والله بهذا غاية الظرف، لا سيما إذا شام كافورة خدّه ذلك المسك الفتيت، وهجم على صبحه ذلك الليل البهيم، والله ما خلت سواده في بياضه إلا بياض الإيمان في سواد الكفر، أو غيهاً في ضوء الفجر، فقال للحصري: صِفْهُ، فقال: مَنْ ملك رقّ القول حتى انقاد له صعباه فذل له جموحه حتى سطع له شهابه، أقعدّ مني في ذلك، فقال: صِفْهُ، فإني معمل في ذلك فكري، فأطرق ساعة، فقال الحصري: [مجزوءه  
الرجز]

أورد قـلـبـي الرّـؤـى      لأمّ عـذارٍ بـدا  
أسود كالـكـفـر في      أبيض مثل الـهـدى

فقال له الشيخ: أراك اطلعت على ضميري، أو خضت بين جوانحي، فقال له الحصري: ولم ذاك؟ قال: لأنني قلت: [مجزوءه الرجز]

حَرَكَ قَلْبِي فَطَازَ  
أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ فِي  
فَهذِهِ غَايَةِ فِي بَابِهِ .

وقال السَّرِي: [الوافر]

بَلَانِي الْحَبِّ فِيكَ بِمَا بَلَّانِي  
أَبَيْتَ اللَّيْلَ مَرْتَقِباً أَنَا جِي  
وَيَشْهَدُ لِي عَلَى الْأَرْقِ الثَّرِيَا  
تَسْتَصْرِفُ طَاعَتِي عَمَّنْ نَهَانِي  
وَلَمْ أَجْهَلْ نَصِيحَتَهُ وَلَكِنْ  
فِيَا وَلَعِ الْعَوَازِلُ خَلَّ عَنِي  
وَهَذَا مِمَّا يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، وَيَحْتَوِي عَلَى النُّوعَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ .

وقال السَّلَامِي: [البسيط]

مَا ضُنُّكَ عَنْكَ بِمَوْجُودٍ وَلَا بَخَلَا  
يُحْكِي الْمَطَايَا حَنِيناً وَالهَجِيرَ جَوَى  
وقال أيضاً: [الوافر]

مُنَيْتَ بِمَنْ إِذَا مَنَيْتَ أَفْضَتْ  
وَفَاضَتْ رَحْمَةً لِي حِينَ وَلَّى  
وَلَهُ فِي غِلَامٍ بَدَوِيٍّ: [الخفيف]

تَعَلَّقْتَهُ بِدَوِيِّ لِّلْسَانٍ  
أَعَانَقَ مَنْ قَدَّهَ صَفْعَةً  
أَدَارَ اللَّثَامَ عَلَى خَدِّهِ  
وَمَسَكَ ذَوَائِبَهُ سَائِلِ  
أَحْبَبِيهِ بِالْوَرْدِ وَالْيَا سَمِ  
وَلَهُ فِي غِلَامٍ غَزَيٍّ رَامٍ: [الكامل]

قَمَرٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ تَحْسَبُ أَنَّهُ الـ  
يَرْمِي بِلُخْظِيهِ الْقُلُوبَ وَسَهْمُهُ  
بَطْلٌ حِمَائِلُهُ كَعَارِضِهِ وَحَا  
حَيُّثُتُهُ فِدْنَا فَأَمْطَرَ رَاحَتِي

صَوَلَجَ لَامَ الْعِذَازِ  
أَبْيَضَ مِثْلَ النَّهَازِ

فَشَأْنِي أَنْ تَفِيضَ غُرُوبُ شَانِي  
بِصَدْقِ الْوَجْدِ كَاذِبَةِ الْأَمَانِي  
وَيَعْلَمُ مَا أَقَاسِي الْفِرْقَانِ  
دَمْرُوعٍ فِيكَ تَلْحَى مَنْ لِحَانِي  
جَنُونِ الْحُبِّ أَخْلَى فِي جَنَانِي  
وَيَا كَفَّ الْغَرَامِ خَذِي عَنَانِي  
وَيَحْتَوِي عَلَى النُّوعَيْنِ مِنَ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبِ .

أَعَزُّ مَا عِنْدَهُ النَّفْسُ الَّتِي بَدَلَا  
وَالْمُزْنُ دَمْعاً وَأَطْلَالُ الدِّيَارِ يَلَى

مَنَايَ إِلَى بِنَفْسِجٍ عَارِضِيهِ  
مَدَامُغٍ كَاتِبِي وَكَاتِبِيهِ

وَالْوَجْهَ وَالزُّيَّ ثُبَّتَ الْجَنَانِ  
تَرَى اللَّحْظَ مِنْهَا مَكَانَ السَّنَانِ  
فَأَهْدَى الشَّقِيقَ إِلَى الْأَقْحَوَانِ  
عَلَى آسٍ دِيْبَاجِهِ الْخُسْرَوَانِي  
بَيْنَ فَيَصْبُو إِلَى الشَّيْخِ وَالْأَيْهَقَانِ

خَوْدَ الْحَصَانِ عَلَى أَقْبَ حِصَانٍ  
فَعَجِبْتَ كَيْفَ تَشَابَهَ السَّهْمَانِ  
جَبُّهُ الْأَرْحُ كَقَوْسِهِ الْمِزْنَانِ  
قَبْلًا فَلَيْتَ فَمِي مَكَانَ بِنَانِي

وللشريف الرضي: [الكامل]

ألم الهوى من قلبي المضدوع<sup>(١)</sup>  
وجزيت فرط نزعاه بثزوع  
وأسفي على ذاك اللّمي الممنوع  
قيظ وهذا في رياض ربيع  
مَضَض الملام ومولم التقريع  
وأناملني في سُنَي المَقْرُوعِ  
حتى أضاء بشغره ودموعي  
لبس الغروب فلم يعد لطلوع  
لعجبتما من عزّه وخضوعي  
أُني أبيتُ بليلةِ الملسوع

يا صاحب القلب الصحيح أما اشتفي  
أسأت بالمشقاق حين ملكته  
وتركتني ظمآن أرشف غُلّتي  
قلبي وطرفي منك هذا في جمى  
كم ليلة جرّعته في طولها  
تفلي أنامله التراب تعللاً  
أبكي ويبسم والدّجى ما بيننا  
قمرٌ إذا استعجلته بعتابه  
لو حيث يستمع السرار وقفتما  
أعزز عليّ إذا امتلات من الكرى

وللوزير ابن المغربي: [الكامل]

يُضنّيه طولُ بَعاده ويذِيبُه  
إذ غاب عن بلد وفيه حبيبُه  
وتأسفاً إذ أوبقته ذنوبه  
ونعم دعاه فلا أراه يجيبُه

دَيْفُ بمصر وبالعراق طيبُه  
ما ناله إلا الذي هو أهْلُه  
لزم السَّهادَ تحييراً وتلذُّداً  
زعم الفراق دعا به فأجابُه

وله أيضاً: [مجزوء الكامل]

مر يشقه من جانبيه  
موفرنده في صفحتيه  
مرّة وردة في وجنتيه

ولقد أراه في الغديـ  
والماء مثل السيف وهـ  
صبغت بياض النيل حمـ

ولابن الزقاق: [الطويل]

وربّ مُنى للمرء فيها منايـ  
تنوب لها دأباً عن الرشق عينـ  
وضنّ لنا ظلماً بظلم ثنـايـ  
لأخوى حوى كلّ المحاسن مرآـ  
وقامته والرّدْف منه وخداه

تَمَثَّيْتُ مَنْ أهوى به وهو قاتلي  
قسا فرمائي عن قسي حواجبـ  
أذلّنا دماء في هواء وأدمعـ  
فما برّح الشوق المبرّح ساميـ  
فمنظره والثغر منه وعزفُه

(١) الأبيات في ديوان الشريف الرضي ٤٩٧/١.

لشمس الضحى والدَّرّ والمسك نفحةً  
وقال أيضاً رحمه الله تعالى: [الكامل]

ومفهمف نبت الشقيق بخذه  
ماء الشبيبة والجمال أرق من  
يُحيي الأنام بلمحة من وضله  
إن كنت أهديت الفؤاد له فقل  
وقال أيضاً: [المقارب]

أرق نسيم الضبا عرْفُهُ  
ومر بنا يتهادى وقد  
ومد لمبسمه راحة  
أشار لتقبيلها في السلام  
ولإدريس بن اليماني: [الطويل]

وذى لعمس للأقحوان ثناياه  
وللسوسن الربيان صفحة خذه  
فريد جمال تنم لي توأم الهوى  
ولبعض أصحابنا: [الخفيف]

كف عني الملام يا من يلوم  
جَلّ همي بأن أهيم حياتي  
أبدا أطلب الغرام مجدداً  
إن ربما رمت برامة قلبي  
صح حُبِّي واعتل جسمي فحسبي

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريري من التذلل والخضوع إلى  
المجبوب، فهو حكم الباب، والمجمع عليه عند ذوي الألباب. إلا قوله: «وغيري يجتني  
رشف ثغره»، فإن أكثر أهل هذا الشأن يأثرون أن يكون المحبوب بين عاشقين، وينسبون  
محبة إلى خسارة الهمة، ويعتدون بها على المحبوب من أكبر التهمة، قال امرؤ القيس:  
[الكامل]

إنني بحببلك وإصل حبلي  
وبريش نبلِك رائش نَبلي<sup>(١)</sup>

(١) البيت لامرء القيس في ديوانه ص ٢٣٩، والبيت الأول لامرء القيس في شرح أبيات سيويه ١/ =

ما لم أجذك على هدى أثرٍ يقرؤ مقصّك قائف قبلي  
يقول: أنا أديم من مواصلتك ما لم أجذّ غيري يتبعك طمعاً في مواصلتك . وقال  
أبو ذؤيب: [الطويل]

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يُجمَع السِّيفَانِ ويحك في غمٍ<sup>(١)</sup>  
فهذا قد أبى الشركة على التساوي، فكيف الإقامة على الجور الذي ذكر الحريري .  
وقد قدمنا في العشرة للمولدين فتاً غير هذا، على أن المحبوب إذا كان حسن الخلق  
حسن القبول زاد في أبهة جماله، كما أنّ الجفاء في المحبوب والخلق الذميم يطمس نور  
حسنه وينقص من كماله، وأنشدوا: [الطويل]

أيا حسناً أزلت قبائح فعله عليه كما أزرى الكسوف على البدر  
وقال عبد الصمد المصري: [المقارب]

فلو زُيِّنَ الحسنُ من وجهه بهجر الصدود ووصل الوصال  
لتمَّ ولكنَّ ما إن أرى جميل المحيا جميل الفعال  
وقال آخر: [الوافر]

صَحَا عن حبِّك القلب المشوق فما يصبر إليك ولا يتوق  
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسْلِي عن الولد العقوق  
فهذه جملة كافة .

### [أنواع البلاغة في صناعة الشعر]

ونرجع إلى ذكر أنواع البلاغة في صناعة الشعر التي سَمَّاها المحدثون صنعة البديع،  
والشعراء يتفاضلون في سياقها والاعتدال عليها، وهي في أشعار العرب موجودة، وفي  
الشعر المولّد أكثر، وأنا أتّي منها بما للنّاظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى، ونبدأ منها  
بالتجنيس الذي أولع به الحاكم في المقامة .

#### التجنيس

هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم، قال أبو بكر حازم بن حازم: التجنيس  
أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام، وهو من أصيبق أنواع البديع، فمنه

= ٤٠٦، ولسان العرب (حبل)، وللمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٥، وبلا نسبة في رصف  
المباني ص ٤٤٧، والكتاب ١/ ١٦٤.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في خزانة الأدب ٨٤/٥، ٥١٤/٨، والدرر ٦٨/٤، وشرح أشعار الهذليين ١/  
٢١٩، ولسان العرب (ضمد)، وللّهذلي في إصلاح المنطق ص ٥٠، وبلا نسبة في همع الهوامع ٥/٢.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٤٣] وفي الحديث «عَصِيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالِمَهَا اللَّهُ، وَالظُّلَمَ ظَلَمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وقال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار: هشمك هاشم، وأمتك أمية، وخزمتك مخزوم، وأنت من عبد دارها، ومنتهى عارها، فتح لها الأبواب إذا أقبلت، وتغلقها إذا أدبرت.

والتجنيس أنواع، فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم، ومنه تجنيس الخط وهو ما يصبح تصحيفه، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٤].

وفي حديث سعد بن أبي وقاص: لما أسلمت راغمتني أمي، فهي مرة تلقاني بالبشر، ومرة تلقاني بالبشر.

البحثري: من سعادة جدك، وقوفك عند حدك.

وفي رسالة: عاد إلى المسامحة والمحاسنة، بعد المشامخة والمخاشنة، وقال البحثري: [الطويل]

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليُعجز والمعتز بالله طالبه<sup>(١)</sup>

وقال البحثري أيضاً: [الطويل]

وحالاً كريش التيسر مهما رأته جناحاً لشهم عاد ريشاً على سهم

ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] ومن رسالة: لم يكن لأمره مضيقاً، ولا لسرّه مديعاً.

البستي: مَنْ لم يكن لك نسيباً، فلا ترج منه نصيباً. وَمَنْ لم يكن لك صدره بالحاجات فسيحاً، فلا تسمع له بها لساناً فصيحاً. وقال: [الطويل]

أبوك كريم غير أنك سابق مداه فلا ضيم عليك ولا ذم

فلا يعجبني الناس مما أقوله وأقضي به فالغيث يقدمه الغيم

وقال المعري رحمه الله تعالى: [البسيط]

أعوذ بالله من قوم إذا سمعوا خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

وخالد بن سنان ليس ينقصه من قدره الكون في حي أضاعوه

ومنه تجنيس المضارعة، فمنه من رسالة: أنابه بين احتفاء واحتفال، وبين ذكر مطرٍ مطرب. وثنا مغرٍ مغرب.

وقال أبو تمام: [الطويل]

يَمْدُون من أيدٍ عواصِمٍ عواصِمٍ    تطول بأسيافٍ قواضٍ قواضٍ<sup>(١)</sup>  
وقال المعري: من اتقى الله فهو السالم الساري.

وقال ابن عمار: [الطويل]

إذا ركبوا فانظره أول طاعين    وإن نزلوا فانظره آخر طاعم  
وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب، والناس له تبع، كما انفرد بحسن القطع في آخر قصائده، فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتاً في آخر قصائده في الغالب.  
كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتداءات لا يجاري فيها، كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه يكاد على كثرتة في شعره ألا يسقط له تشبيه واحد، كما انفرد المتنبي بلطف التخلص من التغزل إلى المدح، ومن تجنيس حبيب قوله: [الطويل]

عداك حرّ الشغور المستضامة عن    برد الثغور وعن سلسالها الحَصِبِ<sup>(٢)</sup>

السلسال العذب والحصب: الجاري على الحصباء؛ شبه الريق به، ففي هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتتميم والترديد والتبليغ، وتأتي هذه الأنواع في هذا الفصل، وحبيب أكثر الناس استعمالاً لصنع البديع، ومن شعره يُتَعَلَّم، وقال أيضاً: [البسيط]

كم نيل تحت سناها من سَنّا قمرٍ    وتحت عارضها من عَارِضٍ شنبِ<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً: [الكامل]

يا من تدُمِّي عينه تلك الدمى    فيه ويقمر ليلة الإقمار  
أخذه البحرني فقال: [البسيط]

جافي المضاجع لا ينفكُ في لَجِبٍ    يكاد يُقْمَرُ من لآلئه القمرِ<sup>(٤)</sup>  
وأنشد أبو علي الفارسي في نوادره لأبي الغول الطهوي يصف سحاباً: [الخفيف]

وقري كلّ قرية كان يقرو    ها قري لا يجفّ منه القري  
وفي المقامات من التجنيس كثير، وفي هذا الشرح منه ما يُستظرف ويستبدع، فمما يستحسن منه قول السريّ يمدح سيف الدولة: [الوافر]

أغرّتك الشّهاب أم النّهاؤ    وراحتك السحاب أم البحار  
خلقت منية ومُنَى فأضحّت    نمور بك البسيطة أو تماؤ

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص ٤٢.

(٣) ديوان أبي تمام ص ١١.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص ١٠.

(٤) البيت في ديوان البحرني ص ٩٥٨.

تحلّي الدينَ أو تحمى حماه      فأنت عليه سُور أو سوارُ  
سيوفك من شكاة الشجر برء      ولكن للعدى فيها بوارُ  
وكفالك الغمام الجود يسري      وفي أحشائه ماء ونارُ  
فيمنى من سجيته المنايا      ويُسرَى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذي جمع إلى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابي أبا أحمد الشيرازي، من شعر يشتكي له نقرساً أصابه وأوله : [المقارب]

إلى الله أشكو ضئى شَفْنِي      وكم قبله من ضئى قد شفاني  
فأجابه الصابي : [المقارب]

عَناني من الهم ما قَدْ عَناني      فأعطيتُ صَرْفَ الليالي عَناني  
أَلْفُ الدُموعِ وعفت الهجوعُ      فعيناي عِينان نَضَاجَتَانِ  
لسقم أَلَحَ على سيّد      به قد غفرتُ ذنوبَ الزَّمانِ  
وكيف سطا بهما واستطا      ل وأرض بساطهما النيرانِ  
وهلاً تجاوزه قاصداً      إلى عَصبة عُصَبَتِ بالهوانِ  
إذا ما سعى لطلاب العلا      فكلُّ أوَانٍ همٌ في توانِ  
أَتَنِي بِالْأَمْسِ أبياته      تعلَّلَ رُوحِي بِروح الجنانِ  
كَبَزْدِ الشَّبَابِ وبَزْدِ الشِّرا      بِ وَطْلَ الأمانِ وَتَنِيلِ الأمانِ  
وعهد الضُّبا ونسيم النُّصبا      وَصَفُو الزمانِ وَرجع القِيانِ  
أجبت عن الشُّعر مسترسلاً      بطبع شجاع وَقَلْبٍ جَبَانِ  
ولولا سكوني إلى فضله      قبضت بناني بقبض اللِّسانِ  
وقال أبو الفتح البستي : [المقارب]

إنَّ أسيافنا العضاب الدوامي      صيَّرت ملكنا قرينَ الدَّوامِ  
باققسام الأموال من وقت سام      واقتحام الأموال من وقت حام

### التشبيه

وقد أوردنا في هذا الكتاب منه كل غريب، والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به لونا، ومنها تشبيهه به صوتاً، ومنها تشبيهه به حركة وسرعة، فالأول كقوله : [الطويل]

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً      لَدَى وَكُرْهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي<sup>(١)</sup>

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٣٨، وشرح التصريح ١/ ٣٨٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤٢، =



أجمع أهل العلم بالشعر كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي، أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان في بيت واحد، وأن أحداً لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس، كأن قلوب الطير . وقال بشار: ما زلت مذ سمعت قوله: كأن قلوب الطير أراود نفسي أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك إلى أن قلت: [الطويل]

كَأَنَّ مَنَارَ الثُّغَمِ فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تنهاوى كواكبه  
ويا بعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب، ولا أحفظ للبيتين ثالثاً، إلا أن بشاراً قد قال أيضاً: [البيط]

من كل مشتهر في كف مشتهر كأن غرته والسيف نجمان  
وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالأسد والجميل بالقمر، وكقوله: [الطويل]  
وكالسيف إن لا ينثه لان منته وحداه إن خاشنثه خشنان  
واللون كقول ابن هرمة: [الطويل]  
وليل كسربال الخراب ادرعته إليك كما أخت اليماني أجدل  
والصوت كقول النابغة: [البيط]

له صريف صريف القعر بالمسد<sup>(١)</sup>

والحركة والسرعة، كقول امرئ القيس: [الطويل]

كجلمود صخر حطه السيل من علي<sup>(٢)</sup>

وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه معنيان أو ثلاثة معانٍ من هذه الأوصاف قوي التشبيه، وتأكد الصدق فيه، وأصدق التشبيهات ما إذا

= ٥٩٥/٢، ٨١٩، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٤٤، ولسان العرب (أدب)، والمقاصد النحوية ٣/ ٢١٦، والمتنصف ١١٧/٢، وتاج العروس (بال)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦٤/٧، وأوضح المسالك ٣٢٩/٢، ومغني اللبيب ٢١٨/١، ٣٩٢/٢، ٤٣٩. (١) صدره:

مقذوفة بدخيس النحض بازلهما

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٦، وجمهرة اللغة ص ٥٧٨، ٧٤١، ٩٤٤، والدرر ٧٦/٣، وشرح أبيات سيبويه ٣١/١، وشرح الأشموني ٥٠٧/٢، والكتاب ٣٥٥/١، ولسان العرب (صرف)، (قذف)، (بزل)، (قعا)، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ص ٣٢٠، وجمع الهوامع ١٩٣/١. (٢) صدره:

مكر مفتر مقبل مدبر معاً

والبيت في ديوان امرئ القيس ص ١٩، ولسان العرب (علا)، وكتاب العين ١٧٤/٧، والكتاب ٢٢٨، وبلا نسبة في المخصص ٢٠٢/١٣، وأوضح المسالك ١٦٥/٣.

عكس لم ينتقص، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مشبهاً به صورة ومعنى، كقول امرئ القيس: [الطويل]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ زُهَبَانِ تُشَبُّ لِقُفَالٍ<sup>(١)</sup>

فتشبه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح، وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح، وربما أشبه الشيء صورة، وخالفه معنى. وقد تقدّم ذكر ذلك في الثانية، وربما قاربه وداناه وشابهه مجازاً لا حقيقة.

وأدوات التشبيه كَأَنَّ والكاف ومِثْل، وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر، وقد يشبه بقولهم: تخاله وتحسبه، فما كان منه صادقاً قيل فيه «كأنه» أو كذا، وما قارب الصدق قيل فيه: تراه أو تخاله؛ فإذا حققت هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه، وقد تقدّم نوع من التشبيه في الثانية، وسيأتي في الأربعين تشبيهات الغريب العقم في حكاية الأصمعي.

### الاستعارة

هي من العارية لأنّ الشاعر يُعير المعنى ألفاظاً غير لفظه الموضوع له، وهي على ثلاثة أوجه: أحدهما يستعيره الشاعر من الألفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعاني، وهذا الضرب يعدّ في البديع ومحاسن الشعر، وهو كثير في كلامهم، وعليه انبنى كتاب المقامات، ولّما يوجد بيت يخلو منه، وما جاء منه في القرآن سماه بعضهم مجازاً وأباه بعضهم، نحو قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرُّخْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، ﴿وَاشْتَغَلَّ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [مريم: ٤] وقال النبي ﷺ: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»<sup>(٢)</sup>.

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

\* وَلَيْلِ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ<sup>(٣)</sup> \*

وقال علقمة وهو بديع: [البيط]

\* وَالصَّبْحُ بِالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ مَنْحُورٌ<sup>(٤)</sup> \*

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٣١، وخزانة الأدب ١/٣٢٨، والدرر ٤/١٣، وهو بلا نسبة في معجم الهوامع ١/٢٤٦.

(٢) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٥٦، وأحمد في المسند ١/١٦٥، ١٦٧.

(٣) عجزه:

عَلِيٌّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي

والبيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٨، وخزانة الأدب ٢/٣٢٦، ٣/٢٧١، وشرح شواهد المغني

٢/٥٧٤، ٧٨٢، وشرح عمدة الحفاظ ص ٢٧٢، والمقاصد النحوية ٣/٣٣٨، وبلا نسبة في أوضح

المسالك ٣/٧٥، وشرح الأشموني ٢/٣٠٠، وشرح شذور الذهب ص ٤١٥.

(٤) صدره:

أَوْزَدَتْهُمْ وَصُدُورُ الْعَيْسِ مُسْفَتَةٌ

وقال زهير في الحرب: [الطويل]

\* ضَرُوسُ تُهَيِّرُ النَّاسَ أَنْيَابُهَا غُضْلُ<sup>(١)</sup> \*

وقال عمرو بن كلثوم: [الطويل]

أَلَا أَبْلُغُ النِّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً      فَمَجْدُكَ حَوْلِي وَلِوَمِكَ قَارُخُ  
وقال الحسن: [الكامل]

فِي مَجْلِسٍ ضَحِكَ السُّرُورُ بِهِ      عَنِ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخُمُرُ  
وقال العباس بن الأحنف: [البيط]

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أَذْيَالَ الْحَدِيثِ بَنَا      وَفَرَّقَ النَّاسَ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقَا<sup>(٢)</sup>  
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ      وَصَادِقٌ لَيْسَ يَذْري أَنَّهُ صَدَقَا

الثاني: أن ينتحل الشاعر قولاً لغيره فيدخله في شعره، وهذا هو الاجتلاب الذي نفاه جرير عن نفسه بقوله: [الوافر]

أَلَمْ تَعْلَمْ مَسْرُجِي الْقَوَافِي      فَلَا عِيَابَهُنَّ وَلَا اجْتِلَابَا<sup>(٣)</sup>  
الثالث: أنه يستعير الشاعر ألفاظاً كان غنياً عنها، والمعنى غير مفتقر إليها، ويسمى الحشو والاستعانة، ويحسن بقدر ما يتحمل من الفوائد ويقبح إذا فرغ منها.

### الإشارة

قال قدامة: الإشارة هي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة باللمحة الدالة، ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير: [الوافر]

وَإِنِّي لَوَ لِقَيْتِكَ فَاجْتَمَعْنَا      لَكُنَّ لِكُلِّ مَنْكَرَةٍ كِفَاءً<sup>(٤)</sup>  
وقال امرؤ القيس: [الطويل]

عَلَى هَيْكَلٍ يَعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ      أَفَانَيْنَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَزٍّ وَلَا وَا<sup>(٥)</sup>

= البيت لعلقمة الفحل في ديوانه ص ١١٣، وأساس البلاغة (نحر)، وبلا نسبة في لسان العرب (نحر)، وتاج العروس (نحر).

(١) صدره:

إِذَا لَقِيتَ حَرْبَ عَوَانٍ مُضَرَّةً

والبيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠٣.

(٢) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ص ١٦٩.

(٣) البيت لجرير في ديوانه ص ٦٥١، وشرح أبيات سيبويه ٩٧/١، والكتاب ٢٣٣/١، ٣٣٦، ولسان العرب (جلب)، (سحج)، وبلا نسبة في لسان العرب (يسر)، والمقتضب ٧٥/١، ١٢١/٢.

(٤) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٨١.

(٥) البيت في ديوان امرؤ القيس ص ٩١.

فتأمل ما اشتملت عليه لفظة «أفانين» مما لو عُدَّ كان كثيراً، وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعاً من غير طلب ولا مسألة، ثم نفى عنه الكزازة والوني، وهما أكبر عيوب الخيل.

والإشارة من غرائب الشعر وملحه ولا يأتي بها إلا شاعر مبرز، وتسمى اللمحة الدالة، وأصلها الاختصار، وهي أنواع، فمنها الوحي، كقول جاهلي في يزيد بن الصُّعق: [المقارب]

تركت الركاب لأربابها      وألزمت نفسي على ابن الصُّعق<sup>(١)</sup>  
جعلت يدي وشاحاً له      وبعض الفوارس لا تُعتنق  
فقوله: «جعلت يدي وشاحاً له» إشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظة.

### الإيماء

ومنها الإيماء، فمن ملحه قول قيس بن ذريح: [الطويل]  
أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت      لها زفرةً تعتادني هي ما هيا<sup>(٢)</sup>  
وقول كثير: [الطويل]

تجافيت عني حين لا لي حيلة      وغادرت ما غادرت بين الجوانح<sup>(٣)</sup>  
فقوله: «غادرت ما غادرت» إيماء مليح.

### التلويح

ومنها: التلويح، ومن أجوده قول النابغة في طول الليل: [الطويل]  
تطاوَلْ حتى قلتُ ليس بمنقُض      وليس الذي يزعمُ التَّجُومَ بآيِب<sup>(٤)</sup>  
فالذي يرعى النجوم هنا الصبح، أقامه مقام الراعي، يغدو فتذهب الإبل والماشية، فتلويحه هذا عجب في الجودة، ومنه قول المجنون: [الطويل]

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل      بي النقض والإبرام حتى علانيا<sup>(٥)</sup>  
فلوَح بالصحة والكتمان، ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً.

### التعريض

ومنها التعريض، كقول عمرو بن معد يكرب: [الطويل]

(١) البيتان بلا نسبة في كتاب الصنائع ص ٣٦٧.

(٢) البيت في ديوان قيس بن ذريح ص ١٦٠.

(٣) البيت في ديوان كثير عزة ص ٥١٥.

(٤) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠، وفيه «تقاعس» بدل «تطاوَلْ»، وأساس البلاغة (قفس).

(٥) البيت في ديوان قيس بن الملوح ص ٢٩٤.

فلو أن قومي أنطقثنِي رماحهم      نطقت ولكن الرماح أجرت<sup>(١)</sup>  
 أي لو أن قومي صدقوا في القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم،  
 ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين، فكأنها أجرت لسانی، أي شقته كما يُجرُّ لسان  
 الفصيل، فكأنها أسكتتني. فهذا تعريض ينوب عن التصريح، وأخذه أبو بكر بن دريد  
 فقال: [الخفيف]

يا بني مالك عقلثُم لسانی      كيف يجري المقيد المعقول<sup>(٢)</sup>  
 إن سلكثُم إلى الفُعال سبيلاً      وضحت لي إلى المقال سبيلُ  
 ومن التعريض قوله: [الطويل]

بني عَمْنَا لا تذكروا الشَّعر بعدما      دفنتم بصحراء الغمير القوافيا<sup>(٣)</sup>  
 ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدَّم: [الطويل]

أَرَى بصري قد خانني بعد صحَّة      وحسبك داء أن تصيخ وتسلم<sup>(٤)</sup>  
 التفتيح

ومنها: التفتيح، كقول الغنوي: [الطويل]

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته      ولا ورعٌ عند اللقاء هُيُوبُ  
 ونحو هذا حكاية الأعرابي في نوادر أبي عليّ حين سئل: أله بنون؟ فقال: نعم،  
 وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة؛ فلما ذكر أسماءهم قال: جهم وما جهم، غَشَمَشَم وما  
 غَشَمَشَم، عشب وما عشب.

ومن هذا التفتيح ما يجيء على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا  
 الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١] و ﴿القَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] وهو كثير في كلام العرب.

ومما جاء في الإشارة على معنى التشبيه قول الأعرابي يصف لبناً ممدوقاً: [الرجز]

\* جاؤوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّئْبَ قَطُّ؟<sup>(٥)</sup> \*

(١) البيت في ديوان عمرو بن معديكرب في ديوانه ص ٧٣، ولسان العرب (جرر)، ومقاييس اللغة ١/ ٤١١، ومجمل اللغة ١/ ٣٨٩، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٧٦، وتاج العروس (جرر)، وهو بلا نسبة في كتاب العين ١١٤/ ٦.

(٢) البيتان في ديوان ابن دريد ص ١٠٢.

(٣) البيت لسويد الحارثي في البيان والتبيين ٢/ ١٨٦.

(٤) البيت في ديوان حميد بن ثور ص ٧.

(٥) قبله:

حتى إذا جنَّ الظلامُ واختلطُ

والرجز للعجاج في ملحقات ديوانه ٢/ ٣٠٤، وخزانة الأدب ٢/ ١٠٩، والدرر ٦/ ١٠، وشرح التصريح =

فأشار إلى تشبيه لونه إذا غلب عليه المذاق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال : [الطويل]

فيشربه مذقاً ويسقى عياله سحاباً كآقراب الثعالب أوزقاً<sup>(١)</sup>

### المطابقة

أبو الفرج علي بن الحسين، قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش - وكان أعلم من شاهدته بالشعر: طائفة وهم الأكثرون تزعم أن الطباقي ذكر الشيء وضده، فيجمعهما اللفظ لا المعنى، وطائفة تقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد، مثل قول زياد الأعجم : [الطويل]

وئبئتهم يستنصرون بكاهل ولئوم فيهم كاهل وسنام<sup>(٢)</sup>  
فكاهل قبيلة وكاهل للعضو، فقال: من ذا الذي يقول هذا؟ قلت: قدامة وغيره، فقال: هذا يا بني هو التجنيس، ومن ادعى أنه طباق فقد ادعى خلافاً على الخليل والأصمعي، قلت: أفكانا يعرفون هذا! فقال: سبحان الله، وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه! قلت: فأنشدني أحسن طباق للعرب، فقال: قول عبد الله بن الزبير الأسدي: [الوافر]

فرّد شعورهن السود بيضا ورّد وجوههنّ البيض سوداً<sup>(٣)</sup>  
وقال أبو الفرج: وأنا أقول إن أحسن بيت قيل فيه: [البسيط]

للسود في السود آثار تركن بها لمعاً من البيض يشني أعين البيض  
يعني أن اللّيالي بمرورهنّ تبيض سواد الشعر.

قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن صنعة الشعر، فذكر في بعض قوله المطابقة، وقال: أصلها وُضع الرجل في موضع اليد، فقلت: أنشدني أحسن ما قالت العرب في ذلك فقال: قول زهير [البسيط]

= ١١٢/٢، والمقاصد النحوية ٦١/٤، وبلا نسبة في الإنصاف ١١٥/١، وشرح ابن عقيل ص ٤٧٧، ولسان العرب (خضر)، (مذاق)، والمخصص ١٧٧/١٣، وأساس البلاغة (ضريح).

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (سجج)، (مذاق)، (ورق)، وتهذيب اللغة ٧٧/٩، ٤٤٩/١٠، والمخصص ٤٦/٥، وتاج العروس (سجج)، (ورق). ويروى «يشربه محضاً» بدل «يشربه مذقاً».

(٢) البيت لزياد الأعجم في كتاب الصنائع ص ٣١٦.

(٣) البيت لعبد الله بن الزبير في ملحق ديوانه ص ١٤٤، وتخليص الشواهد ص ٤٤٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٩٤١، والمقاصد النحوية ٤١٧/٢، ولأمين بن خريم في ديوانه ص ١٢٦، ولفضالة بن شريك في عيون الأخبار ٧٦/٣، ومعجم الشعراء ص ٣٠٩، وللكميت بن معروف في ديوانه ص ١٩١، وذيل الأمالي ص ١١٥، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١٥٩/١، وشرح ابن عقيل ص ٢١٧.

لَيْتَ بِعَثْرٍ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا<sup>(١)</sup>  
وقيل: المطابقة أن يأتي الشاعر بلفظتين مختلفتين في المعنى واللفظ في بيت واحد  
أو في كلام، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وقال رسول  
الله ﷺ للأَنْصَارِ: «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: من رضي عن نفسه كثر من يتسخط عليه.

وقال: أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه.

وقال الحسن: كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعروف الحق.

وقال الفرزدق: [الكامل]

لعن الإله بني كليبٍ إِنْهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُتُونَ لَجَارِ<sup>(٣)</sup>  
يَسْتَقِظُونَ إِلَى نَهْيِ حَمِيرِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ  
وقال حبيب: [الطويل]

يرى العلقم المأدومَ بالعزْ أَرِيَّةً يمانية والأريُّ بالضَّيْمِ علقما<sup>(٤)</sup>

### التقسيم

ومنها التقسيم. قال أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن حماد بن إسحاق  
الموصلِي: هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه، فلا يغادر قسماً يقتضيه  
إلا أوردته، وإلى هذا كان يذهب أهلنا، وأحسن ما قيل في ذلك قول زهير: [البيط]

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطْعَنُوا ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا<sup>(٥)</sup>

وقول عنترة: [الكامل]

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرَزُ وَإِنْ يَسْتَلْحِمُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُزْمَوْا بِضُنْكِ أَنْزَلِ<sup>(٦)</sup>

(١) يروى عجز البيت:

ما الليل كذب عن أقرانه صدقا

وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥٤، ولسان العرب (كذب)، (عثر)، والتنبيه الإيضاح ٢/ ١٦١، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٤، وجمهرة اللغة ص ٤٢١، وتاج العروس (كذب)، (عثر)، والبيت  
بلا نسبة في ديوان الأدب ٨٤/ ١.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٤٣.

(٣) البيت الثاني في ديوان الفرزدق ص ٣٦٠/ ١، وأساس البلاغة (يقظ).

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٩٤.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٤، ولسان العرب (وصل)، وتهذيب اللغة ١/ ٢٥٣،  
وكتاب العين ١/ ١٦٨، ومقاييس اللغة ٤/ ١٦٠، وبلا نسبة في لسان العرب (عنت).

(٦) البيت في ديوان عنترة ص ٦٥.

أبو العيناء: أجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

تهيمُ إلى نغمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ولا الحبلُ موصولٌ ولا أنتَ تصيرُ<sup>(١)</sup>  
ولا قرب نعمٍ إن دنت لك نافعٌ ولا بُعدُها يُسلي ولا أنتَ مُقصرُ  
المبرد: لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح، وهو:

وقد كان فيها للأمانة موضعٌ وللکف مرتاد وللعين منظرُ<sup>(٢)</sup>

وقد تقدم في شرح الثانية بيت المتنبي في التقسيم وهو: بدت قمرا... البيت.  
ونسج على منواله الزاهر فقال: [الطويل]

سَفَرُنْ بُدُورًا وانتَقِبْنَ أهْلَةً ومِسْنُ عُصُونَا والتَفَتْنَ جَاذِرًا  
وأطلعن في الأحياء بالدر أنجما جعلن لحباب القلوب ضرائرا  
وقال الناشي: [الطويل]

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجد يرى كلَّ ما يفنى من المال مغنما  
ندوم أسيفاً ونعلو قواضبا وننقض عقبانا ونطلع أنجما  
وقال السلامي: [البيسط]

ما ضنَّ عنك بموجود ولا بخلاً أعزُّ ما عنده النفس التي بَدَلَا  
يحكي المطايا حيناً والهجير جوى والمزن دمعاً وأطلال الديار بلى  
والتقسيم في الشعر كثير.

### التسهم

قال علي بن هارون: هذا لقب نحن اخترعناه، وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه، حتى لو سمع الشطر الأول استخرج الآخر قبل أن يسمعه، وأحسن ما قيل في ذلك قول جندب أخت عمرو ذي الكلب ترثي أخاها: [المقارب]

فأقسمتُ يا عمرو لو نَبَّهاك إذا نَبَّها منك داءٌ عُضَّالاً<sup>(٣)</sup>  
إذا نَبَّها ليئتُ عريسةً مُفِيئاً مُفِيداً نفوساً ومالاً  
وحزقي تجاوزت مجهولةً بوجناء حَرْفٍ تشكَّى الكَلالاً  
فكنت النهار به شمسهم وكننت دجى اللَّيل فيه الهلالاً

(١) البيتاني ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٢.

(٢) البيت في ديوان لقيس بن ذريح ص ٨٧، وفيه «وللقلب» بدل «وللكف».

(٣) الأبيات في كتاب الصناعتين ص ١٤٢، وأمالى المرتضى ٢/ ٢٤٣.



قال الحاتمي: فانظر إلى ديباجة هذا الكلام، ما أصفها، وإلى تقسيماته ما أوفها، وانظر إلى قوله: مفيتا مفيداً، ووصفها إياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل، تجد المطيع الممتنع القريب البعيد.

### التميم

هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيئاً يتم ويتكامل الإحسان معه فيه إلا أتى به، وأحسن ما قيل في ذلك قول طرفة: [الكامل]

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرَّبِيعَ وَدِيَمَةَ تَهْمِي<sup>(١)</sup>

فقد تم الإحسان في المعنى الذي ذهب إليه بقوله: «غير مفسدها» ويتلوه قول خليفة بن نافع العتري: [الطويل]

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عادوا بالسُيوف القواطع  
فالمعنى تم بقوله «يعطوه»، ولولاه كان ناقصاً.

وقال حبيب: [الكامل]

حَتَّى لَقَدْ ظَنَّ الْغَوَاةَ وَيَاطِلُ أَنَّى تَجَسَّمُ فِي رُوحِ السَّيِّدِ<sup>(٢)</sup>

فتم الإحسان في المعنى الذي أراد بقوله: «وباطل»، والسيد الحميري له في الشيعية مذهب رديء، والغواة هنا القائلون بالتناسخ. يقول: لإفراط حبهم في أهل البيت، توهم الغواة أن روح السيد تجسم في، وتوهمهم باطل.

### الترديد

هو تعليق الشاعر لفظة في البيت بمعنى، ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر، وأكثر ما يستعمله المحذثون، وأجمعوا أن أبا حية النميري سبق إلى الإحسان جميع من تقدّمه وتأخّر عنه في قوله: [الطويل]

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لِبَسْنِ الْبَلَى مِمَّا لِبَسْنَ اللَّيَالِيَا<sup>(٣)</sup>

إذا ما انقضى للمرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

ابتدأ بالمصرع الأول فأحسن الابتداء، وردّد في المصراع الثاني فأحسن في

(١) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٨٨، وتخليص الشواهد ص ٢٣١، والدرر ٩/٤، ومعاهد التنصيص ٣٦٢/١، وبلا نسبة في لسان العرب (همي)، وجمع الهوامع ٢٤١/١.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص ١١٤.

(٣) يروى صدر البيت الثاني:

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة

وهو بلا نسبة في لسان العرب (قضى)، وتاج العروس (قضى).

الترديد، ثم ابتدع في البيت الثاني ما ليس لأحد مثله.

أبو تمام: لا أعلم أحداً أحسن صنعة في الترديد من زهير في قوله: [البسيط]

مَنْ يَلْتَقِ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمَاً يَلْتَقِ السَّمَاةَ مِنْهُ وَالتُّدَى خَلْقاً<sup>(١)</sup>

الحاتمي: وأحسن الخليع الباهلي في الترديد بقوله: [الطويل]

لقد ملأت عيني بحسن محاسن مَلَأْتُ قُوَادِي لَوْعَةً وَهُمُومًا

### التجريد

وهو أن يجرد الشاعر موصوفه من صفته، ويسندها لأجنبي في الظاهر، وهو يريد

الأول في المعنى، مثل قول الأعشى: [المنسرح]

يا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمِطْيَ وَلَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفٍّ مَنْ بَخِلَ<sup>(٢)</sup>

فظاهره أنه لا يشرب كأساً بكفٍّ رجل ينسب إلى البخل إنما يشربها بكف كريم، وذلك الكريم هو الممدوح في المعنى، فجرده في الظاهر، وهو يريد بكفٍّ بخيل من نفسه. وأبو عليّ الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد، ومنه قول طرفة: [الرملي]

جَازَتْ الْبَيْدَ إِلَى أَرْحُلِنَا آخَرَ اللَّيْلِ بَيْعُفُورٍ حَذِرٍ<sup>(٣)</sup>

يعني بيعفور حذر، من نفسها. وقال الأخطل: [الطويل]

رَبِّيعَ حَيًّا مَا يَسْتَقِلُّ بِحَمَلِهِ سُؤْمٌ وَلَا مُسْتَنْكِشَ الْبَحْرِ نَاضِبُهُ

أي ما يستقل بحمله سُؤْمٌ من نفسه، أي ليس بملول، وقال النابغة. [الكامل]

لَمْ يَحْرَمُوا حَسْنَ الْغِذَاءِ وَأَتَهُمْ طَفَحَتْ عَلَيْكَ بَتَائِقِي مَذْكَارٍ<sup>(٤)</sup>

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس: [السريع]

«على لاحب لا يهتدي بمناره»<sup>(٥)</sup>

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٣، والإنصاف ٦٨/١، وخزانة الأدب ٣٣٥/٢، وسر صناعة الإعراب ٨٣١/٢، ويلا نسبة في المقتضب ١٠٣/٤.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص ٢٢٥.

(٣) البيت لطرفة في ديوانه ص ٥٠، ولسان العرب (خدر)، (عفر)، (رحل)، وتهذيب اللغة ٢٦٥/٧، ومقاييس اللغة ١٦٠/٢، ٣٧٢/٤، ومجمل اللغة ١٦٣/٢، وديوان الأدب ٢٣٢/٢، وكتاب العين ٣٤٢/٢. ويروى «خذر» بدل «خيز».

(٤) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٥٨، ولسان العرب (دح)، (نتق)، وتهذيب اللغة ٣٥/٤، وكتاب العين ٤٢/٣، وأساس البلاغة (طفح)، وتاج العروس (نتق)، ويلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/٣٨٧، والمخصص ٣٠/٤، ويروى «بتاتي» بدل «بتاتي».

(٥) عجزه:

فظاهره أن المنار الذي يهتدي به إلى الطريق لا يهتدي به. وهو في المعنى قد جرد الطريق من المنار، وإنما أراد: ليس به منار أصلاً، فليس ثمَّ اهتداء، فنفي المسبب الذي هو الاهتداء، وأثبت السبب الذي هو المنار في اللفظ، واتكل على قوّة دلالة المعنى، وأن مراده نفي سبب الهداية الذي هو المنار فتنتفي الهداية، ومثله قول النابغة: [البيسط]

يحفّه جانباً نيقٍ ويُتبّعُه      مثلَ الزجاجة لم تُكحلَّ من الرمد<sup>(١)</sup>  
أي ليس بها رمد فتحتاج إلى كحل.

وقال الراجز: [الرجز]

\* ولم يقلّب أرضها البيطار<sup>(٢)</sup> \*

وقال الله عز وجل ﴿ولم يكن له ولي من الدّل﴾ [الإسراء: ١١١] وهو كثير في الكلام.

### التبعية

وهو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه، بل بلفظ تابع له، فإذا قال التابع أبان عن المتبوع، وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ      أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشم  
ذهب إلى طول العنق، فلم يذكره بلفظ خاص به أتى بمعنى دلَّ به على طوله، وهو قوله: «بعيدة مهوى القرط». ومثله قول الآخر: [الطويل]

نعلّق في مثل السّواري سُوْفنا      وما بينها والكفّ مهوَى نَقَائِفِ<sup>(٣)</sup>

فأراد نعلّق سيوفنا في أعناق مثل السواري في الطول والاعتدال، وما بين العنق

= البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٦٦، ولسان العرب (ديف)، (سوف)، (لحف)، وتهذيب التهذيب ٧٠/٥، ٩٢/١٣، ١٩٨/١٤، وأساس البلاغة (سوف)، وتاج العروس (ديف)، (لحف)، (سوف)، وبلا نسبة في لسان العرب (نسا)، ومقاييس اللغة ٣١٨/٢، ومجمل اللغة ٣٠٤/٢.  
(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٣٤.

(٢) الرجز لحميد الأرقط في جهمرة اللغة ص ٩٧، وسمط اللآلي ص ٩١٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤٨٩، ولسان العرب (قلب)، (حبر)، (أرض)، والمعاني الكبير ص ١٥٥، وتاج العروس (قلب)، (حبر)، وبلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٧٣، وجهمرة اللغة ص ٢٧٥، ٣٤٩، ١٠٢٩، ولسان العرب (رجع)، وتهذيب اللغة ١٧٥/٩، ٦٢/١٢، وتاج العروس (رجع)، ومجمل اللغة ١٣٠/٢، ومقاييس اللغة ١٢٧/٢، ١٧/٥، والمخصص ١٦٧/٧، وكتاب العين ٥٦/٧.

(٣) البيت لمسكين الدارمي في ديوانه ص ٥٣، وفيه «تَنَائِفٌ» بدل «تَفَانِفٌ»، والحيوان ٤٩٤/٦، والمقاصد النحوية ١٦٤/٤، وبلا نسبة في الإنصاف ٤٦٥/٢، وشرح الأشموني ٤٣٠/٢، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٦٣، وشرح المفصل ٧٩/٣، ولسان العرب (غوط)، وتاج العروس (غوط).

والكفّ طول كثير، فكفى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به، وأبدع ما في التتبع قول امرئ القيس: [الطويل]

\* نؤوم الضحى لم تنتطق عن تَفْضِل<sup>(١)</sup> \*  
فدلّ على ترفهها، وأن لها مَنْ يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك.

### التبليغ

وسمّاه قوم الإيغال، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً قبل انتهائه إلى القافية، ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة.

قيل للأصمعي رحمه الله تعالى: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: مَنْ يأتي إلى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسناً أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى، مثل قول ذي الرّمة: [الطويل]

أظن الذي يُجدي عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان المفصّل<sup>(٢)</sup>  
فتم كلامه، ثم احتاج إلى القافية فقال: المفصّل فزاد شيئاً.  
ومن التبليغ قول امرئ القيس: [الطويل]

كأنّ عيونَ الوجش حَوَلْ خِباثنا وأرْخِلنا الجزع الذي لم يُثَقِّب<sup>(٣)</sup>  
فقد أتى على التشبيه قبل القافية، وزاد بقوله: «الذي لم يثقب» بلوغاً إلى الغاية القصوى في الجودة، وكذلك قوله: [الطويل]

إذا ما جَرَى شَأَوْنِي وابْتَلْ عَطْفُهُ تقول هزيز الريح مرّت بأثاب<sup>(٤)</sup>  
فمرّت بأثاب زيادة على التشبيه التام، والأثاب شجر يكون للريح في أغصانه حفيف شديد، فأفادت الزيادة في التشبيه معنى بديعاً. وقال زهير: [الطويل]

كأنّ فُتات العِهنِ في كل منزل نَزَلْنَ به حَبْ الفنا لم يُحْطَم<sup>(٥)</sup>

(١) صدره:

وتُضْحِي فتيتُ المسك فوق فراشها

والبيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٧، وسر صناعة الإعراب ٥٧٥/٢، ولسان العرب (عنن)، وتاج العروس (فضل)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١٣، ورصف المباني ص ٣٦٧.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٥٠١، وفيه «كتبذير» بدل «كتبذير».

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٥٣، ولسان العرب (جزع)، وأساس البلاغة (جزع)، وكتاب العين ٢١٦/١، وتاج العروس (جزع).

(٤) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٤٩، وشرح التصريح ٢٦٢/١، ولسان العرب (هز)، والمقاصد النحوية ٤٣١/٢، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٢٠/٥، وأوضح المسالك ٧١/٢.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ١٢، ولسان العرب (فتت)، (فتى)، والمقاصد النحوية ٣/١٩٤، وبلا نسبة في شرح الأشموني ١٥٩/١.

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة في آخر البيت الإيغال والتبليغ، وفي حشوه المبالغة والتتيميم.

### التصدير

هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت ثم يعيدها في عجزه، أو في النصف منه، ثم يرزدها في النصف الآخر عنه، فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة أمكن استخراج قوافيه قبل أن يطرُق أسماع مستمعيه، وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل: [الطويل]

وكثت سَناماً في فزارة تامكاً وفي كلِّ قوم ذروة وسناماً<sup>(١)</sup>  
التامك: الشديد، وقال الآخر: [الطويل]

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى يسريع  
وقال آخر: [الطويل]

جَهول إذا أزرى التحلّم بالفتى حلیم إذا لم يزر بالحسب الجهل  
والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء رذ الإعجاز إلى الصدر.

### الاستثناء

قيل إن أول من بدأ به النابغة، وأحسن كل الإحسان في قوله: [الطويل]

ولا عَيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ<sup>(٢)</sup>  
وهذا كقول الجعدي: [الطويل]

فتى كُملت أخلاقه غير أنه جواد فما يُبقى من المال باقياً<sup>(٣)</sup>  
فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقّه علّى أنّ فيه ما يسوء الأعاديا  
ويستحسن قول أبي هفان: [الطويل]

فإن تسألني عنّا فنحنُ حلّى العلا بني دارم والأرض ذات المناكبِ

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل ص ١٢٦.

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٤٤، والأزهية ص ١٨٠، وإصلاح المنطق ص ٢٤، وخزانة الأدب ٣/٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤، والدرر ٣/١٧٣، وشرح شواهد المغني ص ٣٤٩، والكتاب ٢/٣٢٦، ومعاهد التنصيص ٣/١٠٧، وجمع الهوامع ١/٢٣٢، وبلا نسبة في الصحابي في فقه اللغة ص ٢٦٧، ولسان العرب (قرع)، (فلل)، ومغني اللبيب ص ١١٤.

(٣) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص ١٧٣، والبيت الأول في الأزهية ص ١٨١، وأمالى المرتضى ١/٢٦٨، وخزانة الأدب ٣/٣٣٤، ٣٣٦، والدرر ٣/١٨٢، وديوان المعاني ١/٣٦، وشرح أبيات سيبويه ٢/١٦٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٠٦٢، وشرح شواهد المغني ٢/٦١٤، والشعر والشعراء ١/٢٩٩، والكتاب ٢/٣٢٧، ولسان العرب (وحج)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/١٩٣، والصحابي في فقه اللغة ص ٢٦٧، وجمع الهوامع ١/٢٣٤.

ولا عيب فينا غير أن سَمَاخَنَا      أضَرَبْنَا والبأس في كل جانب  
فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم      وأفنى التدى أموالنا غير غائب  
ويسمى هذا تأكيد المذح بما يشبه الدم.

### الالتفات

إسحاق الموصلي قال: قال لي الأصمعي رحمه الله تعالى: أتعرف التفات جرير؟  
قلت: لا، فأنشدني: [الوافر]

أَتَنْسَى إِذ تَوَدَّعَنِي سُلَيْمَى      ببطن بشامة سُقِي البَشَامُ<sup>(١)</sup>  
ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفّت إلى البَشَامِ فدعا له!

### الاعتراض

ويسمى الالتفات، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فيعدل عنه آخذاً في غيره قبل أن يتم الأول، ثم يعود إليه فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في حسنه.  
قال ابن المعتز: الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار، ومن أحسن ما في قول ذلك قول النابغة: [الوافر]

ألا زعمت بنو عبس بأنّي      - ألا كذبت - كبير السنّ فإن  
وقيل: بل قول كثير: [الوافر]

لَوْنُ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ      رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْعَطَايَا<sup>(٢)</sup>  
فقوله: «ألا كذبت» وقوله: «وأنت منهم» اعتراض بين أول الكلام وآخره، وفيه زيادة حسنة، ويستحسن قول الآخر: [الوافر]

فإنّي إن أفتك يفتك مِنّي      فلا يسبق به علق نفيس  
فقوله: «فلا تسبق به» اعتراض لطيف في معناه وموضعه، ويسمى هذا أيضاً وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد.

ومنه قول الأخطل: [البسيط]

وأقسَمَ المجد حقّاً لا يحالفهم      حتى يحالف بطنَ الراحة الشُّعْرُ<sup>(٣)</sup>

(١) يروى البيت:

أنذكر يوم تصقل عارضيهما      بفرع بشامة سُقِي البَشَامِ  
وهو لجرير في ديوانه ص ٢٧٩، ولسان العرب (عرض)، (بشم)، وتهذيب اللغة ٤٦٧/١، ١١/٣٨٤، وتاج العروس (عرض)، (بشم)، وديوان الأدب ١/٣٥٣.

(٢) البيت في ملحق ديوان كثير عزة ص ٥٠٧. (٣) البيت في ديوان الأخطل ص ١١٢.

فقله: «حقاً» حشو أفاد معنى حسناً، وكذلك قول امرئ القيس: [الطويل]

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعَ الَّذِي لَمْ يُشْقِبْ<sup>(١)</sup>

فحول خبائنا وأرحلنا لو سقط لكان التشبيه تاماً والوزن ناقصاً، فأورده حشواً، وفيه زيادة بارعة رائعة، وهي الإخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق في صيده، وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى: [الطويل]

وَخِيلَ طَوَاهَا السَّيْرُ حَتَّى كَانَهَا أَنَابِيبُ سُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطُّ ذُبُلُ<sup>(٢)</sup>

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ خِفَافٌ وَأَرْجُلُ

فوقع «ظالمين» أحسن موقع لأنه نفى بذلك عنها هجنة البطء، وأخذه من قول أعرابي: [الطويل]

وَعُودٌ قَلِيلُ الذَّنْبِ عَاوَدْتُ ضَرَبَهُ إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذَكَرُ

وَقَلْتُ لَهُ ذَلْفَاءُ وَحَكَ سَبَبْتُ لَكَ الضَّرْبَ، فَاصْبِرْ إِنْ عَاذَتْكَ الصُّبُرُ

فحسنة ابن المعتز ما شاء. وأما الحشو القبيح، فكقول أوس بن حجر: [الطويل]

وَهُمْ لِمَقْلُ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مُحَضّاً فِي الْعُمُومَةِ مُخَوَّلاً<sup>(٣)</sup>

فذكره للمال مع قوله: «مقل» حشو لا فائدة فيه، وكذلك قول الهذلي رحمه الله: [مجزوء الوافر]

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ<sup>(٤)</sup>

فذكر الرأس مع الصداع حشو لا فائدة فيه، وأهجن منه قول الأعشى: [الكامل]

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً قَلْبِهِ عَنْ شَأْنِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطَحَّالَهَا<sup>(٥)</sup>

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٥٣، ولسان العرب (جزع)، وأساس البلاغة (جزع)، وكتاب العين ٢١٦/١، وتاج العروس (جزع).

(٢) البيان في نهاية الأرب ٥٩/١١، وديوان المعاني ١٠٧/٢.

(٣) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ٩١، وجمهرة اللغة ص ١٥٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٩٦، ومعاهد التنصيص ١٣٥/١، وكتاب الصناعتين ص ٣٥، ١٠٨، وبلا نسبة في لسان العرب (علل) وتاج العروس (علل).

(٤) يروى البيت:

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي رُذَاعُ السُّقْمِ وَالْوَصْبُ

والبيت لأبي العيال الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٢٤، وتهذيب اللغة ٢٠٤/٢، ولسان العرب (ردع)، وفيه «والوصب» بدل «والوصب» وهذا خطأ، والبيت من قصيدة مضمومة الروي.

(٥) يروى صدر البيت:

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَأْنِهِ

فتكريره ذكر القلب لا فائدة فيه، وهجنه بذكر «طحالها». ودون هذا قول ديك الجن: [الكامل]

فتنقّست في البيت إذ مزّجت بالماء واستلّلت سنا الذهب<sup>(١)</sup>  
 كتنقّس الريحان مازجه ما ورد جور ناضر الشّعب  
 فذكر الماء مع المزج حشو لا فائدة فيه، وأخذ من قول أبي نواس: [الكامل]  
 سلبوا قناع الطين عن رمق حي الحياة مشارف الحنف<sup>(٢)</sup>  
 فتنقّست في البيت إذ مزّجت كتنقّس الريحان في الأنف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج، وذكره ديك الجن فقصر عنه، وزاد الحسن عليه بذكر الأنف حسناً. وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن، لأن ذكاء الريحان أكثر ما يكون إذا أصابه بلل، لكنه في ذكره ماء الورد زيادة الورد معنى بلا شك، إلا أنه قد انضاف إليها العيوب المتقدمة. ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى في بيت واحد، وديك الجن في بيتين، وصاحب بيت أبدأ عندهم باتفاق أشعر، كقول امرئ القيس: [الطويل]

أراهن لا يُخبّن من قلّ ماله ولا من رأين الشّيب فيه وقوساً<sup>(٣)</sup>  
 فما احتوى عليه هذا البيت، أتى به علقمة في ثلاثة أبيات مشهورة، وإن كان المعنى أبسط وأجلّ فالفضل لصاحب البيت، والزمان واحد، لأن من قال علقمة سرقة فقد أخطأ، فأما إذا كان السابق مستوفى المعنى في بيت واحد، ويسوقه المتأخر في أبيات فالكلام في هذا، كقول امرئ القيس: [الطويل]

نمش بأعراف الجياد أكفأ إذا نحن قمنا عن شواء مُضهب<sup>(٤)</sup>  
 أخذه عبدة بن الطبيب فقال: [البسيط]  
 لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار باللحم للقوم المراجيل<sup>(٥)</sup>

= وهو للأعشى في ديوانه ص ٧٧، ولسان العرب (حب)، (شوه)، وكتاب العين ٣/٣١، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٨/٤، وتاج العروس (حب)، وأساس البلاغة (حب).

(١) البيتان في ديوان ديك الجن الحمصي ص ٢٠٩.

(٢) البيتان في ديوان أبي نواس ص ٣٠٣.

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس ص ١٠٧، ولسان العرب (قوس)، وكتاب العين ٥/١٨٨، ومقاييس اللغة ٤٠/٥، وتهذيب اللغة ٩/٢٢٣، وأساس البلاغة (قوس)، وتاج العروس (قوس).

(٤) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٥١، ولسان العرب (ضهب)، (مثن)، (ممش)، ومقاييس اللغة ٣/٣٧٤، والتنبيه والإيضاح ٢/٣٢٥، وكتاب العين ٦/٢٢٥، ٨/٢١٧، وجمهرة اللغة ص ١٤٠، ٣٥٦، وتاج العروس (ضهب)، (مثن)، (ممش)، (عرف)، ويروى «نمش» بدل «نمش».

(٥) الأبيات في ديوان عبدة بن الطبيب ص ٧٣، والبيت الأول بلا نسبة في الإنصاف ١/٢٩.



وَزَدَ وَأَشْقَرَ لَمْ يُثَبِّثْهُ طَابِخُهُ      مَا عَبَّرَ الْغُلِيِّ مِنْهُ فَهُوَ مَا أَكُولُ  
ثَمَّتْ قُمْنَا إِلَى جُزْدٍ مَسُومَةٍ      أَعْرَافَهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه، وكان يجتنب غير الأدباء: ما خير المناديل؟ فقال قائل: مناديل مصر كأنها قَيْضُ البَيْضِ، وقال آخر: مناديل اليمن، كأنها أنوار الربيع، فقال عبد الملك: ما صنعتما شيئاً، أفضل المناديل ما قال أخو تميم - يعني عبدة - وأنشد الأبيات، وهي مع جودتها قَصُرَتْ عن بيت امرئ القيس. وكذلك قول طرفة: [الرمْل]

تَطْرُدُ الْقُرْبَ بِحَرٍّ صَادِقٍ      وَعَلَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ<sup>(١)</sup>  
وقال الأعشى: [المقارِب]

وَتَبْرُدُ بَزْدَ رِءَاءِ الْعَرُورِ      سِ بِالصَّيْفِ رَقْرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرُ<sup>(٢)</sup>  
وتسخن ليلة لا يستطيع      تُبَاحاً بِهَا الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا

### الاستطراد

البحترى: أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن إدريس الشامي: [البسيط]

وَسَابِحَ هَطْلٍ التَّعْدَاءِ هَتَانٍ      عَلَى الْجِرَاءِ أَمِينٍ غَيْرِ خَوَانٍ<sup>(٣)</sup>  
أَظْمَى الْفُضُوصِ وَلَمْ تَظْمَأْ قِوَامُهُ      فَحُلَّ عَيْنِيكَ فِي ظِمَانِ رِيَانٍ  
فَلَوْ تَرَاهُ مُشِيحاً وَالْحَصَى فُلُقُ      بَيْنَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُخْدَانٍ  
أَيَقْنَتُ إِنْ لَمْ تَثْبُتْ أَنْ حَاقَرَهُ      مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانٍ

ثم قال: ما هذا من الشعر! قلت: لا أدري، فقال: هذا هو الاستطراد، فقلت: فما معنى ذلك؟ فقال: يريك وصف الفرس، وهو يريد هجاء عثمان، فأخذ به البحرى، فقال في فرس: [الكامل]

يَهْوِي كَمَا تَهْوِي الْعُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ      صَيْدَا وَيَنْقُضُ انْقِضَاضَ الْأَجْدَلِ<sup>(٤)</sup>  
مَا إِنْ يَعَافُ قَذَى وَلَوْ أوردَتْهُ      يَوْمَا خَلَائِقَ حَمْدِيهِ الْأَخْوَلِ

وكان حمدويه عدواً لمدوجه، فاستطرد به. ويقال: إن البحرى لما عُيِّرَ بسرقة هذا البيت أزاله من شعره. وقال دِغْبَلِ: [الطويل]

(١) البيت في ديوان طرفة ص ٥٣، ولسان العرب (عكك)، وجمهرة اللغة ص ١٢٥، وكتاب العين ١/ ٦٦، وتاج العروس (عكك).

(٢) البيتان في ديوان الأعشى ص ١٤٥، والبيت الأول في الأنصاف ٢/ ٢٨٩، ولسان العرب (عبر)، (رقق)، (ردى)، وأدب الكاتب ص ٣٨، والبيت الثاني في خزنة الأدب ١/ ٦٦، والدرر ٣/ ١٥٢، وهو بلا نسبة في معني اللبيب ٢/ ٥٩٢، وجمع الهوامع ١/ ٢١٩.

(٣) الأبيات في ديوان أبي تمام ٤/ ٤٣٤ (طبعة المعارف).

(٤) الأبيات في ديوان البحرى ص ١٧٤٥.

فلو أنني أصبحت في جود مالك وعزته ما نال ذلك مَطْلِبِي<sup>(١)</sup>  
 فتى شَقِيتُ أموالهُ بِسماحِهِ كما شَقِيت قيس بأرماح تغلب  
 فخرج في استطراده من مدح إلى ذم، وهو مقلوب استطراد زهير في قوله:  
 [البسيط]

إن البخيل ملوم حيث كان ولد كَنَ الجواد على عِلاته هَرِمُ<sup>(٢)</sup>  
 فخرج من ذم إلى مدح. وقال جرير: [الوافر]

تري بِرَصاً بمجمع أَسَكْتِيهِ كعنفقة الفرزدق حين شابا<sup>(٣)</sup>  
 والسابق إلى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال: [الطويل]

وإننا أناس لا نرى القتل مُبَةً إذا ما رأته عامرٌ وسَلُولُ<sup>(٤)</sup>  
 ومما يُستحسن، قول بشار: [الطويل]

خليلي من كَغِبٍ أعينا أحاكما على ذَهره، إنَّ الكَرِيم مُعِينُ<sup>(٥)</sup>  
 ولا تبخلا بُخْلَ ابن قَذْعَةٍ إنه مخافة أن يُرجى نداء حزين  
 إذا جثته في حاجة سدَّ بابَه فلا تَلْقَهُ إلا وأنْتَ كَمِينُ  
 فقف على هذه الجملة من صناعة البديع، ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى.



وأما قوله: فبرز الشيخ مجلياً، وتلاه الفتى مصلياً، فأصل ذلك في الخيل. ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع، ويتنظم المجلي والمصلي في حكاية الرشيد مع المأمون.

### [قصة فرسي الرشيد والمأمون]

وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوماً بالرقة فوقف متلوماً حتى طلعت، فإذا في أولها

(١) البيتان في ديوان دعبل بن علي ص ٢٦.

(٢) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٥٢، ولسان العرب (علل)، (هرم)، وتاج العروس (علل)، (هرم)، ويروى «إنَّ النجل» بدل «إنَّ البخل».

(٣) يروى صدر البيت:

تري برصاً يلوح بإسكتيها

وهو لجرير في ديوانه ص ٨١٧، ولسان العرب (أسك)، وتاج العروس (أسك)، وبلا نسبة في المخصص ٣٨.

(٤) البيت للسموأل بن عدياء في ديوانه ص ٩١، وبلا نسبة في لسان العرب (سلل)، والمخصص ١٧/٤١، وتاج العروس (سلل).

(٥) الأبيات في ديوان بشار بن برد ص ٩٧.

فَرَسَانِ فِي عَنَانٍ وَاحِدٍ، فَتَأْمَلُهُمَا، فَقَالَ: فَرَسِي وَاللَّهِ. ثُمَّ تَأْمَلُ وَقَالَ: وَفَرَسُ ابْنِي عَبْدَ اللَّهِ، فَجَاءَ الْفَرَسَانِ أَمَامَ الْخَيْلِ؛ فَرَسُهُ السَّابِقُ وَفَرَسُ الْمَأْمُونِ الْمَصْلِيِّ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الرَّشِيدُ سُرُوراً عَظِيماً، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَقُلْتُ لِلْفَضْلِ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، هَذَا مِنْ أَيْامِي، فَاحْتَلَّ حَتَّى تَوْصَلَنِي، فَقَالَ الْفَضْلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْأَصْمَعِيَّ قَدْ أَعَدَّ فِي أَمْرِ الْفَرَسَيْنِ شَيْئاً يَرِيدُ بِهِ سُرُورَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: هَاتِ يَا أَصْمَعِيُّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُنْتُ وَابْنُكَ الْيَوْمَ وَفَرَسَاكُمَا، كَمَا قَالَتِ الْخَنَسَاءُ - وَقَدْ قِيلَ لَهَا: كَيْفَ تَفْضِلِينَ أَخَاكَ عَلَى أَبِيكَ؟ فَقَالَتْ: [الْكَامِلُ]

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا	يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةَ الْخُضَرِ <sup>(١)</sup>
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا	صَفَرَانِ قَدْ خَطَا إِلَى وَكُرٍ
حَتَّى إِذَا جَدَّ الْجِرَاءُ وَقَدْ	سَاوَتْ هُنَاكَ الْغُدْرَ بِالْغُدْرِ
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ: أَيُّهُمَا؟	قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ: لَا أَدْرِي
بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ	وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يَسَاوِيَهُ	لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

قِيلَ لِأَبِي عُبَيْدٍ: لَيْسَ هَذَا فِي مَجْمُوعِ شَعْرَهَا، فَقَالَ: الْعَامَّةُ أَسْقَطُ مِنْ أَنْ يَجُودُوا عَلَيْهَا بِمِثْلِ هَذَا. فَقَوْلُهَا: «مُلَاءَةُ الْخُضَرِ» تَعْنِي بِهَا غُبْرَةُ الْفَرَسَيْنِ الَّتِي أَثَارَاهَا جَعَلَتْهُمَا كَمُلْحَفَةٍ يَرْتَدِيَانَهَا وَيَتَجَاذِبَانَهَا، وَسَيَأْتِي مَنْ أَخَذَ مِنْهَا هَذَا الْمَعْنَى وَمَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ فِي الْأَرْبَعِينَ.

### [مَرَاتِبُ الْخَيْلِ]

وَمَرَاتِبُ الْخَيْلِ فِي الْحَلْبَةِ: السَّابِقُ مِنْهَا يُسَمَّى الْمَجْلِيَّ ثُمَّ الْمَصْلِيُّ ثُمَّ الْمَسْلِيُّ، ثُمَّ التَّالِي ثُمَّ الْمُرْتَاكِ ثُمَّ الْعَاطِفُ ثُمَّ الْحَظِيَّ، ثُمَّ الْمُؤْمَلُ، ثُمَّ اللَّطِيمُ، ثُمَّ السُّكَيْتُ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: لَمْ نَسْمَعْ فِي سَوَابِقِ الْخَيْلِ اسْمًا لَشَيْءٍ مِنْهَا مِمَّنْ يُوَثَّقُ بِعَلْمِهِ إِلَّا الثَّانِي وَاسْمُهُ الْمَصْلِيُّ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ مِنَ الصَّلَا وَهُوَ جَانِبُ ذَنْبِهِ، وَالْعَاشِرُ وَاسْمُهُ السُّكَيْتُ، وَمَا سِوَاهُمَا فَإِنَّمَا يُسَمَّى الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ إِلَى التَّاسِعِ.

وَكَانَ عِنْدَ الْمُتَّقِي الْعَبَّاسِيِّ فَتَى رَاوِيَةً لِلْخَبَرِ وَالشَّعْرَ يَأْنَسُ بِهِ، فَقَالَ لَيْلَةً لِحِلْسَانِهِ: عُودُوا إِلَى ذِكْرِ الْخَيْلِ، فَقَالَ الْفَتَى: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَدَّثَنِي كَلَابُ بْنُ حِمْزَةَ الْعَقِيلِيُّ: قَالَ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَرْسِلُ خَيْلَهَا أَرَاوِيلَ، عَشْرَةَ عَشْرَةَ، وَالْقَصَبُ سَبْعَةَ سَبْعَةَ، فَلَا يَدْخُلُ الْحِجْرَةَ مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا ثَمَانِيَّةٌ: الْأَوَّلُ السَّابِقُ الْمَجْلِيُّ لِأَنَّهُ جَلَّى عَنْ وَجْهِهِ صَاحِبُهُ الْكَرْبُ. وَالثَّانِي الْمَصْلِيُّ لِأَنَّهُ وَضَعَ جَحْفَلَتَهُ عَلَى قِطَاةِ الْمَجْلِيِّ، وَهُوَ صَلَاةٌ، وَالصَّلَا عُجْبُ الذَّنْبِ.

والثالث المسلي؛ لأنه كان شريكاً في السبق فسلى عن صاحبه بعض همّه، والرابع التالي، لأنه تلا المسلي دون غيره، والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة، لأن في الراحة خمس أصابع، فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمي مرتاحاً، والسادس حظي، لأنه نال حظاً فحظي به وإن قل، لأن رسول الله ﷺ أعطى السادس نصيباً وهو آخر حظوظ الحلبة، وسمي السابع العاطف لدخوله الحجرة لأنه قد عطف بشيء وإن خَسَ إذ كان قد دخل الحجرة، الثامن المؤمل، على القلب والتفاؤل، كما سُمي اللدبغ سليماً فسمي مؤملاً لقربه من ذوات الحظوظ. التاسع اللطيم، لأنه لو رام الحجرة لطم دونها، لأنه أعظم جُزماً من السابع والثامن. العاشر السكّيت، لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيّاً وعيّاً، وكانوا يجعلون في عنقه حَبْلاً، ويحملون عليه قرداً يركضه ليعير بذلك صاحبه.

أبو عبيدة يشدد السكّيت، وسمي سكّيتاً لأنه آخر العدد الذي يقف عليه العاذة والسكّت الوقوف، وسُميت حَلْبة، لأن العرب تحلب إليها خيولها أي تضرّها. وأنشد ابن الأنباري أبياتاً تجمعها وهي قوله: [الكامل].

ثم المسلي بعده والتالي	ثم اللطيم يقودها بجميعها
والخامس المرتاح ينقص عذوه	والمجتلي والمصلي بعده
نسقا وقاد حظيتها في صهوة	والعاطف الصهال كالرئبال
ثم اللطيم يقودها بجميعها	ذاك المؤمل غير ذي الأشكال
	قبل السكّيت العاشر الدّيال

### [في وصف الخيل]

ونذكر هنا جملة مقاطيع في أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود، قال امرؤ القيس: [الطويل]

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا	تعالوا إلى إن يأتينا الصيد نخطب <sup>(١)</sup>
وقال عمارة بن عقيل: [الخفيف]	
وأرى الوحش في يميني إذا ما	كان يوماً عنائه يشمالي
وقال حبيب: [الخفيف]	
مخلّق وجهه على السبق تَخ	لميق عروس الأبناء للعُرس <sup>(٢)</sup>

(١) البيت لامرئ القيس في ملحق ديوانه ص ٣٨٩، وخزانة الأدب ٢٩٢/٤، وسمط اللآلي ص ٦٧، وشرح شواهد المغني ص ٩١، والمحتسب ٢٩٥/٢، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١٩١/٢، والجنى الداني ص ٢٢٧، وجواهر الأدب ص ١٩٢، وشرح الأشموني ٥٥٢/٣، ومغني اللبيب ص ٣٠.

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص ١٦٩، ١٧٠.

تَقْتَلْ عَشْرًا مِنْ التَّعَامِ بِهِ  
وقال أيضاً: [السرعة].

إن زار ميداناً مضى سابقاً  
نرى رزاً القوم قد أَسْمَجَتْ  
كأنما لاح لهم بارق  
سام إذا استعرضته زانه  
كأنما خامره أولق  
عوذ الحاسد بخلاً به  
وقال البحري: [الكامل].

وأغر في الزمن اليهيم محجل  
كالهيكل المبني إلا أنه  
ذنب كما سحب الرداء يذب عن  
تَوَهُمُ الجوزاء في أرساغه  
وتراه يسطع في الغبار لهيئته  
هزج الصهيل كأن في ثغماته  
ملك العيون فإن بدا أعطينه  
وقال عبد الله بن المعتز: [الكامل].

ولقد وطئت الغيث يحملني  
يمشي ويعرض في العنان كما  
جماع أطراف السوار فما الـ  
بل المها بدمائهن ولم  
وكانه موج يذوب إذا  
وقال المتنبي: [الطويل].

وعيني إلى أذني أغر كائه  
له فضلة عن جسمه في إهابه

بواحد الشد واحد النفس

أو نادياً قام إليه الجلوس<sup>(١)</sup>  
أغينهم في حُسْنِهِ وهي شوس  
في المحل أو رقت إليهم عروس  
أغلى، رطيب وقرار يبيس  
أو عارضت هامته الخندريس  
ورقت خوفاً عليه النفوس

قد رحت منه على أغر محجل<sup>(٢)</sup>  
في الحُسْنِ جاء كصورة في هيكل  
عُزْفٍ، وعرف كالرداء المسبل  
والبدر غرة وجهه المتهلل  
لونا وشذاً كالحرير المشعل  
هزات مغبد في الثقليل الأول  
نظر المحب إلى الحبيب المقبل

طرّف كلون الصبح حين وقد  
صدف المعشوق ذو الدلال وصد  
أخرى علسيه إذا جرى بأشد  
يبتل منه بالحميم جسد  
أطلقته وإذا حسبت جمذ

من الليل باقي بين عينيه كوكب<sup>(٣)</sup>  
تجيء على صدر رحيب وتذهب

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ١٧٩.

(٢) الأبيات في ديوان البحري ص ١٧٤٤.

(٣) الأبيات في ديوان المتنبي ١/ ٢٧٩.

شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءُ أَذْنِي عَنَانِهِ  
فِيَطْغَى وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ  
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحُوشِ قَفْنَيْتُهُ بِهِ  
وَأَنْزَلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ  
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٍ  
وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِنْ لَا يَجْرُبُ  
إِذَا لَمْ تَعَايِنْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاثِهَا  
وَأَعْضَائِهَا فَالْحَسَنُ عَنْكَ مَغِيبُ  
وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ يَصِفُ فَرَساً أَغْرَزَ حَمْلَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ : [الكامل]

قَدْ جَاءَنَا الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ  
هَادِيَهُ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ<sup>(١)</sup>  
تَخْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرَزٍ مُحْجَلٍ  
مَاءَ الدِّيَاجِي قَطْرَةً مِنْ مَائِهِ  
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ  
فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ  
لَا تَعْلُقُ الْأَلْحَازُ فِي أَعْطَافِهِ  
إِلَّا إِذَا كَفَّكَفْتَ مِنْ عُلَوَائِهِ  
وَقَالَ أَيْضاً : [الوافر]

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ  
وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا  
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِياً  
وَيَطُورِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكُ طَيّاً  
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفُؤُودُ مِنْهُ  
تَشَبَّثَ بِالقَوَائِمِ وَالْمَحْيَا  
وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ، يَخَاطِبُ أَبَا الْفَضْلِ الْمِيكَالِي : [الكامل]

يَا مَهْدِي الطَّرْفِ الْجَوَادُ كَأَنَّمَا  
قَدْ أَنْعَلُوهُ بِالرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ  
لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَّا خَاطِرِي  
فِي شُكْرِ نَائِلِكَ اللَّطِيفِ الْمَوْقِعِ  
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُ فِي إِكْرَامِهِ  
لَجَلَالِ مُهْدِيهِ الْكَرِيمِ الْأَرْوَعِ  
أَقْضَمْتُهُ حَبَّ الْقُلُوبِ لِحَبِّهِ  
وَجَعَلْتُ مَرِيضَهُ سَوَادَ الْأَذْمُعِ  
وَخَلَعْتُ ثُمَّ قَطَعْتُ غَيْرَ مُضَيِّقٍ  
بُرْزُ الشَّبَابِ لَجَلِّهِ وَالْبَرْقِعِ  
وَقَالَ الْقَسْطَلِي : [الكامل]

سَامِي الثَّلِيلِ كَأَنَّ عَقْدَ عَذَارِهِ  
فِي رَأْسِ غَصْنِ الْبَانَةِ الْمِيَادِ  
يَهْدِي بِمِثْلِ الْفَرْقَدَيْنِ وَنَابٍ عَنْ  
رَعِي السَّمَكَ بِقَلْبِهِ الْوَقَادِ  
فَكَأَنَّمَا أَطْلَأَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا  
بِعَقَابِ شَاهِقَةٍ وَحِيَةٍ وَادٍ  
وَكَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ سَوَاطِي خَارِجاً  
فِي الرُّوعِ شَعْلَةٌ قَادِحٍ بَزْنَادٍ  
وَلَأَبِي تَمَامِ الْأَنْدَلِسِيِّ : [الكامل].

وَأَقْبَبَ تَشَقَّدَ الْبَرُوقِ إِذَا جَرَى  
مِنْ غِيْظِهَا حَسْداً بِأَنْ لَمْ تَلْحَقِ

مَلَكَ الرِّيحَ قَوَائِمًا فَجَرَى بِهَا      فَيَكَادُ يَأْخُذُ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقِ  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: [الطويل]

وَتَحْتَيَ رِيحَ تَسْبِقُ الرِّيحَ إِنْ جَرَتْ      وَمَا خَلْتُ أَنْ الرِّيحَ ذَاتُ قَوَائِمِ  
وَلَهُ فِي الْمَدَى سَبْقٌ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ      كَأَنَّ لَنَا فِيهِ نَفْوَذَ عِزَائِمِ  
وَهَمَّةٌ نَفْسَ نَزَهَتِهَا عَنِ الْوَنَى      فَيَا عَجَبًا، حَتَّى الْعَلَا فِي الْبَهَائِمِ!  
وَكَانَ لِلْمَتَوَكِّلِ بِبَطْلَيْوسِ فَرَسٍ أَخْضَرَ أَغْرَ مُحَجَّلٍ عَلَى كَفْلِهِ سِتَ نَقَطٍ بَيْضٍ، فَبَذَلَ  
كُلَّ شَاعِرٍ فِي وَصْفِهِ جَهْدَهُ، فَمَا سَبَقَ الْغَايَةَ إِلَّا الْبَجَلِيُّ بِقَوْلِهِ: [الرملي]

حَمَلَ الْبَدْرَ جَوَادًا سَابِغُ      تَقِفُ الرِّيحَ لِأَدْنَى مَهْلِهِ  
وَكَأَنَّ الصَّبْحَ قَدْ خَاضَ بِهِ      فَبَدَا تَحْجِيلُهُ مِنْ بَلَلِهِ  
لِبَسِ اللَّيْلِ قَمِيصًا سَابِغًا      فَالْشَّرِيَانُ نَقَطٌ فِي كَفْلِهِ  
كُلُّ مَطْلُوبٍ وَإِنْ طَالَتْ بِهِ      رَجُلُهُ مِنْ أَجْلِهِ فِي أَجْلِهِ  
وَالْبَابُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ، فَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ.

\*\*\*

فَلَمَّا أُنْشَدَاهَا الْوَالِي مَتَرَايِلَيْنِ، بُهِتَ لَذِكَايَهُمَا الْمُتَعَادِلَيْنِ.

وَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّكُمَا فَرَقَدَا سَمَاءً؛ وَكَزَنْدَيْنِ فِي وَعَاءٍ، وَأَنَّ هَذَا الْحَدَثَ  
لَيَنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، وَيَسْتَغْنِي بِوَجْدِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ. فَتُبَّ أَيُّهَا الشَّيْخُ مِنْ أَتَهَامِهِ، وَتُبَّ  
إِلَى إِكْرَامِهِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: هِيَاهُ أَنْ تَرَا جَعَهُ مِقَّتِي، أَوْ تَغْلُقَ بِهِ ثِقَّتِي وَقَدْ بَلَوْتُ كَفَرَانَهُ  
لِلصَّنِيعِ؛ وَمُنِيتُ مِنْهُ بِالْعُقُوقِ الشَّنِيعِ. فَاعْتَرَضَهُ الْفَتَى وَقَالَ: يَا هَذَا، إِنَّ اللَّجَاجَ  
شَوْمٌ، وَالْحَقُّ لَوْمٌ، وَتَحْقِيقُ الظُّنَّةِ إِثْمٌ، وَإِعْنَاتُ الْبَرِيِّ ظُلْمٌ. وَهَبْنِي اقْتَرَفْتُ  
جَرِيرَةً، أَوْ اجْتَرَحْتُ كَبِيرَةً؛ أَمَا تَذَكَّرُ مَا أُنْشَدْتَنِي لِتَفْسِكَ، فِي إِبَانِ أَنْسِكَ.

\*\*\*

قَوْلُهُ «بُهِتَ»، أَيُّ تَحِيرٍ. الْمُتَعَادِلَيْنِ: الْمُتَمَاثِلَيْنِ، وَشَبَّهَهُمَا بِالْفَرْقَدَيْنِ لِرَفْعَتِهِمَا  
وَتَوَقُّدِهِمَا، وَأَخَذَ الْحَرِيرِي هَذَا التَّشْبِيهَ مِنَ الْبَحْرِيِّ فِي قَوْلِهِ: [الكامل]

كَالْفَرْقَدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاضِرُ

وَتَقَدَّمَ فِي الثَّانِيَةِ، وَبِالزَّنْدَيْنِ لَمَّا فِيهِمَا مِنَ النَّارِ، وَفِي هَذَيْنِ مِنَ الذِّكَاةِ وَجَعَلَهُمَا فِي  
وِعَاءٍ، يُرِيدُ: مَتَى التَّمَسُّهُمَا الْإِنْسَانَ وَجَدَ فِيمَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ يَدُهُ حَاجَتَهُ.

وَجَدَهُ: غناه وما عنده من العلم. ثب: ارجع، هيهات، معناها بُعد، مقتني: محبتي، تعلق به ثقتي، يريد: لا أثق به بعد ما جربته، وبلوت كفرانه للصنيع، أي جربت قلة شكره لفعل الجميل معه مُنيت: بليت. العقوق: المقاطعة. الشنيع: المشتهر بالبيع.

### [كفران الصنيع]

ونسوق هنا في كفران الصنيع فصلاً يليق بهذا الموضع، قال رسول الله ﷺ: «من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم» قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ قال: «المتبري» من والديه رغبة عنهم، والمتبري من ولده، ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها<sup>(١)</sup>.

وفي التوراة: من صنع معروفاً إلى أحق فهي خطيئة تُكتب عليه.

وقال الحجاج لابن الكلبي: أخبرني عن خمسة أشياء أضيعت في الدنيا. قال: نعم أصلح الله الأمير! سراج يوقد في شمس، ومطر جود في أرض سبخة، وامرأة حسناء تزف إلى عَينين، وطعام اجتهد صاحبه في صنعه فقدمه إلى سكران أو شعبان، ومعروف تصنعه إلى رجل لا يشكرك عليه.

عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «لا تنفع الصنعة إلا عند ذي حسب ودين، كما لا تنفع الرياضة إلا في نجيب».

المدائني: خرج فتيان في صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت، فاتبعوها، فلجأت إلى بيت رجل، فخرج إليهم بالسيف مسلولاً، فقالوا له: يا عبد الله، لِمَ تمنعنا من صيدنا؟ فقال: إنها استجارت بي. فخلّوا بينها وبينه، فنظر إليها فإذا هي مهزولة مضرورة، فجعل يسقيها اللبن صبوراً ومقيلاً وغبوقاً، حتى سمت وحسنت حالها، فبينما هو ذات يوم عتجد عَدَثٌ عليه ففشقت بطنه وشربت دمه، فقال ابن عم له: [الطويل]

ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلتقي الذي لا قى مُجير أم عامر
أعد لها لما استجارت بقربه	مع الأمن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى إذا ما تمكّنت	فرثه بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف، هذا جزاء من	يؤجّه معروفاً إلى غير شاكر

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل صنائعه ومعروفه في أهل الحفاظ، وإذا أراد به سوءاً جعلها في أهل المضائع» وقال حسان: [الكامل]

(١) أخرجه أحمد في المستند ٣/ ٤٤٠، بلفظ: «متبر من والديه راغب عنهما».



إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ<sup>(١)</sup>

فقال رسول الله ﷺ: «صدقت»، وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال: هذا رجل يريد أن يبتخل الناس؛ أمطر المعروف مطراً، فإن صدقت موضعه فهو الذي قصدت، وإلا فكنت أحمق به.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لَا يُزْهَدُنْكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مِنْ كَفَرَهُ، فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ تَصْنَعْهُ إِلَيْهِ.

وقال رسول الله ﷺ: «اصنع المعروف إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ، وَإِلَى مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ، فَإِنَّ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَقَدْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ، وَإِنْ لَمْ تَصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ». وقد قال الحريري بعد هذا: [مجزوء الكامل]

وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أَمْ غَمَطَ

أَي لَا تَفْسِدَ مَعْرُوفَكَ بِالْمَنْ؛ شَكَرَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْ كَفَرَهُ. وغمط: ستر. وهو ضد شكر.

قوله اعترضه، أي واجهه وقابله: شؤم: نحس وطيّرة، الحنق: الغضب. الظنة: التهمة، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثُ لَازِمَاتٍ أُمْتِي: سُوءُ الظَّنِّ، وَالْحَسَدُ وَالطَّيْرَةُ». قيل: مَا يَذْهَبُهُنَّ؟ قَالَ: «إِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَحْقُقْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضُ»<sup>(٢)</sup>. إعنات: مشقة. هبني: احسبني، اقترفت واجترحت، معناهما اكتسبت. جريرة: جناية. إِيَّانَ أَنْسَكَ، أَي وَقْتُ أَنْسَى بِكَ. [مجزوء الكامل]

سَامِخْ أَخَاكَ إِذَا خَلَطَ	مِنْهُ الْإِسَاءَةُ بِالْعَلَطِ
وَتَجَافَ عَنْ تَغْنِيفِهِ	إِنْ زَاغَ يَوْمًا أَوْ قَسَطَ
وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ	شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أَمْ غَمَطَ
وَأَطِغْهُ إِنْ عَاَصَى وَهُنْ	إِنْ عَزَّ وَادُّنْ إِذَا شَحَطَ
وَأَقْنِ الْوَفَاءَ وَلَوْ أَخْلَ	بِمَا اشْتَرَطْتَ وَمَا اشْتَرَطَ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ طَلَبُ	تَ مَهْذَبًا رُمْتَ الشُّطَطَ
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ	وَمِنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ
أَوْ مَا تَرَى الْمَحْبُوبَ وَالْ	مَكْرُوهَ لَرَّاءٍ فِي نَمَطِ

(١) البيت ليس في ديوان حسان بن ثابت، وهو بلا نسبة في لسان العرب (صنع)، وتهذيب اللغة ٣٩/٢، وتاج العروس (صنع)، وكتاب العين ٣٠٥/١.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في الفائق في غريب الحديث ١٥٣/٣، بلفظ: «ثَلَاثٌ لَا يَسْلُمُ أَحَدٌ مِنْهُنَّ: الطَّيْرَةُ وَالْحَسَدُ وَالظَّنُّ». قيل: فما صنعت؟ قال: إِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحْقِقْ.

كالشوك يَبْدُو في الغصو      نِ مع الجَنِيِّ المُلْتَقَطِ  
وَلَذَاذَةُ العَمَرِ الطُّو      يَل يَشْوِبُهَا نَغْصُ الشَّمَطِ  
ولو انتَقَذْتَ بني الزَما      نِ وَجَدْتَ أَكْثَرَهُم سَقَطِ  
رُضْتُ البَلَاغَةَ والبرَا      عَةً والشَّجَاعَةَ والخِطَطِ  
فَوَجَدْتُ أَحْسَنَ مَا يُرَى      سَيَرِ العُلُومِ مَعاً فَقَطِ  
تجاف: تباعد. تعنيفه: لومه. زاغ: مال. قسط: جار.

قوله: وَهْنٌ إِنْ عَزَّ، لفظ المثل: إذا عز أخوك فهن، يُرَوَى بضم الهاء وكسرهما، فالضمُّ من هان يهون، قال ابن أحمر: [الوافر]

ذَبْنْتُ لَهَا الضَّرَاءَ وَقُلْتُ أَبْقَى      إِذَا هَزَّ ابْنُ عَمِّكَ أَنْ تَهُونَا<sup>(١)</sup>

ورواه بالكسر أبو عبيد وثعلب، وقال أبو عبيد: معناه أن مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك، فتدخلك منه حمية. إنما هو حسن خُلقٍ وتفضُّلٍ منك، فإذا عاسرك فيأسره، فالضيم الذي ذكر هو الهوان بعينه. قال ابن درستويه: معناه إذا صار أخوك عزيزاً قوياً عليك فأطعته واخضع له، تسَلَّم من ظلمه. رواية الكسر من هَانَ يَهِين، ويكون معنى عزَّ تصعَّب واشتدَّ لا من العزة، ومعناه إذا صعب أخوك فلنَّ له، والمثل لهذيل بن هبيرة؛ وسببه أنه أغار على ضبة فغنم، وأقبل بالمغانم، فقال له أصحابه: اقسمها بيننا، فقال: أخاف أن يدرككم الطلب، فأبوا، فعندها قال المثل. ونزل فقسمها.

قوله شحط، أي بعد، وافن الوفاة: أي الزمه، وقنيث الحياء بكسر النون أفتيه قنيانا، الزمته. أخل: نقص. بما اشترطت وما اشترط، أي بما جعلتما بينكما من علامة، ومنه أشرط الساعة أي علاماتها ومنه الشَّرْط لأن لهم علامة يعرفون بها. مهذباً: مخلصاً. والشَطَط: محاوزة القدر، قال الفضيل بن عياض: مَنْ طَلَبَ أَخاً بَلَا عَيْبَ بَقِيَ بِلَا أَخٍ.

قال الحارث المحاسبي: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حُسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. وقال النابغة: [الطويل]

ولسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلَمَّهُ      عَلَى شَعْبٍ، أَيِ الرِّجَالِ المَهْذَبِ<sup>(٢)</sup>

(١) يروى البيت:

دببت لها الضراء وقلت أبقي      إذا عزَّ ابن عمك أن تهونا

وهو في ديوان ابن أحمر ص ١٦٥، ولسان العرب (عزز)، وتاج العروس (عزز).

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٢٨، ولسان العرب (شعث)، (بقي)، وتهذيب اللغة ٤٠٦/١، ٢٦٦/٦، ٣٤٨/٩، وكتاب العين ٢٣٠/٥، وجمهرة اللغة ص ٣٠٧، وجمهرة الأمثال ١٨٨/١، وفصل المقال ص ٤٤، والمستقصى ٤٥٠/١، ومجمع الأمثال ٢٣/١، ومقاييس اللغة ٢٧٧/١، وأساس البلاغة (بقي)، وتاج العروس (بقي).

وقال يزيد بن محمد المهلبى: [الطويل]

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَايَاهُ كُلِّهَا كَفَى الْمَرْءَ فَضْلاً أَنْ تَعُدَّ مَعَايِبُهُ<sup>(١)</sup>

قوله: «قَطَّ» بمعنى الدهر والأبد، والحسنى: الفعل الحسن. فقط: حسب. لزا: ربطاً النمط: ثوب من الصوف المصبوغ، والنَّمَط الطريق، تقول: الزم هذا النمط، والنمط النوع من العلم والخير، فيريد أن الخير والشر قد نظما في سلك واحد، فإذا أتى يوم يُرْضِي أتى بعده يومٌ يسخط.

الجَنَى: الطيرِي مما يجنى، فعيل بمعنى مفعول، وأصل مجنئ مجنوي فأعل. والمملتقط: من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة، أي اخترتها وانتخبتها.

أبو أمامة، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ كَشَجَرَةِ ذَاتِ جَنَى، وَيُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَعُودُوا كَشَجَرَةِ ذَاتِ شَوْكٍ إِنْ نَاقَدْتَهُمْ نَاقِدُوكَ، وَإِنْ تَرَكَتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ، وَإِنْ هَرَبْتَ مِنْهُمْ طَلَبُوكَ»، قيل: فكيف المخرج من ذلك؟ قال: «تقرضهم من عرضك ليوم ففرك»<sup>(٢)</sup>، وأنشد عمر بن الجعد: [مجزوء الرمل]

طَبَّ عَنْ الْأُمَّةِ نَفْساً وَارِضْ بِالْوَاحِدَةِ أَنْسَا

لَسْتُ بِالْوَاجِدِ حُماً أَوْ تَرَدَّ الْيَوْمِ أَمْسَا

مَا وَجَدْنَا أَحَداً يَسَى حَوَى عَلَى الْخَبْرَةِ فَلَسَا

قوله: «نغص» تكدير العيش، ونغص الرجل إذا لم يتم له أمره وتكدّر عيشه. يشوبها: يخالطها. الشَّمَط: اختلاط الشيب بالسواد وانتقدت: فشتت. والسَّقَط: من لا خير فيه.

وللزاهد بن عمران في معنى الأبيات الحريري رحمه الله: [الوافر]

إِذَا وَغَدُ جِفَاكَ فَلَا تَلُمُهُ لَأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَثَرْتَ جِيفَةً

وَأَنْ يَصُلَّ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ فَاصْفُخْ سَتَعْطِفُهُ أَصَالَتُهُ الشَّرِيفَةَ

وَمَنْ يَكُ بَيْنَ ذَاكَ فَأَغْضِ عَنْهُ تَنْلُ مَجْداً وَمَرْتَبَةً مُنِيفَةً

وَسَلِّ الضَّغْنَ إِنْ أَنْسَتْ ضِغْنًا بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَالْحَيْلِ اللَّطِيفَةِ

أخذ البيتين الأولين من قول حاتم: [الطويل]

وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ إِذْ حَاوَاهُ وَأَعْرِضْ عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرُماً<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) البيت في تاج العروس (حبر).

(٢) رواه بنحوه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١٠٤/٥، بلفظ: «إِنْ نَقَدْتَ النَّاسَ نَقْدُوكَ».

(٣) البيت لحاتم الطائي في ديوانه ص ٢٢٤، وخزانة الأدب ١٢٢/٣، ١٢٣، ١٢٤، وشرح أبيات =

قال: فجعل الشيخ ينضض نَضَضَ الصَّلِّ، ويحملِقُ حَمَلَقَ البازي المُطَلِّ، ثم قال: والذي زَيَّنَ السماءَ بالشَّهَبِ، وأنزَلَ الماءَ من السَّحْبِ، ما رَوَّغِي عن الإِصْطِلَاح؛ إلا لتَوَاقِي الافتضاح، فإنَّ هذا الفَتَى اغْتَاذَ أن أُمُونَهُ، وأراعِي شُؤُونَهُ، وقد كَانَ الدَّهْرُ يَسُحُّ، فَلَمْ أَكُنْ أَشُحُّ؛ فَأَمَّا الآنَ فالوقْتُ عُبُوسٌ، وَحَشُو العَيْشِ بُؤْسٌ؛ حتَّى إن بَزَّتِي هِذِهِ عَارَةٌ، وبيتي لَا تَطُورُ به فَارَةٌ.

قال: فرق لمقالهما قَلْبُ الوالي، وأوى لهما من غَيْرِ اللَّيَالِي، وصَبَا إلى اختصاصيهما بالإسعاف، وأمر النَّظَارَةَ بالانصراف.

\*\*\*

قوله: «يُنْضَضُ» يحرك لسانه. الصَّلِّ: الحية. يحملق: ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه، وذلك نظر الغضببان. المَطَلُّ: المشرف على فريسته، الشَّهَبُ: النجوم. رَوَّغِي: فراري. تَوَقَّى: خشية. الافتضاح: الشهرة. أُمُونَهُ: أنكلف لوازمه. أراعِي: أحفظ. شُؤُونَهُ: أموره. يَسُحُّ: يصب الرزق. الحشو: ما حُشِيَ به. بؤس: ضر. بَزَّتِي: ثوبي. عَارَةٌ، أي عارية. تطوره: تقرب منه؛ يريد أن الفَارَةَ ليس لها فيه ما تَأْكُلُ، وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قلة الجُرْدَانِ، فقال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً. وقد أعاد هذا المعنى منظوماً في الثالثة والثلاثين، فقال: [السرير]

وَأَمَحَلَّتْ رُبْعِي حتَّى خَلَّتْ      من رُبْعِي الممِجِلُ جُرْدَانُهُ

وحكى الفنجديهي بسنده إلى أبي محمد الحسن بن إسماعيل الضُّرَّاب، قال: كنت قاعداً أنسخ في السراج، وبين يدي قَدَحٌ فيه ماء، وظرف فيه كعك وزبيب ولوز، فجاءت فأرَةٌ فأخذت لوزة فمضت، ثم عادت فأخذت أخرى فبذت الماء الذي كان في القَدَحِ، فعادت الفأرة فكبيئت القَدَحَ عليها واشتغلت بشغلي ساعة، فإذا فأرَةٌ أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك، والفأرة الأخرى تشقشق من داخل القَدَحِ، فلم تجد حيلة في خلاصها، فمضت أختها، فأنت بدينار فوضعت ووقفت، ولم أرفع القَدَحَ عن الفأرة، فمضت وأنت بدينار آخر، ووقفت ولم أرفع القَدَحِ، ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبعة دنانير، ووقفت ساعة، ولم أخلُ عن الفأرة، فمضت وأنت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شيء فخلَّيت عن الفأرة.

= سيبويه ٤٥/١، وشرح شواهد المغني ٩٥٢/٢، وشرح المفصل ٥٤/٢، والكتاب ٣٦٨/١، ولسان العرب (عور)، واللمع ص ١٤١، والمقاصد النحوية ٧٥/٣، ونوادير أبي زيد ص ١١٠، وبلانسة في أسرار العربية ص ١٨٧، وخزانة الأدب ١١٥/٣، وشرح ابن عقيل ص ٢٩٦، والكتاب ٣/١٢٦، ولسان العرب (خصص)، والمقتضب ٣٤٨/٢.

قال الفنجديهي: رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات.

وعلى ذكر الفأرة والجردان كتب أبو حفص الوراق رقعة إلى الصاحب، منها: وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة، وجردان دارة عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بما أخضب عنده فعل إن شاء الله تعالى. فوقع فيها: «أحسن يا أبا حفص قولا، وسنحسن إليك فعلاً، فبشر جردان دارك بالخصب، وأمنها من الجذب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، وليست عن غيرها من النفقة بممنوع. إن شاء الله تعالى».

قوله: «أوى»: أشفق. غيّر: تغيّر وهو من تغيّر الحال، وهو اسم واحد بمنزلة الجمع، والغير مذكّر وجمعه أغيار. هذا قول الكسائي. ويجوز أن يكون جمعاً، واحدته غيرة وهذا قول ابن عمرو، يقال للدية: غيرة لأنها تغير الفؤاد إلى الرضا به. صَبَا: مال. الإسعاف: قضاء الحاجة. النظارة: الناس الناظرون إليه.

\*\*\*

قال الراوي: وكنت مُتَشَوِّقاً إلى مَرَأَى الشَّيْخِ لَعَلِّي أَعْلَمُ عِلْمَهُ، إِذَا عَايَنْتَ وَشَمَهُ، وَلَمْ يَكُنِ الزُّحَامُ يَسْفُرُ عَنْهُ. وَلَا يَفْرُجُ لِي فَأَذْنُوهُ مِنْهُ، فَلَمَّا تَقَوَّضَتِ الصُّفُوفُ، وَأَجْفَلُ الْوُقُوفُ، تَوَسَّمْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ وَالْفَتَى فَتَاهُ، فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَغْزَاهُ فِيمَا أَنَاهُ، وَكَذُتْ أَنْقَضَ عَلَيْهِ، لَأَسْتَعْرِفَ إِلَيْهِ. فَزَجَرَنِي بِإِيْمَاءِ طَرْفِهِ، وَاسْتَوْقَفَنِي بِإِيْمَاءِ كَفِّهِ.

\*\*\*

متشوقاً: متطلعاً. وشمه: علامته. يسفر: يكشف، يفرج: يفتح لي فرجة. تقوّضت: تفرّقت، وأصلها الهدم. أجفل: أسرع المشي. توسّمته: نظرت. مغزاه: مذهبه ومقصده. انقضّ: انحط وانصبّ أستعرف إليه: أعرفه بنفسي. زجرني: انتهرني. إيماض: إشارة بالعين خفية، وكثيراً ما يصرف الحريري في المقامات تنبيه أبي زيد لابن همام على نفسه بخفي الإشارة المغنية عن تصريح العبارة، وهو مذهب للعرب، ونبلاء أهل الأدب، وقد قالوا: رُبّ كناية تغني عن إيضاح، رُبّ لحظ يدل على ضمير.

### [في إشارة اللحظ]

وفي إشارة اللحظ يقول الشاعر: [الطويل]

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزونٍ ولم تتكلم<sup>(١)</sup>  
فأيقنّت أن اللحظ قد قال مرحباً      وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم  
وقال أبو نواس: [مجزوء الكامل]

لهفي على التجل العيون      التُّهْدُ التُّبُّ البَطُونِ

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٢، ٤، وبلا نسبة في شرح شذور الذهب ص ٣٦.

رلنا بألسنة الجفون

عليه من اللحظ الخفي دليل  
ففي اللحظ والإيماء منه رسول

دشقاائقاً ثئئئسُم  
بي بلحظها تتكلم

من المحبة أو بغض إذا كانا  
حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

وقصّر طولَه وصلّ الحبيب  
على شكوى ولا عدّ الذنوب  
فترجمت العيون عن القلوب

بالحبّ، والأعين رُسل القلوب  
يخبّر عمّا في ضمير الكئيب  
لأنّ عندّ اللحظ علم الغيوب

إلا البنان وإلا الأعين السُجُم<sup>(١)</sup>  
من دونه عبرات فارعوى الكلم  
وما بهنّ سوى مسّ الهوى ألم

تَجَاوَبَتَا وما تتكلمان  
فأحكم وحيّه المتناجيان  
عن المتحدثين بلا لسان

الناطقات عن الضمير

وقال المهدي بن المنصور: [الطويل]

ومُطلع من نفسه ما يسره  
إذا هو لم يُبدِ الذي في ضميره

وقال تميم بن المعز: [مجزوء الكامل]

سبحان مَنْ خلق الخدو  
وأعارها الألحاظ فهو

وقال آخر: [البيط]

العين تبدي الذي في نفس صاحبها  
والعين تنطق والأفواه صامتة

وقال أعرابي: [الوافر]

وليل لم يقصّره رقاد  
بمجلس لذة لم تُقوّ فيه  
بخلنا أن نقطّعه بلفظ

وقال الحسن بن بشير: [السريع]

أما ترى لي ناظراً شاهداً  
ودون إلحاح جفوني هوّ  
وأنت لا شك به عالم

وقال الأحوص: [البيط]

ودعّهنّ ولا شيء يراجعي  
إذا أردن كلامي عنده عرضت  
مستندات وقد مالت سوافها

وقال ماني الموسوس: [الوافر]

بنانُ يدُ تُشير إلى بنان  
جرى الإيماء بينهما رسولا  
فلو أبصرتنا لغضضت طرفاً

(١) الأبيات في ديوان الأحوص ص ٢٢٢.

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة .

وقوله : « واستوقفني بإيماء كفه » : أي أمرني بالوقوف ، والإيماء : الإشارة .

\*\*\*

فلزمتُ مَوْقِفِي ، وأخْزْتُ مُنْصَرَفِي ، فقال الوالي : ما مَرَامُكَ ، ولأَيِّ سَبَبٍ مَقَامُكَ ؟ فابْتَدَرَهُ الشَّيْخُ وقال : إِنَّهُ أَنِيسِي ، وصاحبُ مَلْبُوسِي . فَتَسَمَّحَ عِنْدَ هَذَا القول بتأنيسي ، ورَخَّصَ في جُلُوسِي ، ثم أَفاضَ عَلَیْهِمَا خِلْعَتَيْنِ ، وَوَصَلَهُمَا بِنِصَابٍ مِنَ الْعَيْنِ ، واستَعْهَدَهُمَا أَنْ يَتَعَاشَرَا بِالْمَعْرُوفِ ، إِلَى إِظْلَالِ الْيَوْمِ الْمُخَوِّفِ . فنهضَا مِنْ نَادِيهِ ، مُشِيدِينَ بِشُكْرِ أَيَادِيهِ ، وَتَبِعْتُهُمَا لَأَعْرِفَ مَثَوَاهُمَا ، وَأَتَزَوَّدَ مِنْ فُحَوَاهُمَا . فَلَمَّا أَجَزْنَا جَمَى الْوَالِي ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْفُضَاءِ الْخَالِي ، أدركني أَحَدُ جَلَاوَزَتِهِ ، مُهَيِّباً بِي إِلَى حَوَزَتِهِ ، فَقُلْتُ لِأَبِي زَيْدٍ : مَا أَظُنُّهُ اسْتَحْضَرَنِي إِلَّا لِيَسْتَحْضِرَنِي ، فَمَاذَا أَقُولُ ؟ وَفِي أَيِّ وَادٍ مَعَهُ أَجُولُ ؟ فقال : بَيْنَ لَهُ غَبَاوَةٌ قَلْبِيهِ ، وَتَلْعَابِي بَلْبِيهِ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ رِيحَهُ لَا قَتَّ إِعْصَاراً ، وَجَذْوَلُهُ صَادِفٌ تِيَاراً ، فَقُلْتُ : أَخَافُ أَنْ يَتَّقِدَ غَضَبُهُ فَيَلْفَحَكَ لَهَبُهُ ، أَوْ يَسْتَشْثِرِي طَيْشُهُ ، فَيَسْري إِلَيْكَ بَطْشُهُ ، فقال : إِنِّي أَرْحَلُ الْآنَ إِلَى الرُّهَا ، وَأُنِي يَلْتَقِي سُهَيْلٌ وَالسَّهَاءُ !

\*\*\*

مرامك : مرادك ، مقامك : تَلَبَّثُكَ وَوَقُوفُكَ . أنيسي : صاحبي الذي أُنَاسُ بِهِ . فَتَسَمَّحَ بتأنيسي ، أي أَوْلَانِي مِنْهُ الْمَوَاسَّةَ ، رَخَّصَ : لَتَنَ وَسَهَلَ . أَفاضَ : صَبَّ . خِلْعَتَيْنِ : كِسْوَتَيْنِ . والنِصَابُ : عشرون ديناراً ، والعَيْنُ : الذهب . استعهدهما : استحلفهما . يتعاشرا : يتصاحبا . إظلال : قرب ودنو . اليوم المخوف : يوم موته . ناديه : مجلسه . مُشِيدِينَ : رافعين بشكره أصواتهما . أَيَادِيهِ : نعمه . مَثَوَاهُمَا : مسكنهما . فحواهما : معنى كلامهما ، ويروى : « نجواهما » أي سرهما . أَجَزْنَا : خَلَفْنَا ، أَفْضَيْنَا : وَصَلْنَا . الْفُضَاءُ : المَتَّسِعُ مِنَ الْأَرْضِ . جَلَاوَزَتِهِ : شُرْطُهُ ، واحدهم جَلَوَازٌ وَالجَلَاوِزُ عِقبُ مَلُوكٍ عَلَى الْقَوْسِ ، وَجَلَزَتِ الْقَوْسُ وَالسُّوْطُ وَالسَّكِينُ : عَصَبَتُهُمَا بِالْعَقَبِ ، فَسَمُوا جَلَاوِزَةً ، لِأَنَّهُمْ يَعْصِبُونَ بِالسَّيَاطِ النَّاسَ عِنْدَ الضَّرْبِ ، أَوْ لِأَنَّ السَّيَاطَ لَا تَفَارِقُ أَيْدِيَهُمْ ، وَالْجَلِزُ : السَّدُّ ، وَهُمْ يَرِيطُونَ النَّاسَ وَيَشْدُونَهُمْ ، مُهَيِّباً : دَاعِياً . حَوَزَتِهِ مَوْضِعُهُ الَّذِي يَحْمِيهِ وَيَحْوِزُهُ ، اسْتَحْضَرَنِي : طَلَبَ حَاضِرِي ، وَيَسْتَحْضِرُنِي : يَسْأَلُنِي خَبْرَهُ . أَجُولُ : أَتَصَرَّفُ وَأَمْشِي ، أَيِ عِلْمَنِي فِي أَيِّ عَرْضٍ مِنَ الْحَدِيثِ أَخَذَ مَعَهُ ، غَبَاوَةٌ : جَهْلٌ ، وَرَجُلٌ غَبِيٌّ غَيْرُ فُطْنٍ . تَلْعَابِي بَلْبِيهِ ، أَيِ لَعْبِي بِعَقْلِهِ ، وَالتَّلْعَابُ بَنِيَّةٌ لِلْمَبَالِغَةِ . يَسْتَشْثِرِي : يَنْتَشِرُ . طَيْشُهُ : خَفْتُهُ مِنَ الْغَضَبِ . يسري : يسير . بطشه : إيقاعه وتناوله بما يكره .

الرُّهَا : بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرِّقَّةُ وَحَرَّانُ ، سَمِيَتْ بِاسْمِ صَاحِبِهَا الرَّهْأِ بْنِ

البلوي بن مالك بن ذعر، وهو أول من نزلها. وقال يعقوبي: الرُّها من ديار مضر، وهي مدينة رومية ذات عيون كثيرة منها عجيبة، تجري الأنهار وبها الكنيسة التي للنصارى، وهي إحدى عجائب الدنيا الموصوفة. وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس، فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له، فلقبه سائل، فسأله شيئاً يدفنه، فقال: والله ما أملك غير جُبتي هذه فقال السائل: ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فدفنها إليه.

أتى: كيف. سهيل والسها: كوكبان لا يلتقيان، لأن السها نجم خفي في بنات نعش، وبنات نعش لا تغرب أبداً في بلاد أرمينية وفي سمتها بلاد الشام والمغرب والأندلس، وسهيل لا يرى في شيء من هذه البلاد إلا رؤية لا يعتد بها في أيام قلائل، فلا يلتقي سهيل والسها بوجه، وإنما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبي ربيعة حيث قال: [الخفيف]

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً      عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيان<sup>(١)</sup>  
هي شامية إذا ما استقلت      وسُهيلٌ إذا استقلَّ يمانٍ

والثريا هذه بنت علي بن عبد الله بن الحارث، وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها إلى مصر؛ فضرب لها عمر المثل بالكوكبين، وأبدل الحريري لفظ الثريا بالسها، وأفاد عدم الالتقاء، وسهيل هو كوكب أحمر يخيل إليك لشدة اضطرابه به أنه يستدير، وقال المعري في صفته فأحسن: [الخفيف]

وسهيل كوجنة الحب في اللؤ      ين قلب المحب في الخفقان<sup>(٢)</sup>  
مستبداً كأنه الفارس المعد      لم يبدو معارض الفرسان  
يسرعُ اللحم في احمرار كما تُسد      سرع باللمح مقلّة الغضبان  
ضرب جثته دماً سيوف الأعداي      فبكت رحمة له الشعريان  
قدماء وراءه وهو في العجب      زكساع ليسث له قدمان  
قالو: ولا تقنع عين بعير على سهيل إلا مات من حينه.

وقد أشار المعري إلى هذا في قوله:

لا تحسبن إبلي سهيلاً طالعا      بالشام فالمرثي شعله مقبس

(١) البيت الأول لعمر بن أبي ربيعة في ملحق ديوانه ص ٥٠٣، والأغاني ٢١٩/١، وأمالى المرتضى ١/ ٣٤٨، وخزانة الأدب ٢/ ٢٨، والشعر والشعراء ٢/ ٥٦٢، ولسان العرب (عمر)، والمقاصد النحوية ٣/ ٤١٣، وللنعمان بن بشير في ديوانه ص ١٤، وبلا نسبة في المقتضب ٢/ ٣٢٩، ويروى «بجتماع» بدل «يلتقيان»، والبيت الثاني بلا نسبة في تاج العروس (شام).

(٢) الأبيات في سقط الزند ص ٤٣٣.



ومتى طلع صرفت الإبل كلها وجوها عن مطلعته وقابلته بأعجازها: وقال المتنبي:  
[الوافر]

وتنكر قتلهم وأنا سهيل      طلعتُ بموت أولاد الزناء<sup>(١)</sup>

وفي معنى تخويف ابن همام للسروجي بعقاب الوالي ما حَدَّث أن أبا الحسن العباس بن حيون، دخل عليه في السجن مَنْ أَعْلَمه أن إبراهيم بن الأغلب يريد قتله، فلم يجد مفرأ، فقال لمعلمه بالخبر، وأحسن في قوله: [الوافر]

تخوَّفُني بمخلوق ضعيف      يهاب منمنية ما أهاب  
له أجلٌ ولي أجلٌ وكلُّ      سيبُلغ حيث بلغه الكتابُ

\*\*\*

فلما حضرْتُ الوالي وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُ، وانجَلَى تَغْيِسُهُ، أَخَذَ يَصِفُ أبا زيد وفضلَهُ. وَيَذُمُّ الذَّهْرَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: نَشَدْتُكَ اللهُ، أَلَسْتَ الَّذِي أَعَارَهُ الدُّسْتُ؟ فَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي أَحَلَّكَ فِي هَذَا الدُّسْتِ، مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدُّسْتِ؛ بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ الدُّسْتُ، فَازْوَرَّتْ مَقْلَتَاهُ، وَاحْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ، وَقَالَ: وَالله ما أَعْجَزَنِي قَطُّ فَضُحْ مُرِيب، لَا تَكْشِيفُ مَعِيب؛ وَلَكِنْ مَا سَمِعْتُ بِأَنَّ شَيْخاً دَلَّسَ، بَعْدَ مَا تَطْلُسُ وَتَقْلُسُ، فَبِهَذَا تَمَّ لَهُ أَنْ لَبَسَ، أَتَدْرِي أَيْنَ سَكَعَ، ذَلِكَ اللَّكْعُ؟ قُلْتُ: أَشْفَقَ مِنْكَ لَتَعْدِي طُورُهُ فَظَلَعَنَ عَنْ بَغْدَادَ مِنْ فُورِهِ. فَقَالَ: لَا قَرَبَ اللهُ لَهُ نَوِي، وَلَا كَلَاهُ أَيْنَ نَوَى؛ فَمَا زَاوَلْتُ أَشَدَّ مِنْ نُكْرِهِ، وَلَا دُقْتُ أَمْرَ مِنْ مَكْرِهِ، وَلَوْلَا حَزْمَةُ أَدْبِهِ، لَأَوْغَلْتُ فِي طَلْبِهِ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدِي فَأَوْقَعَ بِهِ، وَإِنِّي لَأُكْرَهُ أَنْ تَشِيعَ فَعَلْتُهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَافْتَضَحْ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَتَحْبِطْ مَكَانَتِي عِنْدَ الْإِمَامِ؛ وَأَصِيرُ ضُحْكَةً بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَعَاهَدَنِي عَلَى أَلَا أَفُوهَ بِمَا أَغْتَمَدُ، مَا دُمْتُ جَلًّا بِهَذَا الْبَلَدِ.

قال الحارث بن همام: فَعَاهَدْتُهُ مُعَاهَدَةً مَنْ لَا يَتَأَوَّلُ، وَوَقِيتُ لَهُ كَمَا وَفَى السَّمْوَالُ.

\*\*\*

قوله: «انجلى»، أي زال وانكشف. نشدتك: حلفتك. الدست الأول هو الثوب، والثاني: المجلس، والثالث هو الأول، والرابع هو الخداع والحيلة، وقدمه في الحادية عشرة حيث قال: متى مادسته تم. ازورّت مقلته: اعوجّت عيناه وتغيّر نظرها. والوجنتان: ما أحاط بالعين من أسفل. أعجزني: غلبني. فضح مرّيب: كشف متهم. تطلّس: لبس الطيلسان، وهو من لباس الخواص، وهو كساء خز. لبس: خلط. سكَع:

ذهب اللُّكْع: اللثيم العاجز، قال بعض أهل العلم: كان يقال: خمس خصال، من أقبح شيء فيمن كن فيه: الحدّة في السلطان، والكبر في ذي الحسب، والبخل في الغني، والحرص في العالم، والفسق في الشيخ، وثلاث هن أحسن شيء فيمن كن فيه: تَوَدّة لغير ذل، وجود لغير ثواب، ونصّب لغير الدنيا.

أشفق: خاف. تعدّى طوره: تجاوز قدره. ظعن: رحل. فوره: حينه. نوى: بعد وسفر. كلاه: حفظه. ثوى: أقام. زاولت: حاولت. نكره: منكره. مكره: خداعه. أوغلت: أبعدت. أوقع به: أتناوله بالشرّ والمكروه والضرب.

وقال أبو حازم في معنى دعاء الوالي على السُّروجي: [مخلع البسيط]

إذا استقلت بك الرُّكَّابُ      فحيث لا درت السُّحابُ  
زالت سراعاً، وزلت تجري      وبينك الظُّبْيُ والغُرَابُ  
بحيث لا يُرْتَجى إيابُ      وحيث لا يبلغ الكتابُ  
والذي استعمل الناس في الدعاء على الغائب ألا يرجع قول زهير: [الطويل]

\* لَدَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعِمُ <sup>(١)</sup> \*

وقال آخر: [الوافر]

كما سار الحمار بأم عمرو      فلا رجعت ولا رجع الحمارُ  
ومثل هذا رؤية المرأة إذا سافر زوجها، قالت: نافرك القمر، وظل الشجر، شمال تشملة، وذُبُور تدبره، ونكباء تنكبه: شبك ولا انتقس، وتعنس ولا انتعش. ثم ترمى أثره بحصاة ونواة وروثة وبكرة وتقول: حصاة حصّ أثره، ونواة نأت داره، وروثة راث خبره، وبكرة تبعره، ولو أوغل في طلبه كما ذكر فأدركه لأنشد السُّروجي: [الطويل]

فلإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك وائِعُ  
وقال المعري: [الطويل]

إذا ما أَخَفَّتِ المرءُ جُنَّ مخافةً      وأيقن أَنَّ الأرضَ كِفَّةَ حابِلٍ <sup>(٢)</sup>  
يرى نفسه في ظل سَيْفِكَ قائماً      وبينكما بُغْدُ المدى المتطاول

(١) يروى البيت:

فشدوا ولم تفزع بيوت كثيرة      إلى حيث ألقى رَحْلَهَا أَمْ قَشْعِمُ  
وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٢٢، وخزانة الأدب ٣/١٥، ٨/٧، ٩، ١٣، ١٧، والدرر ٣/١٢٧، وشرح شواهد المغني ١/٣٨٤، ولسان العرب (قشعم)، وبلا نسبة في غني اللبيب ١/١٣١، وجمع الهوامع ١/٢١٢.

(٢) البيتان في سقط الزند ص ١٠٧٥.

وقال محمد بن هانيء رحمه الله تعالى: [الطويل]

فلا مهجة في الأرض منك منيعة      ولو قطرت من ريق أرقط شَجَعَم<sup>(١)</sup>  
ولو أنها نِيَطَّتْ بمخَلَب طائر      ولو أنها باتت على قرن أغصَم  
وقال أشجع السُّلَمي في الرشيد، حين بعث لإدريس بن عبد الله العلوي من اغتاله بالمغرب: [الكامل]

أتظن يا إدريس أنك مُفْلِتٌ      كيدَ الخلافة أو يقيك جذارُ  
إن السيوف إذا انتضاها عزمُ      طالت وتقصُر دونه الأعمارُ  
هيهات ألا أن تكون ببلدة      لا يهتدى فيها إليك نهارُ  
ولأبي العرب الصقلي: [الطويل]

كأن بلاد الله كُفْكُ إن يَسِرْ      بها هارب تجمع عليه الأنامل  
فأين يفر المرء عنك بجرمه      إذا كان يطوي في يدك المراحل

قوله: تشيع، أي تتصل، يقال: شاع الخبر في الناس، أي اتصل بكل واحد، فاستوى علم الناس به، ويقال: سهم شائع ومشاع، إذا كان في جميع الدار فاتصل كل جزء منه بكل جزء منها، وأصله في الناقة، يقال: أوزعت الناقة ببولها إيزاعاً، إذا فرّقتها، فإذا أرسلته متصلاً، قيل: أشاعت به. تحبط: تسقط وتبطل مكانتي: منزلتي. ضحكة: يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول، وتحريكها للفاعل. أفوه: أنطق. اعتمد، أي قصد من الخداع. جلاً: مقيماً. يتأول: يحتال ليمينه فيحملها في الباطن على غير ما أوقعها في الظاهر عليه، فيريد أنه ثبت له اليمين.

\*\*\*

### [قصة السموأل]

السموأل، هو ابن عاديأ، يُضرب به المثل في الوفاء، وقصة وفائه أن امرأ القيس، لما ألح المندر في طلبه لحق بعمر بن جابر بن مازن يستجير به، فقال له: يابن حُجر، إني أراك في خللي من قومك، وأنا أنفَس بك، أفلا أدلك على رجل لم أر أحسن جواراً منه؟ فدلّه على السموأل بتيماء، ووصف له حسبته وحصنه، فقال: ومن لي به؟ فقال: أصحبك من يوصلك إليه، فأصحبته الربيع بن ضبع - وكان الربيع يأتي السموأل ويمدحه فيحمله ويعطيه - فمشوا حتى قدموا على السموأل، فأنشدوه أشعاراً فعرف حقهم، وأنزل هنداً بنت امرئ القيس في قبة من آدم، وأنزل القوم في مجلس له براح، فكان عنده ما شاء، ثم طلب أن يكتب له للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر،

(١) البيتان في ديوان ابن هانيء ص ١٢٥.

ففاعل، فاستودعه بنته وأدراعه الخمس، وهي الفضيفاضة، والصافية، والمحصنة، والحريق، وأم الذبول، وكنّ لبني آكل المزار، وهم أجداده يُتوارثن ملكاً عن ملك. فمضى إلى قيصر، وأقام عنده حتى جهزه بجيوش، ثم بعث له بالحلة المسمومة، فلما لبسها تقطع لحمه، ومات. فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل، فبعث إليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وما ترك عنده من المال، فقال له: إنما أدفع ذلك لابنته ولورثته، فحاصره في الحصن، حتى أخذ ابناً له صغيراً، فقال للسموأل إما أن تعطيني ما ترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر إليه، فقال له: والله لا وفيت له في حياته، وأغدره بعد وفاته! اذهب، فشأنك يا بني فافعل به ما شئت، فذبحه وهو ينظر إليه، ولم يرض بالغدر، فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته، وقال: [الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكِندِيِّ إِنِّي	إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَقَالُوا إِنَّهُ كَنْزٌ عَظِيمٌ	وَلَا وَاللَّهِ أَغْدِرُ مَا حَيِّتُ
بَنَى لِي عَادِيًّا حَصْنًا حَصِينًا	وَبَشَّرَ أَكْلَمَاشَتِ اسْتَقَيْتُ

فضرب به المثل في الوفاء. وانظر في الثلاثين ابتداء الحكاية.

## المقامة الرابعة والعشرون

### النحوية

حكى الحارث بن همام قال: عَاشَرْتُ بِقِطِيعَةِ الرَّبِيعِ، فِي إِبَانِ الرَّبِيعِ، فَنِيَّةٌ وَجُوهُهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ أَزْهَارِهِ، وَالْفَاظُهُمْ أَزَقُّ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ.

فاجتليتُ مِنْهُمْ مَا يُزِيرِي عَلَى الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ، وَيُغْنِي عَنْ رَثَابِ الْمَزَاهِرِ؛ وَكُنَّا تَقَاسَمُنَا عَلَى جَفْظِ الْوَدَادِ، وَحَظَرِ الْإِسْتِدَادِ، وَالْأَيْتَفَرْدِ أَحَدُنَا بِالتَّدَاذِ، وَلَا يَسْتَأْثِرُ وَلَوْ بَرَّذَاذ. فَأَجْمَعُنَا فِي يَوْمٍ سَمَا دَجْنُهُ، وَنَمَّا حُسْنُهُ، وَحَكَمَ بِالاصْطِبَاحِ مُزْنُهُ، عَلَى أَنْ نَلْتَهِيَ بِالْخُرُوجِ، إِلَى بَعْضِ الْمَرْوَجِ؛ لِشَرْحِ التَّوَاطُرِ، فِي الرِّيَاضِ التَّوَاضِرِ، وَنَصْفَلُ الْخَوَاطِرِ، بِشِيمِ الْمَوَاطِرِ؛ فَبَرَزْنَا وَنَحْنُ كَالشُّهُورِ عَدَهُ؛ وَكُنَّا كَنَدَمَائِي جَذِيمَةِ مَوَدَّة.



عاشرت: صاحبتي.

قطيعة الربيع: بلد معروف، والربيع حاجب المنصور ومولاه، وهو [والد] الفضل ابن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، وكان أقطعه المنصور بلداً بالعراق فبناه، وبنى الناس معه، حتى صار فيه عمارات كثيرة، وهي مَجَلَّةٌ قَرْيَةٌ مِنْ كُوخِ بَغْدَادِ فِي أَعْلَى غَرْبِيَةِ بَغْدَادِ، فَتُسَبِّحُ إِلَى الرَّبِيعِ.

إبان: وقت. فصل الربيع: التَّوَار. أبلج: أحسن لوناً وأنعَم. أنواره: أزهاره، ونور النبات وأنور صار فيه التَّوَر، وأبهج: أحسن لوناً، والبهجة: حسن اللون ونسيم السَّحَر رِيحُهُ اللَّيْنَةُ الْبَارِدَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَجَلَّةِ كُلِّ يَوْمٍ: طَيِّبِي لِأَهْلِكَ فَتَزْدَادُ طَيِّباً»، فَذَلِكَ الْبَرْدُ الَّذِي تَجِدُهُ النَّاسُ يَسْحَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وقال ابن عمار في نسيم السَّحَرِ عَلَى الرِّيَاضِ فَأَحْسَنَ: [الطويل]

ويومٍ لَنَا بِالسَّدِّ بَيْنَ مَعَاظِفِ      مِنْ التَّهْرِ تَنْسَابِ انْسِيَابِ الْأَرَاقِمِ  
بَحِيثٍ اتَّخَذْنَا الرُّوْضَ جَاراً تَزَوَّنَا      هَدَايَاهُ فِي أَيْدِي الرِّيحِ التَّوَاسِمِ

يَبْلَغُنَا أَنْفَاسَهُ فِيرْذَهَا      بِأَغْطِرَ أَنْفَاسٍ وَأَذْكَى لِنَاسٍ  
تَسِيرَ عَلَيْنَا ثُمَّ عَنَا كَأَنَّهَا      حَوَاسِدُ تَمْشِي بَيْنَنَا بِالشَّمَامِ

اجتليت: نظرت. يزري: يقصر، وتقول: زريتُ عليه إذا عبثَ عليه ما فعل، وأزريتُ به قَصُرْتُ. الزاهر: الناعم. رنات: أصوات. المزاهر: عيدان الغناء. تقاسمنا: تحالفنا. حَظَر: منع. الاستبداد: الانفراد بالشيء. يستأثر: يختص. رذاذ: أقل المطر، أي اتفقوا ألا ينفرد واحد بشيء دون أصحابه. أجمعنا: عزمنا. سما دَجْنُهُ: ارتفع سحابه. نما: زاد. الاصطباح: شرب الخمر بالسحر. مزنه: مطره، وفي مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصَّقْلِي: [السريع]

بَادِرُ إِلَى اللَّذَاتِ وَازْكَبْ لَهَا      سَوَابِقَ اللَّهْوَ ذَوَاتِ الْمَرَاحِ  
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرشِفَ شَمْسُ الضَّحَى      رَيْقَ الْغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَقْاحِ

نلتهي: تنسلى وتنفرج. والمروج: المواضع المنخفضة الخصيبة، واحدها مَرْج، وسمي مَرْجاً، لأنَّ البهائم تمرج فيه أي تسيب. نَسْرَج: نسيب. النواظر: العيون، وبالضاد واعم الأزهار. والخياطر: الأذهان. شيم المواطر: نظر السحاب. برزنا: خرجنا، وجعل خروجهم في السحر، لأن أول النهار أحمد أوقات الشرب، فقال: أول النهار، ألا ترى الدَّواء يَبْكُر به، والمسافر يُدَلج لحاجته، لأن العقول أول النهار أذكى، والفظن أصح، وقال العَطَوِيُّ: [الخفيف]

قُبِحَ اللَّهُ أَوَّلَ النَّاسِ سَنَ الشَّرْبِ      ظَهَرَ مَاذَا أَتَى مِنْ خَسَارِ!  
مَجْلِسُ مَوْنٍ وَكَأَسٍ وَنَدْمَا      نِ تَأْخِيرَهَا إِلَى الْإِظْهَارِ  
نَكْتَةٌ فِي السَّرُورِ بِادِيَةِ الشُّدِّ      نِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَبْصَارِ  
إِنْ شَرِبَ النَّبِيذَ سِيرَ إِلَى اللَّهْهِ      وَخَيْرَ الْمَسِيرِ صَدْرُ النَّهَارِ  
مَا رَأَيْنَا لِنَشْوَةِ الصَّبْحِ شِكْلًا      كُنْدِيمٍ مُسَاعِدٍ وَعُقَارِ  
وَعِنَاءٍ يَفْتُ فِي عَضْدِ الْحَلِّ      سَمٍ وَيُزْرِي عَلَى التُّهَى وَالْوَقَارِ  
وَأَحَادِيثٍ فِي خِلَالِ الْأَغَانِي      كَانَفْتَاكِ الرِّيَاضِ غِبِّ النَّهَارِ  
وبعضهم يمدح العَبُوق، ويذم الصبوح، وابن المعتز مَن يذهب إلى ذلك.

### [نديمة جذيمة]

قوله: كندمانى جذيمة، أي صاحبيه على الخمر، واسمهما مالك وعَقِيل، وجذيمة ابن مالك بن ثَيْم الأزدي، وكان مَلِك أيام الطوائف بشاطيء الفرات وما والى ذلك إلى السواد ستين سنة.

قال ابن الكلبي: جذيمة: أول من ملك قُضَاعَةَ بالحيرة، وأوَّل من خَذَا النعال

وأدلى من الملوك، وُزِعَ له الشمع، وكان من أفضل ملوك العرب رأياً، وأظهرهم حزمًا، وهو أول من استجمع الملك له بأرض العراق، وغزا بالجيوش، وكان به بَرَصٌ، فكنت العرب عن البرص إعظاماً فقالت له: جَذِيمة الوضاح، وجَذِيمة الأبرش.

وكان غزا طشماً وجديساً في منازلهم، فصادف حسان بن تُبُع، قد أغار عليهما، فانصرف جَذِيمة. وصادفت خيول تبع سَرِيّة له فقتلوه، فبلغ الخبر جَذِيمة فقال: [المديد]

رَبِّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ      تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ<sup>(١)</sup>  
فِي فَتْوَانَا كَالنَّهْمِ      مِنْ بِلَايَا غَزْوَةِ مَاتُوا  
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ      نَحْنُ أُسْرِينَا وَهَمُ بَاتُوا

وكان جَذِيمة قد تنبأ وتكهّن، واتخذ صنمين، وسماهما الضيزنين، ومكانهما بالبحيرة معروف.

وغزا إياداً بعين أبيغ، فبعثوا قوماً منهم سرقوا منهم الضيزنين، وأصبحوا بهما في إياد، فأرسلوا إليه: إن صنميك أصبحا عندنا، زهداً فيك ورغبة فينا، فأعطنا عهداً ألا تغزونا، ونردهما إليك. ففعل.

وكان بلغه أن غلاماً من لَحْمٍ يسمى عديّ بن نصر مقيم في أخواله من إياد، وله ظرف ولُبٌّ وأنه لحسنٌ أن ينادم الملك، ويقوم بمجلسه. فاشتراط على إياد أن يبعثوا مع الصنمين بعديّ بن نصر، وكان له جمال وظرف، فدفعوه إليه معهما فضمّه إلى نفسه. وكان يناديه وَيَسْقِيهِ فَتَعَشَّقَتْهُ رَقَاشُ أخت جَذِيمة، فبعثت إليه: إذا سَقَيْتَ أَخِي وَاسْتَنْشَى، فَاخْطُبْنِي لَكَ، وَأَشْهَدْ عَلَيْهِ، ففعل فلما طرب جَذِيمة خطبها، فَأَنعَمَ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ، فقال له: عَزَسَ بِأَهْلِكَ، ففعل، فلما أَصْبَحَ غَدَاً على جَذِيمة مَضْرَجاً بِالطَّيِّبِ، فقال له: مَا هَذِهِ الْآثَارُ؟ فقال: آثَارُ الْعَرَسِ، قال: وَأَيُّ عَرَسٍ؟ قال: عَرَسُ رَقَاشِ، فَأَكْبَتْ جَذِيمة على الأرض، وفَرَّ عَدِيّ، وطلبه جَذِيمة فلم يدرْكه. وقيل: ظَفِرَ بِهِ. وقال لِرَقَاشِ: [الخفيف]

(١) البيت الأول لجذيمة الأبرش في الأزهية ص ٩٤، ٢٦٥، والأغاني ٢٥٧/١٥، وخزانة الأدب ١١/٤٠٤، والدرر ٢٠٤/٤، وشرح أبيات سيبويه ٢٨١/٢، وشرح التصريح ٢٢/٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ٢١٩، وشرح شواهد المغني ص ٣٩٣، والكتاب ٥١٨/٣، ولسان العرب (شيخ)، (شمل)، والمقاصد النحوية ٣/٣٤٤، ٣٢٨/٤، وأوضح المسالك ٧٠/٣، ووصف المباني ص ٣٣٥، وشرح الأشموني ٢/٢٩٩، وشرح التصريح ٢/٢٠٦، وشرح المفصل ٩/٤٠، وكتاب اللامات ص ١١١، ومغني اللبيب ص ١٣٥، ١٣٧، ٣٠٩، والمقتضب ٣/١٥، والمقرب ٢/٧٤، ومعجم الهوامع ٢/٣٨، ٧٨، والبيت الثاني لجذيمة الأبرش في طبقات فحول الشعراء ص ٣٨، ولسان العرب (فتا)، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص ٥٨٨، وكتاب اللامات ص ١١٢، والممتع في التصريف ص ٥٥١.

خَدَثْنِي رَقَاشَ لَا تَكْذِبْنِي  
أَبْحَرُ زَنِيتِ أَمْ بِهِجِي  
أَمْ بَعِيدِ فَأَنْتِ أَهْلُ لَعْبِدِ  
أَمْ بَدُونِ فَأَنْتِ أَهْلُ لَدُونِ  
فَقَالَتْ لَهُ: [الخفيف]

أَنْتِ زَوُجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي  
فَأَتَانِي النِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ  
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمَدَامَةِ صِرْفًا  
وَتَمَادِيكَ فِي الصُّبَا وَالْمَجُونِ

فحبسها في قصرها، فاشتملت على حَمَلِ فَأَتَتْ بِغَلامٍ، وسمته عمراً، وربته حتى ترعرع، فجعلته وعطّرتَه وألبسته كسوة مثله، ثم أزارته خاله فأعجب به، وألقت عليه محبته، وخرج جذيمة في سنةٍ قد أكملت، وبُسط له في روضة، وعمرو مع غِلْمة يجتنون الكماة، فكانوا إذا أصابوا كماء طيبة أكلوها، وإذا أصابها عمرو، خبأها ثم أقبلوا يتعاذون وعمرو يقدمهم، ويقول: [الرجز]

هَذَا جَنْبَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ      إِذْ كَلَّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>(١)</sup>

فالتزمه جذيمة، وحلّ منه بمكان. ثم إن العَجَّ استهوته، فطُلبَ زماناً، وأرسل فيه في الآفاق، فلم يجد له خبراً. ثم إن عمراً أوفى على مالك وعقيل ابني فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن حمير بن قضاة، وقد نزلا منزلاً، وهما متوجهان إلى خاله جذيمة، ومعهما قَيْنَة، يقال له أم عمر، وهي تغنيهما وتسقيهما، فرأت عمراً وقد تلبّد شعره وطالت أظفاره، وساءت حاله، فاحتقرته فرمت إليه بِكَرَاعٍ من طعامها، وناولتهما وأوكأت زَقْفًا ولم تناول عمراً شيئاً، فقال عمرو: [الوافر]

صَدَذَتْ الْكَاسُ عَنَّا أَمْ عَمِرُو  
وَمَا شَرَّ الثَّلَاثَةِ أَمْ عَمِرُو  
فَمَا شَرِبَ الشَّرَابَ كَمَثَلِ عَمِرُو  
فِيلاً تَنْكَرِي عَمِراً فِلَانِي  
وَكَانَ الْكَاسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا<sup>(٢)</sup>  
بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا  
وَمَا نَالَ الْمَكَارِمَ فَاصْبَحِينَا  
أَنَا ابْنُ عَدِيٍّ حَقًّا فَاعْرِفِينَا

(١) الرجز لعلي بن أبي طالب في ديوانه ص ٢١٣، والمخصص ٣٣/١٧، ولسان العرب (جني)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٥٩/٦، ١٩٥/١١، وديوان الأدب ٨٩/٤.

(٢) البيت الأول لعمرو بن كلثوم في ديوانه ص ٦٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٢، والكتاب ١/ ٢٢٢، ٤٠٥، ولسان العرب (صبن)، ولعمرو بن معديكرب في ملحق ديوانه ص ٢١٣، ولعمرو بن عدي أو لعمرو بن كلثوم في خزانة الأدب ٢٧٢/٨، والدرر ٨٧/٣، وبلا نسبة في شرح شذور الذهب ص ٣٠٢، وجمع الهوامع ٢٠١/١، والبيت الثاني لعمرو بن كلثوم في ديوانه ص ٦٦، والأغاني ٢٥٢/٢٥، وبهجة المجالس ٢٨١/١، وجمهرة أشعار العرب ٣٩٠/١، والخزانة ٣/ ١٧٨، ٢٧٢/٨، وشرح ديوان امرئ القيس ص ٣٢١، وشرح القصائد العشر ص ٣٢٣، وشرح المعلقات السبع ص ١٦٦، وشرح المعلقات العشر ص ٨٨، وبلا نسبة في الإمتاع والمؤانسة ١/ ١٤٣، ولسان العرب (وبل).



وخالي لا أبالك ذو المعالي جذيمة كيف ويحك تنكرينا!

فقال له: مَنْ أنت يا فتى؟ أنا عمرو بن عدّي، فضمّاه إليهما، وغسلا رأسه، وأخذنا من شعره. وقلّما أظفاره، وألبسناه بعض الثياب التي كانت معهما، وقالوا: ما كنا نُهدي جذيمة أنفس من ابن أخته، ثم وَرَدَا به على جذيمة فسَرَّ به سروراً شديداً وقال: لهما تمثيا، فسألاه أن يكونا نديميه ما عاش وعاشا، فتادماه أربعين سنة، ما أعادا عليه حديثاً، فضرِبَ بهما المثل في تأكيد الألفة، ونال مالك بن نورية في مالك: [الطويل]

وكنا كندمانى جَذِيمة جَحْبَة      من الدَّهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا<sup>(١)</sup>  
فلَمَّا تفرقنا كَأَنِّي ومالكَا      لطول اجتماع لم تَبْتَ ليلةً مَعَا  
وتمثلت بهما عائشة رضي الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن.

وقال أبو خراش الهذلي يريثي أخاه: [الطويل]

تقول أراه بعد عُرْوَة لاهياً      وذلك رزء لو علمت جليل<sup>(٢)</sup>  
فلا تحسبي أن قد تناسيت عهدَه      ولكن صبري يا أميم جَمِيلُ  
ألم تعلمي أن قد تفرَّق قبلنا      خليلاً صفاً: مالكٌ وعَقِيلُ

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميذع العمليقي من العماليق، ومنهم قوم من حمير. وكان ملك الجزيرة وملك الحَضْر، وهي مدينة قديمة بين دجلة والفرات، فهزم جذيمة جيوش عمرو وقتله وفرَّق جموعه، وقال في ذلك شاعرهم: [البيسط]

كَأَنَّ عمرو بن برقاً لم يكن ملكاً      ولم تكن حوله الزَّايَات تَخْتَفِقُ  
لاقي جذيمة في شعواء مشعلَةً      فيها حرائِفُ بالنيران ترتشقُ

### [الزَّباء]

فملكته بعده الزَّباء ابنته واسمها نائلة.

قال ابن الكلبي: ولم يكن في عصر الزَّباء أجمل منها جمالاً، وأكمل منها كمالاً،

(١) البيت الأول لمتمم بن نورية في ديوانه ص ١١١، وتاج العروس (حبر)، (صدع)، والبيت الثاني لمتمم بن نورية في ديوانه ص ١٢٢، وتاج العروس (فرق)، وأدب الكاتب ص ٥١٩، والأزمية ص ٢٨٩، والأغاني ٢٣٨/١٥، وجمهرة اللغة ص ١٣١٦، وخزانة الأدب ٢٧٢/٨، والدرر ١٦٦/٤، وشرح اختيارات المفضل ص ١١٧٧، وشرح شواهد المغني ٥٦٥/٢، والشعر والشعراء ٣٤٥/١، وبلا نسبة في الجني الداني ص ١٠٢، ووصف المباني ص ٢٢٣، وشرح الأشموني ٢/٢١٩، وشرح التصريح ٤٨/٢، ولسان العرب (لوم)، ومغني اللبيب ٢١٢/١، وجمع الهوامع ٣٢/٢، وتاج العروس (لوم).

(٢) الأبيات لأبي خراش الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١١٩٢.

وكان لها شعر إذا مشت يتدلّى وراءها، وإذا نشرته جلّ لها، فسمّيت الزباء، لكثرة شعرها، فجمعت خيل أبيها وغزت بالجيوش مَنْ حواليتها من الملوك، فدَلّلتهم، ففُضِرَ بها المثل فقِيل: أَعَزَّ من الزباء، واشتهر عنها علوُّ الهمة، وسموُّ القدرة، وقوّة المنعة، ومضاء العزم، وبذل الأموال. فلما استحکم مُلكها أرادت أن تغزوَّ جذيمة لشدرك فيه ثار أبيها، فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت: لا طاقة لك به، ولكن ابني أمرك فيه على المكر والحيل. فبعثت إلى جذيمة تخطبه على نفسها، ليتصل ملكه بملكها، فيصير بذلك أعزَّ الملوك - وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه في الطّفر بها - فأخبر أرباب دولته بمخاطبتها إياه، فكلّهم أشار عليه أن يتزوَّجها، إلا قصير بن سعد بن عمرو - وكان لبيباً عاقلاً له عزم وحزم، وكان خازنّه وعميد دولته - فإنه قال له: هذا رأي فاتر، لأن الزباء قتلت أباهما والدم لا ينাম، ولك في بنات الملوك الأكفاء متسع، فقال له الملك: إنّ النفس إلى ما تحبّ توافقه، وإن كان القدر قد جرى بشيء فلا مفرّ عنه.

وكتبت إليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح، وقالت له: لولا أنّ السعي في مثل هذا للرجال أجمل، ولهم ألزم، لسرّ إليك. وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والأموال والذهب هديّة سنية؛ فلما وصلت أبهجته، وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه، فشاور قومه وابن أخته عمرا، فشجعوه على المسير إليها، واستخلف عمراً على ملكه، وسار في خواصّه حتى نزلوا بالفُرْضة، فشاور خواصّه وقصيرا في الجملة، فأشاروا عليه بالمسير إلا قصيراً، فإنه قال: أيّها الملك كلُّ عزم لا يؤيّد بحزم فأخره إلى فساد؛ ولولا أن الأمور تجري على المقدور، لعزمت على الملك ألا يفعل، فقال جذيمة: الرأي مع الجماعة، فقال قصير: أرى القدر سابق الحذر، ولا يطاع لقصير رأي. فلما قرب من ديارها أرسل إليها يعلمها بموضعها، فأظهرت السرور به، وأخرجت له هدايا وأنواعاً من الأطعمة والأشربة، فقال لقصير: كيف ترى؟ فقال قصير: مَنْ لم ينظر في العواقب لم يأمن المصائب، فاستدرك الأمر قبل فوته، وارجع فإنّ في يديك بقية تستدرك بها الصواب، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فإن القوم إنّ تلقّوك غداً يجيء قوم ويذهب قوم، فالأمر في يديك، وإن تلقّوك صَفَيْنِ فإذا توسّطتهم وأحدقوا بك، فقد ملكوك، وهذه العصا - وهي فرس لجذيمة تستبِق الطير - فسأعرضها لك فاركبها لتسلم عليها، فإنه لا يُشَقّ غبارها، فأرسلها مثلاً.

فلما كان غد لقوه صفين، فلما توسّطهم انقضوا عليه، فقال لقصير: صدقت فما الرأي: فقال له: بقّة تركتُ الرأي، وهذه العصا، اركبها، فشغلّه الأمر عنها فلما رأى قصير الجيوش تسير بجذيمة أعطى العصا عنانها، فهوت به هُوَيَ الرّيح، فتطاول إليه جذيمة ينظره، فقال: ويل له جذيمة؛ فجرت به إلى غروب الشمس.

- قال الأصمعي رحمه الله تعالى: لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلاً، ثم وقفت

فبالت، فَبُنِي على الموضع بُرْج يسمى برج العصا - وأشرفت الزباء من قصرها تنظر إلى جذيمة، وهو يساق، فقالت: ما أحسنك من عروس يزف إلي! فدخلوا به إليها، وحولها ألف وصيفة، لا تشبه واحدة صاحبته في خَلْق ولا زِيٍّ، وهي بينهن كالقمر حفت به النجوم، فأمرت بالأنطاع فُبسطت، وقالت للوصائف: خذن بيد سيدكن وبغل مولاتكن، فأجلسنه على الأنطاع، ففعلن به ذلك، ثم كشفت له عن شُغرتها، فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها، فقالت له: يا جذيمة أشوار ذات عروس؟ قال: بل شوار بظراء تَفَلَّة، وأمر غدر قد بلغ المدى، فقالت: والله ما ذاك من عدم المواس، ولكنها شيمة أناس.

ثم أمرت به فسقي بالخمير حتى أخذت فيه، وكانت الملوك لا تضرب أعناقها إلا في الحرب، ثم أمرت أن تقطع رواهشه<sup>(١)</sup>، وقالت: تحفظن بدمه، لأنه إن قطرت من دمه قطرة في غير الطشت طُلِب بدمه، فجرى دمه في طشت ذهب، فلما ضعفت يدها سقطتا، فقطرت على التطلع من دمه قطرات، فقالت: لا تضيّعوا دم الملوك، فقال لها «لا يحزنك دمُ ضيعه أهله»، فذهبت مثلاً، فقالت: إن دماء الملوك شفاء من الكلب، ووالله ما وفي دمك ولا شفي قتلُك، ثم أمرت به فدفن.

وكان عمرو بن عدي يخرج كل يوم لبعض الحيرة، يستطلع أمر خاله، فنظر يوماً إلى فارس قد أقبل، فأشرف عليه قصير، فقال له: ما وراءك؟ فقال له: سعى القدر بالملك إلى حتفه، فاطلب بثأره، فقال عمرو: وأي ثأر يُطلب من الزباء، وهي أمنع من عقاب الجوّ! فقال قصير: والله لا أنام عن طلب دمه ما لاح نجم، فاجدع أنفي واضرب ظهري، ودعني وإياها. فقال عمرو: ما أنت لذلك بأهل، وقد علمتُ نصحك لخالي. فقال: خلّ عني إذاً، فجدع أنفه ولجق بالزباء، فقالت: ما جاء بك؟ فأشار بظهره وأنفه - فقالت العرب: «لأمر ما جدع قصير أنفه!» فقالت: يا قصير، بيننا دم خطير، فقال: يا ابنة الملوك العظام لا ثأر ولا قود، ولقد أتيت فيه على ما يأتي مثلك في مثله، وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو فإنه علم أنني أشرت على خاله بالمجيء إليك، فجدع أنفي وأذني، وأوجع ظهري، وحال بيني وبين مالي وولدي، فاستجرت بك لعلمي أنني لا أكون مع أحد أثقل عليه منك، فقالت له: أهلاً وسهلاً - وكان يبلغها من رأيه وحزمه - فاحتضنه وأنزله واصطفته، فلما وثقت به، أخذت تستشيريه في أمورها. فقال لها يوماً: إن عمرا يطلبك بخاله، والرأي أن تتخذي نفقاً لعلك تحتاجين إليه، فقالت له: إنني قد اتخذته تحت سريري، وخرجت به تحت سرير אחتي - وكان الفرات يشق بين قصيريها - فأظهر لها السرور، ثم قال لها: إن لي بالعراق أموالاً كثيرة تصلح بالملوك فإن تجهزتي بمال للتجارة، توصلت فيه إلى أخذ تلك الذخائر ونقلها إليك، فجهزته. فاحتال حتى

(١) الرواهش: عروق ظاهر الكف.

وصل إلى عمرو، فجهّزه بطُرف من الجواهر والخزّ والديباج والأسلحة، فرجع بها، فلما تحققت نصحه، أرسلته إلى العراق ثالث سفرة ليضرب لها بها عدّة من السلاح، ويشتري لها خيلاً وعبيداً لتجهز جيشاً إلى مَنْ حوالِها من الملوك فمضى فيما أمرته به، وتوصل إلى عمرو، وقال: قد أصبّت الفرصة من الزّناء، فقال عمرو: قل اسمع، ومرا فعل، فأنت طبيب هذه القُرحة، فقال: الرجال والمال، فقال: حكمك فيما عندي مسلط، فعمد إلى ألفي رجل من أهل القتال، وجعلهم في غرائر سود، وجعل سلاحهم السيوف والخِجَف<sup>(١)</sup>، وجعل رؤوس الغرائر مربوطة من داخلها، وجعل عمرا في الحملة، وساق الخيل والعبيد، فلما قاربها بعث إليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به، فسألت عن العير أين نزل؟ فقيل لها: بالغوير - وكانت تنظره من غير طريق الغوير - فقالت: عسى الغوير أبؤسا، وتقدّم قصير، فدخل عليها فبشّرها، فرقيّت سطحاً عالياً لتنظر مجيء الإبل، فنظرت قوائمها تسوخ في الأرض لما عليها من الأثقال، فقالت: يا قصير: [الرجز]

ما للجمال مشيها وثيدا أجنّداً يحملن أم حديدا<sup>(٢)</sup>

أم صرّفانا بارداً شديدا أم الرجال جُئما قعودا

وكانت قالت لجواربها: إني أرى الموت الأحمر في الغرائر السود، فذهبت مثلاً.

فدخلت الجمال المدينة، فجنّس بواب بمخصرة في يده غرارة على آخر بعير، فأصابته المخصرة خاصرة رجل فضرّط فصاح: الشرّ الشرّ، فأظهروا علامة كانت بينهم، فحلّوا رؤوس الجوالق، فخرج منها ألفا دارع بألفي سيف، فصاحوا: يا لثأر الملك المقتول غدرأ! وهربت الزباء تطلب النفق إلى تحت الفرات، فسبق عمرو إلى بابه مع قصير، وكانت صورة عمرو مصورة في جانبها، فعندما رآته عرفته، وكانت جعلت تحت فصّ خاتمتها سمّ ساعة فمضت الفصّ، وقالت: بيدي لا بيد عمرو. فسقطت، وعمرو وقصير يضربانها بالسيف، فماتت بين السم والسيف، فاستباحوا بلدّها بما فيه، واستولى عمرو على مملكتها. واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه، وتوارثها بنوه واحداً واحداً إلى النعمان بن المنذر، وهو الذي أدرك زمن المصطفى ﷺ وقتله كسرى، وهو آخرهم،

(١) الخِجَف، بالتحريك: التروس من جلود بلا خشب ولا عقب.

(٢) الرجز للزباء في لسان العرب (وآد)، (صرف)، (زهق)، وأدب الكاتب ص ٢٠٠، والأغاني ١٥/ ٢٥٦، وأوضح المسالك ٨٦/٢، وجمهرة اللغة ص ٧٤٢، ١٢٣٧، وخزانة الأدب ٧/ ٢٩٥، والدرر ٢/ ٢٨١، وشرح الأسموني ١/ ١٦٩، وشرح التصريح ١/ ٢٧١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩١٢، وتاج العروس (وآد)، (صرف)، وشرح عمدة الحافظ ص ١٧٩، ومغني اللبيب ٢/ ٥٨١، وللزباء أو للخنساء في المقاصد النحوية ٢/ ٤٤٨، وبلا نسبة في مع الهوامع ١/ ١٥٩، ومقاييس اللغة ٦/ ٧٨، وكتاب العين ٧/ ١١١، والمخصص ١٢/ ٢٦، وأساس البلاغة (وآد).

وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام. وقال ابن دريد: [الرجز]  
وسيفٌ عمرو استغلّت به همته حتى رمى أبعدُ شأو المرتمى  
فاستنزل الزباء قسراً وهي من عُقاب لوح الجوّ أعلى منتهى

\* \* \*

إلى حديقة أخذت زُخْرَفَهَا وازْيَنْتْ، وتنوّعت أزاهيرُها وتلوّنت، ومعنا  
الكميثُ الشُّموس، والسقاءُ الشُّموس والشادي الذي يُطربُ السَّامِعَ ويُلهيهِ، وَيَقْرِي  
كُلَّ سَمْعٍ ما يشتهيهِ. فلَمَّا اطمأنَّ بنا الجُلوسُ، ودَارَتْ علينا الكُؤوسُ، وَعَلَّ عَلَيْنَا  
ذِمْرٌ، عَلَيْهِ طِمْرٌ، فتجهّمناهُ تَجْهَمُ الغَيْدِ الشَّيْبِ، ووجدنا صَفْوَ يومنا قد شَيِبَ.

\* \* \*

### [مما قيل في الرياض والبساتين]

قوله: إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت.

نريد أن نصل باب الرياض والبساتين، إذ هي جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة، ولم  
تمازجها الكلفة، مع بديع أزهارها التي سماها الله سبحانه وتعالى زينة، وزخرفاً فقال  
تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤]، وأن نجتنّي فيه بعض  
ما قالت العرب، ونقلته الرواة من الشعر المستحسن، والتشبيه المشاكل، فإن جُلّ النفوس  
مستأنسة به ونازعة إليه، ومرتاحة لذكره، ومشتاقة إلى زمانه، ولا تكون الرياض موقفة،  
والأزهار مشرقة، إلّا في اعتدال الزمان، وجدة الأيام، وهي إذا حلّت الشمس في برج  
الحمل، كما قال الحسن: [المنسرح]

أما تَرى الشمسَ حَلَّتِ الحَمَلَاً وقام وزُنُ الزمان واعتدلاً  
فاشرب على جِدة الزمان وقَدْ أصبح وجه الزمان مقتبلاً  
وغنّت الطيرُ بعد عُجْمَتِهَا واستوفت اللخضرُ حولَها كَمَلَا

قال الأصمعي رحمه الله تعالى: سألت أعرابياً عن الغيث، فقال: عُصَلت الحياض،  
وأشرفت الرياض، وأخرجت الأرض زخرفها، وأنبتت من كل زوج بهيج.  
وقيل لأعرابي: أي شيء رأيت أحسن؟ فقال الأعرابي: ظباء راتعة، في رياض  
يانعة، والشمس طالعة.

وقيل لآخر: صف لنا الربيع وأوجز، فقال: هو صديق النفس بريحانه، ومليك  
الطُرف بريعانه، مع أنه أشكل بالشبيبة، وباعث الشهوة البعيدة.

وقال إبراهيم بن السدي: خرجت أريد نزهة نهر الأُبُلّة مما يلي كاظمة تميم وقصر

مَعْبِد، حتّى غَوَرَتْ في مَبْنَى أَتَحَيَّلَ الرِّياض، وأَجِيلَ نَاطِرِي في مَسَاقِطِ الغَيْث، حَتَّى دَفَعْتُ إلى أَعْرَابِي عِنْدَ رَوْضَةٍ غَناء، عَمِيمَ نَبْتِها، زَاهِرَ نَوْرِها، يَطِيفُ بِها، فَقُلْتُ: يا أَعْرَابِي، أَحَسَّنْ عِنْدَكَ ما تَرى؟ فَقَالَ: كَلّا وَالله، سَماءُ مَظَلَّةٍ وأَرْضُ مَقَلَّةٍ، تَضْحَكُ هَذِهِ عَن بَكاِ هَذِهِ، فَمَا شَتَّتَ مِن دَرَّةٍ بِيضاء، وَياقوتَةٍ حَمراء، وزَمْرَدَةٍ خَضراء، قَدْ نَظَمْتُها أَيْدِي المَزنِ في نَحورِ الصَّعِيد.

وقال يزيد بن ماهان الأوسي: أتيت أرض السماوة في أئنف من الربيع، وقد اكتهل النبت فلما جرت ساحة الحيّ دفعت إلى جوار كأنهنّ دُمي العاج، يمشين كقضيبي البان، وبين أيديهنّ روضة مشرقة، وهنّ يطفئن بها، ويهبنّ الولوج فيها. فقلت: ما لكنّ لا تلجن الروضة، فهي أوطأ لأقدامكنّ، وأقرب لإثارة أزجها من أنوفكنّ؟ فقالت إحداهنّ: أحرام عندك أن يطأ بعضنا خدود بعض؟ قلت: بلى والله، قالت: فوجه الأرض أحقّ بالتحريم أن يحصد أو يُتوسّد.

وبعث الحجاج إلى عبد الملك بجاريتين، وكتب إليه: هما عندي بمنزلة روضتين من رياض السماوة، جاد الربيع أوّله وآخره عليهما، فاعتمّ نبتهما، ونور زهرهما، وحسن منظرهما، وقد بعثت إلى أمير المؤمنين بهما مباركاً له فيهما.

وقد ذكرت الشعراء الغيث والرياض بالفاظ مستحسنة، ومعانٍ مستظرفة، وتمثيل رائع، وتشبيه رائع، يبعث السرور، وينفي لوعة المحزون، ويجلب أريحية الفتوة والشباب، فنذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها في ذلك ما نرجو به أن يفى بالغرض الذي قصده وضمّنه الحريري صدر هذه المقامة ونوافقه، ونشرح منزعها الشريف في ذلك ونحقّقه إن شاء الله تعالى.

أنشد السّيرافي رحمه الله تعالى يصف روضة: [البسيط]

نضّاجة تملأ العينين بهجتها	فيحاء حُفَّتْ بأنواع الرياحين
في ظلّ آس وجرجير ونرجسة	وسوسن زان وردا بين نسرين
وكزّمة ذات أعنابٍ مذلّلة	من كلّ أقطارها تحت الأفانين
شبّهت فيها العناقيد التي بقيت	أولاد زنجية فطّس العرانيين
فتارةً من يواقيت منصّدة	وكالزبرجد في بعض الأحايين
فعينها غَدَقَ وماؤها غبّق	وريحها ريح مسك الهند والصين
فيها زرايبي قد بُثَّتْ ملمّعة	يضحكن عن زهر أنواع البساتين

فعارضه حسن الكوفي، فقال: [البسيط]

كانّها كاعبٍ حسناء أبرّزها	عيد فلم تألّ في طيبٍ وتزيين
تبرّجت لتروق الناس بهجتها	فالناس ما بين مبهوت ومفتون

والأيك مائلة الأغصان زائدة  
إذا الرُخاء جرت في نُورها لفظت  
كانما أليست أكامها خللاً  
وقال علي بن الجهم: [البيسط]

لم يَضْحَكِ الروض إلا حين أعجبه  
بدا فأبدى لنا دنيا محاسنها  
ما قابلتُ قُضْبَ الرياحان طلعتَه  
بين النديمين والخُلَين مسرعة  
فبادرته يد المشتاق تُسئِده  
لا عَذْبَ الله إلا مَنْ يَعَذِّبه  
وقال البحرّي: [الطويل]

سقى الغيثُ أكتاف الحمى من مَحَلَّةٍ  
ولا زال مخضراً من اللون يانع  
يذكرنا رؤيا الأحبة كلما  
شقائنا يحملن الندى فكأنه  
ومن لؤلؤ كالأقحوان منظمٍ  
وقال أيضاً: [الخفيف]

وكأن الحوادث والأقحوان الـ  
قطرات من السحاب ورَوْضُ  
وقال أيضاً: [الطويل]

وقد نَبَّه التوروزُ في عَسَقِ الدجى  
ومن شجرٍ رَدَّ الربيع لباسه  
وقال الحسن بن وهب: [الكامل]

طَلَعَتْ أوائلُ للربيع فبَشَّرَتْ  
وغدا السحاب يكاد يسحب في الثرى

قد كسيت زخرفاً حمراً الأفانين  
قُرَاضَةً من حرير الرّي والصين  
من وشي إسكندرٍ أو مِنْ نصيبين

حسنُ الثَبَاتِ وصوتُ الطَّائِرِ العَرِدِ  
وراحت الراح في أثوابها الجُدِ  
إلا تَبَيَّنَ فيه ذلة الحسدِ  
وسيره بيد موصولة بيدِ  
إلى الترائب والأحشاء والكبدِ  
بمسمع بارد أو صاحب تَكِيدِ

إلى الجفث من رمل اللوى المتفاوِدِ<sup>(١)</sup>  
عليه بمحمر من النور حاشدِ  
تنفس في جُثج من الليل باردِ  
دموع التصابي في حدود الخرائدِ  
على نُكَيْتِ مُصَفَّرَةٍ كالقُرَائدِ

غَضَّ نظمان: لؤلؤ وفريد<sup>(٢)</sup>  
نشرت وردها عليه الخدودُ

أوائل وزد كن بالأمس نُوما<sup>(٣)</sup>  
عليه كما نشرت بُرداً متممنا

نَوَّرَ الرياض بجذوة وشبابِ  
أذبال أسحم حالك الجلبابِ

(١) الأبيات في ديوان البحرّي ص ٦٠٣.

(٢) البيتان في ديوان البحرّي ص ٧٢٢، ٧٢٣.

(٣) البيتان في ديوان البحرّي ص ٢٠٩٠.

ضحك تحسّر عن بكاء سحاب  
فكأنما التحفّت جناح غراب  
ملتقّة كتعانق الأحباب

والبست الأرض الفضاء الزخارف  
تؤلفه أيدي الربيع اللطائف  
تؤديه أنفاس الرياح العواصف  
من المنظر الأعلى طباء زواحف

لقد فارقتنا بصفوي الهوى  
يجدّد عهداً لها قد مضى  
ولفس الشفاء إذا ما بدأ  
ة إذا برزت لمحّب أنى  
تباعد موعده أو دنا  
وينظمه بالآلي الندى

فيها كما شئت من حسن ومن طيب  
أخلاف مستحسن الأخلاق محبوب  
تبكي بدمع من الأنواء مسحوب  
على الميادين ألوان اليعاسيب  
تحبير ثوب من الموشى مخضوب

شأبيب السحائب بالبكاء  
تباهى في زخارف نسج ماء  
عذارى يتبسّم من الحياء

من حسن بهجتها ثياب ريزجد<sup>(١)</sup>

ينبكي فيضحك نورهنّ، فيا له  
وترى السماء إذا أجّد ركايبها  
وتزى الغصون إذا الرياح تأزجت  
ولأبي زرة الدمشقي: [الطويل]

وقد أخذت زهر الرياض حليها  
لجّين وعقيان يروق وجوهه  
تهادي التلاع الغور يسكاً وعنبراً  
كأن أباريق المدامة بينها  
ولبكر بن حماد: [المقارب]

فسقياً لأيامنا الذاهبات  
وهذا الربيع وزنّعائه  
يذكّرني الورد حمراً الخدود  
وسؤسنه صحن خد الفتا  
ونشر الرياح رياح الحبيب  
يجود بها الطلّ وشي الثبات  
ولمحمد بن يزيد: [البيط]

وروضة صنف النوار جوهرها  
كأن ما تجتنيه من زخارفها  
ما انفك للعين فيها أعيّن ذرف  
حتى كأن أفانين الثبات بها  
كأن غدرانها بالروض محدقة  
وقال كشاجم: [الوافر]

إلى الرّوض الذي قد زينته  
بكين عليه فبابتهجّت رياه  
كأن الأقحوان بجانبه  
وقال ابن الرّقاق: [البيط]

وحداثي خضر المعاطف ألّبت

(١) البيتان في ديوان ابن الرّقاق ص ١٤٠.



جَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَضَّلَ رَدَائِهَا      فَيُزَى زِيرَجْدَهْنَ تَحْتَ الْعَسْجَدِ  
وقال أيضاً: [المنسرح]

وروضةٍ عاطر بنفسجها      عطرها وشيها وسندسها<sup>(١)</sup>  
لما غذتها السحاب دُرَّتْها      من فوق حَوَازِنِهَا وَتَرْجِسِهَا  
خاف عليه الغمامُ حادثةً      فسَلَّ سَيْفَ الْبَرْقِ يَحْرُسُهَا  
وقال أيضاً: [الخفيف]

نُثِرَ الْوَرْدُ فِي الْغَدِيرِ وَقَدْ دَوَّ      حَهُ بِالْهَبُوبِ نُشِرَ الرِّيَّاحِ<sup>(٢)</sup>  
مثل درع الكمي مَزَّقَهَا الطُّغْ      نُنْ فَسَالَتْ دِمَاهُ بِجِرَاحِ  
وقال أيضاً: [الكامل]

وقزازه زَرْقَاءُ رَاقٍ صَفَاؤُهَا      قَدْ ضَمَّ زَهْرَ الْجَلَنَارِ رَدَاؤُهَا<sup>(٣)</sup>  
فاعجب لراح كَأْسُهَا مِنْ فِضَّةٍ      مَا إِنْ تَسِيلُ وَقَدْ يَسِيلُ إِنَاؤُهَا  
ومن ملح الأدباء وما تصرفوا به في الأنوار ما كتب به أبو دلف إلى ابن طاهر يعاتبه: [الطويل]

إِخَاؤُكُمْ كَالْوَرْدِ لَيْسَ بِدَائِمٍ      وَلَا خَيْرَ فَيْمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ  
وعهدي لكم كَالْأَسِّ حَسَنًا وَبِهَجَةٍ      لَهُ وَرَقٌ خَضِرٌ إِذَا قَنَى الْوَرْدُ  
فأجابه ابن طاهر: [الطويل]

وَشَبَّهْتَ وَدِّي الْوَرْدَ فِيمَا تَذَمُّهُ      وَهَلْ زَهْرَةٌ إِلَّا وَسِيدُهَا الْوَرْدُ  
إِخَاؤُكُمْ كَالْأَسِّ مَرَّ مَذَاقُهُ      وَلَيْسَ لَهُ فِي الرِّيحِ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ  
ولم يأت أحد بأخْبَثَ من تشبيه ابن الرومي في ذمِّ الورد:

كَأَنَّهُ سُرْمٌ بَغْلٌ حِينَ أَبْرَزَهُ      بَعْدَ الْخِرَاءِ وَبَاقِي الرُّوثِ فِي وَسْطِهِ  
وقال أبو الشيص: [البسيط]

يَا مَنْ تَجَلَّى بِرِيحَانٍ يَنَادِمُهُ      مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ وَخَيْرِيٍّ وَنَشِيرِيٍّ  
وَيَاسْمِينٍ وَعَوْدٍ مَا يَغْيِرُهُ      مَا كَانَ أَحْسَنَ ذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ دُونِي  
وقال أبو المعلى الطائي: [الطويل]

كَأَنَّ عَيُونََ النُّورِ زَيْنٌ بِالْهِنْدِيِّ      عَيُونُ تَرَاثِلِنِ الدَّمُوعِ عَلَى عَذْلِي

(١) الأبيات في ملحق ديوان ابن الزقاق ص ٢٩٤.

(٢) ديوان ابن الزقاق ص ١٣٠.

(٣) ديوان ابن الزقاق ص ٢٨٣.

وقال أيضاً: [الطويل]

نَرَى لِلتَّدَى فِيهِ مَجَالاً كَأَمَّا نَشْرَنَ عَلَيْهِ لَوْلَوْ أَفْتَبَدًا  
قوله: حديقة، أي بستان. زخرفها، أي زينتها. تنوّعت أزاهيرها: اختلفت أنواع أزهارها.

وهذه الحديقة التي ذكر من حسننها، مثل البستان الذي دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان - وكان عروة معرضاً عن الدنيا - فحين رأى في البستان الوصف الذي ذكر الحريري قال: ما أحسن هذا البستان! فقال له عبد الملك: أنت والله أحسن منه، لأنه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتي أكلك كل يوم، وكان عبد الملك يجب عروة ويعظمه، على ما بين الزبيرية والمروانية من التباض.

وقال لابن شهاب حين وفد عليه: عند من طلبت؟ قال: عند سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب، فقال عبد الملك: فأين أنت من عروة بن الزبير! فإنه بحر لا تكدره الدلاء. قال ابن شهاب: فلم أبارح عروة بعد حتى مات.

قال ابن وكيع في وصف ما ذكره الحريري: [الطويل]

أَلَسْتُ تَرَى وَشْيَ الرَّيِّعِ تَنْمُنَا وَمَا صَنَعَ الرَّبْعِيِّ فِيهِ وَنَظْمَا  
وَقَدْ حَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِنُورِهَا فَلَمْ أَرِ فِي التَّشْبِيهِ إِلَيْهَا سَمَا  
فَخَضَرَتْهَا كَالْجَوْ فِي حَسَنِ لَوْنِهِ وَأَنَوَارُهَا تَحْكِي لَعَيْنِكَ أَنْجَمَا  
فَمَنْ نَرَجِسْ لِمَا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ تَدَاخَلَهُ عَجَبٌ بِهِ فَتَبَسُّمًا  
وَأَبْدِي عَلَى الْوَرْدِ الْجَنِّي تَطَاوَلَا وَأَظْهَرَ غَيْظَ الْوَرْدِ فِي خَذِهِ دَمَا  
وَزَهَرَ شَقِيقُ نَازِعِ الْوَرْدِ فَضْلَهُ فَزَادَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ فَضْلًا وَقَدَّمَا  
فَظَلَّ لِفَرْطِ الْحُزْنِ يَلْطِمُ خَذَهُ فَأَظْهَرَ فِيهِ اللَّطَمُ جَمْرًا مُضْرَمًا  
وَمَنْ سَوَسَنِ لِمَا رَأَى الصَّبِغِ دُونَهُ عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ الرِّيَاضِ تَقَسَّمَا  
تَجَلْبَبُ مِنْ زَرْقِ الْيَوَاقِيتِ خَلَّةَ فَأَغْرَبَ فِي الْمَلْبُوسِ فِيهَا وَأَحْكَمَا  
وَأَنوَارَ مَنْشُورٍ يَخَالِفُ شَكْلُهَا فَصَارَ بِهَا شَكْلُ الرَّيِّعِ مَنْمُنَمَا  
جَوَاهِرَ لَوْ قَدْ طَالَ فِيهَا حَيَاتُهَا رَأَيْتَ بِهَا كُلَّ الْمَلُوكِ مَخْتَمَا  
وَقَالُوا أَبُو بَكْرٍ الْبَلَوِيُّ: [البسيط]

وَرَوْضَةٍ بَاتَ ظَلُّ الْغَيْثِ يَنْسُجُهَا وَرَوْضَةٍ بَاتَ ظَلُّ الْغَيْثِ يَنْسُجُهَا  
يَبْكِي عَلَيْهَا بَكَاءَ الصَّبِّ فَارْقَهُ حَتَّى إِذَا التَّحَمَّتْ أَضْحَى يَدْبُجُهَا  
إِذَا تَنَفَّسَ فِيهَا رِيحُ سَوَسَنِهَا إِلْفٌ فَيَضْحَكُهَا طَوْرًا وَيُبْجُهَا  
أَقُولُ فِيهَا لِسَاقِينَا وَفِي يَدِهِ وَفَاحَ مِثْلَ خُزَامَاها بِنَفْسِجُهَا  
كَأَسْ كَشَعْلَةَ نَارٍ إِذْ يَوْهَجُهَا

لا تمزجتها بغير الريق منك فإن  
أقل ما بي من عينيك أن يدي  
وقال الوزير المهلبي: [الكامل]

الورد بين مضْمَخٍ ومضْرَجٍ  
طلع النهار فلاح نُور شقائق  
والثلج يهبط كالنَّشَار فقم بنا  
فكأنَّ يومك في غلالة فضة  
وقال السري: [الكامل]

وحديقة يُنْسِيك وشي بُرودها  
يجري النسيم خلالها فكأنما  
طارَت قلوبُ المحل تخفُّقُ بيئها  
طارَت عقيقة برقه فكأنما  
وقال السلامي: [الكامل]

نَسَبُ الرِّياض إلى الغمام شريفُ  
أو ما ترى طرق البروقِ توسَّطتْ  
واليوم من خجل الشقيق مضْرَجُ  
والأرض طرسٌ والرياض سُطوره  
فأدِر سقيت الرِّيَّ جامك إنه  
ومحلُّها عند النسيم لطيفُ  
أفقا كأنَّ المزن فيه شنوفُ  
خَجَلٌ ومن مرض النسيم ضعيفُ  
والزهر شكلُ بينها وحروفُ  
يومٌ على كبد الزمان خفيفُ

قوله: الكميت، يعني الخمر. الشُّموس: التي فيها حُدَّة. والشُّموس: السقاة الذين  
وجوههم كالشمس، وللسلامي في ذلك: [البسيط]

وظبية من بنات الأنس في يدها  
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن دُرِّ  
وزارت الأرض منها مقلتان لها  
والكأس للسُكر التبري صائغة  
بثنا نكفكف بالكاسات أدمعنا  
ووجهها للصبأ والحسن خاتام  
لهن في ثغرها الفضِّي أتوام  
وحشيتان وعذب الريق بسامُ  
والماء للحبيب الدرِّي نظامُ  
كأننا في حُجور الرُّوض أيتامُ

وهذه أشعار غريبة عجيبة، ولاين سكرة في ذلك: [البسيط]

اشرب ففي اليوم فضلٌ لو علمت به  
ورد الخدود وورد الرُّوض قد جُمعا  
بادرت باللَّهو واستعجلت بالطَّرِب  
والغيم مبتسم والشمس في الحجبِ

لا تحبس الكأس واشربها مشعشة حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال سيف الدولة وذكر قوس قُزَح: [الطويل]

وساقٍ صبيح للصُّبُوح دعوته فقام وفي أجفانه بينة العُمنض

يطوف بكاساتِ العقار كأنجم فمن بين منقضٍ عليها ومنقضٍ

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دُكناً والحواشي على الأرض

يطرؤها قُوس السماء بأصفر على أخضرٍ في أحمرٍ تحت مبيضٍ

كأذيال خُودٍ أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

وهذه من التشبيهات الملوكية التي لا يحضر السوق مثلها. وقال ابن الزقاق:

[المنسرح]

وشادني طاف بالكؤوس ضحى فحثها قد وضحا<sup>(١)</sup>

والرؤوس يُبدي لنا شقائقه وآسه العنبري قد نفحا

قلنا وأين الأقاح؟ قال لنا أودعته ثُغر من سقى القدحا

فظل ساقى العقار يحجزه عثا فلما تبسم افتضحا

وقال أيضاً: [البسيط]

نُبّهته ونجوم الليل زاهرة والفجر منصدع والصُّبح قد لاحا<sup>(٢)</sup>

والليل منهزم ولت عساكره والرؤوس مبتسم والزهد قد فاحا

فقام يمسح عينيه براحيته فخلّته في ظلام الليل مضباحا

قوله الشادي: المغني. يلهيه: يشغله ويزيل همه. يقري: يعطي ويهدي. سمع:

أذن. ول بعضهم في غلام مغن - وأجاد: [الوافر]

فديتك يا أتم الناس ظرُفا وأصلحهم لمتخذ حبيبا

فوجهك نزهة الأبصار حُسنًا وصوتك أمتع الأصوات طيبا

وسائلة تسائل عثك قلنا لها في وصفك العجب العجيبا

رنا ظبيا وعُثى عندليبًا ولاح شقائقا، ومشى قضيبيبا

وقال ابن الرُّقَّاق: [الطويل]

يذكّرني تحناناً شذو غنائه على الأنيك تَخَنُّان الحمام المغرّد<sup>(٣)</sup>

له نغمات أفحمت كلّ صادق وصوتٌ نشيدٌ قد شجا كلّ منشد

(١) الأبيات في ديوان ابن الرقاق ص ١٢٤.

(٢) ديوان ابن الرقاق ص ٢٩٢.

(٣) ديوان ابن الرقاق ص ٢٩٢.

فدُعْ كُلَّ مَا حُدِّثْتَ عَنْ صَوْتِ مَغْبَدٍ      وطَارَخَ نَشِيداً عَنْ نَشِيدِ ابْنِ مَعْبَدٍ  
قوله: اطمأن، أي استقر وسكن. وغَلَّ: دخل، والواغل الداخل على الشراب ولم يُدْعَ إليه. ذَمَر: شجاع، والذمر أيضاً: الخبيث ذو الدهاء، وهو مخفف من ذَمَر، وهو الشجاع، والجمع أذمار، ومنه فلان حامي الذمار، معناه: يحمي ما يلزمه أن يحميه، وسمي ذماراً الآن الإنسان يذمر نفسه، أي يحرضها به، وذمرت الرجل أذمره، إذا حرَّضته. طَمَر: خَلَق. تَجَهَّمناه: عبتنا له، والجهامة: العُبُوس، ويقال: تَجَهَّمَنِي فلان بكذا، يتَجَهَّمَنِي بمعناه.

### [مما قيل في الشيب والشباب]

الغيد: النساء الحسان اللينات الأعناق. الشَّيب: الشيوخ، الواحد أشيب. شيب: كَدَّر ونغص، وأوَّل من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله: [الطويل]

أَرَاهَنَ لَا يُحِبِّبَنَ مِنْ قَلِّ مَالِهِ      وَلَا مِنْ رَأْيِنَ الشَّيْبِ فِيهِ وَقَوَّسَا<sup>(١)</sup>  
وعلقمة في قوله: [الطويل]

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلِّ مَالُهُ      فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدَّهِنَّ نَصِيبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال حبيب في هذا المعنى فأحسن: [الخفيف]

لِعَبِّ الشَّيْبِ فِي الْمَفَارِقِ بَلْ جَدَّ      لَدَفَأَبْكَى تُمَاضِراً وَلَعُوبَا<sup>(٣)</sup>  
يا نسيبَ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى  
وَلَشُنْ عِبْنٍ مَا رَأَيْنَ لَقْدَ أَنْ  
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلشَّيْبِ فَضْلاً  
وقال علي بن الجهم: [الخفيف]

أَنْكَرْتُ مَا رَأَتْ بَرَأْسِي وَقَالَتْ      أَمَشِيبٌ أَمْ لَوْلُؤُ مَنْظُومُ  
قُلْتُ أَوْلَاهُمَا بَرَأْسِي فَأَنْتَ      أَتَّةُ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ  
حَسَرْتُ عَنِّي الْقِنَاعَ ظَلُومُ  
وقال عمرو الوراق: [مجزوء الكامل]

لَا تَطْلُبْنِ أَثَرَاً بَعِينٍ      فَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمِيتَتَيْنِ

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص ١٠٧، ولسان العرب (قوس)، وكتاب العين ١٨٨/٥، ومقاييس اللغة ٤٠/٥، وتهذيب اللغة ٢٢٣/٩، وأساس البلاغة (قوس)، وتاج العروس (قوس).

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص ٤٣، وشرح اختيارات المفضل ص ١٥٩٠.

(٣) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٢٥.

أبدى مقابيح كل شيء      بن ومحا محاسن كل زين  
فلذا رأيت الغانينا      ت رأين منك غراب بين  
ولربما نافسن في      ك وكن طوعاً لليدين  
أيام همتك الشبا      ب وأنت سهل العارضين  
الفنجديهي: من أحسن ما سمعت في هذا المعنى قول ابن البياضي، رحمه الله

تعالى: [الكامل]

عرض المشيب بعارضي فأغرّضوا      وتقوّضت خيم الشباب فقوّضوا  
فكان في الليل البهيم توسطوا      حفرا وفي الصبح المنير تقبّضوا  
ولقد رأيت وما رأيت بمثله      بيناً غراب البين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد في الشيب نقاء الخد: [الكامل]

راحت غواني الحي عنك غوانياً      يلبسن نأياً تارة وضوداً<sup>(١)</sup>  
من كل سابعة الشباب إذا بدت      تركت عميد القريتين عميدا  
أزرن بالمرّد الغطارف بدنا      غيداً ألفتهم لدانا جيداً  
أحلى الرجال من النساء مواقعاً      من كان أشبههم بهن خدوداً  
حتى إذا ما الشعر سؤد وجهه      عاد المسود بينهن مسوداً

هذا من قول الأعشى: [الكامل]

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ      فقد الشباب وقد يصلن الأمرأ<sup>(٢)</sup>

ولحبيب - وروي لأبي دلف: [الكامل]

نظرت إليّ بعين من لم يعدل      لما تمكّن طرفها من مفتلي  
لما رأت وضح المشيب بلحيتي      صدت صدود مفارق متحمل  
فجعلت أدلب وصلها بتلطف      والشيب يغمزها بالأفعل

وقال محمد بن أمية: [الطويل]

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي      فأعرّضن عني بالخدود النواضر  
وكن إذا أبصرنني أو سمعنني      دنون فرقعن الكوى بالمحاجر

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٨٧.

(٢) البيت في ديوان الأعشى ص ٢٢٧.

وللشريف الرضي رحمه الله: [الكامل]

قالوا المشيب فيم صباحاً بالتهي  
لو دام لي وذ الكواعب لم أبل  
لكن شيب الرأس إن يك طالعا  
إن أعرضت عنه الخدود فطالما  
ولقد يكون وماله من عاذل  
كان السواد سواد عين حبيبه  
لو لم يكن في الشيب إلا أنه  
وقال أيضاً: [الوافر]

لجام الشيب ثنى لي جيادي  
لو عني الخدود من الغواني  
وصار بياضه عندي سواداً  
ورباني لعدّالي ورأضاً<sup>(١)</sup>  
وغمض عني الحدق المراضا  
وكان سواده عندي بياضاً

ودخل أبو ذلف على المأمون، وقد ترك الخضاب، فغمز جارية عنده أن تعبت به،  
فقلت: شبت يا أبا دلف، إنا لله وإنا إليه راجعون! فسكت عنها، فقال له المأمون:  
أجيبها، فأطرق برأسه ثم رفعه، فقال: [السيط]

تهزأت إذ رأت شيبتي فقلت لها  
شيب الرجال لهم زين ومكرمة  
فيئالكن - وإن شيب بدا - أرب  
لا تهزئي من يطل عمره يشب  
وشيبكن لكن الويل فاكتثبي  
وليس فيكن بعد الشيب من أرب

\*\*\*

إلا أنه سلم تسليم أولي الفهم، وجلس يفض لطائف النثر والتظلم، ونحن  
ننزوي من انبساطه، ونثيري لطفي بساطه، إلى أن عتّى شاديّنّا المغرب، ومغردنا  
المطرب: [الوافر]

إلآم سعاد لا تصلين حنبلي  
صبرت عليك حتى عيل صبري  
وها أنا قد عزمت على انتصاف  
ولآوين لي ممّا ألقى  
وكادت تبلغ الروح الشراقي  
أساقي فيه خلّي ما يساقي

(١) الأبيات في ديوان الشريف الرضي ص ٣٧٠.

(٢) الأبيات في ديوان الشريف الرضي ص ٤٢٢.

فإن وَضلاً أَلَذُّ بِهِ قَوْضَلٌ وَإِنْ صَزَمًا فَصَزَمٌ كَالطَّلَاقِ  
قال: فاستفهمنا العابث بالمثاني، لِمَ نصب الوضل الأوَّل ورفع الثاني؟  
فأقسم بثرية أبويه، لقد نطق بما اختاره سيويه.

قوله: «يفض» يكسر. لطائم: أوعية الطيب، وجعلها للكلام مجازاً. ننزوي  
ننقبض. وننبري: نبادر. لطى بساطه: لقطع كلامه. المغرب: الحسن الغناء الآتي  
بالغريب فيه. والشادي والمغزّد واحد وهو المغني. المطرب: الآتي بالطرب وهو  
الاهتزاز بالسرور، وقد يكون من شدة الحزن، وقال ابن رشيق في معن: [الخفيف]

غنني يا مجود الخلق عندي: «حيّ بحدا ومن بأكناف نجد»  
واسقني ما يصير ذو البخل منها حاتماً والجبان عمرو بن معدي  
في زمان الشباب عاجلني الشيب بـ فهذا أوائل الدن دُردي  
وقال الجلي في مغنية: [الوافر]

ولاعبة الشواح بغصن بان لها أثربت قطع القلوب  
إذا استولت طريق العود نقرأ وغثت في محب أو حبيب  
فيمئها يفديها فؤادي وُسرها تُفديها ذنوبي

قوله: تأوين، أي تشفقين. عيل: غلب، وأنت الروح لأنه ذهب به إلى النفس،  
قال ابن ظفر: الروح الذي يكون به الحياة، وإذا فارق الجسد كان الموت، والنفس التي  
بها العقل وهي المقبوضة عند النوم، ولا معنى للإكثار في هذا لأن الشارع ليس له فيه  
قول يعول عليه، ولا للحواس على إدراكه حول فنهدي إليه.

الترافي: العظمان المعوجان أعلى الصدر: خلّي: صاحبي. صرم: قطيعة،  
ويستبج عندهم مجازاة الحبيب على إساءته، كبيت امرئ القيس: [الطويل]

\* فسلّي ثيابي من ثيابك تُسلّ<sup>(١)</sup> \*

وقول طرفة: [الرملي]

وإذا تلسُّنني ألسُنّها إُنِّي لست بموهون فقر<sup>(٢)</sup>

(١) صدره:

وإن كنت قد ساءتكَ مئني خليقة

والبيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٣، وأساس البلاغة (ثوب). وكتاب الجيم ٢٥٧/٧، ولسان  
العرب (ثوب)، وبلا نسبة في لسان العرب (نظف)، وتاج العروس (ثوب).

(٢) البيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٥٣، ولسان العرب (فقر)، (لسن)، (وهن)، وتهذيب اللغة ٦/ =



وقول الأعرابي: [الكامل]

إن كان أهلك يمنعونك رغبةً      عني فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ  
والمستحبُّ عندهم قول ابن ربيعة: [الوافر]

ألا يا مَنْ أحبُّ بكلِّ نفسي      ومَنْ هو من جميع الناسِ حَسبي  
ومن يظلم فأغفره جميعاً      ومَنْ هو لا يهَمُّ بغفر ذَنبي  
وقال أبو نواس: [الوافر]

جنان تَسُبُّني - ذكُرتِ بِخَيْرٍ -      وتزعم أنني رجل خبيثُ<sup>(١)</sup>  
وأن مودتي كذب ومينُ      وأنني للذي يُطَوِّرُ بِشوثُ  
وما صدقت ولا ردة عليها      ولكنَّ الملول هو التكوثُ  
ولي قلبٌ ينازعني إليها      وشوق بين أضلاعي حثيثُ  
رأت كَلْفِي بها ودوامَ عهدي      فمَلَّتني كذا كانَ الحديثُ  
وقال ابن شهيد: [البسيط]

كَلِفْتُ بالحب حتى لو دنا أَجَلِي      لما وجدتُ لَطِغَ الموتِ من أَلَمِ  
وعاقني كَرَمِي عَمَّنْ ولهُتُ به      ويلي من الحبِّ أو ويلي من الكرمِ

وأطرب من شعر المقامة لغناء، ما حكى أن القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيى، خرج إلى حضور جنازة، وكان رجل من إخوانه ينزل بقرب مقبرة قرش، فعزم عليه باليل إليه، فنزل وأحضر له طعاماً، وغتت جاريته: [الكامل]

طابت بطيب لثانك الأقداحُ      وزها بحمرة وجهك الشَّفاحُ  
وإذا الربيع تنسَّمَتْ أرواحهُ      نَمَتْ بعَرَفِ نسيمك الأرواحُ  
وإذا الحنادس ألبست ظلماءها      فضياء وجهك في الدَّجَى مضبَّاحُ

فكتبها القاضي طرباً بها على ظهر يده، ثم خرج. قال الراوي: فلقد رأيته يكبر على جنازة والأبيات على ظهر يده.

وقال إبراهيم بن المهدي: دخلتُ يوماً على الرشيد وفي رأسه فضلة خُمار، وبين يديه المغنون، فقال: يا إبراهيم، بحقِّي عليك غُثِّي، فأخذت العودَ فغنيته من أشعار جرير: [الكامل]

= ٤٤٦، ٤٢٦/١٢، وكتاب العين ٢٥٦/٧، وديوان الأدب ١٣٧/٢، وتاج العروس (فقر)، (لسن)، (وهن)، ومقاييس اللغة ٢٩٥/٥، وفيه «نثر» بدل «فقر» ومجمل اللغة ٢٧٥/٤، وهو بلا نسبة في المخصص ١١٣/٢، وأساس البلاغة (لسن).

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ص ٣٦٩.

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى  
إن البليّة من تملّ حديثه  
أهواك فوق هوى النفس ولم يزل  
شوقاً إليك ولم تجار مودتي  
وقال ابراهيم الموصلي لابن جامع: لو هذا طلب الغناء كما نطلبه، ما أكلنا معه  
الخبز، فقال ابن جامع: صدقت.

ومما ينتظم في هذا النمط ويغنى به قول الآخر: [البسيط]

قال الوشاة لهند عن تصارمنا  
قد قلت حين بدا لي بخلُ سيدتي  
هل تعلمين وراء الحب منزلة  
والحريري لم يتعرض بشعره في هذا، لأنه بنى البيت في المسألة، لكن فيما  
ذكرناه زيادة بيان، وأنه يجب أن يختار المغني، ما يتلقّى للغناء من كل جهاته  
بالاستحسان.

قوله: العايب بالمثاني، أي اللاعب بأوتار عود الغناء. ومما يستحسن في وصف  
العود قول ابن القاضي: [البسيط]

جاءت بعود تناغيه ويسعدها  
غنت على عودها الأطيّار مفصحة  
فلا يزل عليه أو به طرب  
وقال ابن شرف: [الطويل]

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي  
تغنى عليه الطير والعود أخضر  
ومما قيل في ذم مغن: [الكامل]

لو أبصرث عيناك بشراً جالساً  
لرايت منه فتى تحبّ بأن ترى  
فلذا ترّبع - لا تربع بعدها -  
فكان جُرْذان المدينة كلها

المثاني: أوتار بالعود، معروفة على سائر أوتاره. بترية أبويه، يريد عظامهما التي تصير تراباً في القبر، ولذلك أقسم بالقبر.

### [سيبويه]

وأما سيبويه ففارسيّ، مولى لبني الحارث بن كعب، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر، وتفسير سيبويه بالفارسية ربح التفاح، وهو لقب له لأنه كان من أطيب الناس رائحة، وأجلهم وجهاً، وقد أشرنا إلى ذلك في العاشرة. وقيل: معنى «سي» ثلاثون و «بويه» رائحة التفاح، فكأن معناه: الذي ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة. وقيل: إن أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير فلزمته.

وولد بالبيضاء، وهي قرية بشيراز من عمل فارس ونشأ بها، وقدم البصرة في أول أيامه ليكتب الحديث، فلزم خلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوماً قول النبي ﷺ: «ليس من أصحابي إلا مَنْ لو شئت لأخذت عنه ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، بالرفع، وظنه اسم ليس، فقال حماد: لحنْتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما ليس هنا استثناء، فقال سيبويه: سأطلب علماً ليس يلخني فيه أحد، فلزم الخليل، فبلغ في علم النحو الغاية، وضرب به في ذلك المثل وهو أول مَنْ بسط طريقته، وشرع شريعته، وكتابه الإمام في النحو، الذي لم يُصنع قبله ولا بعده مثله، وغاية لأئمة فهمه. وأخذه الأخفش عنه.

وقيل ليونس: ألف سيبويه كتاباً نحواً من ألف ورقة في علم الخليل، فقال: متى سمع سيبويه هذا كله! فأُتي بكتابه، فنظر فيه فقال: يجب أن يكون صدق عن الخليل، كما صدق فيما حكاه عتي.

وناظر الأصمعيّ سيبويه، فغلبه الأصمعيّ بلسانه فقال يونس: الحقّ مع سيبويه.

وكانت في لسانه حبة، وقلمه أبلغ من لسانه. قال أبو زيد: كان سيبويه يختلف إليّ وهو غلام له ذؤابتان، وإذا قال في كتابه: حدّثني مَنْ أثق به، فإنما يعنيني.

قال الأخفش: كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرض عليّ وهو يرى أنّي أعلم منه، وكان أعلم مني.

والأخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع، يكنى أبا الحسن، وهو الذي أخذ الكتاب عن سيبويه، وهو أكبر من سيبويه، وصحب الخليل. وأما الأخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد المجيد، يكنى أبا الخطاب وهو الأخفش الكبير، ويونس هو ابن حبيب، يكنى أبا عبد الرحمن مولى بني ضبة، أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبي عمرو بن العلاء، وقيل: إنه جاوز المائة في سنّه ولما فاق سيبويه في علم النحو أهل عصره، وبرز فيه على نظرائه من أهل ذهريّه، سمع أن الكوفيين ظهروا ببغداد

عند الرشيد بعلم النحو، وهم الكسائي وأصحابه، فقصدهم ببغداد، وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى بن برمك.

وناظره الكسائي، وقيل الفراء بحضرة الكسائي في المسألة الزنبورية المشهورة، وقد ذكرناها في الرابعة والثلاثين، وكان - فيما ذكر - الظهور لسيبويه، وتراضوا بينهم بشهادة الأعراب الحاضرين بباب الخليفة، فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للأعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين، فأجابوا بذلك، فخرج سيبويه خجلاً وكاد يموت غمًا، فزعموا أنهم شفّعوا للرشيد لثلا يرجع مغلوباً خائباً فأمر له بعشرة آلاف درهم، فانبعث إلى الأهواز ولم يعرج على البصرة. فأقام هناك مدة مديدة إلى أن مات.

وحكي أنه لما انصرف عنهم مغموماً لقي الأخفش سعيد بن مسعدة، فأخبره بتأليهم عليه، فدخل الأخفش، فسأل الكسائي عن مائة مسألة فخطأه فيها كلها، فقال له: أنت سعيد بن مسعدة؟ فقال: نعم، فسأله أن يؤدب أولاده فأجابه. وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه، وأعطاه سبعين ديناراً.

ويروى أنه لما بلغ الكسائي موته، قال للرشيد: يا أمير المؤمنين، أد عني ديته، فإنني أخاف أن أكون شاركت في موته.

وقيل: إنه مات من دَرَب المعدة.

وقيل: إنه لما خرج عنهم سأل مَنْ يرغب من الملوك في النحو، فقيل له: طلحة ابن طاهر بخراسان، فقصده، فلما انتهى إلى ساوة مرض ومات.

ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه، فقطرت دمعة من دموعه على خده، فرفع عينيه إليه، وقال: [الطويل]

أَخِيَّيْنِ كُنَا فَرَقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا      إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى، وَمَنْ يَأْمِنِ الدَّهْرُ!

ثم قال عند موته: [المتقارب]

نُؤَمِّلُ دُنْيَا لِنَبْقَى بِهَا      وَتَأْتِي الْمَنِيَّةُ دُونَ الْأَمَلِ

حَثِيثًا يَرَوِّي أَصُولَ الْفَسِيلِ      فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ

وفيه أنه مات بشيراز وقبر بها سنة ثمانين. وقيل سنة أربع وتسعين ومائة قال أبو سعيد الصولي: رأيت على قبره مكتوباً لسليمان بن يزيد: [الكامل]

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَوَّارٍ      وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَأَشْرَعُوا

تَرْكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ      لَمْ يُوْنَسُوكَ وَكَرْبَةً لَمْ يَذْفَعُوا

قُضِيَ الْقَضَاءُ وَصَرَتْ صَاحِبَ حُفْرَةٍ      عَنْكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

فَتَشَعَّبَتْ حِينَئِذٍ آراءَ الجَمْعِ ، في تجويزِ النُّصَبِ والزَّفْعِ ، فقالت فرقةٌ : رفعهما هو الصُّوابُ ، وقالت طائفةٌ : لا يجوزُ فيهما إلا الانتصابُ ، واستَبْهَمَ عَلَى آخِرِينَ الجوابُ ، واستَعَرَ بَيْنَهُمُ الاضطِطْخابُ ، وذلك الواغلُ يَبْدِي ابتسَامَ ذي معرفةٍ ، وإن لم يَفْهَمْ بِنْتِ شَفَةِ ، حَتَّى إِذَا سَكَنَتِ الزَّماجِرُ ، وَصَمَتَ المَزجورُ والزَّاجِرُ . قال : يا قوم ، أنا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ، وَأَمَيِّزُ صَحِيحَ القَوْلِ مِنْ عَليهِ ؛ إِنَّهُ لَيَجوزُ رَفْعُ الوَصِلِينَ وَنَصْبُهُمَا ، والمغايرةُ في الإعرابِ بَيْنَهُمَا ، وذلك بحسبِ اختلافِ الإضمارِ ، وتقديرِ المحذوفِ في هذا المضمَرِ . قال : ففرطَ من الجماعةِ إفراطٌ في مماراته ، وانخرط إلى مباراتِهِ .

\*\*\*

قوله : تشعبت ، تفرقت ، وَشَعَبْتُ الشَّيْءَ : فَرَّقْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ، وهو من الأضدادِ . ورجل شعاب : يضم ويجمع . آراء : جمع رأي . واستبهم : استغلق . استعر : اتقَدَّ . الاضططخاب : اختلاط الأصوات ، وقد صخب صخباً . بنت شفة : كلمة .

### [مما ورد في اختلاف النحويين]

ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعاني في رفع «وصل» وخفضه ، اختلاف أصحاب الواصلين على جارية غنَّت بحضرته : [الكامل]

أَظْلَمُوا إِنْ مَصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السُّلَامَ تَحِيَةً ظَلُمَ

وذكر الحريري في الدرة : أن أبا العباس المبرد ذكر أن أبا عثمان المازني قصده بعض أهل الذمة ليقرا عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار ، فامتنع أبو عثمان من قبول بذله ، فقلت له : جعلت فداك ! أترك هذه النفقة ، مع فافتك وشدة إضاقتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ، ولست أرى أن أمكن منه ذمياً ، غيرةً على كتاب الله وحميةً له .

قال : فاتفق أن غنَّت جارية بحضرة الواصل بقول الغرجي : أظلم . . . البيت ، فاختلف مَنْ بالحضرة في إعراب «رجل» فمنهم من نصبه بأن على أنه اسمها ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مُصِرَّةٌ على أن شيخها أبا عثمان لقنها إياه بالنصب ، فأمر الواصل بإحضاره . قال أبو عثمان : فلما مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قال : مَنْ الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : من أي الموازن ؟ أما زن تميم أم مازن قيس ؟ أم مازن أم ربيعة ؟ فقلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي وقال لي : باسمك ؟ يريد ما اسمك - وهم يلقبون الميم باء والباء ميماً إذا كان في أول الأسماء - فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لثلاث أواجهه بالمكر ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما

قصده وأعجب منه، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر: [الكامل]

\* أظلم إن مصابكم رجلاً<sup>(١)</sup> \*

أترفع «رجلاً» أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب، قال: ولم ذلك؟ فقلت: «إن مصابكم رجلاً» مصدر بمعنى إصابكم. فأخذ اليزيدي في معارضي فقلت: هو بمنزلة قولك: إن ضربكم زيدا ظلم، فالرجل مفعول بمصابكم ومنسوب به، الدليل عليه أن الكلام معلق إلا أن تقول «ظلم» فيتم. فاستحسنه الواصل وقال: هل لك من ولد؟ قلت: نعم، بنيت يا أمير المؤمنين، قال: ما قالت لك عند مسيرك؟ قلت: أنشدت قول الأعشى: [المقارب]

أيا أبئاً لا ترم عندنا      فإننا بخير إذا لم ترم<sup>(٢)</sup>  
أرانا إذا أضمرتك البلا      دئجق وتقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت قول جرير: [الوافر]

ثقي بالله ليس له شريك      ومن عند الخليفة بالنجاح<sup>(٣)</sup>

قال: أنت على النجاح إن شاء الله تعالى. ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرماً.

قال أبو العباس: فلما عاد إلى البصرة قال: كيف رأيت يا أبا العباس! ردنا لله تعالى مائة فعوضنا بألف.

قال الحريري: فهذه الحكاية ترعّب في اقتباس الأدب ودراسته حيث استعطف المازني الواصل ببيت الأعشى حتى اهتز لإحسان صلته.

(١) يروى البيت بتمامه:

أظلم إن مصابكم رجلاً      أهدى السلام تحيةً فلنم

وهو للمحارث بن خالد المخزومي في ديوانه ص ٩١، والاشتقاق ص ٩٩، ١٥١، والأغاني ٩/ ٢٢٥، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٤، والدرر ٥/ ٢٥٨، ومعجم ما استعجم ص ٥٠٤، وللعرجي في ديوانه ص ١٩٣، ودرة الغواص ص ٩٦، ومغني اللبيب ٢/ ٥٣٨، وللحارث أو للعرجي في إنباه الرواة ١/ ٢٨٤، وشرح التصريح ٢/ ٦٤، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٩٢، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٠٣، ولأبي دهيل الجمحي في ديوانه ص ٦٦، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ٢٢٦، وأوضح المسالك ٣/ ٢١٠، ومجالس ثعلب ص ٢٧٠، وجمع الهوامع ٢/ ٩٤.

(٢) يروى صدر البيت الأول:

أبانا فلا رمت من عندنا

والبيتان للأعشى في ديوانه ص ٩١، والبيت الأول في لسان العرب (ريم)، وتاج العروس (ريم)، والبيت الثاني في تاج العروس (ضم)، وأساس البلاغة (ضم)، وتهذيب اللغة ١/ ٣٧، وكتاب العين ٣/ ٢٢٤، ولسان العرب (ضم).

(٣) البيت في ديوان جرير ص ٩٨.

قال: وفي أخبار النحويين أيضاً أَنَّ المازني سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بِغِيًّا﴾ [مریم: ٢٨] فقيل له: كيف حذفت الهاء من «بغيا» وفعل بمعنى فاعل، تلحقه الهاء، نحو فتى وفتية وغني وغني، فقال: إن «بغيا» ليست «فعللاً» إنما هو فعول بمعنى فاعل، لأن الأصل «بغوى» ومن أصول التصريف أنه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، كشويته شيئاً، ويوم وأيام، وهذا أصل مطرد لم يشذ منه إلا القليل، فعلى هذه القضية تحذف الهاء وجوباً لأنها بمعنى «باغية»، كما تحذف من «صبور» لأنها بمعنى «صابرة».

قال المازني: حضر يعقوب عند الوائق وقد حاز منزلة العلماء، فقال لي الوائق: سله عن مسألة، فقلت له: ما وزن «نكتل»؟ فقال: «نفعل»، فقلت له: غلطت، ثم قال لي: فسرّه. فقلت: أصله «نكتيل»، فقلبت الياء ألفاً للفتحة قبلها وسكنت اللام للجزم، لأنه جواب أمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فقال الوائق: هذا الجواب لا جوابك يا يعقوب، فلما خرجنا قال لي يعقوب: ما حملك على هذا وبينني وبينك المودة؟ فقلت: والله ما ظننت أنه يعزب عنك مثل هذا! فانظر كيف لم يثبت يعقوب الأوزان على ثبوت قدمه في العلم.

لقي هارون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف عليه، وتحفّى بسؤاله عن حاله، فقال: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين عليّ لكان ذلك كافياً محتسباً.

ودخل أبو يوسف رحمه الله تعالى وهما في مذاكرة وممازحة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الكوفي قد غلب عليك، فقال: يا أبا يوسف إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي، وتأخذ بمجامعه، فقال الكسائي: يا أبا يوسف، هل لك في مسألة؟ فقال: في نحو أو في فقه؟ فقال: بل في فقه، فضحك هارون حتى فحص برجليه، وقال: تُلقني على أبي يوسف الفقه؟ فقلت: نعم، ثم قال: يا أبا يوسف، فما تقول في رجل قال لزوجه: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إذا دخلت الدار طلقت، قال: أخطأت يا أبا يوسف! فضحك الرشيد ثم قال: فكيف الصواب؟ قال: إذا قال: «أَنْ» وجب الفعل، دخلت بعد أو لم تدخل، وإذا قال «إِنْ» بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق.

دخل الفراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات، فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إنه قد لحن، فقال الرشيد للفراء: أتلحن يا يحيى؟ فقال: إن طبع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحن، فاستحسن الرشيد كلامه وعلم أنه الحق.

وهذا القدر من المناظرة النحوية كاف.

قوله: الزماجر، أي الأصوات من الجوف كصوت الأسد، الواحدة زمجرة. صمت: سكت. المزجور: المنهني، والزاجر: الناهي، وزجرته: انتهرته. أنبئكم بتأويله: أخبركم بتفسيره. المغايرة: المخالفة، وهي من لفظ «غير». المضمار: الموضع يختبر فيه جري الخيل. فزط: تجاوز الحد. مماراته: مخاصمته. انخرط: اندفاع وانطلاق، وخرط عبده: أطلقه على أذية الناس، والمرأة نكحها، والشجرة نثر ورقها بيده. مباراته: معارضته.



فقال: أما إذ دَعَوْتُمْ نَزَالَ، وتَلَبَّيْتُمْ لِلتَّضَالِ؛ فما كلمة هي إن شِئْتُمْ حرفٌ مَخْبُوبٌ، أو اسمٌ لِمَا فِيهِ حرفٌ حَلُوبٌ؟ وأي اسم يتردد بينَ فردٍ حازم، وجَمْعٍ مُلَازِمٍ؟ وأيُّ هاءٍ إذا التحقتْ أَمَاطَتِ الثَّقَلَ، وأُطْلِقَتِ الْمُعْتَقَلُ؟ وإِن تَدْخُلُ السَّيْنُ فتعزل العامل، من غير أن تجامِلَ؟ وما منصوبٌ أبداً على الظُّرفِ، لا يَخْفِضُهُ سِوَى حَرْفٍ؟ وأي مضافٍ أخلَ من عَرَى الإضافة بعزوة، واختلف حُكْمُهُ بين مَسَاءٍ وغُدوة؟ وما العاملُ الَّذِي يتصل آخره بأوِّله، ويعملُ معكوسه مثلَ عَمَلِهِ؟ وأي عاملٍ نائبه أرحبُ منه وكراً، وأعظمُ مَكْراً، وأكثرُ لِّلَّ تعالى ذكراً؟ وفي أي موطنٍ تَلَبَّسَ الذُّكْرَانِ بِرَاقِعِ التَّسْوَانِ، وتبرز رِبَاثُ الجَبَالِ بعمائم الرجال؟ وأين يجب حفظ المراتب، على المَضْرُوبِ والضارب؟ وما اسم لا يُعرف إلا باستضافة كلمتين، أو الاختصار منه على حَرْفَيْنِ وفي وصفه الأول التَّزَامُ، وفي الثاني إلْزَامٌ؟ وَمَا وَصَفَ إِذَا أُزْدِفَ بالنون، نقص صاحبه في العُيُونِ، وَقَوِّمَ بالدُّونِ، وَخَرَجَ مِنَ الرُّبُونِ، وتَعَرَّضَ لِلْهُونِ؟

فهذه اثنتا عشرة مسألة، وفقَّ عَدَدِكُمْ، وَزِنَةَ لَدَدِكُمْ، وَلَوْ زِدْتُمْ زِدْنَا، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا.



نزال، أي انزلوا للحرب، ولذلك بُنِيَتْ على الكسر لأنها في معنى فعل الأمر، وهي كلمة تقال في الحرب ولها مقامان: الأول أن ينزلوا من ظهور الإبل إلى ظهور الخيل، والثاني أن ينزلوا من ظهور الخيل إلى الأرض؛ وذلك أشدَّ ما يكون للحرب. تَلَبَّيْتُمْ: تحزمتم. التضال: المراماة بالسهم. حرف: ناقة. حلوب: لها لبن. حازم: مشمر، أخذ بالثقة. أَمَاطَتِ: أزالَت. المعتقل: المحبوس. تجامل، أي تلقى المعزول بجميل. أخل: نقص. معكوسه: مقلوبه. نائبه: القائم مقامه. أرحب منه وكراً: أوسع



موضِعاً. مكرراً: تصرفنا. الجِجال: جمع حَجَلَة، وهي الستر. المراتب: المواضع. استضافة: إضافة أردف: جعل رِدفه، أي خلفه. قَوْم: قدرت قيمته. الدون: الحقير. الزُّيون: الكريم الكثير دفع العطايا، أي أخرج من هذه الصفة. والهُون: الهوان. وفق: موافقة. لددكم: خصامكم. عدتم: رجعتم للخصام.

ومن ملح ابن رشيقي في مליح نحوي: [السرير]

إن زارني يوماً على خلوة      أوزرته في موضع خالٍ  
كنت له رفعاً على الابتدا      وكان لي نصباً على الحال  
وقال الميكالي: [البسيط]

أفدى الغزال الذي في النحو كلمني      مجادلاً فاجتنيث الشهد من شَفْتِهِ  
وأورد الحججَ المقبولَ شاهده      مناظراً ليُريني قُضْلَ معرفته  
ثم اتفقنا على رأيٍ رضيت به      والرفع من صفتي والخفض من صفته

\*\*\*

قال المخبرُ بهذه الحكاية: فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَحَاجِيهِ الَّتِي هَالَتْ، لَمَّا انْهَالَتْ، مَا حَارَتْ لَهُ الْأَفْكَارُ وَحَالَتْ. فَلَمَّا أَعْجَزَ الْعَوْمُ فِي بَخْرِهِ، وَاسْتَسَلَّمَتْ تَمَائِمُنَا لِسِخْرِهِ، عَدَلْنَا عَنْ اسْتِثْقَالِ الرُّؤْيَةِ لَهُ، إِلَى اسْتِثْزَالِ الرُّوَايَةِ عَنْهُ، وَمِنْ بَغْيِ التَّبَرُّمِ بِهِ، إِلَّا ابْتِغَاءَ التَّعَلُّمِ مِنْهُ.

فَقَالَ: وَالَّذِي نَزَلَ النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ، مَنَزَلَةُ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، وَحَجَبُهُ عَنْ بَصَائِرِ الطَّعَامِ؛ لَا أَنْلَتَكُمْ مَرَامًا، وَلَا شَفَيْتُ لَكُمْ غَرَامًا، أَوْ تَخَوَّلْنِي كُلُّ يَدٍ، وَيَخْتَصِنِي كُلُّ مِثْكَمٍ بِيَدٍ. فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أَدْعَنَ لِحُكْمِهِ، وَبَنَدَ إِلَيْهِ حُبْنَاءَ كُفْمِهِ. فَلَمَّا حَصَلَتْ تَحْتِ وَكَأَيِّهِ، أَضْرَمَ شُعْلَةً ذَكَائِهِ، فَكَشَفَ حِينَئِذٍ عَنْ أَسْرَارِ الْأَغَارِهِ، وَبَدَأَ إِعْجَازَهُ، مَا جَلَّأَ بِهِ صَدَأَ الْأَذْهَانِ، وَجَلَّى مَطْلَعَهُ بَنُورِ الْبِرْهَانِ.

قال الراوي: فهمنّا، حينَ فهمنّا، وعَجِبْنَا إِذْ أُجِبْنَا، وَتَدِمْنَا عَلَى مَا نَدِمْنَا. وَأَخَذْنَا نَعْتَذِرُ إِلَيْهِ اغْتِدَارَ الْأَكْيَاسِ، وَنُعْرِضُ عَلَيْهِ ارْتِضَاعَ الْكَأْسِ. فقال: مَارَبُّ لَا حَفَاوَةَ، وَمَشْرَبٌ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَنْدِي حَلَاوَةٌ، فَأَطْلُنَا مُرَاوَدَتَهُ، وَوَالَيْنَا مُعَاوَدَتَهُ.

\*\*\*

أحاجيه: ألغازه: هالت: عظمّت في النفوس. انهالت: انصبّت، وانهال الرمل: انصبّ أعلاه إلى أسفله. الأفكار: الأذهان. حالت: تغيرت. استسلمت: انقادت.

تمائمنا: معاذاتنا، وهي الأحراز. عَدَلْنَا: ملنا. الروية: الفكرة. استنزال: طلبه بتلطف. بغي: ظلم. ابتغاء: طلب. التبرم: الاستئقال، ويرم بالأمرَ برماً: ضجر، واليرم: البخيل الذي لا يدخل في الميسر. والبصيرة: اليقين والمعتقد وجمعها بصائر، والطغام: الأوغاد وأرذال الناس. أنلتكم: أعطيتكم. مرأماً: مراداً. تخولني: تملكني وتعطيني. يختصني: يفردني. بيد، أي نعمة. أذعن: انقاد وذَلَّ. نبذ: رمى. حُبَاة كمة: ما خبىء فيه. بدائع: غرائب. إعجازه: ما عجز به. جَلَاً: كشف. صداً: وسخ. جَلَى: أوضح. البرهان: الحجّة. همنّا: تحيرنا لحسن ما سمعنا، وهام الرجل: ذهب في غير طريق. فهمنا، من الفهم، أي عرفنا. نَذَّ: سبق وخرج، يريد الخصام الذي بدروه به وردُّوا كلامه، ونَذَّ أصله شَرَد البعير. قوله: الأكياس: الحَذَاق العقلاء. ارتضاع: شرب. مأرب: حاجة، قال يعقوب: قال الأموي: ومن الأمثال: مأرب لا حفاوة، يضرب للرجل إذا كان يتملّك، أي إنّما بك حاجة إليّ لا حفاوة لي. قال ابن سيده: مأرب بيننا، يكون واحداً وهو السابق، ويكون جمع مأربة، من الجمع الذي يفارق واحده بالهاء. حفاوة: تهّم، وقد حفيت بك، أي تهتمت واعتنيت. ومشرب لم يبق له عندي حلاوة، قال الشاعر في معناه: [الطويل]

ولم أجتنب شرب المُدَام لعلّي      ولم ألحق الصُّهْبَاء ذمّاً ولا عَدْلًا  
تنافرنني أن صرْتُ ضدّاً لشكلها      فليست لنا أهلاً، ولستُ لها أهلاً  
وقال ابن رشيق: [البسيط]

قرعت سنّي على ما فاتني ندماً      من الشَّبَاب وَمَنْ بالهَوِّ للشَّيْب  
فقد رددت كؤوس الرّاح مترعةً      على السّقاة وكانت جَلّ مشروبي  
أنزّه السمعَ والعينين في نغم      ومنظر عابثٍ بالحسن والطُّيبِ  
من كلّ لافظية بالدّرّ باسميةً      عنه محلاّ نوع منه مشقوب  
أيام تصحبني الغزّلان آنسةً      هذا على أنني أعْدَى من الذُّيْبِ  
والسابق لرذ الكأس لعة الكبر أيمن بن خُرَيْم بن فاتك الأسديّ في قوله: [الطويل]

وصهباء جرجانية لم يَطُفْ بها      حنيفٌ ولم يسعر بها ساعةٍ قِذْرٌ<sup>(١)</sup>  
ولم يحضر القَسّ المهينم نازهاً      طُروقاً، ولم يشهد على طبخها حَبْرُ  
أتاني بها يحيى وقد نمت نومّةً      وقد غابت الشّعْرى وقد جَنَحَ الشَّمْرُ

(١) يروى البيت الأول:

وصهباء ميسانية لم يُقَمَّ بها      حنيف ولم تشغَرْ بها ساعةٍ قِذْرُ  
وهو بلا نسبة في لسان العرب (تغرى)، وتاج العروس (تغرى)، وتهذيب اللغة ٨١/٨.

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسبقها      فما أنا بعد الشيب ويحك والخمرُ  
تعففت عنها في السنين التي خلت      فكيف التصابي بعدما كلاً العُمرُ  
إذا المرء وقى الأربعين ولم يكن      له دون ما يأتي حياءً ولا يسُرُ  
فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى      وإن جرّ أسباب الحياة له الدهرُ

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: من لم يروِ هذه الأبيات فلا مروة له،  
أنشدنا أبو علي في نوادره. وأنشد أيضاً: [المقارب]

رأيتُ التَّبيذ يُذَلِّ العزیز      ويكسو التقيّ التقيّ اتساخاً<sup>(١)</sup>  
فهبني عذرتُ الفتى جاهلاً      فما العذر فيه إذ المرء شاخاً

وأنشد أيضاً في نوادره لمن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية مروةً جملة أشعار،  
شهرتها في الكتاب أغنت عن ذكرها، وأين شرف أولئك في جاهليتهم - على أن الخمر  
مباحة لهم - من مجون جماعة من الإسلاميين - على تحريمها عليهم - مثل الرمادي في  
قوله: [الطويل]

أفي الخمر لامت خلّتي مستهامها      كفرت بكأسي إن أطعت ملامها  
لمحمولة في الفلك في جنة المنى      قد أوصى لنوح غرسها وضمّامها  
فخادعهُ إبليس عنها لعلمه      بها فرأى كتمانها واغتنامها  
ففاز بثلثيها ونوح بثلثها      ولولا مضي عنه لم يك رآمها  
له حظ أنشئ وهو حظ مذكر      قليل لعيني أن أطيل انسجامها  
وإنّا لَوِثْرانٍ وقد مات جدنا      عنيّنا وإنّا لا نجيز اقتسامها

أخذ هذا من خير يروي، أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما نزل من السفينة، نازعه  
إبليس أصل العنب، فاصطلحا أن نوح الثلث وإبليس الثلثين.

ولما قيل للحسن: نزعْتَ عن اللهو إلى التوبة، قال: [البيسط]

قالوا نزعْتَ ولمّا يعلموا وطري      في وصل أغيد ساجي الطُرف مَيّاس  
كيف النزوع وقلبي قد تقسّمه      لحظ العيون ولون الراح في الكاس  
إذا نزعْتَ إلى رشِدٍ تكتفني      رأيان قد شغلا يسري وإفلاسي  
فاليسر في القصف واللذات أخلصها      والعمر في وصل مَنْ أهوى من النَّاس  
لا خير للعيش إلا في المجون مع      الأكفاء في الورد والخيريّ والآس  
ومسمع يتغنى والكؤوس لها      حتّ علينا بأخماس وأسَداس

(١) البيتان بلا نسبة في أمالي القاضي ١٣٩/٢.

يا موري النار قد أعيت قوادحه أقبس إذا شئت من قلبي بمقياس

\*\*\*

فَسَمَحَ بِأَنفِهِ صَلَفًا، وَنَأَى بِجَانِبِهِ أَنْفًا، وَأَنْشَدَ: [البسيط]

نَهَانِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاجِي      فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ  
وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاجِي مِنْ مَعْتَقَةٍ      وَقَدْ أَنَارَ مَشْيِبُ الرَّأْسِ إِصْبَاجِي  
أَلَيْتَ لَا خَامِرَتِي الْخُمُرُ مَا عَلِقَتْ      رُوحِي بِجَسَمِي وَالْفَاطِي بِإِفْصَاحِ  
وَلَا اكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ السَّلَافِ يَدُ      وَلَا أَجَلْتُ قِدَاجِي بَيْنَ أَقْدَاحِ  
وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صِرْفٍ مُشْعَشَعَةٍ      هَمِّي وَلَا رُخْتُ مُزْتَحَا إِلَى رَاحِ  
وَلَا تَنَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا      سَمَلِي وَلَا اخْتَرْتُ تَذْمَانًا سَوَى الصَّاجِي  
مَحَا الْمَشْيِبُ مِرَاجِي حِينَ خَطَّ عَلَى      رَأْيِي، فَأَبْغَضَ بِهِ مِنْ كَاتِبِ مَا جِي  
وَلَاخَ يَلْحَى عَلَى جَرِي الْعِنَانِ إِلَى      مَلْهُى فَسُخِّقَ لَهُ مِنْ لَائِحِ لَا جِي  
وَلَوْ لَهَوْتُ وَقُودِي شَائِبَ لَحَبَا      بَيْنَ الْمَصَابِيخِ مِنْ عَسَانِ مُصْبَاجِي  
قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمْ      وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَا صَاحِ  
ثُمَّ إِنَّهُ انْسَابَ انْسَابَ الْأَيْمِ، وَأَجْفَلَ إِجْفَالَ الْغَيْمِ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سِرَاجُ سُرُوجِ،  
وَبَذَرَ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجِ. وَكَانَ قُضَارَانَا التَّحْرِقُ الْبُعْغِيهِ، وَالتَّفَرُّقُ مِنْ بَعْدِهِ.

\*\*\*

قوله: «شمخ»، أي تكبر ورفع أنفه. صلفًا: قحة وصلابة وجه، وفي فلان صلف، أي قلة انطباع وموافقة إذا أردت منه شيئاً تهاون بك، والتصليفان: ناحيتا العنق، كأنه إذا كلمته في شيء أعرض عنك، ولوى عنك صليقه، والصلف مجاوزة قدر الظرف، وفي الشهاب: آفة الظرف الصلف. ناء: نهض، ويروى: نأى، تباعد. أنفًا: غضبا، وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت، وأصله من رفع الأنف، فكأنه رفع أنفه تيهًا عليهم وتكبرا عن منادمتهم لاحتقارهم له أولا قبل اختباره، ثم تبدلهم آخر بعد اعتباره؛ واعتذر لذلك بالشيب.

ونذكر هنا فصلاً أدبيًا يأتي على جميع أغراض هذه الأبيات:

قال بعض الظرفاء يذم الخمر: الشراب: أول الخراب، ومفتاح كل باب، يمحق الأموال، ويذهب الجمال، ويهدم المروءة، ويوهن القوة، ويضع الشريف، ويذل العزيز، ويبيع الحرائر، ويفلس التجار، ويهتك الأستار، ويورث الشنار.  
وقال بعضهم لابنه: كثرة الشراب تكسد القلب، وتقل الكسب، وتغير اللب، واعلم أن الظمأ الذابح، خير من الرّي الفاضح.

وقال يزيد بن محمد المهلب يذمه : [الطويل]

لعمرك ما يحصى على الناس شرّها  
مراراً تريك الغيّ رشداً، وتارةً  
وأنّ الصديق الماحض الودّ مبغضٌ  
وجرّيت إخوان النبيذ فقلّما  
وإن كان فيها لذة ورّخاء  
تخيل أنّ المحسنين أساؤوا  
وأنّ مديح المادحين هجاء  
يدوم لإخوان النبيذ إخاء

وقال ابن الرومي : [الطويل]

مودة إخوان النبيذ سلافةٌ  
فبيننا نراهم أهل ألف وائرة  
فأما إذا ناديتهم لملّة  
ولهذا كتب الحسن إلى صديق له يستهدي منه مشروباً : [السريع]

لما رأيت الحظّ للقاعد  
خلوت في بيتي وحدي ولا  
فابعث بها تشغلني واكفني  
رؤية هذا العالم الفاسد  
والناس من واش ومن حامد  
أقلّ في الأعداد من واحد

وقال أيضاً : [السريع]

خلوت بالخمّر أناجيها  
نادمتها إذ لم أجد صاحباً  
شربتها صرفاً على وجهها  
فكنت ساقبها وجانيها  
أشرب منها وأعاطيها  
أرضاه أن يشركني فيها

قيل لبعضهم : لم لا تتخذ لك نديماً؟ قال : لأنه مأخوذ من الثدّم.

واختلفوا في اختيار استعمال النديم، فمنهم من اختار نديماً واحداً، ومنهم من انتهى في الاختيار إلى ستة بالساقبي وصاحب البيت، وما زاد على ذلك فمذموم بإجماع منهم. قال : وأنشدوا في ذلك : [الطويل]

وخير الثدّمي ستة من ذوي الجحى  
ويحمد في الإخوان من كان محسناً  
فخمسة إخوانٍ وآخر يمتنع  
بصوت يغنيه ولا يتمنع



قوله : نهاني الشيب، جعله الناهي عن اللذات، لأنه الداعي إلى الفناء والنذير بالموت، وما يقول بغير هذا إلا متكلف عذر، كقول أعرابي - ويروى لإبراهيم بن المهدي :

لقد جَلّ قدر الشيب أنّ كان كلما  
بدت شيبة يعري من اللهو مَرَكَبُ

وقال المعدّل: [الخفيف]

لاح شيببي فظِلْتُ أمرُ فيه  
وتولّى الشباب فازددت ركضاً  
إنّ من ساءه الزمان بشيبٍ  
أتراني أسوء نفسي لَمّا  
وقال البحرّي يعتذر منه: [الخفيف]

عَيَّرْتَنِي بالشَّيب وهي رمته  
لا تَزِيه عاراً فما هو بالشَّيب  
وبياض البازي أصدق حسناً  
أخذه ابن رشيّق فقال: [الوافر]

وإن لم تعجبني بيباس شُغِر  
تعافين المشيب وليس هذا  
وقال حبيب يتشكاه: [الخفيف]

أصبحت روضة الشباب هشيماً  
شعلة في المفارق استودعتني  
عُرّة بُهمةً ألا إنما كُنْتُ  
دَقّة في الحياة تُذعَى جلالاً  
وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

الشيب كره وكره أن يفارقني  
يمضي المشيب فلا يأتي له خلفٌ

أخذه سليمان بن وهب حين نظر إلى المرأة، فقال: عيب لا عدمناه. وقال أبو الفتح البستي: [الكامل]

يا شيبتي دومي ولا تترخّلي  
قد كنت أجزع من حُلُولك مدّة

وزاد أبو الطيب على هذا فقال: وذكر أنه يتمّى الشيب في زمن الشباب: [الطويل]

(١) الأبيات في ديوان البحرّي ص ٨٤.

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ٢٢٣/٣ (طبعة المعارف).

مُتَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خَضَابٌ      فَيُخْفَى بِتَبْيِيزِ الْقُرُونِ شَبَابٌ<sup>(١)</sup>  
 لِيَالِيَّ عِنْدَ الْبَيْضِ قُودَايَ فَتَنَةٌ      وَفُخْرٌ وَذَاكَ الْفُخْرُ عِنْدِي عَابٌ  
 فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي      وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ  
 كَأَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ نَسِيَ مَا قَالَهُ فِي الشَّيْبِ فِي الزَّمَنِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ يَشْتَهِيهِ وَيَتَمَنَّاهُ:  
 [البسيط]

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضاً لَا بَيَاضَ لَهُ      لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَالَ رَبْعِي: [المنسرح]

مَنْ كَانَ يَبْكِي الشَّبَابَ مِنْ أَسْفٍ      فَلَسْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ أَسْفٍ  
 كَيْفَ وَشَرَحَ الشَّبَابَ أَوْقَفَنِي      يَوْمَ حَسَابِي مَوَاقِفَ الثَّلَفِ  
 لَا صَحْبَتْ شِرَّةَ الشَّبَابِ وَلَا      عَدِمْتُ مَا فِي الْمَشِيبِ مِنْ خَلَفٍ  
 وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ: [مخلع البسيط]

أَرَاكَ لِلشَّيْبِ ذَا اكْتِثَابٍ      فَأَيْنَ تَمْضِي عَنِ الصَّوَابِ  
 إِنْ كُنْتَ تَرَعَى الْوَفَاءَ حَقًّا      فَالشَّيْبُ أَوْفَى مِنَ الشَّبَابِ

وحقيقة الأمر أنه ما زال الناس يكرهون الشيب ويذمونه، نثراً ونظماً. لما فيه من دليل الفناء، والهجنة عند النساء، وقطع اللذات بالرقة والحياء، ويحبون الشباب ويمدحونه، لما فيه من عذرة الجاهل، وإتيان العاجل، وحسن الشمائل؛ إلا أن لطف الحذاق من الشعراء في تحسين ما كانوا يكرهون، وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضةً للنفوس، وتوسعاً في القول، كما قال أحدهم: [الطويل]

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الْعِذَارِ لَوَامِعُ      وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ!  
 وقالوا: في الشيب استحكام الوقار، وتناهي الحلال، وميسم التجربة، فهذه مقاصدهم فقف عليها.

قوله: أفراحي: جمع فرح، الراح: الخمر، والثاني جمع راحة، وهي الكف. معتقة: خمر قديمة شديدة الحمرة. أنار: بَيَضَ. إضباحي: احمرار شعري، والصبغ: حمرة الشعر، وضعه موضع السواد، لأنَّ كِلَيْهِمَا مِنْ حَلِيَةِ الشَّبَابِ، وحمله على هذا ما ضمن الشيب من التحسين فيقول مستفهماً: هل يجوز شربي في البكور من خمر صافية في حال تغيير الكبر شبابي، وتبديله حلية الشباب بحلية الشيوخ. خامرتني: خالطتني. إفصاحي: تبينني. السلاف: الخمر. وأجلت: صرفت. قداحي: سهام الميسر. أقذاح:

(١) الأبيات في ديوان المتنبي ١/ ١٨٨.

(٢) البيت في ديوان المتنبي ٤/ ٣٥.

جمع قِدَح، وهو الكأس. صرفت: رددت. صِرَف: خمر. مشعشة: رقيقة المزيج. هَمَّتِي: إرادتي. رُخْتُ: مشيت بالعشي. مرتاحاً: مهتراً من الطرب، وارتاح: وجدّ راحة الطلب أو خفة الكرم. نظمت: جمعت. مشمولة: خمر، وهي الشُمول، سميت بذلك لاشتغالها على عقل صاحبها، وقيل: لأنها تشمل القوم بريحها، أي تعمهم. وقيل: لها عصفة كعصفة الريح الشمال. شملي: مجموع أمري، والتدمان: هو النديم. الصاحي: المُفَيِّق من سكره. مَحَا: أزال. مراحي: طَرَبِي. خط: كتب. أبغض به، أي ما أبغضه إلي. لاح: ظهر يلحى: يلوم ويغلظ القول. جَرَى العنان، أي انهماكي في الملاهي. مَلَّهِي: لهو. سُخِّقاً: بعداً. لائح: ظاهر في الرأس. لاح: شاتم وعائب، يريد أن شبيه لاح في رأسه فلحاه على اللهو والصِّبا. قَوْدِي: جانب رأسي. شائب: فيه الشيب. خبا: طفىء وسكن ضوؤه. غسان: قبيلة. وأحسن ما سمعت في شيب الفؤد، وفي وخط المشيب الذي ذكر، قول عبد الرحيم بن هارون: [الوافر]

رأيت الشيب مبتسماً بفودي	ففاضت أدمعي بدم الفؤاد
وعمري كل يوم في انتقاص	وذاك النقص لقّب بالزياد
ولي خطٌ وللايام خط	وبينهما مخالفة المِداد
فأكتبه سواداً في بياض	وتكتبه بياضاً في سواد

أنشدها الفنجديهي وقال عند إنشادها: ولعبد الحميد أبيات، كأنها روضات جنات. قوله: سجاياهم، أي طبائعهم. يا صاح، أراد يا صاحب فرختم لكثرة الاستعمال. ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف، والشيب ضيف وجب عليه توقيره. ومراعاة مثل هذا العموم قد تقدّم له في ذم الزجاج الذي جرت عليه سبيله، وأخذ هذا من قول دعبل: [الوافر]

أحبّ الشيب لِمَا قِيلَ ضيفٌ      كحبّي للضيُوفِ النَّازِلِينَا<sup>(١)</sup>  
وقال المتنبي في ذم هذا الضيف: [البسيط]

ضيفٌ أَلَمْ يَرَأْسِي غير محتشم      والسيفُ أَحْسَنُ فِغْلًا منه بِاللَّمِّ<sup>(٢)</sup>  
أبعدُ بعدت بياضاً لا بياض له      لأنّ أسودُ في عيني من الظُّلَمِ  
وقال محمود الرّاق: [الكامل]

للضيف أن يُقرَى ويُعرف حَقُّه      والشيب ضيفٌ فافره بخضاب  
وافي بأصدق شاهد ولربّما      وافي المشيب بشاهد كذاب

(١) البيت في ديوان دعبل بن علي ص ١٥٠.

(٢) البيتان في ديوان المتنبي ٣٥/٤.



فافسخ شهادته عليك بخضبة تنفي الظنون بها عن المرتاب  
فإذا دنا وقت الرحيل فخله والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وقوله: والشيب ضيف له التوقير، قام وكيع لسفيان فنكر قيامه إليه فقال: أنتكر عليّ قيامي إليك، وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المسلم». قال: فأخذ سفيان بيده، فأقعده إلى جانبه.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله تعالى له من يكرمه عند كبر سنه».

وقال ﷺ: «أوحى إليّ ربي يقول: الشيب على عبدي المؤمن نور من نوري، وأنا أكرم من أن أحرق نوري بناري».

وحدث محمد بن مسلم الخواص الرجل الصالح. قال: رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت قالها ثانية وثالثة، فلما أفقت قلت: يا رب، ما هكذا حدثت عنك، فقال تعالى: وما حدثت عني؟ قلت: حدثني عبد الرزاق، قال: حدثني معمر بن راشد، عن ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك، عن نبيك محمد ﷺ عن جبريل، عنك يا عظيم؛ أنك قلت: ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحيت منه أن أعذبه بالنار، فقال الله عز وجل: صدق عبد الرزاق وصدق معمر، وصدق الزهري وصدق أنس وصدق نبيي وصدق جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة.



### تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأخير من الأغنية الذي هو: «فإن وصلاً ألد به»؛ فإنه نظير قولهم: المرء مجزي بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه:

أحدها - وهو أجودها - أن تنصب: «خيراً» الأول وترفع الثاني. وتنصب: «شراً» الأول وترفع الثاني، ويكون تقديره: إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر، فتنصب الأول على أنه خبر كان، وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف. وقد حذفت في هذا الوجه «كان» واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو «إن» على تقديرهما. وحذف أيضاً المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه؛ لأنه كثيراً ما يقع بعدها.

الوجه الثاني: أن تنصبهما جميعاً، ويكون تقدير الكلام: إن كان عمله خيراً فهو يُجزى خيراً، وإن كان عمله شراً فهو يجزى شراً؛ فينتصب الأول على أنه خبر «كان» وينتصب الثاني انتصاب المفعول به.

والوجه الثالث: أن ترفعهما جميعاً، ويكون تقدير الكلام: إن كان في عمله خير فجزاؤه خير، فيرتفع «خير» الأول على أنه اسم «كان» ويرتفع «خير» الثاني على ما بُيِّن في شرح الوجه الأول.

وقد يجوز أن يرتفع «خير» الأول على أنه فاعل «كان» وتجعل «كان» المقدرة ها هنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع، فلا تحتاج إلى خبر كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ويكون التقدير في المسألة: إن كان خيراً فجزاؤه خير، أي إن حدث خير فجزاؤه خير.

والوجه الرابع: وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدّم شرحه في الوجه الثالث، وتنصب الثاني على ما بُيِّن ذكره في الوجه الثاني، ويكون التقدير: إن كان في عمله خير فهو يجزى خيراً، وعلى حسب هذا التقدير والمقدّرات المحذوفات فيه يجري إعراب البيت الذي عُثِيَ به. ومما ينتظم في هذا السلك قولهم: المرء مقتول بما قُتل به؛ إن سيفاً سيف، وإن خنجرًا فخنجر.

وأما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب، فهي «نعم»، إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف، وإن عنيت بها الإبل فهي اسم. والتَّعْم تذكّر وتؤنث وتُطلق على الإبل وعلى كلّ ماشية فيها إبل. وفي الإبل الحَرْف وهي الناقة الضامرة، سُمِّيت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف. وقيل: إنها الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل.

وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم، فهو: سراويل، قال بعضهم: هو واحد وجمعه سراويلات، فعلى هذا القول هو فرد، وكفى عن ضمه الحَضْر بأنه حازم.

وقال آخرون: بل هو جمع، واحده سِرْوَال، مثل: شمال وشماليل، وسِرْبَال وسرايل، فهو على هذا القول جمع.

ومعنى قوله: ملازم، أي لا ينصرف؛ وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع، وهو كلّ جمع ثالث ألف وبعدها حرف مشدّد، أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرّده دون غيره من المجموع بأن لا نظير له في الأسماء والآحاد، وقد كني في هذه الأُخْجِيّة عمّا لا ينصرف بالملازم، كما كني في التي قبلها عمّا ينصرف باللازم.



وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل، وأطلقت المعتقل، فهي الهاء اللاحقة

بالجمع المقدم ذكره، كقولك: صيارفة وصياقلة، فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به، لأنها قد أصارت إلى أمثال الآحاد، نحو: رفاهية وكراهية فخفف بهذا السبب وصُرف لهذه العلة. وقد كني في هذه الأحجية عمّا لا ينصرف بالمعتقل، كما كني في التي قبلها عمّا لا ينصرف باللازم.

وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل، فهي التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن، التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب، فيرتفع حينئذ الفعل وتنقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة، وذلك كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾ [المزمل: ٢٠]، وتقديره: علم أنه سيكون.

وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف، فهو: «عند» إذ لا يجره غير «من» خاصة، وقول العامة: ذهبت إلى عنده لئخُن.

وأما المضاف الذي أُخِلَّ من عَرَى الإضافة بعزوة، واختلف حكمه بين سماء وغدوة، فهو «لَدُنْ» ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة، وكلّ ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غُدوة، فإن العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام، ثم نوّنتها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة، لا أنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف، وعند بعض النحويين أن «لَدُنْ» بمعنى «عند»، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً، وهو أن «عند» يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكّنتك، ممّا دنا منك وبُعّد عنك ولدن يختصّ معناها بما حضرك وقُرّب منك.

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه مثل عمله، فهو: «يا»، ومعكوسها «أي»، وكلتاها من حروف النداء، وعملهما في الاسم المنادى سيان، وإن كانت «يا» أجول في الكلام، وأكثر في الاستعمال. وقد اختار بعضهم أن ينادي بأيّ، القريب فقط كالهزمة.

وأما العامل الذي نائبه أرحب منه وكرا، وأعظم مكرًا، وأكثر الله تعالى ذكرًا، فهو باء القسم؛ وهذه الباء هي أصل حُرُوف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك: أقسم بالله، ولدخولها أيضاً على المضمر، كقولك: بك لأفعلن؛ وإنما أبْدِلت الواو منها في القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة؛ ثم لتقارب معنييهما؛ لأنّ الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق، وكلاهما مثق، والمعنيان متقاربان. ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأغلق بالأقسام؛ ولهذا الغز بأنها أكثر الله تعالى ذكراً. ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء، لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم، ولا تعمل غير الجز، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف. وتجرّ تارة بالقسم وتارة بإضمار ربّ. وتنظم أيضاً نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برُحْب الورك وعظم المكر.

وأما الموطن الذي يلبس فيه الذَّكران براقع النسوان، وتبرُّز فيه رِبات الحجال بعمائم الرجال، فهو أوَّل مراتب العدد المضاف، وذلك بين الثلاثة إلى العشرة، فإنه يكون مع المذكر بالهاء، ومع المؤنث بحذفها، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث، كقولك: قائم وقائمة وعالم وعالمة، فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضدِّ قالبه، وبرز في بَرَّة صاحبه.

وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب عن المضروب والضارب، فهو حيث يشبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما، وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى، أو من أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا. فيجب حينئذٍ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته، ليعرف الفاعل منهما بتقدمه، والمفعول بتأخره.

وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين، أو الاختصار منه على حرفين فهو «مهما» وفيها قولان: أحدهما: أنها مركبة من «مه» التي هي بمعنى اكفف، ومن «ما» والقول الثاني - وهو الصحيح - أنَّ الأصل فيها «ما» فزيدت عليها «ما» أخرى، كما تزد على «إنَّ» فصار لفظها «ماما»، فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد، فأبدلوا من ألف «ما» الأولى «ها» فصارتا «مهما». ومهما من أدوات الشرط والجزاء، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام، ولا عُقِلَ المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها، كقولك: مَهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزماً للفعل، وإن اقتصرت منهما على حرفين وهما «مه» التي بمعنى اكفُف، فهم المعنى وكنت ملزماً مَنْ خاطبته أن يكفَّ.

وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون، وقُوِّم بالدوْن، وخرج من الزُّبون، وتعرَّض للهُون، فهو «ضيف» إذا لحقته النون استحال إلى «ضيفن» وهو الذي يتبع الضيف ويتنزَّل في النقد منزلة الزُّيف.

## وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال: شتوت بالكرج لدين أقتضيه، وأرب أفضيه، فبلوت من شتائها الكاليج، وصرّها النافع، ما عرّفني جهّد البلاء، وعكف بي على الاضطلاء؛ فلم أكن أزايل وجاري، ولا مستوقد ناري، إلا لضرورة أذفع إليها، أو إقامة جماعة أحافظ عليها، فاضطررت في يوم جوه مزمهر، ودجنه مكفهر إلى أن برزت من كيناني، لمهم عتاني؛ فإذا شيخ عاري الجلد، بادي الجردة، وقد اعتم بریطة، واستنفر بقويطة، وحواليه جمع كثيف الحواشي، وهو ينشد ولا يحاشي.

\*\*\*

شتوت: أقمت في الشتاء.

## [الكرج]

والكرج: مدينة معروفة، وبشدة البرد موصوفة، وهي بين أصبهان وهمدان، وقد تقدم برد همذان في الأولى، ومن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن الكرج إلى مدينة أصبهان ستون فرسخاً. وهي منازل عيسى بن إدريس بن معقل العجلي، ولم تكن في أيام العجم مدينة مشهورة، وإنما كانت في عداد القرى العظام من رساتيق كورة أصبهان، فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور، وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة.

وقال أبو دلف: دخلت على الرشيد، فقال لي: يا قاسم، ما خبر أرضك؟ قلت: خراب يباب، خربها الأكراد والأعراب، فقال قائل: هذا آفة الجبل وهو أفسده، فقلت: فأنأصلحه. قال الرشيد: وكيف ذلك؟ قلت: أفسدته وأنت علي وأصلحه وأنت معي. ففعل ذلك، وعمر الكرج، حتى صار دار أجناد، ومحل وفود وقصاد.

وقال علي بن جبلة: زرته في الجبل، فلما حللت بالكرج، أظهر من برّي وإكرامي أمراً مفراطاً، حتى تأخرت عنه تأخراً كبيراً. فوصل إليّ معقل بن عيسى، فقال: يقول الأمير: انقطع عني، وأحسبك استقللت برّي، فلا يغضبك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى فقلت: والله ما قطعني عنه إلا إفراطه بالبر. قال: وكتب إليه في ذلك:

هجرتك لم أهنئك من كفر نعمة  
ولكنني لما أتيتك زائراً  
فأليت لا أتيك إلا مسلماً  
فإن زدّني برّاً تزايدت جفوة  
فلما وصلت إليه، قال: قاتله الله ما أشعره، وأدق معانيه! فأجابني لوقته، وكان  
حسن البديهة: [الطويل]

ألا ربّ ضيف طارق قد بسطته  
أتاني يرجّيني فما حال دونه  
وجدت له فضلاً عليّ بقصده  
فزودته مالا يقلّ بقاؤه  
وبعث إليّ بها وبألف دينار مع وصيفة، فقلت حيثذ: [مخلع البسيط]

إنما الدنيا أبو دلف  
فإذا ولّى أبو دلف  
ملك تندى أنامله  
مستهلّ عن مواهبه  
جبل عزّت مناكبه  
كلّ من في الأرض من عرب  
مستعير منه مكرمة  
والبيت الثاني أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه.



قوله: أفتضيه، أي أجمعه. أرب: حاجة. بلوت: قاسيت. الكالج: الشديد، وكلج كلوحاً: أبدى أسنانه عند العبوس، والبرد الشديد يبدى الأسنان عند رعده. صرّها: بردها الشديد. النافح: المتحرك بالريح الباردة. جهد البلاء: مشقة الضرّ، ويقال: بلغ جهده، أي أقصى قوته، فأراد بجهد البلاء المشقة التي يتمنى الإنسان عندها الموت، وكان رسول الله ﷺ يستعيز منه<sup>(١)</sup>.

أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: علّمني رسول الله ﷺ هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ

(١) لفظ الحديث: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء»، أخرجه البخاري في الدعوات باب ٢٨، والقدرد باب ١٣، ومسلم في الذكر حديث ٥٣، والنسائي في الاستعاذة باب ٣٤، ٣٥.

بك من سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء»<sup>(١)</sup>؛ وروي في «جهد البلاء»، أنه القتل صبراً.

أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال: قتل الصبر جهد البلاء.

وقال رحمه الله: «جهد البلاء أن تحتاج إلى ما في أيدي الناس فيمنعوك».

مجاهد قال: كنت جالساً عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة، فأتني برجل أن يضرب عنقه، فقلت: هذا والله جهد البلاء، فقال: والله ما هذا إلا كشرطة حجام بمشراط، ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى مؤسع.

الأحنف: جهد البلاء خمسة: خادم مذموم، وحطب رطب، وبيت يصف، وخوان ينتظر، وجبار على الباب يدق.

عكف بي على الاصطلاء: ألزمني التسخن بالنار وعكف على الشيء عكوفاً: لزمه. أزايل وجاري: أفارق بيتي، والوجار جحر الضبع. إقامة جماعة، أي حضور الصلاة مع الجماعة، وبردشكير بغرناطة كان أشد على ابن صارة - حيث منعه الصلاة - من برد الكرج على ابن همام حيث يقول ابن صارة: [الطويل]

أحلّ لنا ترك الصلاة بأرضكم      وشرب الحميما وهي شيء محرم  
فراراً إلى نار الجحيم فإنها      أرق علينا من شكير وأرحم  
لئن كان ربي مُدْخِلِي في جهنم      ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

جوه مزهم: هواؤه بارد، والزمهرير: البرد. دجنه مكفهز: سحابه متراكم مظلم. كناني: بيتي: مهم: أمر لا يؤخر. عناني: عرض لي وقصدني. الجرذة: الجلد التي تجرد عنها ثوبها، وفلان حسن الجرذة والتجرد، أي حسن العري، وقيل: الجرذة الثوب المتجرد البالي. والريطة عند العرب: شيء رقيق، شبه الملحفة، ولذلك سُمِّيَ به المرأة، ولا معنى لهذه الصفة لأنه قد وصفه بالعري، وإنما أراد هنا شبه الكراز لفظ مغير عن أصله كالقوطة عندنا، ضرب مما يعتَم به، وهي مغيرة عن أصلها، وإنما أصل القوطة ثوب يجلب من الهند غليظ، وتصغيرها قُوطة، يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الأندلس الإحرام والمنزر. واستنفر: بالثوب إذا لواه على فخذه، ثم أخرجه من بينهما، فشده في حُجْزته، واستنفر الكلب بذنبه: جعله بين فخذه فتخيل صورة السروجي هنا التي نهاية في القبح على ما يتصف به أبداً، وقد لوى على رأسه قطعة من عمامة بالية، واستنفر بمثلها، فلا تجد له مثلاً إلا ما قال أبو دلامة في نفسه: [الوافر]

(١) أخرجه البخاري في القدر باب ١٣، ومسلم في الذكر حديث ٥٣، والنسائي في الاستعاذة باب ٢٤،

٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، وأحمد في المسند ١٧٣/٢، ٢٤٦.

إذا لبس العمامة كان قرذاً وخنزيراً إذا نزع العمامة  
وأين هذا من قول ابن رشيق في غلام معتم بعمامة حمراء: [مجزوء الكامل]  
يا من يمر ولا تمر به القلوب من الحرق  
بعمامة من خذه أو خذه منها سرق  
فكأنه وكأنها قمر أحاط به شفق  
شغل الجوارح والجوا وقال السلامي في عمامة: [البيط]  
حسناء صافية، بيضاء صافية كأن رنقها في صارم ذكر  
يزين أطرافها طرز كما رقمت على المجرة طرز الأنجم الزهر  
كثيف: خشن منضم بعض حواشيه إلى بعض من الكثرة. يحاشى: يستنى.

\* \* \*

[الرجز]

يا قوم لا ينبتكم عن فقري يا قوم لا ينبتكم عن فقري  
فاغثبوا بما بدا من ضري فاغثبوا بما بدا من ضري  
وحاذروا انقلاب سلم الدهر وحاذروا انقلاب سلم الدهر  
أوي إلى وفر وخد فقري أوي إلى وفر وخد فقري  
وتشتكي كومي غداة أقري وتشتكي كومي غداة أقري  
وثن غارات الرزايا العبر وثن غارات الرزايا العبر  
حتى عفت داري وغاص دري حتى عفت داري وغاص دري  
وصرت نضو فاقة وعسر وصرت نضو فاقة وعسر  
كأنني المغزل في الثعري كأنني المغزل في الثعري  
غير التضحى واصطلاء الجمر غير التضحى واصطلاء الجمر  
يسئرنني بمطرف أو طمر يسئرنني بمطرف أو طمر

\* \* \*

ينبىء: يخبر. أوان القرد: وقت البرد. حاذروا: خافوا. سلم: نبيه القدر:  
رفيع المنزلة. أوي: ارجع. وفر: مال كثير. يفري: يقطع. تفيد: تأتي بالفوائد.  
صفري: دنائري. ثبيد: تلف. سُمري: رماحي. كومي: إبلي، والكوماء: الناقة  
العظيمة السنام أقري: أطعم الأضياف، أي تشتكي إبلي من كثرة ما أنحرها للضيافان.



شَنُّ: فَرَّق. الرزايا: المصائب. الغبر: الآتية في الزمان المحل. يَسَحَّتْنِي: يستأصل مالي. يبري: يقطع لحمي. عَفَّتْ: درست. غاض: ذهب وجف. دَرَى: لبن إبلي. بار: كسد وضاع. سعري: سوقي. نضو: هزيل. فاقة: حاجة وفقر. عسر: ضيق حال. المطا: الظهر. قشري: ثيابي. والدفء: ذهاب البرد، وقد دَفَى يدفاً، أي سخن وذهب برده. الصُّنَّ والصنبر: يومان من أيام العجوز، وهي سبعة: أربعة من آخر فبراير، وثلاثة من أول مارس. وقال الشاعر فجمعها: [الكامل]

كُيِّعَ الشتاء بسبعة عُبَرٍ      بالصُّنَّ والصنبر والوَبَرِ<sup>(١)</sup>  
وبأمر وأخيه مؤتمِرٍ      ومعلَّل وبمطفئ الجمرِ  
التَّضَخِي: الجلوس للشمس. خضَمَ: كريم، شَبَّ بالبحر، وهو الخضَم. ذو رداء غمر: ذو عطاء كثير. مطَرَف: ثوب مرتب في طرفه عَلم.

الفَرَاء: قيل مُطَرَف لأنه أَطَرَف، أي جُعِل في طرفه العلمان. طَمَر: ثوب خَلَق. ثم قَالَ: يا أربابَ الثَّراء، الرَّاغِبِينَ في الفَرَاء؛ مَنْ أَوْتِيَ خيراً فلينفق، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا غَدُورٌ، والدُّهْرُ عَثُورٌ، وَالْمُكْنَةُ زُورَةٌ طَيْفٌ، وَالْفُرْصَةُ مُزْنَةٌ صَيْفٌ. وَإِنِّي وَاللَّهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ، وَأَعْدَدْتُ الْأَهْبَ لَهُ قَبْلَ مَوَافَاتِهِ، وَهَآ أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي، سَاعِدِي وَسَادَتِي، وَجَلَدَتِي بُزْدَتِي، وَحَفَّتِي جَفَّتِي، فَلْيَغْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي، وَلِيَبَادِزْ صَرْفَ اللَّيَالِي؛ فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنِ اتَّعَطَّ بِسَوَاهِ، وَاسْتَعَدَّ لِمِسْرَاهِ.



أرباب الثراء: أصحاب المال. الرَّاغِبِينَ: الماشين بخیلاء وتبخر. الفَرَاء: جمع فروة. أوتي: أعطي. خيراً: مالاً. يُرْفِق: يعين، وأرْفَقْتُهُ: أعطيتُهُ ما يرتفق به. غَدُور: كثيرة الخداع. عَثُور: واقع بأهله. المكنة: الغنى. طيف: ما يرى في النوم.

ابن الأنباري: في طيف الخيال قولان: قيل: أصله طيف فحُفِّف، وقال الأصمعي رحمه الله تعالى: هو مصدر طاف، وبه أخذ السهيلي رحمه الله تعالى، فقال: هو مصدر طاف الخيال يَطِيفُ طيفاً، ولا يقال: منه طائف على فاعل، لأنه لا حقيقة للخيال، إنما

(١) البيتان لأبي شبيل الأعرابي في لسان العرب (كسا)، (أمر)، (عجز)، (كسع)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٧٩، وتاج العروس (أمر)، والبيت الثاني لابن أحمر في ملحق ديوانه ص ١٨٥، ولابن أحمر أو لأبي شبيل في تاج العروس (عجز)، ولسان العرب (عجز)، وبلا نسبة في لسان العرب (طفا)، (علل)، وجمهرة اللغة ص ٣٣١.

هو توهم وتخيل. فإن كان شيء له حقيقة قلت: فيه طائف، نحو قوله تعالى: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ [القلم: ١٩]، لأن الذي طاف عليها له حقيقة، ويقال: إنه جبريل عليه الصلاة والسلام. وأما قوله تعالى: ﴿إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا﴾ [الأعراف: ١، ٢] فقد قرئ ﴿طائف﴾ أيضاً فطائف لأن له حقيقة، وطيف لأنه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له، فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال، ولا حقيقة له فيعتبر بالطيف، ويقال في وسوسة الشيطان: طائف وطيف، وما عدا هذين فهو باسم الفاعل، ولا يعبر عنه بطيف فقف عليه. الفرصة: ما تهيا لك وتيسر لك من مطالبتك. مزنة صيف، أي سحابة لا دوام لها، وأراد قول عمران بن حطان: [الطويل]

أرى أشقياء الناس لا يسمونها      على أنهم فيها غراب وجو  
أراها وإن كانت تحب فإنها      سحابة صيف عن قريب تقشع

ولما ولي بلال بن أبي بردة البصرة، كان إذا اجتاز في مواليه بخالد بن صفوان يقول: [الطويل]

\* سحابة صيف عن قريب تقشع \*

فبلغ قوله بلالا، فقال: والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب، فردّه ثم ضربه مائة سوط.

كافات: جمع كاف، وأراد بها آلته وما يستعدّ له بها وهي الأهب التي أراد. موافاته: مجيئه وحضوره. ساعدي: ذراعي. بردتي: ثوبي، الحفنة: ما يملأ الكف. الجفنة: الصحيفة، فليتعض، أي يعتبر ويجعلني عبرة. صرف: تقلّب. استعد: أعدّ. لمرساه: مثواه. وقال الألبيري في هذا المعنى: [المنسرح]

وذي غنى أوهمته همته      أن الغنى عنه غير منفصل  
فجزّ أذيال عجبهِ بطراً      واختال للكبرياء في خلل  
بزّته أيدي الخطوب بزّته      فاعتاض بعد الجديد بالسمل  
فلا تثق بالغنى فأفته الفق      روصرف الزمان ذو دُول  
كفى بنيل الكفاف منه غنى      فكفّ به الدهر غير مُحْتَفل

### [مقامة البديع البخارية]

ومن مقامات البديع: حدثنا عيسى بن هشام قال: أحلّني جامع بخارى يومٌ وقد انتظمتُ مع رفقة في سيلك الثريا. وحين احتفل الجامع بأهله طلع إلينا ذو طمرين، قد أرسل صوانا، واستنلى طفلاً عريانا، يضيق بالضرّ وسعّه، ويأخذه القَرّ ويدعّه، لا يملك غير القشرة بردة، ولا يكتفي لحماية رعدة، فوقف الرجل وقال: لا ينظر لهذا الطفل إلّا من الله طفله، ولا يرقّ لهذا الضرّ إلّا من لا يأمن مثله. يا أصحاب الجدود المفروزة،

والأردية المطروزة، والدُّور المنجدة، والقصور المشيدة. إنكم لن تأمنوا حادثاً، ولن تعذموا وارثاً، فبادروا الخير ما أمكن، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن، فقد والله طعمنا السُّكاج<sup>(١)</sup>، وربكنا الهملاج<sup>(٢)</sup>، ولبسنا الديباج<sup>(٣)</sup>، وافترشنا الحشايأ بالعشايأ، فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدِّه، وانقلاب المجنَّ لظهره، فعاد الهملاج قُطوفاً<sup>(٤)</sup>، والديباج صوفاً، وهلمَّ جرا إلى ما تشاهدون من حالي وزَيِّي؟ فها نحن نرتضع من الدهر ثدي عقيم، ونركب من الفقر ظهر يهيم، فلا نرنو إلا بعين اليتيم، ولا نمذ إلا يدَّ العديم. فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤوس، ويفلَّ شبا هذه النحوس. ثم قعد مرتفقاً<sup>(٥)</sup>، وقال للطفل: أنت وشأنك، فقال: ما عسى أن أقول وهذا الكلام لو لقيَّ الشعر لحلقه، أو الصخر لفلقه، وإن قلباً لم ينضجه ما قلت لنيء، وقد سمعتم يا قوم، ما لم تسمعوا قبل اليوم فليشغل كلَّ منكم بالجوْد يده، وليذكر غده، وابقياً بي ولده، وامنحوني أشكركم، واذكرونني أذكركم. وتماها في العشرين.



ف قيل له: قدَّ جلوت علينا أدبك، فاجلُ لنا نسبك، فقال: تبأ لمفتخر، بعظم نخر، إنما الفخر بالثقى، والأدب المُنتقى؛ ثم أنشد: [الطويل]

لعمرك ما الإنسانُ إلا ابنُ يَوْمِهِ      على ما تجلَّى يَوْمُهُ لا ابنُ أُنْسِهِ  
وما الفخرُ بالعظمِ الرَّمِيمِ وإِنَّمَا      فخارُ الذي يبغِي الفخارَ بِنَفْسِهِ

ثم إنه جلسَ مُحَقِّقاً، واجرئتمْ مُفَقِّفاً. وقال: اللهم يا مَنْ عَمَّرَ بنوآله، وأَمَرَ بسؤاله؛ صلِّ على محمد وآله، وأعني على البردِ وأهواله، وأُنخ لي خُراً يؤثِّرُ من خصاصة، ويُواسِي ولو بقُصاصة.



قوله: «جلوت»، أظهرت وكشفت. أجلُّ: اكشف وبيّن عنه. تبأ: خسرانا. نخر: بال. المنتقى: المختار. تجلَّى: تبدَّى وظهر. الرَّمِيم: البالي. يبغِي: يطلب.

وقوله: «تبأ لمفتخر، بعظم نخر»، كانت العرب تتفاخر بالأحساب، وتتعاضم بكرم الآباء، فنزل القرآن العظيم بترك ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] و﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «أيها الناس، إنما الناس إخوة وليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضل إلا

(١) السكاج: لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق.

(٢) الهملاج: الدابة السريعة.

(٣) الديباج: الحرير.

(٤) القطوف: الدابة البطيئة في سيرها.

(٥) قعد مرتفقاً: أي قعد في مكان عالٍ.

بالتقوى. أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم<sup>(١)</sup>، فلذلك قال: إنما الفخر بالتقى.

وقال عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه: [البسيط]

الناس من جهة التمثيل أكفاء      أبوهـمُ آدمُ والأمُ حـزَاءُ  
فإن يكن لهم من قبل ذا نسب      يفاخرون به فالطين والماء  
وقال عامر بن الطفيل: [الطويل]

وإني وإن كنتُ ابن سيّد عامرٍ      وفي السرّ منها والصريح المهذب<sup>(٢)</sup>  
فما سودّثني عامرٌ عن ولادة      أبى الله أن أسـمـو بـأم ولا أب  
ولكنني أحـمي جـماها وأتقي      أذاها وأزـمي مـن رماها بمنـكب

فهذا مع إمكانه الفخر بالأبَاء لم يفخر إلا بنفسه. وأخذه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقال: [الكامل]

لَسْنَا وإن أحسبنا كرمث      يوماً على الأحساب نـكـلُ  
نـبـنـي كما كانت أوائلنا      تبـنـي ونفـعـل مـثـل ما فـعـلوا

وهذا مثل قول الحسن رضي الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر، فليم في ذلك فقال: أتراني خفت أن يقول: إني لست ابن فاطمة بنت النبي ﷺ، ولا ابن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولكنني خفت أن يقول: لست كمثلهما فيصدق ويحمل عنه، ويبقى مخلدًا في الكتاب محفوظًا على ألسنة الرواة، فقال الشاعر: أنت والله يا بن رسول الله أعرف بالمدح والذم مني.

قوله: والأدب المنتقى؛ حدّث يحيى بن أكثم قال: بينما أنا جالس مع المأمون إذ دخل الدار فتى، أبدع الناس زياً وهيبة ووقاراً، وهو لا يلتفت إعجاباً بنفسه، فنظر إليه المأمون، فقال: يا يحيى إن هذا الفتى لا يخلو أن يكون هاشمياً أو نحوياً، ثم بعثا مَنْ يتعرف ذلك منه. فعاد الرسول فأخبر أنه نحويّ. فقال المأمون: يا يحيى؛ أعلمت إن علم النحو قد بلغ بأهله من عزة النفس وعلوّ الهمة منزلة بني هاشم في شرفهم! يا يحيى، مَنْ قعد به نسبه قام به أدبه.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة ٤٩، باب ٥، وأحمد في المسند ٤١١/٥.

(٢) الأبيات في ديوان عامر بن الطفيل ص ٢٨، والبيت الثاني في الحيوان ٩٥/٢، وخزانة الأدب ٨/٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٨، وشرح شواهد الشافعية ص ٤٠٤، وشرح شواهد المغني ص ٩٥٣، وشرح المفصل ١٠١/١٠، والشعر والشعراء ص ٣٤٣، ولسان العرب (كلل)، والمقاصد النحوية ١/٢٤٢، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٨٥/٢، والخصائص ٣٤٢/٢، ومغني اللبيب ص ٦٧٧، ويروى «عن وراثة» بدل «عن ولادة».

قال: وأنشد الشاعر: [المنسرح]

كن ابن من شئت واتخذ أديبا      يُغْنِيكَ مَأْثُورُهُ عَنِ النَّسَبِ  
إِنَّ الْفَتَى مِنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا      لَيْسَ الْفَتَى مِنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي  
مَالِيَّ عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي      مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي  
إِنْ انْتَمِي مَنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ      فَإِنْنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب، فقال له وقد أعجبه: ابن من أنت يا غلام؟ فقال: ابن نفسي يا أمير المؤمنين، التي نلت بها هذا المقعد منك، قال: صدقت. أخذه ابن دريد فقال: [الرجز]

كن ابن من شئت وكن مؤدباً      فإنما المرء بفضل جسده  
وليس من تكرمه لغيره      مثل الذي تكرمه لنفسه

وقالت عائشة رضي الله عنها: كل كرم دونه لوم، فاللوم أولى به، وكل لوم دونه كرم فالكرم أولى به - يعني أن أفعال الإنسان إذا كرمت لم يضره لوم أبائه، وإذا لومت لم ينفعه كرم أبائه. وقال المعري: [السريع]

لو عرف الإنسان مقداره      لم يفخر المولى على عبده<sup>(١)</sup>  
لولا سجاياه وأخلاقه      لكان كالالمعدوم في وجوده  
ومجده أفعاله لا الذي      من قبله كان ولا بعده

قوله: ما تجلّى يومه، أي على ما ظهر وانكشف يومه من أفعاله المحمودة أو المذمومة. محققاً: منحنياً. اجرنثم: انقبض. مقققاً: مرتعداً، ويقال: قفّ شعره إذا ارتفع من دعر أصابه. وقفّ جلدي من هذا الحديث إذا اقشعر من استئثار ما سمع.

غمر بنواله، أي غطى بعطاياه. وأمر بسؤاله: يريد قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. آله: أهواله. شدائده ومخاوفه. أتج: قدر. يؤثر: يفضل غيره على نفسه. خصاصة: جوع، وهذا منتزع من القرآن.

\*\*\*

قال الزاوي: فلما جلى عن النفس العصاميّة، والمُلح الأضمعية، جعلت ملامح عيني تغجمه، ومرامي لخطي تزجمه، حتى استبنت أنه أبو زيد، وأن تعزیه أحبولة صيد. ولمح هو أن عزفاني قد أدركه، ولم يامن أن يهتيكه، فقال: أقسم بالسمر والقمر، والزهر والزهر، إنه لن يسترنني إلا من طاب خيمه، وأشرب ماء

(١) الأبيات في سقط الزند ص ١٠١٦.

المروءة أديمه. فعقلت ما عناه، وإن لم يذر القوم مغناه، وساءني ما يعانيه من الرعدة، وأفشغزاري الجلدة. فعمدت لفرؤة هي بالتهار رياشي، وفي الليل فراشي فنضوتها عتي، وقلت له: اقبلها مني؛ فما كذب أن افترأها، وعيني ترأها. ثم أنشد: [السريع]

لله من ألبسني فروة      أضحت من الرعدة لي جنة  
ألبسنيها واقياً من هجتي      وقى شرّ الإنس والجنة  
سيكتسي اليوم ثنائي وفي      غد سيكسى سندس الجنة

\*\*\*

والعصامية: منسوبة إلى عاصم بن شهبر بن الحارث الجرمي، حاجب النعمان بن المنذر الذي يقول له النابغة: [الوافر]

فإنني لا ألام على دخول      ولكن ما وراءك يا عصام<sup>(١)</sup>  
ولم يكن عصام شريفاً، ولا نشأ في قومه، ولكن كان من أشد الناس بأساً، وأفصحهم لساناً، وأحزمهم رأياً، وأقربهم إلى النعمان، وقال له رجل يوماً: كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنيء الأصل؟ فقال: [الرجز]

نفس عصام سودت عصاماً      وعلمته الكز والإقداما  
\* وصيرته سيداً هماماً<sup>(٢)</sup> \*

ويقال: كن عصامياً ولا تكن عظامياً، أي افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم. فكل من ليس له شرف قديم، وشرف بنفسه، يقال له عصامي.

وكانت لرجل عند الحجاج حاجة، فوصف بالجهل والحمق، فأراد أن يختبره، فقال: أعصامي أنت أم عظامي؟ فقال له الرجل: عصامي عظامي، فظن أنه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم، فقال الحجاج: هذا من أفضل الناس، وقضى حاجته ثم جربه بعد ذلك، فوجده أجهل الناس، فقال له: أصدقني وإلا قتلتك، أجبتني بعصامي وعظامي، فقال له الرجل: لم أعلم معناهما، فخشيت أن أقول أحدهما فأخطيء، فقلت في نفسي: أقولهما معاً، فإن ضرني أحدهما نفعني الآخر، فقال الحجاج: المعاذير تصير الغبي خطيباً، فذهبت مثلاً.

(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٥، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٣٤.

(٢) الرجز لعصام بن شهبر في تاج العروس (شهبر)، وبلا نسبة في لسان العرب (عصم)، ومقاييس اللغة ٢/ ١٧٥، ٤/ ٣٣٤، وتاج العروس (عصم).

وسمع المأمون رجلاً يفخر بنفسه وهو ناقص، فقال: أنت عظامي لا عصامي.  
ولهذا أشار بما تقدم من قوله «تَبّاً لمفتخر، بعظم نخر»، يريد أن عصاما ساد بنفسه  
لا بأبائه، وكذلك السروجي لم يفخر إلا بنفسه.

الأصمعي: التي حكاها الأصمعي، وقد مرّ من مُلح الأصمعي في هذا الكتاب  
جملة كافية بحمد الله تعالى. والأصمعي عصامي لأنه من باهلة، وهي أهجن قبيلة في  
العرب والأماها، وذكر المبرد في كامله جملة أخبار في أمثالها، قال فيها الشاعر:  
[المقارب]

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم ذاك التَّسَبُّ  
وهو مع ذلك خامل المنشأ، وقد ذكرنا في الأربعين خمول أبيه إلا أنه ساد الناس  
بنفسه أدباً وعلماً وديناً. ومن مُلحه أنه قال: بينما أنا في طرق البصرة إذا أنا بكناس يكس  
كنيفاً، وإذا هو يقول: [الطويل]

فإياك والسكنى بأرض مذلة تعدّ مسيئاً فيه إن كنت مُحسناً  
فنفسك أكرّمها وإن ضاق مسكن عليك بها فاطلب لنفسك مسكناً  
قال: فوقفت عليه، فقلت: والله ما بقي عليك من الهون شيء إلا وقد أهنّتها به،  
فما الذي نلت من كرامتها؟ قال: والله لك نس ألف كنيف أحسن من القيام على باب مثلك  
ساعة.

الأصمعي: كان أعرابيان متواخيان بالبادية؛ ثم إن أحدهما استوطن الريف،  
واختلف إلى باب الحجاج، فولاه أصبهان. فسمع أخوه خبره فضرب إليه، فأقام ببابه  
حيناً لا يصل إليه، ثم أذن له بالدخول، فأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول: [الوافر]

فلسْتُ مسلماً ما دمتُ حيّاً على زيد بتسليم الأمير  
فقال زيد: لا أبالي، فقال الأعرابي: [الوافر]

أتذكر إذ لحافك جلدُ شاة وإذ نعلك من جلد البعير  
فقال: نعم، فقال الأعرابي: [الوافر]

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك القعود على السرير  
تعجبه: تختبره. مرامي لحظي: نظرات عيني وسهام نظري، واحد المرامي مَرْمَأة،  
وهي السهم.

ترجمه: ترميه وتقع عليه. أحبولة: شبكة. يَهْتَكُه: يكشفه. السَمَر: ظل القمر، ثم  
سُمي حديث الليل سمرا به. الزُّهر: النجوم. خيمه: طبعه. أشرب: سقي. المروءة:  
الفعل الجميل. أديمه: وجهه، ويقال: أشرب فلان حبّ فلان، إذا خالط حبّه قلبه. ما

عناه: ما أرادته، يريد أنه لما قال: لن يسترنني، إنما أراد لن يستر عليّ هذه الحيلة التي أريد بها خداع الناس بعد ما عرفها إلا مَنْ هو كما وصف.

وقال النبي ﷺ: «من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا مؤودة من قبرها»<sup>(١)</sup>.

ساءني: شقّ عليّ. يعانیه: يقاسيه. اقشعرار: انقباض وارتعاد. عَمَدَت: قصدت. رياشي: لباسي. نضوتها: جرّتها. افترها: اتخذها. جُتّة: سترٌ ووقاية. واقياً: صائناً. مهجتي: نفسي. وقّي: كُفّي. الجَنّة: الجنّ. سندس: ثياب خضر.

\*\*\*

قال: فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ، بِافْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاغَةِ أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَاغِ الْمَغْشَاةِ، وَالْجَبَابِ الْمَوْشَاةِ، مَا آدَهُ ثِقْلُهُ، وَلَمْ يَكْذِبْ قَلْبُهُ، فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِراً بِالْفَرَجِ، مُسْتَسْقِياً لِلْكَرَجِ، وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ، وَبَدَتِ السَّمَاءُ نَقِيَّةً، فَقُلْتُ لَهُ: لَشَدِّ مَا قَرَسَكَ الْبُرْدُ. فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدِ، فَقَالَ: وَيَكْ! لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ، سُرْعَةُ الْعَدْلِ، فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِ هُوَ ظَلَمَ، وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ؛ فَوَالَّذِي نُوِّرَ الشَّيْبَةَ، وَطَلَبَ ثُرْبَةَ طَيِّبَةَ، لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لَرُخْتُ بِالْحَيَّةِ، وَصَفَّرَ الْعَيَّةِ.

\*\*\*

افتنانه: تنوّعه. البراعة: الجودة والفصاحة. المغشاة: المغطاة بغيرها من الثياب. الموشاة: المزينة بالرقم. آده: أثقله. يقله: يرفعه. مستسقياً: داعياً بأن يسقيها الله تعالى. التقيّة: الخشية.

قوله: بدت السماء نقية، مَثَلٌ ضَرِبَ لَخُلُوِ الْمَوْضِعِ مِنَ النَّاسِ وَظُهُورِهِ فِيهِ وَحْدَهُ. وَيَكْ، أَيُّ عَجَباً لَكَ. الْعَدْلُ: اللوم.

تقف: تتبع، يقال: قفوت أثره أقفوه قفواً، إذا تتبعته، ومنه: قَفَا فلان فلاناً إذا أتبعه بكلام قبيح، ويقال: قَفَاه بالتخفيف.

أبو عبيدة رحمه الله تعالى: أصل الْقَفُوِّ والتَّقَافِي: البهتان يَزْمِي به الرجل صاحبه، واحتج بحديث حبان بن عطية: «مَنْ قَفَا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمرحج»<sup>(٢)</sup>. قال الفراء رحمه الله تعالى: القفو: مأخوذ من القيافة، وهو تتبع الأمر، يقال: قاف القائف يقفُو قيافة، فهو قائف، بتقديم الفاء على الواو، كما قالوا في جَذَب: جَبَذ، وقرئ: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ [الإسراء: ٣٦] مثل ثَقُلَ. نُورٌ: يَبِضُّ.

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٤، وأبو داود في الأدب باب ٣٨، وأحمد في المسند ٤/

١٤٧، ١٥٣، ١٥٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٨٢/٢.



## [طبية]

طبية مدينة النبي ﷺ، وطيب الله تربتها بأن صيرها موطناً لنبيه ﷺ، في حياته ومستقرّاً له بعد مماته. وذكر شيخنا ابن جبير المدينة فقال: للمدينة المكرّمة أربعة أبواب وهي تحت سورين في كلّ سور باب يقابله آخر: باب الحديد، وباب الشريعة، وباب القبله، وباب البقيع، وبين سورها الغربيّ وخندق النبي ﷺ مقدار غلوة، وبين السور والخندق عين النبي ﷺ، وعليه خلّق عظيم مستدير، ومنيع العين وسطه، كأنه الحوض المستطيل، وتحت العين سقايتان بينهما جدار لظهر الناس وغسل أثوابهم، والعين للاستقاء والعين تمد السقايتين، وتهبط إليهما على خمس وعشرين درجة، وماؤها يعم أهل الأرض فضلاً عن أهل المدينة. وبمقربة من الحوض ممّا يلي الحوض حجر الزيت، يقال: إنّ الزيت رشح للنبي ﷺ من ذلك الحجر. وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أُخذ: قتل نبيكم. وعلى شفير الخندق حصن العزّاب، وهو خرب. كان عمر رضي الله عنه بناه لعزّاب المدينة، وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التي اشتراها عثمان رضي الله عنه بعشرين ألفاً. ودخل باب الحديد سقاية يهبط إليها على أدراج، وهي بمقربة من الحرم المكرّم، وبقبليّ الحرم دار مالك بن أنس رضي الله عنه. ويُطيف بالحرم شارع مبلط بالحجر المنحوت، وفي جوفي المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها، وبقبليّة مسجد حمزة، وقبره برحبة بجوفي المسجد، وبإزائه قبور الشهداء، وحوله تربة حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة، وشرقي المدينة بقيع الغرقد، وإذا خرجت على باب البقيع تلقى على يسارك قبر صفية عمة النبي ﷺ وأم الزبير، وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس. وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم ابن النبي ﷺ عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر، الذي جلّده أبوه الحدّ فمات، وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر، وبإزائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه ﷺ، ويلها روضة العباس والحسن رضي الله عنهما، وعليها قبة مرتفعة في الهواء، وقبرهما مرتفعان على الأرض مغشيان بالواح ملتصقة أبدع التصاق، مرصعة بالصفائح الصفّر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم عليه السلام ابن النبي ﷺ، وفي آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد، وعليه قبة مختصرة البناء، وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم عليّ كرم الله وجهه، ومشاهد البقيع أكثر من أن تُحصى لأنها مدفن الصحابة رضي الله عنهم. وقبل المدينة على نحو الميلين قُباء، وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرّمة، وبها المسجد الذي أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب، وهو سبع بلاطات في الطول، ومثلها في العرض، وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد، وفي وسطه مبرك الناقة بالنبي ﷺ، عليه حلق قصير شبه الروضة، يتركّز الناس بالصلاة فيه وفي صحنه ممّا يلي القبله شبه محراب على مسطبة، وهو أوّل موضع ركع فيه النبي ﷺ،

وفي قبلية دار بني النجار، وهي دار أبي أيوب الأنصاري، ويليهما دار عائشة رضي الله تعالى عنها، وبإزائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين ورضي عنا بهم، وبإزائها بئر أريس حيث تَقَلُّ فيه النبي ﷺ فعاد عذبا بعد أن كان أجابا، وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضي الله عنه، وحديثه مشهور، وفي آخره تلٌ مشرف يعرف بعرفات لأنه كان موقف النبي ﷺ يوم عَرَفَة، ومنه زويت له الأرض فأبصر الناس بعرفات. ويدخل من التل على دار الصفة، وبها كان عمار وسلمان وأصحابهما. والطريق من قبل قُباء إلى المدينة بين حدائق النخل المتصلة، والنخيل تحدد بالمدينة من جهاتها، وأعظمها جهة القبلة والشرق، وأقلها جهة الغرب. وآثار المدينة وقياء لا تحصى. فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عبادہ أقسم الحريري بمن طيها.

صفر العيبة: خلو الوعاء.



ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفَرَارِ، وَتَبَرَّقَ بِالْأَكْفَهَرَارِ، وَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ شَيْشِنَتِي الْإِنْتِقَالَ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ، وَالْإِنْعَاطَافُ مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ، وَأَرَاكَ قَدْ عَقَّتْنِي وَعَقَّتْنِي، وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ مَا أَفْتَنْتَنِي، فَاغْفِنِي عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَغْوِكَ، وَاسْدُدْ دُونِي بَابَ جَدِّكَ وَلَهْوِكَ. فَجَبَذْتُهُ جَبَذَ التَّلْعَابَةِ، وَجَجَعَجَعْتُ بِهِ لِلدَّعَابَةِ، وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَوَارِكَ، وَأَعْطَى عَلَى عَوَارِكَ، لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى صِلَةٍ، وَلَا تَقَلْبْتُ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ، فَجَازَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ، وَسَثَرِي لَكَ وَعَلَيْكَ، بَأَنْ تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ الْفَزْوَةِ، أَوْ تَعْرِفْنِي كَافَاتِ الشُّتْوَةِ. فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ الْمُتَعَجِّبِ، وَازْمَهَرُ ازْمَهَرَارِ الْمُتَغَضِّبِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا رَدُّ الْفَزْوَةِ فَأَبْعُدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّابِرِ، وَالْمَيْتِ الْغَابِرِ.



نَزَعَ: مال وحن. وتبرقع: ستر وجهه. الأكفهرار: العيوس. شيشنتي: طبيعتي. الانعطاف: الرجوع. عقتني: حبستني. عقتني: قطعتني. أفنتني: حرمتني. أفدتني: أكسبتني فائدة. اغفني: أرخني وعافني. لغوك: باطلك. التلعابة: كثرة اللعب ورجل تلعب: حسن اللعب مزاح، وفي الحماسة: [الطويل]

هُوَ الظُّفَرُ الْمَيْمُونُ إِنْ عَادَ وَاعْتَدَى بِهِ الرِّكْبُ وَالتَّلْعَابَةُ الْمُتَحَبِّبُ<sup>(١)</sup>

(١) يروى صدر البيت:

هُوَ الظُّفَرُ الْمَيْمُونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا

وهو للعجير السلولي في لسان العرب (ظفر)، وتاج العروس (ظفر)، وبلا نسبة في أساس البلاغة (ظفر).

جعجعت: صحت ودعوت به، والجعجعة: رُغاء الإبل. الدُّعابة: المزاح.  
أوارك: أسترِكَ. عوارك: عيبك. صلة: عطية. ستري لك، أي ثوبي، وأراد بعليك،  
سكوتي عنك حين قلت: لن يسترنني إلا من طاب خيمه. ازمهر: توقدت عيناه غضبا.  
المتغضب: المستعمل الغضب. الدابر: الماضي. والغابر: الذاهب.

\*\*\*

وأما كافات الشُّتوة، فسبحانَ مَنْ طَبَعَ على ذُهنِكَ، وأوهى وعاء خزنك،  
حَتَّى أنسيتَ ما أنشدتك بالدُّسكرة، لابن سُكرة: [البسيط]

جاء الشَّتاء وعندي مِنْ حوائجه      سَبَّحَ إِذَا القَطْرُ عَنْ حاجاتنا حبسا  
كُنْ وكيسٌ وكانونَ وكاسٌ طِلا      بعد الكَبابِ وكُسْ ناعِمٌ وكِسا  
ثم قال: لَجَوَابٍ يَشْفِي، خيرٌ من جَلَبَابٍ يُذْفِي؛ فاكْتَفِ بِمَا وَعَيْتَ وَاكْفِي.  
ففارَقته وَقَدْ ذهبَ فزوتي لِشِقوتي، وَحَصَلَتْ عَلَى الرُّعْدَةِ طُولَ شَتَوِي.

\*\*\*

وقوله: سبحان من طبع، معناه تنزيهاً لك يا ربنا من الولد والصاحب والشريك، أن  
نزهناك من ذلك، وانتصابه على المصدر، كأنك قلت: سبحت الله تسبيح، فجعلت  
«سبحان» في موضع التسبيح، ومعنى طبع على قلبك، أي غشاه الصدأ والدنس والوسخ،  
قال الله تعالى: ﴿فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣] وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى  
قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وفي الحديث «نعوذ بالله من طمع يديني إلى  
طبع»<sup>(١)</sup>. وقال الشاعر: [البسيط]

لا تَطْمَعَنَّ طَمَعاً يَدْنِي إِلَى طَبَعٍ      إِنْ المَطامِعُ فَقَرُ والغنى يأسُ  
وأنشد يعقوب: [البسيط]

لا خير في طَمَعٍ يُدْنِي إلى طَبَعٍ      وَغُفَّةٌ من قِوَامِ العيشِ تَكْفِينِي<sup>(٢)</sup>  
والذهن: قوّة إدراك العقل. أوهى: أضعف. خزنك: تثقيفك وحركك. الدسكرة:  
هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشرة فرسخاً.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٢/٥، ٢٤٧، بلفظ: «استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع».

(٢) البيت لثابت بن قنطلة في لسان العرب (طبع)، وتاج العروس (غفف)، وأمالى المرتضى ٤٠٨/١،  
وله أو لمروة بن أذينة في تاج العروس (طبع)، وهو في ديوان عروة بن أذينة ص ٣٨٦، وبلا نسبة  
في لسان العرب (غفف)، ومجمل اللغة ٥/٤، ومقاييس اللغة ٣٧٥/٤، والمخصص ٦٩/٣، ٢/  
٢٨٨، وديوان الأدب ٢٦/٣، وأساس البلاغة (غفف).

## [ابن سكرة]

وابن سكرة من شعراء اليتيمة قال صاحبها: ابن سكرة الهاشمي هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد. شاعر متسع الباع، في أنواع الإبداع، فائق في قول الظرف والملح، أحد الفحول والأفراد، وجال في ميدان المجون والسخف بما أراد. وكان يقال ببغداد: إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جداً، وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصرهما. ويقال إن ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت.

ومن شعره في غلام في يده غصن ثوار: [المنسرح]

غصن بانٍ بدا وفي اليدِ منه      غصن فيه لؤلؤ منظوم  
فتحيرت بين غصنين في ذا      قمر طالع وفي ذا نجوم

وله في غلام يعرف بابن برغوث: [الوافر]

بليت ولا أقول بمن لأنني      إذا أنا قلت من هو تعشقه  
حبيب قد نفى عني رُقادي      فإن غمضت أيقظني أبوه

وله في غلام أعرج: [الكامل]

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم      العيب يحدث في عُصونِ البان  
ماذا عليّ إذا استجدت شمائلًا      وروادفا تغني عن الكُثبانِ  
إنني أحبُّ جلوسه وأريده      للنوم لا للجزّي في الميّدانِ  
في كلّ غصن منه حسن كامل      ما ضرّني إن زلت القدمان

وله في غلام سمّيه: [الوافر]

إذا باسمي دُعيت حننت شوقاً      وذكرني به الداعي حبيبي  
فليت كما اتفقنا في الأسامي      وألفتها اتفقنا في القلوبِ

وله أيضاً: [المقارب]

بنفسي عذار بدأ طالعا      على ناضر الورد ما أنلخا  
كتمت هواه زمان الصُّبا      ويوَّحت بالحبِّ لَمّا التحى  
وقالوا محا الشعر لَمّا بدا      محاسنه منه واستقبحا  
فقلت لهم ما محا حسنه      ولكن صبري عنه محا

وله في مثله: [الخفيف]

وغزال لولا تَميمة شعر      ذكرته لقلت بعض الجواري  
شاربٌ أشرب الصبابة قلبي      وعذار خلعت فيه عذاري

وله في مثله أيضاً: [الخفيف]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ شَادِنٍ لَا يِرَانِي      وهو رُوحي أهلاً لِرْدَ السلام  
أَنَا مِنْ خَدِهِ وَعَيْنِيهِ وَالشَّغْد      رومن ريقه البعيد المرام  
بَيْنَ وَرْدٍ وَنَرَجِسٍ وَلَالَ      أقحوان وبابلي مُدام  
وله في مثله أيضاً: [المنسرح]

فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلَفَتْ بِهَا      أربعة ما اجتمعن في أحد  
الْخَذَّ وَرْدَ وَالصُّدُغَ غَالِيَةً      والريق خمر والثغر من بَرْدٍ  
وله في مثله أيضاً: [الوافر]

لَقَدْ أَمْسَكْتَ مِنْ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى      بحبل ما أخاف له انبتاتا  
حَبَانِي فِي الْحَيَاةِ وَرَمَ حَالِي      وأوصى بي أبا حسن وماتا  
فَكُنْتُ مَجَاوِراً لِلْبَحْرِ مِنْهُ      فلما مات جاورثُ الفراتا  
وله في وزير المهلي: [البسيط]

لَا عَذْبُ اللَّهِ مِثْلاً كَانَ يُعِيشُنِي      فقد لقيت بضري مثل ما لآقَى  
طَوَاهُ مَوْتُ طَوَى عَنِي مَكَارِمُهُ      فذقت من بعده بالفقر ما ذاقا  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً: [الطويل]

مَضَى مَلِكُ عَمِّ الْبَرِيَةِ جَوْدُهُ      رؤوف وإن راع الأسود شفيقُ  
سَكُرْتُ بِنَعَمَاهُ وَجُودَ وَزِيرِهِ      فقالت لي الأيام: سوف تذوقُ  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضاً: [الوافر]

لَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ فَكَانَ غَضًّا      له ثَمَرٌ وأوراق تظللُك  
وَكَانَ الْبَعْضُ مِنْكَ فَمَاتَ فَاعْلَمْ      متى ما مات بعضك مات كُلُّك

ويا بعد ما بين حاله وقت قوله: جاء الشتاء . . . البيتين . وبين حاله وقت موت المهلي، وقد أدرك فاقة، فسئل عما أعد للشتوة فقال: [مجزوء الرمل]

قِيلَ مَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرِّ      د فقد جاء بشيْدة  
قُلْتُ: دَزَاعَةٌ عُزِّي      تحتهاجبة رعدة

\*\*\*

قوله: «إذا القطر عن حاجاتنا حيسا»، في معنى ذلك أن الحسن بن وهب تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له، فاستبطأه فكتب الحسن إليه: [الخفيف]

أوجب العذر في تراخي اللقاء      ما ترى بي من هذه الأنواء

لست أدري ماذا أقول وأشكُّو      من سماء تعوقني عن سماء  
غير أنني أدعو على تلك بالشُّك      لي وأدعو لهذه بالبقاء  
فسلام الإله أهديه منِّي      لك غُضًّا يا سيِّد الوزراء  
كان لابن عبد ربه فتى يهواه، فأعلمه أنني راحل غداً، فلما أصبح عاقه عن السفر  
تكاثر المطر، فأنجلي عن ابن عبد ربه همَّه، وكتب إليه : [البسيط]

هلاً ابتكرت لبين أنت مبتكرُ      هيهات يأتي عليك الله والقدرُ  
ما زلتُ أبكي حذار البين ملتهباً      حتى رثالي فيك الريح والمطرُ  
يا بَرِّد من حيّا مُزِن على كبدِ      نيرانها بغليل الشوق تستعيرُ  
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً      حتى أراك، فأنت الشمس والقمر  
وعد ابن رشيقي محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلّى وارقبه، فإذا بالسماء  
قد أرعدت وأبرقت، فكتب إليه : [البسيط]

تجهّم العيد وانهلث مدامعه      وكنت أعهد منه البشر والضحكَا  
كأنه جاء يطوي الأرض من بُعدٍ      شوقاً إليك فلما لم يجذك بكى  
وكتب السّلامي إلى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم : [الوافر]

قطعتكم بزعم المجد شهراً      أشدُّ عليّ من شهر الصّيام  
وكيف أزوركم والمزّن تبكي      على داري بأربعة سجام  
وكانت منزلاً طلق الحميّا      فصارت وادياً صغّب المزام  
تهافت رقع الجدران فيها      سجوداً للزُّعود بلا إمام  
أنادي كلما ارتفعت سحاب      فأبكتنا البوارق بابتسام  
حوالينا بذلك ولا علينا      كفانا الله شرُّك من غمام

كنّ، أي بيت . كيس : وعاء الدراهم . كانون : حيث تجعل النار فيه . طلا : خمر .  
كباب : لحم يشرح ويشوى، وكبّته : فعلت ذلك به، وقيل : الكباب قطع الكرّش تلوي  
عليها المصارين، وأراد بها هنا شواء اللحم . والكسّ : اسم فرج المرأة وليس بعربي،  
قال الفنجدبيهي رحمه الله تعالى : سمعت بعض الفضلاء يقول : كتب ابن سكرة في يوم  
مطر إلى صديق له : [البسيط]

يوم مطير وعندني من خواطره      سبع إذا القطر عن حاجاتنا حُبسَا  
حروف كافاتها فيها مقومة      إذا تلاها الفتى ذو اللب أو درسا  
لنّ وكيس وكانون وكأس طلا      مع الكباب وكُسّ ناعم وكسا  
فلو مطرت البحار الدفَر لم ترني      أقول : أحسن هذا اليوم بي وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كافا ثامنة فقال: [الطويل]

وكم ليلة في شهر كانون بثها      أعانق من جبّي بها الدغص والغصنا  
سمعت من الكافات فيها ثمانياً      فما شئت من مرأى أنيق حوى الحسنأ  
كباباً وكيزاناً وكيساً وكاعباً      كساءً وكوباً والكوانين والكسا  
كما نقصه الأمير تميم بن المعز السابعة، فقال: [الطويل]

إذا هب سلطان المريسّي ضاحكاً      سحيراً وحلّ الغرب كل نقاب  
ورّر على الأرض الغمام ثيابهُ      فقم والقه في عُدّة وحراب  
بكنّ وكانون وكأس مدامة      وكيس وكُسّ وافر وكباب

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان، قال: ولما جمعنا في أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات، قلت في ضدها من الحرّيتين، جمعت فيهما من الرءاءات ثمانية وهي: [البسيط]

عندي فديثك رءاءات ثمانية      ألقي بها الحرّ إن وأقى وإن برّدا  
رَقُّ ورُوح ورِيحان وريق رشاً      ورفرف ورياض ناعم وردا

جلباب: ثوب يلبس على الثياب. اكتف: اقتنع. وعيت: حفظت. انكفي: ارجع إلى موضعك. طول: مدة. والله تعالى أعلم.

## وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال: حَلَلْتُ سُوقَ الْأَهْوَازِ، لَابِساً حُلَّةَ الْإِعْوَازِ، فَلَبِثْتُ فِيهَا مُدَّةً، أَكَابِدُ شِدَّةً، وَأَزْجِي أَيَّاماً مُسَوَّدَةً، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ تَمَادِيَ الْمَقَامِ، مِنْ عَوَادِي الْإِنْتِقَامِ، فَرَمَقْتُهَا بِعَيْنِ الْقَالِي، وَفَارَقْتُهَا مَفَارِقَةَ الطَّلَلِ الْبَالِي. فَطَعَنْتُ عَنْ وَشْلِهَا كَمِيشَ الْإِزَارِ، رَكُضاً إِلَى الْمِيَاهِ الْغِزَارِ؛ حَتَّى إِذَا سِرْتُ مِنْهَا مَرَحَلَتَيْنِ، وَبَعُدْتُ سُرَى لَيْلَتَيْنِ، تَرَأَتْ لِي خِيْمَةً مَضْرُوبَةً، وَنَارَ مَشْبُوبَةٍ، فَقُلْتُ: آتِيهِمَا لَعَلِّي أَنْقَعُ صَدْيَ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى.



حللت: نزلت. الأهواز: مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس، قال الرّشاطي: الأهواز: متصلة بالجبل وأصبهان، وقيل: إن الأهواز بلد من سكن قصبته، ضعف عقله ولزمته الحمى.

حُلَّةُ الْإِعْوَازِ: ثوب الفقر، والحُلَّةُ إِزَارٌ وَرْدَاءٌ، وَلَا يُقَالُ لثَوْبٍ وَاحِدٍ: حُلَّةٌ. لبثت: أقمت. أكابد: أقاسي. أزجي: أسوق. مسودة: شداد مشؤومة. تمادي: دوام وطول. المقام: الإقامة. عوادي: جمع عادية، من العُدْوَانِ وَهُوَ الظُّلْمُ. والانتقام: العذاب والنكابة. رمقتها: نظرتها. القالي: البغيض. الطلل: ما شخص من آثار الدار. طعنت: ارتحلت. وشلها: ماؤها القليل. كميش: مشمرٌ، وانكمش في طلب حاجته: أسرع فيها، والإزار والمثرز: ما يلبس عَرَضاً مِنَ السَّرَاوِيلِ، وَلَا تُعْرَفُ الْعَرَبُ السَّرَاوِيلَ، وَوَجَدَهَا أَعْرَابِيٌّ فَظَنَّهَا قَمِيصاً، فَادْخَلَ يَدَيْهِ مِنْ عَلَى سَاقِيهَا، وَالتَّمَسَ مِنْ أَيْنَ يَخْرُجُ رَأْسُهُ فَلَمْ يَجِدْ فَرَمَى بِهَا، وَقَالَ: هَذَا قَمِيصُ الشَّيْطَانِ.

قوله: راکضاً، أي جارباً، وهمزة ماء مبدلة من هاء «مياه». الغزار: الكثيرة. سُرَى ليلتين، أي سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين. تراءت: ظهرت. مشبوبة: موقودة. أنقع صدى: أروي عطشاً. أجد على النار هدى، أي أجد عليها من يُرشدني إلى الطريق.



فلما انتهيت إلى ظِلِّ الخِيْمَةِ، رَأَيْتُ غِلْمَةً رُوقَةً، وَشَارَةً مَرْمُوقَةً، وَشَيْخاً عَلَيْهِ



بِرَّةً سَنِيَّةً، وَلَدَيْهِ فَاكِهَةٌ جَنِيَّةٌ. فَحَيَّيْتُهُ ثُمَّ تَحَامَيْتُهُ. فَضَجَّكَ إِلَيَّ، وَأَحْسَنَ الرُّدَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: أَلَا تَجْلِسُ إِلَى مَنْ تَرُوقُ فَاكِهَتُهُ، وَتَشُوقُ مفاكِهَتَهُ! فَجَلَسْتُ لَاغْتِنَامَ مُحَاضَرَتِهِ، لَا لِالْتِهَامِ مَا بِحَضْرَتِهِ، فَحِينَ سَفَرَ عَنْ آدَابِهِ، وَكَشَرَ عَنْ أَنْبَايِهِ، عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ بِحَسَنِ مُلْحِهِ، وَفُتِحَ قَلْبِي. فَتَعَارَفْنَا حَيْثُذُ، وَحَقَّتْ بِي قَرَحَتَانِ سَاعَتِيذُ، وَلَمْ أَذِرْ بَأَيِّهِمَا أَنَا أَضْفَى فَرَحًا، وَأَوْفَى مَرَحًا! أَبَاسْفَارِهِ، مِنْ دُجْنَةِ أَسْفَارِهِ، أَمْ بِخُصْبِ رِحَالِهِ، بَعْدَ إِمْحَالِهِ.



رُوقَة: حَسَانًا، وَغَلَامَ رُوقَة، إِذَا أَعْجَبَكَ، وَغَلَمَانِ رُوقَة، الْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ سَوَاءً، وَقِيلَ: رُوقَة لَفْظُ مَفْرُودٍ وَالْجَمْعُ رُوقٌ، وَالْهَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ. شَارَة: هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ يَشَارُ إِلَيْهَا. مَرْمُوقَة: مَحْبُوبَةٌ. بِرَّةٌ سَنِيَّةٌ ثِيَابُ حَسَانٍ، وَالْبِرَّةُ وَالْبَرُّ أَفْضَلُ الثِّيَابِ: جَنِيَّةٌ: طَرِيَّةٌ كَمَا اجْتَنَيْتُ. حَيَّيْتُهُ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ. تَحَامَيْتُهُ: تَبَاعَدْتُ عَنْهُ. تَرُوقُ: تَعْجَبُ. تَشُوقُ: تَشُوقُ وَتَدْعُو إِلَى الطَّرَبِ. مفاكِهَتُهُ: مِمَازِحَتُهُ، وَفَاكِهَتُهُ: حَدَّثْتُهُ بِمَا يَعْجَبُ. التَّهَامُ: ابْتِلَاعُ. سَفَرَ: كَشَفَ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ. كَشَرَ عَنْ أَنْبَايِهِ: كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهِ عِنْدَ الضَّحْكِ. مُلْحَهُ: مُلِحَ كَلَامُهُ. قَلْبِي: صَفْرَةُ أَسْنَانِهِ. تَعَارَفْنَا: عَرَفْتُهُ مِنْ أَنَا وَعَرَفَنِي مِنْ هُوَ. حَقَّتْ: أَحَاطَتْ. وَالْمَرَحُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ؛ وَأَوْفَى مَرَحًا، أَيُّ أَكْمَلَ طَرِبًا وَنَشَاطًا. إِسْفَارُهُ: طُلُوعُهُ وَإِضْآءَتُهُ. دُجْنَة: سُودٌ وَظَلَامٌ. أَسْفَارُهُ: جَمْعُ سَفَرٍ. رِحَالُهُ: أَوْقَارُهُ، يَصِفُ كَثْرَةَ مَالِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ مِنْزَلًا أَخْصَبَ بِكَثْرَةِ أَحْمَالِهِ. إِمْحَالُهُ: جَذْبُهُ.



وَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى أَنْ أَفْضُ خَتَمَ سِرِّهِ، وَأَبْطُنَ دَاعِيَةَ يُسْرِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ إِيَابُكَ، وَإِلَى أَيْنَ انْسِيَابُكَ، وَبِمَ امْتَلَأْتَ عِيَابُكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمَقْدَمُ فَمِنْ طُوسٍ، وَأَمَّا الْمَقْصِدُ فإِلَى السُّوسِ. وَأَمَّا الْجِدَّةُ الَّتِي أَصْبَبْتُهَا، فَمِنْ رِسَالَةٍ اقْتَضَيْتُهَا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَفْرُسَنِي دِخْلَتَهُ، وَيَسْرُدَ عَلَيَّ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ: دُونَ مَرَامِكَ حَزْبُ الْبُسُوسِ، أَوْ تَضَحِّيَنِي إِلَى السُّوسِ. فَصَاحَبْتُهُ إِلَيْهَا قَهْرًا، وَعَكَفْتُ عَلَيْهِ بِهَا شَهْرًا، وَهُوَ يَغْلُنِي كَاسَاتِ التَّلْعِيلِ، وَيَجِرْنِي أَعِنَّةُ التَّأْمِيلِ.



تَأَقَّتْ: اشْتَاقَتْ. أَفْضُ: أَكْسَرُ. خَتَمَ: رَبَطَ وَشَدَّ. أَبْطُنَ: أَعْرَفَ بَاطِنَهُ. يُسْرُهُ: غَنَاهُ. إِيَابُكَ: رَجُوعُكَ. انْسِيَابُكَ: ذَهَابُكَ. عِيَابُكَ: أَوْعِيَّةُ مَتَاعِكَ. طُوسُ: مَدِينَةٌ مِنْهَا إِلَى نِيسَابُورَ مَرَحِلَتَانِ، قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ: مَدِينَةُ طُوسِ الْعَظْمَى،

يقال لها لوبان، وبها قبر الرشيد، وبها توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وهي من ثغور الجبال المتصلة بخراسان، ومجاورتها أيضاً مدينة أصبهان، وهي عظيمة.

وأما السوس، فمدينة بأرض فارس، تعمل بها الثياب السوسية من الخز، قال الرشاطي: السوس من كور الأهواز، والسوس في بلاد الغرب، وذكر الجاحظ أن من طنجة إليها عشرين يوماً.

وسوسة من بلاد إفريقية على البحر، تُصنع بها ثياب رفاع، والسوس اسم مشترك، والذي قصد الحريري منهما الأولى.

الحدة: الغنى. اقتضبتها: ارتجلتها. يُفرشني دخلته: يبسط لي باطن أمره، وأفرشتك حديثي: بسطته لك وبينته. يسرد: يقرأ. مرامك: مطلبك. وتقدمت حرب البسوس في التاسعة عشرة.

عكفت: أقمت. يعلني: يسقيني مرة بعد مرة، والتعليل أن يطعمك في قضاء حاجتك فإذا تقاضيته أظهر لك عللاً وعوائق لم يملك، فمتى ما جئته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء حوائجك.

يجزني: يعلقها بي ويجعلني أجزها. أعتة: جمع عنان. التأميل: مصدر أمّله، إذا رجاه وحقق له أمّله.



حَتَّى إِذَا خَرَجَ صَدْرِي، وَعَيْلَ صَبْرِي قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَنْقُ لَكَ عِلَّةٌ، وَلَا لِي فِي الْمَقَامِ تَعِلَّةٌ، وَفِي عَدِّ أَزْجُرْ غُرَابِ الْبَيْنِ، وَأَزْحَلْ عَنْكَ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ، فَقَالَ: حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أَخْلِفَكَ، أَوْ أَخْلِفَكَ، وَمَا أَرْجَأْتُ أَنْ أَحْدُثَكَ إِلَّا لِأَلْبَتِكَ. وَإِذَا كُنْتُ قَدْ اسْتَرَنْتَ بَعْدَتِي، وَأَغْرَاكَ ظَنُّ السُّوءِ بِمَاعِدَتِي، فَاصْبِرْ لِقَصَصِ سِيرَتِي الْمَمْتَدَّةِ، وَأَضِيفْهَا إِلَى أَخْبَارِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ.

فَقُلْتُ لَهَا: هَاتِ فَمَا أَطْوَلَ طِيلَكَ، وَأَهْوَلَ حِيلَكَ. فَقَالَ: اغْلَمْ أَنَّ الدُّهْرَ الْعَبُوسَ، أَلْقَانِي إِلَى طُوسَ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ فَقِيرٌ وَقِيرٌ، لَا فَتِيلَ بِهَا وَلَا نَقِيرَ، فَالْجَانِي صَفَرُ الْيَدَيْنِ، إِلَى التَّطَوُّقِ بِالذِّينِ، فَادْنُتُ لِسُوءِ الْإِتْفَاقِ، مِمَّنْ هُوَ عَسِيرُ الْأَخْلَاقِ، وَتَوَهَّمْتُ تَسْنِي الثَّفَاقِ، فَتَوَسَّعْتُ فِي الْإِنْفَاقِ، فَمَا أَفَقْتُ حَتَّى بَهْطَنِي دَيْنٌ لَزِمَنِي حَقُّهُ، وَلَا زَمَنِي مُسْتَحَقُّهُ، فَجَزْتُ فِي أَمْرِي، وَأَطْلَعْتُ غَرِيمِي عَلَى عُسْرِي.



حرج صدره، إذا ضاق. عيل: غلب، وعالني الأمر يَعُولُنِي عَوْلًا: غلبني. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: «وإنْ خِفْتُمْ عَائِلَةً أَي خَصْلَةً تَعُولُكُمْ وَتَغْلِبُكُمْ. تَعِيلَةٌ: ما تبديه من العلل في اعتذارك لمن يتقاضاك، وفي غد أجزر غراب البين، أي التفاؤل به لفراقك، وإنما ينسبون الفراق للغراب، لأنهم إذا ارتحلوا عن موضع اجتمعت الغربان فيه يلتقطن ما تركوا من بقايا طعامهم وزيل دوابهم، وإذا أخذوا في هَدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبة فيما يلتقط، فيقولون عند ذلك: نِعَى غراب البين، فصاروا يتشاءمون به، وزجر الطير يذكر في الثامنة والثلاثين. قال المعري في صدق التفاؤل بالغراب: [الطويل]

نَبِيٍّ مِنَ الْغُرَبَانِ لَيْسَ عَلَى شَرْعٍ	يَخْبِرُنَا أَنَّ الشُّعُوبَ عَلَى صَدْعٍ
أَصْدَقَهُ فِي مِزِيَةٍ وَقَدْ امْتَرَتْ	صَحَابَةُ مُوسَى بَعْدَ آيَاتِهِ التَّسْعِ
كَأَنَّ بَغْيِيهِ كَاهِنًا أَوْ مَنْجَمًا	يَخْبِرُنَا عَمَّا لَقِينَا مِنَ الْقُفْجِ
وَمَا كَانَ أَفْعَى أَهْلَ نَجْرَانٍ مِثْلَهُ	وَلَا كَانَ لِلْإِنْسِ الْفُضَيْلَةَ فِي السُّمْعِ
أَتَى وَهُوَ طَيَّارُ الْجَنَاحِ وَإِنْ مَشَى	أَشَاحَ بِمَا أَغْنَىا سَطِيحًا مِنَ السُّجْعِ

قوله: أخلفك، أكذب وعدك. أرجأت: أخرت. لا ألتبك: لأبسطك وأجعلك تقيم معي. استربت: تشككت، وداخلتك الريبة. أغراك: حرّضك والصفك. أصخ: أسمع: قُصَص: خير وحديث. سيرتي: عادتي. أضفها: ضمها. وأخبار الفرج بعد الشدة أن ينزل بالإنسان شدة فيشرف منها على الهلاك ثم ينزل الله تعالى تفرجها، فالحديث بها يسمى خبر الفرج بعد الشدة.

### قصص في الفرج بعد الشدة

ومنها ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه، قال: كان رجلٌ على عهد النبي ﷺ يتجر من بلام الشام إلى المدينة، ولا يصحب القوافل توكلًا منه على الله تعالى، فبينما هو جاء من الشام عرض له لصٌ على فرس، فصاح بالتاجر: قِفْ، فوقف التاجر، وقال له: شأنك بمالي، فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك، فقال له: أنظرني حتى أصلي، قال: افعل ما بدا لك. فصلّى أربع ركعاتٍ ورفع رأسه إلى السماء يقول: يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، وأسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني، ثلاث مرّات. وإذا بفارس بيده خربة، فلما نظره اللص ترك التاجر ومضى نحوه فلما دنا منه طعنه، فأذراه عن فرسه ثم قتله، وقال للتاجر: اعلم أني ملك من السماء الثالثة، لما دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة فقلنا: أمرٌ حدث، ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء

ولها شَرَر، ثم دعوت الثالثة، فهبط جبريل عليه السلام ينادي: مَنْ لهذا المكروب؟ فدعوت الله أن يوليّنِي قتله. واعلم يا عبد الله أن مَنْ دعا بدعائك في كلِّ شدة أغاثه الله، وفرّج عنه. ثم جاء التاجر إلى النبي ﷺ، فأخبره الخبر، فقال: «لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذا دُعِيَ بها أجاب، وإذا سُئِلَ بها أعطى».

وقال عمرو السرايا: كنت أعبرُ في بلاد الروم وخدي، فبينما أنا نائم إذ ورد عليّ عِلج فحرّكني، ثم قال: يا أعرابي، اختر إمّا مسايغة، وإمّا مطاعنة، أو مصارعة! فقلت: المسايغة والمطاعنة لا معنى لهما، ولكن المصارعة، فلم ينهنهني أن صرعتني وقعد على صدري، وقال: أيّ قتلة تريد أن أقتلك، فذكرت الدعاء ورفعت رأسي إلى السماء، وقلت: أشهد أن كلَّ معبود ما دون عرشك إلى منتهى الأرضين باطل، عزّ وجهك الكريم؛ فقد ترى ما نزل بي. وأُعْجِبَ عليّ، فأفقت والرومي قتيل إلى جانبي، فقمّت، وكنت أعلم الناس هذا الدعاء.

وَوَجّه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق، فأطلق أهل سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبي مسلم كاتبه. فظفر به يزيد لمّا وَلِيَ إفريقية، فجعل محمد يقول: اللهم احفظ لي إطلاق الأسرى، وإعطاء الفقراء، فلما دنا يزيد منه وفي يده عنقود، قال: يا محمد ما زلت أسأل الله أن يُظفرني بك. فقال له محمد: وما زلتُ أستجير الله منك، قال: فوالله ما أجارك ولا أعاذك مني. ووالله لأقتلنك قبل أن أكل هذه الحبة من العنب؛ ووالله لو رأيت ملكاً يريد قبض روحك لسبقته إليها. وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه، وتقدّم فصلّى بهم، وكان أهل إفريقية اجتمعوا على قتل يزيد، فلما ركع ضربه رجل بعمود حديد فقتله، وقال لمحمد: اذهب حيث شئت.

وقال حماد الراوية: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني في أيامه لذلك، فلما مات يزيد، وأفضّت الخلافة إلى هشام خفّته، فمكثت في بيتي سنة؛ لا أخرج إلا لمن آمن إليه من إخواني سراً. فلما لم أسمع أحداً يذكرني في السنة أمنت فخرجت، وصليت الجمعة في الرصافة، فإذا شُرطيان قد وقفا عليّ، وقالا: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: مِنْ هذا كنت أخاف، ثم قلت للشرطيين: هل لكمما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودّعهم وداع مَنْ لا يرجع إليهم أبداً، ثم أسير معكما إليه؟ فقال: ما إلى ذلك من سبيل، فاستسلمت في أيديهما، وسرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ورمى إليّ كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر. أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَنْ يأتيك به من غير تروّع ولا تتعنت، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق، فأخذت الدنانير وجعلت رجلي في غرّز جمل أعدّه لي، ووافيت دمشق لاثنتي عشرة ليلة،

واستأذنت على هشام، فأذن لي، فدخلت عليه فوراً في دار مفروشة بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب، وهو جالس على طنْقِيَّة حمراء، وعليه ثياب حمراء من الخز، وقد تَضَمَّحَ بالمسك والعنبر، فسَلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام واستدنانني فدنوت منه، حتى قَبَلْتُ رجله، فإذا جاريثان لم أَرُ مثلهما قط، في أَذْنَيَّ كُلِّ واحدة منهما خَلْقَتَانِ فيهما لؤلؤتان تُوقدان، فقال: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: في بيت خطر ببالي لم أدر مَنْ قائله، قلت: وما هو؟ قال: [الخفيف]

وَدَعَوْا بالصُّبُوح يوماً فجاءت قَيْئَةً في يَمِينِهَا إِبْرِيئُ<sup>(١)</sup>  
فقلت: هو لعدي بن زيد في قصيدة له، قال: أنشدنيها فأنشدته: [الخفيف]

بَكَرَ العاذِلون في وَضَحِ الصبَحِ ح يقولون لي: أما تستفيقُ<sup>(٢)</sup>  
ويلومون فيك يا ابنة عبد اللّهِ ه والقلْبُ عندكم موثوقُ  
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها أعدو يُلومني أم صديقُ!  
حتى انتهيت إلى قوله: [الخفيف]

ودعوا بالصُّبُوح يوماً... البيت.

قَدَّمْتُهُ على سُلَافِ كَعِينِ الدِّ يَكُ صَفَى سَلَاقِهَا الرَّاوُوقُ  
مُرَّةً قَبْلَ مَزْجِهَا فإِذَا مَا مُزِجْتَ لَذَّ طَعْمِهَا مَنْ يَذُوقُ  
وطفا فوقها ففَاقِيْعُ كَالِيَا قوت حمُرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيْقُ  
ثم كان الممزاج ماء سحابٍ لَا صِرَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ

قال: فطرب، ثم قال لي: أحسنت والله يا حماد! ثم قال لإحدى الجاريتين: اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي، ثم قال: أعدّه فأعدته، عليه، فاستخفَّ الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للأخرى: اسقيه، فسقتني شربة فذهب ثلث آخر من عقلي، ثم قال: سَلِ حاجتك، فقلت: إحدى الجاريتين، فقال: هما جميعاً لك، ثم قال للأولى اسقيه، فسقتني شربة سقطت منها فلم أفق إلا والجاريتان عند رأسي وعشرة من الخدم مع كل واحد بذرة، فقل لي يقول: لك أمير المؤمنين: انتفع بهذا في سفرك، فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلي.

وذكر أبو محمد هذه الحكاية في الدرة وقال: هذه حكاية تنشر مآثر الأجواد، وترغب المتأدب في الازدياد. وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدة فلنقتصر عليها.

\*\*\*

(١) البيت لعدي بن زيد في ديوانه ص ٧٨، ولسان العرب (برق)، (طرق)، وتاج العروس (برق).

(٢) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ص ٧٦.

قوله: ما أطول طيلك، أي ما أكثر حيلتك. يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرف والطَّيْل: الحَبْل. أهول: أخوف وأغرب وقيِر: إتباع لفقير، وفائدة الإتباع المبالغة في معنى الأول، وذلك أنك تقول: فلان فقير فيكون له الشيء اليسير من المال، فإذا قلت: وقير، فليس له شيء البتة. وقيل: معنى وقير مثقل بالدين مُوقَّر به، والإتباع قصد لأنه فسره بقوله: لا فتيل لي ولا فقير، كأنَّ إنساناً توهم أن له شيئاً فذكر وقيراً لنفسه، ثم زاده بياناً بما بعده، ولأنه ذكر استئناف الذين بعد ذلك.

ويكون الوقير أيضاً من الوقر في العظم، وهو الكسر كأنه مكسور العظم، كما أن الفقير أصله المكسور الفقار. والفتيل: الخيط الذي في شِقِّ النواة مثل الفتيلة، والنقير الغرض الصغير الذي في ظهرها، وفيه كالنقطة ومنه تنبت النخيل، والقطمير: اللقافة التي عليها، وهي القشرة اللطيفة.

صَفَّرَ البدين: فراغهما من المال. التطَّوَّق: لُبِسَ الطول: أراد أنه ليس من الذين طَوْقاً. أدَّنت: أخذت الدَّيْن، والاتِّفاق، ضدَّ الاختلاف. عسر: صعب. توهمت: حسبت. تسنى: تيسر. التَّفَاق، غبد الكساد. توسَّعت: كثرت. بهظني: غلبني وثقل عليَّ حقه: واجبه.

أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إن أبواب الرزق مفتوحة إلى باب العرش فينزل الله تعالى إلى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فَمَنْ قَلَّ قُلُّ له، ومن كثر كثر عليه.

مستحقه: صاحبه. فحرت في أمري، أي في همِّ الدين، وقال النبي ﷺ: «علمني جبريل دعاء في الدين، وهو أن يصلي إذا زالت الشمس أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد، فإذا سلَّم قرأ: «قل اللهم مالك الملك تُؤتي الملك مَنْ تَشَاء وتَنْزِعُ الملكَ مِمَّن تَشَاء وتُعِزُّ مَنْ تَشَاء وتُذِلُّ مَنْ تَشَاء بيدك الخير إنَّك على كل شيء قدير \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ تَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمِيتِ وتَخْرِجُ الْمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وترزق مَنْ تَشَاء بغير حساب»، ثم يقول: يا فارغ الهمِّ يا كاشف الغمِّ، يا مجيب دعوة المضطرِّ يا رحيم الدنيا والآخرة، ارحمني رحمة تغنيني بها عمَّن سواك واقضِ ديني؛ فإنَّ الله تعالى يقضي دينه عنه وفيها اسم الله الأعظم».

غريمي: صاحب ديني، سُمِّيَ غريماً لإدامته التقاضي وإلحاحه وملازمته مَنْ عليه الدين، ويكون الغريم أيضاً المطلوب بالدين، لازم له كما قال الشماخ: [الوافر]

تلوذ ثعالب الشرفيين منها كما لاذ الغريم من التَّبِيع<sup>(١)</sup>  
عسري: فقري.



(١) البيت في ديوان الشماخ ص ٢٢٧، ولسان العرب (بتع).

فَلَمْ يُصَدِّقْ إِمْلَاقِي، وَلَا نَزَعَ عَنْ إِرْهَاقِي، بَلْ جَدَّ فِي التَّقَاضِي، وَلَجَّ فِي  
اِفْتِيَادِي إِلَى الْقَاضِي. وَكُلَّمَا خَضَعْتُ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ رَفَقَ الْكِرَامِ،  
وَرَغَبْتُ فِي أَنْ يَنْظُرَ لِي بِمِيَّاسَةٍ، أَوْ يُنْظِرَنِي إِلَى مَيْسَرَةٍ. قَالَ: لَا تَطْمَعُ فِي الْإِنْظَارِ  
وَاحْتِجَانِ النَّصَارِ، فَوَحَقَّكَ مَا تَرَى مَسَالِكَ الْخَلَاصِ، أَوْ تَرِيَنِي سَبَائِكَ الْخِلَاصِ.  
فَلَمَّا رَأَيْتُ اخْتِدَادَ لَدَدِهِ، وَأَلَّا مَنَاصَ لِي مِنْ يَدِهِ، شَاغِبْتُهُ، ثُمَّ وَابَيْتُهُ، لِيَرَاغِبَنِي إِلَى  
وَالِي الْجَرَائِمِ، لَا إِلَيَّ الْحَاكِمِ فِي الْمِظَالِمِ، لَمَّا كَانَ بَلَّغَنِي مِنْ إِفْضَالِ الْوَالِي  
وَفَضْلِهِ، وَتَشَدُّدِ الْقَاضِي وَبُخْلِهِ. فَلَمَّا خَضَرْنَا بَابَ أَمِيرِ طُوسَ، آتَسْتُ أَلَّا بِأَسَ وَلَا  
بُوسَ. فَاسْتَدْعَيْتُ دَوَاةَ بَيْضَاءَ، وَأَنْشَأْتُ رِسَالَةَ رُقْطَاءَ؛ وَهِيَ:



ومثله إملاقي، وأملق: ذهب ماله، مشتق من الملقات وهي الصخور المُلس، كأنه  
افتقر حتى لم يبق له ما يلبس إلا جلده الأملس. نزع: كف. إرهافي: تكليفي ما لا  
أطيق، وأرهقته: كلفته مشقة، والرَّهَق: الظلم. جد: عزم واجتهد، التقاضي: طلب  
المال. لج: عزم وركب رأسه. استنزلت: طلبت. رفق الكرام: لطفهم وحنانهم على  
الفقير. مياسرة: لين ومساهلة. يُنْظِرُنِي: يؤخِّرُ بي والإنظار الإمهال، وفي حديث عن أبي  
هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من أنظر معسراً أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».  
ميسرة: غنى. احتجان: احتزان، واحتجنت الشيء: ضممته بالمخجن، وهو عود  
معقف. النصار: الذهب. مسالك الخلاص. طُرُقُ النجاة سبائك: فقر وقطع. الخلاص،  
بالكسر: الذهب الخالص. احتداد: اشتداد، وقد احتد. لدده: خصامه وإلحاحه.  
مناص: مخلص ومفرّ، وناص عن قرينه نوصاً ومناصاً، إذا فزع وفرّ، وما أحسن ما قال  
العبدِي في محمد بن إبراهيم يشكو غريماً لازمه: [الرملة]

أنا بـالله من الدّين وبك	اقض عني يا بن عمّ المصطفى
أسود الوجه لعرضي منتهك	من غريم فاحش قد عزني
أينما زلت من الأرض سلك	أنا والظل وهو الثُّنا

شَاغِبْتُهُ: شَارَرْتُهُ، أَي أَوْقَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الشَّغَابَ. وَابَيْتُهُ: ضَارَبْتُهُ وَوَبَيْتَ إِلَيْهِ،  
وَوَبَّ إِلَيَّ وَالِي الْجَرَائِمِ: حَاكِمُ الْجَنَائِمَاتِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمِظَالِمِ: هُوَ الْقَاضِي. إِفْضَالُ:  
إِنْعَامُ فَضْلِهِ: جُودُهُ وَكِرَمُهُ. وَتَشَدَّدَ: بِخَلٍّ، وَرَجُلٌ شَدِيدٌ وَمِشْدَادٌ، أَيُّ بَخِيلٍ، قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدًا﴾ [العاديات: ٨]، أَيُّ لِبَخِيلٍ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِ الْخَيْرِ وَهُوَ  
الْمَالُ، أَوْ تَشَدَّدَ شِدَّتَهُ عَلَى مَنْ تَعَيَّنَ قَبْلَهُ حَقٌّ. آتَسْتُ: عَلِمْتُ وَأَحْسَنْتُ بِأَسَ: ضَرَّ.  
وبوس: شدة. بيضاء: ورقة يكتب فيها؛ ولابن الرِّقَاق فيها: [الوافر]

وواضحة كمثل النصل تجري مع الإبصار كالماء القراح<sup>(١)</sup>  
 ترى حُبك المداد بجسم نور كمخضر الفرند على الصفاح  
 كأن سواده في صفحتيها بقايا الليل في وجه الصباح  
 رقطاء: فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط، والرقطاء عندهم الدجاجة المرقشة،  
 وهي المنقطة بسواد وبياض، ومنه قيل للنهر أرقط؛ لأن فيه تنقيطاً خلاف لونه، ولو شكر  
 لمعطيه الدواة لأنشد هذه الأبيات، وهي لابن سكرة: [البسيط]

أخ مزجت بروحي روحه وجري منه كمجري دمي في الجسم أفيديه  
 أهدى إلي دواة لو كتبت بها دهري أياديه لم تنفذ أياديه  
 وهذه الرسالة التي أنشأها أبو محمد أبدع فيها بما أراد، وأغرب بها وأجاد.  
 ونشد من الشعر التقيس في مدح الرسائل ما يجري لها كالوصف، ويسري بذكرها  
 طيب العرف، فمن ذلك قول أبي تمام: [الوافر]

مداؤ مثل خافية الغراب وقرطاس كقرقراق السراب<sup>(٢)</sup>  
 وألفاظ كألفاظ المثنائي وخط مثل وشم يد الكعاب  
 كتبت ولو قدرت هوى وشوقاً لكنت إليك سطرأ في الكتاب  
 وله في كتاب جاء من الحسن بن وهب: [الوافر]

لقد جلّى كتابك كل بث جور وأصاب شاكلة الرمي  
 وكان أغض في عيني وأندى على كبدي من الزهر الجنّي  
 وأحسن موقعاً مني وعندي من البشرى أنت بعد التبعي  
 فكائن فيه من معنى خطير وكائن فيه من لفظ بهي  
 فيا ثلج الفؤاد وكان رصفاً ويا شبعي برونقه وريي  
 من أبيات كلها عيون، وفيما ذكرنا دليل على ما تركنا.

وقال أبو نواس في كتاب ورد عليه من صديق: [البسيط]

ووارِد ورد إن شاء يؤكده صدوره عن سليم الورد والصدر  
 شدّت بتيجانه منه على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر  
 عذوبة صدرت عن منطقي ينع كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر  
 وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر

(١) الأبيات في ملحق ديوان ابن الزقاق ص ٢٩١.

(٢) البيت الأول للحسن بن وهب في ديوان المعاني ٨٣/٢، وليس في ديوان ابن الزقاق.



كَأَنَّمَا نَشَرْتُ أَيْدِي الرِّبِيعِ بِهَا      بُزْدًا مِنَ الْوَشْيِ أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْجَبْرِ  
وَلَا بِنِ طَاهِرٍ فِي ابْنِ ثَوَابَةٍ: [البسيط]  
فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدُورُ الْكُتُبِ صَادِرَةٌ  
عَنْ خَطِّ أَقْلَامِهِ خَطُّ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَعْدِ  
لِعَابِهَا عَسَلٌ فِي الصَّدْرِ تَبِعْتَهُ  
كَأَنَّ أَسْطَارَهَا فِي بَطْنِ مُهْرَقَةٍ  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: [الوافر]

كِتَابٌ فِيهِ مِنْ غُرَرِ الْمَعَانِي      قَلَائِدُ لَا تَنْظُمُهَا الْيَدَانِ  
إِذَا نَشَرْتُ صَحَائِفَهُ تَجَلَّتْ  
تُرُودُ الْعَيْنِ مِنْهَا فِي مَرَادٍ  
كَأَنَّ مَجَالَ عَيْنِ الْفِكْرِ فِيهِ  
وَقَالَ آخَرُ: [الطويل]

يَدِيرُ عَلَى الْقِرْطَاسِ أَسْمَرَ مَرْهَفًا      إِذَا دَارَ لَمْ تَلْحَقْ بِهِ الْبَيْضُ وَالسُّمُرُ  
كَأَنَّ الْمَعَانِي رَوْضَةٌ وَهُوَ غَيْثُهَا  
فَمَهْمَا سَقَى أَغْصَانَهَا ضَجَّكَ الزُّهْرُ  
وَقَالَ الرَّمَادِيُّ: [مجزوء الكامل]

قَلَمُ الْوَزِيرِ وَكَفِّهِ      هَذَا يَصُولُ وَذَا يَطُولُ  
أَضْحَى كُلِّ ثَخَفِيَّةٍ      وَدَوَاتِهِ لِلْنِّثِ غِيلُ

\* \* \*

أَخْلَاقُ سَيِّدِنَا تُحِبُّ، وَبِعَقُوبَتِهِ يُلَبِّ، وَقَرْبُهُ تُخَفِّ، وَنَأْيُهُ تَلَفُّ، وَخَلْقُهُ نَسَبُ،  
وَقَطِيعَتُهُ نَصَبُ، وَغَرْبُهُ ذَلِقُ، وَشَهْبُهُ تَأَلَّقُ، وَظُلْفُهُ زَانُ، وَقَوِيمُ نَهْجِهِ بَانَ، وَذَهْنُهُ  
قَلْبُ وَجَرَّبُ، وَنَعْتُهُ شَرَقُ وَغَرَّبُ. [الخفيف]

سَيِّدُ قَلْبٍ سَبَّوْقُ مُبِيرُ      قَطْنُ مُغْرِبٍ عَزُوفُ عَيُورُ  
مُخْلِفُ مُثْلِفٍ أَعْرُ فَرِيدُ      نَابَةُ فَاضِلٍ ذَكِيٌّ أَثُورُ  
مُفْلِقُ إِنْ أَبَانَ، طُبُّ إِذَا نَا      بَ هِيَاجُ وَجَلُّ خَطْبُ مَخُورُ

\* \* \*

قوله: أخلاق سيدنا تحب، حسن أخلاق الإنسان من كمال سعادته، وكرم فضيلته،  
وكان رسول الله ﷺ يقول «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» مع أن الله عز وجل  
يقول فيه: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القم: ٤].

قوله: وبعقوته يَلَبَّ، أي بمنزله يقام لحماية الممدوح من يلوذ به وإكرامه له. وقربه تحف، أي من قرب منه أتحنفه وهاداه، ومن يُعَدُّ منه فقد الأَمَنُ فهلك. والنأي: البعد، ولما كان القرب سبباً للتحف والنأي سبباً للتلف، جعل نفس القرب والبعد هما الحياة والموت. حَلَّتْهُ: صداقته. نسب، أي هو للصديق بمنزلة النسيب، قيل ليزرُ جُمَهر: مَنْ أَحَبَّ إليك: أخوك أم صديقك؟ فقال: لا أَحَبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ صَدِيقِي. وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: القِرابَة تحتاج إلى مودَّة، والمودة لا تحتاج إلى قِرابَة. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: القِرابَة قد تقطع، والمعروف قد يكفر، وما رأيت كتنقارب القلوب، أخذه ابن منذر فقال: [الخفيف]

قَدْ يُقَطِّعُ الرَّحِمَ الْقَرِيبَ وَتُكَدُّ  
يُذْنِي الْهَوَى هَذَا، وَيَذْنِي ذَا هَوَى  
أخذه أبو تمام فحسَّنه فقال: [الطويل]

فَإِنَّ الْفَتَى فِي كُلِّ حَالٍ مَنَاسِبٌ  
مَنَاسِبٌ رُوحَانِيَّةٌ مِّنْ يَشَاكُلُ<sup>(١)</sup>  
وَلَنْ تَنْظُمَ الْعَقْدُ الْكَعَابُ لَزِينَةَ  
كَمَا تَنْظُمُ الشَّمْلُ الْأَشْتُ الشَّمَائِلُ  
وقد تقدَّم حديث: «الأرواح جنود مجنَّدة»<sup>(٢)</sup>، ونظم الحسن له.

وقال الشاعر: [الكامل]

لَا خَيْرَ فِي قَرَبَى بِغَيْرِ مودَّةٍ  
وَلَرَبِّ مُنْتَفِعٍ بِودَّةِ أَبَاعِدٍ  
وَإِذَا وَجَدْتَ مِنَ الْبَعِيدِ مودَّةً  
فَامْذُدْ لَهُ كَفَّ الْقَبُولِ بِسَاعِدٍ  
قوله: وقطيعته نصب، أي عداوته هم وتعب، وقد قال أبو تمام: [الطويل]

وَالَا فَاعِلِمْهُ بِأَنَّكَ سَاخِطٌ  
وَدَعَهُ فَإِنَّ الْخَوْفَ لَا شَكَّ قَاتِلُهُ<sup>(٣)</sup>

غربه: أي حدّه. ذُلْتُ، أي حاذ. شهبه: نجومه، يعني أخلاقه ومكارمه. تأتلق: تضيء وظلّفه: منعه وكفه، وظلّفت نفسي عن الشيء: منعتها منه. زان: يزين، يقول إن قمعه من تجاوز قدره ومنعه مَنْ سأل ما لا يحبُّ زَيْنَ بالمنوع، وشرف بالمقموع، فتأديب الملوك لا عارَ به، وإنما العار أن يهينك كفوك، ومَنْ لا حكم له عليك. وقال المتنبي: [الطويل]

وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ  
عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) البيتان في ديوان أبي تمام ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء باب ٢، ومسلم في البر حديث ١٥٩، ١٦٠، وأبو داود في الأدب باب ١٦، وأحمد في المسند ٢/٢٩٥، ٥٢٧، ٥٣٧.

(٣) البيتان في ديوان المتنبي ٢٧٦/١.

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٣٢.

وإنّ دما أجريته بك فاخرُ وقال حبيب: [الكامل]

خشعوا لصولتك التي هي عندهم وقال آخر: [الطويل]

وإنّ أمير المؤمنين وعثبه وإذا تزين بمنعه، فما ظنك بعطائه! على أن اليد القابلة للجدوى، وهي اليد السفلى، لا تنفك عن حشمة أو ذلة، وقد اعتذروا لهذا المعنى، قال أبو تمام: [الطويل]

رأيتُ رجائي فيك وحدك همة وقال أيضاً: [البيط]

تُدعى عطاياء وفُراً وهي إن شهرت ما زلت منتظراً أعجوبة زمناً وقال إبراهيم بن العباس: [الطويل]

إذا طمع يوماً عراني منحته إذا طمع يذني إليك فإنه وقال الخريبي: [الطويل]

عطاؤك زين لامرئى إن أصبته وليس بعار لامرئى بذل وجهه وقال أبو الطيب: [الوافر]

وفيض نواله شرف وزين وقال ابن أبي خالد: [الخفيف]

شرف للشريف منك نوال رُبّ نيل تعافه الأحرارُ

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص ١٤٦.

(٢) البيت في ديوان أبي تمام ص ١٩٢.

(٣) ديوان أبي تمام ص ٢٠١.

(٤) البيتان في ديوان الصولي ص ١٨٣.

(٥) البيتان لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٦٣، والبيت الأول في الاشتقاق ص ١٤٤، وديوان المعاني ٤٦/١، والأغاني ٣٤٢/٨، وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨٣١.

فزاد بقوله: للشريف على من سبق.

قوله: قويم نهجه، أي مستقيم طريقه. بان تبين. قلب: بحث. شرق وغرب: أي مشى بوصفه المادحون شرقاً وغرباً، وأنشد المتنبي وزاد فيه معنى: [الطويل]

ستحيا بك السَّمَار ما لاح كوكبٌ      وتحذو بك السفار ما ذرَّ شارقُ<sup>(١)</sup>  
تخلّى من الدنيا لِيُنْسَى فما خلّت      مغارِبُها من ذكره والمشارق

قلب: درّب بالأمر، وفلان حوّل قلب، إذا كان متصرفاً في أموره، نفاعاً لأوليائه، ضرّاراً لأعدائه، كأنه لمعرفة بالأمور قد حوّل الأمور وقلبها. ومبرّ، أي غالب لأعدائه. فطن: ذكي. مُغرب: يأتي بالغرائب. عزوف: نزيه النفس بعيد من الريب. عيوف: كاره للدنيا. والمتلف عند العرب: الذي يتلف ماله بالجوّد. والمخلف: الذي يخلف ما أتلف بالإغارة على الأعداء، وأخذ أموالهم، يصفه بالشجاعة والكرم. وقال البحتري: [الطويل]

بأزوّج من طي كأن قميصه      يُزَرُّ على الشيخين زيد وحاتم<sup>(٢)</sup>  
سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا      إذا اجتمعوا في العارض المتراكم

وقال ابن الرومي: [المنسرح]

لم تخلني قط من صنائعك الـ      غرّ ولا من حروبك القُزُسِ  
تصرّف الغيث في صواعقه      وتارة في سجاله البُجُسِ  
وقال البحتري: [الطويل]

ضحوك إلى الأبطال وهو قريعهم      ولل سيف حدّ حين يسطو ورونقُ<sup>(٣)</sup>  
حياة وموت واحد منتهاهما      كذلك غمر الماء يُروِي ويُغرقُ  
وقال ديك الجن: [الكامل]

هو عارض زجل فمن شاء الحيا      أرضى، ومن شاء الصواعق أغضبا<sup>(٤)</sup>  
وقال أبو مسهر: [البسيط]

تحيا الأنام به في الجذب إن قحطوا      جوداً وتشقى به يوم الوغى الهام  
كالمزن يجتمع الحالان فيه معاً      ماء ونار، وإرهام وإضرام  
وقال ابن الرومي: [الكامل]

والناس طراً بين مرتقب      سطواته ومؤمل نفعه

(١) البيتان في ديوان المتنبي ٣٤٨/٢.

(٢) البيتان في ديوان البحتري ص ١٩٧١.

(٣) ديوان البحتري ص ١٤٩٦.

(٤) البيت في ديوان ديك الجن الحمصي ص ١٥٠.

كالعارض التهبّت صواعقه وسقي البلاد فلم يدع بُقعة  
 قوله: أغرّ: مشهور. فريد: ليس له نظير. نابه: رفيع الذكر. ذكي: متوقد الفطنة،  
 ويروى: «زكي»، وهو الطاهر العفيف، وقيل: هو المتزيد في الخير، والزكاء: النماء  
 والزيادة. أنوف: كثير الحمية والغضب لما يستراب منه. مفلق: فصيح، وأفلق: جاء  
 بالفلق، وهي الداهية كأنه جاء من الفصاحة بما لا يطاق. أبان: بين كلامه. طبّ: حاذق  
 حسن التدبير. ناب هياج: حدث شر واختلاف. جلّ خطب: عظم أمر. مناظم: جمع  
 منظوم. تأتلف: تجتمع، يريد أن ما ينظم في شرفه من المدائح يأتلف بلا تكلف على  
 الشعراء لكثرة صفات الفضل والسؤدد، كما قال حبيب: [البيسط]

تَغَايِرُ الشُّعْر فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ<sup>(١)</sup>  
 وقال أبو الطيب: [الطويل]

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مَعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ<sup>(٢)</sup>  
 وقال آخر: [الخفيف]

مَا لَقِينَا مِنْ فَضْلٍ جُودِ ابْنِ يَحْيَى صَيَّرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ

\*\*\*

مَنَاظِمُ شَرَفِهِ تَأْتِلِفُ، وَشُؤْبُوبُ حَبَائِهِ يَكِفُ، وَنَائِلُ يَدَيْهِ قَاضٍ، وَشُحُّ قَلْبِهِ  
 غَاضٍ، وَخَلْفُ سَخَائِهِ يُخْتَلَبُ، وَذَهَبُ عِيَايِهِ يُخْتَرَبُ. مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَّ وَعَلَبَ،  
 وَتَاجِرُ بَابِهِ جَلَبَ وَخَلَبَ. كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِي. وَبَرِيءٌ مِنْ دَنْسِ غَوِي، وَقَرَنَ لِيَانَهُ  
 بَعَزٌ، وَنَكَبَ عَنْ مَذْهَبِ كَزٍ. لَيْسَ بَوَقَابٍ عِنْدَ نُهْرَةِ شَرٍّ، بَلْ يَعِفُ عِفَّةَ بَزٍ. [الكامل]

فَلِهَذَا يُحِبُّ وَيُسْتَحِقُّ عَفَاؤُهُ شَعَفَ بِهِ فَلِبَابُهُ خَلَابُ  
 أَخْلَاقُهُ غُرٌّ تَرَفٌ وَفُوقُهُ فُسُوقٌ إِذَا نَاضَلَتْهُ غَلَابُ  
 سُحُجٌ يَهْشُ وَذُو تَلَاوٍ إِنْ هَمَّا خُلُ فَلَيسَ بِحَقِّهِ يُزْتَابُ  
 لَا بِاخْلٍ بَلْ بِاذَلٍّ خِرْقٌ إِذَا يُغْتَرُّ، بَزَزٌ لَا يَلِيهِ بَابُ  
 إِنْ عَضُّ أَزَلَّ قُلٌّ غَرَبَ عِضَاؤُهُ بِمَنَابِهِ فَنَاحَتْ مِنْهُ نَابُ

\*\*\*

شُؤْبُوبُ حَبَائِهِ: دفع عطائه، والشُؤْبُوبُ: دَفَعَ المطر. يكف: يقطر ويسقط. نائل:

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٢٧.

(٢) البيت في ديوان المتنبي ٣/ ٣٩١.

عطاء. فاض: سال وخرج على الأرض. غاض: غاب وجفّ والخلف: حلمة الضرع الذي يحلب منه اللبن، وهو أيضاً اسم للضرع. سخائه: جوده. عيابه: جمع عيبة يُحترَب: يستلب، أي لكثرة جوده كأنّ ماله يسليه القاصدون له. من لفّ لِفَّهُ، أي من ألّف به ودخل في جماعته، واللفّ: لفيف الناس، ولفّ القوم: اجتمعوا والتفّ بعضهم ببعض، وأخذ هذا اللفظ من قول الأعشى: [الطويل]

وقد ملأت بكرٍ وَمَنْ لَفَّ لِفْهًا      تُبَاكَأ فاحواض الرّبا فالنوعاصا<sup>(١)</sup>

بكر قبيلة، وَمَنْ لَفَّ لِفْهًا، أي مَنْ التّف بها. فلج، أي ظفر بما أحب. جلب: ساق، أي التاجر الذي يقصد بابه بما جلب إليه من الفوائد يجازيه على ذلك بالعطاء الكثير، فللكثرة ما أخذ فكانه قد خدعه، والملك المفضل يوصف أنه يُخدع لكثرة هباته، وقيل لعرابة: بم سدت قومك؟ قال: أنخدع لهم في مالي. هضم: نقص، أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب إليه. غَوِي: ضالّ مفسد. ليانه، أي لين خلقه. بعزّ: بمنع وبِعْظَم، والعزة في اللغة: الشدة والمنعة، والعزّاز: الأرض الصلبة، يريد أن الأمير إذا انبسط لم يهب، وإذا اشتدت سبطوته لم يُؤْلَف، فحالة هذا الممدوح بين العزة واللين.

وقال أبو تمام: [الكامل]

المجدّ شيمته وفيه فكاهة      سمح ولا جدّ لمن لم يلعب<sup>(٢)</sup>

شريس يتبع ذاك لين خَلِيقَةٍ      لا خير في الصّهباء ما لم تقطّب

نكّب: عدل ومال. مذهب: طريق: كزّ: بخيل قليل الخير. وثأب: عجول كثير الوثوب. تُهْزَة: فرصة وغنيمة. ويعفّ: يكف نفسه. بَرّ: مطيع لله، أراد أنه عفيف عن المحارم. قوله: شعفا، أي حبا يطلب الغاية، وشعاف القلب: أعلاه. يريد أن عفاه بلّغه غاية الحبّ من القلوب، وفلان مشعوف بفلان، إذا ذهب به حبه كل مذهب. الفراء: هو من الشّعف، وهي رؤوس الجبال، واحدها شعفة، فكأنّ معنى شعف بفلان، ارتفع حبه إلى أعلى موضع فيه.

لبابه: خالصه. خلاّب: أخذ للنفس غالب عليها. غرّ: حسان. ترفّ: تتلأأ وتشرق، والرفيف: بريق اللون. وفوقه: سهمه والفوق: طرف السهم الذي يلي الوتر. ناضلته: راميته، يقول: سهمه غلاب لمن راماه. سحج: سهل الخلق. يهشّ: يهتزّ طربا. تلاف: تدارك. هفا: زلّ وسقط، والهفوة: الزلة. خِلّ: صاحب. يرتاب: يشكّ. جُرق: كريم جواد يتخرّق في العطاء. يعتر: يقصد. بَرَز: ظاهر غير محتجب. قال

(١) البيت في ديوان الأعشى ص ١٩٩، ولسان العرب (نقص)، ومقاييس اللغة ٢٠٧/٥، ومجمل اللغة ٢٤٧/٤، وتاج العروس (نقص)، (لنف)، (نلك).

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ص ١٣.

المنجديهي: رجل بَزَز، أي عفيف عاقل كريم. لا يليه باب، أي لا يحتجب ببابه دون قصاده.

### [مما قيل في الحجاب]

[الكامل]

شاد الملوك قصورهم وتحصُّوا  
من كلِّ طالب حاجة أو راغبٍ  
غالوا بأبواب الحديد لعزها  
وتنافسوا في قبح وجه الحاجب  
فإذا تَلَطَّف للدخول عليهم  
راج تَلَقُّؤُه بعذرٍ كاذبٍ  
فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن  
بادي الضراعة طالباً من طالبٍ  
هي لمحمود الوراق.

وقال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافي فحجبتني، فكتبت إليه:  
[البسيط]

إني أتيتك للتسليم أمس فلم  
تأذُنْ عليك لي الأستار والحجب  
وقد علمتُ بأنني لم أرَ ولا  
والله ماردة إلا الحلم والأدب  
فأجاني بهذا القول: [البسيط]  
لو كنت كافات بالحسنى لقلت كما  
قال ابن أوس وفيما قاله أدب  
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً  
إن السماء ترجى حين تحتجب  
وقال حبيب: [الطويل]

سأترك هذا الباب ما دام إذنه  
على ما أرى حتى يلين قليلاً  
فما خاب مَنْ لم يأتيه متعمداً  
ولا فاز من قد نال منه وصولاً  
ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ  
حمى بابه من أن يُنال دخولا  
إذا لم أجد للإذن عندك موضعاً  
وجدت إلى ترك المجيء سبيلاً

وحجِب أبو العتاهية عن بعض الهاشميين، وقال له: تكون لك عودة فقال:  
[الطويل]

لئن عدتُ بعد اليوم إني لظالمٌ  
سأصرف نفسي حيث تُبغى المكارمُ  
مَتى يظفر الغادي إليك بحاجةٍ  
ونصفك محبوبٌ ونصفك نائم!  
قال المتنبي: [الكامل]

أصبحتُ تأمرُ بالحجاب لخلوة  
هيهات لست على الحجاب بقادر<sup>(١)</sup>

مَنْ كَانَ ضَوْءَ جَبِينِهِ وَنَوَالِهِ  
فَإِذَا احْتَجَبَتْ فَأَنْتَ غَيْرَ مُحْتَجِبٍ  
لَمْ يَحْجِبْ لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاضِرٍ  
وَإِذَا بَطَّشَتْ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ  
وقال جرير: [الكامل]

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودَهُمْ  
وَقَالَ آخِرُ: [الطويل]

نَهَيْتَ جَمِيعَ النَّاسِ عَنْ كُلِّ خُطَّةٍ  
فَلَمَّا وَرَدْنَا الْبَابَ أَيْقَنْتَ أَنَّنا  
يُدْبِرُهَا فِي رَأْيِهَا ابْنُ هِشَامٍ  
عَلَى اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ غَيْرَ كَرَامٍ  
وقال آخر: [الطويل]

وَكُلَّ خَفِيفِ الشَّانِ يَدْعَى مُشْمَرًا  
وَنَحْنُ الْجُلُوسُ الْمَاكُثُونَ تَوَقَّرًا  
إِذَا فَتَحَ الْبُؤَابَ بِابِكَ إِصْبَعًا  
حَيَاءً إِلَى أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ أَجْمَعًا

قوله: عض أزل، أي اشتد زمان، والأزل: ضيق العيش من الجذب والقحط، وعض: قبض بأسنانه. فل: كسر. غزب: حد. بمنابه: بكفايته. انحث: انكسر. ناب: سن، يقول: إن عضت الشدائد الناس وأضرث بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن أفقرته. ومن مليح ما قيل في هذا المعنى قول المتنبي: [الكامل]

أَظْمَشْنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جَثَّه  
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا  
مُسْتَسْقِيَا مَطَرْتُ عَلَيَّ سَحَابًا<sup>(٢)</sup>  
جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا  
نقل المتنبي اللفظ والمعنى من قول أبي تمام: [الكامل]

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يَرَى  
وَأَلَمَ بِهِ الْحَصْنِي أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: [الطويل]

وَقَدْ تَحَسَّنُ الْأَيَّامُ بَعْدَ إِسَاءَةٍ  
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: [المقارب]

وَعَوَّقَنِي الدَّهْرُ عَنْ قُرْبِهِ  
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ: [الطويل]

أَسَاءَتْ لِي الْأَيَّامُ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ  
رَأَيْنَ مَطَافِي حَوْلَ عَفْوِكَ عَائِدًا  
وَهَنَ إِلَيَّ الْيَوْمَ مَعْتَذِرَاتٍ  
فَهَنَ لَمَّا أَبْصَرْنَاهُ حَذِرَاتٍ

(١) البيت في ديوان جرير ص ٥٦.

(٢) البيتان في ديوان المتنبي ١/ ١٢٥.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ص ٢٩.



وقال أبو تمام: [الطويل]

إذا العيس لاقت بي أبا دلف غداً      تقطع ما بيني وبينه النوائب

وقال أبو نواس: [الطويل]

أخذتُ بحبلٍ من حبال محمدٍ      أمنتُ به من طارق الحدّثانِ  
تغطّيت من دهري بظلّ جناحه      فعيني ترى دهري وليس يراني  
فلو تسأل الأيام عني ما دَرَّتْ      وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال أيضاً: [الخفيف]

أنا في ذمة الخصيب مقيمٌ      حيث لا تهتدي صروفُ الزمانِ  
قد عرفنا من الخصيب خلالاً      آمَنتنا طوارق الحدّثانِ  
كيف أخشى من الليالي اغتيالاً      ومكاني من الخصيب مكاني

\*\*\*

وجديرٌ بمن لبّ وفطنٌ، وقزبٌ وشطنٌ، أن أذعنَ لقرّيعِ زَمَنٍ، وجابرِ زَمَنٍ،  
مُدَّ رَضِعَ ثُدَيِ لَبَانِهِ، حُصَّ بِإِفَاضَةِ تَهْتَانِهِ. نَعَشَ وَفَرَجَ، وضافَرَ فَأُبْهَجَ، وناقَرَ  
فأزَعَجَ، وفاءً بحقِّ أبلَجَ، أَتَعَبَ مَنْ سَيَلِي، وقُرْظَ إِذْ هُزَّ وَبُلِي، وتَوَجَّ صفاتِهِ،  
يُحِبُّ عُقَاتِهِ. [مجزوء الرجز]

فَلَا خَلَا ذَا بَهْجَةٍ      يَمْتَدُّ ظِلُّ خَضْبِهِ  
فَإِنَّهُ بِرُيْمَنْ      أَكَسَ ضَوْءَ شَهْبِهِ  
زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ      يَلْبُسُ خَوْفَ رُبِّهِ

\*\*\*

قوله: جدير، أي حقيق. لبّ: كان لبيباً وعاقلاً. شطن: بُغْد. أذعن: ذلّ وانقاد.  
القرّيع: السيد يدفع ضرّ الزمن ويقرعه. جابر زَمَنٍ، أي مغني فقير، والزمن الفقير الذي  
لازمه الفقر أو المريض الذي لازمه المرض، وبه زمانة، وأصل ذلك من الزمن. لبانه، أي  
لبن أمه، وقال في الدرة. وقولهم: الرضيع الإنسان ارتضع بلبنه، صوابه بلبانه، لأن اللبن  
هو المشروب، واللّبان، هو مصدر لابنه، أي شاركه في شُرْب اللبن، هذا معنى كلامهم  
الذي نحوا إليه ولفظوا به. التّهتان: سِلان المطر، وإفاضته: صبّه، وأراد في لبن أمه،  
أرتضع الجود فداوم عليه، كقول المتنبي: [المقارب]

سموا للمعالي وهم صبيةٌ      وسادوا وقادوا وهم في المهود<sup>(١)</sup>

وقد غلط المتنبي في هذا، ونُسب فيه إلى الكذب والمحال الفاضح، لأن سيادة الأطفال في المهود وقود الجيوش من أمحل المحال، وهذا وإن كان ظاهره كذلك، فقد اتسعت العرب وأهل الأدب في هذا القدر، وأقاموا تخيل النجابة في المولود في مهده مقام وجودها في كبره. ثم إذا وجدوا صفة الكمال في الرجل التأم حكموا بكمالها، لأنه رضعها في ثدي أمه، أو غذي بها في بطن أمه، ألا ترى قوله: تعلمت العلم قبل أن يقطع سرك وسررك، وقبل أن يقطع ذاك، كان في بطن أمه، وهذا لم ينكره أحد، ومن شعر الحماسة في الذي رأى المهلب في مهده فقال: [الطويل]

خذوني به إن لم يسدُ سرواتهم      ويبرع حتى لا يصاب له مثل  
وفيها أيضاً: [الطويل]

لئن فرحت بي معقل عند شيبتي      لقد فرحت بي بين أيدي القوابل  
وذلك لتخيل النجابة فيه في ذلك الوقت، ألا ترى ما تثبت نساء العرب من بلوغ السيادة لأبنائهن عند ترقيصهن، وانظر إلى ذلك إن شئت في فصل نظمناه في كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبي علي، فقد سقط عن المتنبي والحريري بهذا ما عيب عليهما، وقال سوار بن أبي شراعة: [الرملي]

تعرف السودة في مولودهم      وتراه سيّداً إن أيفعا  
نَعَش: رفع الضعيف بجوده. فَرُج: أزال همه. ضافر: فاخر. أبهج: أدخل السرور على أحبابه إذا كان له الغلب. نافر: حاكم في النسب.  
وكانوا في الجاهلية إذا تنازع الرجال الشرف تنافروا إلى حكمائهم فيفضلون الأشرف، وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة: أينا أعزّ نقرأ.

### [منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة]

وأشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر، حين قال له علقمة: الرياسة لجدي الأحوص، وإنما صارت إلى عمك أبي براء من أجله، وقد أسنّ عمك وقعد عنها، فأنا أولى بها منك. وإن شئت نافرئك، فقال عامر: قد شئت والله؛ لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت نسباً، وأطول قصباً، فقال علقمة: أنا فرك وإني لبز وإنك لفاجر، وإني لولود وإنك لعاقر، وإني لعف وإنك لعاهر، وإني لوايف وإنك لغادر؛ فقال عامر: أنا فرك؛ أنا أسنى منك سنة، وأطول قمة، وأحسن لمة، وأجعد جمّة، وأبعد همة. فقال علقمة: أنت جسيم وأنا قضيف<sup>(١)</sup>، وأنت جميل، وأنا قبيح؛ ولكن أنا فرك أنا أولى بالخيرات منك.

(١) القِصيف: النحيف.

فخرجت أم عامر فقالت: نافره أيكما أولى بالخيرات، ففعلوا على أن جعلوا مائة من الإبل يعطاها الحكم الذي ينفر عليه صاحبه، فخرج علقمة ببني خالد بن الأصفر وبني الأحوص ومعهما القباب والجزور والقذور؛ ينحرون في كل منزل يطعمون، وخرج عامر ببني مالك، وقال: إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا: بمثل ما شخص به، وقال لعمه أبي براء: أعني، فقال: سُبَّني، فقال لا أسبُك وأنت عمي، فقال: وأنا لا أسبُ الأحوص وهو عمي، ولكن دونك نعلي، فإني ربت فيها أربعين سنة؛ ولم ينهض معه. فجعلنا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، ثم إلى أبي جهل بن هشام، فلم يقلوا بينهما شيئاً، ثم رجعا آخر إلى هِرم بن قطبة بن سيار بن عمر الفزاري، فقال: لعمري لأحكمن بينكما، فأعطيني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيَا بحكمي، وتسلما ما قضيت بينكما. ففعلنا، فأقاموا عنده أياماً فأرسل إلى عامر فأتاه سراً، فقال: قد كنت أحسب أن لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه المدة إلا لتنصرف عن صاحبك؛ أتنافر رجلاً لا تفتخر أنت وقومك إلا بآبائه! فما الذي أنت به خير منه؟ فقال عامر: نشدتك الله والرحم، ألا تفضل عليّ علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها، هذه ناصيتي فأجزها واحتكم في مالي، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسو بيني وبينه، فقال له ما قال لعامر، فقال له: أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء، وأسمع سماحاً! فما الذي أنت به خير منه! فردّ عليه علقمة ما ردّ عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامراً عليه. فأرسل هِرم إلى بنيه وبني أخيه، وقال لهم: إني قاتل غداً بينهما مقالة، فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، وليطرد بعضهم مثلها فلينحرها عن عامر، وفرّقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة. ثم أصبح هِرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا، فقال هِرم: إنكما يا بني جعفر قد تحاكمتما إليّ؛ أنتما كركبتي البعير الآدم الفحل تقعان على الأرض معا، وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم. ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لئلا يجب بذلك شرّاً بين الحيين، ونحرت الجزر وفرقت على الناس.

وعاش هِرم حتى أدرك خلافة عمر رضي الله عنه، فقال: يا هِرم، أي الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت؟ فقال: لو قلت ذلك اليوم عادت جزعة، ولبلغت شعفات هَجَر، فقال عمر: نعم مستودع السرّ أنت يا هِرم، مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم، والحكاية طويلة، وقال فيه الأعشى: [السريع]

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمُ      أَبْلُجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ<sup>(١)</sup>

لا يقبل الرّشوة في حكمه      ولا يبالي غيرة الخاسر

قوله: فاء، أي رجع. أبلج: بيّن ظاهر. أتعب من سيلي، يقول إن الأمير الذي

(١) البيتان في ديوان الأعشى ص ١٤١.

يأتي بعده في تعب لأنه يروم أن يفعل مثل ما فعل فيعجز عنه، وأعاد هذا المعنى منظماً في السابعة والثلاثين حين قال: [السريع]

سماخه أزرى بمن قبله وعذله أتعب مَنْ بعده

أخذه من قول رجل قال لأحد الأمراء، وقد عزل عن عمله: أصبحت والله فاضحاً متعباً، أما فاضحاً فلكلّ وال قبلك بحسن سيرتك، وأما متعباً فلكلّ وإلّ بعدك أن يلحقك.

قرظ: مدح. هزّ: حرك بالثناء عليه. بلى: جرب. توجّ صفاته، أي زينها وشرفها، عُفاته: قصاده، بهجة: سرور، وكنى بخصبه عن ماله ودعا له بالبركة والكثرة إذا جعله ممتدّ الظل، برّ: مكرم. أنس: أبصر. شهيه: نيرانه الساطعة. واحدها شهاب، وأصل هائه التثقيل فخففت، وكانت العرب، توعد النيران فيقصدها الأضياف بالليل، أراد أنه كثير الإكرام لمن يقصد ناره، وأخذ اللفظ من قوله تعالى: ﴿أنس من جانب الطّورِ ناراً﴾ [القصص: ٢٩]

مزاي: فضائل. ظرفه: حسن هيئته وعذوبة لسانه، وهو مصدر ظرّف يظرف ظرفاً فهو ظريف، فمن قال: الظريف البليغ، وقصره على اللسان لم يجرّ له أن يقول: ما أظرف زيد؟ على الاستفهام، ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة جاز له ذلك، وكذلك مَنْ جعل الظرف عامّاً فيكون معناه: أي شيء فيه من الظرف؟ أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته؟

بلّيس: اختلاط، أراد أنه يخلط الهزل بالجد، والمزاح وخفة الطرب بالانقباض والحشمة، وقد تقدم في صفة التنوخي مثل هذا. والمزاي: جمع مزية وهي التمام والكمال، وأصلها من الزي.



فلَيْهِن سَيِّدَنَا قُوَّزُهُ بِمَفَاخِرٍ تَأَلَّثَتْ وَجَلَّتْ، وفوقه بِصَنَائِعٍ تَمَّتْ وَنَمَتْ، ويُلَايِمُ قَرَبَ حَضْرَتِهِ، غَوِثَ رِقِّهِ بِحِطٍّ مِنْ حَظَوَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ تَلِيدٌ نَذْبٌ، وَشَرِيدٌ جَذْبٌ، وجريح نَوْبٍ أَثْرَثَ، وناظِمٌ فَلَانَدٌ تَسِيرَتْ، إذا جاشَ لِحُطْبَةٍ فَلَا يُوجَدُ قَائِلٌ، ثم قَسَّ ثُمَّ بِاقِلَ.

فإن حَبِرَ قَلْتُ: حَبِرَ تُمَيِّمْتُ، وَخَلْتُ رياضاً قَدْ نَمَتْ، هذا ثم شَرِبُهُ بَرُضٍ؛ وقوُّهُ قَرُضٌ، وفَلَقَهُ عَسَقٌ، وجلبابه خَلَقٌ، وقد قَلَقَ لِتَوَعَّرِ غَرِيمٍ غَاشِمٍ، يَسْتَحْتُهُ بِحَقٍّ لَازِمٍ؛ فَإِنْ مَنْ سَيِّدُنَا بِكَفِّهِ، بهباتِ كَفِّهِ، تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فَاقٍ، وباءَ بأَجْزٍ فُكِّي مِنْ وثاقٍ.

لَا خَلْتُ سَجَايَا خُلُقِهِ، تَزَفُّدُ شَائِمَ بَرْقِهِ، بِمَنْ رَبِّ أَرْلِي، حَيَّ أَبْدِي.

\*\*\*

فوزه: ظفروه. تأثلت: تقدمت واتصلت. جلّت: عظمت. فوقه: سبقه صنائع: أفعال جميلة. نمت: اشتهرت. يلائم: يوافق. حضرته: موضعه الذي يحضر فيه، والقرب: جمع قرية، وهي ما يتقرب به من أعمال البر إلى الله تعالى ومن الهدايا إلى الملوك، غوث: إغاثة وكشف ضرر. رقه: عبده. حظّ: نصيب. حظوته: مكانته ورفعته، تليد ندب؛ تقول: ندبت القوم دعوتهم، يريد أنه عبد الدعوة التي دعاه بها خصمه إلى الوالي، والتليد من العبيد: ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيراً، فكبر عندك، وجعل نفسه عبداً للدعوة لما تعبد بها، أو يريد بالتليد القديم، فإن التليد والتالد المال القديم، وللندب: الهَمّ، من ندبت الميت ندباً، فيريد أنه قديم همّ، ورجل ندب، أي خفيف في قضاء الحوائج لأصحابه، فيريد على هذا بتليد ندب، أي خفيف ومن هذه صفته فقد وجبت حرمة. وشريد جذب: طريد فقر وجوع، والجذب ضد الخصب، نوب: نوازل، أثرت: أبقت به أثراً وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيراً، فمن نظره رأي أثر النوايب عليه، ناظم قلائد: قائل قصائد، ورسائل تسيّرت: مشت في الناس والبلاد، جاش لخطبة: تحرك صدره للكلام بها، يريد أنه إذا أراد قول خطبة ازدحم الكلام في صدره وارتفع، كما يجيش القدر، أي يغلي، ونقدم هذا الكلام.

قس: فصيح العرب، ويأتي ذكره في الأربعين، ثم، معناه هنالك، باقل، تقدم، يريد أن قسا على فصاحته لو حضر مع الموصوف لنظم أو نشر لرجع في عي باقل، والعادة إنما يذكر معه سحبان للزوم الرسالة وقال حبيب وذكر ثلاثة من أصحابه عبد الله ابن طاهر: أول: [الكامل]

حازوا خلائق قد تيقّنت العلا      كلّ التيقّن أنهنّ نجومها<sup>(١)</sup>

ثان: [الكامل]

لو أن باقلاً المفهية ينبري      في مدحها سهلت عليه حزومها

ثالث:

ولو أن سحباناً يسحب ذيله      في ذمها لم يدر كيف يذيمها

حبر: قال شعراً أو رسالة. وأصل حبر: وشى وزين، جبر: ثياب موشاة. نُئِمت: زينت ورقمت. نمت: تحركت بالروائح العطرة.

وقال الصابي في المهلبى وكأنه يصف هذا الكلام: [الخفيف]

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص ٣١١.

وإن استنطق الأنامل جاءت  
في سطور كأنما نشرث يمد  
فَقَرُّ لم يزل فقيراً إليها  
يَغْتَدِي البارِع المفيد لديّها  
ببيان شافٍ ولفظ مصيب  
وله في مثله أيضاً: [الطويل]

وكم من يد بيضاء حازت جمالها  
إذا رَقِشت بيضَ الصحائف خِلَتْهَا  
وقال السريّ رحمه الله تعالى: [الكامل]

شغلتك عن حسن الشّام مدائح  
زهر إذا صافحن سمع معانيد  
جاءتكَ مثلُ بدائع الوشي الذي  
أو كالربيع يريك أخضر يانعا  
وله أيضاً في مثله: [البسيط]

سأبعث الحمد موشياً سبائبه  
إنّ المدائح لا تهدى ليناقدّها  
كم رُضتْ بالفكر منها روضة أنفأ  
لفظ يروح له الريحان مطّرحاً  
إلى الأمير صحيحاً غير مؤتشب  
إلا وألفاظها أصفى من الذهب  
تفتح الزهر فيها عن جنى الأدب  
إذا جعلناه ريحانا على النخب

قوله: شربه، أي حظه من الماء، بَرُض: قليل. قرض: سلف، والقرض ما أخذ ليعوض منه. وقلقه: ضوء صبحه، غسق: ظلام، يريد أن حاله متغيرة. جلبابه: ثوبه. خَلَق: بال. توَعَّر: توقّد واشتدّ غضبه، والتوَعَّر: التوقد، الشدّة الغيظ، والوَعَر شدة الحر، غاشم: ظالم جاف. يستحثة: يستعجله، لازم: واجب، من: أنعم وأحسن، بكفّه: برده عني، هبات: عطايا. توشح: تحزم وتزين، وتوشح الرجل بثوبه: جعله موضع الوشاح وتحزم، فاق: فضل بهذا المجد كل أحد. باء: رجع، فكّي: إنقاذي. وثاق: شدّ وربط، سجايا: طبائع، ترفد: تصل وتعين، والرّفد: المعونة: شائم برقه: راجي خيره ونازل أمره، ونزل البرق منزلة الجود لأنه يأتي بالمطر والمطر يشبه به الجود: بمنّ: بإحسان وإنعام، أزلّي: قديم. أبديّ باقي مع الأبد وهو الدهر.

وإذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها، فإننا نعتذر إلى من وقف على شرحنا لها من صعوبة هذا المقام، فإن هذه الرسالة وأمثالها إنما يؤتى بها على جهة الملح

والاقتدار، لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح، ألا ترى الحريري كيف اعتذر في مثلها حيث قال: أجلّ الأبيات العرائس، وإن لم يكن نفاثس؛ ولا شك أن الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها في أنه يغوص على تلك الاستعارات البعيدة، فيريد أن يبرز المعنى في غاية البيان، واللفظ في أغلبها موضوع على غاية الإبهام، فوق التمانع، فلا يصل إلى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى، ولا تبعد من اللفظ إلا بعد جهد، فهذا عذرنا في هذه الرسالة الرقطاء والقهقرية والخيفاء المتقدمتين، وما علمت أحداً شرحها شرحنا ولا بلغ منها مبلغنا، والله منشئها من عالم بارع! فما اتفق له إنشاؤها إلا بعد التبحر في علوم اللغات حتى كأن أبا حفص بن برد يخاطبه بهذه الأبيات: [البسيط]

أهدى لك الودّ محضاً غير مقطوب	أبا العلاء استمع تعريض ذي مقّة
في العلم والظرف والآداب والطيب	أنت الذي لم تُعاشر مثله رجلاً
وكنّه علمك شيء غير محسوب	تحصيل فضلك للحساد معجزة
وعيت منها ولا أشياخ يعقوب	أما اللغات فما يعقوب يبلغ ما

\* \* \*

قال: فلما استشفّ الأمير لآليها، ولمح السرّ المودّع فيها، أوعز في الحال بقضاء ذنبي، وفصل بين خصمي وبيني، ثم استخلصني لمكائرتي، واختصني بأثرته، فلبث بضع سنين أنعم في ضيافته، وأرتع في ريف رأفته؛ حتى إذا غمرني مواهبه، وأطال ذيلي ذهبه، تلطّفت في الارتحال، على ما ترى من حسن الحال.

قال: فقلت له شكراً لمن أتاح لك لقيا السّمح الكريم، وأنقذك من ضغطة الغريم، فقال: الحمد لله على سعادة الجدّ، والخلوص من الخضمّ الألدّ، ثم قال: أيماء أحب إليك؟ أن أخذك من العطاء، أم أتحفك بالرسالة الرقطاء، فقلت: املاء الرسالة أحب إليّ، فقال: وهو حقك أخف عليّ، فإنّ نخلة ما يلج في الأذان، أهو من نخلة ما يخرج من الأزدان. ثم كآته أنف واستحيا، فجمع لي بين الرسالة والحذايا، ففرّث منه بسهمين، وفصلت عنه بغنمين، وأبت إلى وطني قريب العين، بما حزّت من الرسالة والعين.

قوله: استشفّ، نظر، لآليها: جواهر كلامها، لمح: رأى. المودّع: المضمّن المجمعول، وعنى بالسّرّ ما ذكر من النقط لحرف والترك لآخر، أوعز: تقدم، فصل: قطع، استخلصني: ضمّني وأنقذني منه. لمكائرتي: لزيادة عدده، يريد أن الأمير خلّصه من غريمه وضمه إليه، وجعله فيمن حواليه فكثروا به. اختصني بأثرته: أفردني

بعطيته، وآتني بها على غيري. لبثت: أقمت، بضع سنين: قال أبو عبيدة رحمه الله: البضع من واحد إلى أربعة، وقال الأخفش: من واحد إلى عشرة، وقال الفراء: ما دون العشرة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: البضع من الثلاثة إلى عشرة، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر لما نزلت ﴿فِي بضع سنين﴾ [الروم: ٤]: «البضع ما بين السبع والتسع»<sup>(١)</sup>، قال ابن سلام: فلما انقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وقال أبو محمد في الذرة: البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وأسر ذلك إلى النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى ﴿وَهُمْ مِنْ بعد غَلَبِهِمْ سِيغْلِبُون في بضع سنين﴾ [الروم: ٣، ٤]، وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب والمشركون يميلون إلى أهل فارس، لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سرّ المسلمون، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم، فقال له أمية بن خلف: خاطرنني على ذلك، فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين، ثم أتى النبي ﷺ فسأله عن البضع، فقال: ما بين الثلاثة إلى العشرة، فأخبره بخطاره مع ابن خلف. فقال له: ما حملك على تقريب المدة؟ قال: الثقة بالله ورسوله، فقال له: عد إليهم فزدهم في الخطر، وازدد في الأجل، فزدهم قلوصين وزادوه سنتين، فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه. ويقال البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة.

أرتع: أكل وأتعم، والريف: الخصب، والرافة: الرفق. غمرتني مواهبه: غطتني عطاياه، وأراد بإطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول، وصار يجزّ ذيله تبخيراً. تلطفت: تسلّلت برفق، أتاح: قدر. لقيان: لقاء. الضغطة: التضيق، وضغطة: ضيق عليه، الجَدّ: الحظ والسعد. الألدّ: الشديد الخصومة. أحذيك: أعطيك. أتحفك: أهديك. وإملاء الرسالة: إلقاؤه عليه ليعتقها. نحلة: عطية، يلج: يدخل، الأردن: الأكمام. أنف: كبر ذلك عليه واستنكفه، والحذيا: العطية فصلت: زلت، أبث: رجعت. قرير العين: مسروراً بالفائدة. حزت: جمعت وصار في حوزي، أي في ملكي. والعين: الذهب الأحمر.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة ٣٠، باب ١، ٣.



## المقامة السَّابعة والعشرون

### وَهِيَ الْوَبْرِيَّةُ

حكى الحارث بن همام، قال: ملث في ريق رَمَاني الذي غَبِر، إلى مُجاوَرَة أهل الوبر؛ لآخذ آخذ نفوسهم الأبيّة، وألستهم العربيّة، فشمرت تشمير مَنْ لا يالو جُهداً، وجعلت أضرب في الأرض غوراً ونجداً؛ إلى أن اقتنيت هَجْمَةً من الرّاغية وثَلَّة من الثّاغية، ثمّ أويتُ إلى عَرَبِ أَرْداف أقيال، وأبناء أقبال، فأوطنوني أَمْنَج جَناب، وفلّوا عني خذ كلُّ ناب، فما تأويني عندهم هم، ولا قرع صفاتي سَهْم.

\*\*\*

غَبِر: تقدم. أهل الوبر: أصحاب البوادي: الذين مالهم الإبل، وكنى بالوبر عنها. الأبيّة: العزيزة التي تآبى الذلّ، يالو جهداً: يقصر في الاجتهاد، أضرب: أمشي في الأرض. وغوراً ونجداً: مرتفعاً ومنخفضاً، اقتنيت: اكتسبت لنفسي لا للبيع.

وشرح الحريري ألفاظاً في المقامة فنقتصر فيها على شرحه إلا بقدر ما يزيد الكلام بياناً، مثل قوله: آخذ آخذ نفوسهم، أي أتخلّق بأخلاقهم وطباعهم، ويقال لو كنت مثلنا لأخذت بأخذنا، بكسر الهمزة وفتحها، أي بخلاتقنا وشكلنا، واستعمل فلان على الشأم وما أخذ أخذه، أي وما والاه وكان حيزه، وقوله: إرداف أقيال؛ يفسر القيل بالملك ويردف الملك، وقيل: القيل بالمشرق كالقائد بالأندلس والرّدافة في الجاهلية كالوزارة في الإسلام، والرّدافة: بأن يرتدّف مع الملك على مركوبه، وأن يستخلفه في موضعه متى غزا، أويت: رجعت واتخذته مأوى، أوطنوني: أنزلوني. جناب: جانب، فلّوا: كسروا. ناب: ضرس. تأويني: أناني ليلاً، ولا قرع صفاتي سهم، أي لم ينلني ضرر.

\*\*\*

إلى أن أضللتُ في ليلة مُنيَرَة النّبر، لِفَحَة غزيرة الدّر؛ فلمْ أطبْ نفساً بالِغَاءِ طَلَبِها، وإلْقَاءِ حَبْلِها على غاربها؛ فتدثّرتُ فَرَساً مَحْضَاراً، واعتقلتُ لَدُنْا حَطَّاراً، وسَرَيْتُ لَيْلَتِي جَمْعَاءَ، أجوبُ البَيْدَاءَ، واقتري كُلَّ شَجَرَاءَ ومِرْدَاءَ، إلى أن نَشَرَ الصُّبْحُ راياته، وَحَيَّعَل الدَّاعِي إلى صلاته، فنزلتُ عَنْ مَثَنِ الرُّكُوبَةِ، لأداء

المكتوبة، ثم حُلْتُ في صَهَوَتِهَا، وفررْتُ عَنْ شَخَوَتِهَا، وسِرْتُ لَا أَرَى أَثَرًا إِلَّا قَفَوْتُهُ، وَلَا نَشْرًا إِلَّا عَلَوْتُهُ، وَلَا وادياً إِلَّا جَزَعْتُهُ، وَلَا رَاكِباً إِلَّا اسْتَطَلَعْتُهُ، وَجَدِي مع ذلك يذهب هدرًا، وَلَا يَجِدُ وَرْدَهُ صَدْرًا، إِلَى أَنْ حَانَتْ صَكَّةُ عَمِي، وَلَفُحُ هَجِيرٍ يَذْهَلُ غَيْلَانٌ عَنْ مِي.



أضللت: أتلفت، وضلت الناقة وأضلها ربُّها، منيرة: مضيئة. اللقحة: الناقة لها لبن. غزيرة الذَّر: كثيرة اللبن، إلغاء: ترك غاريها: أعلى سنامها، اللدن: الرمح اللَّين. الخطار: الطويل المضطرب. واعتقلت الرمح: جعلته ما بين سرجك ورجلك، أجوب البيداء: أقطع القفر. وفسر «حيعل» بأنه قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح، وشاهده: [الطويل]

ألا ربّ طيف بات منك معانقي إلى أن دعا داعي الصلاة فحيعلًا<sup>(١)</sup>

وقال آخر: [الوافر]

أقول لها ودمع العين جارٍ ألم تحزنك حيعلُ المنادي<sup>(٢)</sup>

ومعنى حي، هلم وأقبل، والفلاح: الفوز، وأفلح الرجل، إذا فاز وأصاب خيرًا، والمفلحون: الفائزون، وقيل: الفلاح البقاء، أي أقبلوا على بيت البقاء في الجنة. والمفلحون: الباقون، والصلاة: المعلومة، والصلاة: الرحمة كقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ صل على آل أبي أوفى»<sup>(٣)</sup> والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت، وكقوله ﷺ: «إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرًا فليأكلْ وَمَنْ كَانَ صَائِمًا فليصل»<sup>(٤)</sup> أداء: قضاء. حُلْتُ في صهوتها: ركبت ظهرها ووثبت عليها، فررت: كشفت، قفوتها: اتبعت. نشزا: مرتفعًا، استطلعت: استخرته وسألته. جدِّي: عزمي واجتهادي، هدرًا: باطلاً. ورده صدرًا، أي سؤاله خبرًا والورد إتيان الماء والصدر: الرجوع عنه، لفح: تحرك، هجير: حرّ. يذهل: يشغل.

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (حصل)، (هلل)، وكتاب العين ٦٠/١، وتاج العروس (حيعل)، ويرى «داعي الصباح» بدل «داعي الصلاة».

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (جعل)، (هلل)، وتاج العروس (حيعل)، وديوان الأدب ٤٨٨/٢، وكتاب العين ٦٠/١.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، والدعوات باب ١٩، ٣٣، ومسلم في الزكاة حديث ١٧٦، وأبو داود في الزكاة باب ٧، والنسائي في الزكاة باب ١٣، وابن ماجه في الزكاة باب ٨، وأحمد في المسند ٣٥٣/٤، ٣٥٥، ٣٨١، ٣٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي في الصوم باب ٦٤، وأبو داود في الأطعمة باب ١.

## [ذو الرمة ومي]

غيلان اسم ذي الرُمة، وهو غيلان بن عُقبة بن بيهس بن مسعود بن حارثة، عداده في الرّباب، والرّباب: عدّي بن عبد مناة وتيس بن عبد مناة وعُكّل، وهو عوف بن عبد مناة، وثور بن عبد مناة، وضبة بن أذ وهو عمهم، وأد بن طابخة بن الياس بن مضر، وسمي ذا الرُمة، لقوله يصفُ وتَدَأُ: [الرجز]

وغير مرضوخ القفا موتود  
نعم فأنت اليوم كالعمود  
أشعثٌ باقي رُمة التقليد<sup>(١)</sup>  
من الهوى أو شبه المورود  
بميّ ذات المبسم المبرود  
والمقلتين وبياض الجيد

وقيل: سُمي به لأنه خشي عليه من المسّ، فأتى به الرجل من الحيّ فكتب له معاذة علّقت في عنقه، وشدت بحبل، وقيل: سمعته بذلك خرقاء التي يذكرها في شعره، وذلك أنه رآها وهي في جوار على سنّها فأعجبته وأدام الالتفات إليها ثم قال لها: يا جارية اخزي لي هذه القرية. فعلمت مراده، فقالت له: إني خرقاء، فولّى وفي يده قطعة حبل بالٍ فنادثه: يا ذا الرُمة إن كنتُ خرقاء، فجاريتي صناع، فاذهب إليها، فمضى عليه ذو الرمة، وسماها في شعره خرقاء، فمضت عليها.

وهي ميّ بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم، وتكنى أم ثور، وغلبت عليه حتى عرف بها، ففيل غيلان ميّ كما قيل كثير عزة.

وأول أمره مع ميّ - فيما حكى الأصبهاني عن أمة لأم ميّ - قالت: كنا نازلين بأسافل الدّهناء ورهط ذي الرُمة مجاورون لنا، فجلست مية تغسل ثياباً لها ولأمها، في بيت رث فيه خروق، وهي فتاة أحسن من رأيت حين بدا ثدياها، فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها، وأقبل ذو الرُمة ينشد ضالة، فدخل وجلس ساعة ثم خرج، فقالت مية: إني لأرى أن هذا العذري قد رأيته منكشفةً واطلع عليّ من حيث لا أشعر، فإنّ بني عذرة أخبث قوم في الأرض - فاذهبي فقصي أثره، فقالت: قصصت أثره فوجده قد تردّد أكثر من ثلاثين مرة، كل ذلك يدنو فيطلع عليها، ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك، ثم لم ينشب أن جاءنا شعره فيها من كلّ وجه ومكان.

وحديث أيضاً بسنده عن عمارة بن ثقيف أنّ ذا الرمة حدّثه أن أوّل أمره معها أنه خرج مع أخيه وابن عمّه في بغاء إبل لهم، فوردوا على ماء، وقد جهدهم العطش، قال: فأتيت خباء عظيماً أستسقي لهما ماء؛ فإذا عجوز جالسة في رواقه، فالتفتت وراءها وقالت: يا ميّ، اسق الغلام، فدخلت عليها وهي تنسج شُقة، فقالت لي: لقد كلفك

(١) الرجز في ديوان ذي الرمة ص ٣٢٨ - ٣٣٠، ولسان العرب (رمم)، وتهذيب اللغة ١٥/١٩٢، وجمهرة اللغة ص ١٢٦، وتاج العروس (رمم).

أهلك السفر، على ما أرى من حادثة سنك، ثم قامت تصبّ في ركوتي ماء وعليها شوذب، فلما انحطت على القرية رأيت مرأي لم أر أحسن منه، فلهوت بالنظر إليها، وهي تصبّ الماء فيذهب يميناً وشمالاً، فقالت العجوز: يا بني ألهتك ميّ عما بعثك له أهلك، أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً؟ قلت: أما والله ليطولنّ هيامي بها ثم أتيت بالماء أخي وابن عمي فلففت رأسي، وانتبذت ناحية وقلت: [الرجز]

قد سَخِرْتُ أخت بني لبيدَ      مئي ومن سَلَم ومن وليد<sup>(١)</sup>  
رأت غلامي سفر بعيد      يدرعان اللَّيل ذا السدود

مثل أذراع اليلملق الحديد

وهي أول قصيدة قلت: ثم مكثتُ أهيم بها في ديارها عشرين سنة.

وأما ابن قتيبة فقال: مكثت ميّ تسمع شعر ذي الرّمة ولا تراه، فجعلت لله أن تنحر بَدَنه يوم تراه - وكانت من أجمل الناس - فلما رآته دميماً أسود صاحت: واسواتاه! واضيعة بدنائه! فقال: [الطويل]

على وجه ميّ مَسْحَةٌ من مَلَاحةٍ      وتحت الثياب الشَّيْنُ لو كان بادياً<sup>(٢)</sup>  
فكشفت عن جسدها، قالت: أشيناً ترى لا أمّ لك! فقال: [الطويل]

ألم تر أن الماء يخبث طعمه      وإن كان لون الماء أبيض صافياً

فقالت له: قد رأيت ما تحت الثياب، فلم يبق إلا أن أقول لك: هلّم فذق ما وراءه، فوالله لا ذقت ذلك أبداً، ثم صلح الأمر بينهما، فعادا لما كانا من جهتهما.

وهو شاعر مجيد مكثر وَصَاف للأطلال والديار والصبر على قطع القفار. أبو الفرج: كان سليمان بن أبي شيخ، رواية لشعر ذي الرّمة، فأنشد يوماً قصيدة له وأعرابي من بني عدي بسمعه فقال: أشهد أنك فقيه تحسن ما تلوته، وكان يحسبه قرأناً.

وكان أهل البادية يعجبهم شعره، وكان جرير والفرزدق يحسدانه، وقال حماد الرواية: ما أخّر القوم ذكره إلا لحدائثه سنه، وأنهم حسدوه.

وقال أبو المطرّف: لم يكن أحد منهم في زمانه أبلغ منه، ولا أحسن جواباً، وكان كلامه أحسن من شعره.

وقال مولى لبني هاشم: رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال: يا أعرابي - يهزأ به - أتشهد بما لم تر! قال: نعم قال: بماذا، قال: إن أباك ناك أمك.

(١) الرجز في ديوان ذي الرمة ص ٣٢٨ - ٣٣٠.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص ١٩٢١، ولسان العرب (مسح)، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٩، ومعجم البلدان (الملا)، ووفيات الأعيان ٤/ ١٢، ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٦١، والعقد الفريد ٦/ ٤١٣، والأغاني ١٨/ ٣٠.

الأصمعي: ما أعلم أحداً من العشاق شكاً أحسن من شكوى ذي الرّمة، مع عفة وعقل.

أبو عبيدة: يخبر ذو الرّمة فيحسن الخبر، ثم يردّ على نفسه فيحسن الردّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص. مع حسن إنصاف في الحكم وغفاف.

وقال ذو الرّمة: من شعري ما ساعدني فيه القول ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جنت فيه جنوناً، فأما الذي طاوعني فيه القول فقولِي: [الطويل]

خليلِي عوجا في صدور الرواحل      بجمهور حُزَوِي فابْكيا في المنازل<sup>(١)</sup>  
لعلّ انحدار الدمع يعقب راحة      من الوجد أو يشفي نجِيّ البلابل  
وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولِي: [البسيط]

أأن توسّمت من خرقاء منزلةً      ماء الصبابة من عينيك مسجوم<sup>(٢)</sup>  
كأنها بعد أحوالٍ مَضِيْن لَهَا      بالأشيمين يمانٍ فيه تسهيم  
وأما الذي جنت فيه جنوناً فقولِي: [البسيط]

ما بال عينك منها الماء يَنْسَكِبُ      كأنه من كُلى مفْرِيةٍ سَرِبُ<sup>(٣)</sup>  
براقة الجيد واللّبات واضحةً      كأنها ظبية أفضى بها لبُ  
زَيْنُ الثياب وإن أثوابها استلبِثت      فوق الحشية يوما زانها السلبُ  
إذا أُخِر لذة الدنيا تبطّنها      والبيثُ فوقهما بالستر محتجبُ  
ساقَت بطيْبة العزّنين مارنها      بالمسك والعنبر الهنديّ مختضبُ  
لمياء في شفتيها حُوة لَعَسَ      وفي اللّثات وفي أنيابها شَبُ  
كحلاء في بَرَجٍ، بيضاء في دَعَج      كأنها فضة قد زانها ذهبُ

وهذه القصيدة من المطولات التي نثفت على المائة وربيعها، وتصرف فيها ما شاء من أوصاف الأطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبي وغير ذلك. وفي خلال ذلك يأتي بتشبيهات وبديعات، وهو أشعر الشعراء الإسلاميين في التشبيه. وكان يقول: إذا قلت «كان» فلم أجد مخرجاً فقطع الله لساني.

(١) البيتان في ديوان ذي الرمة ص ٢٩٥.

(٢) البيتان في ديوان ذي الرمة ص ٣٧١، والخصائص ١١/٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ٥٣، ولسان العرب (رسم)، (عنن)، (عين)، ومجالس ثعلب ص ١٠١، ويروى «أعن ترسّمت» بدل «أن توسّمت».

(٣) الأبيات في ديوان ذي الرمة ص ٩، والبيت الأول في لسان العرب (سرب)، (غرف)، (عجل)، ومقاييس اللغة ٣/١٥٥، والمخصص ١٢٨/٧، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٢/٤١٥.

واحتذى في ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز، وقصده الحريري في هذا الموضوع لمعنيين: أحدهما لأنه كان صادقاً في حب مية فكان لا يشغله عنها شيء، لا مثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق في حبه، والثاني أنه يكثر في شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله: [الطويل]

وهاجرة من دون مية لم تقل      قلو صي بها والجندب الجون يَزْمَعُ<sup>(١)</sup>  
إذا جعل الحرباء مما أصابه      من الحر يُلوي رأسه ويُرْتَحُ  
لئن كانت الدنيا علي كما أرى      تباريح من مي قُلْ لَمُوت أروُحُ  
ولما شكوت الحب كيما تشيبيني      بوذي قالت إنما أنت تمرزُ  
فذكر الحريري أن هذه الهاجرة شغلته عن ذكر مي حتى طلب ظلاً يلوذ به.

\* \* \*

وكان يوماً أطول من ظل القناة، وأحر من دمع المقلات فأيقنتُ أنني إن لم أستكن من الوقدة. وأستحم بالرقدة، وأدنفني اللغوب، وعَلَقْتُ بي شعوب، قعجت إلى سَرَحَةٍ كثيفة الأغصان، وريقة الأفنان، لأغور تحتها إلى المغيربان؛ فوالله ما استروح نفسي، ولا استراح نفسي حَتَّى نظرتُ إلى سَانِح، في هيئة سَانِح؛ وهو ينتجع نُجعتي، ويشتدُّ إلى بقعتي، فكرهتُ انعياجه إلى معاجي؛ فاستعدتُ بالله مِنْ شَرِّ كُلِّ مُفَاجيء، ثُمَّ تَرَجَّيْتُ أَنْ يتصدى منشداً، أو يتبدى مُرشداً فلما اقترب من سَرَحتي، وكاد يُحلُّ بساحتي، أَلْفَيْتُهُ شيخناً السروجي، مُتَشَبِّحاً بجرايه. ومضطغناً أَهْبَةً تجوابه، فأنسني إذ ورد، وأنساني ما شَرَدْتُ، ثُمَّ استوضحته من أين أثره، وَكَيْفَ عَجْرُهُ وبجره.

\* \* \*

أستكن: أستر وأطلب كِتَا. الوقدة: شدة الحر، أَسْتَجِم: أستريح فأتقوى. أدنفني: أمرضني. اللغوب: التعب.

وذكر طول اليوم القصير وأنشد عليه في الشرح: «ويوم كظل الريح...»، وذكر أن اليوم القصير يوصف بإبهام القطاة، ولم ينشده عليه شيئاً، وقال جرير: [الطويل]

(١) الأبيات في ديوان ذي الرمة ص ١٢١٢، والبيت الأول في لسان العرب (رمح)، وتهذيب اللغة ٥/ ٥٣، وهو بلا نسبة في المخصص ٨/ ١٧٧، وكتاب العين ٣/ ٢٢٦، ويروى «ومجهولة» بدل «وهاجرة».

ويوم كلبهام القطاة محبب إلي صباه غالب لي باطله<sup>(١)</sup>  
 رزقنا به الصيّد الغزير فلم يكن كمن نبلة محرومة وحبائلة  
 وذلك يوم خيرَه قبل شره تغيب واشيه وأقصر عادته  
 قال الأصمعي: قال لي خلف الأحمر: ويحه فما ينفعه حين يؤول إلى الشر! قلت:  
 فكيف يجب أن يقول؟ قال: خيره دون شره، قلت: والله لا أرويه بعدها إلا هكذا.  
 عُجِبْتُ: ملت. سَرَحَ: شجرة، كثيفة: ملتفتة الأغصان. وريقة: كثيرة الورق.  
 والأفنان: الأغصان، أو ما تفرع منها. وما أحسن ما نظم في الفرار من الحرّ إلى الظل  
 المنازي كاتب مروان صاحب ميفارقين حين قال: [الوافر]

وَقَائًا وَقُدَّة الرُّمَضَاءِ رَوْضُ سَقَاه مَضَاعِفَ الطَّلِّ العَمِيمِ  
 قَصَدْنَا دَوْحَهُ فَحَنَّا عَلَيْنَا حُتُوُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ  
 يَرَاعِي الشَّمْسُ أَتَى قَابِلَتَنَا فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ  
 وهذا ما يتعلق بالغرض، وزاد فيه معنى بديعاً بقوله: [الوافر]

وَيَسْقِينَا عَلَى ظَمًا زَلَالًا أَلْذَمَ الْمَدَامَ مَعَ الْكَرِيمِ  
 يَرْوِعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْحَوَائِي فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النُّظْمِ  
 تأمل هذه الصفة تجدها غاية في بابها، وتخيل هذه الجارية كيف نظرت بياض  
 الحصى في الماء، فارتاعت وحسبت عقدها تنائر، فالتمسته بيدها.  
 وقال السري فاحسن: [الطويل]

أَذْرَهَا فَفَقَدَ اللَّوْمَ إِحْدَى الْغَنَائِمِ وَلَا تَخْشِ إِثْمًا لَسْتَ فِيهَا بِأَثَمِ  
 وَلَا عَيْشَ إِلَّا فِي اعْتَصَامٍ بِقَهْوَةٍ يَرْوِحُ الْفَتَى مِنْهَا خُضَيْبَ الْمَعَاصِمِ  
 وَلَا ظِلَّ إِلَّا ظِلَّ كَرْمٍ مَعْرَاشٍ تَغْنِيكَ مِنْ قُطْرَيْنِهِ وَزُقُ الْحَمَائِمِ  
 سَمَا غُصْبُونِ تَحْجِبُ الشَّمْسُ أَنْ تَرَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مِثْلَ نَشْرِ الدَّرَاهِمِ  
 وقال ابنُ بُنَالٍ في متنزه بشرّيش يسمى أجانة: [الطويل]

أَيَا حَبِذَا إِجَانَةً كَيْفَمَا اغْتَدَتْ زَمَانَ رَبِيعٍ أَوْ زَمَانَ عَصِيرِ  
 مَذَانِبِ مَاءِ كَاللَّجِينِ عَلَى حَصَى كَدَرَ بَلَا ثَقْبٍ أَغْرَزَ نَشِيرِ  
 وَرَمَلٌ إِذَا مَا ابْتَلَى بِالمَاءِ عِطْفُهُ غَنِينًا بِهِ عَنْ عُنْبَرٍ وَذُرُورِ

(١) يروي البيت الأول:

ويوم كلبهام القطاة مملج إلي صباه معجب لي باطله  
 وهو بلا نسبة في كتاب العين ٢/٢٩٧.

وتين كما قامت على حَلَماتها      نهوْدُ عذارى الزنج فوق صدور  
كأن القباب الخَزْ فيها عرائسُ      على سُرُرٍ مفروشة بحريرٍ  
وله أيضاً عفا الله تعالى عنه: [الطويل]

كأنْ جنى القوطي في رونق الضُحى      وقد حملته راحة الورقات  
نهود عذارى زُحزحت عن مقرّها      فقامت على الأطراف والحلمات

قوله: استروح نفسي، أي استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب، أي ما سكنت عني أنفاس التعب، واستروحت الشيء، وجدت ريحه، سائح: عابر يسبح في الأرض، أي يمشي في جهاتها، ويقال للمكدي: سائح، لأنه يسبح في طلب الكدية. ينتجع نجعتي، أي يقصد قصدي في طلب الراحة. والانتجاع: طلب المرعى. يشتدّ: يجري. بقعتي: موضعي. انعياجه: انعطافه. معاجي: مكاني الذي عجت إليه. مفاجيء آت على غفلة. يتصدى: يتعرض. منشداً: دالاً على الشيء، تقول: نشدت الضالة طلبتها، وأنشدتها: دللت عليها طالبها. مرشداً: هادياً للطريق. ساحتي: موضعي الذي أنا فيه. ألفيته: وجدته. متشحاً بجرابه، أي جعل جرابه موضع الوشاح. أهبة تجوابه، أي عدة جولانه. ورد: وصل ما شرد: ما نفر، يعني الضالة. استوضحته: سأله أن يوضح لي أمره.



فأنشد بديهاً، ولم يقل إيهأ: [الخفيف]

قُلْ لِمَسْتَطَلْعِ دَخِيلَةٍ أُمْرِي      لَكَ عَشْدِي كَرَامَةٌ وَعَزَازَةٌ  
أنا ما بين جوبٍ أرضٍ قَارِضٍ      وَسُرَى فِي مَفَازَةٍ قَمَفَازَةٌ  
زَادِي الصَّيْدُ وَالْمَطِيَّةُ نَغْلِي      وَجِهَازِي الْجِرَابُ وَالْعُكَازَةٌ  
فإذا ما هبطتُ مصرّاً قَبَيْتِي      عُرْفَةُ الْخَانَ وَالْثُدَيْمُ جُرَازَةٌ  
لَيْسَ لِي مَا أَسَاءُ إِنْ فَاتَ أَوْ أَحْزَ      نْ إِنْ حَاوَلَ الزُّمَانُ ابْتِزَازَةٌ  
غَيْرَ أَنِّي أَبَيْتُ خِلْوَاً مِنَ الْهَمِّ      وَتَفْسِي عَنِ الْأَمْسَى مُنْخَازَةٌ  
أَرْقُدُ اللَّيْلَ مَلءَ جَفْنِي وَقَلْبِي      بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةٍ وَحَزَازَةٌ  
لَا أَبَالِي مِنْ أَيِّ كَأْسٍ تَفُوقُ      تَ وَلَا مَا حَلَاوَةٌ مِنْ مَزَازَةٌ  
لَا وَلَا أَسْتَجِيزُ أَنْ أَجْعَلَ الذَّلَّ      مَجَازاً إِلَى تَسَنِّي إِجَازَةٌ  
وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ الْعَا      رِقْبَعُوداً لِمَنْ يَرُومُ نَجَازَةٌ  
وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّنَاءَةِ نِكْسُ      عَافَ طَبْعِي طِبَاعَةً وَاهْتِزَازَةٌ  
فَالْمَنَايَا وَلَا الدَّنَايَا وَخَيْرُ      مِنْ رُكُوبِ الْخَنَّا رُكُوبُ الْجَنَازَةٌ





بديهاً: مرتجلاً من غير فكرة، المستطلع: الذي يحب أن يطلع على الأمر دخيلة أمري: باطنه، عزازة: عزة ورفع. جوب: قطع. سري: مشى الليل. مفازة، قال الأصمعي: هي المهلكة سميت بذلك تفاؤلاً لئلا يهلكها بالفوز، كما سُمي اللديغ سليماً تفاؤلاً بالسلامة، قال ابن الأعرابي: هي مأخوذة من فوز الرجل، إذا هلك، والعرب تسمي النعل مطيئة مجازاً حيث يستعان بها على قطع المفازة، وأنشد أبو عليّ الفارسي رحمه الله: [الطويل]

رَوَّاجِلُنَا سَتْ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ      نَجْتَبِهِنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَشْرَبٍ  
وقال أبو نواس: [الطويل]

إليك أبا العباس يا خيرَ مَنْ مشى      عليها امتطينا الحضرمي الملسناً<sup>(١)</sup>  
قلايص لم تعرف حنيناً إلى طَلَاً      ولم تذر ما قرع الفنيق ولا الهنأ  
وأخذه أبو الطيب فقال: [المنسرح]

لا ناقتي تقبل الرديف ولا      بالسؤوط يوم الرّهان أجهدُها<sup>(٢)</sup>  
شراكها كُورها ووشقُرها      زمائها والشسوع مقوودُها  
أشدّ عصف الرياح يسبقه      تحتي من خطوها تأييدُها  
وكان السروجي أكثر عدّة من أبي الشمقم في قوله: [الخفيف]

كلّما كنتُ في جموع فقالوا      قرّبوا للرحيل قرئتُ نعلي  
أترى أنتي من الدهر يوماً      لي فيه مطية غير رجلي  
حيثما كنتُ لا أخلف رَحْلاً      مِنْ رَأْيِي فَقَدْ رَأَيْتِي وَرَحْلِي  
ومن أبيات المعاني في نعل: [الطويل]

وسوداء المناسب يمتطيها      أخو الحاجات ليس له تكبيرُ  
فيحملها وتحمله وفيها      منافع حيث يبتدر السُفُرُ  
على أن السّفير ينال منها      فيرقعها إذا جدّ المسيرُ

السفير: ورق الشجر، والمُسفرة المكنسة. والجهاز: ما يحتاج إليه المسافر من العدة. والعكازة، العصا مصراً: بلداً. الخان: الفندق. والتديم: صاحب على الشراب، وجزازة، قيل: إنه خليع مشهور عندهم، وهذا لا يبعد. وأخبرني الأستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار، يكتب للناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها، فيريد أن نديمه إذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجرّها ورقة كبيرة يكتب فيها بما يجلب ممّا يؤكل ويشرب،

(٢) الأبيات في ديوان المتنبي ٣٠١/١.

(١) البيتان في ديوان أبي نواس ص ٧٦.

والجزازة: ما يسقط من الشيء تجزؤه، كالقصاصة ما يسقط مما يُقَصّ. والثّحاة والثّلامَة وغير ذلك، فلما كانت القطعة الصغيرة تسقط من الورقة سمّوها جُزَازَة. ثم اشتهر عندهم ما صغر من القراطيس بهذا الاسم، قال الفنجديهي: جزازة، أي قطعة كاغد عليها شيء مكتوب، والجزازة: ما يقطع من الشيء، قال: وأنشد بعضهم: [الوافر]

وقالوا كيف حالك قالتُ حالي      تُقضى حاجتي وتفتوت حاجي  
نديمي هزتي وسميرُ أنسي      دفاتيري ومعشوقي سراجي

أساء: أصاب فيه بسوء، وأحزن عليه، حاول: طلب، ابتزازه: تجريده وإزالته. جَلُو: فارغ البال. الأسى: الحزن. منحازة: متنجية ومنعزلة ومنقبضة، وانحاز: انعزل. ملء جفني: أي أرقد هنيئاً لقلّة همي، فتمتلىء عيني بالنوم، وهو من قول المتنبي: [البسيط]

أنام ملء جُفوني عن شواردها<sup>(١)</sup>

والحزازة في القلب: تأثير الهمّ كأنه يحزّ فيه، أي يقطع، وقال الشاعر: [الطويل]

إذا كان أولاد الرجال حزازة      فأنّت الحلالُ الحلو والبارد العذب<sup>(٢)</sup>

والحزازة هنا: الولد السوء، ولا شيء أنكى للقلب من همّه، والحزازة أيضاً الحقد والغيط، وفي قلبي منه حزازة أي حرقه وحزن. تفوّقت أي شربت فواقها، وهو أخذه ما فيها شيئاً فشيئاً، وما بين عبّة وعَبّة فواق؛ وأصله ما بين حَلْبَة من الضّرْع وحلبة. مزازة: بين الحموضة والحلاوة. مجازاً: طريقاً يجاز عليه. تسّي: تيسر. إجازة: عطية وصلة. يروم: يطلب. نجازة: قضاءه وتمامه، ول بعضهم في هذا المعنى: [مخلع البسيط]

أشدُّ من عَيْلَةٍ وجُوع      إغضاء حرّ على الخضوع  
فققع من الذّهر قوت يوم      وأنت بالمنزل الرفيع  
ولا ترد ثروة بمال      يُنَال بالذلّ والخشوع  
وارحل إذا أجذبّت بلاد      منها إلى الخضب والربيع  
الدناءة: الفعل القبيح. يكس: دنيء، عاف: كره. اهتزازه: طربه وخفته.  
ول بعضهم في هذا المعنى: [الوافر]

ويجنب اللبيبُ ورود ماءٍ      إذا كان الكلابُ يَلْغَن فيه  
كما سقط الذباب على طعامٍ      فتركه ونفسك تشتهيه

(١) عجزه:

ويسهر القوم جزأها ويختصم

والبيت في ديوان المتنبي ٣/ ٣٦٧.

(٢) البيت لمكرشة العبي في سمط اللآلي ص ٦٢٩، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٤١٣.

وقال أبو محمد المصري يخاطب المعتمد وقد فرّ منه: [المتقارب]

رحلتُ وفي قلب جَمُرِ الغَضَى وهجري لكم دُونُ شكٍّ صوابٌ  
كما تهجرُ النفسُ حُرَّ الطعام إذا ما تساقط فيه الذبابُ  
المنايا ولا الدنيا، أي إتيان النية ولا فعل الدنية، قال أوس بن حارثة: مَلَكَ النِّيةُ  
ولا الدنية، في وصية طويلة، والنية معناها المقدورة المحكوم بها، وهي مفعولة من  
المُنَى وهو المقْدَرُ والقَدَرُ، يقال: مَنَّاكَ اللهُ بما يسركَ، وأصلها ممنوءة فُصِّرَتْ مفعولة  
فعيلة، كمطبوخ وطبيخ، وأدغمت الياء في الياء. الخنا: الفساد. الجنازة: النعش.

\*\*\*

ثُمَّ رَفَعَ إِلَيَّ طَرْفَهُ، وَقَالَ: لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ، فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ نَاقَتِي  
السَّارِحَةِ، وَمَا عَانَيْتُهُ فِي يَوْمِي وَالْبَارِحَةِ، فَقَالَ: دَعِ الْإِلْتِفَاتِ، إِلَى مَا فَاتِ،  
وَالطَّمَاخِ إِلَى مَا طَاحَ، وَلَا تَأْسَ عَلَى مَا ذَهَبَ، وَلَوْ أَنَّهُ وَإِدْرِي مِنْ ذَهَبٍ، وَلَا تَسْتَمِلْ  
مَنْ مَالَ عَنْ رِيحِكَ، وَأَضْرَمْ نَارَ تَبَارِيحِكَ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ بُوْحَكٍ، أَوْ شَقِيقُ رُوْحَكٍ،  
ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَقِيلَ، وَتَتَحَامَى الْقَالَ وَالْقِيلَ؟ فَإِنَّ الْأَبْدَانَ أَنْضَاءُ تَعَبٍ،  
وَالهَاجِرَةُ ذَاتُ لَهَبٍ، وَلَنْ يَصْغُلَ الْخَاطِرُ، وَيَنْشَطُ الْفَاتِرُ، كَقَائِلَةِ الْهَوَاجِرِ،  
وخصوصاً في شَهْرِي نَاجِرٍ، فَقُلْتُ: ذَاكَ إِلَيْكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، فَافْتَرَشَ  
الثَّرْبَ وَاضْطَجَعَ، وَأَظْهَرَ أَنْ قَدْ هَجَعَ، وَارْتَفَقْتُ عَلَى أَنْ أُخْرُسَ، وَلَا أَنْعَسَ،  
فَأَخَذَنِي السُّنَةُ؛ إِذْ رُمِتِ الْأَلْسِنَةُ، فَلَمْ أَقُفْ إِلَّا وَاللَّيْلُ قَدْ تَوَلَّجَ، وَالصُّبْحُ قَدْ تَبَلَّجَ،  
وَلَا السَّرُوجِيَّ وَلَا الْمُسْرَجَ.

\*\*\*

قوله: «لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ» أي ما جدع قصير أنفه إلا لمعنى، وكذلك أنت ما  
خرجت في هذا الوقت لشدة حرّه إلى هذه القفار المخوفة إلا لمعنى، فأخبرني به،  
فلذلك قال: «فأخبرته خبر ناقتي»، وأيضاً فَإِنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَالَ:  
فاستوضحته من أين أثره، فأخبره السُّرُوجِيَّ في الشعر بقصته، فلما أكملها سأل ابن همام  
عن قصته، فأخبره بالناقة الضائعة. والسارحة: التي سرحت، أي مشت حيث شاءت.  
عابنته: شاهدهته ورأيت. الالتفات: النظر إلى جهة. والطماخ: ارتفاع العين بالنظر وطاح:  
ذهب وتلف. لا تأس: لا تحزن. ولا تستمل: تستدع حبه وأن يميل إليك بوّده. مال:  
انحرف. عن ريحك: عن طريقك وهواك. أضرم: أوقد. تباريحك: أحزانك. تقيل:  
تنام في القائلة تتحامي: تتباعد عنها. أنضاء: جمع يضر وهو المهزول، أي قد أهزل  
التعب أبداننا. الهاجرة: القائلة سُمِّيَتْ هَاجِرَةً لِأَنَّهُا تَهْجُرُ الْبَرْدَ، أَوْ لِأَنَّهُا أَكْثَرُ حَرًّا مِنْ

سائر النهار، يقال: فلان أهرج من فلان، إذا كان أضخم منه. لهب: نار.

وشهري ناجر: يونيه ويوليه، وهما أشد الحرّ. قال الأزهرّي: هما خَزيان وتموز، الثَّجران: العطشان. ابن سيده: ظن قوم أنهما خَزيان وتموز، وهذا غلط، وإنما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ.

الليث: كل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر، لأن الإبل تنجّر فيه، أي تشتدّ عطشاً حتى تبيس جلودها، فلا تكاد تروي من الماء.

مجمع: رقد. وارتفعت: توكأت على مرفقي. السُّنة: النوم القليل. زُمّت: ربطت ومنعت. فأولج: دخل. تبلّج: أضاء وظهر. المسرح: الفرس عليه سرجه.

\*\*\*

فبت بَلَيْلَةً نَابِغِيَّةً، وأحزانٍ يَغْفُوبِيَّةً، أساورُ الوجوم، وأساهِرُ النُجوم، أفكّر تازَةً في رُجُلَيْتي، وأخرى في رَجْعَتِي، إلى أن وَضَحَ لي عِنْدَ افْتِرَارٍ نُعْرَ الضُّوءِ في وَجْهِ الجوّ، رَاكِبٌ يَخُذُ في الدَّوِّ، فآلَمَعَتْ إِلَيْهِ بِشُوبِي، وَرَجَّوْتُ أَنْ يُعْرَجَ إلى صُوبِي، فَلَمْ يَغْبَأْ بِالْمَاعِي، وَلَا أَوَى لَاتِياعِي، بَلْ سَارَ على هَيْئَتِهِ، وَأَصْمَانِي بِسَهْمِ إِهَانَتِهِ، فَأَوْفَضْتُ إِلَيْهِ لَأَسْتَرِدِّفَهُ، وَأَحْتَمِلَ تَغَطُّرْفَهُ. فَلَمَّا أَذْرَكْتُهُ بَعْدَ الْإِنِّ، وَأَجَلْتُ فِيهِ مَسْرَحَ الْعَيْنِ، وَجَدْتُ نَاقَتِي مَطِيئَةً، وَضَالَّتِي لُقْطَةً، فَمَا كَذَبْتُ أَنْ أَذْرِيته عَنْ سَنَامِهَا، وَجَاذَبْتُهُ طَرَفَ زَمَامِهَا، وَقُلْتُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا، وَلِي رُسُلُهَا وَنُسُلُهَا، فَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبَ، فَتَتَّعِبَ وَتَتَّعِبَ.

\*\*\*

أساور: أوائب. الوجوم: السكوت على غيظ، والمعنى: أن الغيظ إذا اشتدّ عليه عالج كَظْمَهُ ودفعه عن نفسه، فكانه يوائبه. أساهر: أسامر، والسهرة امتناع النوم. الرُّجْلَة، بضم الراء: القُدرة على المشي، ورجل يركب رجلاً ورجلَةً، إذا مشى في السفر وحده بلا دابة. وضح: تبين. افترار: انكشاف، وافتّر كشف أسنانه عند الضحك. يخذ: يسرع. الدوّ: الصحراء، والراكب: من يركب البعير. والجوّ: نواحي السماء. يعرّج إلى صوبي: يميل إلى جهتي وقصدي. يعبأ: يبال. إلماعي: إشارتي، وهو مصدر ألمعت إليك، أي أشرت إليك، فإذا بعد عنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت إليه، والإشارة بالثوب هي الإلماع. أوى: أشفق. التياعي: تحرّقي وتوجعي. هيئته: سكينته. أصماني: أصاب مقتلي. إهانته: احتقاره. أوفضت: أسرعت. أستردفه: أطلب إليه أن يُردفني. تغطّرفه: تكبّره، والغطّريف: السيّد العظيم. الابن: الفتور. أجلت: صرفت. مسرح: موضع تسرحها وجّولانها بالنظر. واللقطة: ما يجده الإنسان قد سقط

لغيره، فيأخذه ويلتقطه. أذريته: رميت به عنها. مصلّها، أي الذي ضلّت له. رسلها: لَبَنها.

### [أشعب ويعض نوادره]

أشعب: الطماع، رجل مدنيّ صاحب نوادر وملاه وله صنعة في الغناء، وكان أبخل الناس وأكثرهم طمعاً. ويقال في المثل. أطمع من أشعب. ولهذا قال الحريري: فلا تك كأشعب، أي لا تطمع في أخذ الناقّة فتكون مثله في طمعه في مال غيره. فتنعب من تعلقت له بشيء، وتنعب، أنت معه في المخاصمة.

ومن حكايات أشعب: قال سالم بن عبد الله بن عمر لأشعب: ما بلغ من طعمك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتسازان في جنازة إلا قدّرت أن الميت أوصى لي بشيء.

وقال له ابن أبي الزناد: ما بلغ من طعمك؟ قال: ما زُنت بالمدينة امرأة، إلا كنست بيتي رجاء أن يُغلط بها إليّ.

وكانت عائشة بنت عثمان كَفَلَتْه مع ابن أبي الزناد، فقال أشعب: تربّيت معه في مكان واحد، وكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون.

وقيل لعائشة: هل آتست من أشعب رشداً؟ فقالت: أسلمته منذ سنة في البرّ، فسألته بالأمس: أين بلغت في الصناعة؟ فقال: يا أمّه، قد تعلمت نصف العمل وبقي نصفه، تعلمت التّشر في سنة، وبقي عليّ تعلّم الطّي.

وسمعه اليوم يخاطب رجلاً وقد ساومه قوس بندق، فقال: بدينار، فقال أشعب: والله لو كنت إذا رميت عليها طائراً وقع في حجري مشوّياً مع رغيفين، ما اشتريتها بدينار، فأبى رشد يؤنس منه!

ونظر إلى رجل يعمل طبقاً، فقال له: أسألك بالله إلّا ما زدّت في سعته طوقاً أو طوقين، فقال له الرجل: ما معنى ذلك؟ فقال: لعلّه أن يُهْذَى إليّ يوماً فيه شيء:

وقيل له: أرايت أطمع منك؟ قال: نعم، خرجت إلى الشّام مع رفيق لي، فتلاحينا عند دير فيه راهب، فقلت له: الكاذب متّا، أيّزّ الراهب استه، فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ، فقال: أيكما الكاذب؟ ثم قال: دعوا هذا، امرأتي أطمع مني ومن الراهب، فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إنها قالت: ما يخطر على قلبك شيء يكون بين الشك واليقين إلّا وأنا أتيقّنه، ودعوا هذا، شاتي أطمع مني ومنها، قيل: وكيف؟ قال صعدت على سطح، فنظرت إلى قوس قزح فظنّته حبل قتّ، فأهوت إليه فسقطت فاندقت عنقها.

وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: كلبه آل فلان، رأت رجلاً يمضغ علْكَاً فتبعته فرسخين، تظن أنه يأكل شيئاً.

وقيل له: ما بلغ من طعمك؟ قال: أضجرتني الصبيان يوماً، فأردت أن أشغلهم عني،

فقلت لهم: إن بموضع كذا عرساً، فامضوا نحوه. فلما ذهبوا ظننت أن ثمَّ عرساً، فتبعتهم.

وقال ابن شرف: [السيط]

وما بلوغ الأماني في مواعدها      إلا كاشعب يرجو وعدَّ عرقوبٍ  
وقد تخالف مكتوب القضاء به      فكيف لي بقضاء غير مكتوبٍ  
وقال ابن حجاج: [السرّيع]

فديتُ من نفسي من كلِّما      لقيته والحق لا يغضبُ  
فقلت: يا عرقوب أطمعني      فقال: لم نفسك يا أشعبُ

\*\*\*

فأخذَ يَلْدُعُ وَيَصِي، وَيَتَّقِحُ ولا يَسْتَحْيِي، وبينما هو ينزو ويلين، وَيَسْتَأْسِدُ وَيَسْتَكِين؛ إذ غشينا أبو زيد لابساً جلدَ النمر، وهاجماً هجوم السَّيْلِ المنهمر، فخفتُ واللّه أن يكون يومه كأمسه، يَبْذِرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ، فَالْحَقَّ بِالْقَارِظِينَ، وَأَضِيرَ خَبْرًا بَعْدَ عَيْنٍ. فَلَمْ أَرِ إِلَّا أَنْ أَذْكَرْتُهُ الْعَهْدَ الْمُنْسِيَّةَ، وَالْفَعْلَةَ الْإِمْسِيَّةَ، وَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ: أَوْاقِي لِلتَّلَافِي، أم لما فيه إتلافي؟ فقال معاذ الله أن أجْهَزَ عَلَيَّ مَكْلُومِي، أو أَصِلَ حُرُورِي بِسُمُومِي؛ بل وافيتُكَ لأخْبِرَ كُنْهَ حَالِكَ، وأكون يميناً لشمالك. فسكن عند ذلك جاشي، وانجاب استيحاشي، وأطلعتهُ طَلَعَ اللَّفْحَةِ، وَتَبَرَّقَعَ صَاحِبِي بِالْفَحَةِ.

\*\*\*

قوله: يَتَّقِحُ، أي ييدي الوقاحة. ينزو: يقفز. يستأسد: يتشبه بالأسد فيتقوى. يستكين: يذل، يريد أنه كان مرة يتقوى ومرة يذل. غشينا: جاءنا فجأة. لابساً جلد النمر، أي وقحاً شجاعاً. هاجماً: آتياً على غفلة. المنهمر: الكثير الانصباب، وتقدم أثر خبر بعد عين، الإمسية: المنسوبة إلى أمس - الفنجديهي: رأيت يخط الحريوي النسبة إلى أمس إمسي، وهو من شاذ - النسب - ناشدته: حلفته. أواقى: أجاأ وأوتى. التلافي: التدارك قبل فوته. معاذ الله، أي أستجير بالله ممّا ذكرت. أجهز: أتم عليه. مكلومي: مجروحي، وفي أخبار علي رضي الله عنه أنه ما أجهز على مكلوم قط. أخير: أعلم. كنه: حقيقة جاشي: نفسي، قاله ابن سيده: وقيل: الجأش القلب، وقيل: رباطته وشدته عند الشيء يسمعه، ما يدري ما هو. وقيل: جاشي: رُوع قلبي واضطرابه عند الفزع. واستوحش من الشيء: لم يأنس به. انجاب: انتشع وزال. أطلعتهُ طَلَعُهَا، أخبرته سرها وعلوت طلع الأكمة، أي مكاناً يطلع منه على ما حولها ويُشرف عليه والفحة: صلابة الوجه، كأنه جعل منها بُرْقَعاً على وجهه.

\*\*\*

فَنظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَ لَيْثِ الْعَرِيْسَةِ، إِلَى الْفَرِيْسَةِ. ثُمَّ أَشْرَعَ قَبْلَهُ الرَّمْحَ، وَأَقْسَمَ لَهُ بِمَنْ  
أَنَارَ الصُّبْحَ، لَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْجَى الذَّبَابِ، وَيَرْضَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ، لِيُورِثَ سِنَانَهُ  
وَرِيْدَهُ، وَلِيَفْجَعَنَّ بِهِ وَلِيْدَهُ وَوَدِيْدَهُ. فَنَبَذَ زِمَامَ النَّاقَةِ وَحَاصَّ، وَأَفْلَتَ وَلَهُ حُصَاصٌ،  
فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ: تَسَلَّمْهَا وَنَسْتَمِهَا، فَإِنَّمَا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ، وَوَيْلُ أَهْوَنَ مِنْ وَيْلَيْنِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ: فَجِزْتُ بَيْنَ لُومِ أَبِي زَيْدٍ وَشُكْرِهِ، وَزَنَةَ نَفْعِهِ بِضَرِّهِ.  
فَكَانَهُ تُوجِي بِذَاتِ صَدْرِي، أَوْ تَكْهَنُ مَا خَامَرَ سَرِّي. فَقَابَلَنِي بِوَجْهِ طَلِيْقٍ، وَأَنْشَدَ  
بِلِسَانٍ ذَلِيْقٍ: [مَجْزُوءُ الرَّمْلِ]

يَا أَخِي الْحَامِلَ ضَمِيْمِي      دُونَ إِخْوَانِي وَقَوْمِي  
إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ أَمْسِي      فَلَقَدْ سَرَّكَ يَوْمِي  
فَاغْتَفِرْ ذَاكَ لِهَذَا      وَأَطْرَحْ شُكْرِي وَلَوْمِي  
ثُمَّ قَالَ: أَنَا تَثِيْقٌ؛ وَأَنْتَ مِثِيْقٌ، فَكَيْفَ نَتَفَقَّ! وَلَوْلِي يَفْرِي أَدِيمَ الْأَرْضِ،  
وَيَرْكُضُ طَرْفَهُ أَيْمًا رَكْضُ، فَمَا عَدَدْتُ أَنْ اقْتَعَدْتُ مَطِيْتِي، وَغَدْتُ لَطِيْتِي، حَتَّى  
وَصَلْتُ إِلَى جَلَّتِي، بَعْدَ اللَّثَا وَالْتِي.



الْعَرِيْسَةُ: مَاوَى الْأَسَدِ. وَالْفَرِيْسَةُ: الْبَيْدُ يَفْتَرِسُهُ، أَيْ يَكْسِرُ عُنُقَهُ، وَهِيَ أَكِيْلَةُ  
الْأَسَدِ. أَشْرَعَ: صَوَّبَ. أَنَارَ: نَوَّرَ. يَنْجُ مِنْجَى: يَخْلُصُ مَخْلُصٌ، وَشَبَهُ خُلُوصَهُ بِخُلُوصِ  
الذَّبَابِ، لِأَنَّهُ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ أَوْ الطَّعَامِ فَيَتَقَدَّرُ الْإِنْسَانُ بِمَقَرِّهِ فَيَشْرَدُهُ، وَهُوَ وَاجِدٌ عَلَيْهِ،  
فَيَنْجُو الذَّبَابُ، سَالِمًا بَعْدَ أَذَاتِهِ.

### [مِمَّا قِيلَ فِي الذَّبَابِ وَالْبَعُوضِ شِعْرًا]

وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ الزِّيَاتِ: [الْمُقَارَبُ]  
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَا تَشَاءُ      وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالًا  
نَجَا بِكَ قَوْمُكَ مَثَجَى الذَّبَابِ      حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُثَالَا  
وَأَخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ: [السَّرِيعُ]  
أَسْمَعْنِي عَبْدُ بَنِي مَسْمَعٍ      فَصَنْتُ عَنْهُ التُّفْسَ وَالْعِرْضَا  
وَلَمْ أَجْنِبْهُ لاحتِقَارِي لَهُ      وَمَنْ يَعْضُ الْكَلْبُ إِنْ عَضَا!  
وَمِنْ قَوْلِ الْآخَرِ: [الْبَسِيطُ]  
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيَهُمْ أَمِنُوا      لِلْؤُمِ أَحْسَابُهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدَا

وهو كثير، وإنما اخترع إبراهيم لفظ الذباب.

وعرض - أي بعض الأدباء - على صاحب له بمحضر جماعة شعراً، فجعل يعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد حسداً، فقال له صاحب الشعر: أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد.

وقال ابن الرومي: [المجث]

تأمل العيب عيبُ ما بالذي قلتَ ريبُ  
والشعر كالشعر فيه مع الشئبة شيبُ  
فليصفح الناس عنه فطعنهم فيه عيبُ

ومنيكات الذباب لابن آدم كثيرة، منها نزوله على الوجه عند النوم، فيلقى منه بلاء، أو في الصلاة فيصير أضرم من إبليس للتشاغل، وأما إذا تساقط في الطعام فتغنيصه وتنفيه للطباع أضرار لا تخفى، وقد قدمت آنفاً في ذلك من الشعر شيئاً، ولذلك تضرب العرب المثل فتقول: أجرأ من ذباب، لأنه ينزل على الأسد والأمير.

ونذكر هنا ما هو أشد أذية منه وهو البعوض، ولولا أن أيامه قلائل لأخلى البلاد،

قال ابن رشيقيتشكاه: [الكامل]

يا رب لا أقوى على دفع الأذى وبك استعنت على الضعيف الموزي  
ما لي بعثت إلي ألف بعوضة وبعثت واحدة إلى نمرود!

وقال ابن شرف: [الكامل]

لك منزل كملت بشارته لنا لئلهو لكن تحت ذاك حديث  
غنى الذباب وظل يزمر حوله فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال آخر: [مخلع البسيط]

ليل البراغيث والبعوض ليل طويل بلا غموض  
فذاك ينزو بغير رقص وذا يُغنى بلا عروض

وقوله: ويرضي من الغنيمة بالإياب، منقول من قول امرئ القيس، وقد طوّفت... البيت<sup>(١)</sup>. وهو مشهور. يوردن: يُدخلن. وريده: صفحة عنقه، والوريدان:

(١) يروى البيت بتمامه:

وقد طوّفت بالآفاق حتى رضيت من السلامة بالإياب  
والبيت من الوافر، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٤٣، ولسان العرب (نقب)، وجهرة الأمثال ١/ ٤٨٤، والعقد الفريد ٢/ ١٢٦، والفاخر ص ٢٦٠، وكتاب الأمثال ص ٢٤٩، والمستقصى ٢/ ١٠٠، وجمع الأمثال ١/ ٢٩٥، وتهذيب اللغة ٩/ ١٩٧، وتاج العروس (نقب)، ويروى «وقد نقبت»، بدل «وقد طوّفت».



العرقان يجري فيهما النَّفْس، وهما في مقدّم العنق، وفجعت المصيبة فجعاً: أوجعته فهو فجيع ومفجوع، وموت فاجع، والفجعية: الرزية الموجهة. يفجعن: يحزنن. ولیده: ابنه. وديده: صاحبه. نبذ: رمى. حاص مال إلى الهرب، ويقال: حاص يحيص حيصاً، إذا عدل، ومنه ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، أي من ملجأ ومجيد. تسلمها: خذها. تسلمها: اركب سنامها. إحدى الحسينين، أي الممرتين، ولو رجع له الفرس لكملتا له، فالناقة إحداهما. بذات صدري: علم بحاجة نفسي وبحقيقة ما أضمرت في صدري. تكهن: علم. خامر: خالط. طليق: مستبشر. ذليق: حديد. ضيمي: ذلي وضري. ساءك: أحنك. أطرخ: اترك، وقد أعاد هذا في السابعة والثلاثين فقال: وهبها لا خطأ ولا إصابة.

وسأل الحطيئة عتية النهاس العجلي فردّه، فقال له قومه: عرّضتنا ونفسك للشر، هذا الحطيئة، وهو هاجيتنا أحبّ هجاء، فقال: ردّوه، فردّوه، فقال: كتمّنا نفسك ولك عندنا ما يسرك، ثم قال له: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول: [الطويل]

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ      يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ<sup>(١)</sup>

فقال: له: وهذه من مقدمات أفاعيك. ثم قال لوكيله: اذهب به إلى السوق فابتع له كل ما أحبّ، فعرض عليه الخزّ ورقيق الثياب، فعرض هو إلى الأكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد، فرجع إلى عتية، فقال له اسمع: [الطويل]

سُئِلْتُ فَلَمْ تَبْخُلْ وَلَمْ تَعْطِ طَائِلاً      فسيان لا ذمّ عليك ولا حمْدُ<sup>(٢)</sup>  
وأنت امرؤ لا الجود منه سجيّة      فتعطي وقد يُعْذِي على التائل الوجْدُ

وامتدح أبو تمام إبراهيم بن المهديّ، فوجده عليلًا، فقبل منه المدحة وأناله ما يصلحه، وقال له: عسى أن أقوم من مرضي فأكافئك، فأقام شهراً ثم كتب له: [المنسرح]

إنّ حراماً قبول مدحتنا      وترك ما نرتجي من الصّفْدِ  
كما الدنانير والدراهم في الـ      بيع حرام إلا يبدأ بيد  
فقال لحاجبه: أعطه ثلاثين ألفاً، وجئني بدواة، فكتب إليه: [الطويل]

عاجلنا فأناك عاجلُ برّنا      فُلاً ولو أمهلنا لم نُثْغِلِ  
فخذ القليل وكن كأنك لم تُقِلْ      ونكون نحن كأننا لم نفعِل  
وقال الخوارزمي: [الوافر]

ولمّا أن رأيت ابني وليد      وبينهما اختلاف في الفَعَالِ

(١) البيت في ديوان الحطيئة ص ٣٠.

(٢) البيت الثاني بلا نسبة في لسان العرب (عدا).

وهبت قبيح ذا لجميل هذا وأسلمت العواقب لآلي  
إذا اليد أحسنت منها يمين تسوغلها ذنب الشمال

قوله يفري: أي يقطع. أديم الأرض: وجهها. يركض طِرْفه: يجري فرسه. أَيْمًا، صفة لمصدر محذوف، وفيه معنى التعجب من كثرة جريه، تقديره: يركض ركضاً، أي يركض. اقتعدت: ركبت القعود، وتقدمت في الأولى ما عدت: ما جاوزت، أي ما عملت شيئاً قبل القعود على الناقة. جَلَّتِي: موضعي الذي هو سكني ونزولي. وحلّ: نزل.

### تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله: «رَيْقَ زَمَانِي ورائقه» يعني أوله، وقد يخفف فيقال «ريق». وقوله: «أَخَذَ أَخَذَ نَفْسِهِمُ الْآبِيَةَ»، يعني أفتدي بهم، يقال: أخذه، بكسر الهمزة وفتحها.

والهجمة، نحو المائة من الإبل.

والثلة: القطيع من الغنم.

والراغية: الإبل. والثاغية: الشاء، ومنه قولهم: ما له راغية ولا ثاغية، أي لا ناقة له ولا شاء.

وقوله: «أَرْدَافَ أَقْيَالٍ»، أي يخلفون الملوك إذا غابوا.

وقوله: «أَبْنَاءَ أَقْوَالٍ»، أي فصحاء، يقال للمُنطِيق: إنه ابن أقوال.

وقوله: «فَتَدَثَّرَتْ فِرْساً مُحَضَّاراً»، التدَثَّر: الوثوب على ظهر الفرس، والمِحَضَّار والمِحَضِير: الشديد العَدْو، مأخوذ من الحُضْر، وهو العدو.

وقوله: «أَفْتَرِي كُلَّ شَجَرَاءَ مُرْدَاءٍ» الاقتراء: تتبّع الأرض. والشجرَاء: ذات الشجر، والمراد الخالية من النبات، ومنه اشتقاق الأُمُرد، لخلوّ وجهه من الشَّعر.

وقوله: «حَيَعِلَ الذَّاعِي إِلَى صَلَاتِهِ»، يعني قول المؤذن: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، والمصدر منه الحَيَعْلَة، ومثله من المصادر الهَيْلَة والحَمْدَلَة. والحوَقْلَة والبَسْمَلَة والحَسْبَلَة والسُّبْحَلَة والجَعْلَفَة، فالهَيْلَة حكاية قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. والحَمْدَلَة: حكاية قول: الْحَمْدُ لِلَّهِ. والحَسْبَلَة حكاية قول: حَسْبُنَا اللَّهُ، والسُّبْحَلَة حكاية قول: سُبْحَانَ اللَّهِ. والجَعْلَفَة حكاية قول: «جَعَلْتَ فِدَاكَ».

وقوله: «فَنَزَلَتْ عَنْ مَثْنِ الرِّكْوِيَةِ»، يعني المركوبة، يقال: ناقة رَكُوبٍ وَرَكُوبَة وَحَلُوبٍ وَحَلُوبَة، وقد قرئ: «فمنها ركوبتهم».

والصُّهُوة: مقعد الفارس. والشَّخْوة: الخطوة. والجَزَع: قطع الوادي عَرْضاً. وقوله: «سَكَّةٌ عَمِيٌّ» يعني قائم الظهيرة، وقد اختلف في أصله، فقيل: كان عَمِيٌّ رجلاً مغواراً، فغزا أقواماً عند قائم الظهيرة، وصكَّهم صَكَّةً شديدة، فصار مثلاً لكل مَنْ جاء ذلك الوقت، وقيل: المراد به الطَّيبي، لأنه يسدُّ في الهواجر، ويذهب بصره، فيصطك، وكذلك الحية، واضطكاك الطَّيبي بما يستقبله كاضطكاك الأعمى، ثم صَغُرَ الأعمى تصغير الترخيم، فقيل: عَمِيٌّ؛ كما صَغُرُوا أَسْوَدَ وأزهر، فقالوا: سويد وزهير.

وقوله: «وكان يوماً أَطْوَلَ من ظلِّ القناة»، يوصف اليوم الطويل بظلِّ القناة، كما يوصف اليوم القصير بإيهام القطاة، والعرب تزعم أنَّ ظلَّ الرَّمح أطول ظلٍّ، ومنه قول شبرمة بن الطفيل: [الطويل]

ويومٍ كظلِّ الرَّمح قصَّر طولُه دم الرِّقِّ عِنا واصطفاق المِزاهر<sup>(١)</sup>

وقوله: «أَحَزَّ من دمع المقلات» المقلات هي المرأة التي لا يعيش لها ولد، فدمعها أبداً حازَ لحزنها، لأنه يقال: إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة، ولهذا قيل للمدعو له: أقر الله عينه، مأخوذ من القرَّ وهو البرد، وقيل للمدعو عليه: أسخن الله عينه، مأخوذ من السَّخنة، وهي الحرارة، وقيل: إن إقرار العين مأخوذ من القرار؛ فكأنه دعا له أن يُرزق ما يقرَّ عينه حتى لا تطمح إلى ما لغيره. وكانت الجاهلية تزعم أن: إن المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها، ولهذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله: [الطويل]

تَظَلَّ مِقالِيْتُ النِّساء يَطانُه يَقلُن: ألا يَلْقَى على المِراءِ مِثْرَ<sup>(٢)</sup>

وقوله: «عَلِقْتُ بي شُعوب» يعني المنية، ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف، مثل دجلة وعرفة.

وقوله: «لأغور تحتها إلى المُعْغِيبان»، التقدير: النزول إلى القائلة؛ كما أن التعريس: التَّزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة.

والمُعْغِيبان، تصغير المغرب، وكان قياس تصغيره المغيرب، إلا أنَّ العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ.

وقوله: «مضطغناً أهبة تجوابه»، الاضطغان: أن يحمل الشيء تحت حضنه، والاضطبان أن يحمله تحت ضبته، والضُّبْن: ما بين الإبط والكشح، وكلاهما متقارب.

(١) البيت لابن الطثري في ديوانه ص ٨١، ولسان العرب (صفق)، وأساس البلاغة (رمح)، وقال ابن بري: البيت لشبرمة بن الطفيل وليس لابن الطثرية.

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ٨٨، وإصلاح المنطق ص ٧٦، وشرح شواهد الإيضاح ص ٤١٣، ولسان العرب (قلت)، والمعاني الكبير ص ٩٣٠، وبلا نسبة في مجالس تلعب ١/ ٧١.

ويقال: أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن، وهو أسفل الإبط ثم الحضن، وهو عند الجنب.

والتجواب مصدر جاب، وجميع المصادر التي جاءت على «تفعال» هي بفتح التاء إلا قولهم: تَبَيَّنَ وتَلَقَّأَ لا غير، وزاد بعضهم: يتصل.

وقوله: «عُجْرِي وَيُجْرِي» يريد به جميع أمري الظاهر والباطن، وأصل العجر العُقْدُ الناتئة في العصب، والبحر: العُقْدُ الناتئة في البطن.

وقوله: «ولم يقل إيهًا» أي لم يأمُرني بالكف، يقال: للمستزاد: إيه. وللمستكف: إيهًا.

وقوله: «لأمر ما جدع قصير أنفه»، قصير هو مولى جذيمة الأبرش، وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه، ثم أتاها وأوهما أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة، هو الذي جدع أنفه اتهاماً له بأنه غشّ خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصدها، فَحَظِي بهذا القول عندها حتى تجهزته مراراً إلى العراق؛ فكان يأتيه بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق، وتوصل إلى قتلها، والأخذ بثأر مولاه منها. وقصته مشهورة.

وقوله: «ولو كان ابن بُوحك» يعني ولد الصُّلب، إشارة إلى أنه ولد في باحة الدار؛ وهي عَرَصَتها، وجمعها بُوح. وقيل: إن البوح من أسماء الذكر.

وقوله: «في شهري ناجر» هما شهرا الحرّ، وقيل: إنها خَزِيران وتُمُوز. وأنكر ابن دريد هذا القول، وقال: هما طلوع نجمين.

وقوله: «بت بليلة نايغة» أو ما به إلى قول النابغة: [الطويل]

فبِتْ كَأَنِّي ساورتني ضئيلة من الرُّقش في أنيابها السُّمُّ ناقع<sup>(١)</sup>

وقوله: «فألمعت إليه بثوبي» يعني أشرت إليه، يقال منه: ألمع ولمع بمعنى.

وقوله: «يلدع ويصي»، هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو، يقال: صاءت العقرب تصيء صبيئاً وصبيئاً بفتح الصاد وكسرها؛ إذا صوتت، وكذلك الفرخ، وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى: [البيسط]

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تُضَمِّي الرمايا وهي مِرْئَانُ

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٣، وخزانة الأدب ٤٥٧/٢، والحيوان ٢٤٨/٤، والدرر ٦/٩، وسقط اللآلي ص ٤٨٩، وشرح شواهد المغني ٩٠٢/٢، والكتاب ٨٩/٢، ولسان العرب (طور)، (نذر)، (نقع)، ومغني اللبيب ٥٧٠/٢، والمقاصد النحوية ٧٣/٢، وتاج العروس (طور)، (نذر)، (نقع)، (ضؤل)، وأساس البلاغة (نقع)، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٣٩٤/٢، وهمع الهوامع ١١٧/٢.

وقوله: «ينزو ويلين»؛ هذا مثل يضرب لمن يتعزز ثم يذلّ، ويقال: إن أصله أن الجدي ينزو وهو صغير فإذا كبر لان.

وقوله: «لابساً جلد النمر»، هذا مثل يضرب للمتفحّ الجريء، لأن النمر أجراً سَنَع وأقله احتمالاً للضيم، ومن هذا اشتقاق قولهم: تنمر، أي صار مثل الثَّيْمَر.

وقوله: «فألحق بالقارظين» الأصل في القارظ الذي يجني القرظ، وهو النبات المدبوغ به؛ والقارظان المشار إليهما أحدهما من عَنَزَة والآخر من الثَّمر بن قاسط، خرجا يجنيان القَرْظ فلم يرجعا، ولا عُرِف لهما خبر، فَضُرِبَ بهما المثل لكل غائب لا يُرْجَى إِياباه، وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله: [الطويل]

وحَتَّى يَثُوبَ القارِظانِ كِلاهِما      وَتُنْشَرَ في القَتلى كَلِيبَ لَوائِلِ<sup>(١)</sup>

وقوله: «حُروري بِسُمومي»، الحُرور: الرِّيح الحارة ليلاً، والسُّموم: الريح الحارة نهاراً، وقد يقام أحدهما مقام الآخر مجازاً. وقال بعضهم: الحُرور يكون ليلاً ونهاراً، والسُّموم يختصُّ بالنهار.

وقوله: «لَيْثٌ عَرِيسَة» يعني مأوى السبع، ويقال فيه. عَرِيس وعَرِيسَة بإثبات الهاء وحذفها، كما يقال: غاب وغابة وعَرِين وعَرِينَة. فأما الثَّيْل والثَّيْلَة فلم يلحقوا بهما الهاء.

وقوله: «أفلت وله حُصاص» هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعد ما كاد يَهْوِي فيها. والحُصاص: العُدُو، وقيل إنه الضراط.

وقوله: «وَيْلٌ أَهْوَنُ من ويلين»، هذا المثل يضرب تسليّة لمن ناله بعض المكروه، ومثله قول الراجز: [الطويل]

أبا منذرٍ أَفْنِيتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضُنا      حَتَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ من بَعْضِ<sup>(٢)</sup>

وقوله: «أنا نثق، وأنت متق، فكيف نتفق»، هذا المثل يضرب للمتنافسين في الخلق؛ فإنَّ التثاق هو الممتلئ غيظاً؛ مأخوذة من قولهم: أتأقت الإناء؛ إذا ملأته. والمنق هو الباكي؛ فكان التثاق ينزع إلى الشر لغيظه، والمنق يضيق ذرعاً باحتماله، ومثله قول بعضهم: أنا كَلِفٌ، وأنت صِلَفٌ، فكيف نأتلف!

وقوله: «لطيتي» يعني لقصدي ووجهتي، وقد يقال فيها: طِيّة، بالتخفيف.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٤٧، ولسان العرب (قرظ)، وتهذيب اللغة ٦٨/٩، وتاج العروس (قرظ)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٦٣، وديوان الأدب ١/٣٥٤.

(٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٦٦، والدرر ٦٧/٣، والكتاب ٣٤٨/١، ولسان العرب (حنن)، وجمع الهوامع ١/١٩٠، وتاج العروس (حنن)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٢٧٣، وشرح المفصل ١/١١٨، والمقتضب ٣/٢٢٤.

وقوله : « بعد اللَّتْيَا والتي » اللَّتْيَا تصغير اللَّتِي ، وهو على غير قياس التصغير المطرد ؛ لأنَّ القياس أن يضمَّ أول الاسم إذا صُغِّرَ ، وقد أُقِرَّ هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره ، إلا أنَّ العرب عوّضته عن ضمِّ أوله ، بأن زادت ألفاً في آخره ، وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه ، فقالت في تصغير الذي والتي : اللَّذْيَا واللَّتْيَا ؛ تصغير ذا وذاك . وقد اختلف في معنى قولهم : بعد اللتيا والتي ، فقليل : هما من أسماء الداهية . وقيل : المراد بهما بعض صغير المكروه وكبيره .

## المقامة الثامنة والعشرون

### وهي السمرقندية

حدث الحارث بن همام قال: استبضعت في بغض أسفاري القند، وقصدت به سمرقند؛ وكنت يومئذ قويم الشطاط، جموم النشاط، أرمي عن قوس المراح، إلى غرض الأفراح، وأستعين بماء الشباب، على ملايح السراب، فوافيتها بكرة عروبة، بعد أن كابدت الصعوبة، فسعيث وما وثيث، إلى أن حصل البيت. فلما نقلت إليه قندي، وملكت قول عندي، عجت إلى الحمام على الأثر، فأمطت عني وغناء السقر، وأخذت في غسل الجمعة على الأثر.

\*\*\*

استبضعت: اتخذت بضاعة. القند. غسل السكر.

### [سمرقند]

وسمرقند: بلد عظيم من بلاد خراسان، غزاها ملك من ملوك اليمن اسمه شمر، فملكها وهدمها فسميت شمرقند، بمعنى خرابة شمر، ثم عربت ف قيل: سمرقند، وأهلها السغد. وفي رواية أنه لما انتهى إلى السغد قاتلهم أياماً تحولوا إلى مدينتهم فحاصروهم حولاً حتى افتتحها عنوة، فقتل منهم سباً وهدمها، ثم ثاب له رأي، فأمر ببنائها، فبنيت خيراً مما كانت، ثم أمر بصخرة فبُنيت عند بابها، وكتب عليها: هذا بناء ملك العرب لا العجم، شمر الملك الأشم. ووحد في سورها لوح من نحاس فيه كتاب، وهو: «هذا ما أمر ببنائه شمر»، وقد تقدّم أن فرغانة من أعمالها التي هي آخر خراسان، وبين سمرقند وبغداد ستة أشهر، وتقدم أن مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى، ولما أشرف قتيبة ابن مسلم عليها، فرأى ما أدهشه لإفراط حسنها. قال: كأنها السماء في الخضرة، وكأن قصورها النجوم والزهرة، وكان أنهازها المجرة.

\*\*\*

قوله: قويم الشطاط، أي معتدل القامة: جموم النشاط، أي كثير القوة والخفة. والمراح: النشاط. والأفراح: جمع فرح، وماء الشباب: نضارة الفتوة ونعمة الصبا. ملامح السراب: مواضع يلوح السراب فيها، أي يلّمع ويظهر، فأراد أنه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء. وافيها: أنيها.

## [يوم عَرُوبَة]

عروبة، اسم يوم الجمعة، سُمِّيَ بذلك لحسنه حيث كان موسماً، وهو من قولهم: جاريةٌ عَرُوب أي حسناء، وكانت العرب تسمي أيام الأسبوع بأسماء يجمعها بيتان وهما: [الوافر]

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأوّل أو بأخوّن أو جُبار<sup>(١)</sup>  
أو الثّالي دُبار فإنْ أَقْشُهُ فمؤنس أو عَرُوبَة أو شِيار  
وعَرُوبَة من الأسماء التي تدخلها الألف واللام مرّة وتسقط منها أخرى، قال الشاعر: [الكامل]

\* يوم كيوم عَرُوبَة المتطاوِل<sup>(٢)</sup> \*

وقال آخر: [البسيط]

\* يوم العَرُوبَة أوراذا بأوراد<sup>(٣)</sup> \*

وحكوا أن سيبويه، كان في حلقة بالبصرة فتذاكروا شيئاً من حديث قتادة، فذكر سيبويه حديثاً غريباً، وقال: لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العَرُوبَة، فقال له بعض الفضلاء: ما هاتان الزياتان؟ - يعني الألف واللام في العروبة - فقال سيبويه: هكذا ينبغي أن يقال، لأن العَرُوبَة هي يوم الجمعة، فَمَنْ قال: عَرُوبَة فقد أخطأ. قال محمد بن سلام: فذكرت ذلك ليونس بن حبيب، فقال: أصاب: سيبويه لله دَرَه.

وسُمِّيَ يوم الجمعة لما جاء في حديث سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لِمَ سُمِّيَ يوم الجمعة؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: لأن فيه جَمع أبوك آدم»<sup>(٤)</sup>. وقال بعضهم فذكر عروبة: [الكامل]

(١) البيتان بلا نسبة في الإنصاف ٤٩٧/٢، وجمهرة اللغة ص ١٣١١، والدرر ١٠٣/١، ولسان العرب (عرب)، (جبر)، (دبر)، (شبر)، (أنس)، (هون)، والمقاصد النحوية ٣٦٧/٤، وجمع الهوامع ٣٧/١.

(٢) يروى البيت بتمامه:

وإذا رأى الرّوَاد ظلّ بأسقف يوماً كيوم عَرُوبَة المتطاوِل  
وهو لابن مقبل في ديوانه ص ٢٢١، وتاج العروس (سقف) ومعجم البلدان (أسقف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣١٩، ١٣١١، والأزمنة والأمكنة ٢٧١/١.

(٣) صدره:

نفسى الفداء لأقوام هم خلطوا  
والبيت للقطامي في ديوانه ص ٨٨، وجمهرة اللغة ص ١٣١١، والأزمنة والأمكنة ٢٧١/١، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٢٠، ومقاييس اللغة ٣٠١/٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣١١/٢، بلفظ: «لأي شيء سُمِّيَ يوم الجمعة».



في العيد زار، وكان يوم عروبة يا فرحتي بثلاثة الأعياد  
 وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتيرين يوم الجمعة،  
 فأتاه يوم السبت، فلما تلقاه عانقه، وأشد: [الوافر]

تخيرت اليهود السبت عيداً وقلنا في العروبة يوم عيد  
 فلما أن طلعت السبت فينا أطلت لسان محتج اليهود  
 وقال ابن الرومي: [الطويل]

وحبب يوم السبت عندي أنني ينادمني فيه الذي أنا أحببت  
 ومن عجب الأشياء أنني مسلم حنيف ولكن خير أيامي السبت



قوله: كابت، أي قاسيت، سعت وما نيت: خرجت وما فترت، ويقال: ونى  
 بني، أي ضعف، والونی الضعف والفتور والإعياء. ملكت قول عندي، يريد أن المسافر  
 في الطريق لا يحسب ماله ملكاً له حتى يدخل المدينة، لأنه متعرض للهلاك في الطريق،  
 فإذا دخل المدينة وحصل في بيته ملكه فصار «ملكيت قول عندي» عبارة عن سلامة ماله  
 وخلاصه من حوادث الأسفار نحو الغرق والنهب والفرق والغضب، أو يكون عبارة عن  
 الحصول في البيت يقول: عندي كذا، أي في بيتي.

عجت، أي ملت على الأثر، أي في الحين، ورجع على الأثر أي أتى مستعجلاً،  
 كأنه مشى على أثره في طريقه قبل غيره، فمعنى عجت إلى الحمام على الأثر، أي دخلته  
 على الفور في الحال. وقد ذكرنا باباً أدبياً من الشعر في الحمام في الرابعة، ونذكر هنا فيه  
 فنا آخر من الأدب.

### [مما قيل في الحمام]

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «ستفتح عليكم أرض  
 الأعاجم، وتجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات، فلا يدخلها الرجل إلا بإزار، وامنعوا  
 النساء أن يدخلنها إلا مريضة أو نساء»<sup>(١)</sup>.

وروي أن عبيد بن قرط الأسدي، دخل مع صاحبين له بلداً فيها حمام فأحب  
 صاحبه دخوله فيها، فنهاهما عبيد، فأبيا إلا دخوله، فلما دخلاه رأيا فيه رجلاً يتنور، أي  
 يستعل الثؤرة فسألاه عنها. فأخبرهما بإذهابها الشعر، فاستعملها فلم يحسنا فأحرقتهما  
 وأضررت بهما فقال عبيد: [الكامل]

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب باب ٣٨، وأبو داود في الحمام باب ٣، والترمذي في الأدب باب ٤٣،  
 والدارمي في الاستئذان باب ٢٣، وأحمد في المسند ٣/٣٣٩، ٦/١٣٢، ١٣٩، ١٧٣، ١٧٩، ٢٦٧.

لعمري قد حذرتُ قرطاً وجاره  
نهيتهما عن نورة أحرقتهما  
فما منهما إلا أتاني موقعاً  
أحدكما لم تعلماً أنّ جازناً  
ولم تعلماً حمّامنا في بلادنا  
إذا جعل الحرياء في الجذب يحضّر

ورد أعرابي البصرة، فنزل على ابن عم له، فلما رأى البصريّ شعثَ الأعرابي، أراد أن ينظفه، فقال له يوم الجمعة: إنّ الناس يتطهّرون للجمعة، ويتنظّفون، ويلبسون أحسن الملابس، فتعال أدخلك الحمّام لتنظّف من قشّف السفر والبادية، وتتطهّر للصلاة، فدخل معه الحمام، فعندما وطئ الأعرابي فرش أوّل بيت في الحمام، لم يحسن المشي عليها لشدة ملاستها فزلق، وسقط لوجهه، وصادفت جبهته حرف مدخل البيت، فشجّه شجّة منكّرة فخرج مرعوباً وهو ينشد، ودماؤه تسيل: [الكامل]

وقالوا تطهّزْ إنّه يومُ جمعةٍ  
تزوّدُ منه شجّةٌ فوق حاجبي  
يقول لي الأعراب حين رأيتني  
وما تعرف الأعراب مشياً بأرضها

وقال ابن سكرة: دخلت حمّاماً، فخرجت وقد سُرق مداسي، فعدت إلى دارِي حافياً وأنا أقول: [الوافر]

إليك أذمّ حمّام ابن موسى  
تكاثرت اللصوص عليه حتى  
ولم أفقد به ثوباً ولكن  
يريد بشراً الحافي، وكان من كبار الزهاد، ولزم المشي حافياً فلُقب به.



وقوله: أمطت، أي أزلت. وعثاء السفر: شدته ومشقته، وفي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من عثاء السفر وكآبة المنقلب»، وأصله من الوعث، وهو الدّھس، أي الرمل الدقيق. وقيل: الوعث الرمل تغيب فيه القوائم، وقيل: هو الطريق الخشن الصعب. بالأثر، أي بالحديث المروي. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الرابعة

فكأنما قُرب دجاجة، ومَن راح في الخامسة فكأنما قُرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

\*\*\*

ثم بادرت في هيئة الخاشع، إلى مسجدها الجامع، لألحق بمن يقرب من الإمام، ويقرب أفضل الأنعام، فحظيت بأن جليْتُ في الحلبة، وتخيَّرت المركز لاستماع الخطبة، ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ويردون فرادى وأزواجا؛ حتى إذا اكتظَّ الجامع بحفله، وأظَلَّ تساوي الشخص وظله، برز الخطيب في أهبيه، متهادياً خلف غضبته، فارتقى في منبر الدعوة، إلى أن مثل بالذروة؛ فسلم مشيراً باليمين، ثم جلس حتى ختم نظم التأذين.

\*\*\*

الأنعام: هي الإبل والبقر والغنم. وقال في الدرة: فرقت العرب بين النعم والأنعام، فجعلت النعم اسماً للإبل خاصة وللماشية التي فيها الإبل، وتذكر وتوث، وجعلت الأنعام اسماً لأنواع المواشي مثل الإبل والبقر والغنم. حظيت: سعدت. جليت: سبقت. والحلبة: جماعة الخيل، وأراد بها الناس المبادرين للصلاة، وأنه سبقهم. المركز: الموضع تنتظر فيه الصلاة. دين: طاعة. أفواجا: جماعات. يردون: يأتون الجامع. اكتظَّ: امتلأ وضاق بأهله. حفله: اجتماع الناس فيه. أظَل: دنا قرب. تساوي الشخص وظله، يريد حديث عمر رضي الله عنه: أن صل الظهر إذا صار ظلك مثلك. برز: خرج. أهبته: عدته للصلاة. متهادياً: متمائلاً لوقاره. عصبته: جماعة المؤذنين. ارتقى: طلع. مثل بالذروة: جلس بأعلى المنبر أو ظهر بأعلاه. والمائل: اللاطيء بالأرض أو القائم المنتصب، وهو من الأضداد، وسمي المنبر منبراً لارتفاعه وعلوه من النبر، وهو ارتفاع الصوت، ونبر الرجل نبرة: تكلم بكلمة فيها علو، وأنشد أبو الحسن بن البراء: [الكامل]

إنني لأسمع نبرة من قولها فأكاد أن يُخشَى عليَّ سرورا<sup>(١)</sup>

مشيراً باليمين، مذهب الشافعي رضي الله عنه أن الخطيب إذا جلس على المنبر، أشار إلى الناس بيمينه مسلماً من غير كلام. قال ابن عمر رضي الله عنهما: انطلقت مع النبي ﷺ إلى مسجد قباء، فصلَّى فيه، فخرج عليَّ صهيب، فقلت: يا صهيب، كيف كان رسول الله ﷺ يرد من يسلم عليه؟ قال: يشير بيده<sup>(٢)</sup>.

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (نبر)، وتهذيب اللغة ٢١٤/١٥، وتاج العروس (نبر).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٧٠، وأحمد في المسند ٣/١٣٨.

قوله : جلس ، قال الخليل : يقال لمن كان قائماً : أقعد ، ولمن كان نائماً أو ساجداً : اجلس ، وهذا صحيح لأنَّ القعود هو الانتقال من علو إلى سفلى ، ولهذا يقال لمن أصيب برجله : مُقْعَد ، والجلوس هو الانتقال من سُفلى إلى علو ، ورجل جالس : آتٍ نَجْدًا ، وهو المكان المرتفع . وذكره الحريري في الدرّة . ختم : أَكْمِل .

\*\*\*

ثُمَّ قام وقال : الحمدُ لِلّهِ الممدوحِ الأسماء ، الم محمود الآلاءِ ، الواسعِ العطاءِ ، المذعُورُ لحسَمِ اللأواءِ ، مَالِكِ الأُمَمِ ، ومُصَوِّرِ الرِّمَمِ ، وأهلِ السَّمَاخِ والكَرَمِ ، ومُهِلِكَ عادٍ وإِزَمِ ، أَذْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ ، وَوَسَّعَ كُلَّ مُصِرٍّ جِلْمُهُ ، وَعَمَّ كُلَّ عَالِمٍ طَوْلُهُ ، وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ . أَخَمَدَهُ حَمْدُ مُحَمَّدٍ مُسْلِمٍ ، وَأَذْغُوهُ دَعَاءُ مُؤْمِلٍ مُسْلِمٍ ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْعَادِلُ الصَّمَدُ ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ ، وَلَا رِذْءَ مَعَهُ وَلَا مُسَاعِدَ ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا لِلْإِسْلَامِ مُمَهِّدًا ، وَلِلْمَلَةِ مُوْطِدًا ، وَلَاذِلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّدًا ، وَلِلْأَسْوَدِ وَالْأَخْمَرِ مُسَدِّدًا .

\*\*\*

قوله : الآلاءِ ، أي النعم الواسعة الكثيرة . حسم اللأواء : قطع الشدة . الرّم : العظام البالية . مصورها : منشاء صورها ، وأراد قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٦] ، عاد وإِرم : أمتان قديمتان ، وقيل : إرم قبيلة من عاد فيها مملكة عاد . وقيل إرم : اسمٌ لقبائل كثيرة ، كالعماليق وطسم وجديس هلكوا ، وهم من ولد إرم ابن سام بن نوح ، ومن لم يصرف إرم جعله اسماً للقبيلة . وقال سابق البربري في ذهاب الأُم : [البسيط]

وكيف يأمنُ ريبَ الدهرِ مرتَهَنُ      بعذوةِ الدَّهرِ إن الدهرَ عَدَاءُ  
ألقى على الجيلِ مِنْ عادٍ كَلَاكِلَهُ      وقوم هود فهم هَامٌ وأصداءُ  
وقال أيضاً : [البسيط]

أين الملوك التي عن خطبها غفلتُ      حتى سقاها بكأس الموت سَاقِيهَا  
غرَّت زمانا بملك لا دوامَ له      جهلاً كما غرَّ نفساً مَنْ يَمُنِّيها  
وصبَّحت قوم عاد في ديارهم      بمقطع يوم عادتهم عواذِيها  
وثبعا وشمود الجحجرِ غادرهم      ريب المنون ريمما في مغانيها  
فكيف يبقى على الأحداث غابرنا      كأننا قد أَظْلَلْتَنَا دواهيها  
وقال الألبيري : [الكامل]

أين الملوك وأين ما جمعوا وما      ذَخَرُوهُ مِنْ ذَهَبِ المَتَاعِ الذَاهِبِ

ومن السوابغ والصّوارم والقنا  
كانت سوابقها تحمّل منهم  
كانوا ليوت خفيّة لكتّهم  
قصفتهم ريح الرّدى ورمّتهم  
ومن الصّواهل: بُدّين وشوازيب  
أقمار أنديّة وأسد كتائب  
سكنوا غياض أسنة وقواضب  
كفّ المنون بكلّ سهم صائب

قوله: مصرّ، أي مقيم على الذنب. والعالم: كل مخلوق، وأراد به الحيوان.  
طوله: فضله هذ: أذلّ وأهلك، وهذ البناء: كسرّه وهدمه. والمارد: العاتي وهو المبالغ  
في الطغيان والفساد والكثير الشرّ. حوله: قوته، مؤنّث: راج. مسّلم: مفوّض. الصمد،  
من أسماء الله تعالى والسيد المطاع، والصمد: الذي لا يولد له، وقيل: الصمد الذي لا  
جوف له.

وقال ابن الأنباري: أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أنّ الصمد الذي ليس فوقه  
أحد، الذي يصمد إليه الناس في أمورهم، وأنشد لورقة بن نوفل: [البسيط]  
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له      ربّ البرية فردّ واحد صمد<sup>(١)</sup>  
وأنشد: [الطويل]

\* بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد<sup>(٢)</sup> \*

وأنشد: [البسيط]

\* ولا رهينة إلا سيّد صمد \*

وأنشد: [البسيط]

\* خذها خذيف فانت السيّد الصمد<sup>(٣)</sup> \*

(١) يروى البيت:

سبحانه ثم سبحاناً يعود له      وقبلنا سيّج الجوديّ والجُمد

وهو لورقة بن نوفل في الأغاني ٣/ ١١٥، وخزانة الأدب ٣/ ٣٨٨، ٧/ ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٣، والدرر ٣/ ٦٩،  
ولامية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٣٠، والكتاب ١/ ٣٢٦، ولسان العرب (سبح)، (جمد)،  
(جود)، ومعجم ما استعجم ص ٣٩١، ولزید بن عمرو بن نفيل في شرح أبيات سيويّه ١/ ١٩٤، وبلا  
نسبة في شرح المفصل ١/ ٣٧، ١٢٠، ٤/ ٣٦، والمقتضب ٣/ ٢١٧، وجمع الهوامع ١/ ١٩٠.

(٢) صدره:

ألا بكّر الناعي بخيري بني أسد

والبيت لسيرة بن عمرو الأسدي في التنبيه والإيضاح ٢/ ١١٩، وجمهرة اللغة ص ٦٥٧، وسمط اللّالي  
ص ٩٣٣، وبلا نسبة في لسان العرب (صمد)، (خير)، والمخصص ١٢/ ٣٠١، ١٧/ ١٥٢، وديوان  
الأدب ١/ ٢٠٩، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٥٠، وإصلاح المنطق ص ٤٩، وأمالی القالي ٢/ ٢٨٨.

(٣) صدره:

علّوئّه بحسام ثم قلت له

قوله: رداء: معين وأردأتك على الأمر: أعتتك. مساعد: موافق لمراده. ممهداً: باسطاً. والملة: الدين. الأحمر، أراد به الأبيض وأراد لكل الناس، وقيل: الأحمر العجم مثل الروم والفرس، لأنهم بيضٌ تعلوهم حمرة، والأسود العرب، لأنهم لسكناهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم.



وَصَلَ الْأَرْحَامَ، وَعَلَّمَ الْأَحْكَامَ، وَوَسَمَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَرَسَمَ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ، كَرَّمَ اللَّهُ مَحَلَّهُ، وَكَمَّلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَهُ، وَرَحِمَ آلَهُ الْكَرَّمَاءَ، وَأَهْلَهُ الرُّحَمَاءَ، مَا هَمَزَ رُكَّامَ، وَهَدَرَ حَمَامَ، وَسَرَحَ سَوَامَ، وَسَطَا حُسَامَ. اغْمَلُوا رَجِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلُ الصُّلَحَاءِ، وَاتَّخَذُوا لِمَعَادِكُمْ كَذْحَ الْأَصْحَاءِ، وَازْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَذْعَ الْأَعْدَاءِ، وَأَعْدُوا لِلرَّحْلَةِ إِعْدَادَ السُّعْدَاءِ، وَادْرَعُوا حُلَّ الْوَرَعِ، وَدَاوُوا عِلَلُ الطَّمَعِ، وَسَوُّوا أَوْدَ الْعَمَلِ، وَعَاصُوا وَسَاوَسَ الْأَمَلِ، وَصَوَّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ الْأَخْوَالِ، وَخُلُولَ الْأَهْوَالِ، وَمُسَاوَرَةَ الْأَعْلَالِ، وَمَصَارِمَةَ الْمَالِ وَالْآلِ.



الأرحام في الأصل: الفروج، ثم يكنى بها عن القرباب للذين بينهم رجم. وسم: بين، وجعل له علامة، والسمة: العلامة. رسم: كتب وبيّن وأصل الرسم الأثر، ورسمت الشيء: أثرت به أثراً. الإحلال: الدخول في الجلل. الإحرام: الدخول في الحرم، وأراد أنه علم موضع الجلل والحرم. آله: أهله. هَمَزَ رُكَّامَ: انصبَّ سحاب. هَدَرَ: صَوَّت. وسرح: تفرَّق في المرعى، سوام إبل راعية. ساط: اهتَزَّ ليقطع. اكدحوا: اعملوا، والكدح عمل الإنسان من خير وشَرٍّ، واكتسابه للدنيا والآخرة. لمعادكم، أي ليوم بعثكم، والمعاد المرجع. الأصْحَاءُ: جمع صحيح. اردعوا: كَفُّوا. اذرعوا: البسوا الخوف. أود: اعوجاج. وسواس الأمل: أحاديث الطمع والرجاء. أوهامكم: نفوسكم. حؤول: تغير. حُلُول: نزول. الأهوال: المخاوف. مساورة: مواثبة. الإعلال: الإصابة بعلّة، مصارمة: مقاطعة. الآل: الأهل والقرابة.



وَادْكُرُوا الْجَمَامَ وَسَكْرَةَ مَضْرَعِهِ، وَالرُّمَسَ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُوَدَّعِهِ، وَالْمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمَطْلَعِهِ. وَالْمَحْوَا الدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ، وَسُوءَ مَحَالِهِ

= والبيت لعمر بن الأسفل العيسى في بصائر ذوي التمييز ٣/ ٤٤٠، وبلا نسبة في لسان العرب (صمد)، ومقاييس اللغة ٣/ ٣١٠، ومجمل اللغة ٣/ ٢٤١، وتاج العروس (صمد)، وكتاب العين ١٠٤/٧.

وَمَكْرِهِ. كَمْ طَمَسَ مَغْلَمًا، وَأَمَرَ مَطْعَمًا، وَطَخَطَحَ عَزَمَرَمًا، وَدَمَّرَ مَلِكًا مُكْرَمًا.

\*\*\*

اذكروا الحمام: اذكروا الموت. الرُّمَس: تراب القبر. هول مطلع: خوف ما يراه الإنسان فيه. اللَّحْد: الحفيرة في جانب القبر. مُودَع: المَجْعول فيه، كأنه وديعة فيه. المَلَك: منكر ونكير، اللذانِ يَفْتَنانِ الناس في قبورهم. روعة: تقريع وتخويف. المطلع: المأني.

قال الجوهري، رحمه الله تعالى: يقال: أين مطلع هذا الأمر؟ أي مأناه، وهو موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار، وجاء هو المطلع في الحديث، حَدَّثَ وَائِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ وَغَيْرِهِ قَالُوا: خُطِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَأَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا الْمَوْتَ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ وَمَا تَقْدُمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ عَابِرُو سَبِيلٍ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ. أَزْهَدُوا فِي دُنْيَانَا قِصَّةَ غَيْرِ زَائِدَةٍ، مَفْرُوقَةٍ غَيْرِ مَجْمُوعَةٍ، وَارْغَبُوا فِي دَارٍ لَا تَخْرُبُ قُصُورُهَا وَلَا يَبْلَى سُرُورُهَا، وَلَا يَمُوتُ سَاكِنُهَا. أَعْمَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، مَكْحُولُونَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، لَا يَخْرُجُ مِنْ أَجْوَافِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا يَعْرِقُونَ، عَرَقُهُمْ ذَلِكَ وَمَسْكٌ، فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْجَنَّةِ، نَامَ طَالِبُهَا، وَلَمْ أَرِ مِثْلَ النَّارِ، نَامَ هَارِبُهَا».

وقال ابن سَكْرَةَ: [الطويل]

مَحْمُودٌ مَا أَعْدَدْتُ لِلتَّرَبِّ وَالْيَلَى      وَلِلْمَلَكِينَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَبْرِ  
وَأَنْتَ مَصْرُورٌ لَا تَرَاجِعُ تَوْبَةً      وَلَا تَرْعَوِي عَمَّا يُذَمُّ مِنَ الْأَمْرِ  
سَيَانِيكَ يَوْمٌ لَا تَحَاوِلُ دَفْعَهُ      فَقَدِّمْ لَهُ زَادًا إِلَى الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ  
وَتَقَدِّمِ الْبَابَ مَوْفَى حَقِّهِ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرِ.

### [الأمْل والطمع ومما قيل فيه شعراً]

نَذْكُرُ هُنَا بَعْضَ مَا قِيلَ فِي الْأَمْلِ وَالطَّمَعِ الْمَانِعِينَ لِلنَّاسِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ قَالَ أَبُو

الْعَتَاهِيَةِ: [الهمزج]

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ      طُـوَالٍ أَيْ آمَالٍ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْبَلْتُ عَلَى الدَّهْرِ      مَلْحًا أَيْ إِقْبَالٍ  
أَيَا هَذَا تَجْهَزِلُ      فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ  
فَلَا بَدْءَ مِنَ الْمَوْتِ      عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

وقال أبو تمام: [الطويل]

أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تَجَدُّ وَتَعُمُرُ      وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقَبَّرُ<sup>(٢)</sup>

(٢) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٤٨٢.

(١) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص ٢١٣.

تُلْقَحُ آمالاً وترجو نتائجها      وعمرك مما قد تُرْجِيهِ أقصرُ  
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه      وليلتة تنعاك لو كنت تشعرُ  
تحوم على إدراك ما قد كفيته      وتقبل بالآمال فيها وتدبرُ  
رزقك لا يعدوك إماً معجلُ      على حاله يوماً وإماً مؤخرُ  
وقال محمود الوراق: [المنسرح]

علام يسعى الحريص في طلبه      سب الرزق بطول الرواح والذَّلجِ  
يا قارع الباب ربّ مجتهد      قد أدمن القَنْع ثم لم يلجِ  
فاطو على الهَم كَفْ مصطفىر      فأخِرُ الهَم أولُ الفرجِ  
وقال عبد الصمد بن المعدّل: [المقارب]

وأعلم أن بنات الرجا      تحلّ العزيز محلّ الذليلِ  
وأن ليس مستغنياً بالكش      ير من ليس مستغنياً بالقليلِ

قوله: المحوا: انظروا. كره: رجوعه. محاله: شدّته ومعاداته وخداعه. طمس: محا وأذهب. معلماً: موضعاً مرتفعاً، تعلم به الجهة التي هو فيها. طحطح: أهلك وفرّق. عرمرماً: جيشاً كبيراً. دمر: أهلك، والدمار: الهلاك.

### [الدهر وما قيل فيه]

ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الإسلام.

من ذلك أن سليمان بن عبد الملك لبس في يوم الجمعة لباساً شهر به، ودعا بتخت فيه عمام، وببده مرآة، فلم يزل يعتّم بواحدة بعد أخرى، وأرخص سدولها، وأخذ بيده مخرصة، واعتلى منبره ناظراً في عطفه، وجمع حشمه، وقال: أنا الملك الشاب، السيد الحجاب، الكريم الوهاب. فتمثّل له إحدى جواريه، فقال: كيف ترين أمير المؤمنين؟ فقالت: أراه متى النفس وثرة العين، لولا ما قال الشاعر: [الخفيف]

أنت نعم المتاع لو كنت تبقي      غير أن لا بقاء للإنسان  
أنت خلّو من العيوب ومما      يكره الناس غير أنك فاني

فدمعت عيناه، وخرج على الناس باكياً، فلما فرغ من صلاته رجع ودعا الجارية، وقال لها: ما حملك على ما قلت؟ قالت: والله ما رأيتك ولا دخلت عليك. فأكبر ذلك، ودعا بقية جواريه فصدفقته على ذلك، فراحه ذلك ولم يبق إلا مُدبدة حتى مات.

الفضل بن الربيع، قال: كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه، فنزلنا بعض المنازل، فدعا بي وهو في قُبته إلى حائط، وقال: ألم أنهكم أن تدعوا العامة تدخل هذه



المنازل: فيكتبون فيها ما لا خير فيه، قلت: وما هو؟ قال: ألا ترى ما على الحائط مكتوباً: [الطويل]

أبا جعفرٍ حانت وفاتك وانقضت سنوك، وأمر الله لا بدّ نازل  
أبا جعفر، هل كاهن أو منجم يردّ قضاء الله أم أنت جاهل؟

فقلت: والله ما على الحائط شيء، وإنه لنقيّ أبيض، قال: والله، قلت: والله. قال: إنها والله نفسي نعت إليّ الرحيل، بادر بي إلى حرم الله وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي، فرحلنا، وثقل حتى بلغ بثر ميمون، فقلت له: قد دخلت الحرم، قال: الحمد لله، وقُبِض من يومه، ولمّا حضرته الوفاة، قال: هذا هو السلطان، لا سلطان من يموت.

عليّ بن يقطين، قال: لمّا كنا مع المهديّ بماسبذان، قال لي: أصبحت جائعاً فائتني بأرغفة ولحم بارد، فأكل ونام في البهو، فما استيقظ إلا ليكائه، فبادرنا فقال: أما رأيتم ما رأيتم، وقف عليّ رجل لو كان في ألفٍ ما خفيّ عليّ، فقال: [الطويل]

كأنّي بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه رُبْعُهُ ومنازلُهُ  
وصار عميد الملك من بعد بهجة إلى قبره تُحسّى عليه جنادُهُ  
فلم يبقَ إلا ذكره وحديثه ينادى عليه معولات حلالُهُ  
فما أنت عليه عشرة أيام حتى توفي.

قال الأصمعيّ: دخلت على الرشيد يوماً، وهو ينظر في كتاب، ودموعه تنحدر على خده، فالتفت وقال: اجلس، أرايت ما كان منّي؟ قلت: نعم، قال: أما إنه لو كان من أمر الدنيا ما رأيته هذا، ثم رمى إليّ به، فإذا فيه مكتوب لأبي العتاهية: [الكامل]

يا مؤيّر الدنيا بلذّيّها والمستعدّ لمن يفاخره<sup>(١)</sup>  
نلّ ما بدا لك أن تنال من الـ بذّيا فلإن الموت آخره  
هل أنت معتبر بمن خربث منه غداة قضى عساكره  
ويمَن خلث منه أسرته وبمن خلث منه منابرُهُ  
أين الملوك وأين غيرهم صاروا مصيراً أنت صائرُهُ

ثم قال: كأنّي أخطب بهذا دون كلّ الناس، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات.

ولمّا رجع المأمون من غزوته التي افتتح فيها أربعة عشر حصناً نزل على عين تعرف بالعشيرة، ينتظر رجوع رسله من الحصون، فأعجبه برؤاها وصفاءه، وحسن

بياضه وكثرة الخضرة والخضب بالموضع، وجلس على خشب بسيط له على الماء، وطرح فيه درهم، فقرأ كتابته في قرار الماء لصفاته، ولم يقدر أحد يدخل الماء لشدة برده، فلاحت سمكة نحو الذراع، كأنها سبيكة فضة، فنزل بعض الفرائشين فأخذها، فاضطربت في يده وتلملت، ووقعت في الماء، فنضح منه على صدر المأمون، ثم أخذها ووضعها بين يديه في منديل، تضطرب، فأمر بأن تُلغى الساعة، فأخذته رعدة من ساعته، ولم يقدر يتحرك، فغطى باللحف، وهو يرتعد، ويصيح: البرد، فأني بالسمة فلم يقدر عليها، وسال على جسمه عرق كالزب لم يعرفه الأطباء، فلما ثقل قال: أخرجوني أنظر إلى عسكري، وأنظر إلى مالي وملكي، وذلك ليلاً، فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه: فقال: يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه، فلما ثقل رنا بطرفه نحو السماء، وقد امتلأت عيناه دموعاً، فقال: يا من لا يموت أرحم من يموت، وقضي عليه من ساعته.

وكان كثيراً ما ينشد: [المقارب]

ومن لم يزل غرضاً للمنو      ن تتركه ذات يوم عميداً  
وإن أخطأت مرة نفسه      فيوشك مخطئها أن يعوداً  
فبينا يحيد وتخطئته      قصدن فأعجلنه أن يحيداً

وذكر أبو المواريث قاضي نصيبين، أنه رأى في المنام ليلة قاتلاً، يقول: [البسيط]

يا نائم الليل في جثمان يقظان      ما بال عينيك لا تبكي بهتان  
إن الليالي لم تُحسين إلى أحدٍ      إلا أساءت إليه بعد إحسان  
هلا رأيت صروف الدهر ما فعلت      بالهائيمي وبالفتح بن خاقان

- يعني المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان - قال: فأنى البريد يقتلها في تلك الليلة.

وقال سابق البربري: [البسيط]

ورب أغيد ساجي الطرف معتصب      بالتاج نيرانه للحرب تستعز  
يظل مفترش الذيباج محتجباً      إليه تبنى قباب الملك والحجر  
قد غادرته المنايا فهو مستلب      مجندل ترب الخدين منعفر



همه سك المسامع، وسح المذامع، وإكداء المطامع، وإرداء المسمع  
والسامع عم حكمه الملوك والرعا، والمسود والمطاع، والمحسود والحساد،  
والأساود والآساد، ما مزل إلا مال، وعكس الآمال، وما وصل إلا وصال،

وَكَلَمَ الْأَوْصَالَ، وَلَا سَرَ إِلَّا وَسَاءَ، وَلَوْمْ وَأَسَاءَ، وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ الذَّاءِ،  
وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءِ.

اللَّهُ اللَّهُ، رَعَاكُمْ اللَّهُ! إِلَامَ مُدَاوَمَةَ اللَّهْوِ، وَمُوصَلَّةَ السَّهْوِ، وَطُولَ الْإِضْرَارِ،  
وَحَمْلَ الْأَصَارِ، وَاطْرَاحَ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ، وَمُعَاصَاةَ إِلِهِ السَّمَاءِ!

\*\*\*

هَمَّة: مراده. سك المسماع: قطع الآذان، وقد سك أذنه، إذا استأصلها بالقطع،  
والمقطوع الأذن، يقال له: أَسَكَّ، وسككت الشيء فاستكَّ، أي سدّدته فانسدَّ. سخ:  
صبّ. إكداء: قطع ومنع. إرداء: إهلاك. الرعاع: سقط الناس. المسود: مَنْ ليس  
بسيّد. المطاع: الذي يقول ما أَرَادَ فيطاع ولا يعصى، الأسود: الحيّات. والأساد: جمع  
أسد. مَوْل: أعطى مَالاً. مال: انحرف وخرج عن طريقه. عكس: قلب. الآمال: جمع  
أمل وهو الرجاء، وقال مسلم بن الوليد: [البسيط]

الذَّهْر أَخَذَ مَا أُعْطِيَ مَكْدُرُ مَا      أَصْفَى وَمَفْسِدُ مَا أَهْوَى لَهُ بِيَدِ  
فَلَا يَغْنُرُنكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيَّتُهُ      فَلَيْسَ يَشْرُكَ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدِ  
وقال أبو تمام: [الطويل]

أقول لنفسي حين مالت بصفوها      إلى خطراتٍ قد نَشَجْنَ أَمَانِيَا<sup>(١)</sup>  
فهبني من الدنيا ظفرت بكلِّ ما      تمثّيت أو أُعْطِيتُ فَوْقَ مُنَائِيَا  
أليس الليالي غاصباتي مُهْجَتِي      كما غصبت قبلي القرون الخواليَا

قوله: صَال: صاح وهدر. كَلَمَ: جرح. الأوصال: المفاصل، وهو موصل  
عظم عضو في عضو. لَوْمْ: صار لثيماً. رَوَّعَ الأوداء: أفرغ الأحباب. السَّهْوِ:  
الغلط. الإصرار: الإقامة عَلَى الذنب. الأصار: الأثقال، يريد إثقال الذنوب.  
اطْرَاحَ: تَرَكَ ورمى.

\*\*\*

أَمَّا النَّهْرُ حَصَادُكُمْ، وَالْمَذَرُ مِهَادُكُمْ! أَمَّا الْحِمَامُ مُذَرُّكُمْ، وَالصَّرَاطُ  
مَسْلُكُمْ. أَمَّا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ، وَالسَّاهِرَةُ مَوْرَدُكُمْ! أَمَّا أَهْوَالُ الطَّامَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ!  
أَمَّا دَارُ الْعَصَاةِ الْحُطْمَةُ الْمُؤْصَدَةُ، حَارِسُهُمْ مَالِكٌ، وَرَوَاهُمْ حَالِكٌ، وَطَعَامُهُمْ  
السُّمُومُ، وَهَوَاهُمْ السُّمُومُ. لَا مَالٌ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدٌ، وَلَا عَدَدٌ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدٌ.

(١) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٤٨٤.

أَلَا رَجِمَ اللَّهُ امْرَأَ مَلِكٍ هَوَاهُ، وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ، وَأَخَكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ، وَكَذَّ وَكَدَحَ  
لِرُوحِ مَاوَاهُ، وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمُرُ مُطَاوِعَاً، وَالذَّهْرُ مَوَادِعَاً، وَالصَّخَّةُ كَامِلَةً،  
وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً، وَإِلَّا ذَهَمَهُ عَدَمُ الْمَرَامِ، وَخَصَرَ الْكَلَامَ، وَالْمَامَ الْآلَامَ، وَحُمُومَ  
الْحِمَامِ، وَهُدُوءَ الْحَوَاسِ، وَمِرَاسَ الْأَرْمَاسِ.



مسلككم: طريقكم. الساهرة: وجه الأرض، وقيل الأرض البيضاء. المورد:  
موضع الماء الذي يَرِدُهُ الناس والبهائم، ولا غناء لأحد عن قصد الماء، فجعل  
الساهرة مورداً على هذا المعنى. أهوال الطامة: مخاوف القيامة وما فيها من الهول  
والخوف، وأصابت الناس طامة أي داهية وأمر عظيم، وقد طَمَ الأمر، إذا عظم  
وجاوز الحد. مؤصدة: مُعَدَّة ينتظرون بها والْحُطْمَةُ: التي تحطم الناس، أي  
تكبيرهم، يعني جهنم أعادنا الله منها، وهو اسم علم من أسماء جهنم دخلته اللام  
إيذاناً بالصفة. المؤصدة: المغلقة. رواؤهم: منظرهم الحسن. حالك: أسود.  
السُّمُوم: جمع سَمٍّ. والسُّمُوم: الريح الحارة. أم: قصد. أحكم: أتقن. كدح:  
عمل. رُوحَ مَاوَاهُ: راحة مسكنه. موادعاً: متاركاً ومصالحاً. قال ابن عمر رضي الله  
عنهما: قال رسول الله ﷺ لرجل يعظه «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل  
هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك  
قبل موتك».

دهمه: غشيه وأتاه فجأة، ودهمه يدهمه لغة. المرام: المطلب. حصر: حبس.  
إلمام: نزول. الآلام: الأسقام. حُمُوم الحمام: دنو الموت. هدو: سكون.  
الحواس: الإدراكات، وهي التي يحس بها الإنسان الأشياء ويدركها وهي خمسة:  
العين يدرك بها النظر، والأنف والأذن يدرك بها الشم، والسمع واللسان واليد يدرك  
بهما الذوق، واللمس، فيريد أن هذه الجوارح تَسْكُنَ بالموت ولا تتحرك.

### [مما قيل في دنو الأجل وعجز الطب حياله]

ونشد هنا أبياتاً لها بالموضع بعض تعلق، ونذكر فيها الأطباء الذين لا حيلة لهم في  
الموت، قال عدي بن زيد: [الخفيف]

أين أهل الديار من قوم نوح	ثم عاذ من بعدهم وثمود <sup>(١)</sup>
بينما هم على الأسرة والأنم	ساط أفضت إلى التراب الخدود
والأطباء بعدهم لحقوهم	ضل عنهم سعو طهم واللدود

(١) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ص ١٢٢.

وصحيحٌ أضحى يعود مريضاً      وهو أدنى للموت ممن يعودُ  
وقال الخليل بن أحمد: [المقارب]  
فكن مستعداً لداعي الفناء      فإن الذي هو آت قريب  
وقبلك داوى المريض الطبيب      فعاش المريض ومات الطبيب  
ولابن الرومي - وفصده بعض الأطباء، فزعم أن الفصد زاد في علته، فقال:  
[الكامل]

غلط الطبيب علي غلطة مُوردٍ      عجزت موارده عن الإصدار  
والناس يلحون الطبيب وإنما      غلَطَ الطبيب إصابة المقدار  
وقال غيره: [السريع]  
قد قُلْتُ لما قال لي قائلٌ      قد صار نُعمان إلى رمسه  
فأين ما يُذكرُ من طِبِّه      وحذقه بالماء مع جَسِّه!  
هيهات لا يدفع عن غيره      من كان لا يدفع عن نفسه  
ومنه قول الآخر: [الطويل]  
أقول لنعمان وقد ساق طِبُّه      نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض  
أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا      حَتَانِيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ<sup>(١)</sup>  
ويحكى أن القاضي ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك، وقال:  
فأين طِبُّه؟ فبلغت أبا العلاء فقال: [الكامل]

قالوا ابن منظور تبسم هازئاً      لما مرضت فقلت يعثر من مشي  
قد كان جالينوس يمرض دائماً      فمن الإمام المرتضى قبل الرشا  
وقال المتنبي: [السريع]

لا بُدَّ للإنسان من ضَجْعَةٍ      لا تقلب الإنسان عن جَنِبِهِ<sup>(٢)</sup>  
ينسى بها ما مرَّ من عَجْبِهِ      وما أذاق الموت من كربِهِ  
نحن بنو الموتى فما بَالُنَا      نَعافُ ما لا بُدَّ من شربه  
تبخل أيدينا بأرواحنا      على زمانٍ هي من كَسْبِهِ

(١) البيت الثاني لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٦٦، والدرر ٣/٦٧، والكتاب ١/٣٤٨، ولسان العرب (حزن)، وجمع الهوامع ١/١٩٠، وتاج العروس (حزن)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٢٧٣، وشرح المفصل ١/١١٨، والمقتضب ٣/٢٢٤.

(٢) الأبيات في ديوان المتنبي ١/٢١٠.

فهذه الأرواح من جَوْهٍ      وهذه الأجساد من تربه  
يموت راعي الضأن في جهله      موتة جالينوس في طبه  
أصيب الجرمي في عينه فقال: [الرمل]  
إذا ما مات بعضك فابك بعضاً      فبعض الشيء من بعض قريب  
يمتئني الطبيب شفاء عيني      وما غير الإله لها طبيب

\* \* \*

قوله: مِرَاس، أصله معالجة الشيء الشديد، وكل شيء التصق بشيء واحتك به فقد مارسه. ومرست الدواء بالماء: دلكته. والأمراس: القبور، واحدها رمس، فيريد بها ما يلقيه الإنسان في قبره من الدواهي، وتقدمت في الحادية عشر، ويروى: الأمراس: جمع مرس، وهو حبل من ليف يُقتل على ثلاثة. مراسه: جريانه على البكرة، فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه، كما أن الأيام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه، فإذا مات أكل بدنه القبر.

\* \* \*

وهاً لها خسارة ألمها مؤكّد، وأمّذها سزّمَد، وممارسها مُكَمَد، ما لولّيه حاسم، ولا لِسَدْمِه راحم؛ ولا يُمّا عَرَاه عاصم، الهمكم الله أحمَد الإلهام، وردّاكم رِذاء الإكرام، وأحلّكم دارَ السّلام، وأسألُ الرّحمة لَكُمْ ولأهلِ مِلّة الإسلام، وهُوَ أَسْمَحُ الكِرَام، والمسلم والسّلام.

\* \* \*

آها: كلمة توجع. حسرة: فجيعة، والهاء في «لها» كناية عن الحسرة أضمرها بشريطة التفسير، أي ما أعظمها من حسرة، آها، أي تأوها. ألمها مؤكّد، أي وجعها شديد متتابع. سرمد: دائم. مارسها: معالجها ومخالطها. مكمد: مهموم محزون. وله: حزنه. حاسم: مزيل قاطع. سدمه: حيرته، عراه: قصده. عاصم: مانع. ألهمكم: ذكرّكم ونبهكم. أحلكم: أنزلكم. دار السلام: الجنة، من دخلها سلم من العذاب وبقي في سلامة. ملة: دين. أسمح: أكرم. السلام: الذي هو من أسماء الله سبحانه وتعالى، ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف، ومعناه ذو السلام، أي صاحب السلام، ويحتمل أن يريد به اللفظة التي يقطع بها الكلام، كما تقول لمن تقطع كلامه: والسلام، أي لا زيادة عندي على هذا، أو أردت: والسلام عليكم. فحذفت اختصاراً.

وفي تأويل «السلام عليكم» وجهان: أحدهما أنه اسم الله بمعنى «الله تعالى

عليكم»، أي على حفظكم، أو بمعنى السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة.

قال ابن الأنباري: السلام في كلام العرب على أربعة أقسام: السلام التسليم، تقول: سَلَّمْتُ سلاماً، والسلام الله تعالى، والسلام جمع سلامة، والسلام شجر عظام واحدها سَلَامَةٌ قال الأخطل: [الطويل]

ورابية السكران قفرَ فما بها لهم شبعٌ إلا سلامٌ وخزمل<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتَ الْخُطْبَةَ نَخْبَةً بِلَا سَقَطٍ، وَعَرُوساً بِغَيْرِ نَقْطٍ، دَعَانِي الْإِعْجَابُ بِتَمَطُّهَا الْعَجِيبِ، إِلَى اسْتِجْلَاءٍ وَجْهِ الْخُطِيبِ، فَأَخَذْتُ أَتَوَسَّمُهُ جِداً، وَأَقْلَبُ الطَّرْفَ فِيهِ مُجِداً، إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي بِصِدْقِ الْعَلَامَاتِ، أَنَّهُ شَيْخَنَا صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الصُّمْتِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ فَاْمَسَكْتُ حَتَّى تَحُلَّ مِنَ الْفَرْصِ، وَحَلَّ الْإِنْتِشَارُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ وَاجَهْتُ تَلْقَاءَهُ، وَابْتَدَرْتُ لِقَاءَهُ.

فَلَمَّا لِحَظَنِي خَفَّ فِي الْقِيَامِ، وَأَخْفَى فِي الْإِكْرَامِ؛ ثُمَّ اسْتَضَحَّبَنِي إِلَى دَارِهِ، وَأَوْدَعَنِي خَصَائِصَ أَسْرَارِهِ، وَجِئَنَ انْتَشَرَ جَنَاحُ الظَّلَامِ، وَحَانَ مِيقَاتُ الْأَنَامِ، أَخْضَرَ أَبَارِيقَ الْمُدَامِ، مَعْكُومَةً بِالْفِدَامِ فَقُلْتُ: اتَّخَسُّوْهَا أَمَامَ الثُّومِ؛ وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ! فَقَالَ: مَهْ؛ أَنَا بِالثَّهَارِ خُطِيبٌ، وَبِاللَّيْلِ أُطِيبُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي: أَعْجَبُ مِنْ تَسْلِيكِ عَنِّ أَنْاسِكَ، وَمَسَقَطِ رَاسِكَ، أَمْ مِنْ خُطَابَتِكَ مَعَ أَذْنَانِكَ وَمَذَارِ كَاسِكَ.

\*\*\*

نخبة: مختارة. سقط: لفظ رديء. استجلاء: نظر. أتوسمه: أنظر سيمته، أي علامته التي يعرف بها. جداً: كثيراً. مجداً: مجتهداً. وضح: تبيّن. ذو المقامات: صاحب المجالس. البَدْ: الفرار، قال الفراء رحمه الله تعالى: يقال: لا بُدَّ اليوم من قضاء حاجتي، أي لا فرار، ويقال: ليس لهذا الأمر بُدٌّ، أي لا محالة. الصمت: السكوت والإنصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعي رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٤١] أي لاستماع الخطبة.

وقال جماعة من المفسرين: إنه إنما نزلت الآية في السكوت لاستماع الخطبة.

(١) البيت في ديوان الأخطل ص ٢، والسكران موضع، والحرميل: نبت.

أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ فَقَدْ لَغُوتُ»<sup>(١)</sup>.

أبو هريرة وأبو سعيد، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، ثُمَّ رَجَعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِلَى أَنْ جَلَسَ الْإِمَامُ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَنْزِلَ، ثُمَّ صَلَّى الْجُمُعَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

تَحَلَّلَ مِنَ الْفَرَضِ: تَخَلَّصَ مِنَ الصَّلَاةِ. الْإِنْتِشَارُ: انْحِلَالُ الْجُمُوعِ مِنَ الصَّلَاةِ وَانْبِسَاطُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ. مِيقَاتُهُ: وَقْتُهُ. مَعْكُومَةٌ: مُشْدُودَةٌ، وَعَكِمْتَ الْبَعِيرَ شَدَدْتَ فَمَهُ، وَالْبُوعَاءُ: شَدَدْتَ رَأْسَهُ. الْفِدَامُ: خَرْقَةٌ يَشْدُ بِهَا فَمُ الْإِبْرِيْقِ لِيَصْنَعِيَ مَا فِيهِ. تَحْسُوهَا: تَشْرِبُهَا. وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ: تُوَيِّخُ لَهُ عَلَى قَبْحِ فَعْلِهِ مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي سَبَقَ لَهُ، وَالْعَيْبُ الْكَبِيرُ يَصْغُرُ فِي حَقِّ أَهْلِ الرَّيْبِ، كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَ يَعْظُمُ فِي حَقِّ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ، وَقَالَ الْمُتَنَبِّي فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ: [الطَّوِيل]

وما يُوجع الحرمان من كَفِّ حَازِمٍ      كما يوجع الحرمان من كَفِّ رَازِقٍ<sup>(٣)</sup>  
وقال المخزومي: [البسيط]

والعَيْبُ فِي الْجَاهِلِ الْمَغْمُورِ مَغْمُورٌ      وَعَيْبُ ذِي الشَّرَفِ الْمَذْكُورِ مَذْكُورٌ  
كفُوفَةُ الظَّفَرِ تَخْفَى مِنْ حَقَارَتِهَا      ومثلها في سواد العين مشهور  
وقال إبراهيم بن المهدي: [الكامل]

لولا الحياء وأنسي مشهورٌ      والعيب بالرجل الكبير كبيرٌ  
لحللتُ منزلة الذي يحتلّه      ولكن منزلتنا هو المهجور

مه: اسكت، ومعنى قوله: أنا بالنهار خطيب، وبالليل أطيّب، مما وقع في كتاب مفتاح السرور والأفراح، حكاية عن بعضهم أنه قال: رأيت قاصًّا يقصّ غداةً يوم، ثم رأيت بالعشيّ في حانة والقَدَحُ في يده، فقلت: ما هذا؟ فقال: أنا بالغداة قاصّ، وبالعشيّ عاص.

(١) أخرجه البخاري في الجمعة باب ٣٦، ومسلم في الجمعة حديث ١٢، وأبو داود في الصلاة باب ٢٢٩، والترمذي في الجمعة باب ١٦، والنسائي في الجمعة باب ٢٢، والعيدين باب ٢١، وابن ماجه في الإقامة باب ٨٦، ومالك في الجمعة حديث ٦، والدارمي في الصلاة باب ١٩٥، وأحمد في المسند ٢/٢٤٤، ٢٧٢، ٢٨٠، ٣٩٣، ٣٩٦، ٤٨٥، ٥١٨، ٥٣٢.

(٢) روي بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الجمعة باب ١٩، ومسلم في الجمعة حديث ٢٦، وأبو داود في الطهارة باب ١٢٧، والدارمي في الصلاة باب ١٩١، وأحمد في المسند ٣/٨١، ٥/٤٢٠.

(٣) البيت في ديوان المتنبي ٢/٣٤٢.



ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتاباً إلى الرشيد: إنه مستغل بالصيد وإدمان اللذات؛ فرمى به إلى يحيى وقال: يا أبت اكتب إليه بما يردعه، فكتب على ظهر الكتاب:

حفظك الله يا بني، وأمتع بك. فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وإدمان اللذات، فعاد ما هو أليق بك وأزين لك، فإنه من عاد إلى ما يزينه، وترك ما يشينه، لم يعرفه أهل دهره إلا به. وقد قلت أحياناً فالتزمها، وإن جاوزتها عزلتك عن سخط، ولم أكلمك حولاً، وكتب إليه: [السريع]

انصب نهاراً في طلاب العُلا	واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل أتى مقبلاً	واستترت فيه عيون الرقيب
فبائس الليل بما تشتهي	فإنما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً	قد لقي الليل بأمر عجيب
ألقي عليه الليل أثوابه	فبات في لهو وعيش خصب
ولذة الأحمق مشهورة	يرصدها كل حسود رقيب
فامثل ما فيها حتى عزل عنها.	

وقال الحلواني في ضده: [الكامل]

أنت الذي قسم الزمان لنفسه	قسمين بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة العلاء نهاره	منها وجنح الليل للمحارب

وقال الفنجديهي في قوله: أنا بالنهار خطيب وبالليل أطيّب، معناه أنا صالح المنظر، فاسد المخبر، أنظر في مرآة المراءات، وأسر مساواة المساءات، وأديم المناجاة جلوة، وأقيم المداجاة خلوة، أمر الناس بالرشاد، وأنا أتوسّد وسادة الفساد.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حِينَ يَرَاهُ النَّاسَ، ثُمَّ أَسَاءَهَا حِينَ يَخْلُو، فَتَلَكُ اسْتِهَانَةٌ يَسْتَهِينُ بِهَا رَبُّهُ».

قوله: تسليك عن أناسك، أي اشتغالك عن أهلك وبلدك، وهو مسقط رأسه، أي الموضع الذي سقط فيه رأسه عند ولادته. خطابتك: فصاحتك في خطبتك. إدناسك: عيبك وتلطّيح عرضك. مدار: دورانه في أيدي الشاربين.

\*\*\*

فأشاح بوجهه عني، وقال: اسمع مني: [المنسرح]

لَا تَبْكِ إِلْفًا نَأَى وَلَا دَارًا	وَدُزَمَعَ الدَّهْرُ كَيْفَ مَا دَارَا
وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا	وَمَثَلِ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا

واضْبِرْ عَلَى خُلُقِي مَنْ تُعَاشِرُهُ      وِدَارِهِ فَالْلَّبِيبُ مَنْ دَارَى  
وَلَا تُضِغْ فُزْصَةَ السُّرُورِ قَمَا      تَذِرِي: أَيُوماً تَعِيشُ أَمْ دَارَا  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمُنُونَ جَائِلَةٌ      وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى دَارَا  
وَأَقْسَمْتُ لَا تَزَالُ قَانِصَةٌ      مَا كَرَّ عَضْرُ الْمَخِيَا وَمَا دَارَا  
فَكَيْفَ تُرْجَى الثَّجَاءُ مِنْ شَرِّكَ      لَمْ يَنْجُ مِنْهُ كَسْرَى وَلَا دَارَا



أشاح: نحى معرضاً، وأشاح في الأمر: صمم عليه. إلغاً: صاحباً. نأى: بُعد، يقول له جواباً للومة: لا تبك صاحباً بُعد عنك، ولا منزلاً تغزيت عنه، وتقلب مع الدهر كما يتقلب مع أهله. وذُر، من الدوران سكتاً: أهلاً وإلغاً تسكن إليه. ومثل الأرض كلها داراً، أي بلداً، والدار البلد في قوله تعالى: ﴿فَاضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٧] ﴿وَتَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ [هود: ٦٥] داره: لايته وسائسه. اللبيب: العاقل دارى: أحسن مخالطة الناس، وأصلها الخداع، تقول العرب: دريت الصيد أدريه درياً، وداريته أداريه مداراةً، والدرية بعير يقعد عنده الصائد، يستتر به فيجيء الصيد فيأنس بالبعير، فيرميه من قرب. وكان الحسن يقول: المداراة تستحلب مودة القلوب فتخدعهم في عقولهم. وفي الحديث: «أحبُّ الناس تحبباً إلى الله أكثرهم تحبباً إلى الناس» وفيه: «إذا أحب الله عبداً حبه إلى الناس».

وقال ابن عبد ربه: [الكامل]

رجة عليه من الحياء مهابةً      ومحبةً تجري مع الأنفاس  
وإذا أحب الله يوماً عبده      ألقى عليه محبة للناس

كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى سعد بن أبي وقاص: إن الله، إذا أحب عبداً حبه إلى الناس، واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أنَّ مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك.

وقال بعضهم: أتيت الخليل فوجدته على طيفسة صغيرة، فوسّع لي، فكرهت أن أضيّق عليه فتأخرت، فأخذ بعضدي، وقدمني إلى نفسه، وقال: لا يضيّق سمّ الخياط بمتحابين ولا تسع الأرض متباغضين، أخذه ابن عبد ربه فقال: [البسيط]

صِلْ مَنْ هُوِيَ وَإِنْ أَبَدَى مَبَاغِضَةً      فَأَطِيبَ الْعِيشَ وَصَلْ بَيْنَ الْفَيْنِ  
واقطع حبال خدن لا تلائم      فقلّما تسع الدنيا بغيضين

ولأبي محمد بن أبي الوليد المالقي: [البسيط]

صَيَّرَ فَوادِكَ لِلْمَحْبُوبِ مَنْزِلَةً  
وَلَا تَسَامَحْ بِغِيضاً فِي مَعَاشِرَةِ  
وَلَابِنِ الزَّقَاقِ [الطَوِيلِ]

أَلَا أَدْنُ وَإِنْ ضَاقَ النَّدَى فَإِنَّهُ  
يَضِيقُ الْفُضَا عَنْ صَاحِبِينَ تَبَاغُضًا  
وَقَالَ التَّهَامِيُّ: [الْمَنْسَرَحِ]

بَيْنَ الْمَحْبِبِّينَ مَجْلِسٌ وَاسِعٌ  
وَالْبَيْتُ إِنْ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةِ  
فُرْصَةٍ: نَهْزَةٍ وَغَنِيْمَةٍ. دَاراً: دَهْراً وَقَالَ السَّرِيُّ: [الْبَسِيطِ].

قَمِ فَانْتَصِفْ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالتَّوْبِ  
وَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاشْرَبْ قَهْوَةَ مُرْجَتِ  
تَوُجِّ بِكَأْسِكَ قَبْلَ الْحَادِثَاتِ يَدِي  
جَائِلَةٌ: دَائِرَةٌ

### [كسرى]

كسرى، اسم ملك الفرس، وكسرى ملك الموت أنو شروان بن قُبَاذ بن فيروز بن  
يزْدَجَرْد بن بهرام، الملك العادل، ملك العرب والعجم، كان موصوفاً بالعدل، معروفاً  
بحسن الرعاية والفضل، وشهرته في كتب الآداب مغنية في ذكره عن الإطناب. قيل: كان  
مولد نبينا محمد ﷺ لاثنتين وأربعين سنة مَضَتْ من ملكه، وملك تسعاً وأربعين سنة.

وكسرى أبرويز بن هرمز أنو شروان، كان ملكاً شديد البطش، نافذ الرأي، قد بلغ  
من الظفر ومسالمة الدهر حداً لم يبلغه ملك من الملوك، كان ملكه ثماني وثلاثين سنة.  
وفي سنة ثلاثين من ملكه بُعِثَ نبينا محمد ﷺ.

وحَدَّثَ خَالِدُ بْنُ رِيوَةَ - وَكَانَ رَأْساً فِي الْمَجُوسِ، فَأَسْلَمَ - قَالَ: كَانَ كَسْرَى إِذَا  
رَكَبَ رَكَبَ مَعَهُ رَجُلَانِ، فَيَقُولَانِ لَهُ سَاعَتُنْذُ: أَنْتَ عَبْدٌ وَلَسْتَ بَرَبٌ، فَيُشِيرُ بِرَأْسِهِ أَنْ  
نَعَمْ، فَرَكَبَ يَوْمًا، فَقَالَا ذَلِكَ لَهُ فَلَمْ يُشْرْ بِرَأْسِهِ، فَشَكَّوْهُ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ، فَرَكَبَ  
لِيَعَانِيهِ. وَكَانَ كَسْرَى قَدْ نَامَ فَلَمَّا وَقَعَ صَوْتُ حَوَافِرِ الدَّوَابِّ فِي أُذُنِهِ اسْتَيْقِظَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ  
صَاحِبُ الشَّرْطَةِ، فَقَالَ: أَيْقِظْتُمُونِي، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّهُ رُقِيَ بِي فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، فَوَقَفْتُ  
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، عَلَيْهِ إِزَارٌ وَرَدَاءٌ، فَقَالَ لِي: سَلِّمْ مِفَاتِيحَ خَزَائِنِ  
الْأَرْضِ إِلَى هَذَا، أَلَسْتُ الْمَأْمُورَ بِكَذَا فَلَمْ تَفْعَلْ! وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا فَاسْتَرَدَّهَا مِنْهُ  
فَأَيْقِظْتُمُونِي. وَصَاحِبُ الْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ هُوَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَبَعَثَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِذَافَةَ بْنَ قَيْسٍ، وَكَتَبَ لَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ إِلَى كَسْرَى عَظِيمِ فَارَسٍ، سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلِنِی رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَأَسْلِمَ تَسْلَمَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِيَّامَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ شَقَّهَ، وَقَالَ: يَكْتُبُ إِلَيَّ بِهَذَا وَهُوَ عَبْدِي! فَبَلَغَ الْخَبِيرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَرْقَه مَرْقَ اللَّهُ مَلِكُهُ» أَوْ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَرْقَهُمْ كُلِّ مَرْقَ»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ كَتَبَ كَسْرَى إِلَى بَاذَانَ، وَهُوَ عَلَى الْيَمِينِ: أَنْ أُبْعَثَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ يَأْتِيَانِي بِهِ. فَبَعَثَ بَاذَانَ قَهْرْمَانَهُ - وَكَانَ كَاتِبًا حَاسِبًا، وَهُوَ بَابُومَةُ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْفُرسِ، وَكَتَبَ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُمَا إِلَى كَسْرَى، وَقَالَ لِبَابُومَةَ: وَيْلَكَ! انْظُرْ مَنْ الرَّجُلِ، وَكَلِّمَهُ، وَاتَّعْنِي بِخَبْرِهِ. فَخَرَجَا حَتَّى قَدَمَا الطَّائِفَ، فَسَأَلَا عَنْهُ فَقَالُوا: هُوَ بِالْمَدِينَةِ، وَاسْتَبَشَرَ أَهْلُ الطَّائِفِ، وَقَالُوا: نَصَبَ لَهُ كَسْرَى، كَفَيْتُمُ الرَّجُلَ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدَمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ بَابُومَةُ وَقَالَ: إِنَّ شَاهِنْشَاهَ مَلِكِ الْمُلُوكِ كَسْرَى كَتَبَ إِلَيَّ بَاذَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ، وَقَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لَتَنْطَلِقَ مَعِي، فَإِنْ فَعَلْتَ كَتَبْتُ فِيكَ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ بِكِتَابٍ يَنْفَعُكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ بِهِ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، وَهُوَ مُهْلِكُكَ وَمُهْلِكُ قَوْمِكَ، وَمُخْرَبُ بِلَادِكَ. فَقَالَ لَهُمَا: ارْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَدًا.

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَلَّطَ عَلَى كَسْرَى ابْنَهُ شِيرُوهَ، فَقَتَلَهُ فِي لَيْلَةٍ كَذَا فِي شَهْرٍ كَذَا، بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ كَذَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ابْنَهُ، فَقَتَلَهُ. فَقَالَا: هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّا قَدْ خَفْنَا مِنْكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا، أَفَتَكْتُبُ بِهِ عَنْكَ وَنَخْبِرُ الْمَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبِرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي وَقُولَا لَهُ: إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ مَلِكُ كَسْرَى، وَقُولَا لَهُ: إِنَّ أَسْلَمْتَ أُعْطَيْتُكَ النَّاسَ تَحْتَ يَدِكَ، وَمَلِكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الْأَبْنَاءِ. فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدَمَا عَلَى بَاذَانَ، فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ مَلِكٍ، وَإِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ نَبِيًّا، فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ حَقًّا، فَهُوَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَأَرَى فِيهِ رَأْيًا. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ كِتَابَ شِيرُوهَ، وَفِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ كَسْرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا غَضَبًا لِفَارَسٍ، مِمَّا كَانَ اسْتَحْلُ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ؛ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ قَبْلَكَ، وَانْظُرْ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي كَتَبَ لَكَ فِيهِ، فَلَا تَهْجِهْ حَتَّى يَأْتِيَنَّكَ أَمْرِي فِيهِ، فَقَالَ بَاذَانَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الْأَبْنَاءُ مِنْ فَارَسٍ.

(١) أخرجه البخاري في العلم باب ٧، والجهاد باب ١٠١، والمغازي باب ٨٢، والآحاد باب ٤،

وكسرى أنوشروان هو الذي بنى سورَ الأبواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته الملوك وكاتبته. وهو الذي افتتح كثيراً من بلاد الشام الرومية، ونقل منها الرخام إلى العراق. وقيل: إن النبي ﷺ ولد لاثنتين وعشرين سنة من ملكه، وقيل: إنه ولد في آخر ملكه كما قدّمنا.

ثم ولي من بعده ابنه هرمز، وكان مضعفاً، غزته الملوك وطمعت فيه، ثم خلعته الفرس، وسمّلت عينيه.

وعقد الملك لابنه أبرويز في حياته، فبعد حروب شديدة اجتمع لأبرويز أمره، وكان وزيره بُزرجمهر أكثر الفرس حكماً ومواعظ.

وفي ملكه كانت وقعة ذى قاربين بكر بن وائل، والهرمز صاحب أبرويز، لأربعين سنة لمولد النبي ﷺ. وقيل إنها كانت في غزوة بدر - وقال النبي ﷺ: «هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرت».

وكان على مربط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل، فخرج في أحد أعياده، وقد صفّت له الجيوش وأحدثت به مائة ألف فارس دون الرجالة، وُصِفَتْ له الفيلة، فلما بَصُرَتْ به سجدت له، فما رفعت رؤوسها حتى رفعت خراطيمها بالمحاجن، فأعلم بذلك وقال: وددت أنها فارسية، ولم تكن هندية، انظروا إلى أدبها من بين سائر الدواب. ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالإسلام، قال الألبيري: [الكامل]

فطفِ البلاد لكي ترى آثارَ مَنْ      قد كان يعمُرُها من الأقبالِ  
عصفت بهم رِيحُ الرّؤى فذرتهم      دَزَوَ الرياحُ الهُوجَ حقفَ رمالِ  
فتقطعت أسبابهم وتمزّقَتْ      ولطالما كانوا كنظّم لآلي

قيل لأبرويز - وكان حكيماً: ما شهوة ساعة؟ قال: الجماع، قيل: فما شهوة يوم؟ قال: دخول الحمام، قيل: فما شهوة جمعة؟ قال: غسل الثياب، قيل: فما شهوة شهر؟ قال: تجديد الثياب، قيل فما شهوة سنة؟ قال: تزوج الأبقار قيل: فما شهوة الأبد؟ قال: أمّا في الدنيا فمشاهدة الإخوان، وأمّا في الآخرة فنعيم الجنة.

ونظر إلى قذاة في طعام، فدعا الطباخ فقال: ما هذا؟ فقال: حاولته بالليل في وقت لم يكن فيه ماء معين، فأمر بضرب عنقه، فغضب الطباخ؛ وقال: يا بن الأشتوربان - تفسيره يا بن سائس الدواب - فعفا عنه، وقال: إنا معشر الملوك نعاقب في الصغير، ونعفو عن الكبير.

### [دارا بن بهمن]

وأما دار بن دارا بن بهمن، وهو آخر ملوك الفرس الأول، فإنه كان ضخم الملك، ذا قدرة ومكانة، وهو الذي بنى بأرض الجزيرة مدينة دارابجرد، وكانت جنده ستمائة

ألف، ولقبه الإسكندر بالجزيرة، فدارث بينهم الحروب أربعين يوماً، وخذق داراً على عسكره خمس خنادق، وجعل على كل خندق اثني عشر ألف رجل، وكانت النوبة لا تصيب الرجل إلا يوماً في كل خمسة أيام، فوجد الإسكندر من ذلك وجداً شديداً، فبعث إلى دارا: إنا كدنا نتفاني، ورأيت رأياً فيه البقاء لنا ولك، وذلك أن تفرج لي، فأخرق صفك خرقاً إلى جانب بلادك وأرجع إلى بلادتي، فإنا لا نرى الفرار من الزحف، وهو عار لا يغسل. فأجابه دارا: لا سبيل إلى ذلك. فلما رأى الإسكندر ذلك وضع البرنس، وحسر عن رأسه، وقال: يا معشر الروم، هذا هو العجز والذلّ عن الانتصار، هل فيكم من يحتال لي في هذا الأمر، وله نصف مال الروم والعجم، ونصف ما في بيوت الأموال؟ فقد أدركتني الحمية. فبلغ الخبر إلى صاحب حرس دارا فقال: أنا أفعل ذلك وأخذ ما لا عظيماً. فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة في ظهره، فوقع على الأرض وانهمز عسكر دارا. فجاء الإسكندر ووضع رأس دارا في حجره، ومسح التراب عن وجهه، وقبّله وبكى، وقال: الحمد لله الذي لم يجعل قتلك على يدي، ولا على يد أحد من جندي؛ فسل ما بدا لك، أقضه، فقال له دارا: من حاجتي عندك ألا تخرب بيوت النيران، وأن تصفني من قاتلي قبل موتي، فإنه إن بقي عندك سيكفر معروفك، كما كفر معروفني. فقال له الإسكندر: حاجتي عندك أن تزوجني بنتك روشنك، فقال دارا: على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها، فأجابه إلى ذلك وزوجه ابنته، وأخذ الإسكندر قاتله وقطعه أربع قطع، واستولى على جميع مملكته.

وملك دارا أربع عشرة سنة، وقيل: ست سنين، وقسم الإسكندر غنائم عسكره في ثلاثين يوماً. وشاور الإسكندر معلمه أرسطاطاليس في أن يقتل من بقي من الفرس، فقال له: لا تفعل، ولكن ولّ على كلّ جهة شريفاً من أهلها فيتنافسون، فلا يجمعهم ملك أبداً، ففعل فهم ملوك الطوائف، حتى انتزع اردشير منهم الملك، وقال: إن كلمة فرقنا خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة - يعني كلمة أرسطاطاليس - لكلمة بالغة.

وملوك الفرس الأول ستة عشر ملكاً، وملوك الفرس الثواني اثنان وثلاثون، منهم امرأتان. وملك بعد اردشير سابور، وهو من عظمائهم، ففتح الحصون ومدن المدن، وبنى الإيوان وهو بالجانب الشرقي من المدائن، وهو من عجائب البنيان، وعجائب الفرس كثيرة، وفي هذه النبذة غنية توافق ما شرطنا.



قَالَ: فَلَمَّا اغْتَوَرَّثَا الْكَوُوسَ، وَطَرِبَتِ الثُّفُوسُ، جَرَّعْنِي الْيَمِينَ الْعُمُوسَ، عَلَى أَنْ أَخْفَظَ عَلَيْهِ الثَّامُوسَ. فَاتَّبَعْتُ مَرَامَهُ، وَرَعَيْتُ ذِمَامَهُ، وَنَزَّلْتُهُ بَيْنَ الْمَلَاءِ مَنَزِلَةَ الْفَضِيلِ، وَسَدَّلْتُ الذَّلِيلَ عَلَى مَخَازِي اللَّيْلِ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَهُ وَدَابِي، إِلَى

أَنْ تَهَيَّأَ لِإِيَابِي . فَوَدَّعْتُهُ وَهُوَ مُصْرٌّ عَلَى التَّدْلِيسِ ، وَمُسِيرٌ حَسَوَ الْخَنْدَرِيسَ .

\*\*\*

قوله : اعتورتنا ، أي قصدتنا ودارت علينا .

الغَمُوسُ : الشديدة ، وهي في الجاهلية التي تغمس صاحبها في العار ، وفي الإسلام تغمس صاحبها في الأوزار ، والغمس ارتباط الشيء في ماء ، أو صبغ حتى اللقمة في الخل .

والغَمُوسُ قبل إنها اليمين التي يقطع بها الرجل حق غيره فيحلف كاذباً . الليث رحمه الله : هي اليمين التي لا استثناء فيها ، وفي الحديث : «اليمين الغموس تدع الديار بلاقع»<sup>(١)</sup> ، أي قفراً فارغة من كل رزق .

والناموس : إظهار فعل الخير ، وتنامس الرجل إذا ظهر بما لا يعتقد ، وأصل النمس الستر ، وكل شيء سترت به شيئاً فهو ناموس له ، وناموس الرجل صاحب سره ، ويقال : لصاحب سر الخير ناموس ولصاحب سر الشر جاسوس . قال أبو عبيدة : هما بمعنى .

غيره : الناموس : صاحب سر الملك ، وقد نمس ينمس نمسا ، ونامسته منامسة . مراهمه : مطلبه ومراده . رعيت ذمامه : حفظت حقه ، وما بيني وبينه مما يجب أن يراعى . الملاء : الجماعة .

### [الفضيل بن عياض]

الفضيل : هو ابن عياض التميمي ، كنيته أبو علي ، وهو ممن شهر بالزهد والخير ، وهو من رجال رسالة القشيري ، قال صاحبها أبو علي : خراساني من ناحية مَرُو ، ولد بسمرقند ، ومات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين .

وكان شاطراً يقطع الطريق ، وسبب توبته أنه عشق جارية فيبينما هو ذات يوم يرتقي الجدار إليها ، إذ سمع تالياً يتلو : «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» [الحديد : ١٦] ، فقال : يا رب قد آن ، فرجع فأوى إلى خربة ، فإذا فيها رفقة فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فضيلاً في الطريق فيقطع علينا ، فأمنهم وسار معهم حتى بلغوا ، وجاور الحرم .

قال الفضيل : إذا أحبَّ الله عبداً أكثر هممه ، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه .

وقال : الكامل المروءة من برِّ والديه ، وأصلح ماله ، وأنفق ماله وأنفق من فضله ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، ولزم بيته .

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية بلفظين : الأول : «اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع» النهاية في غريب الحديث ١٥٣/١ ، واللفظ الثاني : «اليمين الغموس تذر الديار بلاقع» النهاية ٣٨٦/٣ .

وقال: إذا رأيتُ الليل مقبلاً فرحت، وقلت: أخلو بربي، وإذا أبصرت الصبح استرجعت كراهة أن يجيء مَنْ يشغلني.

واطلع عليه بعض إخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعاً، فقال: يا هؤلاء، ليس هذا زمن حديث إنما هو زمن: احفظ لسانك، وعالج قلبك، واخف مكانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر.

وقال: لو أنَّ الدنيا بحذافيرها عُرِضت عليَّ لا أحاسب بها لكنك أتقذرها كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثيابه.

وقال: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك.

قال أبو عليّ سليمان الدارانيّ: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله تعالى إذا أحبَّ أمراً ابتلاه.

وقال: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري.

وأخباره كثيرة، وهذه اللعة دالة عليها.

قوله: سدت، أي أرخيت. مخازي: قبائح، وما يخزى عليها فاعلمها لو أطلع على فعله. دأبه ودأبي: عادته وعادتي. إيابي: رجوعي. مصر: مقيم. التدليس: تلبيس الأمر وكتمان العيب.

ويشبه عذل ابن همام السروجي في شرب الخمر ثم مساعدته إياه بعد لومه وشربه معه، قول ابن أبي ربيعة، وهو أحسن ما قيل في المساعدة: [الوافر]

وخلّ كنتُ عينَ النصّح منه	إذا نظرتُ ومستمعاً سميّاً <sup>(١)</sup>
أطاف بغيةٍ فنهيت عنها	وقلت له: أرى أمراً شنيعاً
أردت رشادَه جَهدي فلما	أبى وعصى أتيناها جميعاً

وقال أعرابي: [الطويل]

وكنت إذا علقت حبال قوم	صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم	وأجتنب الإساءة إن أساؤوا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي	مشيئتهم وأترك ما أشاء

(١) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٩٥.



## المقامة التاسعة والعشرون

### وهي الواسطية

حكى الحارث بن همام قال: ألجأني حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ، إلى أنْ أُنْتَجَعَ أَرْضَ  
وَاسِطٍ، فَقَصَدْتُهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ بِهَا سَكَنًا، وَلَا أَمْلِكُ فِيهَا مَسْكَنًا. وَلَمَّا حَلَلْتُهَا  
حُلُولَ الْحَوْبِ بِالْبِيدَاءِ، وَالشَّعْرَةَ الْبِيضَاءِ فِي اللَّيْمَةِ السُّودَاءِ، قَادَنِي الْحَطُّ النَّاقِصُ،  
وَالْجَدُّ النَّاقِصُ، إِلَى خَانٍ يَنْزِلُهُ شُدَّاذُ الْآفَاقِ، وَأَخْلَاطُ الرِّفَاقِ، وَهُوَ لِنِظَافَةِ مَكَانِهِ،  
وِظْرَافَةِ سُكَّانِهِ، يَرْغَبُ الْغَرِيبَ فِي إِيْطَانِهِ، وَيُنْثِيهِ هَوَى أَوْطَانِهِ فَاسْتَفْرَدْتُ مِنْهُ  
بِحَجَرَةٍ، وَلَمْ أَنْفَسْ فِي أُجْرَةٍ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَلِمَحٍ طَرْفٍ، أَوْ حَظٍّ حَرْفٍ؛ حَتَّى  
سَمِعْتُ جَارِي بَيْتٍ بَيْتٍ، يَقُولُ لِنَزِيلِهِ فِي الْبَيْتِ:

\*\*\*

الْجَانِي: اضْطَرْنِي. قَاسِطٌ: جَائِرٌ. أُنْتَجَعَ: أَقْصَدَ لَطَلَبِ الرِّزْقِ.

### [وَاسِط]

وَاسِطٌ: بَلَدٌ مَعْرُوفٌ بِنَاءِ الْحِجَااجِ وَسَطِ الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، مِنْهَا إِلَى  
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَمْسُونَ فَرَسَخًا، وَسُكْنُهُ، وَمَاتَ فِيهِ.

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ: وَاسِطٌ مَدِينَتَانِ عَلَى حَافَتِي دَجْلَةٍ، فَالْمَدِينَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي هِيَ: مَنَازِلُ  
الْدهَاقِينِ هِيَ الشَّرْقِيَّةُ مِنْ دَجْلَةٍ، وَهِيَ مَدِينَةُ كَسْكَرٍ وَابْنَتِي الْحِجَااجِ مَدِينَةُ فِي الْجَانِبِ  
الْغَرْبِيِّ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا جِسْرًا مِنَ السُّفَنِ، وَبَنَى بِهَا قَصْرَهُ وَالْقُبَةَ الْخَضْرَاءَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا  
خَضْرَاءُ وَاسِطٍ وَالْمَسْجِدَ الْجَامِعَ، وَعَلَيْهَا سُورٌ، وَنَزَلَتْهَا الْوَلَاةُ بَعْدَ الْحِجَااجِ. وَهِيَ بَيْنَ  
الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْأَهْوَازِ مَتَوَسِّطَةٌ، فَسُمِّيَتْ وَاسِطٌ بِذَلِكَ.

قَالَ الطَّبْرِيُّ خَرَجَ الْحِجَااجُ يَرْتَادُ مَنَزَلًا لِأَهْلِ الشَّامِ، فَأَمْعَنَ حَتَّى نَزَلَ أَطْرَافَ كَسْكَرٍ،  
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ هُوَ بِرَاهِبٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى أَتَانٍ لَهُ، فَعَبَّرَ دَجْلَةً، فَلَمَّا كَانَ بِمَوْضِعٍ  
وَاسِطٍ، تَفَاجَّتِ الْأَتَانُ فَبَالَتْ، فَنَزَلَ الرَّاهِبُ فَاحْتَفَرَ ذَلِكَ الْبَوْلَ وَحَمَلَهُ حَتَّى رَمَى بِهِ  
دَجْلَةً، وَذَلِكَ بَعَيْنُ الْحِجَااجِ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ: مَا حَمَلْتُكَ عَلَى مَا صَنَعْتُ؟  
فَقَالَ: إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّهُ يُبْنَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ مَا دَامَ أَحَدٌ فِي

الأرض يوخده، فاختط الحجاج مدينة واسط، وبنى المسجد في ذلك الموضع، وذلك سنة ثلاث وثمانين.



قوله. سكناء، أي صاحباً يُسكن إليه ويُؤنس به، والمسكن: المنزل الذي يُسكن فيه. الببداء: الصحراء، أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالحوت في الصحراء. واللمة: الجمعة من الشعر تليَم بالمنكب. قادني: ساقني. الحظ: النصيب. والجُد: السعد. الناكص: الراجع إلى خلفه، يريد أنّ سعده يمضي إلى جهة خُلف، ونكص ينكص: رجع القهقري. خان: فندق. والشذاذ: الغُرباء الذين شذّوا عن أوطانهم، أي فروا منها وبعدوا، والشذاذ التفرق، وكلمة شاذة: مفترقة من جنسها، وشذّ الرجل: انفرد عن أصحابه. والآفاق: النواحي. أخلاط الرفاق: من لا يتخصص منهم ولا يتعين. إبطانه: سكنائه. هوى أوطانه: حب بلاده. استفردت: سكنتها منفرداً. والحجرة: البيت، أنافس: أغال، من قولهم: نفستُ عليه بالشيء، إذا ضننتُ به، ولم تحب أن يصير إليه. لمح الطرف: نظر العين. بيت بيت، أي بيته ملاصق بيتي، وهما اسمان جعلتا كاسم واحد، وبنيا على الفتح. نزيله: النازل معه.



قَم يَا بُنَيَّ، لَا قَعَدَ جَدُّكَ، وَلَا قَامَ ضِدُّكَ، وَاسْتَضَجِبَ ذَا الْوَجْهِ الْبَدْرِيَّ، وَاللُّوْنِ الدَّرَزِيَّ، وَالْأَضْلَ النَّقِيَّ، وَالْجِسْمَ الشَّقِيَّ، الَّذِي قُبِضَ وَشُرَّ، وَسُجِنَ وَشَهَرَ، وَسُقِيَ وَفُطِمَ، وَأُذْخِلَ النَّارَ بَعْدَ مَا لَطِمَ ثُمَّ ارْكَضْ إِلَى السُّوقِ، رَكَضَ الْمَشُوقِ، فَقَايِضْ بِهِ اللَّاقِحَ الْمُلْقِحَ، الْمُفْسَدَ الْمُضْلِحَ، الْمُكْمِدَ الْمُفْرَحَ، الْمُعْنَى الْمُرُوحَ، ذَا الزَّفِيرِ الْمُخْرِقِ، وَالْجَنِينِ الْمُشْرِقِ، وَاللَّفْظِ الْمُقْنَعِ، وَالتُّبْلِ الْمُمْتِنِ، الَّذِي إِذَا طُرِقَ، رَعَدَ وَبَرِقَ، وَبَاخَ بِالْحَرَقِ، وَنَفَثَ فِي الْخَرَقِ.



جَدُّكَ: سعدك. ضِدُّكَ: عدوك المخالف لك. البدرِيّ: الأبيض المستدير كالبدر، يريد الرغبة، شبهه بالبدر في بياضه واستدارته. وقال ابن الرومي: مررتُ بخباز يسطر الرقاق كأسرع من رجوع الطرف، ما بين أن ترى العجين في يده كالكرة حتى يندجي فيصير كالقمر، إلا مقدار لحظة، فشبهت سرعة انبساطها، بسرعة الدائرة في الماء يقذف فيه بالحجر فقلت: [البسيط].

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به      يدحو الرقاق كوشك الملح بالبصر  
ما بين رؤيتها في كفّه كرة      وبين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تندأح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

\*\*\*

### [الغلمان وما قيل فيهم شعراً]

ويتعلق بهذا ما قيل من الشعر فيمن ليس له نباهة من الغلمان: كان ابن وضاح جالساً مع جملة من الأدباء، فمرّ بهم غلام نظيف يبيع الخبز، فلم يتجه لأحدٍ فيه شيء إلا ابنٌ وضاح، فإنه قال: [المجث]

خابز الخبز ظريف	عذبت فيه الحثوف
خامل الأنساب لكن	هو في الحسن شريف
خضره أهيف شخت	وكذا الغزلان هيف
من يخاصم مقلتيه	حُكمت فيه السيوف

ونظر إدريس بن اليماني إلى غلام وسيم بالحمام عليه أسمال، فقال: [الطويل]

توشح بالظلماء وهو صباح	وأمرض بالأجفان وهي صحاح
وظل فؤادي طائراً عن جوانحي	وليس له إلا الغرام جناح
قضيب صباح في وشاح دُجئة	ألا ليتني تحت الوشاح وشاح
ولا عجب أن أفسدني جفونه	فكل فساد في هواه صلاح

وقال الرّصافي: [الطويل]

يقولون لي يوماً وقد مرّ ضارباً	بمعولٍ ضرب المرجم بالنعيب
تعلم صفاراً فقلت: استعارها	غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الأحمر الثبر عسجداً	بكفيه عند السبك والمد والضرب
فحمرته مشتقة من خيائه	وصفرته مما يخاف من العتب

قوله الدرّي: الأبيض الذي يشبه الدرّ في لونه، ويقال: كوكب درّي منسوب إلى الدرّ، مشبهاً به لصفاته وحسنه، بضم الدال وتشديد الياء، ودرّي بالضم والهمز، ودرّي بكسر الدال مع الياء ومع الهمزة، ودرّي بالفتح والهمز، فمن كسر وهمز فهو فعيل، من درأ الكوكب، إذا جرى في أفق السماء، ومن كسر بلا همز فلأجل الياء بعد الراء، ومن ضم وهمز فخطأه الغراء، قال: فعيل ليس في أبنية العرب، وأثبتته سيبويه. قال أبو عبيدة: أصله دروى مثل سبوح، فجعلوا الواو ياء، وجعلوا الضمة قبلها كسرة، ومثله عتر وعتي.

قوله: الأصل النقي، يعني القمح الذي صنع منه كان نقياً من الزبل وغيره. وشقاء جسمه، قد فسر في التاسعة عشر، وهو الآن يبين بعض شقائه، فقبض ونشر. وقت العجن،

أو وقت الخبز، لأنه يقطع قبضة ثم يُنْسَط للخبز. سجن: حُزن قمحه في المخازن. وشهر: أبرز منها للسوق وشهر على الناس، أو يكون سجنه الفُزْن، وشهرته البيع في السوق، أو عندما يُطاف به على الأسواق: وقال المعريّ يلغز في القمح: [الطويل]

وسمراء في بيض الحسان شريتها      بضفر من العين الشبيهة بالشمس  
وقد غُيبت في الجذر عصراً مصونة      محجبة عن أعين الجن والإنس  
فلما بدت عنه بدت سيمه الثوى      عليها ولم تجزع لحادثة الأمس  
فأهلاً بأنشى لم ترد يد لامس      بسوء ولا أبدت نفاراً من التمس

سقي: جعل الماء عليه للعجين. فطم: قطع عنه الماء. لطم: سوي بالكف، وعامتنا تشدد الطاء. اركض: اسرع. المشوق: الكثير الشوق، وشاقل الشيء يشوقك، إذا هاجك. قايض: عاوض، وقايض الرجل فعلت معه ما يفعل معك. اللأقح في الأصل: الناقه يعلموها الفحل، فتحمل منه ولقحت: حملت، والملقح: الفحل يعلموها عند السفاد، وقد بين أنه يريد حجر الزند، جعل لاقحاً لأنه حامل بالنار، وملقحاً لأن به تخرج النار من الزند، فكانه ألقحه بالنار، أي جعلها فيه. والزند أيضاً لاقح ملقح، لأن النار لا توجد في واحد منهما على انفراده، والنار تصلح في موضع وتفسد في آخر؛ فلذلك وصفه بهما. والمعنى: المتعب بإحراقه. المروح: المدخل الراحة بإصلاحه، وإن جعله للزند، فمعناه إذا شخ، وروح إذا أورى، ونحوه. المكيد، أي المحزن. المفرح: ضده. والزفير: التنفس، وزفرة الحجر هي النار، وهي تحرق كل ما تعلق به، وهو الجنين، أي المستور في الحجر، فإذا ظهر أشرق وأضاء. واللفظ: صوت الحجر في الزند، فإذا أبدى النار أقنعت واکتفيت به. وهو نيله، أي عطاؤه. والمميع: الكثير وقليل النار كثير، وقد قال الأعرابي: إن السقط يحرق الدوحة، أراد ما يسقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر الكثير الملتف. طرق: ضرب. رعد: صوت. برق: لمعت ناره. باح: أظهر ما يسر فيه. الحرق: التهاب القلب بالهم، فكنى به عما في الحجر من النار. نفث: بزق. الجرق: التي تسقط فيها نار الزند؛ وهذه ألفاظ كلها متقاربة، بعضها يفسر بعضاً، لأنها من مليح الكلام.

\*\*\*

قال: فلما قرئت شقيقة الهادر، ولم يبق إلا صدر الصادر، برز فتى يمس، وما معه أنيس، فرأيتهما عضلة تلعب بالعقول، وتغري بالدخول في الفضول، فانطلقت في أثر الغلام، لأخبر قحوى الكلام، فلم يزل يسعى سعياً العفاريث، وينفق نضائده الحوانيت، حتى انتهت عند الرواح، إلى حجارة القداح. فتناول بائعها رغيفاً، وتناول منه حجراً لطيفاً. فعجبت من فطانة المرسل والمرسل، وعلمت أنها

سُرُوجِيَّة وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ، وَمَا كَذَّبْتُ أَنْ بَادَرْتُ إِلَى الْخَانِ؛ مُنْطَلِقَ الْعِنانِ؛ لِأَنْظُرَ كُنْهَ فَهْمِي، وَهَلْ قَرُطَسَ فِي التَّكْهَنِ سَهْمِي؛ فَإِذَا أَنَا فِي الْفِرَاسَةِ قَارِسٍ، وَأَبُو زَيْدٍ بِوَصِيدِ الْخَانِ جَالِسٍ. فَتَهَادَيْتَا بُشْرَى الْإِلْتِقَاءِ، وَتَقَارَضْنَا تَحِيَّةَ الْأَصْدِقَاءِ.



فَرَزْتُ: سَكَنْتُ. الْهَادِرُ: الْفَحْلُ. وَشَقِشَقْتُهُ: مَا يَخْرُجُ مِنْ لَهَاتِهِ. وَتَقَدَّمْتُ فِي الْأَوَّلَى، وَيَزَعْمُونَ أَنَّهَا لَا تَوْجَدُ عِنْدَ نَحْرِ الْفَحْلِ، وَكَذَلِكَ بِيضُهُ لَا يَوْجَدُ، قَالَ: وَأَنْشَدَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ: [السريع]

خَصِيَّتُهُ تَطْلُ مِنْ حَظْمِهِ      عِنْدَ حَدُوثِ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ  
مَا إِنْ يَرَى الرَّاؤُونَ مِنْ بَعْدِهَا      شِقْشِقَةً مَائِلَةَ الْهَنْدِرِ

وَأَرَادَ بِهِ: سَكَتَ الْمُتَكَلِّمُ. صَدَرَ الْصَادِرُ: خُرُوجُ الْخَارِجِ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ شُرْبِهِ. بَرَزَ: خَرَجَ. يَمِيسُ: يَتَبَخَّرُ وَيَتَشَنَّى. عَضْلَةٌ: دَاهِيَةٌ وَأَمْرٌ صَعِبٌ. تُغْرِي: تَحَرَّضُ وَتَلْصُقُ. فَحْوَى: مَعْنَى. يَسْعَى: يَجْرِي. الْعَفَارِيتُ: شَرُّ الشَّيَاطِينِ وَأَذْهَابُهَا. نَضَائِدُ: مَا جَعَلَ شَيْئاً عَلَى شَيْءٍ. الرُّوَّاحُ: الْعَشِيِّ. الْقَدَّاحُ: حَجَرُ الزُّنْدِ تَقْدَحُ النَّارَ مِنْهُ. نَاولُ: أَعْطَى. لَطِيفاً: دَقِيقاً. فَطَانَةٌ: ذَكَاءٌ. وَمَا كَذَّبْتُ، أَيُّ مَا خَيَّيْتُ. مُنْطَلِقُ الْعِنانِ: مَسِيَّبٌ حَيْثُ شَاءَ. كُنْهَ: حَقِيقَةُ. قَرُطَسَ: أَصَابَ الْغَرَضَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَالْقَرُطَاسُ يُجْعَلُ غَرَضاً، فَإِذَا تَوَالَى ضَرْبُهُ قِيلَ: قَرُطَسَ. وَالتَّكْهَنُ: الْحَدِيثُ بِمَا يَكُونُ. وَالْفِرَاسَةُ: النَّظَرُ بِالظَّنِّ. وَصِيدُ الْخَانِ: فَنَاءُ الْفَنْدَقِ، وَقِيلَ بَابِهِ، مِنْ أَوْصَدْتَ الْبَابَ، أَغْلَقْتَهُ، وَقِيلَ: عَتَبَةٌ بَابِهِ. تَهَادَيْنَا: أَهْدَيْتُهُ وَأَهْدَانِي. الْبُشْرَى: السُّرُورُ، أَيُّ فَرَحٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ. فَتَهَادَيْنَا الْبُشْرَى: تَقَارَضْنَا: انْدَفَعْنَا بِالسَّلَامِ، يَرِيدُ حَالَةَ الصَّدِيقَيْنِ إِذَا تَقَيَّا بَعْدَ سَفَرٍ، فَيُبَالِغُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي سَلَامِ صَاحِبِهِ وَيَتَابَعُهُ. وَالتَّحِيَّةُ: السَّلَامُ، وَمِنْهُ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا﴾ [النساء: ٨٦]، أَيُّ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: التَّحِيَّةُ: الْمُتْلُكُ، وَكَانَ الْمَلِكُ يُحَيَّا بِأَنْعَمٍ صَبَاحاً، وَأَبَيْتُ اللَّعْنِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْبَقَاءُ لِلَّهِ، وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ جَنَابٍ: [الكامل]

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَّثَهُ      إِلَّا التَّحِيَّةَ مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ  
أَيُّ الْبَقَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا الَّذِي نَابَكَ، حَتَّى زَايَلْتَ جَنَابَكَ؟ فَقُلْتُ: دَهْرٌ هَاضٌ، وَجَوْرٌ فَاضٌ. فَقَالَ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ الْغَمَامِ، وَأَخْرَجَ الثَّمَرَ مِنَ الْأَكْمَامِ؛ لَقَدْ فَسَدَ الزَّمَانُ، وَعَمَّ الْعُدْوَانُ، وَعُدِمَ الْمَغْوَانُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ؛ فَكَيْفَ أَفَلْتُ، وَعَلَى أَيِّ وَضْفِيكَ أَجْفَلْتُ! فَقُلْتُ: اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ قَمِيصاً، وَأَدْلَجْتُ فِيهِ خَمِيصاً. فَاطْرُقَ

ينكتُ في الأرض، ويفكر في ارتياد القرض والفرض. ثم اهتز هزة من أكثبه  
فَنَصَّ، أو بَدَثَ لَهُ فُرْصَ، وقال: قَدْ عَلِقَ بقلبي أن تُصَاهِرَ مَنْ يَأْسُو جِرَاحَكَ،  
وَيَرِيْشُ جناحَكَ، فقلت: وكيف أجمع بينَ غُلِّ وَقُلِّ، وَمَنِ الَّذِي يَزْعَبُ في ضَلِّ  
ابنِ ضَلِّ! فقال: أنا المشيرُ بِكَ وإليك، والوكيلُ لَكَ وَعَلَيْكَ، مع أن دين القوم  
جبرُ الكسير، وفكُّ الأسير، واحترام العشير، واستنصاح المُشير؛ إلا أنهم لو  
خَطَبَ إليهم إبراهيمُ بن أدهم، أو جبلةُ بن الأيهم؛ لَمَا زَوْجوه إِلَّا على خمسمائة  
دِزْهم، اقتداءً بِمَا مَهَرَ الرسول ﷺ زوجاته، وعَقَدَ بِهِ أَنْكحَةَ بناته؛ على أَنَّكَ لَنْ  
تُطَالَبَ بِصَدَاقٍ، ولا تُلْجَأَ إلى طلاقٍ. ثم لَئِي سَأُخْطَبُ في موقفٍ عَقْدِكَ، ومجمع  
حَشْدِكَ، خطبةً لَمْ تَفْتَقِ رَتَقَ سَمْعٍ، ولا خُطِبَ بِمثلها في جَمْعٍ.

\* \* \*

نابك: نزل بك. جنابك: بلدك وناحتك، والجناب: فناء الدار. هاض: كسر.  
فاض: كثر. الغمام: السحاب. والثمر: الثمار. وأكامها: ما يكون فيها ثمرها، وكل ما  
وارى شيئاً فهو كمام له وكَمَّ. عم: شمل. العدوان: الفساد. المعوان: ما يستعان به.  
وقال الشاعر: [الكامل]

لله دَرَّ أَبْيَكُ أَيَّ زَمَانٍ      أصبحت فيه وأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ  
كُلُّ يَدَانِيكَ المَحْبَةِ جَاهِلًا      يعطي ويأخُذُ مِنْكَ بِالمِيزَانِ  
فإذا رَأَى رُجْحَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ      مالت مودَّتُهُ مع الرجحَانِ  
وقال ابن لُئِكَ: [المنسرح]

نحنُ مع الدهر في أعاجيبٍ      فنسأل الله صَبْرَ أَيُّوبِ  
أفقرتِ الأرضُ من محاسنها      فابكِ عليها بكاءً يعقوبِ

وَصَفَيْنِكَ: حَالِكَ من الخير والشرِّ، وهي حالة السفر. أجفَلْتُ: هربت مسرعاً،  
والإجفال: الهروب، ثم قال: مشيت في ظلام الليل، فصار لي كالقميص. اذلجت:  
مشيت في السحر. خميصاً: جائعاً. أطرق: أمال رأسه ساكناً. ينكت: يخط في الأرض.  
ارتباد: طلب. الفرض من العطية؛ ما فرضت على نفسك عطاءه، على ألا تجازي عليه.  
والقرض: ما أعطي من غير فرض.

قال الحريري: القرض بالقاف: ما يستعاد عوضه، والفرض بالفاء: ما لا عوض  
فيه، وأنشد في الدرة لأبي عبد الله التمرمي يرثي أبا عبد الله الأزدي: [الوافر]

مضى الأزدي والثُمري يمضي      وبعض السُّكُلِ مقرون ببعض

أخي والمجتنبي ثمرات وذئ  
وكانت بيننا أبداً هنات  
وما هانت رجال الأزد بعدي  
وإن لم يجزني قرضي وبرضي  
توقر عرضة فيها وعرضي  
وإن لم تدن أرضهم من ارضي  
الهتات: كناية عن المنكرات، فأراد أنه أمال رأسه إلى الأرض مفكراً، وجعل يخط  
فيها بيده أو بعود، وهو فعل المهموم الكثير الفكر، كما قال امرؤ القيس: [الطويل]

ظَلَنْتُ ردائي فوق رأسي قاعداً      أعد الحصى ما تنقضي عبراتي<sup>(١)</sup>

فلم يرد أنه يعدّها ليعلم كم فيها، وحاله من البكاء والحيرة تنفي الثبات على  
العدد، وإنما أراد أنه كان يعبت فيها بيده اشتغلاً، وفي قلبه من الهم ما غلب على  
الصبر، وقد بالغ ذو الرمة في بيان هذا المعنى بقوله: [الطويل]

عشية ما لي همّة غير أنني      بلقط الحصى والخط في الدار مولع<sup>(٢)</sup>  
أخط وأمحو تارةً وأعيدّه      بكفي والغربان في الدار وقع  
وقال ابن جعيل في ذلك: [الكامل]

لا ينكثون الأرض عند سؤالهم      لتطلب العلات بالعيدان  
بل يبسطون وجوههم فتري لهم      عند السؤال كأحسن الألوان  
وقال الشريف الرضي فأحسن: [الكامل]

تفري أنامله التراب تعللاً      وأنا ملي في سني المقرور<sup>(٣)</sup>

قوله: أكثبه، أي دنا منه. قنص: صيد. فرص: جمع فرصة، وهي كالغنيمة.  
ياسو: يطب. يريش: يجعل عليه الريش. الغل: الزوجة هنا.

وقالت عائشة رضي الله عنها: إنما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلاً يجعل في عنقه.  
وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق: غُلّ قمل.

وعوتب الكسائي في ترك التزوّج فقال: وجدت معانة العفة أيسر من معانة العيال.  
الغل: القلة وضلّ ابن ضلّ: مجهول لا يعرف، وفلان ضلّ إذا كان مجهولاً متمكناً  
في الضلال. المشير بك وإليك، يقال: أشار به إذا رفعه وأشار النار وأشار بها وتشوّرها،  
أي رفعها، فمعنى أنا المشير بك، أي أرفع قدرك، وأعظم منزلتك، أي أثني عليك بخير

(١) البيت في ديوان امرؤ القيس ص ٧٨، والمخصص ٢٠٧/١٣.

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٧٢٠، ٧٢١، ولسان العرب (خطط)، والمخصص ٢٦/١٣، ٢٠٧،  
وتهذيب اللغة ٥٥٧/٦، وتاج العروس (خطط).

(٣) البيت في ديوان الشريف الرضي ٤٩٧/١.

في غيبتك عند إصهارك، والمشير إليك إذا حضرت، أشرت إليك أن تتزوج فيهم إذا رأيتهم أكفاءك.

والوكيل لك عليهم حتى يزوجوك، والوكيل عليك، لتمثل ما أمرك به من الزواج فيهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. قيل فيه: الكافي هو، قال الفراء: يكون المعنى: كافينا الله ونعم الكافي، كقولك: رازقنا الله ونعم الرازق. ابن الأنباري وهو أحسن في اللفظ من قولك: كافينا الله ونعم الوكيل. دينهم: عاداتهم. جبر: إصلاح. فك: حل. احترام: إعزاز وتقريب، وهو افتعال من الحرمة، أي يجعلونه في حرمتهم، العشير: الصاحب. استنصاح المشير، أي من أشار عليهم بشيء رآه ناصحاً.

### [إبراهيم بن أدهم]

إبراهيم بن أدهم، هو من شيوخ الصوفية، وهو من رجال رسالة القشيري، قال صاحبها: فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن إسحاق البلخي من كورة بلخ، من أبناء الملوك.

وحدث إبراهيم بن بشار، قال: صحبت إبراهيم بن أدهم بن منصور بن إسحاق البلخي بالشام، فقالت له: يا أبا إسحاق، خبرني عن بدء أمرك كيف كان؟ فقال: كان أبي من ملوك خراسان، وكنت شاباً، فركبت يوماً على دابة ومعني كلب، وخرجت إلى الصيد فأثرت ثعلباً، فبينما أنا في طلبه، إذ هتف بي هاتف: ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ ففزعت ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بي من قَرَبوس السرج: لا والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. قال: فنزلت وصادفت راعياً لأبي، فأخذت منه جبة من صوف، فلبستها وأعطيته الفرس، وما كان معي. ثم دخلت البادية متوجهاً إلى مكة، فبينما أنا يوماً في مسيري إذا برجل يسير، وليس معه إناء ولا زاد، فلما أمسى وصلى المغرب حرّك شفتيه بكلام لا أفهمه، وإذا أنا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب، فأكلت وشربت، وكنت على ذلك معه أياماً، وعلمني اسم الله الأعظم، ثم غاب عني، وبقيت وحدي أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة، دعوت الله فإذا أنا بشخص أخذ بحجرتي، فقال لي: سلْ تُعط، فراعني صوته، فقال: لا روعة عليك ولا بأس، أنا أخوك الخضر إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شحنة فتهلكه، ولكن ادع الله به أن يقوي ضعفك، ويؤنس وحشتك، وتجدد به في كل يوم نيتك ورغبتك، ثم تركني وانصرف.

وصحبه سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها. وكان يأكل من عمل يده، مثل الحصاد وحفظ البساتين.

وكان كبير الشأن في الودع، وقال: أطب مطعمك ولا عليك، ألا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار.



وكان عامة دعائه: اللهم انقلني من ذلّ معصيتك إلى عز طاعتك.

وقال لرجل في الطّواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ستّ عقبات، وهي أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، وتغلق باب العزّ وتفتح باب الذلّ، وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر، وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، وتغلق باب الأمن وتفتح باب الاستعداد للموت.

وقال محمد بن المبارك الصوري: كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان، فصلّينا ركعات، فسمعت صوتاً من أصل الرمان: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً، فطأطأ رأسه فقال ذلك ثلاث مرات، ثم قال: يا محمد، كن شفيعاً إليّ ليتناول منا شيئاً، فقلت: يا أبا إسحاق، لقد سمعت، فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة وناولني الأخرى، فأكلتها وهي حامضة، وكانت قصيرة، فلما رجعنا مررنا بها وهي شجرة عالية ورمانها حلو، وهي تثمر في كلّ عام مرتين، وسمّوها رمانة العابدين.

وركب إبراهيم في مركب، فهاجت ريح شديدة، فلفّ إبراهيم رأسه بعباءة وطرح نفسه مع الناس، فسمعوا صوتاً من البحر يقول: لا تخافوا ففيكم إبراهيم بن أدهم، وصاح الناس في المركب: أين إبراهيم بن أدهم؟ ثم سكنت الرياح، فخرج وما عرفوه.

قال له رجل: من أين كسبك؟ فقال: [الطويل]

نرّق دنيانا بتمزيق ديننا      فلا ديننا يبقّى، ولا ما نرّق  
وأخباره في كتب التصوّف كثيرة تطول

### [جيلة بن الأيهم]

وأما جيلة بن الأيهم بن جيلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن جفنة، وفي نسبه اختلاف.

وهو آخر ملوك غسان، وكان طوله اثني عشر شبراً، فإذا ركب مسح الأرض بقدميه.

ولما أراد أن يُسيم كتب إلى عمر ليستأذنه في القدوم عليه، فسّر بذلك وكتب إليه: أن أقدم، فلك ما لنا عليك ما علينا، فخرج في مائة فارس من عكّ وجفنة، فلما دنا إلى المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوجة بالذهب الأحمر والحرير الأصفر، وجلل الخيل بجلال الديباج، وطوّقها أطواق الذهب والفضة، ولبس تاجه وفيه قُرْطاً مارية، فلم يبق في المدينة إلا من خرج إليه، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه.

ثم حضر الموسم مع عمر، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من فزارة فحلّه، فالتفت إليه جيلة مغضباً، فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزاريّ عمر،

فقال: ما دعاك إلى أن لطمت أذاك؟ فقال: إنه وطىء إزارى، ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه، فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت، فإما أن تُرضيه وإما أن أقيده منك، قال: أنقيده منى، وهو رجل سوقة! قال: قد شملك وإياه الإسلام، فما تفضله إلا بالعافية، قال: قد رجوت أن أكون في الإسلام أعز منى في الجاهلية، فقال: هو ذاك، قال: إذا أنتصر. قال: إن تنصرت ضربت عنقك. واجتمع وفد فزاره ووفد جبلة، وكادت تكون فتنة، فقال جبلة: أنظرنى إلى غد يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك.

فلما كان في جُنح الليل خرج في أصحابه إلى القسطنطينية فتنصّر، وأعظم هرقلُ قدومه وسرّه وأقطع له الأموال والرباع، فلما بعث عمر رضي الله عنه رسوله إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فأجابه إلى المصالحة، ثم قال للرسول: رأيت ابن عمك الذي أتانا راغباً في ديننا؟ يعني جبلة، قال: لا. قال: ألقيه ثم اتنني وخذ الجواب. فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والبهجة مثل ما على باب قيصر.

قال: فتلطفت في الأذن حتى دخلت عليه: فرأيت رجلاً أصهب اللحية فأنكرته، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرهما على لحيته، حتى عاد أصهب، وهو قاعد على سرير من قوارير. فلما عرفني رفعني معه على السرير، وجعل يسألني عن المسلمين، فقلت: قد أضعفوا أضعافاً على ما تعرف، وسأل عن عمر رضي الله عنه، فقلت: بخير حال، فاعنم بسلامة عمر، فأنحدرت عن السرير فقال: لِمَ تأبى الكرامة؟ فقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا، قال: نعم ﷺ، ولكن نق قلبك من الذنس ولا تبالِ علام قعدت، فطمعت فيه عند صلاته على النبي ﷺ فقلت: ويحك يا جبلة ألا تُسلم! وقد عرفت الإسلام وفضله؟ قال: أبعد ما كان منى! قلت: نعم، قد فعل رجل من فزاره أكثر مما فعلت، ارتدّ وضرب أوجه المسلمين بالسيف ثم أسلم، وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلماً.

قال: زدني من هذا، إن كنت تضمن لي أن يزوّجني عمر ابنته ويوليّني الأمر من بعده، رجعت إلى الإسلام. فضمنت له التزويج، ولم أضمن الخلافة. فأوماً إلى وصيف بين يديه، فذهب مسرعاً فإذا موائد الذهب قد نُصبت بصحائف الفضة، فقال لي: كُلْ، فقبضت يدي، وقلت: إن رسول الله ﷺ نهى عن الأكل في آتية الذهب والفضة، فقال: نعم ﷺ، ولكن نق قلبك، وكلّ فيما أحببت. فأكل في الذهب والفضة، وأكلت في الخُلنج. ثم جيء بطشت من الذهب، فغسل يديه فيها، وغسلت في الصُفر. ثم أوماً إلى خادم عن يمينه، فذهب مسرعاً، فسمعت حساً، فإذا خدم معهم كراسي مرصعة بالجواهر، فوُضِع عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره. وإذا عشر جوار في الشعور، عليهن ثياب الوشي، مكسرات في الحُلِي، فقعدن عن يمينه، وقعد مثلهن عن يساره، وإذا بجارية قد خرجت كالشمس حسناً، وعلى رأسها تاج عليه

طائر، وفي يدها اليمنى جَام، وفيه مسك وعنبر فقتيت، وفي يدها اليسرى جام فيه الورد، فصفرت للطائر، فوقع في جام ماء الورد، فاضطرب فيه، ثم وقع في جام المسك، فتمزغ فيه، ثم طار فوقع على صليب في تاج جبلة، فرفرف حتى نفض إما في ريشه عليه، وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال للجواربي اللاتي عن يمينه: بالله أَضْحَكُنَّا فاندفعن يغنين، تخفق عيدانهن يقلن: [الكامل]

لله دَرَّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ      يوماً بِحَلَقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ<sup>(١)</sup>  
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ      بَرْدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ  
أَوْلَادَ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ  
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْزُ كِلَابُهُمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ  
بِيضُ الْوُجُوهِ نَقِيَّةٌ أَحْسَابُهُمْ      شَمَّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَنْ قَائِلُ هَذَا؟ قلت: لا، قال: حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ:

ثُمَّ قَالَ لِلَّاتِي عَنْ يَسَارِهِ: بِاللَّهِ أَبْكَيْتُنَا، فاندفعن بعيدانهن يَغْنَيْن: [الخفيف]

لَمَنْ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِعُثْمَانَ      بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ وَالصَّمَانِ<sup>(٢)</sup>  
ذَاكَ مَغْنَى لَأَلِّ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ      رَوْحُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ  
قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ دَهْرًا مَكِينًا      عِنْدَ ذِي النَّجَاجِ مَجْلِسِي وَمَكَانِي  
تُكَلِّتُ أَتَهُمْ وَقَدْ ثَكَلَتْهُمْ      يَوْمَ خَلُّوا بِحَارِثِ الْجَوْلَانِ

(١) الأبيات لحسان بن ثابت في ديوانه ص ١٢٢، ١٢٣، والبيت الأول في لسان العرب (جلق)، وتاج العروس (جلق)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٤٧٥، والبيت الثاني في جمهرة اللغة ص ٣١٢، وخزانة الأدب ٤/ ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ١١/ ١٨٨، والدرر ٥/ ٣٨، وشرح المفصل ٣/ ٢٥، ولسان العرب (برد)، (برص)، (صفق)، ومعجم ما استعجم ص ٢٤٠، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٤٥١، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٤، وشرح المفصل ٦/ ١٣٣، ولسان العرب (سلسل)، وجمع الهوامع ٢/ ٥١، والبيت الثالث في لسان العرب (جفن)، (مرا)، وتاج العروس (فضل)، (جفن)، (مري)، وبلا نسبة في كتاب العين ٦/ ١٤٦، والبيت الرابع في خزانة الأدب ٢/ ٤١٢، والدرر ٤/ ٧٦، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٦٩، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٧٨، ٢/ ٩٦٤، والكتاب ٣/ ١٩، ومغني اللبيب ١/ ١٢٩، وجمع الهوامع ٢/ ٩، وتاج العروس (جبن)، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٣/ ٥٢٢، والبيت الخامس في لسان العرب (طرز)، (أنف)، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٧٨، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٤٦، وتاج العروس (طرز)، (أنف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٠٤. —

(٢) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص ٣٢٢، ويروى البيت الأول:

لَمَنْ الدَّارُ أَوْحَشَتْ بِمُغْنَانِ      بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ فَالْخَمَانِ  
وهو في لسان العرب (خمم)، وتاج العروس (خمم)، (بلس)، (أفق)، والأغاني ١٥/ ١٥٠، ومعجم البلدان (أفق)، (سكاه).

ودنا الفِضْح فالولائد ينظم  
من سراعاً أَكَلَّةَ المرجان  
فبكى حتى سالت الدموع على لحيته، ثم قال لي: وهذا لحسان أيضاً، ثم أنشأ  
يقول: [الطويل]

تنصّرت الأشراف من أجلٍ لطمةٍ      وما كان فيها لو صبرث لها صرّز  
تكتنّفني فيها لجاج ونخوةٍ      وبعث بها العينَ الصحيحة بالعوّز  
فيا ليت أمّي لم تلذّني وليتني      رجعت إلى الأمر الذي قال لي عُمز  
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرةٍ      وكنت أسيراً في ربيعة أو مُصّر  
ويا ليت لي بالشّام أدنى معيشةٍ      أجالس قومي ذاهبَ السمع والبصر  
ثم سألتني عن حسان، أحي هو؟ قلت: نعم. ثم أمر بمال وكسوة ونُوق موقورة  
برأ، وقال: أقرئه سلامي، وادفع له هذا إن وجدته حيّاً، وإن وجدته ميتاً، فادفعه إلى  
أهله، وانحر الجمال على قبره.

قال: فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر، فقال: هلاًّ ضمنتَ له الأمر، فإذا أسلم  
قضى الله علينا بحكمه! ثم بعثت إلى حسان، فأقبل وقد كُفّ بصره، فلما دخل قال: يا  
أمير المؤمنين إني وجدْتُ ريح آل جفنة، قال: نعم، هذا رجل أقبل من عنده قال: هات  
يا بن أخي ما بعث به إليّ معك؟ قلت: وما علمك؟ قال: إنه كريمٌ من عصبة رجال كرام  
مدحتهم في الجاهلية، فحلف ألاّ يلقي أحداً يعرفني إلاّ أهدى إليّ معه شيئاً. فدفعته إليه  
وأخبرته بأمره في الإبل، فقال: وددت أني كنت ميتاً فنحرت على قبري، ثم أخذها  
وانصرف وهو يقول: [الكامل]

إن ابنَ جفنة من بقيّةٍ معشرٍ      لم يَغْذُهم أبائهم باللُومِ  
لم يَنْسَني بالشّام إذ هو رُيها      كلاً ولا متنصّراً بالرومِ  
يعطي الجزيل، ولا يراه عنده      إلاّ كبعض عطية المذمومِ  
وأتيته يوماً فقرّب مجلسي      وسقي وروّاني من الخرطومِ  
وذكر أنّ رسول عمر لما أرسله إلى قيصر، قال: وأمرني أن أضمن لجيلة ما شرط،  
فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن الشقاء قد غلب  
عليه.

وحذّث أن صاحب بَرطونة اليوم من ذرّيته. وذكر الثعالبيّ أنه وجد للصّابي فصلاً  
من كتاب استظرفه جدّاً، يذكر صلةً وصلت إليه من الصاحب، وهو: وصل أطال الله بقاء  
سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين، وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين،  
فعرّجاً إليّ ملّمين، وعاجاً عليّ مسلمين، فحين عرفتهما، وقبل أن أرّد السلام عليهما  
مددت اليد إلى ما معهما، كما مدّها حسان بن ثابت إلى رسول جيلة بن الأيهم، ثقةً منّي

بصلته، وشوقاً إلى تكرمه، واعتماداً لإحسانه، وألفاً لموارد إنعامه، وتيقناً أن الخطرة مني على باله، مقرونة بالتصيب من ماله، وأن ذكراه، مشفوعة بجدواه.

رجع ما انقطع. فيريد أنه لو خطب لهؤلاء القوم ابن أدهم على زهده وفضله، أو ابن الأيهم على ملوكيته وعزته لسووا بينهما في الصداق اقتداء بالنبي ﷺ.

### [المغلاة بالصدقات]

وجاء في الترمذي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله، لكان أولاهم بها نبي الله ﷺ، وما أعلم أن رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه، على أكثر من اثنتي عشرة أوقية<sup>(١)</sup>.

قال ابن عيينة: والأوقية عند أهل العلم أربعون درهماً، واثنتا عشرة أوقية أربعمئة وثمانون درهماً.

وفي غير الترمذي أن النبي ﷺ قال: «تياسروا في الصداق»<sup>(٢)</sup> وكانت صدقات أزواج النبي ﷺ على عظم قدره، وعلو مرتبته اثنتي عشرة أوقية ونشأ، والنش عشرون درهماً، فذلك خمسمائة درهم.

وروي عن عمر رضي الله عنه: أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد أنه ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ، أو سبق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال. فعرضت له امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين، كتاب الله أحق أن يُتبع أو قولك؟ قال: كتاب الله تعالى. ثم قال: فيم ذلك؟ قالت: الله تعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، فقال عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه من عمر! ثم رجع إلى المنبر، فقال: إني كنت نهيتكم عن أن تغالوا في صدقات النساء، فليفعل كل رجل منكم في ماله ما أحب<sup>(٣)</sup>.

فرجع عمر عن اجتهاده إلى ما قامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله في نفسه، فأصدق أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أربعين ألفاً والقنطار ألف دينار ومائتا دينار؛ إلا أن المياسرة في الصداق أحب عند أهل العلم من المغلاة.

ومن الملح في صداق خمسمائة، ما حدث به ابن أبي شيبه قال: كان حجاج جارنا، فسمعه يقول لأبيه: تزوجت أُمِّي على خمسمائة درهم، وبقيت أنا لك ربحاً، فقال له أبوه: من سخنة عين هذا الربح أخشى.

\*\*\*

(١) أخرجه بنحوه الدارمي في النكاح باب ١٨، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١٨/٣.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٢٩٦/٥.

(٣) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١٨/٣.

قوله : مَهَرٌ : يقال : مَهَرُ المرأة يَمَهَرُها ، وأمهرها : عَيَّن لها مهرًا . لن تطالب بصداق ، أي أن القصة ليس لها حقيقة . فليس ثَمَّ من يطالبك بصداق ولا طلاق . حشدك : جمعك ، وأصله مصدر ، ثم استعمل لجماعة الناس . تفتَّق : تشق . رثق : غلق والسمع : الأذن .

\*\*\*

قال الحارث بن همام : فازدْهاني بِوصفِ الخُطبةِ المتلوَّة ، دُونَ الخُطبةِ المجلوَّة ؛ حتى قلت له : قَدْ وَكَلْتُ إليك هذا الخُطْب ؛ فدبره تَدبِير من طَبِّ لمن حَبَّ . فنهَضَ مُهْزولاً ، ثُمَّ عَادَ مُتَهَلِّلاً ، وقال : أَبْشِرْ بِإِعْتَابِ الدَّهْرِ ، وَاحْتِلَابِ الدَّرِّ ؛ فَقَدْ وُلِّيتُ الْعَقْدَ ، وَأَكْفَلْتُ التَّقْدَ ، وَكَانَ قَدْ ثَمَّ أَخَذَ فِي مَوَاعِدَةِ أَهْلِ الْخَانِ ، وَاعْدَادِ خَلَوَاءِ الْجَوَانِ . فَلَمَّا مَدَّ اللَّيْلُ أَطْنَابَهُ ، وَأَغْلَقَ كُلُّ ذِي بَابٍ بَابَهُ ، أَذَّنَ فِي الْجَمَاعَةِ : أَلَّا أَحْضَرُوا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا مَنْ لَبَّى صَوْتَهُ ، وَخَضَرَ بَيْتَهُ . فَلَمَّا اضْطَفُوا لَدَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ عَلَيْهِ ، جَعَلَ يَرْفَعُ الْاضْطِرْلَابَ وَيَضَعُهُ ، وَيَلْحَظُ التَّقْوِيمَ وَيَدْعُهُ ، إِلَى أَنْ نَعَسَ الْقَوْمُ ، وَغَشِيَ النَّوْمُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا ضِعِ الْفَاسَ فِي الرَّاسِ وَخَلِّصِ النَّاسَ مِنَ الثُّعَاسِ . فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي الثُّجُومِ ، ثُمَّ انْتَشَطَ مِنْ عُقْلَةِ الْوُجُومِ ، وَأَقْسَمَ بِالطُّورِ ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ؛ لَيَنْكَشِفَنَّ سِرُّ هَذَا الْأَمْرِ الْمَشْثُورِ ، وَلَيَنْتَشِرَنَّ ذِكْرُهُ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ . ثُمَّ إِنَّهُ جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَاسْتَرْعَى الْأَسْمَاعَ لَخُطْبَتِهِ .

\*\*\*

ازدْهاني : دعاني إلى الزهو ، وهو العُجب والكبر ، أي أعجبت بوصفها ، المتلوَّة : المقروءة ، الخُطبة : الزوجة المخطوبة . المجلوَّة : التي كشف وجهها لينظر إليها . وكَلْتُ : أسندت إليك ، وجعلتك القائم . الخطب : الأمر .

طبَّ : أصلح حال العليل . فيقول : دَبَّرَ هذا الأمرَ تدبِير الطبيبِ أمرَ حبيبه إذا كان عليلًا ، وطَبَّهُ أي عناه ، وقيل : معنى طَبَّ حَذَقَ بالشئِ وجاد فيه ذهنه ، والطَّبَّ : الحاذق بالأمر ، فيكون معناه ، دَبَّرَ أمْرِي تدبِير المميِّزِ الحاذقِ أمرَ حبيبه .

قال ابن الأنباري : قولهم : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، أي من أَحَبَّ حَذَقَ وفطن واحتال لمن يحب ، والطَّبَّ في اللغة : الْحِذْقُ والفطنة ، ورجل طبيب وطبَّ ، إذا كان حاذقًا ، وسُمِّيَ الطَّيِّبُ لَفَطَتِهِ .

ومعنى حَبَّ أَحَبَّ . وقال البصريون : لَا يَقَالُ : حَبَّ يُحِبُّ ، وجاء عنهم : محبوب ،

على فعلٍ لا يُتكلم به. الكسائي والقراء: يقال: حبيت وأحببت، وحب في المثل يدل على صحته. والبصريون يقولون. حب إتباع لطف.

مهرولاً: مسرعاً. متهللاً: مستبشراً. إعتاب: إرضاء. الذر: اللبن. ولئت العقد، أي أعطيت النكاح، أي جعلني أبو الزوجة ولياً لها. أَكْفَلْتُ النقد، أي جعلت كفيلاً على أخذه، والكفيل: الضامن، أو يكون معنى أَكْفَلْتُ: ضمن لي وأعطيت كفيلاً. والنقد: المال الحاضر. وكان قد، أي وكان قد أحضر المال وتيسر النكاح. الخوان: المائدة. أذن: صاح. لبي: أجاب وقال: لبيك. الأصطرلاب: آلة للمنجمين يأخذون بها الأوقات. يلحظ: ينظر. التقويم: التعديل. غشي النوم: غطى العيون وخمرها. ضع الفاس في الرأس، أي اقصد إلى عين الخبر، وهي كلمة تقال عند التوكيد في العزم على الأمر، ومعناه: اقطع ما تريده من الأمر وافعله.

والذي نظر نظرة في التجوم، هو إبراهيم عليه السلام، لأنه تفكر ما الذي يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم، فقال: إني سقيم. انتشط: انحل. والعقلة: ما ينشب فيها الإنسان فتعقله، ويقال: لفلان عقلة يعتقل بها الناس، وذلك إذا صارهم عقل أرجلهم. والوجوم: العيوس والحزن الشديد، أراد أنه كان في تقويمه طالع نحس، فكان معبساً حزيناً، فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد، استبشر وزال عبوسه، وإنما عقد هذا النكاح ليلاً لأن قصده المكر، ولأنهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله. قال بعض العلماء: ذهبوا في ذلك إلى اتباع السنة في الفأل، فأثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح، تيمناً بما فيه من الهدوء والاجتماع على صدر النهار، لما فيه من التفرق والانتشار، وذهبوا إلى تأويل القرآن لأن الله سَمَّى الليل في كتابه ﴿سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ [الفرقان: ٤٧] كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع، وقال الشاعر: [الوافر]

ويوم الجمعة التنعيم فيه وتزويج الرجال من النساء

الطور: جبل موسى عليه السلام الذي آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده. سرّ هذا الأمر، أراد ما أضمره لهم من الخداع، أي أنه سينكشف ويتحدث به إلى يوم القيامة. جثا: يجثو جُثُوًّا: جلس على ركبتيه. استرعى: استدعى. الأسماع: الأذان، ويقال: أرعني سمعك، أي اسمع مني، وأخل أذنك لاستماع حديثي.

\*\*\*

وقال: الحمد لله الملك المحمود، المالك الوؤود، مصوّر كل مولود، ومأل كل مطرود، ساطح المهاد، وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار، ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومذكرها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكرزها، ومورد الأمور ومضديرها. عم سماحه وكمل، وهطل زكامه وهمل، وطاوع السؤل

وَالْأَمَلُ . وَأَوْسَعَ الْمَزْمِيلُ وَالْأَزْمَلُ . أَخْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدُودًا مَدَاهُ ، وَأَوْحَدَهُ كَمَا وَحَدَهُ  
الْأَوَاهُ ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُ سِوَاهُ ، وَلَا صَادِعَ لِمَا عَدَلَهُ وَسِوَاهُ . أَرْسَلَ مُحَمَّدًا  
عَلَمًا لِلْإِسْلَامِ ، وَإِمَامًا لِلْحُكَّامِ ، وَمُسَدِّدًا لِلزَّرْعِ ، وَمَعْطَلًا أَحْكَامَ وَدَّ وَسُوعِ ، أَغْلَمَ  
وَعَلَّمَ ، وَحَكَّمَ وَأَحْكَمَ ، وَأَصْلَ الْأُصُولَ وَمَهْدَ ، وَأَكَّدَ الْوُعودَ وَأَوْعَدَ ؛ وَاصِلَ اللَّهِ لَهُ  
الْإِكْرَامِ ، وَأَوْذَعَ رُوحَهُ دَارَ السَّلَامِ ، وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ الْكِرَامِ ؛ مَا لَمَعَ آلُ ، وَمَلَعَ  
رَالُ ، وَطَلَعَ هِلَالُ ، وَسُمِعَ إِفْلَالُ .



قوله: مآل، أي ملجأ. مطرود: مَنفِي. ساطع: باسط. المهاد: الأرض. موطد  
الأطواد: مثبتت الجبال. والأوطار: الحاجات. مدمر الأملاك: أي مهلك المملوك،  
والأملاك: جمع ملك.

### [التطير من الدنيا والزهد فيها]

وهذا كما قال عدي بن زيد: [الخفيف]

أَيْنَ كَسَرَى كَسَرَى الْمَلُوكِ أَنْوَشِرُ      وَأَنْ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ<sup>(١)</sup>  
وَبِنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامِ مَلُوكِ الزُّومِ      لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورُ  
وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاءُ وَإِذْ دَجْدُ      لَمْ تَجِبْ إِلَى الْخَابُورِ  
وَتَفَكَّرَ رَبِّ الْخُورِنِقِ إِذْ أَشْ      رَفِ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَذْكِيرُ  
لَمْ يَهْبُهُ زَيْنُ الْمَنُونِ فَبَادَ الْ      مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ  
ثُمَّ بَعْدَ الْقِلَاعِ وَالْمَلِكِ وَالْإِمْدِ      مَرَّةً وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقَبُورُ  
ثُمَّ رَاخُوا كَأَنَّهُمْ قَصَبٌ جَفَ      فَالْوُثُ بِهِ الصُّبَا وَالذُّبُورُ  
وَقَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرَ: [الكامل]

ولقد علمتُ لو أَنَّ عَلِمِي نَافِعِي      أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلَ ذِي الْأَعْوَادِ<sup>(٢)</sup>  
مَاذَا أَوْمَلَ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقِ      تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ

(١) الأبيات في ديوان عدي بن زيد العبادي ص ٨٧، والبيت الثاني في لسان العرب (صفر)، (كلس)،  
وتاج العروس (صفر).

(٢) الأبيات في ديوان الأسود بن يعفر ص ٢٦، ويروى صدر البيت الأول:

ولقد علمت سوى الذين نبأتني

وهو في لسان العرب (عود)، وجمهرة اللغة ص ٦٦٧، وتهذيب التهذيب ١٢٦/٣، وتاج العروس  
(عود)، وشرح اختيارات المفضل ص ٩٦٦، ومعجم البلدان (أنقرة).



جَرت الرياحُ على محلٍّ ديارهم      فكأنَّهم كانوا على ميعادٍ  
ولقد غثوا فيها بأكرم غنية      في ظلِّ ملكٍ ثابت الأوتادِ  
فإذا التَّعيم وكلَّ ما يُلهَى به      يوماً يصير إلى بلى ونفادِ  
الأصمعي: أصيب في حفير حول الحيرة تابوت، فيه رجلٌ عليه حُفَّان، وعند رأسه لوح فيه: أنا عبد المسيح بن حيان بن بقليلة. [الوافر]

حلبتُ الدهرَ أشطَّره حَيَّاتي      ونلتُ من المُنى فوق المزيدي  
وكافحتُ الأمورَ وكافحتُني      ولم أخضع لمعضلةِ كُؤودِ  
وكدت أنال بالشرف الثريا      ولكن لا سبيل إلى الخلودِ  
دخل أرطاة بنُ سهيَّة على عبد الملك، فقال: كيف حالك؟ - وكان قد أسنَّ -  
فقال: ضُغف حالي، وقُلُّ مالي، وكثر مني ما كنت أحبُّ أن يقلَّ، وقُلُّ مني ما كنت  
أحبُّ أن يكثر، قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله ما أغضب، ولا أطرب، ولا  
أرهب، وما الشعر إلا من نتائج هذه، على أيِّ القائل: [الوافر]

رأيت المرءَ تأكلُه الليالي      كأكل الأرض ساقطة الحديدِ  
وما تبغي المنيةَ حين تأتي      على نفس ابن آدم من مزيدي  
وأعلم أنَّها عمَّا قليلٍ      ستُوفي نذرها بأبي الوليدِ  
فارتاع عبد الملك، ثم قال: بل تُوفي نذرها بك، ما لي ولك! قال: يا أمير  
المؤمنين لا تُثَرِّغْ، فما عَنيثُ إلا نفسي، فقال: أما والله لتليمنَ بي.  
وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولأرطاة.



والتكوير: إدخال الليل على النهار والنهار على الليل، وكوِّرت الشيء رددته،  
ولويت بعضه على بعض. هطل وهَمَل، معناهما صبَّ. الرِّكام: السحاب المتراكم.  
السُّؤل: المطلوب. أوسع: أغنى. المرميل: الذي تقيَّد زاده. الأرمِل: الفقير، أو الذي  
ماتت زوجته، أو التي مات زوجها، يقال لها أرمِل وأرملة، ومنع قوم أن يقال للفاقد  
زوجته: أرمِل، وأجازوه بعضهم.

مداه: غايته. الأَوَّاه: إبراهيم عليه السلام، وهو من التأوَّه، وهو التوجُّع والتحرُّن  
والنطق بأوَّاه أوَّاه! صادع: مفسد، والصدع: الشقُّ في زجاجة أو حائط. علماً، أي إماماً  
يهتدى به. مسدداً: مصلحاً. والرعا: السقاط والضَّعفة من الناس. وَدَّ وسَّوع: صنمان.  
حكم: قضى. أحكم: أثقن. أَضَلَّ: ثبَّت الأصول. مَهَّدَ: سَوَّى ووطأ. الوعود: جمع  
وعد. أوعد: هذَّ وخوَّف. واصل: داوم. أودع روحه دار السلام: أدخله الجنة. آل:

سراب. مَلَعَ: أسرع. رال: فرخ النعام. إهلال: رفع الصوت بالتلبية بمكة.

\*\*\*

اغْمَلُوا رعاكم الله أَصْلَحَ الأعمال، واسْلُكُوا مسالِكَ الحلال، واطْرَحُوا الحرام ودَعُوهُ، واسْمَعُوا أَمْرَ الله وَعَوَهُ، وَصِلُوا الأرحام وراعوها، وعاصُوا الأهواء وازدَعُوها، وصَاهَرُوا لَحْمَ الصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ؛ وَصَارِمُوا رَهْطَ اللَّهْوِ وَالطَّمَعِ. وَمُصَاهِرُكُمْ أَظْهَرُ الأَخْرَارِ مَوْلِدًا، وَأَسْرَاهُمْ سَوْدَدًا، وَأَخْلَاهُمْ مَوْرِدًا، وَأَصْحَهُمْ مَوْعِدًا. وَهَآ هُوَ أَمُّكُمْ، وَحَلَّ حُرْمَتُكُمْ، مُمْلِكًا عَرُوسَكُمْ المَكْرَمَةَ، ومَاهِرًا لَهَا كما مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ، وَهُوَ أَكْرَمُ صِهْرِ أَوْدِعِ الأَوْلَادَ، وَمُلْكٌ مَا أَرَادَ، وَمَاسَهَا مُمْلِكُهُ وَلَا وَهْمٌ؛ وَلَا وَكْنَ مَلَاحِمُهُ وَلَا وَصِمٌ، أَسْأَلُ الله لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالِهِ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ، وَالْهَمَّ كَلًّا إِصْلَاحِ حَالِهِ وَالإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ. وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ، وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ.

\*\*\*

اطْرَحُوا: اتركوا وارموا به. عَوَهُ: احفظوه. الأرحام: القرابات، الواحد رَجِمَ، والأرحام من النساء الواحد رحم، راعوها: احفظوها وحاموا عليها. الأهواء: دواعي النفس. اَزْدَعُوهَا: كَفَّوْهَا. صَاهَرُوا: نَاكَحُوا. لحم: قرابات، ولحمة النسب: التحام القرابة وانضمامها. صارموا: قاطعوا. مصاهركم: حَتَّتْكُمْ المَتَزَوِّجَ إِلَيْكُمْ. أسراهم: أشرفهم وأكثرهم مروءة، وقد سَرِيَ فهو سَرِيٌّ. أمكم: قصدكم. حلّ: نزل. حرمتكم: بلدكم وموضعكم، الذي هو كالحرَمِ في أمته. مُمْلِكًا: مَتَزَوِّجًا، والإملاك: التزويج الذي تُمْلِكُ به المرأة.

قال ابن هشام: أم سلمة بنت أمية بن المغيرة، تزوج بها رسول الله ﷺ قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ، واسمها هند بنت أمية زاد الريب بن المغيرة، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم.

سها: أخطأ. مُمْلِكُهُ: منكحه الذي أعطاه وليّته. وَكَسَ: غبن، وَوَهِمَ في الحساب: غلط فيه، وملاحمه: أي مصاهره. وَصِمَ: عيب، والوصم: العيب، وأحمد الرجل إحمادًا، أي صار أمره إلى الحمد، أراد أنه من أهل الأحساب فلا ينقص مَنْ يصاهره. الإعداد للمعاد، أي الاستعداد لليوم الذي يعاد فيه إلى نشأته الأولى. السَرمَدُ: الدائم. والرسول: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذًا من قولهم: جاءت الإبل أرسلًا، أي متتابعة، ويثنى رسولان، ويجمع رسل. ومنهم من يوحده في كل حال، قال الله تعالى: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٤] وحده، لأنه في معنى الرسالة، وأنشد: [الطويل]

فأبلغ أبا بكر رسولاً سريعة فمالك يا بن الحضرمي وما ليا<sup>(١)</sup>  
قال الغراء رحمه الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين، وأنشد: [المتقارب]  
أَلَكُنِّي إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرِّسْوِ لَ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ<sup>(٢)</sup>  
أراد الرّسل، فاكتفى بالواحد عن الجمع.

\*\*\*

### [من خطب النكاح]

وإذ كملت الخطبة فلنسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع.

ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبي طالب في تزويج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها وهي:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، ورزّع إسماعيل، وجعل لنا حرمًا آمنًا وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي، ممن لا يوازن فتى في قریش إلا رجح به برًا، وفضلًا، وكرمًا وعقلًا، ومجدًا ونبلًا، وإن كان في المال قُلْ فإنما المال ظلٌّ زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببت من الصّدّاق فعليّ.

فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية.

وعن يحيى بن أكثم: أراد المأمون أن يزوج ابنته من عليّ الرضا، فقال: يا يحيى تكلم، فأجللت أن أقول: أنكحت؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت الحاكم الأكبر والإمام الأعظم، وأنت أولى بالكلام، فقال:

الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته، ولا إله إلا الله إقراراً ببروبيته، وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته. أما بعد، فإن الله سبحانه قد جعل النكاح دينًا، ورضيه حكمًا، وأنزله وحياً، ليكون سبباً للمناسلة وإنّي قد زوجت ابنة المأمون من عليّ ابن موسى الرضا، وأمهرتها أربعمئة دينار، اقتداء بسنة رسول الله ﷺ، وانتهاء إلى ما درج إليه السلف الصالح، والحمد لله رب العالمين.

وحضر المأمون إملاكاً وهو أمير، فسأله مَنْ حضر أن يخطب، فقال: الحمد لله، والصلاة على المصطفى رسوله، وخير ما عمل به كتاب الله: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ولو لم يكن في المناكحة آية منزلة ولا

(١) البيت بلا نسبة في المخصص ٣٠ / ١٧.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١١٣، ولسان العرب (لوك)، (رسل)، والمخصص ٢٢٥ / ١٢، وبلا نسبة في لسان العرب (ألك)، (نحا)، وتاج العروس (ألك).

سنة متبعة إلا ما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد، وبزّ القريب، لَسَارِعَ إليه الموفق المصيب، وبادر إليه العاقل اللبيب.

وفلان قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه، خطب إليكم فتاتكم فلانة، وقد بذل لها من الصداق كذا، فشفعوا شافعنا، وأنكوا خاطبنا، وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتوجروا فيه.

أقول قولِي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته، فأطال، فقال عمر: الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، أما بعد فإن الرغبة منك دعت إلينا، وإن الرغبة منا فيك أجابت بنا، وقد أحسن بك ظناً مَنْ أودعك كريمته، واختارك ولم يختَر عليك، وقد زوجناك على كتاب الله تعالى، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول في خطبة النكاح بعد الحمد والثناء.

أما بعد فإن الله تعالى جمع لهذا النكاح الأرحام المتقطعة، والأنساب المفترقة، وجعل ذلك في سنة من دينه، ومنهاج من أمره، وقد خطب فلان إليكم، وعليه وعليكم من الله نعمة، وهو يبذل من الصدق كذا، فاستخبروا الله، وردوا خيراً، يرحمكم الله! الأصمعي رحمه الله: كانوا يستحسنون من الخاطب أن يطيل ليدل على الرغبة، ومن المخطوب إليه الإنجاز ليدل على الإجابة.



فلما فرغ من خطبته البديعة النظام، العريّة من الإعجام، عقد العقد على الخمس المئين، وقال لي: بالرّفاء والبنين. ثمّ أحضر الحلوّاء التي كان أعدّها، وأبدى الأبدّة عندها. فأقبلت إقبال الجماعة عليها، وكذت أهوي بيدي إليها، فرجرتني عن المؤاكلة، وأنهضني للمناولة؛ فوالله ما كان بأسرع من تصافح الأجفان، حتّى خثر القوم للأذقان. فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية، أو كصرعى بنت خابية؛ علمتُ إنّها لإحدى الكبر، وأمّ العبر؛ فقلتُ له: يا عدّي نفسيه، وعبيد فليسه، أعددت للقوم حلوى، أم بلوى؟ فقال: لم أعدّ خبيص البنّج، في صحاف الخلنج. فقلتُ: أسيّم بمنّ أطلعها زهراً، وهدي بها السارين طراً؛ لقد جئت شيئاً نكرأ، وأبقيت لك في المخزيات ذكراً!



قوله : البديعة النظام : أي الغريبة التأليف . العريّة من الإعجام ، أي العاطلة من النقط . الرّفاء : السكون والالتحام ، ويُدعى للمتزوّج ، فيقال له بالرّفاء والبنين ، أي بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها ، وهو من رفاث الثوب ، إذا ضمنت بعضه إلى بعض ، ومن رَفَوَتْ الرجل إذا سكنته ، قال أبو زيد رحمه الله : هو من المرافاة غير مهموز ، وهي الموافقة .

تزوّج عَقِيل بن أبي طالب فقيل له : بالرّفاء والبنين ، فقال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رفا أحدكم أخاه فليقلل : على الخير والبركة ، بارك الله لك وبارك عليك»<sup>(١)</sup> .

الآبدة : الداهية ، وجاء بآبدة ، أي بكلمة أو خصلة وحشية منكرة ، واشتقاقه من الأوبد ، وهي الوحش ، وكذلك الآبد ، يقال : أبد الشاعر ، إذا أنى بالعويص في شعره ، فمعنى أبدى الآبدة ، أي أظهر الداهية التي يبقى ذكرها على الأبد . زجرني : نهاني . أنهضني : أقامني وقَدَمَني . المناولة : إعطاء الطعام . تصافح الأجنان : غلقها وفتحها بسرعة ، كقولك : طرفة العيون . خروا للأذقان ، أي سقطوا على وجوههم ، والدّقن مجمع اللّحيين يعبر به عن الوجه ، لأن العرب تسمي الشيء ببعض ما فيه ، وإذا خَرَّ على وجهه ، فأقرب شيء إلى الأرض ذقنه ، فخصّه بالذكر لهذا ، قال الله تعالى : ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء : ١٠٧] أعجاز : أصول . خاوية : فارغة متأكلة ، ويقال : خاوية ساقطة بالية . صرعى : قتلى ، وأراد به السكاري ، وبنت الخابية : هي الخمر ، ومعنى الخابية التي تخبأ فيها الأشياء ، مأخوذ من خبأت ، فَبُنِيت على ترك الهمز ، ويقال : خبأت الشيء وخبأته وخبّيته ، وقرأت الشيء وقريته . إحدى الكبير : واحدة من الكبائر . أم العبر : أي أعظم الدواهي ، وما يُتَعَطَّ به . لم أعد : لم أتجاوز . الخبيص : نوع من الحلواء . التّنج : نبات يسكر منه ، وهو لبن الخشخاش البرّي المعروف بالأفيون . والخلنج : ضرب من الخشب . زُهرأ : مضينة ، يعني الكواكب . السارين : الماشين بالليل . طرأ : جمعا . نُكْرأ : منكراً . والمخزيات : جمع مخزية ، وهي الخصلة الرديئة يختزي صاحبها متى ذكرت له ، والخزي الهوان .



ثَمَ جَرَتْ فِكْرَةٌ فِي صَيُورِ أَمْرِهِ ، وَخِيفَةٌ مِنْ عَذَوَى عَرِّهِ ، حَتَّى طَارَتْ نَفْسِي شَعَاعاً ، وَأَزْعَدْتُ فَرَائِصِي ارْتِياعاً . فَلَمَّا رَأَى اسْتِطَارَةَ فَرَقِي ، وَاسْتِشَاطَةَ قَلْقِي ،

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في النكاح باب ٣٦ ، والترمذي في النكاح باب ٧ ، وابن ماجه في النكاح باب ٢٣ ، والدارمي في النكاح باب ٦ ، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨١ ، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٤٠ ، بلفظ : «كان إذا رَفَا الإنسان قال : بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما على خير» .

قال: ما هذا الْفِكْرُ الْمُرْمِضُ، والزُّوْعُ الْمُؤْمِضُ؟ فَإِنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فِي أَجْلِي، مِنْ أَجْلِي؛ فَأَنَا الْآنَ أُرْتَعُ وَأُطْفِرُ، وَأَقْوِي هَذِهِ الْبُقْعَةَ مِنِّي وَأُقْفِرُ، وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَضْفِرُ؛ وَإِنْ يَكُنْ نَظْرًا لِنَفْسِكَ، وَحَذَرًا مِنْ حَبْسِكَ، فَتَنَاولْ فُضَالَةَ الْحَبِيبِ؛ وَطَبِّ نَفْسًا عَنِ الْقَمِيصِ؛ حَتَّى تَأْمَنَ الْمُسْتَعْدِي وَالْمُعْدِي، وَيَتِمَّهَدَ لَكَ الْمَقَامُ بَعْدِي؛ وَإِلَّا فَالْمَفْرَ الْمَفْرَ؛ قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ وَتُجَزَّ؛ ثُمَّ عَمَدَ لاسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْبُيُوتِ، مِنَ الْأَكْيَاسِ وَالتَّخُوتِ. وَجَعَلَ يَسْتَخْلِصُ خَالِصَةَ كُلِّ مَخْزُونٍ، وَنَخْبَةَ كُلِّ مَذْرُوعٍ وَمَوْزُونٍ؛ حَتَّى غَادَرَ مَا أَلْغَاهُ فَخُهُ، كَعِظْمٍ اسْتُخْرِجَ مَخُّهُ.



صَيُور: آمال ورجوع، أي ما يصير إليه أمره. عدوى عَرَه، أي انتقال ضرره، والعَر: الجرب، والعَدْوَى انتقال المرض إلى الصحيح، ومعناه عند العرب: إذا كان الجَرَبُ بواحدة من الإبل سرى في غيرها، وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ، وَلَا يورِدُ مُرْضٍ عَلَى مُصَحٍّ». فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل التي تكون في الرمل، كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ وقال: فمن أعدى الأول. وقال النابغة: [الطويل]

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلبي به القار أجرب<sup>(١)</sup>

فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذنب السروجي. شعاعاً: متفرقة في كل جهة، يقال نفس شعاع، أي تفرقت همتها، ورأي شعاع، أي متفرق. والفرائص: جمع فريصة، وهي بَضْعَةٌ عِنْدَ الْكَبْدِ تُرْعَدُ عِنْدَ الْفَزَعِ، قال امرؤ القيس: [الطويل]

\* وَتُرْعَدُ مِنْهُنَّ الْكُلَى وَالْفَرِيصُ \*<sup>(٢)</sup>

ارتباعاً: فزعاً. استطاره فزعي: انتشار فزعي. واستشاعة: التهاب واحتراق. المُرْمِضُ: المحرق، وهو من لَفَظِ الرُّمَضَاءِ. والرُّوْعُ: الفزع. المؤمض: الذي يَدْعُ صاحبه مبهوراً شاخص البصر من شدته، وأومضت المرأة بعينها إذا برقت. الأجل،

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٧٣، وأدب الكاتب ص ٥٠٦، والأزهية ص ٢٧٣، والجنى الداني ص ٣٨٧، وخزانة الأدب ٩/ ٤٦٥، والدرر ٤/ ١٠١، وشرح شواهد المغني ص ٢٢٣، ولسان العرب (إلى)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٩٨، وجواهر الأدب ص ٣٤٣، ووصف المبانى ص ٨٣، وشرح الأشموني ٢/ ٢٨٩، ومغني اللبيب ص ٧٥، وجمع الهوامع ٢/ ٢٠.

(٢) صدره:

فيسرنب أنفاساً وهن خوالفُ

والبيت في ديوان امرئ القيس ص ١٨٣.

بالتحريك: التأخير؟ وبتسكينها الجناية يقول: إن تفكرت في تأخيري من الهرب بسبب جنائتي، فالآن أجمع أموالهم وأفر، قال الفنجديهي إن يكن فكرك في أجلي، أي في جنائتي، يقال: أجَلَ الرجل عليهم شراً يأجل ويأجل أجلاً أي جناية. وهيجه من أجلي أي من جزائي. أرتع: أكل أموالهم. أظفر: أفر هارباً، وطفّر: وثب وسار مسرعاً. أقوي. وأقفر: معناهما أخلي موضعي، وأقفر الرجل من أهله: انفرد عنهم وبقي وحده والذّار خلت وكذلك أقوْث وقَوِيْتُ وأقفرت الأرض من الكلا، ورأسه من الشعر، وجسده من اللحم، وأقوى وأقفر لا يتعديان. تصفر: تصوت، وهذا عجزُ بيت لتأبط شراً، وصدّره: [الطويل]

\* فأبّت إلى فَنَهم وما كدت آيباً<sup>(١)</sup> \*

تصغير، أي تنفخ ندماً على فوتي، والنادم على الشيء يتابع النفخ، يقول: كم مثل هذه الخصلة فارقتها، وهي تصفر تنّدماً على ما فاتها. تناول: خذ. فضالة: بقية. طب نفساً، عنه، أي لتكن نفسك طيبة على فقده، فإنك إذا أكلت الخبيص، سكرت فجردتكَ فصرت في جملة مَنْ أَكَلَ ماله فتأمن بذلك. المستعدي: هو الشاكي. والمعدي: هو الحاكم، ويقال: استعديت الحاكم فأعداني، أي استعنته فأعاني. يتمهّد: يتوطأ. المفرّز المفرّز: أي بادر الفرار، وتُسحب، هو تجرّز. الأكياس: أوعية الدراهم والدنانير. الثخوت: أوعية الثياب. يستخلص: يختار. خالصة: خيار، وكذلك نخبة. مذكوع: مكيل بالذّراع، يعني الثياب. موزون: يعني الجواهر وما في معناها ممّا يباع بالوزن، مثل العطريات وغيرها من شبهها. الفخّ: آلة للصيد يحسن أن يكنى به عن المكيدة.

\*\*\*

فلَمّا هَمَّن ما اصطفاه ورّزم، وشمّر عن ذِراعَيْهِ وتحزّم؛ أقبل عليّ إقبال من لَبَسَ الصَّفَاقَة، وخلَعَ الصداقة، وقال: هل لك في المصاحبة إلى البَطِيحَة، لأزوِّجَكَ بأخرى مَليحة. فأقسمتُ له بالذي جعله مباركاً أينما كان، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنَّ خَانٍ في خان؛ إنّه لا قِبَل لي بنكاح حُرَّتَيْن، ومُعاشرة ضَرَّتَيْن. ثم قلت له

(١) عجزه:

وكم مثلها فارقتها وهي تصغرُ

والبيت لتأبط شراً في ديوانه ص ٩١، والأغاني ١٥٩/٢١، وتخليص الشواهد ص ٣٠٩، وخزانة الأدب ٣٧٤/٨، ٣٧٥، ٣٧٦، والخصائص ٣٩١/١، الدرر ١٥٠/٢، وشرح التصريح ٢٠٣/١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ٦٢٩، ولسان العرب (كيد)، والمقاصد النحوية ١٦٥/٢، وبلا نسبة في شرح ابن عقيل ص ١٦٤، وهمع الهوامع ١٣٠/١.

قول المتطلع بطباعه، الكاثل له بصاعه: قد كفّني الأولى فخراً، فاطلب آخر للأخرى.

فتبسّم من كلامي، ودلف لالتزامي. فلويت عنه عذاري، وأبدت له ازوراري، فلما بصّر بانقباضي، وتجلّى له إعراضي أنشد:



همن: شدّه بالهميان وهو نوع من التكة. اصطفاه: اختاره. رزم: جعله رُزمة، والرزمة في كلام العرب: التي فيها ضروب من الثياب وأخلاق يقال: رازم الرجل في أكله، إذا أخلط بعضه ببعض، ورازم علف الذابة: خلطته، وقد يريد به ما شد على وسطه من المال بهميانه. الصفاة: صلابة الوجه. خلع: أزال.

البطليحة: قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط، وبينها وبين البصرة وواسط جهة كبيرة، تعرف بالبطاح وتتوسطها البطيحة.

معاشرة صرتين: مصاحبة زوجين. المتطبع بطباعه: المتخلّق بخلق. الكاثل له بصاعه، أي الذي أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه. دلف: أسرع. التزامي: معانقتي وضمي له. لوبت: عطف، أي أعرضت عنه بوجهي. ازوراري: انقباضي. تجلّى: ظهر. إعراضي: تركي إقبالي عليه. [مجزوء الكامل]



يا صارفاً عني المود	ة والزمان له صروف
ومعني في فضح من	جاوزت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتى	ت فإلني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم	أزهم يُراعون الضيوف
ويؤثرهم فوجدتهم	لما سبكهم رؤوف
ما فيهم إلا مخي	فإن تمكّن أو مخوف
لا بالصقي ولا الوفي	ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئ	ب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم	سُقوا كأس الحُتوف
وتحكمت فيما اقتنؤ	ه يدي وهم رُغم الأتوف



صارفاً: منحنياً: المودة: المحبة. صروف: دفع. معني: مويخي ولاثمي.



فُضِح: كشف. والعسوف: الآخذ بجهالة قبل التجربة. تلحني: تلمني. يُراعون: يحفظون حقوقهم. بلوثهم: خبرتهم، ومثله سبكتهم. زيوف: دراهم رديئة، يريد أنهم قوم لا خير فيهم. مخيف: مضرّ مفزع. إن تمكّن: ارتفع وكانت له مكانة. مخوف: لا يقدم عليه خوف ضرره. الصّفي الوفيّ: الصادق الود. الحفيّ: المكرم لصديقه المعني به. العطوف: الرحيم. الضريّ: المعتاد الذي ضريّ أخذ الخرفان. صرعى: مطروحون على الأرض. والحتوف: جمع حتف وهو الهلاك. اقتنوه: اكتسبوه. رغم: إذلال.

\* \* \*

[مجزوء الكامل]

ثُمَّ انْثَنَيْتَ بِمَنْعِمِ	خُلُوَ الْمَجَانِي وَالْقُطُوفِ
وَلَطَّالَمَا خَلَفْتُ مَكَ	لَوْمَ الْحَشَا خَلَفِي يَطُوفِ
وَوَثَّرْتُ أَرْبَابَ الْأَرَا	ئِكَ وَالذَّرَائِكَ وَالشُّجُوفِ
وَلَكَّمْ بَلَنْتُ بِحِيلَتِي	مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالسِّيُوفِ
وَوَقَفْتُ فِي هَوْلٍ تُرَا	عُ الْأَسْدُ فِيهِ مِنَ الْوُفُوفِ
وَلَكَّمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَتَكَ	تُ وَكَمْ هَتَكْتُ جَمَى أَنْوَفِ
وَكَمْ ارْتَكَاضٍ مَوْبِقِي	لِي فِي الذَّنُوبِ وَكَمْ خَفُوفِ
لِكَيْتَنِي أَغْدَذْتُ حُسْ	نَ الظَّنِّ بِالْمَوْلَى الرَّؤُوفِ

\* \* \*

انثنت، أي رجعت. المجاني: ما يجنى من الثمار. والقُطوف: ما يقطف منها، وهي جمع قُطِف وهو العنقود. خَلَفْتُ: تركت خلفي. مكلّوم: مجروح. الحشى: إسقاط الجوف. وترت: أخذت منهم ثأري وحقي. أرباب الأرائك: أصحاب الأسرة. والدرائك: البُسط. السُّجُوف: جمع سِجْف، وهو الستر، والأرائك: جمع أريكة، والذرائك واحدها درنوك. الهول: الأمر المفزع. تراع: تفزع، وفيه: متعلقه وقوف، يريد أن الأسد تفزع أن تقف في الهول الذي وقف فيه. سفكت: قتلت. فتكت: عتيت. هتكت. قطعت. رَجِمِي: ما يحمي ويمنع. أنوف: كثير الأنفة والحمية. ارتكاض: جري واضطراب وتحرك. موبق: مهلك. خفوف: إسراع. الرؤوف: الكثير الرفق والرحمة.

### [الاعتراف بالذنب والطمع في رحمة الله]

قال ابن رشيقي في معنى هذا الخروج بعد تَعْدِيدِ ذُنُوبِهِ: [البسيط]

إِذَا أَتَى اللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي ظُلُلٍ	وَجِيءَ بِالْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالرَّسُلِ
وَحَاسِبِ الْخَلْقِ مَنْ أَحْصَى بِقُدْرَتِهِ	أَنْفُسَهُمْ وَتَوَقَّاهُمْ إِلَى أَجَلٍ

ولم أجد في كتابي غير سيئة تسوءني وعسى الإسلام يسلم لي  
رجوت رحمة ربي وهي واسعة ورحمة الله أرجى لي من العمل  
ولا بن لنكك: [الوافر]

إذا خفق اللواء عليّ يوماً وقد أخذ امرؤ القيس اللواء  
رجوت الله لا أرجو سواه لعل الله يرحم من أساء  
وقال ابن الرقاق: [المجث]

يا عالم السرّ مني اصفح بفضلك عني  
مئيت نفسي بعفو مولاي منك ومئي  
وكان ظني جميلاً فكن إذا عند ظني

وقال رسول الله ﷺ حاكياً عن الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي ما يشاء»<sup>(١)</sup>.

توفي رجل على عهد رسول الله ﷺ، وكان مسرفاً على نفسه، فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عليه، فقال لهما: ما يبكيكما؟ قالاً: نبكي لإسرافك على نفسك، قال: فلا تبكيا، فوالله ما يسرنني أن الذي بيد الله من أمري بأيديكما. فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ فأخبره أن فتى توفي اليوم، فأشده فإنه من أهل الجنة، فاستكشف رسول الله ﷺ أبويه عن عمله، فقالا: ما علمنا عنده شيئاً من خير إلا أنه قال عند الموت كذا.

قال: من ها هنا أتى حسنُ الظنِّ بالله من أفضل العمل عنده<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم حتى يُحسن ظنه بالله تعالى، فإن حسنَ الظنِّ ثمن الجنة»<sup>(٣)</sup>.

أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «حسن الظنِّ من حسن العبادة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ٣٥، ومسلم في التوبة حديث ١، والذكر حديث ٢، ١٩، والترمذي في الزهد باب ٥١، والدعوات باب ١٣١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٨، والدارمي في الرقاق باب ٢٢، وأحمد في المسند ٢/٢٥١، ٣١٥، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٩، ٢١٠/٣، ٢٧٧، ٤٩١، ١٠٦/٤.

(٢) أخرجه بنحوه أبو داود في الجنائز باب ١٣، والأدب باب ٨١، والدارمي في الرقاق باب ٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٨١، ٨٢، وأبو داود في الجنائز باب ١٣، وابن ماجه في الزهد باب ١٤، وأحمد في المسند ٣/٢٩٣، ٣١٥، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٩٠.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٨، والترمذي في الدعوات باب ١١٥، وأحمد في المسند ٢/٢٩٧، ٣٠٤، ٣٥٩، ٤٠٧، ٤٩١.

وكان محمد بن نافع الواعظ صديقاً لأبي نواس، قال: فلما بلغني موته أشفقت عليه، فرأيت في النوم، فقلت: أبا نواس، فقال: لآت حين كناية! قلت: الحسن، قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي، قلت: بأي شيء؟ قال: بتوبة تبتها قبل موتي، بأبيات قلتها، قلت: أين هي؟ قال: عند أهلي. فسرت إلى أمه، فلما رأته أجهشت بالبكاء، فقلت: إني رأيت كذا، فكانها سكنت، وأخرجت إليّ كتباً مقطعة، فوجدت بخطه كأنه قريب: [الكامل]

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً      فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
إن كان لا يرجوك إلا محسن      فمن الذي يدعو ويرجو المجرم  
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً      فإذا رددت يدي، فمن ذا يرحم!  
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا      وجميل ظني، ثم إني مسلم  
وإنما قال: «لات حين كناية» لأن العرب لا تكني الميت إنما تدعوه باسمه، قال الراجز: [الرجز]

وقام نسوة بجانب حُفَرَتِي      بنات أختي وبنات إختوتي

\* يدعون باسمي وتناسوا كنيتي \*

وقال آخر: [الطويل]

فقد جعلت تُدعى كلاب بن جعفر      بأسمائها لأبا الكنى لا تُجيبها

\*\*\*

قال: فلما انتهى إلى هذا البيت لَجَّ في الاستعبار، وألظَّ بالاستغفار، حتى استمال هوى قلبي المنحرف، وَرَجَوْتُ لَهُ ما يُرْجَى للمقترف المعترف. ثم إنه عَيَضَ دمه المُنْهَل، وتَأَبَّطَ جِرابَهُ وأَسْلَ، وقال لابنه: احتمل الباقي، واللَّهُ الوافي.

قال المخبر بهذه الحكاية: فلما رأيتُ انْسِيَابَ الحِيتِ والخِيَّةِ، وانتهاء الذاء إلى الكَيْتِ، عَلِمْتُ أن تَرَيْتِي بالخان، مجلبة للهوان، فضممتُ رُحَيْلي، وجمعتُ للِرُحْلَةِ دَيْلي، وبِت ليلتي أسري إلى الطَّيْب، وأحتسبُ اللّهَ عَلَى الخطيب.

\*\*\*

قوله: لَجَّ في الاستعبار، أي أكثر في البكاء. أَلْظَّ: أَلَحَّ، وألْظَّ به: دار عليه. استمال: استعطف وأماله إليه. المنحرف: المائل عنه. المقترف: المكتسب الإثم، ويقال: قَرَفَ فلان فلاناً، إذا الصق به عيباً وكسبه ذنباً، واقترف فلان ذنباً، أي اكتسبه وألصقه بنفسه. المقترف: المقر بذنبه.

أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرين على أنفسهم بالذنوب».

وروى أبو ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «ابن آدم إنك إن يبلغ ذنبك عنان السماء، ثم تستغفرنني أغفر لك ولا أبالي»<sup>(١)</sup>. غيظ: جَفَفَ وغيَّب، من غيَّض الماء إذا انتقص وجفَّ. المنهل: السائل. تأبط: أي جعله تحت إبطه. انسل: خرج مخفياً نفسه متحرزاً أن يراه أحد. انسياب: مشي لا يحسُّ به. الحية: يعني الشيخ، وسماه حية لإذايته أهل الخان بالبنج: فجعله كسم الحية فيمن ألقته، ويقال أيضاً في تصغير الحية حُويّة، وأصلها الواو لأنها من تحوَّت أي تلوَّت، وقيل: هي من الحياة لطول عمرها. انتهاء الداء إلى الكيئة: مثل يضرب لانتهاه الداء إلى أقصاه، تقول العرب: آخر الطبِّ الكي، تريد أن المريض يعالج بكلِّ دواء فلا يوافقه فإذا عولج بالكي لم يبق بعده دواء، وإلا فهو الموت، فيريد أنه إن أقام بعدهما انتهى إلى هوان وعذاب. وترثي: تثبطي، وترث بالمكان: أطلال الجلوس فيه، مجلبة، أي سبب جلبه وسوقه رُحَيْلَه: يريد متاعه وصغره لفقره وقلة ما عنده، ورحل الإنسان ماله ومتاعه في السفر، أسري: أمشي بالليل. الطيب: قرية بالعراق بمقبرة واسط بينها وبين البطيحة المتقدمة، وسميت الطيب لطيب هوائها وخصبها.

احتسب: أدعو وأقول: حسيبه الله، ومجازيه على قبيح أفعاله، والاحتساب طلب الأجر، فمعنى احتسب الله على الخطيب، طلب إلى الله تعالى الثواب بإنكاره على الخطيب، والله تعالى ربِّي عليه توكلت وإليه أنيب.

## المقامة الثلاثون

### وهي الصُورية

حكى الحارث بن همام، قال: ارتحلت من مدينة المنصور، إلى بلدة صور؛ فلما حصلتُ بها ذا رُفعةٍ وخفض، ومالك رفعٍ وخفض؛ تقثُ إلى مِضر توقانَ السقيم إلى الأساة، والكريم إلى المواساة؛ فرفضت علائق الاستقامة، ونفضت علائق الإقامة، واغزوريت ظهر ابن الثُعامة، وأجفلت نحوها إجمال الثُعامة. فلما دخلتها بغد معاناة الأئين، ومدانة الحين، كلّف بها كلّف الثُشوان بالاضطِباح، والحياران بتنفس الصُّباح.



### [أبو جعفر المنصور]

قوله: مدينة المنصور، هي بغداد، والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، استخلف بعد أخيه السفاح، وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة. وهو ابن إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر، وكان حاجباً وقت وفاة السفاح، فعقد له البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالأنبار، وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوماً.

وقد بشر به النبي ﷺ، ونظر إلى عمه العباس، فقال: هذا عمي أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفاً، ومن ولده السفاح والمنصور والمهدي.

وقال المنصور: رأيتُ في المنام كأنني في المسجد الحرام، فنودي: أين عبد الله؟ فقمنا أنا عبد الله بن يحيى نستبق، حتى وصلنا إلى الدرجة العليا، فجلس هو وأخذ بيدي، فأصعدت، وأدخلت الكعبة، فإذا رسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال. قال: فأقعدني وأوصاني بأمتي، عممي، فكان كورُها ثلاثاً وعشرين كوراً، وقال: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة.

وقال المنصور: الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدَرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ هو دونه.

وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج، ومات بمكة ببئر ميمون لستَ خَلَوْنَ من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة.



### [مدينة صور]

صور: مدينة بالشأم، بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخاً.

وقال شيخنا ابن جبير: مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة، لا تُلقَى لطلابها بيد طاعة ولا استكانة، قد أعدّها الإفرنج مفزَعاً لحادثة زمانهم، وجعلوها مثابة لأمانهم. وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به، وذلك أنّها راجعة إلى بابين، أحدهما في البر والثاني في البحر، والبحر يحيط بها إلا من جهة واحدة، فالبري يفضي إليها بعد ولوج ثلاث أبواب أو أربعة، كلها في سائر مشيدة محيطة بالباب، والبحري يُدخل إليه بين بُرْجَيْن مشيّدين إلى مرسى له، ليس في البلاد أعجب منه وصفاً، يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب، ويحُدُّق به من جانب آخر جدار معقود بالجصّ، والسفن تدخل تحت السور وترسي فيه، ويعترض من البُرْجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج، ولا مجال للمراكب إلا عند إزالتها، وعلى الباب حراس، لا يدخل الداخل ولا يخرج إلا على أعينهم، فشان هذا المرسى شأن عظيم، وعند الباب البري عين معينة، تنحدر إليها على أدراج، والآبار والجباب بها كثيرة، لا تخلو دار منها، ولا بساتين بها إنما تُجَلِّب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها.

ولها أعملة متصلة، والجبال بالقرب منها معمورة بالضياء، ومنها تجيء الثمرات إليها، وللمسلمين الباقي بها مسجدان.

وأعلمني أحد أسياننا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة، وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو.



قوله: ذا رفعة، أي عزة ومكانة، خفض: طيب عيش، ومعنى مالك رفع وخفض، أي صاحب أحوال ترفع على الإبل في السفر وتحطّ عنها للنزول، ويريد أنه ذو قدرة وتمكّن يخفض ويرفع من أراد، قوله: ثُقّت، أي اشتقت.

### [مصر]

مصر: قال الهمداني: سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الإسكندر.

وقال أهل اللغة: المصر الحدّ فسمّيت مصر لأنها حد بين المشرق والمغرب. ابن دريد كل بلد عظيم مصر، نحو البصرة والكوفة.

طول مصر من الشجرتين اللتين بين أمج والعريش إلى أسوان، وعرضها من برقة

إلى أيلة، فهي مسيرة أربعين ليلة. وافتتحت كلها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمي.

ولما افتتحت مصر، أتى أهلها إلى عمرو، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا ستة لا يجري إلا بها، فقال لهم: ما ذاك؟ فقالوا له: إذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بثونه من أشهر العجم، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها، وحملنا عليها من الحلبي والحللي أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله. فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى - وهي أسماء ثلاثة أشهر للقطب - لا يجري النيل فيها لا قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلء منها. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فكتب عمر بطاقة، وكتب إلى عمرو: إني بعثت إليك بطاقة فآلقها في النيل. فأخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار، هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. فآلقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلء، فلما ألقى البطاقة في النيل أصبحوا يوم الصليب. وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، فقطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر.

قال ابن جبير: ومدينة مصر كبيرة عامرة، مختلفة الأسواق من المدن التي سارت بأوصافها الرفاق، وهي على شط النيل، وعلى النيل في مقابلتها قرية كبيرة الشأن، كثيرة البنيان، تعرف بالجزيرة، وتعترض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالي مشرفة، وهي مجتمع لها أهل مصر ومنتزههم، وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل، ولا مخرج له. وبالجزيرة جامع يُخطب فيه.

### [مقياس النيل]

ويتصل بهذا الجامع المقياس الذي يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة، وابتدأه من شهر بثونة، ومعظم انتهائه أغشت وآخرها أول أكتوبر.

والمقياس: عمود رخام سُمّر في موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه إليه، وهو مفصل على اثنتين وعشرين ذراعاً، وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قسماً أقساماً متساوية تعرف بالأصابع، فإذا استوى الماء تسع عشرة ذراعاً في الفيض، فهي الغاية عندهم في طيب العام، وربما كان الماء فيها كثيراً لعموم الفيض، والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعاً وهو أحسن مما زاد عليه.

والذي يستحق به السلطان خواجه ست عشرة ذراعاً فصاعداً، وعليها تُعطى البشارة للذي يراقب الزيادة في كل يوم، ويعلم بها ميامة، وإن قصر عن ست عشرة فلا يجيء

لذلك السلطان في ذلك العام، ولا خراج إلا ما يعول عليه، ويقرية الجيزة يوم الأحد سوق عظيمة يتحدث بها.

### [الأهرام]

وعلى نحو سبعة أميال في الصحراء التي يفضى منها إلى الإسكندرية، الأهرام القديمة، المعجزة البناء الغربية المنظر، المربعة الشكل، كأنها القباب المضروبة قد قامت في جو السماء، لا سيما الاثنان منها في سعة الواحد منهما من ركنه إلى ركنه ثلثمائة خطوة، وست وستون خطوة محددة الأطراف في رأي العين، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة، فتلفى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب، قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة ورُكبت تركيباً بديع الإلصاق، يكاد يُعجز أهل الأرض نقض بنائها.

### [بعض معالم مصر]

ويمصر أيضاً المسجد المنسوب إلى عمرو بن العاص، وبها الجبانة المعروفة بالقرافة، وهي من عجائب الدنيا، لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء، وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوي الكرامات من أهل الزهد.

وبها قبر آسية امرأة فرعون، وبها مساجد معمورة بالليل والنهار، يبيت بها الصالحون.

وبها قبر الشافعي محمد بن إدريس الإمام رضي الله عنه، وهو من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعاً.

والمشهد العظيم الشأن الذي بالقاهرة، حيث رأس سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، هو في تابوت من فضة مدفون، قد بُني عليه بنيان يقصر الوصف عنه، مجلّل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمدة الكبار، شمعاً أبيض أكثرها موضوع في أتوار الفضة، وحُف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبه الروضة، يبهّر الأبصار حسناً وجمالاً، وفيه من أنواع الرخام المجزّع الغريب الصنعة، البديع، الترصيع، ما لا يتخيله المتخيلون، والمدخل إليها على مسجد على مثالها في التأنق، حيطانه كلها رخام، وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية، ولتزاحم الناس على القبر انكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التي عليه مرأى هائل.

وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة.



الأساة: الأطباء، المواساة: أن يجعلك أسوة نفسه في ماله فيقاسمك فيه. رفضت:



تركت. علائق: أسباب تتعلق به فتحبسه. نفضت: أزلت وأطرحت، ونفضت ثوبي من الغبار: أزلته عنه. عوائق: موانع. وهي ما يصرفه الإنسان عن وجهه الذي يمر فيه ويريده، اعروريت: ركبته عريا.

ابن النعامة: الطريق، وقيل صدر القدم قال عترة: [الكامل]

وابنُ النعامة عند ذلك مَرَكَبِي<sup>(١)</sup>

وقيل: ابن النعامة الساق، وقيل: عرق في الرجل وقيل الفرس الفارة. أجفلت: أسرع. النعامة: واحدة النعام. معاناة: مقاساة. الأئين: الفتور من التعب مدانة الحين: مقاربة الهلاك. كلفت بها، أي أحببتها وولعت بها. الثشوان: السكران، يريد أنه فرح فرح السكران، إذا أصبح للشراب، وهو الاصطباح والمهموم بالليل إذا طلع ضوء النهار انجلى همه، فجعل بياض الفجر. تنفس أي انتشر في الظلام.

فبينما أنا يوماً بها أطوف، وتختي قُروء قطوف؛ إذ رأيت على جُردٍ من الخيل، غُصْبَةً كَمَصَابِيحِ اللَّيْلِ؛ فَسَأَلْتُ لَانْتِجَاعِ الثَّرْهَةِ، عن الغُصْبَةِ والوجهة؛ فقيل: أما القومُ فشهود، وأما المقصِدُ فإملاكُ مشهود؛ فحدثني مَيْعَةُ النَّشَاطِ، على أن سِرْتُ مع الفُرَاطِ؛ لأفوز بحلاوة اللُّقَاطِ، وأحوزَ حُلُوءَ السَّمَاطِ: فأفضيتنا بَعْدَ مُكَابَدَةِ الْعَنَاءِ، إلى دارٍ رَفيعةِ الْبِنَاءِ، وسيعةِ الْفِنَاءِ، تشهدُ لبانيها بالثراء والسَّاءِ. فلما نزلنا عن صَهَوَاتِ الْخِيُولِ، وَقَدَّمْنَا الْأَقْدَامَ لِلدَّخُولِ، رأيتُ دِهْلِيْزَهَا مُجَدِّلاً بأطمارٍ مخزفة، ومُكَلَّلًا بمخارِفٍ مُعَلِّقَةٍ، وَهَنَّاكَ شَخْصٌ عَلَى قَطِيفَةٍ، فوق دَكَّةٍ لَطِيفَةٍ.



قُطُوف: متقارب الخطو، كأنه يقطف خطوه، أي يقطعه. جُرد: مُلْس، والأجُرد: القصير الشعر. غُصْبَةٍ: جماعة. مصابيح: سُرُج، ويريد بها النجوم. قوله: الوجهة كالجبهة، وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت إليه. إملاك: نكاح، وأملك الرجل إملاكاً: تزوج، وأملكه غيره: زوجه. وشهدنا إملاكه، أي عرسه.

(١) صدره:

فيكون مركبك القعود ورحله

والبيت لعنترة بن شداد في ديوانه ص ٢٧٤، والمخصص ٢٠٦/١٣، وجمهرة اللغة ص ٩٥٣، ولخز بن لوزان السدوسي في لسان العرب (نعم)، ولعنترة أو لخز بن لوزان في تاج العروس (نعم)، ولسان العرب (عتق)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣٠٥/١، ٤٤٦/٥، ومجمل اللغة ٤/ ٤١٥، والمخصص ٥٧/٢، ٤٢/١٢، وكتاب العين ١٦٢/٢.

ابن عمر رضي الله عنهما، قال النبي ﷺ: «مَنْ شَهِدَ إِمْلَاكَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَكَأَنَّمَا صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْيَوْمَ بِسَبْعِمِائَةٍ»<sup>(١)</sup> مشهود: أي محضور. حدَّثني. ساقَتْنِي. مَيْعَةً: حَذَّةٌ ونشاط، والميعة أوَّلُ الشباب، وأوَّلُ جَزْيِ الفرس، وميعة كُلِّ شيءٍ معظمه. والفَرَاط: السِّبَاقُ المتقدِّمون، الواحد فارط. اللَّقَاط: ما يلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين، نحو الكعك والخَبِيص، وما يُنثر فيه يسمى نثرًا، وكان نثار العرب في عرسهم التمر. أُحُوزُ: أُحْصَل. السَّمَاط: السوق التي جوانبها صَفَان متقابلان، والسماط أيضاً أن يصطفَّ العسكر صفَّين متقابلين، والسماط في الطعام: أن تلتصق مائدة بأخرى، ويجلس الناس عليها صفين متقابلين، والسماط الصفَّ منه، ومنه سُمِّطَ الجواهر، ومنه الشَّعر المسمط، وهو الذي أُبياته مفصلة على أجزاء متقابلة، وقد نَبَّهنا عليه في الحادية عشرة. مكابدة: مقاساة، وهي من الكَبَدَ كَأَنَّ الكِبْدَ يتعب بها. والعَنَاء: التعب. ربيعة البناء، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ هَوَانٍ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الْبِنَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى بِنَاءً فِي غَيْرِ ظِلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظِلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، فَإِنَّ أَجْرَهُ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الرَّحْمَنِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال بعضُ الحكماء: إذا أيسر الرجل ابتلي بثلاثة أشياء: صديقه القديم يجفوه، وامراته يتزوج عليها، وداره يهدمها ويبنيها.

وعلى قوله: أما القوم فشهود، جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْرِمُوا الشُّهُودَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْرِجُ بِهِمُ الْحَقَّ، وَيُدْفَعُ بِهِمُ الظُّلْمَ».

قوله وسبعة، أي واسعة، والفناء: الساحة، وهي ما حول الدار. الثراء: كثرة المال. السناء: الشرف والرفعة. صهوات: ظهور. دهليز: مدخل الدار، الذي تسميه عامتنا الأسطوان، والأسطوان عند العرب: السواري، واحدها أسطوانة: وأنشد أبو موسى الحامض في نواته وذكر الدهليز فقال: [السريع]

أويت في الدهليز مذ أربع      ولم أكن آوي الدهاليزاً  
خبزي من السوق وشعري لكم      تلك لعمرى قسمة ضيزى  
مجللاً: مغطى. أطمار: ثياب خلقة. مكللاً: محلقاً. مخارف: قفيف أو نعالق للغرباء، يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة، والمخارف عند العرب: جمع مخرف،

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣٥٩/٤.

(٢) أخرجه بمعناه الترمذي في القيامة باب ٤٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٣٨/٣.

وهي فُتَيْفَة تشبه الزَّنبِيل، يُخْتَرَف فيها الرُّطْب، أي يُجْتَنَى فيها. قطيفة: نوع من البسط.  
دَكَّة: هي الدكان.



فَرَابِنِي عُنوان الصَّحيفة، ومَرَأَى هذه البِدْعَة الطَّرِيفَة، ودَعَانِي الطُّطِير بتلك  
المناحس، إلى أن عمدتُ لذلك الجالس؛ فعزمت عَلَيَّه بِمَصْرُفِ الأَقْدَار، ليعرَّفَنِي  
مَنْ رَبُّ هذه الدار، فقال: لَيْسَ لَهَا مالِكٌ مُعَيَّن، ولا صَاحِبٌ مُبَيَّن، إنما هِيَ  
مُضْطَبَّة المَقِفِينَ والمَذْرُوزِينَ، وليجْهُ المُشْفِيقِينَ والمُجْلُوزِينَ. فقلت في نفسي:  
إِنَّا لِلَّهِ عَلَى ضَلَاةِ الْمُسْعَى، وإِمْحَالِ المَرْغَى؛ وَهَمَمْتُ فِي الحَالِ بِالرُّجْعَى، لَكُنِّي  
اسْتَهْجَنْتُ الْعَوْدَ مِنْ قُورِي، وَالْفَهْقَرَةَ دُونَ غَيْرِي، فَوَلَجْتُ الدَّارَ مُتَجَرِّعاً الْعُصَصَ،  
كَمَا يَلِجُ العَصْفُورُ الْقَفْصَ، فإِذَا فِيهَا أَرَانِكَ مَنَقُوشَةً، وَطَنَافُسٌ مَفْرُوشَةً، وَنَمَارِقُ  
مَضْفُوفَةٌ، وَسُجُوفٌ مَرْصُوفَةٌ، وَقَدْ أَقْبَلَ المُمْلِكُ يَمِيسُ فِي بُرْدَتِهِ، وَتَبَهَّشَ بَيْنَ  
خَفَدَيْهِ، فَجِئِن جَلَسَ كَأَنَّهُ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ، نَادَى مَنَادٍ مِنْ قِبَلِ الأَحْمَاءِ: وَحُرْمَةٌ  
سَاسَان، أَسَاتِذُ الأَسَاتِيزِ، وَقُدُوةُ الشَّحَازِينَ، لَا عَقْدَ هَذَا الْعَقْدِ المُبْجَلِّ، فِي هَذَا  
اليومِ الأَعْرُ المُحْجَلِّ، إِلَّا الَّذِي جَال وَجَابَ، وَشَبَّ فِي الكَذِبَةِ وَشَابَ.



رابني: شككني وخوفني. عُنوان: دليل. الصحيفة: الكتاب، أراد تطيرت بتلك  
المخارف، وأراد أنها دار خيبة وحرمان. وكان ابن همام في هذه القصة طفلياً على ما  
وصف به نفسه من الرفاهية، وربما يتولع أهل الظرف والأدب بمثل هذا، فقد حكينا عن  
إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين على منادمتها  
للخلفاء وكثرة أموالهما.

البدعة: الشيء المبدع الذي لم يفعل قبله مثله. والطريفة: الغريبة المستظرفة.  
التطير: التشاؤم. المناحس: جمع منحوس وهو الذي لا يفارقه النحس، وأراد به  
المخارق والأطمار التي قدم. مصرف الأقدار: هو الله تعالى. رب الدار: مالكاها أو  
الناظر في إصلاحها ما ذكره مما لا يفهم له معنى فهو بسطة المكدين. وقيل المقيفون  
جمع مقيف، وهو الذي يقفو آثار الناس، أي يتبعهم يطلب لهم شيئاً، ويدعو لهم.  
والمدروزين: المكدين، ودروزة كلمة أعجمية معناها الكذبة. والمُشْفِيق: الذي يحاكي  
أصوات الطيور فتجتمع إليه فيصطادها. والمجلوز والجلواز: الشُرطي الذي يتصرف حول  
السلطان.

قوله: وليجة، أي مدخل، والوليجة: الموضع الذي يلج الإنسان فيه، أي يدخله

أو كهف يستتر فيه. القهقرة: الرجوع إلى خلف. ضلالة: الضلاله. المسعى: المشي بعجلة، أراد أن مشيه كان لغير فائدة. إمحال: يبوسة وجفوف. قوري: خيني من قبل أن أسكن. الغصص: جمع غصّة، وهي ما يختنق بها، وتجرعها صعب. أرائك: سرور مزينة. طنفس: بُسْط. ونمارق: مخاذ. سجوف: سُور. مرصوفة: مضمومة ملتصقة، وجعل البيت بهذه الأمتعة الكثيرة لأنه بيت عرس، فهي تستعدّ له، وإن كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدلّ على فقر، فإن الغرباء في البلاد يعلّقون مرقعاتهم في دهليز الفندق، وبيته في غاية الرفاهية، والدار المذكورة، إنما كانت فندقاً للفقراء الغرباء والمكّدين. والجالس في دهاليزها: خادم الفندق، وحين سأله عنها أخبره أنها ليس لها ربّ معيّن، إنما هي دار المكّدين والمحارفين. وقيل لأحد المكّدين: أتبيع مرقعتك؟ فقال: هل رأيت صائداً يبيع شبكته!

المُملِك: العروس. يميمس: يتبختر ويتبهنس، مثله في المعنى. حَقْدته: خدمه وأتباعه. ويقال: حَقْد العبد يحفد حَقْداً، إذا خدم. وفي الدعاء: «وإليك نسعى ونحفد»، أي نخدمك ونعمل لك، وقال الشاعر: [الكامل]

حَقْدَ الْوَلَانْدُ بَيْنَهُنَّ وَأَسْلَمْتُ بِأَكْفَهْنَ أَرْمَةِ الْأَجْمَالِ<sup>(١)</sup>

أبو عبيدة، يقال: حَفَد يحفد، وأحفد يُحفد، وفسر طائوس قوله تعالى: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، أي خدماً، فهو مطابق للغة، وفسره ابن مسعود رضي الله عنه بالأختان، وهو مطابق لما في المقامة، لأن المكّدين لا خدم لهم. وقال الفراء رحمه الله: الحَفْدَة: جمع حافد، ككامل وكَمَلَة.

### [المنذر ابن ماء السماء]

ابن السماء، الجوهرّي: ماء السماء لقب عامر بن حارثة الأزدي أبو عمرو مزّيقباء، الذي خرج من اليمن لما أحسن بسيل العرم، وسُمّي ماء السماء، لأنه كان إذا أجذب قومه مانهم، أي كفاهم مؤنتهم، حتى يأتيهم الخُصْب، فكانه خَلَفَ من ماء السماء. وقيل لولده: بنو ماء السماء، وهم ملوك الشام، والعرب تُسمّي أيضاً بني ماء السماء، لأنهم يعيشون بماء السماء، قال الأزهري رحمه الله: السّماوة ماء بالبادية، وكان اسم أم المنذر ماء السماء، فسَمّته العرب ابن ماء السماء.

وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ، وأمه ماء السماء، وهي امرأة من الثُمر بن قاسط، سُمّيت بذلك لجمالها. ولما ملك كسرى الذي اسمه قباذ بن فيروز، خرج في أيامه رجل يقال له مَزْدك، فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم، والأيمن أحد

(١) البيت للفرزدق في زيادات الطبعة الأولى من جمهرة اللغة ص ٥٠٤، الهامش، وليس في ديوانه، ولجميل بثينة في ملحقات ديوانه ص ٢٤٦، وبلا نسبة في لسان العرب (حفد)، وكتاب العين ٣/ ١٨٥.

أخاه ما يريده. فدعا قباذ المنذرَ ليدخل في هذا المذهب، فأَينف، وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس، فطرده قباذ من مملكته، ونفاه عن الحيرة. ودعا الحارث بن عمرو بن حُجَبر أكل المرار، فأجابه. وكان الحارث شديد الملك، فشدد له ملكه، وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوماً، فدخل عليه مَزْدك، فلما رآها قال لَقباذ: ادفعها إليّ لأقضي حاجتي منها. قال له قباذ. دونكها، فوثب إليه أنوشروان، فلم يزل يسأله أن يهب له أمه حتى قبّل رجله، فتركها له. فلما هلك قباذ: وتولّى أنوشروان، وجلس في مجلسه أقبل المنذر إليه، وأذن للناس، فدخل عليه مَزْدك، ودخل عليه المنذر، فقال أنوشروان: كنت أتمنى أمنيّتين، أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لي، فقال مَزْدك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف - يعني المنذر - وأن أقتل هؤلاء الزنادقة، فقال له مَزْدك: أو تستطيع أن تقتل الناس كلّهم؟ فقال: إنك لها هنا يا بن الزانية! والله ما ذهب نتن ريح جُوربك من أنفي، مذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا، وأمر به، فقتل وصُلب. وقتل في ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف، وصلّبهم، وطلب الحارث، فخرج هارباً بجميع ما معه، وأخذ المنذر في طلبهم، فأخذ من بني أكل المرار ثمانية وأربعين رجلاً، فضرب رقابهم وألحّ في طلب امرئ القيس، فلحق بالسموال. وتام القصة في الثالثة والعشرين.



قوله: الأحماء، أي الأختان. ساسان: شيخ المكدين، قال الفنجديهي: ساسان هو أستاذ المكدين ومقدّمهم، وواضع طرائقهم ومعلمهم. قال أبو الفتح إسماعيل بن الفضل ابن الإخشيد السراج المكدي في كتابه: حدثنا أبو بكر البطايرني المكدي، حدثنا محمد ابن علي بن أحمد الفقيه المكدي، حدثنا مليك بن صالح المكدي، قال: سمعت طرارة المكدي، قال: قال ساسان: ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ قلت: بلى، قال: هي الكدية.

وقوله: أستاذ الأستاذين، حدّث أحمد بن الحسن، قال: كنت عند أبي الحسن بن أبي الفضل، فدخل رجل فذكر أنه شاعر، فقال: الشعراء ثلاثة: شاعر وشُعور وشعرة، فأما الشاعر فالمفلق، والشُعور المستملح، والشعرة المستقلّ لرداءة شعره. والأستاذون ثلاثة: أستاذ في الدين كالعلماء والفضلاء، وأستاذ في الدنيا كالوزراء والعمال والولاة، وأستاذ لا دين عنده يتعلّم منه ولا دنيا ينتفع بها، كالحجّاج، يسمى أستاذاً والبناء والملاح، وبنو ساسان: ملوك الفرس.

قُدوة: مقدّم. الشحاذين: المكدين والشحاذ: الملحّ في المسألة، وشحذت السيف بالفتّ في صفاته. المبجل: المعظم، يقال: بجلّته تجبيلاً، أي عظّمته تعظيماً، مأخوذ من البجيل والبجال، وهو الرجل الضخم، وفي الحديث: «أصبتم خيراً تجبيلاً»، أي كثيراً

ضحماً. الأغز: المشهور لحسنه. المحجّل: الأبيض. شب: ترعرع ونشأ.

فأعجبَ رَهْطَ الصَّهْرِ ما أشارُوا إليه، وأذِنُوا في إخْضَارِ المنصوصِ عليه،  
فَبَرَزَ حينئذ شيخٌ قد أَمَالَ المَلَوَانِ قَامَتَهُ، ونَوَّرَ الفَتَيَانَ ثَغَامَتَهُ، فتباشرتِ الجماعةُ  
بإِقْبَالِهِ، وتبادرتْ إلى استقباله، فلَمَّا جَلَسَ على زُرْبَيْتِهِ، وسكنتِ الضوضاءُ  
لَهَبَيْتِهِ، اذْدَلَفَ إلى مَسْنَدِهِ، وَمَسَحَ سَبْلَتَهُ بيده، ثم قال: الحمد لله المبتدئ  
بالإفضال، المبتدع للثوال، المتقرب إليه بالسؤال، المؤمل لتحقيق الآمال،  
الذي شَرَعَ الزكاة في الأموال، وزَجَرَ عن نَهْرِ السَّوَال، وندبَ إلى مواساة  
المضطر، وأَمَرَ بإطعامِ القانع والمُعْتَر، ووصفَ عباده المقربين، في كتابه  
المبين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل  
والمحروم﴾ [الذاريات: ١٩].

أخمدَهُ عَلَى ما رَزَقَ من طُعْمَةٍ هَيَّيَةٍ، وأَعُوذُ بِهِ من اسْتِمَاعِ دَعْوَةٍ بلا نِيَّة.  
وأشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، إِلَهًا يَجْزِي المتصدقين والمتصدقات،  
وَيَمَحُقُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصدقات...



المَلَوَانِ والفتيان: الليل والنهار. وثغامته: شَعْرَتُهُ. نورها: بَيَّضُهَا. والثغام: نبت  
أبيض، وهو ضرب من البهيمى، منابته الجبال، إذا يَسَّ أبيضٌ بياضاً شديداً.  
أبو حنيفة: تنبت الثغامة خيوطاً طَوَالاً دِقَاقاً من أصل واحد، فإذا جَفَّتْ ابيضَّت  
كلها، وإذا أمحل الثغام، كان أشدَّ بياضاً، ويشبُّه به الشيب، قال المرار الفقعسي:  
[الكامل]

أعلاقُ أم الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المُخْلِيس<sup>(١)</sup>

وقال حسان رضي الله عنه: [الكامل]

إمّا نَرَى رأسي تَغْيِيرَ لَوْنِهِ شمساً فأصبح كالثغام المحول<sup>(٢)</sup>

(١) البيت للمرار الأسدي في ديوانه ص ٤٦١، والأزهية ص ٨٩، وإصلاح المنطق ص ٤٥، وخزانة  
الأدب ٢٣٢/١١، ٢٣٤، والدرر ١١١/٣، وشرح شواهد المغني ٧٢٢/٢، والكتاب ١١٦/١، ٢/  
١٣٩، ولسان العرب (علق) (ثغم)، (فنن)، وتاج العروس (علق)، (ثغم)، (فنن)، (ما) وبلا نسبة  
في الأضداد ص ٩٧، ووصف المباني ص ٣١٤، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٣/١، ومغني اللبيب  
٣١١/١، والمقتضب ٥٤/٢، والمقرب ١٢٩/١، وهمع الهوامع ٢١٠/١.

(٢) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص ٣١٠.

والثغام: مرعى، وتُغْلَفُ الخيل، وقال بشر وذكر الخيل: [الوافر]

فباتت ليلة وأديم يوم على البُهْمَى يَجْزُرُ لها الثغاما<sup>(١)</sup>

قوله: زُرْ بيته: طُنْفِستَه، والجمع الزرابي، وقيل هي الوسائد، وقيل الثياب الموشاة. والضوضاء: الأصوات. ازدلف: قُرِب. مسنده: موضع إسناده. سبَلته: لحيته، وقيل شاربه.

وهذه الخطبة التي ذكر، ليس فيها لفظ إلا وهو يتضمن إشارة للكدية.

قوله: المبتدع، أي الفاعل له قبل أن يفعل. التوال: العطاء. المؤمل: المرجو. شرع: فرض. ونَهَرَ السؤال، من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، وقال ابن عمران: [الكامل]

إِنَّ ابن آدم حين يلحِف سائِل  
والله إن يقصده عبد ملجِف  
فنقد من حَنَى عليه فينهره  
بسؤاله يدنيه منه ويشكره  
فالسائل الإله ولذُّ به لا تنسه  
فالله يذكر عبده إذ يذكره  
وقال أيضاً: [الرجز]

سؤالنا دعاؤنا للجنه  
مَنْ سأل منهم ويك أعطينه  
لهم علينا بالقبول مئه  
ولو بتمرة فواسيئه  
أو أجبل الرد لا تنهرئه  
وإن يكن يلحف فاعذرئه  
\* واذع له الله وصبرئه \*

قوله: نَذَب: أي دَعَا وحرَض. المضطر: الشديد الحاجة. القانع: المتذلل عند السؤال. والمعتز: المتعزّز للمعروف. والمحروم: الذي لا يسأل أحداً شيئاً وهو محتاج. طُعْمَة هنية: الكدية، لأنَّ فائدتها تحصل بلا تحمّل تكلف ولا مشقة. دعوة بلا نية: قولك للسائل: الله يعطيك ووسّع الله عليك ونحوه، وأنشدوا فيهم: [مجزوء الرمل]

ورجالاً ونساءً  
وِينات وَئُونا  
وإذا يدعى لهم يو  
مأ تراهم يغضبونا  
وقال آخر: [الطويل]

ألم ترني أبغضت ليلي وذكرها  
كما أبغض المسكين دعوة سائِله  
لأن السائل لا يطلب من المسؤول الدعاء، إنما يطلب ما يشيع الأعماء.

ومما يُستظرف من هذا ما حكى الأصمعي. قال: مرّ بي أعرابي سائلاً، فقلت له:

(١) البيت ليس في ديوان بشر بن أبي خازم.

كيف حالك؟ قال : أسأل الناس إلحافاً فيعطوني كُرْهاً، فلا يُؤَجِّرون على ما يعطوني، ولا يُبارك لي فيما آخذ، والعمر بين ذلك فان، والأجل قريب والأمل بعيد.

سأل أعرابي رجلاً يكنى أبا عمرو عند داره، فقال : يرزقك الله، فعاد إليه يوماً آخر فقال بمثل ما قال أمس وتحنح، ففلتت منه ضرطة، فقال الأعرابي : [الرجز]

إن أبا عمرو لمكبوس الوسط إذا سألناه تمطى وضُرطَ

\* إعطاؤه : يرزقك الله فقط \*

قوله : أشهد أن لا إله إلا الله، أي أعلم وأبين، ومنه : شهد الله، أي أعلم وبين أنه لا إله إلا هو، ومنه : شهد الشاهد عند الحاكم، أي بين له ما عنده وأعلمه الخبر. يمح : يزيل ويستأصل. الربا : الحرام وأصله الزيادة. ويُرَبِّي : يزيد ويكثر، أي يضعفها له.

\*\*\*

وأشهد أن محمداً عبده الرّحيم، ورُسُوله الكريم، ابتعته لِيَنْسَخَ الظُّلْمَةَ بالضياء، وَيَتَنَصَّفَ للفقراء من الأغنياء، فَرَفَقَ صَلَّى الله عليه وسلّم بالمسكين، وخَفَضَ جناحه للمُسْتَكين، وفَرَضَ الحقوق في أموال المُثْرين، وبَيَّن ما يَجِب للمُقِلِّين على المُكثْرين، صَلَّى الله عليه صلاة تحظيه بالزُّلْفَة، وعلى أَصْفِيائه أهل الصُّفَة. أما بعد : فإن الله تعالى شرع النُّكاح لتتَعَفَّقُوا، وسُنَّ التَّناسُلَ لكي تتضاعفوا، فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات : ١٣] وهذا أبو الذَّراج، ولأَج ابن خُزَّاج، ذو الوجه الوَقَّاح، والإفْك الصُّراح، والهَرِير والصُّباح، والإبرام والإلحاح، يخطب سَلِيطة أَهْلِهَا، وشريطة بَغْلَهَا؛ فَتَيْس بنت أبي العُتَيْس، لِمَا بَلَغَهُ من التَّحَاوِي بِإِلْحَافِهَا، وإسرافِهَا في إِسْفَافِهَا، وانكماشِهَا على معاشِهَا، وانتعاشِهَا عند هِرَاشِهَا. وقد بَدَّل من الصُّدَاقِ شِلَاقاً وَعُكَّازاً، وصِقَاعاً وَكَرَّازاً، فأنكحوه إنكاح مثله، ووصلوا حَبْلَكُمْ بحبله، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يَغْنِيْكُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الإسراء : ٢٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وأسأله أن يكثر في المصاطب نَسْلَكُمْ، ويحرس من المعاطب سَمْلَكُمْ.

\*\*\*

ينسخ : يزيل. المسكين : الضعيف الذليل. وخَفَضَ جناحه : ألان جانبه، فهو مثل للإشفاق والحنان، وأصله أن الطائر إنما يخفض جناحه على فراخه، ويُلَحِفُهَا به شفقة



عليها، قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]. واستكان: خَضَعَ وذَلَّ، وهو استفعل من كان، أصله استكُون، نقلت حركة الواو إلى الكاف، فانقلبت الفاء لتحركها في الحكم وانفتح ما قبلها فهي في الأصل كاستقام وبابه، أو يكون افتعل من السكون لأن الخاضع يقلل الكلام، وأصله استكن، فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله: [الرجز]

\* قلت وقد جرت على الكَلْكَالِ\* (١)

أراد الكلكل، وقال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لَهُمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنين: ٧٦] وأنشد أبو علي: [البيسط]

\* فَمَا اسْتَكَانُوا لَهَا لَأَقَى وَلَا خَضَعَا

قوله: المثرين: الأغنياء. الزلفة: القرية، يُقَرَّبُ بها إلى الله تعالى. أصفياه: أحبابه.

الصُّفَّة: تشبه: القبلة، والصُّفَّة كالسقيفة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ الغرباء يظعنون إليه من الجهات، وليس عندهم شيء، فيسكنون سقائف المسجد، فكان رسول الله ﷺ يحرض الناس على الصدقة عليهم، وكان يجلس لهم، فيعلمهم القرآن. وخضهم الحريري بالذكر لأنَّ لهم حالة يشبهون بها المُكْدِين؛ من لباس الخُلُقَان، والعيش من صدقات الناس؛ فهم يتأسون بأهل الصُّفَّة، ويجعلونهم حِجَّةً على مَنْ رَجَّهْم.

ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران: [البيسط]

السائلون عيال الله والمال لئـ	ه فابذله فيهم خاب مَنْ لُؤْمَا
فجذ على ثقة بالله من خلف	يا وبع مَنْ كان للرحمن متهماً!
واحذر من الرد إن الله يمقته	من غير عذر وشؤم الشخ قد عَلِمَا

الشعوب: جمع شعب، وهو أكبر من القبيلة. الدراج، كناه بذلك لكثرة حركته. ولأج: كثير الولوج على الناس للكدية. خراج: كثير الخروج في طلب رزقه، والولاج: الخراج الذي يُحسن الدخول في أموره والخروج منها، ويقال: فلان ولأج خراج، إذا كان متصرفاً في أموره نقاعاً لأولياته، ضراًراً لأعدائه. والإفك: سوء الكذب. الصُراح: الظاهر البين، يريد أنه إذا وصف حالته في كذبه لا يتكلم إلا بالكذب. الهريز: كثرة

(١) يروي الرجز بتمامه:

أقول إذ خُرْتُ على الكلكال ياناقتما مجلَّت من مجال

وهو بلا نسبة في الإنصاف ص ٢٥، والجنى الداني ص ١٧٨، ووصف المياني ص ١٢، وشرح الأشموني ٤٨٥/٢، ولسان العرب (كلل)، والمحاسب ١٦٦/١، وتهذيب اللغة ٦٦٥/١٥، وجمهرة اللغة ص ٢٢٢، وتاج العروس (كلل).

الصياح والشرّ، وهرير الكلب: صوته دون نُباحه من قَلّة صبره على البرد. والإبرام: الإفتقال والإضجار، يريد أنه يوالي الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصّدقة حتى يفتدوا منه. والإلحاح: المداومة والإكثار من السؤال.

وقدم الحطيئة المدينة في سنة مجدبة، فمشى أشرافها بعضهم لبعض، خوفاً من لسانه، وقالوا: قدم علينا هذا الرجل، وهو يأتي الشريف متاً، فإن أعطاه جَهْد نفسه، وإن حرّمه هجاه، فجمعوا له بينهم أربعمئة دينار فأتوه، فقالوا: هذه صلة آل فلان، وهذه صلة آل فلان، فأخذها، وظنوا أنهم قد كفّوه المسألة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول: مَنْ يحملني على بغلَيْن كفاء الله كيّة النار.

السّليطة: الحديدية اللسان، وقد سلّطت فهي سّليطة. شريطة: موافقة بعلمها، أي زوجها، أي جاءت على شرط زوجها، فهي مثله في خصالها كلّها. قُنيس: اسمها، وهو من القُبس، وهي الشعلة، كأنها لحدّتها شعلة نار تحرق ما مرّت به. عنبس: من العبوس، ونونه ونون قنيس زائدتان. التحافها: ارتدائها والتوائها فيه. إلحافها: إلحاحها في السؤال. إسفافها: تساقطها على ما تجمع من الناس، والإسفاف: التّثبّع لمداق الأمور، والإسفاف: الدخول في الأمر الدنيء، وقد أسفّ: تعرّض للأمر الدنيء. انكماشها: انحفاؤها واجتهادها. انتعاشها: قيامها وارتفاعها. هراشها: مشارّتها لقرباتها، والمهراشة أصلها للكلاب، وهي أن يترافع الكلبان ويتباحا، ويعضّ كل واحد صاحبه، فجعل مدافعتها عند الشرّ لأقرانها ومضارّتها كالهراش للكلاب، ولا تكمل عندهم نجابتها، حتى تفوق أقرانها في الشرّ والسّبّ بالقبائح وضرب الكفّ على ذلك، وإلا فهي ناقصة. بذل: أعطى. شلاقاً: ثوب مرقع، وليس بعربيّ، وقيل هو شبه المِخلّة، وقيل هو خريطة تُجعل فيها كِسْر الخبز. عَكَازاً: عصا تُقرّع بها الأبواب، وتضرب بها الكلاب. صِقَاعاً: خرقة بالية تجعلها على رأسها. كِرَازاً: إناء تعلّقه في ذراعها، تجعل فيه الصدقة. وقيل: الكِرَاز إناء لشرب الماء، وتسمّيه عامتنا الكرازة، فكان صداق هذه المرأة ثوباً مرقّعاً تلبسه للكدّية. وخرقة بالية لرأسها وعصا تُقرّع بها الأبواب، وإناء إما أن تجعل فيه ما يَدِقّ من الصدقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكدّية، والكِرَاز هو الخُرْج، والكِرَاز: كبش يَحْمِل عليه الراعي أدواته. عَيْلة: فقرا. شملككم: عددكم. المعاطب: المهالك.

وخطأ أبو محمد في الدرة من يذهب من الخواصّ بالعيّلة إلى العيال، وقال: إنما العيّلة الفقر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] وتصريف الفعل منه عال يَعِيل فهو عائل، والجمع عالة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، وفي الحديث: «لأن تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تتركهم عالة يتكففون الناس». وأما الذين يعالون فيهم عيال، واحدهم عَيْل كعجيد وجياد، وجمع عيال على

عياثل كركاب وركائب، وأعال فهو معيل: كثر عياله، وعالهم يعولهم. وفي الحديث: «ابدأ بمن تعول»، ومن كلام العرب: والله لقد علّت حتى علت أي صنت عيالي حتى افترقت. وأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذُنَىٰ أَنْ لَا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٨] فمعناه ألا تجرّوا. وقال بعض العرب لحاكم حكيم عليه بما لم يوافقه: والله لقد علّت عليّ في الحكم، أي جرت، ومنّ فسر في الآية ﴿تَعُولُوا﴾ أنّ معناه تكثّر عيالكم فقد وهّم.



### [عهد الصابي في التطفيل]

وإذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية، وقد قدّمنا أن ابن همام في هذه المقامة طفيليّ، فنذكر هنا العهد الذي كتب الصابي بأمر معز الدولة لمحمّد بن فريعة الطفيليّ ببغداد، وقد استخلفه على التطفيل؛ فإن هذا العهد يوافق خطبة المقامة في كثير من أغراضها.

وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن إلى الفضل بن النعمان، حين استخلفه على سُنّته، واستنابه على حياطة رسومه وسنّته؛ من التطفيل على أهل مدينة السلام، وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها، وما يجري معها من سوادها وبياضها وأطرافها، لما توسّم فيه من قلة الحياء، وشدة اللقاء، وكثرة اللقم، وجودة الهضم.

وأمره أن يتوسّم اسم التطفيل ومعناه، ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفّحه تصفّح الباحث عن حظه بمجهوده، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده، فإنّ كثيراً من الناس قد نسب صاحبه للشُرّه والثُّم، وحمله على الجشع والقرم، فمنهم من غلط في استدلاله، فأساء في مقاله، ومنهم من شخّ بماله، فدفع عنه باحتياله، وكلا الفريقين مذموم، وجميعهما مُليم ملوم، ولا يتعلقان بعذر واضح، ولا يتعرّيان من لباس فاضح. وقد عُرِفَت يا أخي بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل، لأن التطفيل مشتق من الطُفْل، وهو وقت المساء وأوان العشاء، فلما كُثِر استعمل في صدر النهار وعجزه، وأوله وآخره، كما قيل: القمران للشمس والقمر، وكما قيل العمران لأبي بكر وعمر.

وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بعراياه، ويسط الأمر بسراياه، فإنه يظفر من إرادته بالغنيمة الباردة، ويصل بها إلى الغريبة الشاردة. فيجد بها من ظرائف الألوان، المملّذة للسان، وبدائع الطعوم، السائغة في الخُلُقوم، ما لا يجده عند غيرهم، ولا يناله إلا لديهم، لجذّق صناعتهم وجودة أدواتهم، وخضب ناديبهم، وكثرة ذات أيديهم؛ والله يوفر من ذلك حظنا، ويُسدّد نحوه لحظنا، ويوضّح عليه دليلنا، ويسهل إليه سبيلنا.

وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده، ويستدعي بالتلف نائله ورفده، وكثيراً ما يتفق ذلك للمداخلين، ويتيسر للمتوصّلين.

وأمره أن يصادق قَهَّارمة الدور ومدبريها، ويرافق وكلاء المطابخ ومُديرِها، فإنهم يملكون من أصحابهم أزمّة مطاعمهم ومشاربهم.

وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين؛ فإذا رأى وظيفة قد زيد فيها، أو أطعمة قد احتشد منها، أتبعها إلى القصد بها، وشيئها إلى المنزل الحاوي لها، واستعلم ميقات الدعوة، ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة.

وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين، ومحافل الرّعا المقتربين، وألا ينقل إليها قدما، ولا يغفر لمأكلا فمّا، فإنها عصابة تجتمع على مضض الثقوس والأحوال. وقلة الأحلام والأموال، وفي التطفيل عليها إحجاف بها يؤلم وإزاء بمرودة التطفيل يثلم.

وأمره أن يحوز الخوان إذا حصل، والطعام إذا نُقل، حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الألوان في الكثرة والقلة، واقتنائها في الطيب واللذة، فيقدّر لنفسه أن يشبع مع آخرها، وينتهي عند انتهائها، فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها، ولا يخطئه الحظ من دقيقتها وجليلها. ومتى أحسن بنقلة الطعام وحجره، أمعن في أوّله إمعان الكيس في سعيه، والرشد في أمره، فإنه إذا فعل ذلك سلم من عواقب الأغمار الذين يكفون طرفا، ويقولون تأدبا، ويظنون أن المائدة تُبلّغهم إلى آخر حاجتهم، وتنتهي بهم إلى حد غايتهم، فلا يلبثون أن يخلجوا خجلة الوامق الراغب، وينقلبوا بحسرة الراهق الخائب.

وأمره أن يروض نفسه، ويغالط جسّه، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا، ويطوي دونه كشحا، ويستحسن الضمّ عن الفحشاء، ويغمض عن اللقمة الخشناء، وإن أته الوكزة في حلقة، صبر عليها لأجل الوصول إلى حقه، وإن وقعت الصفعة في رأسه، عض عليها بمواقع أضراره، وإن لقيه لاق بالجفاء، قابله باللطف والصفاء، إذا كان ولج الأبواب، وخالط الأصحاب، وجلس مع الحضور، واختلط بالجمهور، فلا بد أن يلقاه المنكر لأمره، ويمرّ به المستغرب لوجهه، فإن كان حرا حسنا أمسك وتذمّم، وإن كان فظا غليظا همّم وتكلّم. وأن يستعمل مع المخاطب له الملاينة، وأن يجتنب عند ذلك المخاشنة ليرد غيظه ويقلّ حده، ويكفّ عزّه ويأمن سعيه. وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدة للعدد، والمقوية للمعد، المشهية للطعام، المسهلة سبيل الانهضام، وأن يكون في اتخاذها كالكاّتب الذي يخطّ أقلامه، والفارس الذي يصفّل حسامه.

وأمره إذا غشي أبواب الملوك وأهل السلطان، أن يصانع البوّاب والحجاب ويخدم القوّاد والكتّاب، فإذا دخل السواد الأعظم، توسط الجمع لا يتأخّر ولا يتقدّم، بعد أن يجمّل ثيابه، ويحسن كلامه وجوابه، فطعام الأمراء تُدعى إليه الحفلاء احتفالا، ويُتكفل بالوفود على العموم اكتفالا.

فهذا العهد مطابق لأحوال هذه المقامة.

## [من الخطب الهزلية]

ومما يتصل بخطبة المقامة من الخطب الهزلية ما حدثوا:

أن رجلاً خطب إلى قوم، وجاء يخطب، فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله فأطال، ثم ذكر خلق السموات والأرض واقتصر، ثم ذكر القرون حتى ضجر مَنْ حضر، ثم التفت إلى الخاطب فقال: ما اسمك أعزك الله؟ فقال: والله قد نسيت اسمي من طول خطبتك، وهي طالت ثلاثاً إن تزوجتها بهذه الخطبة. فضحك القوم وعقدوا له في مجلس آخر.

أنكح خالد بن صفوان عبده أمته، فقال له العبد: لو دعوت الناس فخطبت. قال: ادعهم أنت، فدعاهم، فلما اجتمعوا تكلم خالد، فقال: إن الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين، وأنا أشهدكم أنني قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية. خطب مُصعب بن حيان خطبة نكاح، فحصر فقال: لقنوا موتاكم «لا إله إلا الله». فقالت له الجارية: عَجِّل الله موتك، ألهذا دعوناك!

خطب ثقیل في تزويج فأطال، فقام واحد من القوم، وقال: إذا فرغ الثقیل، بارك الله لكم، فإن عليّ شغلاً أريد المبادرة فيه. وخطب رجل امرأة، فجعل يخطب ويُعِظ، فضرب رأس ذكره بيده وقال: مَهْ! إليك يُساق الحديث.

\*\*\*

فلما فرغ الشيخ من خطبته، وأبْرَمَ لِلْحَتَنِ عَقْدَ خُطْبَتِهِ، تَسَاقَطَ مِنَ الثَّارِ مَا اسْتَعْرَقَ حَدَّ الْإِكْثَارِ، وَأَغْرَى السَّجِيحَ بِالْإِثَارِ. ثم نهض الشيخ يَسْحَبُ دَلَاذِلَهُ، وَيَقْدُمُ أَرَاذِلَهُ.

قال الحارث بن هَمَام: فتبعته لأنظر عُزْجَةَ القوم، وَأَكْمِلَ بَهْجَةَ اليوم. فعاج بهم إلى سِمَاطِ زَيْنَتِهِ طُهَاثِهِ، وَتَنَاصَفَتْ فِي الْحُسْنِ جِهَاتِهِ. فَحِينَ رَبَعَ كُلُّ شَخْصٍ فِي رِبْضِيهِ، وَطَفِقَ يَزْتَعُ فِي رَوْضَتِهِ، انْسَلَلْتُ مِنَ الصَّفِّ؛ وَفَرَرْتُ مِنَ الزَّحْفِ فَحَانَتْ مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةٌ إِلَيَّ، وَنَظَرَةٌ هَجَمَ بِهَا طَرْفُهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ يَا بَرَم؟ هَلَا عَاشَرْتَ مُعَاشِرَةً مَن فِيهِ كَرَم! فقلت: وَالَّذِي خَلَقَهَا طِبَاقًا، وَطَبَقَهَا إِشْرَاقًا لَا ذَقْتُ لَمَاقًا، وَلَا لُسْتُ رُقَاقًا، أَوْ تَخْبِرْنِي: أَيْنَ مَدْبُ صِبَاكَ، وَمَنْ أَيْنَ مَهَبُ صِبَاكَ؟ فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ مَرَارًا، وَأَرْسَلَ الْبُكَاءُ مِذْرَارًا، حَتَّى إِذَا اسْتَنْزَفَ الدَّمْعُ، اسْتَنْصَتَ الْجَمْعُ، وَقَالَ لِي: أَرَعِنِي السَّمْعُ.

\*\*\*

قوله: أبرم، أي أحكم وسدّد والحَتَن: وليّ الزوجة مثل الأب والأخ وابن العم،

فهم الأختان، وكل شيء من قبل الزوج، فهم الأحماء، واحدهم حمًا مثل قفًا، وحمو مثل أبو، وحمد مهموز، والأصهار تجمعهم.

والخطبة: مراسلة المرأة للزوج. والنثار: ما نُثر عليه من الدراهم، وقد نثرت الشيء نثرًا إذا رُميت به متفرقًا، وأصحابُ الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدراهم ما أمكنه، فتُجمَع ويُشترى منها أنواع الأطعمة، ولذلك قال: أغرى الشحيح بالإيثار: أي حرّضه على أن يتكرّم. واستغرق: جاوز. وحذث ابن قتيبة عن أبي عثمان، قال: مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون، فسألت بعضهم: ما جمعهم؟ فقال: هذا سيد الحي تزوج من فتاة، فتكلّم الشيخ فقال: الحمد لله ﷺ أما بعد؛ فإن الله جعل المناكحة - التي رضيها فعلا، وأنزلها حياً - سبب المناسلة، وإن فلاناً ذكر فلانة، وبذل لها من الصّدّاق كذا، وقد زوّجته إياها، وأوصيته بوصية الله فيها، ثم قال: هاتوا ينّاركم، فقلّبت على رؤوسنا غرائر التمر.

قوله: ذلّذله، أي أطراف ثوبه، والذلّذل: ما يلي الأرض من أسفل القميص، أرّذله: جمع أرذل، وهو الدنيء، والرّذّل والمرذّل والرّذيل: الدّون. والرّجّة: التعريج، ويقال: ما عليه رّجّة ولا تعريج، أي إقامة. وبهجة الشيء: حسنه ونضارته. وعاج: مال. والسّماط: كل مُستَوٍ على نسق، وصُفّ الناس سباط وأراد به المائدة. والطّهاة: الطّباخون من النّاس. تناصفت: اعتدلت، وأنصف كل جزء منها صاحبه، والتناصف: اعتدال الحسن. رّبع: جلس، يقال: رّبع بالمكان: أقمت به، وربعت الحجر: رفعته باليد، لأنظر شدتي. وربّع: وقف وتحبس. ربضته: موضعه الذي يقعد فيه، والرّبضة: القطعة الغليظة من الثريد. يرتع: يأكل، وفلان يرتع، أي هو مخصب لا يعدم شيئاً يريده. الروضة: موضع العشب، وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام. الرّحف: الضرب والثوب إلى الشّر، وأراد أنه لما جلس كل إنسان أن يأكل خشّي هو إن جلس للأكل أن يغرم ويشتهر بأنه طفيليّ، فيحتاج أن يتدافع، وأن يتواثب مع صاحب الحانوت في ثمن ما أكل، ففرّ من ذلك. والزحف: مشي الأعمى. لفته: نظرة بالتواء، كأنه يلوي عنقه فينظر، ولفت إليه لفتاً والتفت: صرف وجهه إليه. وهجم: دَخَلَ عليه بغتة. بُرم: بخيل، وهو الذي لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم. والمعاشرة: ترك المخالفة في الصحبة. طباقاً: جمع طبق، أي هي طبق فوق طبق، يعني السماء. وطبّقها: ملأها وعمّها، يقال: طبّق الغيم تطبيقاً إذا أصاب بمطره جميع الأرض. إشراقاً: نوراً وضوءاً. لَمّاقاً، الأصمعي رحمه الله: هو ما يُشرب، فإن أردت نفيه، قلت: ما ذقت لَمّاقاً، وأنشد: [الوافر]

كسبري لاح يُعجب مَنْ رآه ولا يشفي الحوائث من لَمّاق<sup>(١)</sup>

(١) البيت لهشل بن حري في ديوانه ص ١١٧، ولسان العرب (ذوق)، (لمق)، وتاج العروس (لمق)، =

الحوائث: العطاش، وحكى يعقوب أن اللَّماق يَصْلُح في الأكل والشرب، قال ابن كيسان: هو الشيء اليسير من الطعام والشراب.

لست رُقَاقاً: أكلت خبزاً مرققاً، واللُّوس: تتبع بقية الشيء الحلو في فمك. ابن سيده: لاس لُوساً: تتبّع الحلاوة، فأكلها، وما ذاقَ لُوساً ولا لُواساً، أي ذواقاً، ولا يلوس كذا، أي لا يتناوله.

أو تخبرني: حتى تخبرني. أين مدبّ صَباك، يريد أين ولدت فديبت صغيراً. مهبّ صَباك: مجيء ريحك، وأراد أين بلدك. الصَّعداء: التنفس بتوجّع وهي من فعل المهموم. استنزف الدمع: استفرغه بالبكاء حتى انقطع، ونزف وأنزفه: أفناه بالبكاء، واستنصت: أمرهم بالسكوت.

\*\*\*

[الرمل]

وَيْهًا كُنْتُ أَمْوُجُ	مَسْقَطُ الرَّاسِ سَرُوجُ
كُلُّ شَيْءٍ وَيَرْوُجُ	بِلْدَةٌ يَوْجَدُ فِيهَا
وَصَحَارِيهَا مُرُوجُ	وَزُدُّهَا مِنْ سَلَسَبِيلِ
يَهْمُ نَجُومٌ وَيَرْوُجُ	وَبُئُوهَا وَمَغَانِ
هَآؤُمْرَاهَا الْبَهِيحُ	خُبْدًا نَفْحَةٌ رَيَّا
حِينَ تَنْجَابُ الثَّلُوجُ	وَأَزَاهِي رُزْبَاهَا
جَنَّةُ الدُّنْيَا سَرُوجُ	مَنْ رَأَاهَا قَالَ مَرَّسَى
زُقَرَاتٌ وَنَشِيحُ	وَلَمَنْ يَنْزَاخَ عَنْهَا
رَزَحْنِي عَنْهَا الْعُلُوجُ	يُمْلُ مَا لَا قِيْتُ مُذْ زَخُ
كَلَّمَاقَرَيَّ يَهِيحُ	عَبْرَةٌ تَهْمِي وَشَجْوُ
خَطْبُهَا خَطْبُ مَرِيحُ	وَهَمُومٌ كُلُّ يَوْمِ
قَاصِرَاتُ الْخَطْوِ عَوْجُ	وَمَسَاحُ فِي التَّرَجِّي
حُمَّ لِي مِنْهَا الْخَرْجُ	لَيْتَ يَوْمِي حُمَّ لَمَّا

مَسْقَطُ الرَّاسِ، يريد الموضع الذي سقط فيه رأسه عندما وِلِدَ. أموج: أنصرفت وأتحرك، والمائج: المضطرب. يروج: يتعجل. وردها: ماؤها. السلسبيل: عين في

= وتهذيب اللغة ١٧٩/٩، وديوان الأدب ٣٨١/١، وجمهرة اللغة ص ٩٧٤، وأساس البلاغة (لحق)، وجمهرة الأمثال ٢٣/١، ومجمع الأمثال ٤١/١، ولكعب بن جعيل في المستقصى ٢٢٣/٢، وبلا نسبة في مجمل اللغة ٢٥١/٤، والمخصص ١٠١/٩، ٢٤٩/١٣، ومقاييس اللغة ٥/٢١٢.

الجنة، والسلسيل الخمر. والمروج: المواضع الخصبة. مغانيهم: منازلهم. والبروج: منازل القمر، وأراد أنهم في الحسن والرفعة كالنجوم، وأن دورهم في العلو والاستواء كالبروج.

وسبقه الحلواني القيرواني إلى هذا التشبيه، فقال يتشوق إلى القيروان بعد خرابها: [الخفيف]

ليْتَ شعري وليت حرف تمنُّ      رُبَّما علل الفؤاد السَّقِيمَا  
كيف يا قَيروان حالكَ لَمَّا      نشر البين سلَكُكِ المنظوما  
كنتِ أم البلاد شرقاً وغرباً      فمحا الدهر وشيْكَ المرقوما  
نحن أولادها ولكنَّ عَقَقْنَا      بعد أن لم نُطِقْ بها أن نقيما  
دِمْنُ كانت البروج وكُنَّا      أمراً في قبابها ونُجوما

وقال السريّ يتشوق إلى الموصل وكان بحلب: [الكامل]

أَمَحَلَّ صَبُوتنا دعاء مشوقٍ      يَرْتَاح منك إلى الهوى الموموقِ  
فمتى أزورُ قباب مشرفة الذِّرا      فأدور بين النُّسر والعَيوقِ  
وأرى الصَّوامع في غوارب أَكْمُها      مثل الهوادج في غوارب نُوقِ  
محَمَّرة الجُدرانِ ينتح طيْبُها      فكأَنَّها مَبْنِيَّةٌ بخُلُوقِ  
خُمْراً تلوح خلالها بيض كَمَا      فُضِّلَت بالكافور بين عقيقي  
كلف تذكّر قبل ناهية التَّهى      ظلّين: ظلّ هوى وظلّ حديقي  
فتفرّقت عِبْراته في خذه      إذ لا مجير له من التفريقِ

وقال الثعالبي: ما نظرت إلى الصوامع مذ برزت من نيسابور إلا ذكرت بيته، فأرى الصوامع، واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته.



قوله: نفحة ريّاها، أي حركة رائحتها الطيبة. مرآها البهيج: منظرها الحسن، وأزاهير رُباها: أنوار كذاها، وهي جمع أزهار، وأزهار جمع زهر، وهو الثور. تنجاب: تزول.

ثم قال: سَرُوج هي الموضع الذي أرسدت به جنة الدنيا، أي ثبتت فيه فكأنه قال: جنة الدنيا هي سَرُوج. وسَرُوج هذه بلد بقري وعمارات، وهي من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة، والجزيرة انقسمت قسمين: ديار ربيعة وديار مضر، وسَرُوج من كور ديار مضر، وهي ثغرية إذا كان للمسلمين قوّة يملكونها، وإذا ضعفوا غلبهم الروم، عليها وهي كثيرة الثلج والبرد.



قوله: ينزاح: يبعد. النشيج: البكاء. والزفرة: تنفّس المهموم. زحزحني: نُحاني. تهمني: تسيل. شَجُو: حزن. قَرّ: سكن. يهيج: يتحرك. خطبها: أمرها مَريج: مختلط. مساع: مواضع تصرفه، ويكون المسعى مصدراً بمعنى السعي. قاصرات، أي قصيرة، وكذا استعمالها لأن فعلها قصر، واسم فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف. الخَطُو: جمع خطوة. عوج: مغوّجة. يومي حمّ، أي يوم موتي قدر، أراد: ليت أني مت ولا أرى خروجي منها.

أنسى رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «لا يتمنّين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بدّ فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي: وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»<sup>(١)</sup>. جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تمنّوا الموت فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد، وأن يرزقه الله الإنابة»<sup>(٢)</sup> وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها، قال الحصريّ الأعمى يتشوق إلى القيروان: [البسيط]

أيا سقى الله أرض القيروان حياً      كأنه عبراتي المستهلأث  
فإنما لذة الجنات تربتها      مسكية وحصاها جوهريات  
أرض أريضة، أقطار مباركة      لله فيها براهين وآيات

وحديثي الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة، أيام قراءتي عليه النوادر والكمال، وكان رحمه الله ذاكرةً بالطريقة الأدبية، مع تميّزه بالطريقة الفقهيّة، فدارت بيني وبينه في إحدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون أدبيات، فاهتزّ رحمه الله، وهشّ، وأظهر السرور بي - وأنا يومئذ غلام ما بقلّ عذاري - فقال: لقد علمت أن بيني وبينك أخوة، قلت: وكيف ذاك يا سيدي؟ فقال: إني ولدت ببلدك شريش؛ فزدت بالحديث غبطة، واستزدت منه، فقال لي: ومع ذلك فثُمَّ قصة مستظرفة:

اعلم أني كنت اجتزت بشريش قافلاً من العُدوة، مع الفقيه أبي بكر عبد الله بن العربيّ رحمه الله. فلما صرنا في بطاحها، وبين كُرّماتها وجنانها، أخذ الفقيه أبو بكر يشي عليها بكلّ لسان، على كثرة ما رأى من البلدان، ويقول: إن الأشياء التي جمعت فيها لا تكاد تجتمع في بلدة، من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك، فقلت له: أعلمت أني ولدت بها؟ فقال لي أبو بكر: أتقول أنت الآن: [محزوء الرمل]

\* مسقط الرأس شريش \*

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣٠، وأبو داود في الجنائز باب ٩، والترمذي في الجنائز باب ٣، وابن ماجه في الزهد باب ٣١، والنسائي في الجنائز باب ١، وأحمد في المسند ١٠١/٣، ١٠٤، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٧، ٢٨١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٣.

فقلت له مجيزاً : [مجزوء الرمل]

\* وبها كنت أعيش \*

فقال أبو بكر : [مجزوء الرمل]

\* بلدة يوجد فيها \*

فقلت : [مجزوء الرمل]

\* كل شيء ويريش \*

فقال أبو بكر : [مجزوء الرمل]

\* وزدها من سلسبيل \*

فقلت : [مجزوء الرمل]

\* وصحاريها عريش \*

ثم سرنا في طريقنا على قوافي السروجية، فرددناها شريشية، وقطعنا بها الطريق ونحن لا نشعر، فكانت أسر عشية رأيت، بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بستتين، يحدثني عن ابن عربي وابن عبدون الكاتب ونظرائهم، في رياض كلها نزهة على نهر إشبيلية، وهي أمامنا على بهجتها وجمالها، مادحاً لي ولبلدي، ليدخل علي بذلك المسرة، نسأل الله أن يبلغه غاية السرور في دار البقاء.

\*\*\*

قال : فلما بين بلدته، ووعيت ما أنشده. أيقنت أنه علامتنا أبو زيد، وإن كان الهرم قد أوثقه بقيد. فبادرت إلى مصافحته، واغتنمت مواصلته من صفحته، وظلت مدة مقامي بمصر أعشوا إلى شواطئه، وأخشو صدقتي من دُرِّ الفاظه، إلى أن نعب بيننا غراب البين، ففارقته مفارقة الجفن للعين.

\*\*\*

قوله : وعيت، أي حفظت. علامتنا : عالمنا المشهور بالعلم. أوثقه : ربطه وشده، وقد تقدم هذا القبيل من الهرم في أخبار وأشعار حسان، مصافحته : معانقته ووضع كفي على كفه.

ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : «أيما امرئ يَصَاحُ أخاه ليس في صدر واحدٍ منهما على أخيه إخنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله لهما ما مضى من ذنوبهما»<sup>(١)</sup>.

الإخنة: الحقد.

اغتنمت: حسبتهَا غَنِيمة. مؤاكلته: الأكل معه.

ابن عمر رضي الله عنهما: طعام السخيّ دواء، وطعام الشحيح داء.

ظَلْتُ، أي دمت، قال تعالى: ﴿الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، أي دُمْتُ عليه مقيماً. قال سيبويه رحمه الله: أصله: ظَلِلْتُ. الليث: يقال: ظلَّ نهاره صائماً. ولا تقول العرب: ظلَّ إلا لكلَّ عملٍ بالنَّهار، كما لا تقول: بات إلا للعمل بالليل. أغشَوْ: أنظر ببصرٍ ضعيف. شواظه. ناره، والشواظ لهبُ النَّارِ الذي لا دخان فيه. صَدَقْتِي: أذني. نعب: صاح. البئين: الفراق، والغراب إذا صاح عندهم تشاءموا به، وقد تقدّم ذلك. مفارقة الجفن للعين، أي مسرعاً بقدر ما تفتح عينك.

## المقامة الحادية والثلاثون

### وهي الرملية

حكى الحارث بن همام قال: كنت في عُقُفَوَانِ الشَّبَابِ، وَرَيَعَانِ العِيشِ  
اللَّبَابِ، أَقْلَى الاكْتِنَانِ بالغَابِ، وَأَهْوَى الانْدِلَاقِ مِنَ الْقِرَابِ؛ لِعِلْمِي أَنَّ السَّفَرَ،  
يَنْفُجُ السُّفْرَ، وَيُنْتِجُ الظَّفَرَ، وَمُعَاقَرَةُ الْوَطَنِ تَغْفِرُ الْفِطْنَ، وَتُخَفِّرُ مِنْ قَطَنِ،  
فَأَجَلْتُ قِدَاحَ الاسْتِشَارَةِ، وَافْتَذَحْتُ زِنَادَ الاسْتِخَارَةِ، ثُمَّ اسْتَجَشْتُ جَاشَأَ أَثْبِتَ  
مِنَ الْحِجَارَةِ. وَأَضَعَدْتُ إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ، فَلَمَّا خَيَّمْتُ بِالرُّمْلَةِ،  
وَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا الرُّحْلَةِ، صَادَفْتُ بِهَا رِكَاباً تُعَدُّ لِلْسُرَى، وَرِحَالاً تُشَدُّ إِلَى أُمِّ  
الْقُرَى.



عُقُفَوَانِ وَرَيَعَانِ، معناهما أول. اللباب: الخالص. ألقى: أبغض. الاكتنان:  
الاستتار والإقامة في الكِنِّ. والغاب: الشجر المتلف، وهو بيت الأسد، وأراد به  
بلدته، وأنه كان يَكْرَهُ الإقامة بها ويحبُّ السفر. أهوى: أحب. الاندلاق:  
الخروج بسرعة وسهولة. والقِرَابِ: وعاءٌ يُجْعَلُ فِيهِ السيف، وهو غمده. السُّفْرُ:  
جمع سُفْرَةٍ، وهي التي يجعل فيها الخبز ويضم عليها بَحْلَقٌ، وتستعمل في  
السُّفْرِ. يُنْفُجُ: يُكْثِرُ، أي تكثر المأكولات في السفر فتنفج به. يُنْتِجُ: يُولَدُ.  
الظَّفَرُ: الفوز بالحاجة. معاقرة الوطن: ملازمة بلد الإنسان. تعقير الفِطَنِ: تميت  
القلوب وتبليد الأذهان. قطن: سكن وأقام، فيريد أن الإقامة في بلد الإنسان  
تُخَفِّرُ شأنه وتبليدُ خاطره.

### [الوطن ومما قيل فيه شعراً]

قال الشاعر: [الكامل]

لم يخش فقراً مُنْفِقٌ من صَبْرِهِ	أنْفِقُ من الصَّبْرِ الجميل فإنه
كالصُّفْرِ ليس بصائد في وَكْرِهِ	والمرء ليس ببالغ في أرضه
	وأُنشد الفَنَجْدِيَّهِي: [مجزوء الكامل]

نَقْل رِكَابِكَ فِي الْقَلَا  
فَمَحَالِفُو أَوْطَانِهِمْ  
لَوْلَا التَّغَرُّبُ مَا ارْتَقَى  
وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَصَاحِبِ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، وَلَمْ يُوَدِّهِ الرِّخَاءَ مَرَّةً وَالشَّدَّةَ أُخْرَى،  
وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الظَّلِّ إِلَى الشَّمْسِ، فَلَا تَرْجُهُ. وَتَقْدُمُ مِثْلَ هَذَا فِي النَّاسَةِ.

وقال أبو العباس الأعمى: [البسيط]

مَلِلْتُ حَمَصَ وَمَلَّتْنِي فَلَوْ نَطَقْتُ  
وَسَوَّلْتُ لِي نَفْسِي أَنْ أَفَارِقَهَا  
أَمَا اشْتَفْتِ مِثِّي الْأَيَّامَ فِي وَطْنِي  
وَلَا قَضَتْ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ حَاجَتَهَا  
كَمَا نَطَقْتُ تَلَاخِينًا عَلَى قَدَرِ  
وَالْمَاءِ فِي الْمَزْنِ أَصْقَى مِنْهُ فِي الْغُدْرِ  
حَتَّى تَضَاقِقَ بِي مَا عَزَّ مِنْ وَطْرِي  
حَتَّى تَكْرُرَ عَلَى مَا كَانَ فِي السُّفْرِ

وقال البحرني: [الطويل]

وَلَيْسَ اغْتِرَابِي مِنْ سَجِسْتَانٍ أَتْنِي  
وَلَكُنِّي مَالِي بِهَا مِنْ مُشَاكِلٍ  
عَدِمْتُ بِهَا الْإِخْوَانَ وَالذَّارَ وَالْأَهْلًا<sup>(١)</sup>  
وَلِإِنَّ الْغَرِيبَ الْفَرْدَ مَنْ يَعْدَمُ الشُّكْلَا

ولأبي الفتح البستي عفا الله عنه: [الكامل]

مَا أَنْصَفْتُ بَغْدَادَ حِينَ تَوَحُّشْتُ  
لَمْ يَزَعْ لِي حَقُّ الْقَرَابَةِ بُخْتُرُ  
لَنْزِيلِهَا وَهِيَ الْمَحَلُّ الْأَنْسُ<sup>(٢)</sup>  
فِيهَا وَلَا حَقُّ الْمَرْوَةِ فَارُسُ  
وَتَعَقَّبَ عَلَيْهِ الْمَعْرِي فِي هَذَا فَقَالَ فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِي

القاضي: [البسيط]

ذُمُّ الْوَلِيدُ وَلَمْ أَذْمَمْ جَوَارِكُكُمْ  
فَإِنْ لَقِيتُ وَلِيدًا وَالنَّوَى قُدْفُ  
أَحْسَنْتَ مَا شِئْتَ فِي تَأْنِيْسٍ مَغْتَرِبٍ  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي: [الطويل]

وَمَا غُرْبَةُ الْإِنْسَانِ فِي شُقَّةِ النَّوَى  
وَإِنِّي غَرِيبٌ بَيْنَ بُسْتٍ وَأَهْلِهَا  
وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي عَدَمِ الشُّكْلِ  
وَإِنْ كَانَ فِيهَا أَسْرَتِي وَبِهَا أَهْلِي

(١) البيت في ديوان البحرني ص ٢٦٢٩.

(٢) البيتان للبحرني في ديوانه ص ١١٣٣.

(٣) الأبيات في سقط الزند ص ١٦٤١، ١٦٤٢.

ولأبي بكر بن بقيّ: [البسيط]

أَقَمْتُ فَيْكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ      لَوْ كُنْتُ حُرّاً أَبِي النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ  
فَلَا حَدِيقَتَكُمْ يُجْنَى لَهَا ثَمَرُ      وَلَا سَمَاؤَكُمْ تَنْهَلُ بِالدَّيَمِ  
أَنَا امْرُؤٌ إِنْ نَبَتْ بِي أَرْضٌ أُنْدَلِسِ      جَنَّتِ الْعِرَاقُ فَقَامَتْ لِي عَلَى قَدَمِ  
مَا الْعِيشَ بِالْعِلْمِ الْإِحَالَةَ ضَعَفْتُ      وَخُرْفَةً وَكِلْتَا الْقُعْدَدِ الْهَرَمِ  
وللفقيه أبي محمد بن حزم: [الطويل]

وَلِي حَوْلَ أَكْنَافِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ      وَلَا غَرْوٌ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلِيفُ الصُّبُ  
فَإِنْ يُنْزَلِ الرَّحْمَنُ رَحْلِيَّ بَيْنَهُمْ      فَحِينَئِذٍ يَبْدُو التَّأْسَفُ وَالْكَرْبُ  
هَنَالِكَ يَذْهَبُ أَنْ لِلْبَعْدِ قِصَّةٌ      وَأَنْ كَسَادَ الْعِلْمِ آفَتْهُ الْقُرْبُ



قوله: أَجَلْتُ، أي صرّفت. قداح: سهام. الاستشارة: مشاورة غيره في رأيه، وإجالة القداح ثاني في الثالثة والأربعين، واستعار هنا لمن يستشير في أمر السفر قداحاً، فإن وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم: «افعل» وإن خالفه فكأنه خرج عليه «لا تفعل». اقتدحت: ضربت. زَنَاد: ما يكون فيه النار. الاستخارة: طلب الخيرة من الله تعالى. استجشيت: خزكت. جأشاً: نفساً، وهي في سكونها عن السفر كالحجر فلا تتحرك للسفر. أصعدت: طلعت. خيئت: أقمت.

الرُّمْلَةُ: بلدة بالشام، سمّتها العرب بالرملة لما غلب عليها الرمل، وهي من كُور فلسطين، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً، وكانت لَدَ مدينة فلسطين القديمة، فلما وَلِيَ الخلافة سليمان بن عبد الملك ابنتى مدينة الرملة، وخزّب لَدَ، ونقل أهل لَدَ إليها، فصارت الرملة مدينة فلسطين.

ألقيت: تركت. الرحلة: الارتحال، وكني بإلقاء العصا عن الإقامة بعد أن تهيأ. أم القرى: مكة. وكنا نوبنا ترك ذكر مكة لشهرتها، ثم وجدنا شيخنا ابن جُبَيْر قد ذكر فيها أشياء قَلَّ مَنْ يَضْبِطُهَا، فأثبتناها إعلاماً لمن أحبّ استطلاعها، وتبرّكا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى.

### [مكة المكرمة]

قال شيخنا: مكة بلد قد وضعها الله تعالى بين جبال محدّقة بها، وهي في بطن وادٍ، مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب:

باب المعلّى يخرج منه إلى الجبّانة بالموضع الذي يعرف بالحجّون عن يسار الماز إليها جبلٌ في أعلاه ثنية، عليها علَم يشبه البرج منها إلى العمرة، وتعرف الثنية بكداء،

وهي التي جعلها حسان موعد خيل الإسلام في قوله: [الوافر]

\* تُشِيرُ الثُّقَعُ مَوْعِدُهَا كَدَاءٌ <sup>(١)</sup> \*

ومنها دُخِلَتْ مكة يوم الفتح، قال رسول الله ﷺ: «ادخلوها من حيث قال حسان».

والْحَجُّونَ هو الذي قال فيه الحارث بن مُضاض: [الطويل]

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا      أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ <sup>(٢)</sup>

وعن يسار المازِ إليها جبل، وفي جَبَانَةِ الْحَجُّونِ مدفن جماعة من الصَّحابة دُثِرَتْ اليوم قبورهم، وفيها بقية علم ظاهر، وهو موضع خشبة عبد الله بن الزبير، كان في موضعه بناء مرتفع، فهدمَهُ أَهْلُ الطائفِ غيرَ منهم على ما كان يجذِّد من لعنة الحجاج صاحبهم وعن يمينك إذا استقبلت الجبَّانة مسجد في مَسِيلٍ بين جبليْن، وهو الذي بايعت الجنَّ فيه النبي ﷺ، وعلى باب الْحَجُّونِ طريق الطائف والعراق، والصُّعود إلى عرفات، والباب بين الشرق والشمال مائلاً إلى الشرق.

الباب الثاني: باب السفلى إلى جهة الجنوب، عليه طريق اليمن، ومنه دخل خالد ابن الوليد، يوم الفتح.

الباب الثالث: باب العمرة يعرف بالباب الزاهر، عليه طريق المدينة والشَّام وجُدَّة، وهو غربي، ومنه يُخْرَجُ إلى التَّنْعِيم، وهو على فرسخ من مكة، وهو أقرب ميقات للمعتمرين، وطريقه حسن، فيه الآبار العذبة المسماة بالشَّيْكة.

وعلى ميل من مكة في طريق التَّنْعِيم يُلْقَى مسجد بلزائه حَجَرٌ كالمصطبة، يعلوه حجر آخر مسند، فيه نقش دائر، يقال إن النبي ﷺ قعد عليه مستريحاً عند مجيئه من العمرة، يمسح الناس خدودهم به تبركاً. وبعده بَعْلُوَة على يسار الطريق قبر أبي لهب وأمرأته، قد علاهما جبلان عظيمان من الصُّخْر لرجم الناس على قديم الدهر.

وعلى قدر ميل يُلْقَى الزاهر، وهو مبني على جانبي الطريق، يحتوي على دار وبساتين لأحد المكيين، وفيه مكان مستطيل، عليه كيزان الماء، ومراكن مملوءة، وهي القصارِي للشرب والطَّهور، وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين.

وعلى جانبي الطريق في الزاهر أربعة أجبال: جبلان، من هنا وجبلان من هنا،

(١) صدره:

عدمنا خيلنا إن لم تروها

والبيت في ديوان حسان بن ثابت ص ٧٣، ولسان العرب (كد)، وجمهرة اللغة ص ١٠٦٠، ومعجم ما استعجم ص ١١١٧، وتاج العروس (كد).

(٢) البيت لعمر بن الحارث بن مضاض أو للحارث الجرهمي في لسان العرب (حجن)، وبلا نسبة في قطر الندى ص ١٥٩.

يُذكر أنها التي جعل إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير عليها، ثم دعاها عند قوله: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦].

وعند إجازتك بالزّاهر تمرّ بالوادي المعروف بذي طَوَى، كان ابن عمر رضي الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة، وفيه نزل النبي عليه الصلاة والسلام عند دخوله، وفيه مسجد إبراهيم عليه السلام، وفيه آبار تعرف بالشَّبيكة. ثم تخرج من الوادي إلى أعلام، وهي أحجار موضوعة بين الجبل والحرم، كالآبراج المصفوفة، فداخلها إلى جهة مكة حَرَم، وهي كالآبراج، وأخذة من أعلى جبل، يعترض عن يمين الطريق في [التوجه] إلى العُمرَة، وينشق الطريق إلى جبل عن يساره، وهما ميقات المعتمرين، [وفيها مساجد مبنية بالحجارة] وخارجها بنحو غُلُوْتَيْنِ مسجد عائشة رضي الله عنها.

ومن جبال مكة جبال أبي قُبَيْس، وهو على الحَرَم في الجهة الشرقية يقابل الحجر الأسود، في أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة، ويظهر حسنّها وحُسْن الحَرَم واتساعه وجمال الكعبة، وهو مستودع الحجر الأسود من الطوفان، حتى أذاه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفيه قبر آدم عليه السلام، وهو أحد أخشَبِي مكة، والأخشَب الثاني المتصل بَقُعَيْقَعَان في الجهة الغربية، وفيه موقف النبي ﷺ، عند انشقاق القمر.

ومن جبالها حراء، على مقدار فرسخ، ومشرف على مَنَى، وهو مرتفع في الهواء، كان متعبّد النبي ﷺ، وهو الذي اهتزّ تحتّه، فقال: اسكن حراء، فما عليك إلا نبيّ وصديق وشهيدان، لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وفيه نزلت أول آية من القرآن، وهو أخذ من المغرب إلى الشمال، وعلى طرفه الشماليّ جَبَانَةُ الْحُجُونِ المتقدمة.

ومن جبالها جبل ثَوْر، وهو في الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد، وفيه الغار الذي أوى إليه النبي ﷺ، وعلى مقربة من الغار قبة جبريل، وهي عمود منقطع من الجبال، قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف القائمة، وانبسط من أعلى شبه الكفّ، كأنه قبة مبسوطة، يستظلّ تحتها نحو العشرين رجلاً، ومن مكة إلى مَنَى نحو خمسة أميال.

ومَنَى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط، وقد خربت اليوم إلا منازل يسيرة محدثة للنزول، كان الطريق إليها الميدان اتساعاً وانفساحاً. وأوّل ما يلقي المتوجّه إليها بقربها مسجد البَيْعَة التي عقدها العباس للنبي ﷺ على الأنصار، ثم يُفْضِي بها إلى جَمْرَة العقبة، وهي أوّل مَنَى وعليها مسجد، وبها عَلَمٌ منصوب شبه أعلام الحَرَم المذكورة، يجعله الراعي عن يمينه مستقبلاً مكة، ويرمي بها سبع حصيات يوم النحر أثر طلوع الشمس، ثم ينحر أو يذبح، ويحلّق أو يقصر، ومَنَى كلّها مَنَحَر، ويحلّ له كلّ الأشياء إلا النساء، وبعدها الجمرة الوسطى، وبها أيضاً عَلَمٌ، وبين الجمرتين قدر غُلوة، وبعدها بمقدار غلوة الجمرة الأولى التي ترمى وقت الزوال ثاني يوم النحر بسبع حصيات، وفي



الوسطى بسبع، وفي جمرة العقبة بسبع، فتلك إحدى وعشرون حصة، ويُفعل ذلك في ثالث يوم النحر، فتلك اثنتان وأربعون حصة، وسبع تقدّمت يوم النحر فتكمل تسع وأربعون حصة.

وفي أثر ذلك ينفَضُ الحاج إلى مكة، وعند الجمرة الأولى يُلقَى مجرى الذبيح عليه السلام، وفي موضع المجرى حَجَرٌ ملصق بجدار فيه أثر قدّم صغيرة، يقال إنها أثر قدمه، عند تحرّكه لأنّ له الحجر إشفاقاً، فيقبله الناس ويلمسونه تبرّكاً به.

ومسجد الخيف آخر مئى، وهو متسع الساحة، كأكبر ما يكون من الجوامع، وصومعته في رحبة المسجد، وله في القبلة أربع بلاطات، وهو مسجد مشهور البركة، ومن مئى إلى المزدلفة نحو خمسة أميال، والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعاً فلها ثلاثة أسماء. ووادي محسّر حدٌ بين المزدلفة ومئى. والمزدلفة بسيط من الأرض فسيح حولها صهاريج للماء، وفي وسط البسيط حلق في وسطها قبة، في أعلاها مسجد يصعد إليه على أدراج من جهتين، يزدهم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها، وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال.

وعرفات بسيط من الأرض [على] مدّ البصر، لو خُيّر الخلاق في توسعهم، تحدّق به جبال كثيرة. وفي آخر البسيط جبل الرحمة، وهو موقف الناس، والعلمان قبله، فما أمامهما إلى عرفات جبل، وما دونهما حَرَم.

وجبل الرحمة منقطع عن الجبال، قائم في البسيط، فهو كلّ حجارة. وكان صعب المرتقى، فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجاً وطبقة يصعد فيها بالدواب الموقرة. وفي أعلاه قبة تنسب لأم سلمة رضي الله عنها، وفي وسطها مسجد يحديق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر، يزدهم الناس عليه للصلاة فيه، فيشرف منه على بسيط عرفات، وفي أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان، فيها غُرف، لها طيقتان تنسب إلى آدم عليه الصلاة والسلام. وعن يسارها مسجدٌ صغير. وبمقربة من العلمين مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بقي منه الجدار القبليّ يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة، ثم يجمع بين الظهر والعصر، ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرّعين، حتى يغيب قرص الشمس، ثم يدفع الإمام المالكيّ بالناس بالتفرّ دعاً ترتجّ منه الجبال، فيصلّون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة، فيبيتون بها، والدنيا كلها شموع مُسَرّجة، فإذا صلّوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين.

ومزدلفة كلّها موقف إلا وادي محسّر، فإن فيه تقع الهزولة إلى مئى، فإذا بلغوا مئى رموا بها جمرة العقبة.

ثم يتفرّ الناس إلى البيت المكرّم إلى طواف الإفاضة، وهو كمال الحجّ. وأما البيت المكرّم فهو قريب من التربع، له أربعة أركان: ركن ينظر إلى الشرق

وفيه الحجر الأسود، ومنه ابتداء الطّواف. يبعد الطائف عنه قليلاً، والبيت عن يساره، ثم يُلفى بعد ذلك في طوافه الرّكن العراقيّ، وهو ناظر إلى الشمال. ثم الركن الشاميّ، وهو ناظر إلى المغرب، ثم الركن اليمانيّ، وهو ناظر إلى الجنوب، ثم يعود إلى ركن الحجر الأسود، وذلك شوط واحد.

وباب البيت في السّفح الذي بين ركن الحجر والركن العراقيّ، وهو قريب من الجبر بعشرة أشبار، وما بين الحجر والباب يسمّى الملتزم، وهو موضع استجابة الدعاء، ويرتفع الباب من الأرض أحد عشر شبراً ونصفاً، والباب من فضة، مذهّب بديع الصّنع، يستوقف الأبصار حسناً، وعُضاداته كذلك، وعلى رأسه لوح ذهب خالص إبريز في سعة نحو شبرين، وله نقارتا فضة، كبيرتان يتعلّق عليهما قفل الباب، والباب ناظر إلى الشرق، وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبراً، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار، وداخل البيت مفروش بالرخام المجزّع، وحيطانه كلّها رخام مجزّع، قد قام على ثلاثة أعمدة من السّاج، مفرطة الطول، بين كلّ عمود وعمود أربع خُطأ، ودائرة البيت كلّها من نصفه الأعلى مطلّيّ بالفضة المذهبة، يُخَيّل إليك أنها صفيحة ذهب لغلظها بالجوانب الأربع.

وللبيت خمسة مصابيح، وعليها زجاج عراقيّ بديع النقش، أدرجت في وسط السقف، ومع كل ركن مضوا، ويُلفي الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الأسود وباب الرحمة، هو الذي يصعد عليه إلى السطح.

والمقام حجر مغشّي بالفضة، ارتفاعه ثلاثة أشبار، وسعته شبران، أعلاه أوسع من أسفله، وآثار القدمين والأصابع فيه، ضُبّ لنا فيه ماء زمزم، فشريناه منه. ومن الباب إلى الركن العراقيّ حوض طوله اثنا عشر شبراً وعرضه خمسة أشبار، وارتفاعه شبر، هو علامة موضع المقام، وهو مصبّ ماء البيت.

وموضع المقام الذي يصلّى فيه ما بين الباب والركن العراقيّ، وموضع المقام قبة حديد موضوعة إلى جانب قبة زمزم ترفع في أشهر الحجّ، وتزال قبة الخشب، لأنها أجمل، لازدحام الناس. ومن ركن الحجر إلى الركن العراقيّ أربعة وخمسون شبراً، ومن الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار، فالطويل يتطامن لتقبيله، والقصير يتناول له.

وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام: سود وحمرة وبيض، تتسع عن البيت مقدار تسع خطأ، وسائر الحرم مفروش برمل أبيض، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة.

والحجر ستة أذرع وهو الذي تركته قريش من البيت، وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة، وهي أربعة وسبعون شبراً من داخل الدويرة، ودور جداره كلّ مجزّع بديع الإلصاق من الرخام، وهو مفروش بالرخام الجزّع البديع التفاريع والتقاطيع، فمرآة عجيب.

والحرم له ثلاثمائة سوار من الرخام، وذرع الحَرَم في الطول أربعمائة ذراع، وفي العرض ثلاثمائة ذراع، فتكسيه ثمانية وأربعون مرجعاً، وله تسع صوامع وتسعة عشر باباً، أكثرها مفتوح على الأبواب، منها باب الصفا، وهو مفتوح على خمسة أبواب، وهو أكبرها، وعليه يُخْرَج إلى السعي بين الصفا والمروة. وللصفا أربع عشرة درجة، وللمروة خمسة، وما بين الصفا والمروة ميل، وهو اليوم سوق جميل، يجمع الفواكه بمكة وحوانيت الباعة يمين وشمال فلا يكاد الساعون يخلصون للسعي لكثرة الزحام.

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود، منها إليه أربع وعشرون خطوة، وداخلها مفروش بالرخام الأبيض وتنور البئر في وسطها من رخام دوره أربعون شبراً، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف، وغلظه شبر، وعمقه إحدى عشرة قامة، وعمق الماء سبع، وباب القبة ناظر إلى الشرق.

ثم ذكر في البيت وما يتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام والنقوش وغير ذلك أشياء لا يسع كتابنا ذكرها، فلنقتصر على هذا القدر.



فَعَصَفْتُ بِرِيحِ الْغَرَامِ، وَاهْتَجَّ لِي شَوْقٌ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛ فزِمَمْتُ نَاقِي، وَنَبَذْتُ عُلْقِي وَعَلَاقِي: [الوافر]

وَقُلْتُ لِإِلَهِي أَقْصِرْ فِائِي      سَاخَرْتُ الْمَقَامَ عَلَى الْمَقَامِ  
وَأَنْفِقْ مَا جَمَعْتُ بِأَرْضِ جَمْعٍ      وَأَسْأَلُ بِالْحَطِيمِ عَنِ الْخَطَامِ

ثُمَّ انْتَضَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ، لَهُمْ فِي السَّيْرِ جَرِيَةُ السَّيْلِ، وَإِلَى الْخَيْرِ جَرِيُ الْخَيْلِ؛ فَلَمْ نَزَلْ بَيْنَ إِذْلاَجٍ وَتَأْوِيلِ، وَإِيجَافٍ وَتَقْرِبِ، إِلَى أَنْ حَبَسْنَا أَيْدِي الْمَطَايَا بِالثَّحْفَةِ، فِي إِيْصَالِنَا إِلَى الْجُحْفَةِ؛ فَحَلَلْنَاهَا مُتَأَهِّبِينَ لِلْإِحْرَامِ، مُتَبَاشِرِينَ بِإِذْرَاكِ الْمَرَامِ، فَلَمْ يَكْ إِلَّا أَنْ أَتَخْنَا بِهَا الرُّكَائِبِ، وَحَطَطْنَا الْحَقَائِبِ، حَتَّى طَلَعَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ الْهَضَابِ، شَخْصٌ ضَاحِي الْإِهَابِ؛ وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلَ ذَا النِّادِي، هَلُمُّوا إِلَى مَا يُنْجِي يَوْمَ التَّنَادِي. فَانْحَرَطَ إِلَيْهِ الْحَجِيجُ وَأَنْصَلَتُوا، وَاحْتَفُوا بِهِ وَأَنْصَتُوا. فَلَمَّا رَأَى تَأَثُّمَهُمْ حَوْلَهُ، وَاسْتَعْظَامَهُمْ قَوْلَهُ، تَسَنَّمَ إِحْدَى الْأَكَامِ، ثُمَّ تَنَحَّجَ مُسْتَفْتِحاً لِلْكَلامِ، وَقَالَ:



قوله: عصفت، تحركت واشتدَّت. الغرام: الشوق. احتاج: تحرك. زممت: شددت زمامها. نبذت: رميت. عُلْقِي: ما يتعلق به ويُمسكه عن إرادته. عَلَاقِي: ما

يتعلّق بقلبي . أَقْصِرْ: كَفَّ. المَقَام: مقام إبراهيم عليه السلام . المُقَام: الإقامة .  
وَجَمْع: اسم المزدلفة، سُميت بذلك لاجتماع الناس فيها . الحطيم: حَجَرٌ بِمَكَّةَ .  
الحُطَام: كسب الدنيا . انتظمتُ: ارتفعت . كنجوم الليل، أي هم أشرف وأهل  
أحساب . جَزِيَّة: انصباب . الإذلاج: سَيْر الليل . تأويب: سَيْر النهار . إيجاف:  
إسراع . تقريب: جَزِيٌّ متقارب . حبنا: أوصلتنا وأعطينا . الثَّحفة: الهدية . إيصالنا:  
توصلنا .

الجُحفة ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، وبينها وبين البحر ثمانية أميال .

حللناها: نزلنا فيها . الإحرام: الدخول في الحرّم . متباشرين: يبشُر بعضنا  
بعضاً . بإدراك المرام: بلوغ الحاجة . أنخنا الركائب: بركنا الإبل بالأرض . حططنا  
الحقائب . أنزلنا الأحمال عن ظهورها . الهضاب: الكُدَى، واحدها هَضْبَةٌ . ضاحي  
الإهاب: بارز الجلد، أي ثوبه خَلَقَ لا يستره . النّادي: المنزل . هلّم، أي أقبلوا . يوم  
التّنادي، أي يوم البعث لاجتماع الناس فيه، أو لأنه ينادي للحساب . انخرط: اندفع  
بسرعة . الحجيح: اسم لجماعة الحجّاج . انصلتوا: خرجوا إليه مسرعين . احتقوا:  
استداروا: وأنصتوا: سكتوا . تأفّفهم: اجتمعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالأنافي  
للقدر . استطاعهم قوله: استدعاءهم كلامه . تسنّم: ارتفع عليها، وأصل «تسنّم»  
ركب البعير، الآكام: الكُدَى .



يا مَغْشَرَ الحُجّاج، النَّاسِلِينَ مِنَ الفِجّاج، أَتَغْفِلُونَ مَا تَوَاجِهُونَ، وَإِلَى مَنْ  
تَتَوَجّهُونَ! أَمْ تَذَرُونَ عَلَى مَنْ تَقْدِمُونَ، وَعَلَامَ تُقْدِمُونَ! أَتَخَالُونَ أَنَّ الْحَجَّ هُوَ  
اخْتِيَارُ الرُّوَّاجِل، وَقَطْعُ الْمَرَّاجِل، وَاتِّخَاذُ الْمَحَامِل، وَإِيقَارُ الرُّوَامِل! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ  
السُّكَّ هُوَ نَضْوُ الْأَرْدَانِ، وَإِنْصَاءُ الْأَبْدَانِ، وَمُفَارَقَةُ الْوُلْدَانِ، وَالتَّنَائِي عَنْ الْبُلْدَانِ:  
كَلًّا وَاللَّهِ، بَلْ هُوَ اجْتِنَابُ الْخَطِيئَةِ، قَبْلَ اجْتِلَابِ الْمَطِيئَةِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ، فِي قَصْدِ  
بَلَدِكَ الْبَنِيَّةِ، وَإِمْحَاضُ الطَّاعَةِ، عِنْدَ وَجْدَانِ الْإِسْطِاعَةِ، وَإِصْلَاحُ الْمُعَامَلَاتِ، أَمَامَ  
إِعْمَالِ الْيَعْمَلَاتِ!



الناسلين: المسرعين . الفِجّاج: الطرق . وتعقلون: تفهمون . تواجهون:  
تستقبلون بوجوهكم، يريد البيت، إلى مَنْ تتوجهون: تقصدون . الرواحل: الإبل .  
المراحل: المواضع يُرْحَل إليها وينزل فيها . المحاميل: آلات من خشب يركب عليها،  
واحدها محمل، يقال: إن الحجّاج أَوَّلُ من أحدثها، ولذلك قال الشاعر: [الرجز]

أَوَّلُ عَبْدٍ صَنَعَ الْمُحَامِلَا أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَأَجَلًا<sup>(١)</sup>

قوله: لزوامل: جمع زاملة، وهي البعير وغيره من الدوابِّ يحْمَلُ عليها الطعام. وإيقارها: رفع الأوقار عليها، وهي الأحمال، والوَقْرُ: الحِمْلُ. النَّسْكُ: التَّعَبْدُ، نَضُو الأَرْدَانِ، تجريد المخطط من الثياب. التَّنَائِي: التَّبَاعُدُ. اجْتَنَابُ بُعْدٍ، واجْتِنَبْتُهُ: بَعَدْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ. الْخَطِيئَةُ: الذَّنْبُ؛ يَرِيدُ أَنْ أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَقْدِمُوا التَّوْبَةَ. وَالبَيْتَةُ، هِيَ الْكَعْبَةُ. إِحْمَاضٌ: إِخْلَاصٌ. وَجُدَانٌ: إِصَابَةٌ. الْإِسْطَاعَةُ: الْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَهِيَ شَرْطٌ وَجُوبُ الْحُجِّ. الْمَعَامِلَاتُ: الْأَفْعَالُ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَبَايِعَاتِ وَغَيْرِهَا، وَأَرَادَ إِصْلَاحَ فِعْلِ الْعَبْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ. إِعْمَالُ الْيَعْمَلَاتِ: اسْتِعْمَالُ الْإِبْلِ لِلْمَشْيِ، وَالْيَعْمَلَةُ: النَّاقَةُ تَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الْمَشْيِ.

\*\*\*

فَوَالَّذِي شَرَعَ الْمَنَاسِكَ لِلنَّاسِكِ، وَأَرْشَدَ السَّالِكَ فِي اللَّيْلِ الْحَالِكِ، مَا يُنْقِي الْاِغْتِسَالَ بِالذُّنُوبِ، مِنَ الْاِنْعِمَاسِ فِي الذُّنُوبِ، وَلَا تُغْدِلُ تُغْرِئَةُ الْأَجْسَامِ، بِتَغْبِئَةِ الْأَجْزَامِ، وَلَا تُغْنِي لِنِسَةِ الْإِحْزَامِ، عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْحَرَامِ، وَلَا يَنْفَعُ الْاضْطِبَاعُ بِالْإِزَارِ، مَعَ الْاضْطِلَاعِ بِالْأَوْزَارِ، وَلَا يُجْدِي التَّقَرُّبُ بِالْخَلْقِ، مَعَ التَّقَلُّبِ فِي ظُلْمِ الْخَلْقِ، وَلَا يَرْحَضُ التَّنَسُّكُ فِي التَّقْصِيرِ، دَرَنَ التَّمَسُّكِ بِالتَّقْصِيرِ، وَلَا يَسْعَدُ بِعَرَفَةٍ، غَيْرَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَا يَزُكُو بِالْخَيْفِ، مَنْ يَزْعَبُ فِي الْخَيْفِ، وَلَا يَشْهَدُ الْمَقَامَ، إِلَّا مَنْ اسْتَقَامَ، وَلَا يَخْطِئُ بِقُبُولِ الْحُجَّةِ، مَنْ رَاغَ عَنِ الْمَحْجَةِ، فَزَجَمَ اللَّهُ أَمْرًا صَفَا، قَبْلَ مَسْعَاهُ إِلَى الصَّفَا، وَوَرَدَ شَرِيعَةُ الرِّضَا، قَبْلَ شُرُوعِهِ عَلَى الْأَصَا، وَنَزَعَ عَنْ تَلْبِيسِهِ، قَبْلَ نَزْعِ مَلْبُوسِهِ، وَفَاضَ بِمَعْرُوفِهِ، قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ تَعْرِيفِهِ. ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِصَوْتٍ أَسْمَعَ الصَّمَمَ، وَكَادَ يَرْغَزُ الْعُجْبَالَ الشَّمَمَ.

\*\*\*

شرع: فرض. المناسك: مواضع الذبح والتحرر، والناسك: الذي يأتي بشنك، وهو ما يُذبح أو ينحر في الحرم. أرشد السالك: على الطريق للمشي فيها. الحالك: الشديد السواد. الذنوب: الدلو. الانغماس: الغطس، يريد أن التطهر لا يزيل الذنوب. وما أحسن قول الخلواتي في غلام وسيم أراد النهوض للحج: [المنسرح]

(١) يروى الشطر الأول من الرجز:

أول من اتخذ المحاملا

وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٦٧، وتاج العروس (حمل)، والكامل ص ٣٥٩.

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِغَرٍ      عجلتْ فاستأنَّه إلى الكَبَرِ  
 إن كنتَ تبغي مَثُوبَةً فعسى      تحمِلُ لي قُبْلَةً إلى الحجرِ  
 وإن رميتَ الجمارَ فارم بها      كلُّ فؤادٍ عليك لم يطرِ  
 فقال دعني وزمزمًا فعسى      أغسل عن وجنتي دم البشرِ

قوله : تُعَدِّلُ ، أي تقاوم وتساوي . الأجرام : الأجسام ، واحداها جِزْم . تعبئة  
 الأجرام : تحمُّلُ أعباء الذنوب . لبسة : هيئة اللباس . التلبس : التعلُّق والاختلاط .  
 الاضطباع : الاشتغال والالتحاق ، واضطبع الرجل بثوبه ، إذا أدخله تحت عضده الأيمن  
 وألقاه على منكبيه الأيسر ، والاضطلاع : القيام بها . والأوزار : أثقال الذنوب . يجدي :  
 ينفع . يَرَحُصُ : يغسل . التقصير : الأخذ من الشعر . دَرَنَ : وسخ . التمسك : التعلق .  
 التقصير : التضييع ، وترك الاجتهاد ، عَرَفَ : يوم من أيام الحج ، سُمِّيَ بذلك لأن آدم  
 عليه السلام لما أهبط من الجنة ، نزل بالهند ، وحوَّاء بجُذَّةٍ فالتقيا بعرفة ، فسمِّيَ موضع  
 التقائهما ويوم التقائهما عَرَفَةَ ، وقيل : هي من العرف وهو الصُّبْر ، ورجل عارف ، أي  
 صابر ، فسمِّيَ الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء . وقيل : هي من العَرَفِ ،  
 وهو الرِّيح الطَّيِّبَةُ ، لأنها طيِّبَةٌ بنسبتها إلى متى لما يمتنى من أقدار الفروث والدماء لأن  
 يمتنى ينحر الهدى . يزكو : يكون نامياً ، والزكاء : النماء والصلاح . والخيف : موضع بمكة  
 سمي بالخيف ، وهو ما ارتفع من الأرض عن موضع السَّيْلِ ، وانحدر عن غِلظ الجبل .  
 والخيف : الظلم . يحظى : يسعد ويظفر . زاغ : مال وخرج . المحجَّة : الطريق المستقيم .  
 صفا : خلص قلبه . مسعاه : سعيه وجزيه . الصفا : صخرة بمكة . ورد : دخل . شريعة  
 الرِّضَا : طريقة الخير ، والشريعة في النهر والغدير : الطريق . يهبط عليه إلى الماء ، وبه  
 سُمِّيَ شريعة الدين لأنه طريق موصل إلى الله تعالى ، فورد الشريعة ، دخل فيها ، ووصل  
 إلى الماء ، وشرعت الدواب في الماء : دخلت فيه . الأضا : الغُدران . نزع : زال وكف .  
 تلبيسه : تخليطه ، والإفاضة : آخر الطواف . تعريفه : وقوفه بعرفة . عقيرته : كناية عن  
 صوته يُزعزع : يحرك . الشَّم : المرتفعة .

\* \* \*

وَأُنشد : [البسيط]

ما الحجَّ سَيْرَكَ تأويباً وإذلاًجا      ولا اغتياؤك أجمالاً وأخذاجا  
 الحجُّ أن تَقْصِدَ البيتَ الحَرَامَ على      تجريدك الحجَّ لا تَقْضِي به حاجا  
 وَتَمْتَطِي كاهِلَ الإنصافِ مُتَّخِذاً      رَدْعَ الهَوَى هادياً والحقَّ منهاجا  
 وأن تواسي ما أُوتيتَ مَقْدَرَةً      مَنْ مَدَّ كَفًّا إلى جَدْوَاك محتاجا  
 فهذه إن حَوَّثَهَا حَجَّةٌ كَمَلَتْ      وإن خلا الحجُّ منها كان إخداجا

حَسَبُ المَرَاتِينِ غَبْنًا أَنَّهُمْ عَرَسُوا  
وَأَنَّهُمْ حُرِمُوا جِرْزًا وَمَحْمِدَةً  
أَخِي فَابِغْ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرْبِ  
فَلَيْسَ تَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ  
وَبَادِرِ الْمَوْتَ بِالْحُسْنَى تَقْدُمُهَا  
وَأَقْرَنِ الثَّوَابُخَ خُلُقًا لَا تَزَائِلُهُ  
وَلَا تَشِمُ كُلُّ خَالٍ لِأَخٍ بَارِقُهُ  
مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ لَهُ  
وَمَا اللَّيْبُوبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا  
فَكُلُّ كُثْرٍ إِلَى قُلٍّ مَغْتَبَتُهُ

وَمَا جَيَّنُوا وَلَقُوا كَذًّا وَإِزْعَاجًا  
وَالْحُمَا عِزَّ ضَهُمٍ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَى  
وَجْهَ الْمُهْنِيِّينَ وَلَاجًا وَخَرَاجًا  
إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى  
فَمَا يُتَّهَنُّ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا  
عَنكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسْنَكَ التَّاجَا  
وَلَوْ تَرَاءَى هَتُونَ السُّكْبِ ثُجَاجَا  
كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى  
بِبُلْغَةٍ تُذْرِجُ الْأَيَّامَ إِذْ رَاجَا  
وَكُلُّ نَازٍ إِلَى لَيْلٍ وَإِنْ هَاجَا

\* \* \*

اعتيامك : اختيارك . أخذاجاً : جمع جذج ، وهو ما يجعل على ظهر البعير ، يُركب عليه . حاجاً : جمع حاجة . تمتطي : تركب . كاهل : مقدم الظهر . رذع : كف ورذ ، هادياً : دليلاً . منهاجاً : طريقاً . تواسي : تعطي . جذواك : عطيتك . حوثها : جمعتها . إخذاجاً : نقصاناً . المرائين : المظهرين الخير ، وهم على خلافه . وحسب ، بمعنى يكفي . كذاً : عجلة وشدة . الإزعاج : ضد السكون والقرار ، وأزعجته : لم تدعه يستقر . حرزاً : تحصيل ، وأحرزه : جعله تحت جزز . الحموة : أمكنوه من لحمه . العرّض : ما يسب من الرجل أو يمدح . هاجى : شاتم وساب .

### [الرياء والمراؤون]

ومما قيل في الرياء : قال رسول الله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالشَّرْكَ الْأَصْغَرُ . قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء»<sup>(١)</sup> .

وقال ﷺ : «لا رياء ولا سُمُعة مَنْ يَسْمَعُ يَسْمَعُ اللَّهُ بِهِ»<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ : «مَنْ أَسَرَ سِرِيرَةَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا ؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ» .

وقال : «مَنْ أَصْلَحَ سِرِيرَتَهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ» .

وقال الشاعر : [الرمل]

(١) أخرجه بنحوه الترمذي في النذور باب ٩ ، وابن ماجه في الفتن باب ١٦ ، وأحمد في المسند ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٦ ، والأحكام باب ٩ ، ومسلم في الزهد حديث ٤٧ ، ٤٨ ، والترمذي في النكاح باب ١١ ، وابن ماجه في الزهد باب ٢١ ، وأحمد في المسند ٣ / ٤٠ ، ٤٥ / ٥ .

وإذا أظهرت شيئاً حسناً  
فمُيزُ الخير موسومٌ به  
وقال يحيى بن أكرم: [الطويل]

يقول لي القاضي معاذ مشاوراً  
بعيْثِكَ ماذا تحسبُ المرءَ فاعلاً  
يدقُّ خلاياها ويأكلُ شهدَها  
وأشددُ الفرزدق: [الوافر]

رئيس السوق محمود السجايا  
نسَمِيهِ بيحيى وهو ميث  
يعاف الورد إن ظمئت حشاهُ  
ولأبيض في الفقهاء المرائين:

أهل الرياء لبستمُ ناموسكم  
فملكتمُ الدنيا بمذهب مالك  
وركبتمُ شُهْبَ البغال بأشهب  
وله في نحوه أيضاً: [الكامل]

قل للإمام سنا الأئمة مالك  
له دُرٌّ من هُمام ماجد  
فمضيتُ محمود النقيبة طاهراً  
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل  
تَشْكوكُ دنيا لم تزل بك بَرَّةً

وفي الإسرائيليات: جاءت عصفورة، فوقفت على فَنَحْ، فقالت له: ما لي أراك  
منحنياً؟ قال: لكثرة صلاتي انحنيت، قالت: فما لي أراك بادية عظامك؟ قال: لكثرة  
صيامي بدت عظامي، قالت: فما هذا الصوف عليك؟ قال: لزهادتي لبست الصوف،  
قالت: فما هذه الحبة في يدك؟ قال: قربان إن مرَّ بي مسكين ناولته إياها، قالت: فإني  
مسكينة، قال: خذها فقبضت على الحبة، فإذا الفخ في عنقها، فصاحت: قبي قبي .  
تفسيره: لا غرني وراء بعدك أبداً.

قال الشاعر: [مخلع البسيط]

نعوذ بالله من أناسٍ  
تَشِيخُوا قَبْلَ أَنْ يَشِيخُوا



تَقَوَّسُوا وَاَنْحَنُوا رِيَاءً فَاحْذَرَهُمْ إِنَّهُمْ فَخَوْحُ  
وكان صائد يصيد العصفير في يوم بارد، فكان يذبحها والدموع تسيل، فقال  
عصفور لصاحبه: لا بأس عليك من الرجل، أما تراه يبكي! فقال له الآخر: لا تنظر  
دموعه، وانظر ما تصنع يده.

ورأى بعضهم ثم هتك الله ستره، فقال: [السريع]

بَيْنَا أَنَا فِي تَوْبَتِي مَقْبَلًا      قَدْ شَبَّهُونِي بِابْنِ دَوَادٍ  
وَقَدْ حَمَلْتُ الْعِلْمَ مُسْتَظْهِرًا      وَحَدَّثُوا عَنِّي بِإِسْنَادٍ  
إِذْ خَطَرَ الشَّيْطَانُ بِي خَطَرَةً      نَكَسْتُ مِنْهَا فِي أَبِي جَادٍ  
ابن دَوَادٍ: عابد بمكة.

صَلَّى رَجُلٌ مَرَاءٍ فَقِيلَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ صَلَاتِكَ! قَالَ: وَمَعَ ذَلِكَ فَلَانِي صَائِمٌ.  
وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي: كم لك منذ نزلت العراق؟ قال:  
منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة، قال: يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة  
فأجبنا عن مسألتين.

وأمر عمر لرجل بكيس، فقال: آخِذْ الْخِيْطَ؟ فقال عمر: ضَعِ الْكَيْسَ.  
وكتب رجل عند الحسين كتاباً فقال: أَتَجْعَلُنِي فِي حُلٍّ مِنْ تَرَابِ الْحَائِطِ؟ فقال: يَا  
أَخِي بَلْ وَرَعَكَ لَا يَتَكْتَرُ.  
وأخبارهم كثيرة.



قوله: ابْنِ أَيِّ اطْلُبِ: الْقُرْبَ: أفعال البر التي تقرب من الله تعالى، واحدها قُرْبَةٌ.  
ولأجاً وخزاجاً، أي كيف تصرف فيها. داجي: سائر العداوة وناقق. الحسنى: اسم  
للفعل الحسن، وتكون الحسنى مؤنثة الأحسن فتلتزمها اللام، كالكبرى والأكبر وبابه،  
وتكون الحسنى كالْبُشْرَى والرُّجْعَى.

ينهنه يزجر ويكفّ. فاجى: جاء بغتة، ولبعضهم: [المقارب]

وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مَرَامِي السَّهَامِ      وَيَحْفَظُهَا نَابِلٌ دَائِبٌ  
طَرَائِدُ تَطْلُبُنَا النَّائِبَاتِ      وَلَا يَدَّ أَنْ يُذْرِكَ الطَّالِبُ  
حَبَائِلُ لِلدَّهْرِ مَبْثُورَةٌ      يُرَدُّ إِلَى جَذْبِهَا الْهَارِبُ  
وقال آخر في معناه: [الوافر]

تَحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارَى      وَلَا تَلْقَى بِأَسَادِ الْحُرُوبِ  
تَفُوقُ أَسْهَمًا عَنْ ظَهَرِ غَيْبٍ      وَمَا أَغْرَاضُهَا غَيْرُ الْقُلُوبِ

فأنتي باحتراس من جنود مؤيدة تتمدّ من الغيوب  
وقال ابن جبلة: [الكامل]

وأرى الليالي ما طوَّثَ مِنْ شِرْطِي زادته في عِظَّتِي وفي إفهامي  
وعلمت أن المرة من سُنَنِ الردي حيث الرميّة من سهام الرامي  
قوله: افنّ، أي اكتسب والتزم. حُلُقًا: طبيعة.  
وقال رحمته الله: «مَنْ تواضع لله رفعه الله»<sup>(١)</sup>.

وقالت الحكماء: كلّ ذي نعمة محسود عليها إلا المتواضع.

وقال عبد الملك: أفضل الرجال مَنْ تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، أنصف عن قوّة.

وقال رجل ليكر بن عبد الله: علّمني التواضع، فقال له: إذا رأيت مَنْ وأكبرُ منك  
فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت هو أصغر منك،  
فقل: سبقته إلى الذنوب فهو خير مني.

وقال أبو العتاهية: [البيسط]

يا من تشرف بالدنيا ولدّتها ليس التشرفُ رفعُ الطّينِ بالطّينِ<sup>(٢)</sup>  
إذا رأيت شريف القوم كلّهم فانظر إلى مَلِكٍ في زِيّ مسكين  
وقال أبو الفتح البستي: [البيسط]

من شاء عيشاً رغيداً يستفيدُ به في دينه تُسمّ في دنياه إقبالا  
فليتنظرنْ إلى مَنْ فوقه أدباً وليتنظرنْ إلى مَنْ دونه مالا

قوله: لا تشيّم، أي لا تنظر. خالٍ: سحاب. لاح بارقه، ظهر برقه: تراءى:  
تظاهر. هُتُون: كثير الماء. السّكَب: الصّبّ ثجاجاً: صباباً، ثج الماء يثج نجا وئججته  
أنا. يُصاخ: يسمع. أصمّ: كسب الصمم. والتّعي: الخبر بالموت. ناجى: حدّث.  
اللييب: العاقل. بلغة: قوت يوم. تدرج تطوي. كُثِر: كثرة. قلّ: قلة. مغبته: عاقبته  
وأخره ناز: مرتفع، ونزّ الفحل ينزو نزواً: قفز على الأنثى. لين: فتور. هاج:  
اضطرب، ويروى: «وكل ناز إلى لين» وهو الصحيح، أخذه من المثل: فلان ينزو  
ويلين، يقول: لا نتخدع بما يكون له ظهور في ملبسه وهيته، فقد يخيب ظنك وتقلّ  
فائدته، أو يكون مضراً لا نفعاً كما قد ينادي بك، فتظنّ النداء لمنفعة، فإذا سمعته  
فجأك بمصيبة. وأخذ لفظ «كم قد أصمّ بنعي» من قول أبي تمام: [الطويل].

(١) أخرجه أحمد في المسند ٧٦/٣.

(٢) البيتان في ديوان أبي العتاهية ص ٢٧٤.

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسَمَعَا فَأَصْبَحَ مَغْنِي الْجُودَ بَعْدَكَ بَلَقَعَا<sup>(١)</sup>  
والسابق إلى هذا المعنى جَزَوْ بِنِ ضَرَارٍ، آخر الشماخ بقوله: [الطويل]

أَتَانِي فَلَمْ أَسْرُزْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الثُّبَّتَيْنِ عَجِيبُ<sup>(٢)</sup>  
تَصَامَمْتُهُ حَتَّى أَتَانِي بِقَيْنَةٍ وَأَفْرَغَ مِنْهُ مَخْطِئَةً وَمَصِيبُ  
وقال المتنبي: [البيط]

طَوَى الْجَزِيرَةَ لَمَّا جَاءَنِي خَبْرٌ فَزَعَتْ مِنْهُ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صَدَقَهُ خَبَرًا شَرِقْتُ بِالْدمعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي  
أشار بعد ذلك بالبيتين إلى القناعة، وأن كثير الدنيا مصيره إلى قليل، وقد تقدم أمثال هذا.

وقال أبو تمام: [الخفيف]

يَا قَلِيلَ الْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الدَّاءِ رَإِلَى كَمْ يَغْرُكُ التَّسْوِيفُ<sup>(٤)</sup>  
عَجَبًا لِمَرِيءٍ يَذَلُّ لِمَا لَدَى الْمَا لِي، وَيَكْفِيهِ كُلُّ يَوْمٍ رَغِيفُ  
ولابن عمران: [الكامل]

عَجَبًا لَنَا نَبْغِي الْغِنَى وَالْفَقْرُ فِي نَيْلِ الْغِنَى لَوْ صَحَّتِ الْأَلْبَابُ  
فِيَمَا يَبْلُغُنِي الْمَحَلُّ كَفَايَةً وَالْفَضْلُ فِيهِ تَكَاثُرٌ وَحَسَابُ

\*\*\*

قَالَ الزَّأَوِي: فَلَمَّا أَلْقَحَ عُقْمَ الْأَفْهَامِ، بِسُخْرِ الْكَلَامِ، اسْتَزَوَحْتُ رِيحَ أَبِي  
زَيْدٍ، وَمَادَّ بِي الْإِرْتِيَاخُ إِلَيْهِ أَيُّ مَيْدٍ، فَمَكَّثْتُ حَتَّى اسْتَوْعَبْتُ حُكْمَتَهُ، وَانْحَدَرْتُ  
مِنْ أَكْمَتِهِ. ثُمَّ دَلَقْتُ إِلَيْهِ، لِأَتَصَفَّحَ صَفَحَاتِ مُخَيَّاهِ، وَأَسْتَشِفَّ جَوْهَرَ حُلَاهِ؛ فَإِذَا  
هُوَ الضَّالَّةُ الَّتِي أَتَشُدُّهَا، وَنَاطِظُ الْفَلَايِدِ الَّتِي أَتَشُدُّهَا، فَعَانَقْتُهُ عِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ،

(١) البيت في ديوان أبي تمام ص ٣٧٤.

(٢) يروى عجز البيت الثاني:

كَتَابَ بِأَعْلَى الْقِنَتَيْنِ عَجِيبُ

وهو لجزء بن ضرار الغطفاني في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٤٣، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٨، ويروى البيت الثاني:

تَصَامَمْتُهُ حَتَّى أَتَانِي نَعِيُهُ وَأَفْرَغَ مِنْهُ مَخْطِئَةً وَمَصِيبُ  
وهو بلا نسبة في لسان العرب (صمم)، وتاج العروس (صمم).

(٣) البيتان في ديوان المتنبي ٨٧/ ١، ٨٨.

(٤) البيتان ليسا في ديوان أبي تمام.

وَنَزَلَتْهُ مَنَزَلَةَ الْبُرِّ عِنْدَ الدَّنِف. وَسَلَّاتُهُ أَنْ يُلَازِمَنِي فَأَبَى، أَوْ يُزَامِلَنِي فَنَبَا، وَقَالَ:  
أَلَيْتَ فِي حَجَّتِي هَذِهِ أَلَّا أُحْتَقِبَ وَلَا أُعْتَقِبَ، وَلَا أَكْتَسِبَ وَلَا أَنْتَسِبَ، وَلَا أُرْتَفِقَ  
وَلَا أَرَأَفِقَ، وَلَا أَوَافِقَ مَنْ يَنَافِقُ.

ثم ذهب يُهْزِلُ، وَعَاذَرَنِي أَوْلُولُ.

فَلَمْ أَزَلْ أَقْرِبُهُ نَظْرِي، وَأَوْدَ لَوْ يَمْشِي عَلَى نَاطِرِي، حَتَّى تَوْفَّلَ أَحَدَ الْأَطْوَادِ،  
وَوَقَّفَ لِلْحَجِيجِ بِالْمَرْصَادِ.

فَلَمَّا شَاهَدَ إِضَاعَ الرُّكْبَانَ فِي الْكُثْبَانِ، وَقَعَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ.



قوله: فلما أقلح عُقْمُ الأفهام، أي جعل العقيم منها حاملاً بالعلم والفهم.  
استروخت: شملت فوجدت رائحته. ماد: مال. الارتياح: الطرب. مكثت: أقمت.  
أستوعب: أستوفي: نث: نشر. أكمته: كُذِّبَتْهُ<sup>(١)</sup>. دلفت: أسرعت. أنصفح: أنظر.  
صفحات محياه: جهات وجهه. أستشف: أبالغ النظر فيها. جوهر حلاه: خلقه صفاته.  
أنشدها: أطلبها. القلائد: جمع قلادة، وهي ما يُجعل في العنق من سلوك الجوهر  
وغيرها، ومنه تقليد البُذْن بمكة، وتقلدت بالسيف: جعلته في عنقي، وقلدتك الأمر:  
جعلته في عنقك، وناظم القلائد: جاعلها في خيطها، ويعني بالقلائد ما نثر من وعظه،  
وأنشده من شعره - وصدق لَعَمْرِي إِنَّ كَلَامَهُ الْمَنْظُومَ وَالْمَنْشُورَ أَبْهَى مِنَ الْقَلَائِدِ فِي أَعْنَاقِ  
الخرائد.

وقوله: عناق اللام للآلف، أما بخط المغرب فلا معانقة بينهما إلا في الطرفين،  
وربما وقعت في بعض هذا الخط كالصليب، وفي بعضه لا التقاء بينهما البيّنة، وإنما يريد  
صورة لام ألف بالخط الكوفي، وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الأعلى إلى  
الأسفل. وأخذ اللفظ من قول بكر بن خازجة: [البسيط]

يَا مَنْ إِذَا قَرَأَ الْإِنْجِيلَ ظَلَّ لَهُ      قلب الحنيف عن الإسلام منصرفاً  
رَأَيْتَ شَخْصَكَ فِي نَوْمِي يَعَانِقُنِي      كما تعانق لأم الكاتب الألف

[العناق ومما قيل فيه شعراً]

ونذكر هنا ما يستحسن في العناق، قال البحرّي: [الرجز]

تِلْكَ نُعْمٌ لَوْ أَنْعَمْتَ بِوَصَالٍ      لشكرنا في الوصل إنعام «نعم»<sup>(٢)</sup>

(١) الكدية: الأرض الغليظة.

(٢) البيتان في ديوان البحرّي ص ١٩٤.

- نَسِيتُ مَوْقِفَ الْجَمَارِ وَشَخْصَا  
وقال أيضاً: [المقارب]
- وَلَمْ أُنَسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعَنَا  
كَمَا مَرَّتَ الرِّيحُ فِي سِيرهَا  
وقال ابن المعتز: [السريع]
- كَأَنَّمَا عَانَقْتُ رِيحَانَةً  
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى  
وقال علي بن الجهم: [الطويل]
- سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ  
فَبَثْنَا جَمِيعًا لَوْ تُرَاقَ زَجَاجَةٌ  
وقال ابن عبدوس الفاسي: سرْتُ يوماً إلى ابن الجهم، فأنشدني البيتين في العناق، فافتدح زندي لإيراد مثله، فقلت: [البيسط]
- لَا وَالْمَنَازِلِ مِنْ نَجْدٍ وَلَيْلَتَنَا  
كَمْ رَامَ فِينَا الْكَرَى مَعَ لُطْفِ مَسْلَكِهِ  
مَا أَنْصَفُونِي، دَعَوْنِي فَاسْتَجِبْتُ لَهُمْ  
أَخِذْ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ: [البيسط]
- أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ  
وقال أبو نواس: [الطويل]
- لَبِسْنَا رَدَاءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ رَاضِعٌ  
وَبَثْنَا كَغَصْنِي بَانَةً عَصَفْتُهُمَا  
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ  
فِي الْبَلِّ قَدْ فَارَقَتْ غَيْرَ مَذْمُومٍ  
قال صالح بن موسى: [السريع]
- لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ  
تَصَدَّتِ الْحَمَى لَهُ فَاشْتَكَى

(١) ديوان البحرني ص ١٥٠.

(٢) البيتان في ديوان ابن المعتز ص ٧٧.

(٣) البيتان في ديوان علي بن الجهم ص ٩٥.

(٤) البيت للعباس بن الأخنف في ديوانه ص ٨٤.

والأفق بالليل قد اخلو لكا  
فلم تجد ما بيننا مَسْلكا

ح لنا ساقٍ بساقٍ  
ولئامٍ من عناقٍ

إليها وهل بعد العناق تدانٍ!  
فيشتد ما ألقى من الهيمانٍ  
سوى أن يرى الروحاني ممتزجان

لا يرفعون لسلوة قلبا  
أجسامهم فتعانقت حُبا

غيراً سَكُنَى الموت تحت قبابه  
وجعلت أطفىء حرها برضابه  
مني ثيابي بعض طيب ثيابه  
طرباً يخبر قلبه عما به

أن البدور تدور في الأغصان  
فحسبته ذراً على مرجانٍ  
عانقت من عطفه غصن البانٍ  
كالمهر يلعب عند ثني عنانٍ

أهلاً بمن لم تحن عهداً وميثاقاً  
آنست مستوحشاً لأذقت ما ذاقاً  
عقد السواعد للأعناق أطواقاً

فلذن، وأما رذئها فرداخ

عانقته عند موافاتها  
فجاءت الحمى لعاداتها  
ولا بن الرومي: [الرمل]

طالما التفت إلى الصب  
فسي نقاب من ودادٍ  
وقال أيضاً: [الطويل]

أعناقها والنفس بعد مشوقة  
والشم فاهها كي تموت حرارتي  
كان فؤادي ليس يشفي غليله  
وقال ابن المعتز: [الكامل]

يا رب فتیان صحبتهم  
لو تستطيع قلوبهم نفذت  
وقال ابن رشيقي: [الكامل]

ومهفهف يحميه عن نظر الوری  
فلثمت خذاً منه ضرماً لوعتي  
وضممته للصدر حتى استوهيت  
فكان قلبي من وراء ضلوعه  
وقال ابن نبات: [الكامل]

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه  
غازلته حتى بدا لي ثغره  
كم ليلة عانقته فكاتماً  
يطغى ويلعب عند عقد سواعدي  
وقال آخر: [البيسط]

مشتاقاً طرقت في الليل مشتاقاً  
يا زائراً زار من قُرب على بُغْدٍ  
يا ليل عرج على إلفين قد جعلاً  
وقال ابن الزقاق: [الطويل]

ومرتجة الأعطاف أنا قوامها

سريتُ فبات اللَّيْلُ من قَصَرِ بها      يطير وما غَيْرُ السرور جناح  
وبتَ وقد زارت بأنعم ليلةٍ      يعانقني حتى الصُّبْحُ صباح  
على عاتقي من ساعِدَيْها خمائلُ      وفي خَصْرِها من ساعدي وشاخ  
ونظير هذا قول برهون الغرناطي: [البسيط]

لله دَرْ لِيَالٍ ما أَحْيَيْتُهَا      وما أَحْيَيْتَ منها لَيْلَةً أَحَدِ  
لو كُنْتُ حاضِرًا فيها وقد غفلت      عينُ الرقيب فلم تنظر إلى أَحَدِ  
أبصرتُ شمس الضحَى في ساعدي قمرٍ      ريمٌ موسَدَةٌ في ساعدي أَسَدِ  
وقال ابن قاضي ميلة: [الكامل]

حيث التقى أَسَدُ العرين وظبيّة      تحت اللحاف وصارمٌ وسَوَارُ  
قالت أرى بيني وبينك ثالثُ      ولقد عهدتكَ للدخيل تغارُ  
أُمِيتَ نَشَرَ حديثنا فأجبتُها      هذا الذي تُطَوّي له الأَسْرَارُ  
أخذ هذا من قول امرئ القيس: [الطويل]

تجافى عن المأثور بيني وبينها      وتُذني عليّ السَّابِرِي المَضْلَعَا<sup>(١)</sup>  
يعني بالمأثور السيف.

قوله: الدَّنِفُ: المريض. يُزَامَلُنِي: يرادفني، والزَّمِيلُ: الرَّدِيفُ نَبَا. ارتفع وامتنع.  
أحتقب: أركب موضع الحقيبة، وهي ما يعلّق خلف الراكب، فيريد أنه حلف ألا يكون  
رديفًا، ويريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزَّاد، يريد أنه لا يحمل زادًا اتكالاً على ما عند الله  
تعالى. أعتقب: أركب عقبه يعني نُوبَةً، وهما يعتقبان ويتعاقبان، إذا ركب أحدهما فجاء  
الآخر فكان مكانه، والاعتِقَابُ: ركوب واحد ونزول آخر.

ولحاتم في المعنى: [الطويل]

وما أنا بالساعي بفضل زمايها      لتشرّب ماء الحوض قبل الركائبِ<sup>(٢)</sup>  
وما أنا بالطَّاوِي حَقِيبَةً رخلها      لأبعثها خِفًا وأنزل صاحبي  
إذا كُنْتُ رُبًّا للقلُوص فلا تَدُغْ      رفيقك يمشي حلفها غير راکب  
أينحها فأردفه فإن حملتكما      فذاك وإن كان العقابُ فعاقبِ

(١) البيت في ديوان امرئ القيس ص ٢٤٢، وأساس البلاغة (ضلع)، وتاج العروس (ضلع)، وبلا نسبة  
في كتاب العين ١/ ٢٨٠.

(٢) الأبيات في ديوان حاتم الطائي ص ١١٨، والبيت الثاني في أساس البلاغة (حقب)، وفيه «وأنرك  
صاحبي» بدل «وأنزل صاحبي».

أرتفق: أستعين أرافق: أطلب رفيقاً. يُهزول: يسرع المشي. غادرني: تركني أولول: أصبح: يا ويلي. أقرية: أتبعه. توغل: صعد. الأطراد: الجبال. بالمرصاد: بمضيق الطريق بحيث يرتصد فيه جميع الناس، والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق. إيضاع: سرعة، وقد أوضع في سيره: أسرع كأنه يهتز ويركض. الكُتبان: أكداس الرمل. رقع: ضرب بالبنان على البنان، أي صفق بيديه، وقد تطلق البنان مراداً بها اليد، قال الله تعالى: ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ [الأنفال: ١٢]، أي الأيدي والأرجل.

وأنشد الفَنجديهي: [الوافر]

أقاموا الذُيدبانَ على يفاع	وقالوا لا تَنَم للذُيدبانِ
إذا أبصرت ضيفاً من بعيد	فوقّع بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خُرساً	يقيمون الصلاة بلا أذان

\*\*\*

واندفع ينشد: [الخفيف]

لَيْسَ مَنْ زَارَ رَاكِباً	مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمِ
لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَا	عَ كَعَاصٍ مِنَ الْخَدَمِ
كَيْفَ يَأْخُذُ بِمَقَرِّ	سَعْيٍ بَانٍ وَمَنْ هَدَمَ
سَيَقِيمُ الْمَقَرُّ طَو	نَ غَدَاً مَا تَمَّ التُّدَمُ
وَيَقُولُ الَّذِي تَقَرُّ	بَ: طَوِي لِمَنْ خَدَمَ
وَيْلِكَ يَا نَفْسُ قَدُمِي	صَالِحاً عِنْدَ ذِي الْقَدَمِ
وَأَزْدِرِي زَخْرَفَ الْحَيِّ	لَا فَوُجِدَانُهُ عَدَمَ
وَأَذْكَرِي مَصْرَعَ الْجَمَا	مِ إِذَا خَطَبُ بِهِ صَدَمَ
وَأَنْدُبِي فَعَلَّكَ الْقَبِي	حَ وَسِخِّي لَهُ بَدَمَ
وَأَذْ بَغِيهِ بِتَوْنَةٍ	قَبْلَ أَنْ يَخْلَمَ الْأَدَمَ
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقْ	يَكَ السَّعِيرَ الَّذِي احْتَدَمَ
يَوْمَ لَا عَثْرَةَ تُقَا	لُ وَلَا يُنْفَعُ السُّدَمَ

\*\*\*

قوله: ليس من زار راكباً... البيت. يريد أن ثواب الماشي في الحج أكثر من ثواب الراكب.

وقال ابن عباس لبنيه: اخرجوا من مكة مشاة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ للحاجَّ الراكب بكلِّ خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، وللماشي بكلِّ خطوة



سبعمائة حسنة من حسنات الحرّم، قالوا: يا رسول الله، وما حسنات الحرّم؟ قال: الحسنة منها بمائة ألف.

وقوله: سَغَى بَانٍ وَمَنْ هَدَمَ، من قول بشار: [الطويل]

مَتَى يَبْلُغُ الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتُ تَبِينِيهِ وَآخِرُ يَهْدِيمِ

المفْرَطون: المقصرون. مَأْتَم: مَنَاحَة. وَيَك: تَعَجَّب. اَزْدَرِي: احتقري. زخرف: زينة. وَجْدَان، مصدر وجدت الشيء. اَنْدَبِي: أَبْكَى. الْجِمَام: الموت. مصرعه: طَرْحُه للميت بالأرض. خطبة: أمره الشديد. صَدَم: ضرب، والصَّدَم: ضرب الشيء الصَّلْبَ بمثله، وأراد أنه أصاب، من قولهم: صدمهم أمر، أي أصابهم. سِيْحِي: صُبِّي. يحلم: يتقب. الأذم: الجلد، وهو مثل يُضْرَب للشيء يفوت، قال الشاعر: [الوافر]

\* كدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ<sup>(١)</sup> \*

السَّعِير: النار المتَّقَدَة. احتدم: التهب واشتد اتقاده. السَّدَم: همٌّ مع ندم.

\* \* \*

ثُمَّ إِنَّهُ أَغْمَدَ عَضْبَ لِسَانِهِ، وَأَنْطَلَقَ لِشَانِهِ، فَمَا زِلْتُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ نَرُدُّهُ، وَمُعَرَّسٍ نَتَوَسَّدُهُ، أَتَفَقَّدُهُ فَأَفْقِدُهُ، وَأَسْتَنْجِدُ بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا يَجِدُهُ، حَتَّى خِلْتُ أَنَّ الْجَنَّ اخْتَطَفَتْهُ، أَوْ الْأَرْضُ اقْتَطَعَتْهُ، فَمَا كَابَدْتُ فِي الْغُرْبَةِ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ، وَلَا مُنِيْتُ فِي سَفَرَةٍ، بِمِثْلِهَا مِنْ زَفَرَةٍ.

\* \* \*

عضب: حدّ، وأراد بإغماده سكوته. لشأنه: لأمره. مورد: موضع الماء. نرّده: نقصده. معرّس: موضع النزول بالسحر للاستراحة. نتوسّده: ننزل فيه. أتفقّده: أطلبه، والتفقّد طلب المفقود، قال الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ [النمل: ٢٠]، طلبه بعد ما فقده. أستنجد: أستعين. ينشده: يطلبه. اختطفته: أخذته، بسرعة. اقتطعته: كابدت: قاسيت. الكربة: الهمّ. مُنِيْتُ: بُليت. زفرة: تنفّس المهموم.

ولأبي طالب الرّقيّ في غلام محرم: [الطويل]

وَمَشْتَمِلٍ عِطْفِي عَفَافٍ وَفَتْنَةٍ يَرَى قَتْلَ مَنْ يَهْوَى إِلَى النَّسْكِ مَسْلَكًا

(١) صدره:

فإنسك والكتاب إلى عليّ

والبيت للوليد بن عتبة بن أبي عتبة في ديوانه ص ٧٠، ولسان العرب (حلم)، وجمهرة اللغة ص ٥٦٥، وديوان الأدب ٢/ ٢٥٠، وتاج العروس (أدم)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٠٧/٥، ومقاييس اللغة ٩٣/٢، ومجمل اللغة ١٠٢/٢، والمخصص ١٠٨/٤.

جئى اللحظ من خديه وزدأ مكفوراً  
فيا رائحاً منه بأوفر فتنة  
وقال صالح بن موسى: [السريع]  
عشقتُ صوفياً له شاهدُ  
قد عُبدِ اللهُ بأحواله  
وَمِنْ عَارِضِيهِ يَا سَمِيناً مَمْسُكاً  
تَجْهَّزْ لِعَامٍ بَعْدَ هَذَا لَعَلَّكَ  
يَقِيمُ عَذْرِي عِنْدَ عُذَّائِي  
فَلَيْتَهُ يَنْظُرُ فِي حَالِي

## المقامة الثانية والثلاثون

### وتعرف بالطيبة

حكى الحارث بن همام، قال: أَجْمَعْتُ حين قَضَيْتُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وَأَقَمْتُ وظائف الْعَجِّ وَالتَّجِّ، أَنْ أَقْصِدَ طَيْبَةَ، مع رُفْقَةٍ مِنْ بني شَيْبَةَ؛ لِأَزُورَ قَبْرَ الْمُصْطَفَى، وَأَخْرَجَ مِنْ قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وَجَفَّ، فَأَرْجِفَ بِأَنَّ الْمَسَالِكَ شَاغِرَةٌ، وَعَرَبَ الْحَرَمَيْنِ مُتَشَاوِرَةٌ، فَجِزْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُثْبِطُنِي، وَأَشْوَاقٍ تُنْشِطُنِي؛ إِلَى أَنْ أَلْقِيَ فِي رُوعِي الْإِسْتِسْلَامَ، وَتَغْلِيْبَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْتَمْتُ الْقُعْدَةَ، وَأَعْدَدْتُ الْعُدَّةَ، وَسِرْتُ وَالرُّفْقَةَ، لَا تَلْوِي عَلَى عُرْجَةٍ، وَلَا تُنْيِي فِي تَأْوِيْبٍ وَلَا دُلْجَةٍ، حَتَّى وَافِقْنَا بني حَرْبٍ، وَقَدْ أَبُوءُ مِنْ حَرْبٍ، فَأَزْمَعْنَا أَنْ تُقْضَى ظِلُّ الْيَوْمِ، فِي حِلَّةِ الْقَوْمِ.



أَجْمَعْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ جَمَعَ نَفْسَهُ لَهُ. وَمَنَاسِكَ الْحَجِّ: مُتَعَبِدَاتُهُ. وظائف: لَوَازِمُ، وَالْوُظُفِيَّةُ: النَّصِيبُ الَّذِي يَلْزِمُكَ عَزْمُهُ. الْعَجِّ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَتَمُّوا حُجَّهْمُ يَتَفَاخَرُونَ بِمَآثِرِ آبَائِهِمْ، فَأَمَرُوا بِالشَّوَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالتَّجِّ: إِرَاقَةُ الدِّمَاءِ، وَعَجٌّ يَعِجُّ عَجًّا وَعَجِيجًا: رَفْعُ صَوْتِهِ، وَتَجَجَّتِ الدَّمْعُ، أَتَجَّهَ: أَسْلَتَهُ، وَهُوَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٌّ. وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ: «الْعَجُّ وَالتَّجُّ»<sup>(١)</sup>.

طَيْبَةَ: مَدِينَةُ النَّبِيِّ ﷺ. بنو شَيْبَةَ: حَاجِبَةُ الْبَيْتِ، وَشَيْبَةُ هُوَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ نَشَأَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ صَغِيرًا، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ هَاشِمٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَطْلَبُ، فَاتَى بِهِ فَرَأَاهُ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالُوا: مَا هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اشْتَرَاهُ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ. جَفًّا أَرَادَ بِهِ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزُرْنِي، فَقَدْ جَفَانِي، وَمَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي».

وقال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لا يهّمه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن

(١) أخرجه الترمذي في الحج باب ١٤، وتفسير سورة ٣، باب ٦، وابن ماجه في المناسك باب ٦، والدارمي في المناسك باب ٨.

أكون له شفيعاً يوم القيامة<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَتِي»<sup>(٢)</sup>.

وأرجف الرُّجُل: خاض في الفتنة والأخبار المسيئة. وشَغَر الطريق: خلا من حُماته والمدينة خلت من حماتها، وبلد شَاغَر، بعيد من القاضي والسلطان، فلا يمتنع مِنْ غارة أحد، والشَّغَر: التفرقة، ومنه: خرجوا شَغَر بَغَر، أي تَفَرَّقُوا، وشَغَر عن بلده شَغَرًا وشَغَارًا، إذا طرحوه ونفَوْه، واشتَغَرَت الحرب بينهم: اتَّسَعَتْ وعظمت، وامرأة شاغرة، إذا رفعت رجلها لكل من نكحها، والمعنى أَنَّ المسالك شاغرة، أي أَنَّ الطرق مضطربة خالية من حماتها. الحرمين: مكة والمدينة. متشاجرة؛ مختلفة. إشفاق: خوف. يَشْطُنِي: يحبسني. تَشْطُنِي: تحرّضني. رُوعي: نَفْسِي. الاستسلام: الانقياد لأمر الله تعالى. أَعْتَمْتُ: اخترت. القُعْدَةُ: الراحلة المَتَّخَذَةُ للركوب. تلوي: تعطف. عُرْجَة: شيء يُشْغَل لِيعْرَج عليه. نَبِي: نفتر، وتَأْوِب ودُلْجَة: مشي التهار والسحر، والدُلْجَة، بضم الدال: الاسم من الإدلاج، وهو سير جميع الليل، والتأويب: سير النهار أجمع، والدُلْجَة؛ بفتح الدال من الإدلاج بوزن الافتعال؛ وهو أن يسير من آخر الليل. يعقوب: خرجنا بدُلْجَة ودُلْجَة: إذا خرجوا في آخر الليل. وافيئًا: وصلنا. أبوا: رجعوا. أزمعنا: عزمنا. نقضي: نيتم، أراد عزمنا على أن ننزل ونتم بقية يومنا عندهم، وظل الشيء إنما يبقى ببقائه. والجلّة. النزول، والقوم: اسم للجمع، والجلّة هيئة الحلول، والجلّة مجلس القوم ومجتمعهم، لأنهم يحلّونه، والجمع جلال، والجلّة جماعة بيوت الناس.



وبينما نحنُ نَتَخَيَّرُ المُنَاحَ، وَنَرُودُ الوِزْدَ الثُّقَاخَ، إِذْ رَأَيْنَاهُمْ يَرْكُضُونَ، كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ، فَزَابَنَّا اثْنِيَالَهُمْ، وَسَلَّلْنَا مَا بِهِمْ؟ فَقِيلَ: قَدْ حَضَرَ نَادِيَهُمْ فقيهُ الْعَرَبِ؛ فَأِهْرَاعَهُمْ لِهَذَا السَّبَبِ؛ فَقُلْتُ لِرُفُقَتِي: أَلَا نَشْهَدُ مَجْمَعَ الْحَيِّ، لِنَتَبَيَّنَ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ! فَقَالُوا: لَقَدْ أَسْمَعْتَ إِذْ دَعَوْتَ، وَنَصَحْتَ وَمَا أَلَوْتَ.



المُنَاح: موضع النزول. نَرُود: نطلب. الوِزْد الثُّقَاخ: الماء البارد العذب، وأنشد أبو علي: [الوافر]

تَرَكَتُ التَّبِيدَ لِأَهْلِ النَّبِيدِ وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبَ عَذْباً ثَقَاخَا

سُمِّي نَقَاخًا، لِأَنَّهُ يَنْقَحُ الْفَوَادِ بِيَرْدِهِ، أَيْ يَكْسِرُهُ. يَرْكُضُونَ: يَجْرُونَ مَسْرِعِينَ. نُصْب: صنم، كانوا في الجاهلية ينصبونه، ويذبحون عليه لأوثانهم، وجمعه أنصاب،

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٧، ومالك في فضائل المدينة حديث ٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٠٨/٤.

والتَّصَبُّ: الشرُّ، قال الله تعالى: ﴿بِئْسَ بَعْثٌ وَمَعَادٌ﴾ [ص: ٤١]. يُوفُضُونَ: يُسْرَعُونَ. إِهْرَاعُهُمْ: إِسْرَاعُهُمْ، وأهرع: أسرع فزعاً مرتعداً. وَيُهْرَعُونَ: يُسْتَحْثُونَ. أَلُوتٌ: قصرت.

ثُمَّ نَهَضْنَا نَتَبِّعُ الْهَادِي، وَنَوْمُ النَّادِي، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْنَا عَلَيْهِ، وَاسْتَشَرَفْنَا الْفَقِيهَ الْمَنُودَ إِلَيْهِ، أَلْفَيْتُهُ أَبَا زَيْدَ ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ، وَالْقَوَاقِرَ وَالْفَقْرَ، وَقَدْ اعْتَمَ الْقَفْدَاءُ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءُ، وَقَعَدَ الْقُرْقَصَاءُ، وَأَغْيَانُ الْحَيِّ بِهِ مُحْتَفُونَ، وَأَخْلَاطُهُمْ عَلَيْهِ مُلْتَفُونَ، وَهُوَ يَقُولُ: سَلُونِي عَنِ الْمُعْضِلَاتِ، وَاسْتَوَضِّحُوا مِنِّي الْمُشْكِلَاتِ، فَوَالَّذِي فَطَرَ السَّمَاءَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ، إِنِّي لَفَقِيهَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ، وَأَعْلَمُ مَنْ تَحْتَ الْجَرَبَاءِ. فَصَمَدٌ لَهُ فَتَى فَتِيئُ اللِّسَانِ، جَرِيءُ الْجَنَانِ، وَقَالَ: إِنِّي حَاضِرْتُ فَقْهَاءَ الدُّنْيَا، حَتَّى انْتَحَلْتُ مِنْهُمْ مِائَةَ فُتْيَا، فَإِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يَرْغَبُ عَنْ بَنَاتٍ غَيْرِ، وَيَرْغَبُ مِثْلًا فِي مَنِيرٍ، فَاسْتَمِعْ وَأَجِبْ، لِتُقَابَلَ بِمَا يَجِبُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، سَيِّبُنِ الْمَخْبَرِ، وَيَنْكِشِفِ الْمُضْمَرِ، فَاصْذَعْ بِمَا تَوْمَرُ.



الهادي: الدليل. نَوْمٌ: نقصد. النادي: مجتمع القوم. أظللنا: قربنا منه ودنونا وأشرطنا عليه. استشرطنا: نظرنا وتأملنا، والإستشراف: أن تضع يدك على حاجبك من الشمس إذا أردت النظر إلى شيء يبعدُ منك. المنهود: المقصود، ونهدت إليه ونهضت بمعنى، ونَهْدَ يَنْهَدُ نَهْدًا، أي شخص ونهض. وقيل: أكثر ما يستعمل هذا في الحرب، يقال: نهد إلى العدو، إذا نهض ليقاتله. أَلْفَيْتُهُ: وجدته. ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ: صاحب الدواهي، يقال: جاءنا بالشُّقْرِ وَالْبُقْرِ، إذا جاء بالكذب المستفطع، وجاء بالشَّقَارَى وَالْبُقَارَى، أي بالكذب. والقواقر: قواصم الظُّهر، يراد بها الدواهي، والفاقرة: الكاسرة للفقار، وهو عظم الصُّلْب. والفقر في النثر، مثل القوافي في الشعر. الْقَفْدَاءُ، بالقاف قبل الفاء: أن يلفَّ عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيئاً. ابن سيده: الْقَفْدَاءُ، والقَفْدُ، إذا لوى عمامته على رأسه، ولم يُسَدِّلْهَا، قال الأزهري رحمه الله تعالى: العَمَّةُ الْقَفْدَاءُ معروفة، وهي الميلاء، والسنة أن يتعمَّم ويُسَدِّلَ خلف ظهره.

ابن عمر رضي الله عنهما. كان النبي ﷺ إذا تعمَّم سَدَّلَ عمامته بين كتفيه<sup>(١)</sup>. والصَّمَاءُ: أن تُجَلَّلَ نفسك بالشوب غير المخيط، ولا ترفع شيئاً من جوانبه، فتكون فيه فُرْجَةٌ تخرج منها اليد، وإنما نَهَى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة في تلك الحالة، وهو لا يقدر على إخراج يده، فيدفعها فيهلك.

(١) أخرجه الترمذي في اللباس باب ١٢، بلفظ: «إذا تعمَّم سدل عمامته بين كتفيه».

وقال الفنجديهي: رأيتُ بخط الحريري: اشتمل الصَّماء، أي التحف بثوب جَلَل جسده، وقيل لها صماء لأنها لا منفذ فيها كالصخرة الصماء، التي لا صدع فيها ولا خرق، وهي عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على مَنْكبيه، فتبدو عورته، فنُهي عن ذلك.

وقال الأزهرى: هذا أصح الكلام، والفقهاء أعلم بتأويل هذا. والقرُفصاء: أن يقعد على إلتيته، وينصب ساقيه، ويلصق فخذه ببطنه ويحتبي بيديه فيضعهما على ساقيه، قاله أبو عبيد. وقيل: هي جلسة المحتبي، ثم يرفع فخذه وركبته إلى صدره، ويدير يديه على ساقيه، ويشدهما، فإذا فعلت ذلك بالرجل وشدّت يدك عليه، فقد قرَفصته.

الفنجديهي: رأيت بخط الحريري: معناه أن يَحْتَبِي بيديه، قال أبو أمامة: كان النبي ﷺ يجلس القرُفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل<sup>(١)</sup>. وتقرُص الرجل، إذا جمع يديه وانضم من جَرَب أو قروح به.

أعيان: أشراف. محتقون: محلّقون، والمنزل محفوف بالناس إذا اجتمعوا بحفافيه، أي بجانيبه. والأخلاق: الدّون من الناس. والمعضلات: الغامضات من الكلام الصّعب. واستوضحوا، أي طلبوا منّي إيضاحها، أي بيانها. فطر: خلق، وفطر الله الخلق ابتداء خلقهم، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطرُ السموات والأرض حتى احتكم إليّ أغرابيان في بشر، فقال أحدهما: أنا فطرُها، أي ابتدأتها، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود: ٥١] أي خلقتني. ويتفطرون: يتشققن، وانفطرت: تشققت. وعلم آدم الأسماء كلّها، أي علمه أسماء كل شيء من المخلوقات. وفقه العرب، أي عالمهم، وقال تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ٢٢] أي ليكونوا علماء به، وكلّ عالم بشيء فهو فقيه فيه، ويقال: فقهت عنك، أي فهمت، وفقهت فقهاً، أي صرت فقيهاً، وهو الحاذق بما يعلمه، وفقهت الرجل: غلبته في الفقه، العزباء: الخالصة، وهذا الإدعاء الذي يدعى الآن يسمى انتحال العلم.

وقال بعض الحكماء: لا ينبغي لأحد أن يتحلل العلم.

وقال مقاتل بن سليمان يوماً، وقد دخلته أئمة العلم: سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى، فقال له رجل: ما نسألك عن شيء من ذلك، إنما نسألك عما معك في الأرض، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه.

ولما شهرت تآليف ابن قتيبة، ولحظ بعين العالم المتفتن، صعد المنبر، وقد غصّ المحفل واعتلى، تبريزاً على علماء وقته، مع فضل جاءه اشتمل به من السلطان، فقال:

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٢٢، بلفظ: «رأت النبي ﷺ وهو قاعد القرُفصاء»، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٤/٤٧. بلفظ: «إذا رسول الله ﷺ جالس القرُفصاء».

ليسألني مَنْ شاءَ عَمَّا شاءَ، فقام إليه أحد الأغفال، فقال له : ما الفتيل والقطمير؟ فلم يُخر جواباً، وأفحّمه ونزل خجلاً، وانصرف إلى منزله كسلاً. فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكّر الناس بهما، وهذا من عقاب العُجب.

ورأيت في بعض الأخبار أَنَّ ابْنَ قَتِيبة سُئِلَ عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال - وكان أبيض مشرباً بحمرة - فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه، حتى طفىء أسفاً على قُوَّةِ الحَرْفِ وقت الحاجة، ولعله كان ما قدّمنا في الحكاية.

وقال قتادة: ما سمعت قط شيئاً إلا حفظته، ولا حفظت قط شيئاً فنسيته. ثم قال: يا غلام هات نعلي، فقال: هما في رجلك، ففضحه الله.

وقال قتادة: حفظت ما لم يحفظ أحد قط، ونسيت ما لم ينس أحد قط، حفظت القرآن في سبعة أشهر، وقبضت على لحيتي، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي، فقطعت ما فوقها.

وكان بشر يش رجل من أهل الدين والورع، وحجّ في أيام أبي حامد وصحبه، ففانت صلاة الصبح يوماً لأحد أصحابه، فلامه على ذلك، فاعتذر له صاحبه فلم يعذره. ثم قال له عَلى معنى التَّغْيِبِ: كُملت لي اليوم عشرون سنة، ما فاتني صلاة الصبح في جماعة، فلما كان في اليوم الثاني أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعةً واحدة، فلما لَقِيَ صاحبه بعد الصلاة قال له: هذا كما رأيت. وإنما ذكرت عملي على معنى التبصرة والإرشاد، فلو ذكرته على غير ذلك لفاتتك، وإذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال، حين سئل: أيّ الناس اليوم أعلم؟ قال: أنا، وابْتُلي بالسفر حتى لقي الخضر، وجلس إليه راغباً في أن يعلمه، والخضر لا ينسب له في التعليم، ونَقَرَ عصفور في البحر، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله تعالى، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

وروي عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه: أَنَّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام: أتدري لم كُلمتُك؟ قال: لا يا ربّ، قال: إني اطَّلعت على قلوب العباد فلم أَرِ فيها قلباً أشدّ تواضعاً من قلبك، قال المنجم: [السرّيع]

لكل شيء في الورى آفةٌ      وآفة الممرء من الكُبرِ

وقال آخر: [الكامل]

الكُبر يأسٌ والتواضع رفعةٌ      والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة رفعةٌ      واليأس من روح الإله قنوط

فينبغي لكل عاقل أن يقول: ما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: «رَبِّ زدني علماً» [طه: ١١٤]، ولا يَزَى لنفسه حظاً، ويشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالأدب أليق، وبالشرع أوفق.

ومن سخيـف الشعر في الانتحال: [الطويل]

وما عَنِّي لي من غامض العلم غامضٌ      مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا بَثٌّ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ  
وقال عدي بن الرِّقَاع: [الكامل]

وعلمت حتى ما أشاورُ عالماً      عن علم واحدٍ لكي أزدادها<sup>(١)</sup>

وسمعه كثير ينشده الوليد بن عبد الملك، فقال له: كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين في صغار الأمور دون كبارها، حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحق منك اليوم حين تظن هذا في نفسك.

وقال أبو موسى المنجم: ما أحد تميت أن أراه، فلما رأيته أمرت بصفعه إلا عدياً، فقيل له: ولم ذلك؟ قال: لقوله هذا البيت، كنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر عليه بشيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

قوله: وأعلم من تحت الجرباء: سُميت السماء جرباء، لأن النجوم فيها كالجرب في البدن.

وقال ابن الرومي في غلام يهواه وخرج عليه جُدريٌّ، وأشار إلى جرب السماء: [الوافر]

وقالوا شأنه الجُدريّ فانظر      إلى وجهه أثر الكلوم  
فقلت: ملاحه نُثرت عليه      وما حُسنُ السَّماء بلا نجوم!

وقال أبو بكر بن السراج في الفتح بن مسروق البلخي، وقيل: قالهما في ابن ياسر المغني، وكان من أحسن الناس وجهاً: [السريع]

لي قمر جُدُرٍ لَمَّا استوى      فزاده حسناً وزاث الهموم  
كأنما غنى لشمس الضحى      فنقطته طرباً بالنجوم  
وقال آخر: [البسيط]

كأن آثار نجدٍ ير بوجئته      عشر معوزة في صحف وزاق

\*\*\*

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون:

قال لي اعتل من هويت حسود      قلت أنت العليل ونحك، لا هو  
ما الذي تنقمون من بشرات      ضاعفت حسنه وزانت حلاه  
وجهه - في الصفاء والرقه - الماء      فلا غزو أن حباب علاه



قوله: صَمَد، أي قصد. فَتَيْق: طَلِيق. جريء الجنان: ماضي القلب قويته. انتَخَلت: اخترت. الفتيا: لغة في الفتوى، وهما اسمان يُوضعان موضع الإفتاء، تقول: إفتاء وفَتَيًا وفَتَوَى.

بنات غير، كناية عن الكذب. الفنجديهي: رأيت بخط الحريري: بنات الغير: الكذب.

الفراء: يقال للرجل، أبو بنات عبر، وهو الباطن بعين مهملة وباء منقوطة، واحدة. مَيَّر: رزق وصلة، وأصله جَلَب الطعام للأكل. الله أكبر: حكى أهل اللغة أنَّ معناه كبير، وقال الفرزدق: [الكامل]

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ<sup>(١)</sup>

أي عَزِيْزة طويلة:

قال معن بن أوس: [الطويل]

لَعَنَمُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأُوجِلُّ      عَلَيَّ أَيْنَا تَعْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ<sup>(٢)</sup>

أي لوجل، وقال التحويون: الكسائي والفراء وهشام معناه: أكبر من كل شيء، فحذفت مِنْ لأنْ أفعال خبر، كقولك: أبوك أفضل وأعقل، أي من غيره، ولو كان اسماً لم يحذف منه شيء، ألا ترى أن مَنْ قال: أخوك أفضل لم يقل إن أفضل أخوك، فحذفت «مَنْ» في الخبر، لأن الخبر يدل على أشياء غير موجودة في اللفظ، نحو أخوك قام، فيدل على المصدر والزمان والمكان والاسم لا يحذف منه شيء يدل عليه. والمخبَّر، مصدر خبرت خَبَرَةً ومخبَّرًا، إذا جَرَّبْتَهُ، فأراد: سيتبين لك بالتجربة ما ادَّعَيْتَهُ من العلوم، ويتكشف لك ما أضمرته منها. اضْدَع: تكلم وأظهر، وصدعتُ بالحق تكلمتُ به جهاراً، وقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] أي أظهر دينك.

(١) البيت في ديوان الفرزدق ١٥٥/٢، والأشياء والنظائر ٥٠/٦، وخزانة الأدب ٥٣٩/٦، ٢٤٢/٨، ٢٧٦، ٢٧٨، وشرح المفصل ٩٧/٦، ٩٩، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٥٧، ولسان العرب (كبر)، (عزز)، وتاج العروس (عزز)، والمقاصد النحوية ٤٢/٤، والبيت بلا نسبة في شرح الأشموني ٣٨٨/٢، وشرح ابن عقيل ص ٤٦٧.

(٢) البيت لمعن بن أوس في ديوانه ص ٣٩، وخزانة الأدب ٢٤٤/٨، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩٤، وشرح التصريح ٥١/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٢٦، ولسان العرب (كبر)، (وجل)، والمقاصد النحوية ٤٩٣/٣، وتاج العروس (وجل)، وبلا نسبة في الأشياء والنظائر ١٤٠/٨، وأوضح المسالك ١٦١/٣، وجمهرة اللغة ص ٤٩٣، وخزانة الأدب ٥٠٥/٦، وشرح الأشموني ٢/٣٢٢، وشرح شذور الذهب ص ١٣٣، وشرح قطر الندى ص ٢٣، وشرح المفصل ٨٧/٤، ٦/٩٨، ولسان العرب (عنف)، (هون)، والمقتضب ٢٤٦/٣، والمنصف ٣٥/٣، وتاج العروس (عنف)، (هون).

وإنما اعتمد الشيخ أبو محمد الحريري في شرح الألفاظ التي ألغز بها على الوجه المعنى؛ ولنشرح ما سوى ذلك مما اشتملت عليه إن شاء الله تعالى.

\*\*\*

قال: ما تقول فيمن تَوْضَأُ ثُمَّ لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِهِ؟ قال: انتقض وُضُوؤُهُ بِفِعْلِهِ (التَّغْل: الرُّوْجَة).

قال: فإن تَوْضَأُ ثُمَّ أَتَكَاهُ الْبَرْدُ؟ قال: يجددُ الْوُضُوءَ من بَعْدُ (الْبَرْد: النوم).  
قال: أَيْمَسَحُ المتوضئ أَثْنَيْيَهُ؟ قال: قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ، ولم يوجِبْ عليه.  
(الْأَثْنِيَان: الْأَذْنَان).

قال: أيجوز الوضوء مِمَّا يَقْدِفُهُ الثُّعْبَانُ؟ قال: وهل أنظف مِنْهُ لِلْعُرْبَانِ! (الثُّعْبَان: جمع ثُعْب، وهو مَسِيلُ الْوَادِي).

قال: أَيْسْتَبَاحُ ماءِ الضَّرِيرِ؟ قال: نعم، وَيُجْتَنَبُ ماءُ الْبَصِيرِ. (الضَّرِير: حَزَف الْوَادِي. وَالْبَصِير: الْكَلْب).

قال: أيجلّ التَّطَوُّفُ فِي الرَّبِيعِ؟ قال: يُكْرَهُ ذَلِكَ لِلْحَدِيثِ الشَّيْعِ. (التَّطَوُّف: التَّغَوُّط. وَالرَّبِيع: الثَّهْرُ الصَّغِير).

\*\*\*

قوله: لَمَسَ، جَرَّ أَصَابِعَهُ عَلَيْهَا. أَتَكَاهُ: جعله مُتَكَنًّا. يقذفه: يطرحه من بطنه. والضَّرِير: الْأَعْمَى. وَالْبَصِير: الْبَصَر.

والتَّطَوُّف: مصدر طاف حَوْلَ الشَّيْءِ إذا دار به. والحَدَّث: الغائط، وجعله شنيعاً لأن الإنسان إذا فعله في الماء ظهر على وجه الماء فكانت به شناعة، واستقذر الماء فلم يستعمل، وإن كان مباحاً استعماله.

\*\*\*

قال: أيجب الغُسلُ على مَنْ أُمْتِيَ؟ قال: لا ولو ثَمَّتِي. (أُمْتِيَ: نزل مَنِي، ويقال منه: مَنَى وَأُمْتِيَ وَأُمْتَتِي).

قال: فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجُنُبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ؟ قال: أجل وَعَسْلُ إِبْرَتِهِ (الفَرْوَة: جِلْدَةُ الرَّأْس، وَالْإِبْرَة: عَظْمُ الْمِرْقَى).

قال: أيجبُ عَلَيْهِ غَسْلُ صَحِيفَتِهِ؟ قال: نعم كَغَسْلِ شَقَتِهِ (الصَّحِيفَة: أَسِرَّة الْوَجْهِ).

قال : فإن أَخْلُ بِعَسَلٍ فَأَسِيهِ؟ قال : هو كما لَوْ أَلْعَى غَسَلَ رَأْسِيهِ (الفأس : العَظْمُ المشْرِفُ عَلَى ثُقْرَةِ القفا).

قال : أيجوزُ الغُسْلُ في الجرابِ؟ قال : هو كَالغُسْلِ في الجِبابِ . (الجراب : جَوْفُ البئر).

قال : فما نَقُولُ فيمن تيمّم ثم رأى رَوْضاً؟ قَالَ : بَطَلَ تَيْمُمُهُ فليَتَوَضَّأ (الرَّوْضُ ها هنا : جَمْعُ رَوْضَةٍ ، وهي الصُّبَابَةُ بَقِيَ في الحَوْضِ).

\*\*\*

أَخْلُ : نقص . ثُقْرَةٌ : حُفْرَةٌ . الرَّوْضُ : مواضع الغيث . والصُّبَابَةُ : البقِية .

\*\*\*

قال : أيجوزُ أن يَسْجُدَ الرَّجُلُ في العَذِرَةِ؟ قال : نعم وليجانب القَذِرَةَ (العَذِرَةُ : فناء الدار).

قال : فهل له السُّجُودُ عَلَى الْخِلَافِ؟ قال : لا ، ولا عَلَى أَحَدِ الْأَطْرَافِ . (الْخِلَافُ : لَكُمْ).

قَالَ : فَإِنْ سَجَدَ عَلَى شِمَالِهِ؟ قال : لا بِأَسَ بِفَعَالِهِ . (الشَّمَالُ : جمع شَمْلَةٍ) . قال : فهل يجوزُ السُّجُودُ عَلَى الْكُرَاعِ؟ قال : نَعَمْ ، دُونَ الذَّرَاعِ (الْكُرَاعُ : ما اسْتَطَالَ من الحَرَّةِ ، وهي أرض ذات حجارة سود) .

قال : أَيْصَلِّي عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ؟ قال : نَعَمْ ، كَسَائِرِ الْهَضْبِ (رَأْسُ الْكَلْبِ : ثَنِيَّةٌ مُعْرُوفَةٌ) .

قال : أيجوزُ لِلدَّارِسِ حَمْلُ المصاحِفِ؟ قال : لا ، ولا حَمْلُهَا في الملاجِفِ . (الدَّارِسُ : الحائِضُ) .

قال : ما نَقُولُ فيمَن صَلَّى وَعَانَتْهُ بَارِزَةٌ؟ قال : صَلَاتُهُ جَائِزَةٌ . (الْعَانَةُ : الجماعة من حُمُرِ الوحش) .

\*\*\*

وَالْكُرَاعُ : الرَّجُلُ ، وَكُرَاعُ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفُهُ . وَالْحَرَّةُ : أرض فيها حجارة سود . وَالْهَضْبُ : جمع قَصَبَةٍ وهي الصخرة العظيمة ، والكُذْيَةُ الصغيرة ، وقيل : الهضبة الجبل

المنبسط على وجه الأرض، وقيل: الجبل الطويل المتسع والجمع هضاب. ثنية: عَقَبَة.

\*\*\*

قال: فإن صَلَّى وَعَلَيْهِ صَوْمٌ؟ قال: يُعِيدُ وَلَوْ صَلَّى مائة يوم. (الصَّوْمُ: ذَرْقُ النَّعَام).

قال: فإن حَمَلَ جِزْوَاً وَصَلَّى؟ قال: هُوَ كَمَا لَوْ حَمَلَ بِاقِلِي. (الْجَزْوَ: الصَّغَارُ مِنَ الْقِتَاءِ وَالزَّمَان).

قَالَ: أَتَصُحُّ صَلَاةَ حَامِلِ الْقَرْوَةِ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْ صَلَّى فَوْقَ الْمَرْوَةِ (الْقَرْوَةُ: مَيْلَغَةُ الْكَلْبِ).

قَالَ: فَإِنْ قَطَرَ عَلَى ثَوْبِ الْمُصَلِّي نَجْوٌ؟ قَالَ يَمْضِي فِي صَلَاتِهِ وَلَا غَرْو. (النَّجْوُ: السَّحَابُ الَّذِي قَدْ هَرَأَ مَاءَهُ).

قال: أيجوزُ أن يُؤْمَ الرِّجَالُ مُقَنَّعٌ؟ قَالَ: نعم، ويؤمُّهُمْ مُدْرَعٌ. (الْمُقَنَّعُ: لَابِسُ الْمِغْفَرِ، وَالْمُدْرَعُ: لَابِسُ الدَّرْعِ).

قال: فإن أُمَّهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ وَقَفٌ؟ قال: يُعِيدُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَلْفَ (الْوَقْفُ: السُّوَارُ مِنَ الْعَاجِ أَوْ الذَّبْلُ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلرِّجَالِ الْإِتِمَامُ بِالنِّسَاء).

الميلغة: ما يشرب فيه الكلب الماء، وهي من وَلَغَ الْكَلْبُ، إِذَا تَنَاوَلَ الْمَاءَ بِلِسَانِهِ وَالْقَرْوَةُ: نَقِيرٌ مِنْ خَشَبٍ تَشْرَبُ مِنْهُ الْكِلَابُ. وَالْقِتَاءُ: هُوَ الْفَقُّوسُ. وَالنَّجْوُ: هُوَ الْحَدَثُ لَا غَرْو: لَا عَجَبٌ. وَالْمُقَنَّعُ: لَابِسُ الْقِنَاعِ، يَرِيدُ الْمَرَاةَ. وَالْوَقْفُ: مَا وُقِفَ وَحْبَسَ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْمَسَاجِدِ. وَالذَّبْلُ: جِلْدُ السُّلْحَفَةِ الْبَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا تَعْظُمُ، فَرُبَّمَا يَضَعُ التَّاجِرُ لِيَلَا عَلَيْهَا حَمْلَهُ يَظُنُّهَا صَخْرَةً فَتَرْتَحِلُ بِهِ، وَيَسْتَعْمَلُ مِنَ الطَّبَقِ الَّذِي عَلَيْهَا خِلَاحِلَ لِلْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ. وَالْعَاجُ عَظْمُ الْفِيلِ.

\*\*\*

قال: فإن أُمَّهُمْ مَنْ فَخَذُهُ بِأَدِيَةٍ؟ قال: صَلَاتُهُ وَصَلَاتُهُمْ مَاضِيَةٌ. (الْفَخْذُ: الْعَشِيرَةُ، وَبِأَدِيَةٍ، أَيِ يَسْكُنُونَ الْبَدُو، وَاخْتَارَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ تَسْكِينَ الْخَاءِ مِنْ هَذِهِ الْفَخْذِ، لِيَحْصُلَ الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَضْوِ).

قال: فإن أُمَّهُمْ الشَّوْرُ الْأَجَمُ؟ قال: صَلَّ وَخَلَاكَ ذَمٌ. (الشَّوْرُ: السَّيِّدُ. وَالْأَجَمُ: الَّذِي لَا رُفْعَ مَعَهُ).

قال: أَيْدُخُلُ الْقَصْرُ فِي صَلَاةِ الشَّاهِدِ؟ قال: لا، وَالْعَائِبِ الشَّاهِدِ. (صلاة الشاهد: صلاة المغرب، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِقَامَتِهَا عِنْدَ طُلُوعِ النِّجْمِ، لِأَنَّ النِّجْمَ يُسَمَّى الشَّاهِدَ).

قال: أَيْجُوزُ لِلْمَعْدُورِ أَنْ يُفْطِرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قال: مَا رُخِّصَ فِيهِ إِلَّا لِلصَّبِيَّانِ. (الْمَعْدُورُ: الْمُخْتُونُ، وَهُوَ أَيْضاً الْمُعَذَّرُ).

قال: فَهَلْ لِلْمَعْرُوسِ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ؟ قال: نَعَمْ بِفُلٍ فِيهِ. (الْمَعْرُوسُ: الْمَسَافِرُ الَّذِي يَنْزِلُ فِي آخِرِ لَيْلِهِ لِيَسْتَرْيَحَ ثُمَّ يَرْتَحِلَ).

قال: فَإِنْ أَفْطَرَ فِيهِ الْعُرَاةُ؟ قال: لَا تُتَكَبَّرُ عَلَيْهِمُ الْوَلَاةُ. (الْعُرَاةُ: الَّذِينَ تَأْخُذُهُمُ الْعُرَاةُ، وَهِيَ الْحُمَى بِرِغْدَةٍ).

\*\*\*

قال: فَإِنْ أَكَلَ الصَّائِمُ بَعْدَ مَا أَصْبَحَ؟ قَالَ: هُوَ أَخَوْتُ لَهُ وَأُصْلَحَ. (أَصْبَحَ، أَيِ اسْتَضَبَّحَ بِالصَّبَاحِ).

قال: فَإِنْ عَمَدَ أَنْ أَكَلَ لَيْلاً؟ قال: لِيُسَمَّرَ لِلْقَضَاءِ دَيْلاً. (ذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّ اللَّيْلَ فَرْخُ الْحُبَارَى، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ وَلَدُ الْكَرَّوَانِ).

قال: فَإِنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى الْبَيْضَاءُ؟ قَالَ: يَلْزُمُهُ وَاللهُ الْقَضَاءُ. (الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ).

قال: فَإِنْ اسْتَثَارَ الصَّائِمُ الْكَئِيدَ؟ قال: أَفْطَرَ وَمَنْ أَحْلَى الصَّيْدَ. (الْكَئِيدُ: الْقِيءُ. وَاسْتَثَارَهُ، أَيِ اسْتَدْعَاهُ).

قال: أَلَهُ أَنْ يُفْطِرَ بِالْحَاحِ الطَّابِخِ؟ قال: نَعَمْ لَا بِطَاهِي الْمَطَابِخِ. (الطَّابِخُ: الْحُمَى الصَّالِبُ).

قال: فَإِنْ ضَحِكَتِ الْمَرْأَةُ فِي صَوْمِهَا؟ قَالَ: بَطَلَ صَوْمُ يَوْمِهَا. (ضَحِكَتْ هَا هُنَا، أَيِ حَاضَتْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقٍ﴾ [هود: ٧١]).

قال: فَإِنْ ظَهَرَ الْجَدْرِيُّ عَلَى صُرَّتِيهَا؟ قال: تُفْطِرُ إِنْ أَذَنَ بِمَضْرَتِهَا. (الضَّرَّةُ: أَضْلُ الْإِبْهَامِ، وَأَضْلُ الثَّنْدِيِّ أَيْضاً).

الطَّاهِي: طَابِخُ اللَّحْمِ. وَالصَّالِبُ: الْحُمَى لَا تَرَعْدُ، وَالْحَاحِي: مَلَازِمَتُهَا.

الجُدْرِي: قروح صغار تخرج على الصبيان. وَصَرَّتْهَا: شريكته في زوجها.

\*\*\*

قال: ما يجبُ في ماله مُصْبَاحٍ؟ قال: حُقَّتَانِ يا صاح. (المِصْبَاح: الناقة التي تُصبح في المَبْرَك).

قال: فإن مَلَكَ عَشَرَ خَنَاجِرٍ؟ قال: يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلَا يُشَاجِر. (الخَنَاجِر: الثوق الغُزار الدَرّ، واحدها خَنْجَرٌ وَخَنْجُور).

قال: فإن سَمَحَ للسَّاعِي بِحَمِيمَتِهِ؟ قال: يا بُشْرَى لَهُ يَوْمَ قِيَامَتِهِ. (السَّاعِي: جَابِي الصَّدَقَةِ، والخَمِيمَةُ: خِيَارُ الْمَال).

قال: أَيْسْتَحِقُّ حَمَلَةُ الْأَوْزَارِ مِنَ الزَّكَاةِ جُزْأً؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانُوا غُرَى. (الأَوْزَار: السَّلَاح. وَغُرَى: جمع غَارِ).

قال: أيجوز للحاج أن يَغْتَمِرَ؟ قال: لا، ولا أن يَخْتَمِرَ. (الاعْتِمَارُ: لُبْسُ الْعِمَارَةِ، وهي العِمَامَةُ، والاختِمَار: لبس الخِمَار).

قال: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الشُّجَاعُ؟ قال: نعم، كما يقتل السَّبَاع. (الشُّجَاع: الحَيَّة).

\*\*\*

الحِقَّة: التي استَحَقَّتْ أن يركب عليها. والخَنَاجِر: نوع من السَّكَاكِين الكبار. ويشاجر: يخالف. والجابي: الجامع للصدقة، ومنه الجباية.

والأوزار: أثقال الذنوب. والغُرَى: هؤلاء الرِّمَاء بالنشاب. وَيَغْتَمِر: يحج بعمره. ويختمر: يستعمل الخبز المختمر.

\*\*\*

قال: فإن قَتَلَ رَمَّارَةً في الحَرَمِ؟ قَالَ: عَلَيْهِ بَدَنَةٌ مِنَ النَّعَم. (الرَّمَّارَةُ: النَّعَامَةُ واسمُ صَوْنِهَا الرَّمَّار).

قال: فإن رَمَى سَاقَ حُرٍّ فجدَلَهُ؟ قال: يُخْرِجُ شَاءَ بَدَلَهُ. (سَاقُ حُرٍّ: دَكَرُ الْقَمَارِيِّ).

قال: فإن قَتَلَ أُمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الْإِحْرَامِ؟ قَالَ يَتَصَدَّقُ بِقُبْضَةٍ مِنْ طَعَامٍ. (أُمُّ عَوْفٍ: الجَرَادَةُ).

قال: أيجبُ عَلَى الحاجِّ اسْتِصْحَابُ الْقَارِبِ؟ قَالَ: نعم، ليسَوْفَهُمْ إِلَى الْمَشَارِبِ. (القَارِبُ: طَالِبُ الْمَاءِ بِاللَّيْلِ).  
 قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْحَرَامِ بَعْدَ السَّبْتِ؟ قَالَ: قَدْ حَلَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.  
 (الْحَرَامُ: الْمَحْرُومُ، وَالسَّبْتُ: خَلْقُ الرَّأْسِ. وَحَلَّ، مِنْ تَحْلِيلِ الْحَجِّ).  
 قَالَ: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الْكُمَيْتِ؟ قَالَ: حَرَامٌ كَبَيْعِ الْمَيْتِ. (الْكُمَيْتُ: الْخَمْرُ).



وَالزُّمَارَةُ: الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ بِالْمِزْمَارِ. وَالْبَدَنَةُ النَّاقَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لَضَخَامَتِهَا وَبَدَنُ الرَّجُلِ ضَخْمٌ. جَدَلَهُ: قَتَلَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى الْجِدَالَةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ. وَمِنْ أَبْيَاتِ اللَّغَزِ فِي الْجَرَادَةِ:  
 وَمَا صَفَرَاءُ تُكْنَى أَمْ عَوْفٍ      كَأَنَّ سُورِيَقَتَيْنِهَا مِثْلَ جَلَانٍ  
 وَالْقَارِبُ: السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ. وَالْكُمَيْتُ: الْفَرَسُ الْأَسْوَدُ الْعُرْفُ وَالذَّنْبُ. وَالْكُمَيْتَةُ: حُمْرَةٌ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ.



قال: أيجوزُ بَيْعُ الْخَلِّ بِلُحْمِ الْجَمَلِ؟ قَالَ: وَلَا بِلُحْمِ الْحَمَلِ. (الْخَلُّ ابْنُ الْمَخَاضِ، وَلَا يَحِلُّ بَيْعُ اللَّحْمِ بِالْخَيَّوَانِ، سِوَا مَا كَانَ مِنْ جَنْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِ جَنْسِهِ).  
 قَالَ: أَيْجِزُ بَيْعُ الْهَدِيَّةِ؟ قَالَ: لَا وَلَا يَبْعُ السَّبِيَّةُ. (الْهَدِيَّةُ، بِالتَّشْدِيدِ: مَا يُهْدَى إِلَى الْكَعْبَةِ، وَيُقَالُ فِيهَا هَدِيَّةٌ، بِتَسْكِينِ الذَّالِّ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ. وَالسَّبِيَّةُ: الْخَمْرُ).

قال: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الْعَقِيقَةِ؟ قَالَ: مُحْظُورٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ. (الْعَقِيقَةُ: مَا يُذْبَحُ عَلَى الْمَوْلُودِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وَلَادَتِهِ).

قال: أيجوزُ بَيْعُ الدَّاعِي، عَلَى الرَّاعِي؟ قَالَ: لَا، وَلَا عَلَى السَّاعِي.  
 (الدَّاعِي: بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ، وَالسَّاعِي: جَائِبِي الصَّدَقَةِ).

قال: أَيْبَاعُ الصَّفَرِ بِالثَّمَرِ؟ قَالَ: لَا، وَمَالِكُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ. (الصَّفَرُ: الدُّبْسُ).

قال: أَيَشْتَرِي الْمُسْلِمُ سَلْبَ الْمُسْلِمَاتِ؟ قال: نَعَمْ، وَيُورَثُ عَنْهُ إِذَا مَاتَ.  
(السَّلْبُ: لِحَاء الشَّجَرِ، وَهُوَ أَيْضاً حَوْضُ الثَّمَامِ).

\*\*\*

وَالْحَمْلُ: الْخُرُوفُ. وَالْعَقِيقَةُ: حَزْزَةُ حِمْرَاءَ. مُحْظُورٌ: مَمْنُوعٌ. وَالصُّقْرُ: مِنْ  
جَوَارِحِ الطَّيْرِ. الذَّبْسُ: عَسَلُ التَّمْرِ. خَوْصٌ: وَرَقُ الثَّمَامِ: شَجَرٌ ضَعِيفٌ وَرَقُهُ كَوَرَقِ  
الدَّوْمِ مَزْدُوجَةٌ.

\*\*\*

قال: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُبْتَاعَ الشَّافِعُ؟ قال: مَا لَجَوَازِهِ مِنْ دَافِعٍ (الشَّافِعُ: الشَّاةُ  
الَّتِي يَتَّبِعُهَا سَخْلُهَا).

قال: أَيْبَاعُ الْإِبْرِيْقِ عَلَى بَنِي الْأَصْفَرِ؟ قال: يُكْرَهُ كِبَيْعُ الْمَغْفَرِ. (الْإِبْرِيْقُ:  
السِّيفُ الصَّقِيلُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ. وَبَنُو الْأَصْفَرِ: الرُّومُ).

قال: أَيْجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ صِفَتَهُ؟ قال: لَا، وَلَكِنْ لِيَبِيعَ صِفَتَهُ. (الصِّفَتُ:  
الْوَلَدُ عَلَى الْكِبَرِ، وَالصَّفِي: النَّاقَةُ الْغَزِيرَةُ الدَّر).

قال: فَإِنْ اشْتَرَى عَبْدًا فَبَانَ بِأَمَةِ جِرَاحٍ؟ قال: مَا فِي رَدِّهِ مِنْ جُنَاحٍ. (الْأَمُ:  
مُجْتَمِعُ الدَّمَاعِ).

قال: أَنْثَبَتِ الشُّفْعَةُ لِلشَّرِيكِ فِي الصَّحْرَاءِ؟ قال: لَا، وَلَا لِلشَّرِيكِ فِي  
الصُّفْرَاءِ. (الصُّحْرَاءُ: الْأَتَانُ الَّتِي يُمَازَجُ بِيَاضِهَا غُبْرَةً وَالصُّفْرَاءُ: النَّاقَةُ).

قال: أَيْجَلُّ أَنْ يُحْمَى مَاءُ الْبَيْتِ وَالْخَلَاءُ؟ قال: إِنْ كَانَ فِي الْفَلَاءِ فَلَا. (يُحْمَى:  
يَمْنَعُ. وَالْخَلَاءُ: الْكَلَاءُ).

\*\*\*

الْإِبْرِيْقُ: آتِيَةُ الْخَمْرِ. الصِّفَتُ: مَا وَلَدَ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ. وَالصَّفِي: الصَّاحِبُ  
الْخَالِصُ. وَالدَّرُ: اللَّبَنُ. وَبَانَ: ظَهَرَ. وَجَنَاحٌ: إِثْمٌ. وَالْأَتَانُ: الْأُنْثَى مِنَ الْحَمِيرِ.

\*\*\*

قال: مَا تَقُولُ فِي مَبِيتَةِ الْكَافِرِ؟ قال: جِلُّ لِّلْمَقِيمِ وَالْمَسَافِرِ. (الْكَافِرُ: الْبَحْرُ،  
وَمَبِيتُهُ، السَّمَكُ الطَّافِي فَوْقَ مَائِهِ).

قال: أَيْجُوزُ أَنْ يُضْحَى بِالْحَوْلِ؟ قال: هُوَ أَجْدَرُ بِالْقُبُولِ. (الْحَوْلُ: جَمْعُ  
حَائِلٍ).



قال: فهل يُضَحِّي بالطَّالِق؟ قال: نعم، ويُقَرَى منها الطَّارِق. (الطالق: الناقة تُرسل ترعى حيث شاءت).

قال: فإنَّ ضَحَّى قبل ظُهورِ الغَزَالَةِ؟ قال: شاة لحم بلا مَحَالَةٍ. (الغَزَالَة: الشمس). قال بعضهم: يقال: طلعت الغَزَالَة. ولا يقال: غَرَبَتْ، وضدّها الجَوْنَة، تسمّى بها عند مغيبها، لأنها تسودُّ حين تغيب، كما قال الشاعر: [الرجز]

\* تبادر الجؤنة أن تغيباً<sup>(١)</sup> \*

قال: أيجلّ التَّكْسَبُ بالطَّرْق؟ قال هو كالقِمَار بلا فرق. (الطَّرْق: الضَّرْب بالحصي، وهو من أفعال الكَهَنَة).

قال: أيسلمُ القائمُ على القَاعِد؟ قال: محظورٌ فيما بين الأَبَاعِد. (القاعد: التي قعدت عن الحيض أو عن الأزواج).

\* \* \*

والطَّافِي: المرتفع على وجه الماء. والحُول: جمع أخول وخولاء. أجدر: أحق. والطَّرْق: السَّيْر بالليل. محظور: ممنوع.

\* \* \*

قال: أينامُ العاقلُ تحت الرِّقِيع؟ قال: أخبُّ به في البَقِيع. (الرِّقِيع: السماء، وعنى بالبقيع المدينة).

قال: أَيْمَنُ الدَّمِي مِنْ قَتْلِ الْعَجُوز؟ قال: معارضته في الْعَجُوز لا تجوز. (الْعَجُوز: الخمر. وقتلها: مَزَجُها).

قال: أيجوز أن ينتقل الرِّجُلُ عَنْ عِمَارَةِ أبيه؟ قال: ما مُجَرِّزٌ لخاملٍ ولا نبيه. (العِمارة: القَبيلة).

قال: ما تقول في التَّهَوُّد؟ قال: هو مفتاح التَّرَهْد. (التَّهَوُّد: التَّوبَة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُذْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(١) يروى الرجز:

يبادر الأشباح أن تغيباً والجؤنة البيضاء أن تؤوبا

وهو للخطيم الضبابي في لسان العرب (جون)، وللأجلح بن قاسط الضبابي في النفاض ص ٩٢٩، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣٠٣، وتاج العروس (أوب)، (جون)، والأزمنة والأمكنة ٣٩/٢، وأمالى القالي ٩/١، وسمط اللآلي ص ٤١.

قال: ما تقول في صَبْرِ الْبَلِيَّةِ؟ قال: أَغْظَمَ بِهِ مِنْ حَظِيَّةٍ. (الصَّبْرُ: الحبس. والبلية: الناقَةُ تَحْبَسُ عند قبر صاحبها، فَلَا تُسْقَى وَلَا تُعْلَفُ إِلَى أَنْ تَمُوتَ، وكانت الجاهلية تَزْعُمُ أَنَّ صَاحِبَهَا يُحْشَرُ عَلَيْهَا).

قال: أَيَجَلَّ ضَرْبُ السَّفِيرِ؟ قال: نعم، والحملُ على المستشير. (السَّفِيرُ: ما تساقط من ورق الشجر. والمستشير: الجمل السمين، وهو أيضاً الجمل الذي يعرف اللَّاقِحَ من الحائل).



والرَّقِيع: الأحمق الذي يتخَرَّقَ عليه رأيه حتى يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَرْفَعَ، ثم كثر حتى صار الرَّقِيع الماجن القليل الحياء، فأراد: أيرْقُدُ عاقل تحت رقيع؟ فقال: ما أحسن ذلك، إذا كان في البقيع؛ هذا معناه في الظاهر، وما قصد به قد فسرته. والبقيع في الأصل: كُلُّ موضع فيه أصول أشجار مختلفة. التَّهَوُّدُ: الدَّخُولُ فِي دِينِ الْيَهُودِيَّةِ. عمارة أبيه: ما كان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره السَّفِيرُ: الرسول. المستشير: المسترشد الذي يستشيرك في أموره والحمل عليه إهانتة وظلمه. اللاقيح: الحامل بالولد، والحائل: ضدهما.



قَالَ: أَيُعَزِّرُ الرُّجُلُ أَبَاهُ؟ قال: يَفْعَلُهُ الْبَرُّ وَلَا يَأْبَاهُ. (التَّعْزِيرُ: التَّعْظِيمُ وَالنُّصْرَةُ وَالتَّقْوِيرُ).

قال: ما تقول فيمن أفقر أخاه؟ قال: حَبِّذا ما تَوَخَّاهُ. (أفقره: أعاره ناقه يركب فقارها).

قال: فَإِنْ أَعْرَى وَلَدَهُ؟ قال: يَا حُسْنَ مَا اعْتَمَدَهُ! (أعزاه: أعطاه ثمرة نخلة عاماً).

قال: فَإِنْ أَضَلَّى مَمْلُوكَهُ النَّارَ؟ قال: لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عَارَ. (المملوك: الْعَبْدُ الَّذِي قَدْ أُجِيدَ عَجْزُهُ حَتَّى قَوِيَ).

قال: أَيْجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصْرُمَ بَعْلَهَا؟ قال: مَا حَظَرَ أَحَدٌ فَعْلَهَا. (الْبَغْلُ: النَّخْلُ الَّذِي يَشْرَبُ بِعُرْوَقِهِ مِنَ الْأَرْضِ).

قال: فَهَلْ تَوُذَّبُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْخَجَلِ؟ قل: أَجَلْ. (الْخَجَلُ: سوء احتمال

الغنى، ومنه قوله ﷺ للنساء: «إِن كُنْ إِذَا جَعْتُنْ دَقْعَتُنْ، وَإِذَا شَبِعْتُنْ خَجَلْتُنْ»<sup>(١)</sup>.  
قال: ما تقول فيمن نَحَتْ أَثْلَةً أَخِيهِ؟ قال: أَثْمٌ وَلَوْ أُذِنَ لَهُ فِيهِ. (نَحَتْ أَثْلَتَهُ، إِذَا اغْتَابَهُ وَقَدَحَ فِي عِرْضِهِ).



يعزَّر: يُوَدَّب، والتَّعْزِيز: ضرب دون الحدِّ. والبَرَّ: المكرم لأبيه. توخاه: قصده، وكذلك اعتمده. أَضْلَاهُ: جعله فيها. تصرَّم: تقطع وتباعد، وأصل الصَّرَم القطع. بعلها زوجها. حظر: منع. الخَجَل: الاستحياء. وأراد بسوء احتمال الغنى، أن تكون مبدرةً لمالها سفيهةً، فكأنَّ الغنى لَمَّا أَتَاهَا لَمْ تَحْتَمِلْهُ فَأَفْسَدَتْهُ نَحَتْ: نَجَز. أَثْلَةٌ: شجرة.



قال: أَيَحْبُرُ الحاكم على صاحب الثَّور؟ قال: نعم، ليأمن غائلة الجور. (الثَّور: الجثون).

قال: فهل له أن يضرب على يد اليتيم؟ قال: نعم، إلى أن يستقيم. (يقال: ضرب على يده، إِذَا حَبَّرَ عَلَيْهِ).

قال: فهل يجوز أن يتخذ له رِبْضاً؟ قال: لا، ولو كان له رِبْضاً. (الرِبْض: الزوجة).

قال: فمتى يبيع بَدَنَ السَّفِيهِ؟ قال جِئْنَ يَرَى لَهُ الْحِظُّ فِيهِ. (البَدَن: الذرع القصيرة).

قال: فهل يجوز أن يتتاع له حُشاً؟ قال: نعم، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُغْشَى. (الحُش: النخل المجتمع).

قال: أَيُجوز أن يكونَ الحاكم ظالماً؟ قال: نعم، إِذَا كَانَ عَالِماً. (الظَّالِم: الذي يشرب اللبن قبل أن يروِّب ويخرج زَبْدَهُ).

قال: أَيُسْتَفْضَى مَنْ لَيْسَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ؟ قال: نعم، إِذَا حُسِنَتْ مِنْهُ السَّيْرَةُ. (البصيرة: الترس).

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١٢٧/٢.

قال: فإن تعرّى من العَقْل؟ قال: ذاك عنوان الفضل. (العَقْل: ضرب من الوشي).

\*\*\*

غائلة: ضرر. الرَبَض: بقاع من الأرض تباع وتشتري. الحُش: الكَنيف. مغشّى: يغشاه الناس ويدخلونه. البصيرة: اليقين والنَّظَر السديد. السَّير: العادة. عُنوان: دليل وعلامة.

\*\*\*

قال: فإن كان له زَهُوٌ جَبَّار؟ قال: لا إنكارَ عليه ولا إكبار. (الزهُو: البُسر المتلون. والجَبَّار: النخل الذي فات اليد وضده القاعد).  
قال: أيجوز أن يكون الشاهد مريباً؟ قال: نعم، إذا كان أريباً. (المُريب: الذي يكثر عنده اللبب الرائب).

قال: فإن بان أنه لاط؟ قال: هو كما لو خاط. (لاطَ الحوض، إذا طيَّنه).  
قال: فإن عُثِر على أنه غَرَبِل؟ قال: تُرَدَّ شهادته ولا تُقبل. (غَرَبِل، أي قُتِل)، ومنه قول الراجز: [الرجز]

✽ ترى الملوك حوله مغربله<sup>(١)</sup> ✽

قال: فإن وضع أنه مائن؟ قال: هو وصفٌ له زائن. (المائن ها هنا: الذي يَعُول ويكفي المؤونة، من مان يَمُون، لا مِنْ مَائَ يَمِين).  
قال: ما يجب على عابد الحق؟ قال: يحلفُ بإله الخلق. (العابد ها هنا: الجاحد: والحق: الدِّين).

قال: ما تقول فيمن فقا عَيْن بلبل عامداً؟ قال: تُفَقَأ عينه قولاً واحداً. (البُّلْبُل: الرِّجُل الخفيف).

قال: فإن جرح قطاة امرأة فماتت؟ قال: التَّقْس بالنفس إذا فانت. (الْقَطَةُ: ما بين الْوَرَكَيْن).

\*\*\*

(١) الرجز لعامر الخصفي في تاج العروس (غربل)، وللصحابي في تاج العروس (ضرم)، وبلا نسبة في لسان العرب (ثكل)، (حرم)، (رعل)، (غربل)، وتهذيب اللغة ٢٤٣/٨، وجمهرة اللغة ص ١١٣٢، ومقاييس اللغة ٥٠٩/٢، ومجمل اللغة ٤٨٤/٢، والمخصص ١١٤/٦.

والزُّهْر: التَّكْبِيرُ والإعجاب. الأريب: العاقل. لاط: عمل عمل قوم لوط. وضع: تبين. مائن: كاذب. القَطَاة: نوع من الحمام، وفقاً العين: أخرجها والبُّلْبُل، طائر.

\*\*\*

قال: فَإِنْ أَلْقَيْتَ الْحَامِلُ حَشِيشاً مِنْ ضَرْبِهِ؟ قَالَ: لِيَكْفَرَ بِالْإِعْنَانِ عَنْ ذَنْبِهِ. (الحشيش: الجنين المُلْقَى ميتاً).

قال: مَا يَجِبُ عَلَى الْمُخْتَفِي فِي الشَّرْعِ؟ قَالَ: الْقَطْعُ لِإِقَامَةِ الرِّدْعِ. (المختفي: نَبَّاشُ الْقُبُورِ).

قال: فَمَا يَصْنَعُ بِمَنْ سَرَقَ أَسَاوِدَ الدَّارِ؟ قَالَ: يُقْطَعُ إِنْ سَاوَيْنِ رُبْعَ دِينَارٍ. (الأساود: الآلات المستعملة كالإِجَانَةِ وَالْقِدْرَ: الْجَفْنَةُ).

قال: فَإِنْ سَرَقَ ثَمِيناً مِنْ دَهَبٍ؟ قَالَ: لَا قُطْعَ كَمَا لَوْ غَضِبَ. (الثمين: الثَّمَنُ، كَمَا يُقَالُ فِي النِّصْفِ: نَصِيفٌ، وَفِي السُّدُسِ سُدُوسٌ).

قال: فَإِنْ بَانَ عَلَى الْمَرْأَةِ السَّرْقُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ عَلَيْهَا وَلَا فَرْقَ (السَّرْقُ: الْحَرِيرُ الْأَبْيَضُ).

قال: أَيْنَعِدُ نِكَاحٌ لَمْ يَشْهَدْهُ الْقَوَارِي؟ قَالَ: لَا وَالْخَالِقُ الْبَارِي. (القَوَارِي: الشُّهُودُ لِأَنَّهُمْ يَقْرُونُ أَيَّ الْأَشْيَاءِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهَا).

قال: مَا تَقُولُ فِي عَرِيْسٍ بَاتَتْ بِلَيْلَةٍ حُرَّةً، ثُمَّ رُدَّتْ فِي حَافِرَتِهَا بِسُخْرَةٍ؟ قَالَ: يَجِبُ لَهَا نِصْفُ الصَّدَاقِ، وَلَا تَلْزُمُهَا عِدَّةُ الطَّلَاقِ.

(يُقَالُ: بَاتَتْ الْعُرُوسُ بِلَيْلَةٍ حُرَّةً، إِذَا امْتَنَعَتْ عَلَى زَوْجِهَا؛ فَإِنْ افْتَضَّهَا قَبْلَ: بَاتَتْ بِلَيْلَةٍ شَبِيَاءَ. وَالرَّدُّ فِي الْحَافِرَةِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ فِي الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ، وَكَتَى بِهِ عَنْ طَلَاقِهَا قَبْلَ وَرَدِّهَا إِلَى أَهْلِهَا).

\*\*\*

الحشيش: نبات يابس: الرِّدْعُ: الكَفُّ وَالْمَنْعُ. الأساود: الحيات. الثمين: الرفيع الثمن.

القواري: طيور خضر، وقد بين هو أنه أراد بالقواري الشُّهُود، ويقال: المسلمون قواري الله في الأرض أي شهره، وقال جرير: [الكامل]

\* المسلمون لِمَا أَقُولُ قَوَارِي<sup>(١)</sup> \*

(١) يروى البيت بتمامه:

ماذا تعدُّ إِذَا عُدَّتْ عَلَيْكُمْ  
والمسلمون بما أقول قواري  
وهو لجرير في ديوانه ص ٨٩٧، وأساس البلاغة (قرو).

وباتت العروس بليلة شَيْبَاء، إذا غشيها زوجها.

الفنجديهي: رأيت: بخط الحريري رحمه الله تعالى: [الخفيف]

طَيَّبُوهَا وَلَمْ أَطِيبْ بِطَيِّبٍ      رَبِّ مَنْعٍ أَلَذَّ مِنْ إعْطَاءِ  
بَثَّ فِي دِرْعِهَا وَبَاتَتْ ضَجِيعِي      فِي بَصِيرٍ وَلَيْلَةَ شَيْبَاءِ  
البصير هنا: قطعة من دم:

وقد أتينا على ما في هذه المسائل من الغريب في الظاهر، وأما ما قصده من المعنى فهو مفسر في الأصل، وقد أحسن أبو محمد في هذه الفتاوى وبلغ منه الاقتدار والاتساع فوق المراد، وإن كان لا يوصف فيها الابتداء، فقد أحسن في الاتباع.

### [الملاحن والمعارض]

والسابق إلى هذا المعنى أبو بكر بن دُرَيْد رحمه الله تعالى في كتاب سَمَاءه بالملاحن، وهي من اللَّحْن، وهو أن تُورِّي بلفظ عن لفظ.

ثم تم تلك الأغراض وحسنها أحمد بن عبيد الله في كتاب سَمَاءه بالمنقذ.

وفائدة حفظ هذه الأغراض أن يخوف الرجل أو يرّعه أمير ظالم أو مسلط غاشم، فيتخلص منه بهذه المعارض. فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل إليها، ومعتمدُهم فيها حديث عمران بن حصين أَنَّ النبي ﷺ، قال: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ مَدْوَحَةً عَنِ الْكَذِبِ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عَجِيبٌ لِمَنْ يُخَيِّنُ الْمَعَارِضُ كَيْفَ يَكْذِبُ، وَلِمَنْ لَاحَنَ الثَّاسُ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ!»<sup>(٢)</sup>.

وقول النبي ﷺ لطلّاح المشرّكين حين لقّوه في نفر من أصحابه، فقالوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: من ماء، فتركوهم، وأراد «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ» [الطارق: ٦].

وقوله ﷺ في مُزَاحه لإحدى عماته «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ»، فلمّا جزعت قال لها «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَبْكَارًا».

وقال لامرأة: «مَا فَعَلَ زَوْجُكَ الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ؟» فلمّا جزعت قال لها: «أَوْ لَيْسَ فِي كُلِّ عَيْنٍ بَيَاضٌ؟»

وقال له رجل: احْمِلْنِي، قال: مَا عِنْدِي إِلَّا وَلَدُ النَّاقَةِ، فقال: وَمَا أَصْنَعُ بَوْلَ النَّاقَةِ؟ فقال ﷺ: «وَهَلِ الْإِبِلُ إِلَّا مِنَ التَّوْقِ!».

فاستُجِيزت المعارض على هذا النحو من المزاح أو التخويف.

(١) أخرجه البخاري في الأدب باب ١١٦، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٢١٢/٣.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية ٢١٢/٣.

ومن ذلك أنَّ بعض العرب أدخل على الواثق، وكان يقول بخلق القرآن ويعاقب من خالفة، فقال له، ما تقول في القرآن، فتصامم عليه، فأعاد السؤال، فقال: من تغني يا أمير المؤمنين؟ فقال: إياك أعني، فقال: مخلوق - يعني نفسه، وتخلص منه.

وقال لآخر من الصالحين: ما تقول في القرآن؟ فأخرج يده، وجعل يعد أصابعه، ويقول: التوراة والإنجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة. فعنى أصابعه، وتخلص منه.

وتعذر على رجل لقاء المأمون في ظلامه، فصاح على بابه: أنا أحمد النبي المبعوث. فأدخل إليه، وأعلم أنه تنبأ فقال له: ما تقول؟ فذكر ظلامته، فقال: له ما تقول فيما حكى عنك؟ فقال: وما هو؟ ذكروا أنك تقول إنك نبي، فقال: معاذ الله، إنما قلت: أنا أحمد النبي المبعوث، أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده؟ فاستظرفه، وأمر بإنصافه.

وخرج شريح القاضي من عند زياد، وتركه يجود بنفسه، فسأله الناس عن حاله، فقال: تركته يأمر وينهي، فجزعوا لسلامته، فما راعهم إلا صياح النائحات عليه. فسئل شريح عن قوله، فقال: تركته يأمر بالوصية، وينهي عن البكاء.

وسئل ابن شبرمة عن رجل لئس يعمل، فقال: إن له شرفاً وقدماً وبيتاً. فنظروا فإذا هو ساقط سفلة، فقيل له في ذلك، فقال: شرفه أذناه، وبيته الذي يأوي إليه وقدمه الذي يمشي عليه.

وقال صاحب المنقذ:

إذا حلفت بالأيمن اللازمة لك، فانو بالأيمن الأيدي، قال تعالى: ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]. فإن قلت: كل امرأة طالق فاعني الطالق من الإبل، وهي التي يطلقها الراعي، والطالق التي يحمل عليها عقابها.

فإن قيل: احلف بظهار امرأتك كظهر أمك، فاعني بالظهر ما يركب من الخيل والبغال والحمير، ولا جناح عليه في ركوب دواب أمه.

فإن قال: اخلف بما لك على المسلمين صدقة، فاعني ما لك على المساكين من دين، وليس لك عليهم شيء.

فإن أحلفك بأن كل مملوك لك حر. فالمملوك: الدقيق الملتوث بالماء أو الزيت أو السمن.

فإن قال: كل غلام لك حر. فالحر: الحية الذكر، والحر من الرمل الذي ما وطىء، والحر: ذكر الحمام، قال حميد. [الطويل]

\* دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وَتَرْثَمًا <sup>(١)</sup> \*

فإن أحلفك بأن كل جارية لك حرّة، فالجارية السفينة، والريح والشمس.  
فإن قال: احلف وإلا كلّ أمة لك حرّة، فالحرّة الأذن، والحرّة السحابة الغزيرة  
المطر.

فإن أحلفك: وإلا فما لك حبس، فحبس بلد معروف، قال ابن جِلْزَة: [الكامل]

\* لمن الديار عَقُونُ بالحبس <sup>(١)</sup> \*

فإن قال: وإلا فهو كافر. فالكافر الليل، أو البحر أو الزَّرَاعُ للبَذَر، قال الله تعالى:  
﴿اعْجَبِ الْكُفَّارَ نَبَاتَهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، وأصله الساتر.

وتقول: كلّ امرأة تزوجتها فقد طلقها بتاتاً. فتزوّجت اتخذت زوجاً من النبات أي  
لونا، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوج بهيج﴾ [ق: ٧]. وقال تعالى:  
﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَى﴾ [طه: ٣]، وطلقها ألبستها الطلق، وهو قبة من  
جلود والنبات: الزاد.

وتقول: ما تطيّبت ولا تمسكت. فتطيّبت أتييت الطيب، وهو بلد بين واسط  
والسوس، أو طيبة مدينة النبي ﷺ. وتمسكت: ليست مسكا وهو الجلد، أو تفعلت من  
الامتسك.

وتقول: ماله قبلي درهم ولا دينار. فدرهم قبيلة من ربيعة، لهم خُطّة في البصرة،  
ودينار اسم رجل معروف.

وماله قبلي ثوب ولا شُفّة ولا قميص. الثوب: الرجوع، من ثاب يثوب، والشُفّة:  
البعد. والقميص: غشاء القلب.

وماله قبلي شيء بوجه من الوجوه، ولا بسبب من الأسباب. الشيء: مصدر شويت  
اللحم. والوجوه صور مختلفة من التّصاویر. والوجه: المقصد، والجمع وجوه،  
والأسباب: الجبال.

وما أوصيتُ إليه، وما أوصى إليّ. أوصى دخل في الواصي، وهو بيت متصل  
بعضه ببعض.

= ومقاييس اللغة ٦/٢، ومجمل اللغة ٨/٢، وتاج العروس (حرر)، (علط)، (سوق)، (وحى)، وبلا  
نسبة في كتاب العين ٢٤/٣.  
(١) عجزه:

آياتها كمهراق الفرس  
والبيت للحارث بن حلزة في ديوانه ص ٤٨، وتاج العروس (حبس)، ولسان العرب (هرق)، وفيه  
«الحبش» بدل «الفرس»، وشرح اختيارات المفضل ص ٦٣٢، وشعراء النصرانية ص ٤١٩، ومعجم  
ما استعجم ص ٤٢٠.



ولا أعلم له داراً ولا عقاراً؛ فداراً: بلد معروف بالجزيرة، قال الشاعر: [مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لرجلي      بـيـنَ حـرَّانٍ وَدَارَا  
اصبري يا رجلُ حتَّى      يَـرْزُقَ اللُّهُ جِـمَارَا  
والعقار: النخل:

ولا أعرف للمرأة بغلاً ولا ولياً. فالبغل: النخل أو الشجر، يَشْرَبُ بماء السحاب، والوَلِيّ: يلي الوَسِيّة.

وتقول: ما اشتريتُ لفلانة ضَرْتَكَ قميصاً، ولا إزاراً ولا رداءً، ولا قِنَاعاً ولا غِلَالةً، ولا حَلِيَّتَها خاتماً ولا خُلْخالاً ولا طَوْقاً ولا سِوَاراً؛ ولا قَرَطَها ولا شَفْطَها ولا كَسَوْتِها، ولا جلست مع قَيْنَةٍ ولا مَغْنِيَةٍ ولا ضاربة بعود ولا بطيل ولا رَبَاب، ولا سمعت رَمَارَةً ولا ذقت نبيذاً فالقميص غِشاء القلب، والرداء السيف أو الدِّين أو الغطاء، والإزار: قُبَل المرأة أو جسم الرجل، قال الشاعر: [الوافر]

\* فَدَى لكَ مِنْ أَخِي ثِقَةً إِزَارٍ <sup>(١)</sup> \*

والإزار: العفاف، والقِنَاع: جمع قَنَع، وهو طبق يجعل عليه الفاكهة. وفي الحديث: إِنَّ الرِّبْع ابنة معوذ أتت النبي ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطْبٍ وَأَخْرَجَتْ مِنْ رَغَبٍ فَأَكَلَ مِنْهُ <sup>(٢)</sup>، وَالرَّغَب: القِنَاء. والغِلَالة: مسمار من مسامير الدُّرُوع؛ قال: [الطويل]

\* فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغِلَالِ <sup>(٣)</sup> \*

والغِلَالة: الجماعة من الناس، والخاتَم: شعرات بيض في قوائم الفرس. والسَّوَار: مصدر ساورت الرُّجُل. والخلخال: الرُّمْل الجريش. والطَّوْق: المصدر من الطاقة،

(١) صدره:

ألا أبـلـغ أبـا حـفـص رسـولاً

والبيت لبقيلة الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، في لسان العرب (أزر)، والمؤتلف والمختلف ص ٦٣، وعجزه في لسان العرب (أزر)، منسوباً إلى جعدة بن عبد الله السلمي، وبلا نسبة في شرح اختيارات المفضل ص ٢٥٠، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٦٢، ولسان العرب (قلص). (٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٩/٦.

(٣) يروى البيت بتمامه:

عُـلـيـن بـكـذـيـونٍ وأشـعـيـزُ كُـرَّة      فَهِنَّ إِضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغِلَالِ

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٤٧، وجمهرة اللغة ص ١٢٦، ١٢٤٥، وخزانة الأدب ٣/ ١٦٧، ولسان العرب (وضاً)، (كرر)، (غلل)، (كدن)، (أضاً)، والمعاني الكبير ص ١٠٣٦، وتاج العروس (وضاً)، (كرر)، (غلل)، (كدن)، (أضاً)، وبلا نسبة في شرح المفضل ٢٢/٥، والمعاني الكبير ص ١٠٣٣.

وقَرَطَها من القُرْط، وهو العَلَف الرَطْب تأكله الدَّواب، فإذا ييس فهو القَت. وسَنَفَتْها جعلتها مُسَنَفَة أي مِبَغَّضَة، من سَنَفَت الرَجُل، إذا أَبْغَضَتْه. وكسوتها: ضربت كُساها، وهو جانبها، وجانب كل شيء كساه والجمع أكساه، والقَيْنَة: هُزْمَة بين الِوَرَكَيْن وعُجْب الذَّنْب من الفرس، والعُود الذي يُبَخَّر به، والزَّمارَة: الفاجرة، ومنه نهى النبي ﷺ عن كسب الزَّمارَة<sup>(١)</sup>، والزَّمارَة: العُلّ، وفي خبر الحجاج: أتى سعيد بن جبير وفي عنقه الزَّمارَة، أي ساجور، والطبل: السَّلة التي يجعل فيها الطعام، والطَّبْل: الخراج. والمغنية: ناقة تضرب بنابها، والرَّباب: سَحَاب متراكب قريب من الأرض. والتبذ: مَا نبذته النعام أو الحمير بأرجلها من الحصى.

وتقول: مالي مركوب وما بعث عبداً، وقد افتقرت حتى ما في مِلْكي نفقة يوم مالي، بمعنى مِلْكي، ومركوب: ضُرِبَت ركبته، وثنية بالحجاز. وعَبْد: جبل من جبال طييء. وافتقر: اشْتَدَّ فَقاره أو كَسَرَ فَقار جَدْي أو حَمَل، والمِلْك: الحجة.

وتقول: ما أضغْتُ عملك ولا قَصَرْتُ ولا أهملت ولا فرطْتُ ولا سامحتُ أحداً، ولا تركتُ واجباً، ولا ارتفعت بحبه، ولا أبقيتُ غايَةً في مناصحتك. أضغت: كَثُرَت ضياعي. وفَرَطْتُ: بعثت فارطاً، وهو طالب الماء، وقَصَرْتُ: بنيت قصراً. وأهملت: كَثُرَت هَواملي، وهي الإبل السارحة في المَرعى بلا راع. وسامحت: نظرتُ أينا أكرم. والواجب: السَّاقط، وارتفعت: نِمْتُ على مِرْقَفي، والغاية: رايَةُ الحمار.

وتقول: ما شمت له أبي ولا عمًا ولا عمّة، ولا خالاً ولا خالة، ولا صحبته، ولا شاهدته ولا راسلته، ولا شاربته، ولا نادمته، ولا رأيته منذ دَهْرٍ

أبى: داء يأخذ المعزى، قال: [الطويل]

\* أبى لا إخال الضَّان منه نواجيا<sup>(٢)</sup> \*

وعَم: قطعة من الناس، وقرية بالشام، والعَمّة النخلة، قال ﷺ: «نعمت العَمّة لكم النخلة»<sup>(٣)</sup>، وقيل لها عَمّة لأنها خُلِقت من بقية طينة آدم عليه السلام. والخال: السحاب، والخال من البرود، والخال من الخيلان، والخالَة: جمع خالٍ من الكبير. وصحبته: منعه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]، أي يَمْنَعُونَ. وشاهدته: أكلت معه الشَّهْد، وراسلته: شربت معه الرُّسُل، وهو اللبن، وشاربته من

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية ٣١٢/٢. وقال: الزَّمارَة: هي الزانية.

(٢) صدره:

فقلت لكناؤ تدكّل فإنه

والبيت لابن أحرر في ديوانه ص ١٧٢، ولسان العرب (دكل)، (أبي)، وتهذيب اللغة ١١٩/١٠،

٦٤/١٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٠، وتاج العروس (أبي)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤٦/١.

(٣) رواه بنحوه ابن الأثير الجزري في النهاية ٣٠٣/٣، ولفظه: «أكرموا عمتكم النخلة».

الشوارب، ونادمته من النَّدم، ورأيتُه: ضربت رثته، وذُهر: قبيلة من إباد.

وتقول: ما كتبتُ له حرفاً، ولا خططت له بقلم، ولا شتمته ولا هجوته، ولا افتريتُ عليه، ولا أعرف عليه سوءاً. الحزف الناقعة المضمرة، والقلم: القِدْح، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]، يعني قِداح الميسر. والشتم: قبح الوجه، وهجوته: أزلت نعمته، وهو الهَجَى مقصور، وافتريتُ: لبست الفُزُو، والسوء: البرص.

وتقول: رأيته في السُّوق متوفى مقبوراً، وما أخذ دواء ولا معجوناً. فالسوق: أصول الشجر وأعناقها. متوفى دائماً. مقبوراً: مبخراً بالعود الهندي الذي فيه قبر، أي رخاوة. والدواء والدَّاوية: جلدة اللبن، والمعجون: المضروب على عِجانه.

وتقول: هو معجون مُصاب، قد غُلَّ مراراً، فما اعتذرتُ له، ولا تنصّلت، لأنه ليس من الأجواد، ولا الشُّجعان الذين يُقَدِّح في أنسابهم. المعجون: المستور. مصاب: مجذّر من صاب يصوب، وغُلَّ من الغُلَّة، واعتذر وتنصّل؟ اتخذ عذاراً ونَصْلاً. والأجواد: العطاش. والشُّجعان: الحيات، والأنساب: أسنان المُشط.

وتقول: رأيت الجيش بالثغر، والفارس في الفوارس، فما أفضلُ عليه أحدًا من العرب والعجم. الجَيْش: الغُليان، والثغر: شَجَر له شوْك، والفارس: الحسن الفِراسة، والفوارس: كُثبان رمل، والعرب: فساد المعدة، وعَرِيت معدته. والعجم: الثوى.

وما أكلتُ دابتي شعيراً. الشعير: جمع شعيرة، وهو مسمار من الفِضة في قائم السيف.

وبالباب متسع وفيه تأنس لما ذكره أبو محمد.



ومن المعارض، أن الحجاج لما أخرج ابنَ القُبُعْثري من سِجْنِه قال له: سمئت يا غضبان، قال: القيد والرُّتعة<sup>(١)</sup>، والخفض والدعة، ومن يكن ضيف الأمير يسمُن، قال: لأحملنك على الأدهم قال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والزُرد والكُميت. قال: إنه حديد، قال: لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً، قال: اضربوا به الأرض، قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] قال: جُرْوة، قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجَرَاهَا وَمِرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]، قال: احمِلوه على الأيدي فلما حمل قال: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الزخرف: ١٣]، فضحك الحجاج وقال: غلبنا هذا الخبيث، خلّوه إلى صفحي عنه، قال: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغساني - وهو ابن ثلاثمائة وخمسين

(١) الرتعة: الاتساع في الخصب.

سنة - من أين أقصى أثرك؟ قال: من ضُلب أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل لا عقلت! قال: إي والله وأقيد، قال: ابنُ كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: فما سئلك؟ قال: عَظُم، قال: ما تزيدني مسألتك إلّا عِيًا، قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك.

الربيع بن عبد الرحمن، قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذا لَرَجِلٍ سوء؛ أراد قوله: ﴿هَمَزٍ مَشَاءٍ بَنِمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، قلت: أتَجِرُ فلسطين؟ قال: إني إذا لَقَوِيْ!.

خلف الأحمر: قلت لأعرابي: ألقى عليك بيتاً؟ قال: على نفسك فألقه.

قيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: الهرّ يهمزها.

ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالي عامل إرمينية، وقد بات على قرب من غدير فيه صفادع، فقال عبد الله: ما تركتُنا شيوخ محارب ننام في هذه الليلة لشدة أصواتها. فقال المحارب: أصلح الله الأمير إنها أضلّت برقعاً، فهي في بغّاته. أراد الهلالي قول الأخطل: [الطويل]

تنقُ بلا شيء شيوخ محارب وما خلّتها كانت تَريشُ ولا تَبَري<sup>(١)</sup>  
صفادعُ في ظُلُماءٍ ليلٍ تجاوِثُ فدل عليها صوتها حيّة البحر  
وأراد المحارب قول الآخر: [الخفيف]

لِكُلِّ هِلاليٍّ من اللؤم برقعُ ولا بن هلالٍ برقعُ وقميصُ  
وهذا النحو من التعريض كثير.

وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى: [السريع]

يا ضرة الشمس التي أشرقت قد أشرقت حجة مُشتاقك  
لَحْظُكْ أو خَضْرُكْ قد ضَمِنَا ما ضمنتُ عهدُ مِشتاقك  
تأزُّ الهوى يطلبه نائرُ مصرعه ما بين أحداقك  
لا تذخري أنفُسَ صوتٍ فقد يُزْعِبُ في أنفُسِ أغلاقك  
رفقاً بمنْ مُلكتَه في الهوى فإنه آخر عُشاقك

فأنفس أعلق المرأة معلوم، والظرف كلّ في قوله: «فإنه آخر عُشاقك» يعرض أنها أسئت فلا عاشق لها من بعده. والقينة: التي داعبها ومازحها تفهم ما خطبت به، لأنها

تلميذة ولادة بنت المكتفي، ولادة شاعرة بارعة التندير، فمن تنذرها قولها في ذي  
الوزارتين ابن زيدون عاشقها تعرض له بشيء كان يُزَنّ به: [السريع]

ما لابن زيدون على فضله      يغتابني ظلماً ولا ذنب لي  
يلحظني شراً إذا جنّته      كأتما جنت لأخصي علي  
وعلي صبيّه، وكان يمزح معه.

\*\*\*

فقال له السائل: ليله ذكّ من بحر لا يُغضّضه الماتح، وخبر لا يبلغ مدحه  
المادح؛ ثم أطرق إطراق الحبي، وأرم إرام العبي فقال له أبو زيد: إيه يا فتى!  
فإلى متى وإلى متى! فقال: إيه لم يبق في كنانتي مزمة، ولا بعد إشراق صبحك  
مماراة؛ فبالله أي ابن أرض أنت؟ فما أحسن ما أبنت! فأنشد بلسان ذلق، وصوت  
صهصليق: [مجزوء الوافر]

أنا في العالم مثله      ولأهل العلم قبله  
غير أنني كل يوم      بين تغريس ورخلة  
والغريب الدار لو ح      لبطوى لم تطب له  
ثم قال: اللهم كما جعلتنا ممن هدي ويهدي، فاجعلهم ممن يهتدي ويهدي.

فساق إليه القوم ذوداً مع قينة، وسألوه أين يزورهم الفينة بعد الفينة. فنهض  
يُمْنِيهِم العود، ويَزْجِي الأمة والدود.

\*\*\*

قوله: يغضضه: ينقصه. الماتح: المستقي من أعلى البئر، والماتح، بالياء من  
قعرها. خبر: عالم. أطرق: أمال رأسه ساكناً. وأرم: سكت. العبي: الذي إن كلمته لم  
يُخسن ردّ جوابه. إيه: بمعنى زدني من سؤالك.

ابن السري: إذا قلت: «إيه يا رجل»، فإنما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود  
بينكما، كأنك قلت: هات الحديث، وإن قلت إيه: بالتونين، فكأنك قلت: هات حديثاً  
ما، فألى متى سكوتك؟ مزمة: سهم يرمي به السبق، وقيل: هو سهم مدور النصل. بعد  
إشراق صبحك، أي بعد ظهور فضلك. وإشراق ضوء. مماراة: شك. أبنت: بيئت.  
ذلق: حديد. صهصليق: شديد. مثلة: مغير الخلق، فهي «فُعْلة» من المثل، ويقال المثلة  
والمثل بمعنى.

\*\*\*

## [قباح الوجوه]

ونذكر على قوله: «أنا في العالم مثله»، فضلاً في ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم.

فمنهم الجاحظ، وأراد المتوكل أن يعلم بنيه الثلاثة ولادة عهده، فادخل عليهم، فارتاعوا من قبح وجهه، فأخرج عنهم بعنف.

وحكى المسعودي: أن الجاحظ قال: دُكِرْتُ للمتوكل لتعليم بعض ولده، فلما رأي استبشع منظري، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني.

وقال الحمدوني: [الكامل]

لو يُمَسَّحُ الْخِنْزِيرُ مَسْحاً ثانياً      لرأيتَه في دون قُبْحِ الجاحِظِ  
رجُلٌ ينوب عن الجحيم بوجهه      وهو العدو لكل عينٍ لاحِظِ

قال الأصمعي رحمه الله: دخلت يوماً على جعفر بن يحيى، فقال لي: هل لك يا أصمعي من زوجة؟ قلت: لا، قال: فجارية؟ قلت: للمهنة، قال: فهل لك أن أحب لك جارية نظيفة؟ قلت: إني لمحتاج إلى ذلك. فأمر بجارية فأخرجت وهي في غاية الحسن والجمال والهيئة والطرف، فقال لها: قد وهبتك لهذا، وقال لي: خذ هذه، فشكرته، وبكت الجارية، وقالت: يا سيدي، أتدفعني لهذا الشيخ مع ما أرى من سَمَاحَتِكَ وقبح منظره! وجَزَعَتِ جزعاً شديداً، فقال لي: يا أصمعي، هل لك أن أعوضك منها ألف دينار؟ فقلت: ما أكره ذلك، فأمر لي بها، ودخلت الجارية، فقال لي: يا أصمعي، أنكرت عليها شيئاً، فأردت عُقُوبَتَهَا بك، ثم رَحِمْتُهَا منك، فقلت: أيها الأمير، أفلا أعلمتني قبل ذلك، فإنني لم آتِكَ حتى سَرَحْتُ لحيتي، وأصلحت وجهي وعَمِيَتِي، فلو عرفتُ الخبر لسرت على هيئتي وخلقتي، فوالله لو رأيته كذلك ما عاودتُ شيئاً تنكره أبداً.

وما ضر من ذكرنا قُبْحَهُم مع العلم الذي زَيَّنَهُم الله به، وكذا ينبغي لِمَنْ خُلِقَ قبيح الصورة أن يستعمل لها الأخلاق الحسان، والأفعال الحسان، لئلا يجمع بين قبيحين.

كان الأَوْيُقُصُ المخزومي أَقْبَحَ الناس خَلْقَةً، وما رُوي مثله في العفاف والزهد. وكان قاضي مكة، فقال يوماً لجلسائه: قالت لي أُمِّي: يا بني إنك خُلِقْتَ خَلْقَةً لا تَصْلُحُ معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان، فعليك بالدين، فإن الله تعالى يرفع به الخسيسة، ويتم به النقيصة. فتفنعني الله بكلامها، فوَلَّيْتُ القضاء.

وروي أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية، حين أراد أن يتعلم الغناء في حَدَاتِهِ، فتكره وتعلم العلم، فذهب به حيث بلغ.

وكان عطاء بن أبي رَياح أعور أسود أفتطس أشلَّ أعرج، ثم عَمِيَ. وأثمه سوداء

تسمى بركة، وقيل لأهل مكة بعد موته : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا : كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تُفقد.

وكان في خلقة أبان بن عثمان كلَّ عيب، وكان يُضرب بغيوبه المثل في المدينة.

كان معن بن زائدة أمير اليمن يوماً جالساً إذ أتته امرأة من بني سَهْم، ومعها ابن صغير يتبعها، ويطأ أذيالها، فقالت : أصلح الله الأمير ! إن عمِّي زوّجني مَنْ ليس بكفء، فقال : مَنْ هو؟ فقالت : ابن ذي مناجب؟ فقال : عليّ به، فدخل أقبح مَنْ خلق الله، وأشوههم خلقاً، فقال : مَنْ هذه منك؟ قال : امرأتي، قال : خلّ سبيلها، ففعل، فأترق معن ساعة، ثم رفع رأسه فقال : [الطويل]

لَعْمَرِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُحِبِّ	وَلَا حَسَنَ فِي عَيْنِهَا ذُو مُنَاجِبِ
فَمَا لُمْتُهَا لَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ	وَعَيْنَا لَهُ خَوْضَاءُ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ
وَأَنْفَأُ كَأَنْفِ الْبَكْرِ يَقْطُرُ نَاتِئاً	عَلَى لَحْيَةِ عَضْبَاءٍ مِنْهُ وَشَارِبِ
أَتَيْتُ بِهَا مِثْلَ الْمِهَادِ تُسَوِّقُهَا	فِيَا حَسَنَ مَجْلُوبٍ وَيَا شَرَّ جَالِبِ

وكان تزوجها بمكةً وقدم بها اليمن. والصبيّ هو ابن جامع المغنّي المشهور.

وحكى البحرّي في نوادره عن رجل سمّاه قال : مررت بامرأة من أجمل الناس، معها رجل من أقبحهم، فقلت لها : يا أمة الله، مَنْ هذا منك؟ قالت : رجليّ، فقلت : وَمَنْ قَرْنُكَ به؟ قالت : أخيه، فقلت : [الوافر]

جَزَى الرَّحْمَنُ عَنْكَ أَخَاكَ شُرّاً	فَقَدْ أَخْرَاكَ فِي الدُّنْيَا وَزَادَا
فَلَمْ أَرْ مُغْزِلاً قُفِرْتُ بِكَلْبِ	وَلَا خِزّاً بِطَانَتِهِ بِجَادَا

وقال آخر : [الطويل]

أَلَا رُبَّ بَيْضَاءٍ مُحَاجِرٍ طَفْلَةٍ	تُسَاقُ إِلَى وَغْدٍ مِنَ الْقَوْمِ تَنْبَالِ
يَقُولُونَ جَرَّتْهَا إِلَيْكَ قَرَابَةٌ	فَوَيْحَ الْعَذَارَى مِنْ بَنِي الْعَمِّ وَالْخَالِ!

وقال آخر : [مجزوء الرمل]

لَا بِنَ عِبْدِ النُّورِ وَجْهٌ	صَارَ لِلْقُبْحِ مَلَأَ ذَا
قَالَ قَسْرَدٌ إِذْ رَأَاهُ	لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى ذَا

وقال في بشار : [الطويل]

ثَوَائِبُ أَقْمَاراً وَأَنْتَ مَشْوَةٌ	وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ
--	--

وكان بشار ضخماً قبيح الوجه، جاحظ الحدقتين، أقبح الناس عمى ومنظراً فقال

فيه حمّاد عجرد : [مجزوء الوافر]

ألا مَنْ مُبْلَغٌ عني الـ      لذي والـلـدُّهُ بُـرُـدٌ  
إذا ما نُسِبَ النُّاسُ      فلا قَبْلُ ولا بَعْدُ  
وأعمى يشبُّه القِرْدَا      إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

فقال: بشار عندما سمع هذا البيت: ما أخطأ ابن الزانية من حين شبّهني بقرد وجعل يبكي ويقول: ما حيلتي! يراني ويشبّهني، ولا أراه فأشبّهه! وبعده: [مجزوء الوافر]

ولو تُنْقِيهِ في صُلْدٍ      صَقْلاً لا تُصَدِّعُ الصُّلْدُ  
هو الكلب إذا ما ما      ت لم يُوجِّدْ له قَقْدُ  
وأشده رجل قول حماد: [الطويل]

دُعِيَتْ إلى بُرْدٍ وأنت لغيره      وهبك لبُرْدٍ نَكَتُ أمك من بُرْدٍ

فقال: هاهنا أحد؟ قال: لا، قال: أحسن والله ابن الزانية، ولقد تَهَيَّأَ له في بيت واحد عليّ خمسة معانٍ من الهجو، وهي: «دُعِيَتْ إلى بردٍ» معنى «وأنت لغيره» معنى ثان، و«هبك لبردٍ» معنى ثالث، «نكت أمك» شتم واستخفاف مجرّد، وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: «من بُرْدٍ» فأتى بالطامة الكبرى.

وأوجع ما مرّ عليه من قول حماد: [السريع]

لو طَلَيْتَ جِلْدَهُ غُثْبَرَا      لَأَفْسَدْتَ جِلْدَهُ العَنَبَرَا  
أو طَلَيْتَ مِسْكَاً ذَكِيّاً إِذَا      تحوّل المسك عليه خَرَا

كان حفص بن أبي بردة أفضس أعفص مقبّح الوجه، وكان حماد صديقه، فتناشدوا الشعر يوماً، فطعن حفص على مرقش، فقال حماد: [الطويل]

لقد كَانَ في عَيْنِكَ يا حفصُ شَاغِلٌ      وأنف كَثِيلُ العُوذِ عَمَّا تَتَّبِعُ  
تَتَّبِعُ لِحناً في كلام مَرْقَشٍ      ووجهك مَبْنِيٌّ على اللَّخَنِ أَجْمَعُ  
فأَذْنَاكَ إقواء وأنفك مُكْفَأٌ      وعينَاكَ إِيطَاء، فأنْتَ المَرْقُعُ

أخذ تشبيه الأنف بالثيل من قول كعب في الوليد بن عبد الملك: [المقارب]

فَقَدْتُ الوَلِيدَ وأنفَا له      كَثِيلُ البَعِيرِ أبى أَنْ يَبُولَا

قال أبو زيد: رأيت أعرابياً كأن أنفه كورٌّ من عظمه، فرأنا نضحك، فقال لنا: ما يضحككم! فوالله لقد كنْتُ في قومٍ يسمُّوني الأَفْطَسَ.

وقال الشاعر: [المقارب]

إذا أنت أَقْبَلْتَ في حاجةٍ      إليه فكَلِّمه من خَلْفِهِ  
فإن أنت واجهْتَه بالكلا      م لم يُسمع الصَّوْت من أنْفِهِ



وقال آخر: [مجزوء الرمل]

إنَّ عيسى أنف أنفه      أنفه ضعف لضعفه  
لو تراه راكباً والـ      أنف قد جال بعطفه  
لرايت الأنف في السر      ج وعيسى رذف أنفه

وقال الحسن في جعفر بن يحيى: [البسيط]

ذاك الوزير الذي طالت علوته      كأنه ناظر في السيف بالطول  
وقال أبو علي الخليل: [الكامل]

سابور ويحك ما أخس      لك بل أخصك بالعيوب!  
وجه قبيح في التبسم      كيف يحسن في القطوب!  
كان جحظة البرمكي نائم العينين جدًّا، قبيح الوجه، فقال فيه ابن الرومي: [الكامل]

نبئت جحظة يستعير جحوظه      من فيل شطرنج ومن سرطان  
يا رحمة لمناديه تحتلوا      ألم العيون للذة الأذان

وكان طيب الغناء، وحضر مجلسه علي بن بسام، فتفرق القوم المخاذ، فقال جحظة: ما لي لا أعطى مخدة؟ فقال له ابن بسام: غن فالمخاذ كلها إليك تصوير، وقال فيه: [السريع]

يا من هجونا فغنا      أنت وحق الله أفجانا  
سيان إن غنى لنا جحظة      أو مر مجنون فزنانا  
وله فيه أيضاً: [السريع]

لجحظة المحسن عندي يد      أشكرها منه إلى المحشر  
لما رأيته رذ برذوئه      وصانني عن وجهه المُنكر

كان الحظيئة قبيح المنظر، كثير الشر، فالتمس يوماً إنساناً يهجوهُ فلم يجد، فجعل يقول: [الطويل]

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً      بشرٍ فما أدري لمن أنا قائله  
فاطلع في ماء فرأى وجهه، فقال: [الطويل]

أرى لي وجهاً قبيح الله شخصه      فقبح من وجهه وقبح حامله<sup>(١)</sup>

(١) البيت والذي قبله في ديوان الحظيئة ص ٢٥٧، والبيت الثاني في لسان العرب (قبح)، (شوه) وتاج العروس (قبح)، وكتاب العين ٦٨/٤.

نظر إلى هذا إسماعيل بن معمر القراطيسي فقال : [السرّيع]

وئلي على ساكن شطّ الصرّة      من وجنتيه شمتُ برق الحياه  
ما تنقضي من عجبٍ فُكرتني      من خصلة فرط فيها الولاء  
ترك المحبّين بلا حاكمٍ      لم يقعدوا للعاشقين القصاه  
وقد أثناني خبرٌ ساءني      مقالها في السرّ : واسوءتاه !  
أمثل هذا يبتغي وصلنا      أما يرى ذا وجهه في المرّاه !

وقال الأصهباني : إن القراطيسي سأل العباس بن الأحنف فقال له : يا أبا الفضل ،

هل قلت في معنى قولي هذا شيئاً؟ فقال : قلت : [السرّيع]

جارية أعجبها حُسْنُها      ومثلها في النَّاسِ لم يخلقي  
خبرتها أني محبٌ لها      فأقبلتْ تضحك من منطقي  
والتفتت نحو فتاةٍ لها      كالرّشأ الوُسْتان في قُرْطقي  
قالت لها قولِي لهذا الفتى :      انظر إلى وجهك ثم اعشقي

وقال الصّقليّ في صفة عذول قبيح : [الطويل]

رأى وجه مَنْ أهوى عذولي فقال لي      أجلك عن وجهٍ أراه كريها  
فقلت له بل وجه جِبي مرآةً      فأنت ترى تمثالَ وجهك فيها  
ولا بن القابلة السّبي : [الطويل]

ووجه حبيبٍ رقّ حسناً أديمه      يرى الصبُّ فيه وجهه حين ينظُرُ  
تعرّض لي عند اللقاء به رُشاً      تكاد الحُمَيّا من محياه تقطُرُ  
ولم يتعرّض كَني أراه وإنما      أرادَ يُريني أنّ وجهك أصفرُ

ولبعض المصريين في غلام يهواه : [الكامل]

يجري السّيم على غلالة خذه      وأرقّ منه ما يمرُّ عليه  
ناولته المرأة ينظر وجهه      فعكست فتنةً ناظرته إليه  
وقال الرّماديّ : [الكامل]

وإذا أراد تنزّها في روضة      أخذ المرأة بكفّ فتنزّها

كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة المُلح والتّوارد ، وكانت ساقيته ، وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها ، فقال لها يوماً : إني أحبك وتبغضيني فلم ذلك؟ فقالت له : وجهك والحرام لا يجتمعان ، فقال : [الوافر]

مذكّرة مؤنّثة مهّاة      إذا برزت تشبّ بها غلاما

تَعَاثُ الْمَاءَ وَالْعَسَلَ الْمَصْفَى وَتَشْرَبُ مِنْ قُتْرَتِهَا الْمُدَامَا  
تَقُولُ لِلْحَظْهَ يَا سَيْفُ أَبْشِرْ سَتُرَوِي مِنْ دَمٍ وَتَشْقَى هَامَا  
وَقَائِلَةٌ لَهَا فِي وَجْهِ نَصِيحٍ عَلامَ قَتْلَتِ هَذَا الْمُسْتَهَامَا؟  
فَكَانَ جَوَابُهَا فِي حَسَنِ مَسٍّ: أَأَجْمَعُ وَجْهَ هَذَا وَالْحَرَامَا!  
وَمِنْ مَلَحِ ابْنِ لَنَكِّكَ فِي أَهَاجِي أَبِي رِيَاشٍ: [الوافر]

عَلَى الْقَبْحِ الْفَظْطِيعِ أَبُو رِيَاشٍ يَعَاشِرُنَا بِأَخْلَاقٍ مَلَاخٍ  
يُبْسِخُ أَكْفُئًا أَبَدًا قَفَاهُ فَنَصَفُّهُ عَلَى وَجْهِ الْمَزَاجِ  
وَلَهُ فِيهِ أَيْضًا: [الكامل]

قُلْ لِلْمَوْضِعِ أَبَا رِيَاشٍ لَا تَبِلْ تَبْ كُلَّ تَبِهِ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ  
مَا أَزْدَدْتَ حِينَ وَلَيْتَ إِلَّا خُسَّةً كَالسَّكَلْبِ أَنْجَسَ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ



قوله: تَعْرِيسَ، أَي نَزُولِ آخِرِ اللَّيْلِ. يَهْدِي: الْأَوَّلُ يَرشُدُ، وَيَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ،  
وَيَقَالُ: هَذَا يَهْدِيهِ هَدًى فِي الدِّينِ، وَهَذَا يَهْدِيهِ هِدَايَةً فِي طَرِيقٍ يَهْدِي: يَعْطِي هَدِيَّةً،  
وَيَقَالُ: أَهْدَاهُ هَدِيَّةً يَهْدِيهَا إِهْدَاءً، إِذَا أَعْطَاهَا. الذُّودُ: مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعِشْرِ مِنْ  
الْإِبِلِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا إِنْثَاءً. قَيْنَةٌ: جَارِيَةٌ مَغْنِيَةٌ وَيَقَالُ: الْقَيْنَةُ الْأَمَةُ، كَانَتْ مَغْنِيَّةً أَوْ غَيْرَ  
مَغْنِيَّةً. الْفَيْنَةُ: السَّاعَةُ وَالْحَيْنُ، وَيَقَالُ: إِنِّي لَأَتِيهِ الْفَيْنَةُ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، وَفَيْنَةٌ بَعْدَ فَيْنَةٍ،  
يَسْتَعْمَلُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ وَبِتَرْكُهُمَا، أَي أَدِيمُ الْإِخْتِلَافَ إِلَيْهِ الْحَيْنُ بَعْدَ الْحَيْنِ وَالْوَقْتُ بَعْدَ  
الْوَقْتِ. يُزَجِّي: يَسُوقُ السَّفِيهَ: الْبَطَالَ الْمَشْتَغَلَ بِاللَّهُوِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاعْتَرَضْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: عَهْدِي بِكَ سَفِيهًا، فَمَتَى  
صَرْتَ فَقِيهًا! فَظَلَّ هُنَيْهَةً يَجُولُ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: [المتقارب]

لَبِسْتُ لِكُلِّ زَمَانٍ لَبُوسًا وَلَا بَسْتُ صَرْفِيهِ: نُعْمَى وَبُوسًا  
وَعَاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بِمَا يُلَاقِيهِ لَأُزَوِّقَ الْجَلِيسَا  
فَعِنْدَ الرُّوَاةِ أَدِيرُ الْكَلَامَ وَبَيْنَ السَّقَاةِ أَدِيرُ الْكُؤُوسَا  
وَطَوْرًا بَوَغْظِي أَسِيلُ الدُّمُوعَ وَطَوْرًا بِلَهْوِي أَسُرُّ التُّفُوسَا  
وَأَقْرِي الْمَسَامِعَ إِذَا تَطَقَّتْ بَيَانًا يَقْرُدُ الْحُرُونِ الشُّمُوسَا  
وَأَنْ شَتَّتْ أَزْعَفَ كَفِّي الْبِرَاقَ فَسَاقَطَ دُرًّا يُحَلِّي الطُّرُوسَا  
وَكَمْ مَشْكَالَاتٍ حَكَّيْنِ السُّهَا خَفَاءَ فَصْرَنَ بِكَشْفِي شُمُوسَا  
وَكَمْ مُلَحٍ لِي خَلَبْنِ الْعُقُولَ وَأَسَاوَنَ فِي كُلِّ قَلْبٍ رَسِيسَا

وَعَذْرَاءُ فَهَتْ بِهَا فَانْتَنَى      عليها الثناء طليقاً حبيسا

\*\*\*

هنيهة: سويعة، تصغير هنة، ويقال في تصغيرها. هنية وهنيهة، كما تصغر سنة سُنَّة، وسُنَّهية. يجول: يتصرّف. لبوسا: ثوباً يشاكله، أخذه من قول النابغة: [الرجز]

اليس لكلّ حالة لبوسها إمانعيمها وإما بوسها<sup>(١)</sup>

لا بست: خالطت. صَرْقِيَه: حاله من الخير والشر. عاشرت: صاحبت يلائمه: يوافقه. أروق: أعجب، والصَّرَف اسم لحادث الدهر، لأنه يصرف الأشياء عن وجوها. طوراً: مرّة. أقرى المسمع: أعطي الأذان، وأجعل فيها البيان. إمّا نطقت، أي إن نطقت الحرون: الذي يأبى المشي والانقياد. الشُموس: الذي إذا نخس وثب، وقيل: الذي يمنع الركاب. اليرّاع: الأقلام: أرعفا: أسالها بالمداد. يُخلي: يزيّن. الطُروس: الكتب، سُميت بذلك لأنها ممحوة، والمطروس: الممحوّ. قال رؤبة: [الرجز]

كما رأيت الطلّ المطروسا<sup>(٢)</sup> \*

### [القلم ومما قيل فيه]

وعلى ذُكر اليراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي في قلم: [الطويل]

وأهيفَ طاوي الكشحِ أَسْمَرَ ناطقٍ      له جَوْلَانٌ في بطون المهارقِ  
كَأَنَّ اللَّالِي والرُّزْجِدَ تُطَقُّ      ونوَرَ الخُرَامِي في عيون الحدائقِ  
إذا استعجلته الكفّ أمطر خالهُ      بلا صوت إرعاد ولا صوب بارقِ

وقال ابن عبد ربه: [المنسرح]

بكشفه ساحرُ البيان إذا      أذّاه في صحيفة سَحَرَا  
مهفهفٌ تَزْدَهِي به صحفٌ      كأنما حُلِيَتْ به دُرَا  
يكاد عنوانها لرُوعَتِه      يُثْبِيك عن سرّها الذي استترا

وقال الثّمامي: [الكامل]

يُلْقَى العِذَا من كُثْبِه بكتائبٍ      يجرّزْنَ من زَرَدِ الحروفِ دُيُولَا

(١) الرجز ليس في ديوان النابغة الذبياني، وهو يهيس الفزاري في التنبيه والإيضاح ٣٠١/٢، وتاج العروس (بهنس)، (لبس)، (نعم)، ولا نسبة في لسان العرب (لبس)، وأمثال العرب ص ١١١، وجمهرة الأمثال ١٩٧/١، وخزانة الأدب ٢٩٦/٧، ١٠٣/١١، والفاخر ص ٦٢، والمستقصى ١/٣٠٤، والوسيط في الأمثال ص ٤٠، ٨٩.

(٢) الرجز في ديوان رؤبة ص ٧١.

فترى الصحيفة جليّة وجيادها  
في كفّه قلم أتم من القنا  
وله أيضاً: [الخفيف]

وإذا راش بالأنامل منه  
قلم دبّر الأقاليم حتى  
يتبع الرمح أمره فابن عشرين  
قلماً واستمدّ ساء وسراً  
قال فيه أهل التناسخ إمراً  
من ذراعاً بالرأي يخدم شبرا

السها: نجم خفي. خَلَبَن: خدعن. أسأزَن: أبقين، والسؤر. البقية وفي الحديث:  
«إذا أكلتم فأسثروا»<sup>(١)</sup>، وأخذت سائره، معناه بقيته. الرئيس: أول بَزْد الحمى، يريد أن  
هذه المُلح لعدوبتها إذا حَلَّت في القلب أحدثت فيه حركة وهزة، وإذا سمع ذو الذكاء  
كلاماً مستظرفاً من نثر أو نظم وجد له ذبيباً وقشعيرة، وأخذ «وكم مشكلات»، من قول  
علي رضي الله عنه: [الوافر]

إذا المشكلات تصدّين لي  
وإن برقت في مجيل الصوا  
مقلعةً بغيوب الأمور  
لساناً كَشَفِيقَةِ الأَرْحَبِي  
وقلباً إذا استنطقته الغُيُوبُ  
كشفت حقائقها بالنظر<sup>(٢)</sup>  
ب عمياء لا يجتليها البصر  
وضعت عليها صحيح الفكر  
أو كالحسام اليماني الذُكُر  
أمر عليها بواهي الدُرُز

عذراء: قصيدة بَكر، لم يُسبق إليها فُهِت: نطقت. انثى: رجع. طليقاً: منتشر في  
الناس. حبيباً: موقوفاً عليها لا يتعداها لغيرها.

### [مما قيل في الشعر شعراً]

ومذح الشعراء للشعر باب شأوه بعيد، وسنذكر لحبيب - وهو المبرز فيه - ولغيره  
ما يستحسن ويُستجاد، قال حبيب: [الكامل]

جاءتكَ من نَظْمِ اللِّسانِ قِلادةٌ  
حُذِيتَ حذاءَ الحَضْرِمِيَةِ أَرْهَفَتْ  
إنْسِيَّةَ وَحْشِيَّةَ كَثُرَتْ بها  
أما المعاني فهي أَبْكَارُ إذا  
سِمَطَانِ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ المَكْثُونُ<sup>(٣)</sup>  
وأجادها التَّخْصِيرُ والتَّبْيِينُ  
حركات أهل الأرض وهي سكونُ  
فُضَّتْ وَلَكِنْ القَوَافِي عَوْنُ

(١) رواه ابن الأثير الجوزي في النهاية ٣٢٧/٢، بلفظ: «إذا شربتم فاستثروا».

(٢) الأبيات في ديوان علي بن أبي طالب ص ٩٠، والبيت الأول في تاج العروس (أمع).

(٣) الأبيات في ديوان أبي تمام ص ٣٣٠، ٣٣١.

وقال أيضاً: [الطويل]

فوالله لا أنفك أهدى قصائداً  
يُحَاك بها بُرْدٌ عليك مجدّدٌ  
ألذّ من السَّلْوَى وأطيب نَفْحَةً  
أخفّ على سمعٍ وأثقلَ قيمةً  
وقال البحريّ: [الطويل]

تَطْوَعُ القوافي فيكُم فكَأَنَّمَا  
وكم لي من محبوبَةٍ الوُثِي فيكُم  
وقال أيضاً: [الطويل]

السُّهُ الموالِي فيكَ نَظَمَ قصائدٍ  
ثناءً تخالُ الروض منه منوراً  
وقال أيضاً: [الطويل]

إليك القوافي نازعاتٍ قواصداً  
ومشرقةً في النُّظْم غُرّاً يزيدها  
ضوايِمْ للحاجاتِ إمّا شوافعاً  
وقال عليّ بن الجهم: [الطويل]

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ  
فسار مسيرَ الشمس في كلّ بلدةٍ  
ولا بن الرومي يهجو: [الكامل]

خذها إليك مَنِيحَةً سَيَّارَةً  
تغدو إليك بحاصِبٍ وبتارِبٍ  
وقال السريّ الموصلي: [الوافر]

أتتكَ يَجُول ماءُ الطبع فيها  
قوافٍ إن تَنَتَّ للمرء عِطْفاً

إليك يَحْمِلُنَ الثَّنَاءَ البَجَلُ<sup>(١)</sup>  
وتحسبه درّاً عليك مُفَضَّلاً  
من المسك مفتوقاً وأيسر محملاً  
وأقصر في سَنَعِ الجليس وأطولاً

يطير إليكم من غُلُو قصيدها<sup>(٢)</sup>  
إذا أنشدت قام امرؤ يَسْتَعِيدُها

هي الأنجم اقْتَادَتْ مع اللَّيْلِ أنجماً<sup>(٣)</sup>  
ضحى وتخالُ الوشي فيه مُسَهَّماً

يُسَيِّرُ ضاحي وشيها ويُنَمِّمُ<sup>(٤)</sup>  
بهاءً وحسناً أنها لك تُنَظِّمُ  
مشقّةً، أو حاكِمَاتٍ تحْكُمُ

دعاني إلى ما قلت فيه من الشُّغْرِ<sup>(٥)</sup>  
وهبّ هبوبَ الريح في البرّ والبحرِ

في النَّاس من بادٍ ومن متحضّرٍ  
وعلى الرّواة بلؤلؤ متخيّرٍ

مجالَ الماء في السَّيْفِ الصَّقِيلِ  
ثني الأعطافِ في بُرْدٍ جميلٍ

(١) ديوان أبي تمام ص ٢٥٥.

(٢) البيتان في ديوان البحري ص ٦٥٥.

(٣) ديوان البحري ص ١٩٨٤.

(٤) ديوان البحري ص ١٩٣١.

(٥) البيتان في ديوان ابن جهم ص ١٤٧.

وقال أيضاً: [الكامل]

شرقَتِ بماءِ الطبعِ حتى خلَّتْها  
ويقول سامعها إذا ما أنشِدتِ  
شرقَتِ لرونقِها بِتَبَرٍ ذائبٍ  
أعقودَ حَمْدِ أم عقودِ كواكبِ

وقال أيضاً: [الكامل]

ألفاظُها كالدرِّ في أصدافيهِ  
من كلِّ رائحةِ الجمالِ كأنما  
لابَلَ تزيدُ عليه في لآلئه  
جادَ الشَّبابُ لها برونقِ ما فيهِ  
والشعرُ بحرٌ حُزْتُ أنفَسَ دُرُّه

وقال أيضاً: [الكامل]

لفظَ صَقَلْتُ متوَّهَ فكانه  
وكانما أجريت في صَفْحَاتِهِ  
في مشرقاتِ التُّظْمِ دُرٌّ سَحَابٍ  
حرَّ اللُّجَيْنِ وخالصِ الرُّزْيَابِ  
أغْرِبْتُ في تحبيره قُرُواته  
وقطعت منه شبيبةً لم تشتغل  
عَبَقَ النسيمِ فذاك ماءُ شبابي  
بين التَّعْجُبِ منه والإعجابِ  
إذا تفرَّق في الصحيفة ماؤه  
يُصْغِي اللَّيْبُ له فيقسمُ لُبُّه  
جِدُّ بطيرِ شراره، وفُكَاهَةُ

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم: ما في شعرك شيء غير أنك لا تطيله، فقال:

[الوفر]

أَبَى لِي أن أَطِيلَ الشَّعْرَ قصدي  
فأبعثهنَّ أربعة وخمسا  
إلى المعنى وعلمي بالصُّوابِ  
مُثَقِّقَةً بِالْفَظِ عَذَابِ  
وما حَسُنَ الصُّبَا بأخي الشَّبابِ  
كأطواقِ الحمامِ في الرُّقَابِ  
وهنَّ إذا وَسَمْتُ بهنَّ قوما  
وهنَّ إذا أَقَمْتُ مسافراتِ  
تَهَاذَاهَا الرُّوَاةُ مع الرُّكَّابِ

\*\*\*

[المقارِب]

عَلَى أَنِّي مِنْ زَمَانِي خُصِصْتُ  
يُسْعُرُ لي كلُّ يومٍ وَغَى  
بَكْنِدٍ ولا كِنْدٍ فِرْعَوْنَ موسى  
أَطَا مِنْ لَظَاهَا وَطِيساً وَطِيسَا  
يُظَرِّقُنِي بِالْخُطُوبِ الَّتِي  
وَيَدْنِي إِلَيَّ الْبَعِيدَ الْبَغِيضَ  
يُذَبِّنُ الْقَوَى وَيُشَبِّنُ الرُّوسَا  
وَيُبْعِدُ عَنِّي الْقَرِيبَ الْأَنيسَا

ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا  
فقلت له: خفّض الأحران، ولا تلمّ الزمان، واشكّر لمن نقلك عن مذهب إبليس،  
إلى مذهب ابن إدريس.

\*\*\*

قوله: على أنني، أي مع أنني. وقوله: ولا كيد فرعون موسى، أضاف فرعون إلى  
موسى، لأنّ الفراعنة كانوا جماعة.

وقال النبي ﷺ: «إنّ لكل أمة فرعوناً، وفرعون هذه الأمة أبو جهل»<sup>(١)</sup>.

وفرعون موسى، كان أكبر الفراعنة كيداً وأطولهم عمراً، وأعتاهم على الله،  
واسراهم مملكة.

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب،  
أمهلت فرعون أربعمئة سنة، وهو يقول: أنا ربكم الأعلى، ويكذب بآياتك ويجحد  
رسلك! فأوحى الله تعالى إنه كان حسن الخلق سهل الحجاب، فأحببت أن أكافئه.

وأما عذابه لبني إسرائيل فقد قدمناه في الخامسة.

ومما يحكى عنه أنّه كان يأمر بالقَصْب فيشق، ويُجعل أمثال الشفار، ثم يضيف  
بعضه إلى بعض، ثم يؤتى بالجبالي من بني إسرائيل فيوقفن عليه، فيحزّ أقدامهنّ، حتى  
إن المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجليها، فتظلّ تطؤه تتقي به حدّ القَصْب عن رجليها.

قال وهب بن منبه: بلغني أنه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد ونسب الثعالبي  
المفسر فرعون، فقال: هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الزيان بن أراشه بن ثروان بن  
عمرو بن قاذم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قوله: يُسْعَر، أي يهتج. وعى: حرب. لظاها: حرّها. وطيساً: شدة، وحيي  
الوطيس: اشتدت الحرب، وأصله تتور من حديث يطبخ فيه، فشبهت شدة الحرب  
وحرارتها به. وقيل: هو حفرة يُختبَر فيها. والوطيس: الوطاء الشديد، والبلاء الذي يطس  
الناس، أي يدقهم ويقتلهم.

يطرقني: يقصدني ليلاً. الخطوب: الأمور الشداد. خساسة: حقارة حظي:  
نصيبي.

ومما قيل في معنى قوله: ويدني إليّ البعيد البغيض.. البيت.. قول الزاهد بن  
عمران: [البسيط]

إمام كلّ ثقیل قد أضربنا نروم نقصهم والشيء يزداد

(١) أخرجه أحمد في المستد ٣٠٩/١، ٤٠٣، ٤٤٤.



وَمَنْ يَخْفَ عَلَيْنَا لَا يَلْمُ بِنَا ويقرب منه قول الشاعر: [الطويل]	وللثقليل مع الساعات تَزْدَادُ
وكيف يود القلب مَنْ لَا يودُه وقال عديّ بن الرقاع: [الكامل]	بلى قد تريدُ النفس مَنْ لَا يريدُهَا
تَبْلُثُكَ أخت بني لؤي إذ رَمَتْ وأعَارَهَا الحَدَثَانِ منك مودةٌ	وأصاب نُبْلُكَ إذ رَمِيتَ سِوَاهَا <sup>(١)</sup>
وهذا من قول الأعشى: [البيط]	وأعار غيرَكَ وَدَهَا وهَوَاهَا
عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَعَلَّقْتَ رَجُلًا	غيري، وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ <sup>(٢)</sup>
وقال مسلم بن الوليد - وهو صريع الغواني، وكان خاملاً فولّاه بنو سهل جرجان فسُرِفَ - فقال: [البيط]	
أهل الصفاء نأيتُم بعد قُرْبِكُمْ وقد قَصَدْتُ ندى مَنْ لَا يوافقني	فما انتفعتُ بعيش بعدكم صافي <sup>(٣)</sup>
أردتُ «عمرأ» وشاء الله «خارجة»	فكان سهمي عنه الطّائش الطّافِي
ولهذا أشار ابن شرف بقوله: [الكامل]	أما كَفَى الدَّهْرَ مَنْ خُلْفِي وإِخْلَافِي!
سَلِّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ للهِ حَالٌ قَدْ تَنَقَّلَ عَهْدَهَا	كرضا الفَرَزْدَقِ عَنْ بَنِي يَزْرُوعٍ
دارت دراري الخطوبِ قواصداً	كخلاف ثَقُلَ الدهر حال صريع
وله أيضاً يتشكى: [البيط]	حتى نظرون إليّ من تَزْبِيعِ
ما لي أجاذبُ ذي الدنيا موليةً	فكلّ ثوب عليها قُدِّمَ من دُبُرِ
أتى الزمان على يأسٍ به لَبَّيْ الدُّنْ	يَا كِبْشُرِي بمولود على كِبَرِ
وقال أيضاً: [البيط]	
إني وإن عَزَّنِي نيلُ المني لأزِي	جِرْصَ الفتى خَلَّةً زِيدت على العدمِ

(١) البيتان لعدي بن الرقاع في اللآلي المصنوعة ص ١٣٩.

(٢) يروى عجز البيت:

غيري وعَلَّقَ أُخْرَى ذَلِكَ الرَّجُلُ

وهو للأعشى في ديوانه ص ١٠٧، والأشياء والنظائر ١٥٢/٥، وشرح التصريح ٢٨٦/١، ولسان العرب (عرض)، (علق)، وتاج العروس (علق)، والمقاصد النحوية ٥٠٤/٢، ويلا نسبة في أوضح المسالك ١٣٦/٢.

(٣) الأبيات في ديوان صريع الغواني ص ٣٢٧.

تَقَلَّدْتَنِي اللَّيَالِي وَهِيَ مَدِيرَةٌ      كَأَنَّنِي صَارِمٌ فِي كَفِّ مَنْهَزِمٍ  
وقال جحظة : [البسيط]

ضَاقَتْ عَلَيَّ وَجْوهُ الرَّأْيِ فِي نَفْرِ      يَلْقَوْنَ بِالْجُحْدِ وَالْكَفْرَانِ إِحْسَانِي  
أَقْلَبُ الْطَرَفَ تَصْعِيداً وَمَنْحَدَرًا      فَمَا أَقَابِلُ إِنْسَانًا بِإِنْسَانِي  
وقال أيضاً : [المقارِب]

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي الصَّالِحُونَ      فَمَا لِي صَدِيقٌ وَمَا لِي عِمَادُ  
إِذَا أَقْبَلَ الصَّبْحُ وَلَى السَّرُورُ      وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَى الرِّقَادُ  
قوله : خَفَضُ، أَي سَكَنَ .



### [الإمام الشافعي]

وابن إدريس هو الإمام الشافعيّ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، يلتقي نسبه مع بني هاشم وبني أمية في عبد مناف .  
وقال رحمه الله : «نحن وبنو المطلب كهاتين» - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى مضومتين .

وحاصرت قريش بني المطلب مع بني هاشم في الشَّعْب .  
وكان الشافعي أعلم الناس وأورعهم وأعبدتهم، وأجودهم، فإن أردت أن تقف على حفظة ومبلغ علمه، فانظر رحلته .  
ووصفه بعض أهل العلم فقال : هو شقيق رسول الله ﷺ في نَسَبِهِ وشريكه في حَسَبِهِ .

زَوْجُ الْمَطْلَبِ ابْنَةُ هَاشِمًا الشَّفَاءُ بِنْتُ هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنْفَافٍ أَخِيهِ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ يَزِيدَ جَدُّ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ يُقَالُ لِعَبْدِ يَزِيدَ : الْمُحَضُّ لَا قَدْرَ فِيهِ، فَوُلِدَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ هَاشِمَانِ : هَاشِمُ بْنُ الْمَطْلَبِ وَهَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفَافٍ، فَالشَّافِعِيُّ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَابْنُ عَمَّتِهِ، لِأَنَّ الشَّفَاءَ أُخْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَهِيَ عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ .  
وَأَسْلَمَ السَّائِبُ جَدُّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةٍ بَنِي هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنْفَافٍ أُسِرَ وَفَدَى نَفْسَهُ، فَأَسْلَمَ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ قَبْلَ أَنْ تَقْتَدِيَ؟ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَحْرَمُ الْمُؤْمِنِينَ طَمَعًا لَهُمْ فِي .

قال أبو ثور : ما رأيْتُ ولا رَأَى الرَّأُوْنَ مثله .

وقال أحمد بن حنبل : ما صَلَّيْتُ صَلَاةً مِنْذَ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا أَدْعُو اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ .

وقال له ابنه: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له هذا الدعاء؟ فقال: يا بني كان كالشمس للدنيا، أو كالعافية للناس.

وحدث صالح بن أحمد بن حنبل قال: مشى أبي مع بَغْلَةٍ الشافعي في ركابه، فبعث إليه يحيى بن معين فقال له: يا أبا عبد الله، أما رَضِيتَ إلا أن تمشي مع بغلته! فقال: يا أبا زكرياء، لو مشيتُ من الجانب الآخر لكان أنفع لك، وما يمسُّ أحدٌ محبرةً إلا وللشافعي في عُقْبِهِ مِثَّةٌ.

وقال الشافعي رضي الله عنه: ما شَبِعْتُ منذ ست عشرة سنة، لأنَّ الشَّبْعَ يثْقُلُ البدن، ويقْسِي القلب، ويزيل الفُطْنَةَ، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

وقال: ما حَلَفْتُ بالله لا صادقاً ولا كاذباً.

وقال: ما ناظرتُ أحدًا قطُّ فأحببت أن يخطيء، وما كَلَمْتُ أحدًا إلا أحببت أن يوفقَ وَيُسَدِّدَ ويعان، ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كَلَمْتُ أحدًا إلا وأنا لا أبالي أن يَبَيِّنَ الله الحقَّ على لسانه أو لساني وما أوردتُ الحجة على أحدٍ، فقبل مني إلا هَبْتُهُ واعتقدت محبته، ولا ثابرتني على الحق أحدٌ ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته.

وكان يختم القرآن في رمضان ستين مرَّة كلَّ ذلك في الصلاة.

وقال الكرايسي: بثَّ معه غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية. وكان لا يَمُرُّ بآية فيها رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين، ولا بآية عذاب إلا تعوَّذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين.

وقال عمر بن عبد الله البَلَوِي: جلسنا يوماً نتذاكر الزَّهاد والعَبَّاد والعلماء، وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا عمر بن نباتة، وقال: فيم تتحاورون؟ فأعلمناه، فقال عمر: والله ما رأيت رجلاً قطُّ أَوْرَعَ ولا أَخْشَعَ ولا أَصْبَحَ ولا أَسْمَحَ، ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل، ولا أَجَلَّ ولا أَفْضَلَ، من محمد بن إدريس الشافعي، خرجت أنا وهو والحرث بن الليث إلى الصَّفا، وكان الحرث صاحب صالح المُرِّي، وكان من المتقين الخاشعين، وكان حسن الصوت، فقرأ ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَغْفِرُونَ﴾ [النازعات: ٣٥، ٣٦] فرأيتُ الشافعي رضي الله عنه قد تَغَيَّرَ لونه، واقشعرَ جلده واضطرب اضطراباً شديداً، ثم خرَّ مغشياً على وجهه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين، وأعراض الغافلين! اللهم خضعث لك قلوبُ العارفين، وذَلَّتْ لك قلوب المشتاقين، اللهم هب لي جُودَكَ، وجَلِّلْنِي بِشِرْكِكَ، واعف عن تقصيري بكرم وجهك. ثم قمنا وتفرقنا.

وقال الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي رضي الله عنه، يقول: أتى عليَّ عيد وليس عندي نفقة، فاستسلفت سبعين ديناراً لنفقة أهلي، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل من

قريش يشتكي إلي الحاجة فأخبرته خبري، وقلت له: خذ ما تحب، فقال لي: ما يقنعني إلا أكثر من هذه الدنانير، فقلت له: فخذها، وبثّ وما معي دينار ولا درهم، فبينما أنا في منزلي إذ أتاني رسول جعفر بن يحيى البرمكي يقول: أجب الوزير، فأجبت. فقال: ما شأنك في هذه الليلة؟ يهتف بي هاتف كلما دخلت في النوم، يقول: الشافعي الشافعي، فأخبرته بالخبر، فأعطاني خمسمائة دينار، ثم قال: أزيذك فأعطاني خمسمائة أخرى، فلم يَزَلْ يزيديني حتى أعطاني ألفي دينار. ومن جوده أن سوطه وقع من يده، فأعطى مَنْ ناوله إياه خمسين دينار وورد مكة بعشرة آلاف درهم، فضرب خبائه خارجها، فأناه الناس، فما برح من موضعه حتى قرّعها.

وكان شاعراً مجيداً، قال أبو القاسم بن الأزرق: دخلت عليه، فقلت له: يا أبا عبد الله، أما تنصفنا! لك هذا الفقه تفوز بفوائده، ولنا هذا الشعر، وقد جئتُ نُدخلنا فيه! فأما أفرَدُنا أو أشركتنا في الفقه، وقد أثبتْ بأبيات إن أجزتها بمثلها تبت من الشعر، وإن عجزتْ تُب منه، فقال لي: إيه يا هذا، فأنشدته هذا الكلام: [الكامل]

ما قمتي إلا مقارعة العدا	خَلَقَ الزمان وهُمّتي لم تخلُ
والناس أعينهم إلى سبب الغنى	لا ينظرون إلى الحجا والأولَى
لكنْ مَنْ رُزِقَ الحجا حُرِمَ الغنى	ضدّان مفترقان أي تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتُني	بنجوم أقطار السماء تعلّق

فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: ألا قلت كما أقول ارتجالاً: [الكامل]

إن الذي رزق اليسار فلم يَنَلْ	حمداً ولا أجراً لغير موقِف
فالجِدْ يدني كل أمر شاسع	والجد يَفْتَحُ كل باب مُغْلَق
فإن سمعت بأن مجدوداً حوى	عوداً فأثمر في يديه فحقّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى	ماء ليشربَه فغاض فصذّق
وأحقّ خلق الله بالهمّ امرؤ	ذو همّة يُبَلَى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه	بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

فقلت له: لا قلتُ شعراً بعدها.

قال المبرّد: كان الشافعي رضي الله عنه أشعر الناس وآدب الناس، وأعرفهم بالفقه والقراءات، ولقد أخبرني بعض أصحابي أنه مات ولدٌ لعبد الرحمن بن مهدي، فكتب إليه الشافعي رضي الله عنه: يا أخي، عزّ نفسك بما تُعزّي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك. واعلم أن أمض المصائب فقد سرور، وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمعاً مع اكتساب وزر! فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلّبه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً، وكتب إليه: [البسيط]

إني أعزّيك لا أنّي على ثقة  
فما المعزّي بباقي بعد ميّته  
من الحياة ولكن سُنّة الدّين  
ولا المعزّي وإن عاشا إلى حين  
وقال أيضاً: [البيسط]

علمي معي حيثما يُممّنُ ينفعني  
إن كنتُ في البيت كان العلمُ فيه معي  
قلبي وعاء له لا بطنُ صُنْدُوقِ  
أو كنتُ في السّوقِ كانَ العلمُ في السّوقِ  
وقال أيضاً: [الوافر]

ومنزلة السّفِيهِ من الفقيه  
فهذا زاهدٌ في قُرب هذا  
كمنزلة الفقيه من السّفِيهِ  
وهذا فيه أزهدُ منه فيه  
إذا غلب الشقاء على سفيه  
تَقَطَّعَ في مخالفة السّفِيهِ

وناظر الشافعيّ محمد بن الحسن الكوفيّ بالرّقة فقطعه الشافعيّ، فبلغ ذلك هارون الرشيد، فقال: أما علم محمد بن الحسن إذا ناظر رجلاً من قريش، أنه يقطعه؛ سائلاً أو محبباً، والنبي ﷺ يقول: «قَدِّمُوا قريشاً ولا تَقْدِّمُوا عليها، وتعلّموا منها ولا تعلّموها»، فإن علم العالم منها يَسْعُ طباق الأرض. وكان الشافعيّ يعظّم محمد بن الحسن لعلمه، واستعار شيئاً من كتبه فلم يسعفه بذلك، فكتب إليه الشافعيّ رضي الله تعالى عنه: [مجزوء الكامل]

قُلْ لِلَّذِي لَمْ تَرَ عِي — نَأْمَنْ رَأَهُ مَثَلُهُ  
ومَنْ كَأَنَّ مَنْ رَأَى — ه قَدْ رَأَى مَنْ قَبْلَهُ  
العلم ينهي أهله — أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلُهُ  
لِعَلَّهُ يَبْذُلُهُ — لِأَهْلِهِ لِعَلَّهُ  
فبعث إليه بما سأل.

وقال في الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتلّ فعاده: [مجزوء الكامل]

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَعَدَّتْهُ — فَمَرَضَتْ مِنْ خَذَرِيٍّ عَلَيْهِ  
شُفِّي الْحَبِيبُ فَعَادَنِي — فَشَفِيَتْ مِنْ نَظَرِيٍّ إِلَيْهِ

وقال أبو سعيد: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول بيتين وهما: [الطويل]

إني أرى نفسي تتوق إلى مصرٍ — و مِنْ دُونِهَا عَرَضُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ  
فوالله ما أدري أَلِلْخَفْضِ وَالْغِنَى — أَقَادَ إِلَيْهَا، أَمْ أَقَادَ إِلَى الْقَبْرِ!

قال: فوالله ما كان إلا قليل حتى سيق إليهما جميعاً.

ورأته بعد وفاته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرّطب.

وقال المُزَنِّي: دخلت عليه غداة وفاته فقلت له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولا أدري إلى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها! ثم أنشأ يقول: [الطويل]

ولمّا قسا قلبي وضائق مذهبِي      جعلت الرّجاء منّي لعفوك سلماً  
تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته      بعفوك ربّي كان عفوك أعظماً

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين، ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة، وصلى عليه السّري بن الحكم أمير مصر، ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير، وفيه مكتوب: «هذا قبر محمد بن إدريس الشافعيّ أمين الله».

وقال الشافعيّ: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقيل مدح من لا يعرفه.

وقال: من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنّع زال عنه الخضوع.

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعيّ يقول: [الطويل]

وأنزلي طول النوى دار غربة      يجاورني من ليس مثلي يشاكله  
أخامقة حتى يقال سجيّة      ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقله  
قال: وسمعته ينشد: [الطويل]

صنّ النفس واحملها على ما يزيئها      تعيش سالماً والقولُ فيك جميلُ  
ولا تولينّ الناس إلا تجملاً      نَبَا بك دهرٌ أو جفاك خليلُ  
وإن ضاق رزق اليوم فاصبرْ إلى غدٍ      عسى نكبات الدهر عنك تزولُ  
ولا خيرَ في ودّ امرئٍ متلومٍ      إذا الريخُ مالت مال حيث تَميلُ  
وما أكثر الإخوان حين تعدّهم      ولكنّهم في النائبات قليلُ!

قال: وسمع رجلاً يشقّه على رجل من أهل العلم، فقال لأصحابه: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنّ، كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القاتل، وإن السفیه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه، فيحرص على أن يفرغه في أوعيتكم.

نظم بعضه هذا المعنى، فقال: [المقارب]

فسمّعك صنّ عن سَماع الخنّ      كصون اللسان عن التُطّق به  
فإنك عند استماع الخنّ      شريك لقائله فانتبّه

وكان الحسن البصري رحمه الله، إذا خطب الحجاج، وذكر السلف، يتكلّم تشاغلاً

عن خطبته، فقيل له في ذلك، فقال: إن السامع والمتكلم شريكان، ألم تسمع قول الشاعر: [المتقارب]

فجاء به ناطق منهم      بليغٌ ومستمعٌ صامِتٌ  
فكلُّ له حظُّه أنه      أمانٌ معَ الناطقِ الساكِنِ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: [السريع]

إن كنتَ لا ترهب ذمِّي لما      تعلم من صَفْحِي عن الجاهلِ  
فاخش سكوتي إذ أنا منصتٌ      فيك لمسموعي خنى القائلِ  
فالسامع القولُ كمن قاله      والموتكل المأكول كالآكلِ

وذكر الفنجديهي الشافعي، فقال: هو إمام الأنام، ونظام الإسلام، أحد الأئمة الأربعة الأطواد، الشامخة في الدين الأجواد، رضيع لبان النبوة، أفضل العلماء، وأعلم الفضلاء، وصدر البدور وبدر الصدور، وهادي الدعاة، وداعي الهداة، إكسير العلوم، وإكليل الرسوم. عَلم العلماء شَظِيَّةً من عَلمه، وحلم الحلساء جَذَوَّةً من حلمه، وعقائد الأصول مقتدحة من زناد كلماته، وقواعد الفروع مقترحة من عداد نغماته، فارس هَيْجاء المشكلات، ومقوم عَوْجاء المعضلات، منبع السُّنن، ومتبع السُّنن، فاز بغلبات الأقران، وحاز قَصَبَاتِ الرَّهَانِ، بطهارة الأعراق، ودمائه الأخلاق، وفخامة شرف الأمومة، وكرامة طرفي الأبوة والعمومة، دُرَّة الأصداف، من صميم آل عبد مناف، كشف الظلمة عن الأمة، وصرف عنهم المظلمة المدلهمة، بعلم كالبحر اللجِّي، ورأي كاليد في اللَّيْلِ الدجِّي، مذهبه مؤيد بنصوص القرآن، وفصول الفرقان، أسس بُنيانه على تقوى من الله ورضوانه، فهو بين المذاهب والأديان، كالناظر في الأجفان والسمع في الآذان، والعقل في الإنسان، والعدل للسلطان، أحله الله محلَّ القُدس، وأدلى إليه سبحانه الأنس.. في كلام أكثر من هذا.

\*\*\*

فقال: دَرَعَ الهِتَارَ، ولا تهتِكِ الأستار، وانهض بنا لِنُضْرِبَ إلى مسجد يَثْرِبَ، فعسى أن نَرَحُضَ بالمزارِ، دَرَنَ الأوزار فقلت: هيهات أن أسيرَ، أو أفقه التفسير، فقال: تالُّهُ لَقَدْ أوجِبَتْ ذِمَّاماً، وطلبت إذ طلبت أَمَّاماً. فهالك ما يشفي النَّفْسَ، ويتقي اللَّبْسَ، قال: فلما أوضح لي المعنى، وكشَفَ عَنِّي الغُمَى، شدَّنا الأكوَارَ، وسِرَّتْ وسار. ولم أزل مِنْ مسامرتِهِ، مدَّةَ مسَايَرَتِهِ، فيما أنساني طَعْمَ المشقَّةِ، وودِدْتُ معه بُعْدَ الشَّقَّةِ، حتَّى إذا دَخَلْنَا مَدِينَةَ الرَّسُولِ، وفزنا من الزَّيَارَةِ بالسُّوْلِ، أشام وأغرقتْ، وغرَبَ وشَرَّقَتْ.

\*\*\*

قوله: دع الهتار: أي اترك تمزيق العِرض، وفلان يهتار فلاناً، أي يسأته بالباطل من القول، والقبيح من اللفظ، وأصل الهتار سَقَط الكلام والباطل، والمهاترة: القول الذي ينقض بعضه بعضاً، وأهتَر الرجل فهو مهتَر، إذا أولع بالقول في الشيء، واستهتر، فهو مستهتَر: ذهب عقله فيه، وانصرفت إليه همته. تهتَك: تخرق وتكشف، يريد أنه لما عرض له بنقائضه قال له: دع كشف العيب، فليس هذا موضعه. انهض: تقدم. لنضرب: لنمشي في الأرض. نُرْحَض: نغسل. المزار: زيارة قبر النبي ﷺ. دَرَن الأوزار: وسخ الذنوب. هيهات: معناه بَعُدَ ذلك عنك. أفقه: أفهم، وذِمَمًا: جمع ذَمَّة، وهي العهد. أَمَمًا: شيئاً قريباً، والأَمَم: القصد. هاك: أي خذ. المعمى: المغطى المشكى المعنى، وأراد به شرح المائة الفتيا الملعونة. ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط: طلب أَمَمًا قال عبيد الله بن قيس الرقيات: [المنسرح]

كوفيةً نازح محللتها لا أَمَمٌ دارها ولا صَقَبٌ<sup>(١)</sup>

الصَقَب: القرب. العُمى: هي الغمة التي تغطي على الذهن، والمعمى الأمر الملبس. الأكوار: ما هو للإبل كالبراذع للدواب. الشُّقة: السفر البعيد. والسؤل: المراد، أشام وأعرقت: قصَدَ الشام وقصدت العراق.

### [فضل زيارة قبر النبي ﷺ]

ونذكر هنا فصلاً في زيارة القبر المعظم وتوديع زائره له ووصف الروضة والمسجد وذكر يثرب، وهي مدينة النبي ﷺ ومهاجره، سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب. وكان ﷺ يغيّر الأسماء التي تدل على الاستقباح إلى ضدّها<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي» ابن عمر رضي الله عنهما: يثرب أرض مدينة الرسول في ناحية منها.

وقال شيخنا ابن جبير في روضته ﷺ: شاهدنا الروضة المكرمة، وقد وقع الأذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهاني الذي ورث الثباة والوجاهة في العلم كابراً عن كابر، المعروف برئيس العلماء، توارثه عن أب فاب، وقد غَصَّ الحرم بالمتنظرين، وقد أعدَّ له كرسيّ بإزاء الروضة المقدسة، فصعد وحضر قراؤه أمامه، فابتدؤوا بالقراءة بنغمات عجيبة، وتلأحين مطربة بهيجة، وهو يلحظ الروضة المقدسة، ويعلن بالبكاء. ثم أخذ في خطبة من إنشائه سحرية البيان، وسلک في أساليب من الوعظ باللسان، وأنشد

(١) البيت في ديوان ابن الرقيات ص ٢، وفيه «ولا سَقَبٌ» بدل «ولا صَقَبٌ»، ولسان العرب (صقب)، وتهذيب اللغة ٣٨٣/٨، والأغاني ٨٧/٥، وتاج العروس (صقب)، وبلا نسبة في كتاب العين ٨/٤٣٠، ومقاييس اللغة ٣٠/١.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب باب ٦٦، بلفظ: «أَنَّ النبي ﷺ كان يغيّر الاسم القبيح».



أبياتاً بديعة من قوله، كان يرّدّ منها هذا البيت، ويشير إلى الروضة المعظمة المطهرة [الكامل]

هاتيك روضته تفوح نسيماً صُلّوا عليه وسلّموا تسليماً

وتماذى في وعظه إلى أن أطار النفوس من خشية ورقة، وهو يعتذر من التقصير، لهلول ذلك المقام ويقول: عجباً لألكنّ العجم، كيف ينطق عند أفصح العرب. وتهافت الأعاجم عليه معلنين بالتوبة، وقد طاشت ألبابهم، ودهشت عقولهم، فيلقون نواصيهم بين يديه، فيستدعي الجلمين، ويجرّوها ناصية ناصية، وكلّما جرّ ناصية كساها عمامة، فتوضع عليه للحين عمامة أخرى، ثم ختم مجلسه، بأن قال: معشر الحاضرين، قد تكلمت لكم ليلة بحرّم الله، وهذه الليلة بحرّم رسوله؛ ولا بدّ للواظ من كُدّة، وأنا أسألكم حاجة وإن ضمنتوها إلي أرقّت لكم ماء وجهي في ذكرها. فأعلن الناس بالاسعاف وشهيقهم قد علا، فقال: حاجتي أن تكشفوا رؤوسكم، وتبسطوا أيديكم، ضارعين لهذا النبي الكريم في أن يرضى عني ويسترضي الله عزّ وجل لي. ثم أخذ في تعداد ذنوبه، والاعتراف بها، فأطار الناس عماثهم، وبسطوا أيديهم للنبي ﷺ، داعين له باكين متضرّعين؛ فما رأيت ليلة أكثر دموعاً، ولا أعظم خشوعاً من تلك الليلة. ثم انفضّ المجلس.

قال ابن جبير رحمه الله: ثم كان في اليوم التالي لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرّمة، فيا له وداعاً، ذهلت له النفوس ارتياعاً، حتى طارت شعاعاً، وما ظنك بموقف ينادى بالتوديع فيه سيّد المرسلين، وخاتم النبيين، ورسول رب العالمين! إنه لموقف تفطر فيه الأفئدة، وتطيش له الألباب المثثدة، فوا أسفاه وأسفاه! كلُّ ييوح لديه بأشواقه، ولا يجد بُدّاً من فراقه، فما تستطيع إلى الصبر سبيلاً، ولا تسمع في ذلك المقام إلا رنةً وعويلاً، وكلُّ بلسان الحال ينشد: [مخلع البسيط]

محبّتي تقتضي مَقَامِي وحالتي تقتضي الرُّجِيلَا

بؤانا الله بزيارة هذا النبي الكريم منزل الكرامة، وجعله شافعاً لنا يوم القيامة، وأحلّنا بفضلّه في جواره الكريم دار المقامة.

ثم ذكر الروضة المقدّسة مع المسجد العتيق الذي اختوى على الروضة، فقال: المسجد المبارك مسجد رسول الله ﷺ مُسْتَطِيلٌ، وتحفّه من جهاته الأربع بلاطات مستطيلة، ووسطه كلّ صحن مفروش بالحصى والرمل، وفي الصحن خمس عشرة نخلة، فالجهة القبليّة لها خمس بلاطات مستطيلة من غَرْب إلى شرق، والجنوبيّة كذلك، على الصفة المذكورة والشرقيّة لها ثلاث بلاطات، والغربيّة لها أربع بلاطات. وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة، وسعته مائة وست وعشرون خطوة، وعددُ سواريه مائتان وتسعون، وهي أعمدة متصلة بالسُنُك دون قسيّ تنعطف عليها، فكأنّها دعائم

قوائم، وهي من خَجَرٍ منحوت قطعاً، مُلَمَّمةٌ مثقوبة<sup>(١)</sup> توضع أنثى في ذكر، ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن يتصل عموداً قائماً، وتُكسى بِغِلالة جبر، وببألغ في سفُلها ودَلُكها، فتظهر كأنها رخام أبيض، وتحف بالبلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس مقصورة تكتنفه من غرب إلى شرق، والمحراب فيها، وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر، ظاهر البريق، يقال: إنه كان مرآة كسرى. وفي أعلى داخل المحراب مسمار مثبت في جداره، فيه شِبْهٌ حتى صغير لا يعرف من أي شيء هو، ويزعمون أنه كان كأس كسرى. ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع أزاراً على إزار مختلف الصُّنعة واللون، مجزّع أبعد تجزيع. والنصف الأعلى من الجدار مزين كله بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفَسَاء، قد نتج الصانع فيه نتائج غريب من الصُّنعة، تضمّت تصاویر أشجار مُختلفة الصفات، مائلة الأغصان بثمرها، والجدران الشرقي والغربي الناظران إلى الصحن مُجرّدان أبيضان مُقرّصان، قد زُيِّنَا برسم يتضمّن أنواعاً من الأصبغة إلى ما يطول وصفه من الاحتفال في هذا المسجد المبارك.

وفي الجهة الشرقية بيتٌ مصنوع من عُود لمبيت بعض سَدَنَتِهِ، وسدنته فتیان أحابش صقالب ظراف الهيئات، نظاف الملابس، والمؤذّن الرّائب فيه أحد أولاد بلال، وفي جوف الصحن قبة كبيرة تُعرَف بقبة الزيت، هي مخزن لجميع آلات المسجد.

وله تسعة عشرة باباً لم يبقَ منها مفتوحاً سوى أربعة: اثنان في الغرب، ويُعرَفان بباب الرحمة، وباب الخشية، واثنان في الشرق: باب جبريل، ويقابله دار عثمان التي استشهد بها، وباب الرّجاء. وفي الشرق خمسة مغلقة، وفي الغرب كذلك، وفي الجنوب أربعة وفي القبلة واحدٌ صغير، وله ثلاث صوامع إحداها في الركن الشرقي على هيئة الصوامع، واثنان في ركني الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة بُرْجين، والرّوضة المقدسة مع آخر الجهتين، الجهة القبليّة ممّا يلي الشرق، وقد انتظمت من بلاطاته ممّا يلي الصحن في السعة اثنتين ونيفت إلى البلاط والثالث بمقدار أربعة أشبار، ولها خمسة أركان بخمس صفحات، وشكلها شكلٌ عجيبٌ لا يكاد يثنأى تصويره ولا تمثيله، والصفحات الأربع محزّفة عن القبلة تحريفاً بديعاً، لا يتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته، لأنه ينحرف عن القبلة، والذي اخترع ذلك في تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصلىً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطتين، وانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة، وسعة الصفحة القبليّة منها أربعة وأربعون شبراً، وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبراً، ومن الركن الشرقي إلى الركن الجنوبيّ صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبراً، ومن الركن الجنوبيّ إلى الغربيّ صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبراً، ومن الركن الغربيّ إلى القبليّ صفحة سعتها أربعة وعشرون شبراً، وفي هذه الصفحة صندوق

(١) الململم: هو الحجر المجتمع الأملس.

آبنوس مختم بالصندل، مصفح بالفضة، مكوكب بها طوله خمسة أشبار، وعرضه ثلاثة أشبار، وارتفاعه أربعة، وهو قبالة رأس النبي ﷺ، فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر، واثنان وسبعون شبراً، وهي مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت، وينتهي الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل يسيراً، وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر، قد علاه تضيخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسوداً متراكباً، متشققاً مع طول الأزمنة والأيام، والذي يعلوه من الجدار شبايك عود متصلة بالسّمك الأعلى، لأن أعلى الروضة متصل بسّمك المسجد، وإلى حيز إزار الرخام تنتهي الأستار، وهي لازوردية اللون، مختمة بخواتم بيض مشتمة ومربعة، وفي داخل الخواتيم دوائر مستديرة، ونقطة بيض تحف بها، فمنظرها منظر بديع الشكل. وفي أعلاها رسم مائل إلى البياض، وفي الصفحة القبلية أمام وجه النبي ﷺ مسمار فضة، هو قبالة الوجه المكرم، فيقف الناس أمامه للسلام، وإلى قدميه ﷺ رأس أبي بكر رضي الله عنه، ومما يلي كتفي أبي بكر رأس عمر رضي الله عنهما، فيقف المسلم مستدبر القبلة، ومستقبل الوجه الكريم، فيسلم ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبي بكر، ثم إلى وجه عمر رضي الله تعالى عنهما.

وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلاً معلقة من الفضة، وفيها اثنان من ذهب، وفي جوف الروضة حوض صغير مرخّم في قبلته شكل محراب، قيل: إنه بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها، ويقال: هو قبرها، وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم، ومنه إليها اثنان وأربعون خطوة، وهو في الحوض المبارك الذي طوله أربع عشرة خطوة، وعرضه ست خطا، وهو مرخّم كله وارتفاعه شبر ونصف، وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار، وطوله خمس خطوات، وأدراجة ثمانية، وبابه على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة، وطوله أربعة أشبار ونصف شبر.

والمنبر مغشى بعود الآبنوس، ومقعد النبي ﷺ من أعلاه ظاهر، وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به، يصونه من القعود عليه، يدخل الناس أيديهم إليه، ويمسحونه. تبركاً بلمس ذلك المقعد الكريم، وعلى رأس رجل المنبر اليميني، حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه خلفة الخياط، لكنها أكبر لآعبة تستدير في موضعها، يزعمون أنها كانت لعبة للحسن والحسين في حال خطبة جدهما، صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي الروضة الصغيرة التي بين القبر والمنبر، جاء الأثر أنها روضة من رياض الجنة، وقدرها ثمان خطا، ويتزاحم الناس في هذه الروضة للصلاة، وبازائها لجهة القبلة عمود، يقال إنه مطبق على بقية الجذع الذي حنّ للنبي ﷺ وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة، يقبلها الناس، ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها في القبلة منها صندوق كبير للشمع والأنوار التي توقد أمام الروضة كل ليلة، ومصلى الإمام في الروضة الصغيرة

المذكورة إلى جانب الصندوق، وبينها وبين الروضة الكبيرة محمل كبير مدهون عليه مُصْحَفٌ كبيرٌ في غِشَاءٍ مقفل، هو أحدُ المصاحب الأربعة التي وجّه بها عثمان إلى البلاد.

وبإزاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد، ويليها في البلاط الثاني دَقَّةٌ لجهة الشرق، ودَقَّةٌ مطبقة على وجه الأرض إلى سرداب يهبط إليه على أدراج تحت الأرض، يُفْضِي إلى خارج المسجد إلى دار أبي بكر، وهو كان طريق عائشة رضي الله عنهما إليها. وذلك الموضع هو موضع الخُوخة المُفْضِيَة لدار أبي بكر رضي الله عنه التي أمر النبي ﷺ بإبقائها، وبإزاء دار أبي بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وفيما ذكرناه كفاية، والله تعالى أعلم.

تم الجزء الثاني، ويليهِ الجزء الثالث  
وأوله: «المقامة الثالثة والثلاثون، وهي المقامة التفليسية»

## فهرس المحتويات

### المقامة الثامنة عشرة

٣	..... السنجارية
٣	..... الشام
٥	..... بنو نمير
٦	..... سنجار
٧	..... الحاضرة والبادية
١٠	..... قصة ثمود
١٢	..... المقامة المضيرية للبديع الهمذاني
١٣	..... مما قيل في الجار
١٤	..... مما قيل في المودة والإخاء
١٥	..... مما قيل في وصف النساء
١٩	..... ذكر بابل
٢١	..... معبد المغني
٢٤	..... إسحاق الموصلي
٢٩	..... زنام الزامر
٣١	..... سطيح
٣٦	..... قصة موسى
٣٩	..... من قصص الجاريات المتأديات
٤٣	..... مما قيل في الوشاة
٤٤	..... مما قيل في النيمة
٤٥	..... مما قيل في وصف الذهب والزجاج
٥٠	..... مما قيل في الغدر وقلة الوفاء
٥٣	..... مما قيل في الليل

٥٦ .....	هود عليه السلام وقومه
----------	-----------------------

## المقامة التاسعة عشرة

٦١ .....	النُصَيْبِيَّة
٦١ .....	مدينة نصيبين
٦٢ .....	مما قيل في وصف الرياض شعراً
٦٣ .....	فصل أشعار المجانين
٦٨ .....	ثواب المريض
٧٠ .....	مما قيل في عيادة المريض
٧٣ .....	جَمَى كَلِيب
٧٦ .....	تخفيف العيادة
٧٨ .....	مما قيل في القيلولة
٨٤ .....	في الفرج بعد الشدة
٨٥ .....	تفسير ألفاظ ما تضمنته هذه المقامة من كلمات لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

## المقامة العشرون

٨٧ .....	الفارقة
٨٧ .....	ميافارقين
٨٩ .....	الضعف والكبر
٩٤ .....	مما قيل في العصا

## المقامة الحادية والعشرون

١٠١ .....	الرازية
١٠١ .....	الطبع والتطبع
١٠٣ .....	الزّي
١٠٣ .....	ابن سمعون الواعظ
١٠٦ .....	بعض الحكم والمواعظ
١١١ .....	لقاء ملك الموت
١١٥ .....	الولاية والولاة
١١٨ .....	اللتغ من الشعر
١٢١ .....	سام وحام ويافث
١٢٢ .....	عمرو بن عُبيد الزاهد

## المقامة الثانية والعشرون

١٢٥	الفرائية
١٢٥	سقي الفرات
١٢٧	بني الفرات
١٢٨	القعقاع بن شور
١٢٨	مما قيل في البر في الجليس شعراً
١٢٩	الحور والكور
١٣٠	وصف السفن
١٣٣	مما قيل في الثقلاء
١٣٦	في تشميت العاطس
١٣٨	قصة المثل: عند جهينة الخبر اليقين
١٤٢	حاتك الكلام
١٤٥	من أخبار الأدباء والشعراء

## المقامة الثالثة والعشرون

١٥٢	الشعرية
١٥٦	السروقات الشعرية
١٦٧	التحذير من الدنيا وغرورها
١٧١	توارد الخواطر
١٧٦	المساجلة
١٨٥	أنواع البلاغة في صناعة الشعر
١٨٥	التجنيس
١٨٨	التشبيه
١٩٠	الاستعارة
١٩١	الإشارة
١٩٢	الإيماء
١٩٢	التلويح
١٩٢	التعريض
١٩٣	التفخيم
١٩٤	المطابقة

١٩٥ .....	التقسيم
١٩٦ .....	التسهم
١٩٧ .....	التميم
١٩٧ .....	الترديد
١٩٨ .....	التجريد
١٩٩ .....	التبيع
٢٠٠ .....	التبليغ
٢٠١ .....	التصدير
٢٠١ .....	الاستثناء
٢٠٢ .....	الالتفات
٢٠٢ .....	الاعتراض
٢٠٥ .....	الاستطراد
٢٠٦ .....	قصة فرسي الرشيد والمأمون
٢٠٧ .....	مراتب الخيل
٢٠٨ .....	في وصف الخيل
٢١٢ .....	كفران الصنيع
٢١٧ .....	في إشارة اللحظ
٢٢٣ .....	قصة السموأل

### المقامة الرابعة والعشرون

٢٢٥ .....	التحوية
٢٢٦ .....	نديما جذيمة
٢٢٩ .....	الزباء
٢٣٣ .....	مما قيل في الرياض والبساتين
٢٤١ .....	مما قيل في الشيب والشباب
٢٤٧ .....	سبويه
٢٤٩ .....	مما ورد في اختلاف النحويين
٢٦١ .....	تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

### المقامة الخامسة والعشرون

٢٦٥ .....	الكرججة
-----------	---------



٢٦٥	الكرج
٢٧٠	مقامة البديع البخارية
٢٧٧	طيبة
٢٨٠	ابن سكرة

### المقامة السادسة والعشرون

٢٨٤	الرقطاء
٢٨٧	قصص في الفرج بعد الشدة
٢٩٩	مما قيل في الحجاب
٣٠٢	منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة

### المقامة السابعة والعشرون

٣٠٩	وهي الوبرية
٣١١	ذو الرمة ومي
٣٢١	أشعب وبعض نوادره
٣٢٣	مما قيل في الذباب والبعوض شعراً
٣٢٦	تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

### المقامة الثامنة والعشرون

٣٣١	السمرقندية
٣٣١	سمرقند
٣٣٢	يوم غروبة
٣٣٣	مما قيل في الحمام
٣٣٩	الأمل والطمع ومما قيل فيه شعراً
٣٤٠	الدهر وما قيل فيه
٣٤٤	مما قيل في دنو الأجل وعجز الطب حياله
٣٥١	كسرى
٣٥٣	دارا بن بهمن
٣٥٥	الفضيل بن عياض

### المقامة التاسعة والعشرون

٣٥٧	الواسطية
-----	----------

٣٥٧	..... واسط
٣٥٩	..... الغلمان وما قيل فيهم شعراً
٣٦٤	..... إبراهيم بن ادهم
٣٦٥	..... جبلة بن الأيهم
٣٦٩	..... المغالاة بالصدقات
٣٧٢	..... التطير من الدنيا والزهد فيها
٣٧٥	..... من خطب النكاح
٣٨١	..... الاعتراف بالذنب والطمع في رحمة الله

### المقامة الثلاثون

٣٨٥	..... الصورية
٣٨٥	..... أبو جعفر المنصور
٣٨٦	..... مدينة صور
٣٨٦	..... مصر
٣٨٧	..... مقياس النيل
٣٨٨	..... الأهرام
٣٨٨	..... بعض معالم مصر
٣٩٢	..... المنذر ابن ماء السماء
٣٩٩	..... عهد الصابي في التطفيل
٤٠١	..... من الخطب الهزلية

### المقامة الحادية والثلاثون

٤٠٨	..... الرملة
٤٠٨	..... الوطن ومما قيل فيه شعراً
٤١٠	..... مكة المكرمة
٤١٩	..... الرياء والمراؤون
٤٢٤	..... العناق ومما قيل فيه شعراً

### المقامة الثانية والثلاثون

٤٣١	..... الطيبة
٤٥٠	..... الملاحن والمعارض
٤٥٨	..... قباح الوجوه

٤٦٤	..... القلم ومما قيل فيه
٤٦٥	..... مما قيل في الشعر شعراً
٤٧٠	..... الإمام الشافعي
٤٧٦	..... فضل زيارة قبر النبي ﷺ
٤٨١	..... فهرس المحتويات